مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيقه الموسوعة
وحققه هذا السفر

كامل سلمان الجبوري

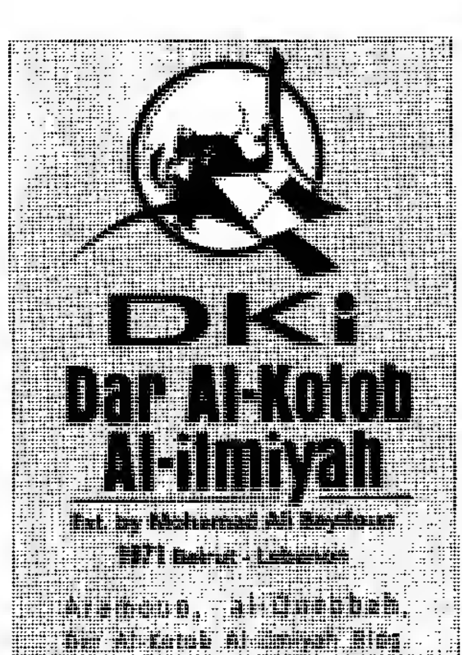
الجزء الأول

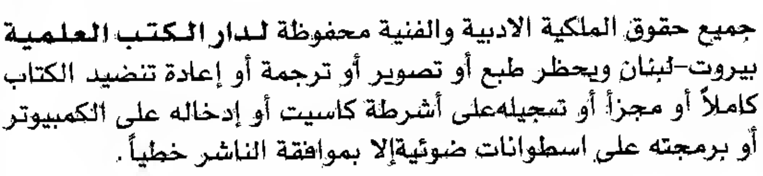
المسالك والآثار والأقاليم

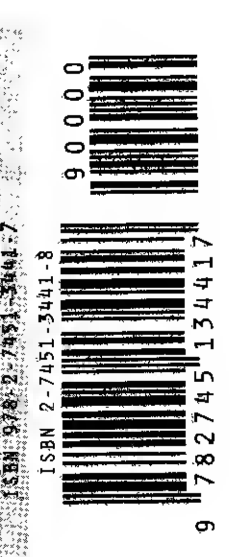


أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : **MASĀLIK AL-ʾABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ʾAMṢĀR**	الكتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
Classification: Lexicons	التصنيف : موسوعات
Author : Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ʿUmari	المؤلف : شهاب الدين ابن فضل الله العمري
Editor : Kāmil Salmān al-Jubūri and: Mahdi al-Najm	المحقق : كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages : 10240 (15 Volumes)	عدد الصفحات : 10240 (27 جزءاً في 15 مجلداً)
Size : 17*24	قياس الصفحات: 17*24
Year : 2010	سنة الطباعة : 2010
Printed in : Lebanon	بلد الطباعة : لبنـــان
Edition : 1st	الطبعة : الأولى






ISBN 2-7451-3441-8
9782745134417

مقدمة المحقق

بقلم: كامل سلمان الجبوري المشرف على تحقيق الموسوعة

ابن فضل الله العمري
(٧٠٠ـ ٧٤٩هـ/١٣٠٠ـ ١٣٤٩م)

نسبه:

هو شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محيي الدين أبي زكريا يحيى بن أبي المعالي فضل الله بن أبي الفضل المُجَلِّي بن جمال الدين دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله (وقيل أسلمة) ابن عبيد الله بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطّاب القرشي العدوي العمري[(١)].

القاضي، الفقيه، الأديب، كاتب السر[(٢)]، و«هو الإمام الفاضل، البليغ المفوّه، الحافظ حُجَّة الكُتَّاب، إمام أهل الأدب، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسلاً، وتوصلاً

---

(١) هكذا ساق نسبه هو في مقدّمة كتابه مسالك الأبصار ١/ ١١٩.
وذكر: إن عشيرته أصلها من قريش، وتتحدَّر من عمر بن الخطاب. وقد وصلت هذه العشيرة في الأصل إلى مصر أيام الخليفة الفائز (٥٤٩ـ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ـ١١٦٠م) عندما كان الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك (٤٩٥ـ٥٥٦هـ/ ١١٠١ـ١١٦١م) يتولّى الوزارة. وكان القادمون جماعة من آل عُديّ بن كعب، وهو البطن القرشي الذي ينتمي إليه عمر بن الخطاب. ومن بين هؤلاء بيوت من آل عمر على رأسهم خلف بن نصر العمري ـ من سلالة ابن الخطاب ـ وهو الجدّ الأعلى للمؤلف ابن فضل الله.
ويشيد العمري بالعلاقة الطيبة التي كانت تربط جدَّه هذا بطلائع بن رُزِّيك ـ على مخالفة المعتقد ـ وربما كان هذا التقليد المتوارث في أسرته عن حسن علاقتها بالفاطميين وراء موقفه الإيجابيّ من الدولة الفاطمية، بخلاف كثير من المؤرخين والأدباء. وقد تمثل هذا في قصيدة أثنىٰ عليهم فيها، حفظها لنا السّيوطي في «حُسن المحاضرة».
(انظر: مسالك الأبصار ـ القسم الأول ـ: المقدمة بقلم المحققة كرافولسكي ص ٥٥ ـ وقلائد الجُمان للقلقشندي ١٣٩ـ١٤٠).

(٢) كانت كتابة السِّر امتيازاً خاصاً لا يتطلّع إليه إلا جلَّة الأدباء. وكان صاحبها بمثابة أمين سرّ الدولة ورئيس دبلوماسيتها المطَّلع على خفاياها وأسرارها، وبالتالي كان هو الأقرب إلى السلطان، حتى إنه يتقدَّم في بعض الأحيان على الوزير. (انظر: مقدّمة الأستاذ محمد حسين شمس الدين لكتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث ـ منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت).

إلى غايات المعالي وتوسلاً»[١].

أسرته:

من أسرة تولّت رئاسة ديوان الإنشاء بمصر والشام مدة قرن من الزمان تقريباً، وقد استقر أجداده الأقربون في البُرُلُّس بمصر السُّفْلى، ولكنهم كانوا يشعرون على الدوام بأنهم أكثر ارتباطاً بدمشق منهم بمصر، فاحتفظوا باسم الدمشقي كنسبة أساسية لهم.

فوالده القاضي محيي الدين كان قد تولّى كتابة سرّ دمشق مرتين في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦هـ، ثم وقع له محنة مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وعزله، ولزم داره سنتين إلى أن طلبه وولاّه كتابة سر مصر عوضاً عن علاء الدين ابن الأثير[٢]، ثم نقل إلى دمشق سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، ثم عاد إلى مصر في العام التالي وظل بها حتّى وفاته سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م[٣].

وأخوه علاء الدين[٤] علي، كان يعضد والده لكبر سنّه.

وأخوه بدر الدين محمد[٥].

وله أخ باسمه أجاز له الأَبْرَقُوهي[٦]، ومحمد بن الحسين بن الفوي[٧] وغيرهما.

وولده شمس الدين محمد[٨]، له ذيل على كتاب والده (مسالك الأبصار).

ولادته:

ولد بمدينة دمشق في ثالث شوّال سنة سبعمائة هجرية[٩].

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ٣٥٢، أعيان العصر ١/ ٤١٧.

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد، المعروف بابن الأثير الحلبي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م ترجمته في: المنهل الصافي.

(٣) ترجمته في: المنهل.

(٤) علي بن يحيى بن فضل الله العمري، المتوفى سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، ترجمته في: المنهل.

(٥) المدفون بالصالحية بدمشق.

(٦) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي، المتوفى سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م، ترجمته في: المنهل.

(٧) محمد بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن حسون القرشي الفوي، المتوفى سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م. ترجمته في: الدرر ٤/ ٤٧ رقم ٣٦٦١.

(٨) معجم المطبوعات العربية والمعربة، لسركيس ١/ ٢٠٥.

(٩) هكذا في الوافي ٨/ ٢٦٨، أعيان العصر ١/ ٤٢٠. وفي المقفى ١/ ٧٣٢: إن ولادته سنة ٦٩٧هـ. والذهبي.

نشأته وتعلّمه:

سمع بالقاهرة ودمشق من جماعة، وتخرج في الأدب على والده، وقرأ العربية على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة[(١)]، ثم على قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم[(٢)]، والفقه على قاضي القضاة شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله[(٣)]، وعلى الشيخ برهان الدين[(٤)] قليلاً، وقرأ «الأحكام الصغرى»[(٥)] على الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية[(٦)]، والعروض والأدب على الشيخ شمس الدين الصايغ[(٧)]، وتدرب في النظم على علاء الدين الوداعي[(٨)]، وقرأ جملة من المعاني والبيان على العلامة شهاب الدين محمود[(٩)]، وقرأ عليه جملة من الدواوين وكتب الأدب، وقرأ بعض شيء من العروض على الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني[(١٠)]، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني، وأخذ العربية عن الشيخ أثير الدين: سمع عليه «الفصيح» و«الأشعار الستة» و«الدريدية» وأكثر «ديوان أبي تمّام» وغير ذلك[(١١)]. وقد

---

(١) عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي، المعروف بابن قاضي شهبة، كمال الدين. توفي في ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م. ترجمته في: المنهل الصافي ٧/ ٣٩٧.

(٢) محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزّي، الدمشقي، شمس الدين. توفي في ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م، ترجمته في: الدرر ٥/ ٢٧ رقم ٤٥٧٦.

(٣) محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الإربلي الشافعي، شهاب الدين، قاضي قضاة دمشق، توفي ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م. ترجمته في: الدرر ٤/ ٨٦ رقم ٣٧٧٦.

(٤) إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباع الفزاري المصري، شيخ الإسلام، برهان الدين، المتوفى ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م، ترجمته في: المنهل ١/ ٨٠ رقم ٤٤.

(٥) لعله كتاب الأحكام الصغرى في الحديث، للشيخ عبد الحق بن عبد الرحمن بن الخرّاط الإشبيلي، المتوفى ٥٨٢هـ/ ١٨٦م، انظر: هدية العارفين ١/ ٥٠٣.

(٦) المتوفى سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م، ترجمته في: المنهل ١/ ٣٣٦ رقم ١٩١.

(٧) محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي المصري الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بابن الصائغ، توفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، ترجمته في المنهل.

(٨) علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر الكندي الوداعي، المتوفى سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، ترجمته في: المنهل.

(٩) محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، شهاب الدين، أبو الثناء، المتوفى سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، ترجمته في: المنهل.

(١٠) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري الشافعي المعروف بابن الزملكاني، المتوفى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، ترجمته في: المنهل.

(١١) الوافي ٨/ ٢٥٤ـ٢٥٥، أعيان العصر ١/ ٤١٨.

أذن لــه العلامة شمس الدين الأصبهاني في الإفتاء على مذهب الشافعي[(١)].

وسمع بدمشق من الحجّار، ومحمد بن يعقوب الجرائدي[(٢)]، ومحمد بن أبي بكر بن عثمان بن شرف[(٣)]، وست القضاة[(٤)] بنت يحيى بن أحمد الشيرازي بالقاهرة، ومن والده، وأبي زكريا يحيى بن يوسف ابن المصري[(٥)]، وأحمد بن محمد بن عمر الحلبي[(٦)] وغيرهم.

وأجاز له جماعة، وحدّث بالقاهرة ودمشق[(٧)].

وخرّج له الذهبي مشيخة كثيرة حدّث بها ورويت عنه[(٨)].

مكانته:

ومما يدل على مكانته، وعلوّ مقامه، وسبقه في ميدان الكتابة الديوانية، ما قاله بعض معاصرين، ومن كتبوا عنه:

قال الصفدي:

«هو الإمام الفاضل البليغ المفوّه الحافظ حجة الكتّاب، إمام أهل الآداب. أحد رجالات الزمان كتابة وترسُّلاً، وتوصُّلاً إلى غايات المعالي وتوسُّلاً. وإقداماً على الأسود في غابها، وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها. يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب، ويتحدر سَيْلُه ذاكرة وحفظاً ويتصبب. ويَتدفَّق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المتسرّعة نظاماً. ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة، وتندى عبارته انسجاماً وصياغة. وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق، ويغوص في لجة البيان فيظفر بكبار الدُّرِّ من البحر العميق. استوت بديهته وارتجاله، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله. يكتب من رأس قلمه بديهاً، ما يعجز تروِّي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيهاً. وينظم من المقطوع والقصيدة جوهراً، ما يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهراً. صرَّف الزمان

---

(١) المقفى الكبير ١/ ٧٣٣.

(٢) محمد بن يعقوب بن بدران الجرائدي، الأنصاري، الدمشقي، توفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م. ترجمته في: الدرر ٥/ ٥٨ ترجمة ٤٦٦٨.

(٣) المتوفى سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م. ترجمته في: الدرر ٤/ ٢٥، ترجمة ٣٥٩٣.

(٤) المتوفاة سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، ترجمتها في: الدرر ٢/ ٢٢٣ ترجمة ١٧٩٦.

(٥) المتوفى سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، ترجمته في: الدرر ٥/ ٢٠٥ ترجمة ٥٠٥٦.

(٦) المتوفّى سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م، ترجمته في: الدرر ١/ ٣١٠ ترجمة ٧٣٧.

(٧) المنهل الصافي ٢/ ٢٦٢.

(٨) المقفى الكبير ١/ ٧٣٣.

أمراً ونهياً، ودبر الممالك تنفيذاً ورأياً. وَصَل الأرزاق بقلمه، ورويت تواقيعه وهي إسجالات حُكْمه وحِكَمه. لا أرى أن اسم الكاتب يَصْدُق على غيره ولا يطلق على سواه:

لا يعمل القول المكـ ـرَّرَ منه والرأيَ المردَّدْ
ظَنٌّ يصيب به الغُيُو ب إذا توخّى أو تَعمَّدْ
مثل الحسام إذا تألَّـ ـق والشهابِ إذا توقَّدْ
كالسيف يقطعُ وهو مسـ ـلول وَيُرْهَبُ حين يُغْمَدْ

ولا أعتقد أن بينه وبين القاضي الفاضل من جاء مثله، على أنه قد جاء مثل تاج الدين ابن الأثير ومحيي الدين ابن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود وكمال الدين ابن العطّار وغيرهم. هذا إلى ما فيه من لطف أخلاق وسعة صدر وبشر محيا. رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت في غيره وهي: الحافظة، قَلَّما طالع شيئاً إلا وكان مستحضراً لأكثره، والذاكرة التي إذا أراد ذكرى شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضراً كأنه إنما مَرَّ به بالأمس، والذكاء الذي تسلط به على ما أراد، وحسن القريحة في النظم والنثر. أمّا نثره فلَعلّه في ذروةٍ كان أوجُ الفاضل لها حضيضاً ولا أرى أحداً يلحقه فيه جودة وسرعة عَمَل لما يحاوله في أي معنى أراد وأي مقام توخاه. وأما نظمه فلعلَّه لا يلحقه فيه إلاّ الأفراد.

وأضاف الله تعالىٰ له إلى ذلك كله حسنَ الذوق الذي هو العمدة في كل فن. وهو أحد الأدباء الكمَلَة الذين رأيتهم؛ وأعني بالكملة الذين يقومون بالأدب علماً وعَمَلاً في النظم والنثر ومعرفة بتراجم أهل عصرهم ومن تقدمهم على اختلاف طبقات الناس وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة. ثم إنه يشارك من رأيتُهُ من الكملة في أشياء وينفرد عنه بأشياء بلغ فيها الغاية وقَصَّر ذلك عن شأوه لأنه جَوَّد فنَّ الإنشاء: النثر وهو فيه آية، والنظم وسَايَر فنونه، والترسل البارع عن الملوك. ولم أر مَن يعرف تواريخ ملوك المغل من لَدن جنكزخان وهَلُم جرّاً معرفته وكذلك ملوك الهند الأتراك. وأمّا معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فإنه فيها إمام وقته وكذلك معرفة الاسطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب. وقد أذن له العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهاني في الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فهو حينئذ أكمل الكملة الذين رأيتهم. ولقد استطرد الكلام يوماً إلى ذكر القضاة فسَرد ذكر القضاة الأربعة الذين عاصرهم شاماً ومصراً وألقابهم وأسماءَهم وعلامة كلِّ قاض منهم حتى إني ما كدت أقضي العجب مما رأيت منه. واتفق يوماً آخر أنه احتجت إلى كتابة صَداق

لبنت شمس الدين ابن الشيرازي فذكر على الفور اسمها واسم أبيها وسرد نسبه فجئت إلى البيت وراجعت تعاليقي ومسوَّداتي فكان الأمر كما ذكر لم يُخِلّ باسم ولا لقب ولا كنية»[(١)].

وقال ابن تغري بردي: «كان إماماً فاضلاً بارعاً، ناظماً ناثراً، جواداً ممدحاً»[(٢)].

وقال القلقشندي: «الفاضل الألمعي، والمِصْقَع اللوزعي، ملك الكتابة وإمامها، وسلطان البلاغة ومالك زمامها»[(٣)].

وقال المقريزي: «... وكان يتوقّد ذكاءً وفطنةً، وله حافظةٌ قويّة، ومحاضرة جميلة، وكلامه فصيحٌ بليغ، وله غوصٌ على المعاني، وعنده اقتدارٌ على النظم، بحيث تساوت بديهتُه وارتجاله. وكان يكتب من رأس قلمه بديهاً ما يعجز عنه غيره بعد إعمال رويَّته مع لطف الأخلاق وسعة الصدر وبشر المحيّا.

واجتمع فيه أربع خصال قلّما جمعها غيرُه: جودة الحافظة، فقلّما طالع شيئاً إلاّ استحضره أو أكثَرَه، وحسن الذاكرة، فكان إذا أراد، تذكّر شيئاً ولو قدُم عهدُه كأنّما مرّ به أمس.

والذكاءُ الذي تسلّط به على ما أراد. وحسنُ القريحة في النظم والنثر.

وأضاف الله له مع ذلك حسنَ الذوق. وكان إماماً في الأدب عارفاً بتراجم الناس، سيّما أهل عصره. عارفاً بخطوط الفضلاء وشيوخ الكتابة، قد جوّد فنّ الإنشاء حتى كان فيه آيةً. وجوّد النظم وبرع في التاريخ، سيّما ما قارب وقتَه، وعرف مسالك الأرض وممالكها، وحذق في علم الاصطرلاب وحلّ التقويم»[(٤)].

وقال محمد بن إياس: «... وكان عالماً فاضلاً، بارعاً في صناعة الإنشاء، وله في ذلك المصنّفات الجليلة، والعبارة اللطيفة في الإنشاء، وصار العمل على ما وضعه في صنعة الإنشاء إلى الآن عند الموقّعين.

... وكان ناظماً ناثراً، وله خَطّ جيّد، عالي الطبقة»[(٥)].

وظائفه:

تقلّد جملة وظائفة هامة، فقد «باشر في كتابة الإنشاء بدمشق أيّام محمود حتى ولّي أبوه محيي الدين كتابة السرّ بها. ثم قدم معه إلى القاهرة في سنة ٧٢٨هـ لمّا ولّي

---

(١) الوافي ٨/ ٢٥٢ـ٢٥٤. انظر أيضاً: أعيان العصر ١/ ٤١٧ـ٤١٨.
(٢) المنهل الصافي ٢/ ٢٦٥.
(٣) صبح الأعشى ١/ ٧.
(٤) المقفى الكبير ١/ ٧٣٣.
(٥) بدائع الزهور ١/ق١/ ٥٣٣.

كتابة السرّ بديار مصر، وكان يقرأ البُرُدَ على السلطان.

ثمّ سار مع أبيه إلى دمشق؛ وعاد معه إلى القاهرة لمّا ولّي كتابة السرّ ثانياً في سنة ٧٣٣هـ.

وقرأ أيضاً البريد على السلطان، وجلس في دار العدل.

واتّفقَ ذات يوم وقوع مفاوضة بينه وبين الأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، فٱجتهد على الدوادار وتنافَرا. فما زال هو وأبوه بالسلطان حتّى صرفه وأقام سيف الدين بُغا دواداراً عوضه.

حدّة مزاجه:

فلمّا قدم الأمير تنكز نائب الشام في سنة سبع وثلاثين سأل السلطان في ولاية علم الدين [محمّد] ابن القطب كتابة السرّ بدمشق فأجابه وولاّه. [فأخذ] أحمد شهاب الدين، يضع منه عند السلطان بأنّه قبطيّ لا يصلح لكتابة السرّ، والسلطان يغضي عن ذلك مراعاةً لنائب الشام. فلما كتب توقيعه رسم له بزيادة المعلوم فأبى شهاب الدين من ذلك وشافه السلطان بكلام خشن، وقد قويت نفسه وشرست أخلاقه على عادته، واسترسل في الكلام الجافي حتى قال: كيف يكون رجل أسلمي تعمله كاتب السرّ وتزيد جامَكيّته؟ ما يُفلح من يخدمك، وخدمتُك عليّ حرام!

وقام من يديّ السلطان مغضباً، والأمراء وقوف بالخدمة، وقد ٱقشعرُّوا من كلامه، وما شكّوا في أن السلطان يضرب عُنقَه. وسار شهاب الدين إلى أبيه وعرّفه ما وقع فبُهِتَ. فبادر للقيام في تدبير ما فرط من ابنه وتلافي خطئِه. فقبّل الأرض عندما دخل على السلطان وسأل العفو فأجابه السلطان بأنه لأجله قد حَلُمَ عليه وسامحه، وتقدّم إليه بإحضار ابنه علاء الدين عليّ ليقوم مقام شهاب الدين في قراءة البريد وتنفيذ الأشغال، فاعتذر بأنه صغير، فقال: أنا أربّيه كما أعرف فأحضرَه.

ولزم شهاب الدين بيته حتّى مات أبوه، وٱشتغل أخوه علاء الدين بكتابة السرّ من بعده. [فـ] ـكتب قصّة يسأل فيها السفر إلى دمشق، فحرّكت هذه القصّة من السلطان ساكناً وأمر طاجار الدوادار أن يطلبه إلى قاعة الصاحب من القلعة وأن يعرّيه حتى يكتب خطّه بعشرة آلاف دينار، فإن ٱمتنع ضربه بالمقارع. فعندما عرّاه أرعد حتّى كاد يموت، وكتب خطّه بالمبلغ، وأوقعت الحوطة على موجوده وأخذ في بيعه وبيع أملاكه بدمشق، وٱقترض خمسين ألفَ درهم وأورد مائة وأربعين ألف درهم، وذلك في ١٤ شعبان ٧٣٩هـ. ثمّ أُفرج عنه في ٣ ربيع الآخر ٧٤٠هـ بعد ستّة أشهر وثمانية عشر يوماً بسبب

غريب: وهو أنّ بعض الكتّاب زوّر خطّ السلطان، فرسم بقطع يده. فتلطّف شهاب الدين بالسلطان حتى عفا عنه وسجنه، فأقام مدّة في السجن إلى أن وقع في هذا الوقت قصّة يسأل فيها العفوَ عنه وتخلية سبيله. فلم يعرف السلطان خبره ولا سببَ حَبْسِه. فقيل له: إنَّ أمرَه يعرفُهُ شهابُ الدين ابن فضل الله. فبعث إليه ليخبره بشأن هذا المحبوس، فعرّفه الخبر فأمر بالإفراج عن الرجل وعن شهاب الدين.

فنزل إلى داره بالقاهرة. ثمّ استدعاه السلطان في محرّم سنة إحدى وأربعين بعد قتل تنكز نائب الشّام، واستحلفَه على المناصحة، وولاّه كتابة السرّ بدمشق عوضاً عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل ابن القيسرانيّ. فسار إليها وقد قُبض على ابن القيسراني وأُخِذ ماله ورسم بقطع يده لتهمتِه بموافقة الأمير تنكز على ما قام به من المخامرة. فما زال يجهد في أمره حتى أفرج عنه.

واستمرّ في كتابة السرّ حتّى مات السلطان، وكان الاختلاف من بعده. فعزل بأخيه بدر الدين محمد في يوم الاثنين ٣ صفر ٧٤٣هـ وطلب لكثرة الشكايات فيه. فقدم في صفر سنة ٧٤٤هـ وقد لَطَّفَ أخوه علاء الدين عليّ كاتب السرّ أمرَه حتى أعيد إلى دمشق»[(١)].

ولم يزل فيها مقيماً في بيته، بطّالاً، مستقراً بمرتّب يكفيه، إلى أن حدث الطاعون بدمشق فقلق منه، وتطاير به، وعزم على الحج، ثم أبطله. وتوجّه بأهله إلى القدس، فتوفيت هناك زوجتُه ابنة عمّه، فدفنها هناك، وما به قَلَبَة[(٢)]، غير أنه مروع من الطاعون، فحصل له يوم وصوله حمّى رَبع[(٣)]، ودامت به إلى أن حصل له صَرُع، فمات منه[(٤)].

وفاته ومراثيه:

وكانت وفاته يوم السبت، (يوم عرفة) سنة ٧٤٩هـ[(٥)].

وجرى له تشييع حافل، ودفن بتربتهم بالصالحية[(٦)]، على سفح قاسيون[(٧)] قبالة

---

(١) المقفى الكبير ١/ ٧٥٣ـ٧٥٥.
(٢) القلبة: داء وتعب.
(٣) أي حمى دائمة.
(٤) أعيان العصر ١/ ٤١٩ـ٤٢٠.
(٥) ذكر المؤرخون سنين مختلفة لوفاته؛ فقد جعله ابن إياس في وفيات سنة ٧٥٠هـ؛ وذكر جرجي زيدان أن وفاته كانت سنة ٧٤٨هـ. غير أن ما ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ١٠/ ٣٣٤ هو أكثرها دقَّة. ويمكننا الجزم في ذلك من خلال نص للعمري نفسه في مسالك الأبصار حيث يقول: «فهذا ما ذكره الشريف أبو عمر عبد العزيز الإدريسي، وحدثني بذلك كله في صفر سنة ٧٤٩هـ» وقد توفي العمري بعد تسعة شهور من كتابة تعليقه السالف الذكر. (مسالك الأبصار ـ القسم الأول ـ تحقيق دوروتيا كرافولسكي: المقدمة ص٥٧).
(٦) أعيان العصر ١/ ٤٢٠.
(٧) المنهل الصافي ٢/ ٢٦٥.

البيقونية، مع أبيه وأخيه بدر الدين محمد[١].

وقد أخلع السلطان على ولده القاضي بدر الدين محمد وقرّره في كتابة السرّ، وصاحب ديوان الإنشاء الشريف، عوضاً عن أبيه، بحكم وفاته[٢].

وقد رثى نفسه قبل أَنْ يموت بهذين البيتين، وجدت مكتوبة في ورقة في دواته، بخطّ يده، وهو قوله:

قُلْتُ لأقلامي اكتبي وانطقي... إلخ البيتين[٣].

ولمّا توفي، كتب الصفدي إلى أخيه القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء يعزّيه، نصّه: يقبّل الأرض وينهي ما عنده من الألم الذي برَّح، والسقم الذي جرّ ذيول الدمع على الخدود وجرَّح، لما قدّره الله تعالىٰ من وفاة القاضي شهاب الدين:

سَقَتْهُ بألطف أندائها وأغزرها ساريات الغمام

فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[٤] قَوْلَ من غابَ شهابه، وآب التهابه، وذاب قلبه فصار للدمع قليباً، وشاب فوده لمّا شبّ جمر فؤاده، ولا غروَ فيومه جعل الولدان شيباً، فيا أسفي على ذلك الوجه الملّي بالملاحة، واللسان الذي طالما سحر العقول ببيانه، فصاحت: يا ملك الفصاحة، واليد التي كم روّضت الطروس أقلامها، وأنشأت أسجاعاً لم تذكر معها بانات الحمى ولا حمامها، وكأنّ أبا الطّيب ما عنى سواه بقوله[٥]:

تعثرت بك في الأفواه ألسنها والبُرْد في الطُرق والأقلام في الكتب

فرحم الله ذلك الوجه، وبلّغه ما يرجوه، وضوّاه بالمغفرة يوم تبيضّ وجوهٌ وتسود وجوه، لقد فقد المجد المؤثل منه ركناً تتكثر به الجبال فما تقلّه ولا تستقلّه، وعدمت الآداب منه بارعاً لو عاصره الجاحظ ما كان له جاحداً، أو البديع علم أنّ ما فُضّ له فضله، وغاب من الإنشاء منه كاتب ليس بينه وبين الفاضل لولا أخوه مثله، أتُرى ابنَ المعتز عناه بقوله[٦]:

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٨.
(٢) بدائع الزهور ١/ ق١/ ٥٣٣.
(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/ ق١/ ٥٣٣. انظر: البيتان في القطعة رقم (٣٣) في موضوع شعره.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٦.
(٥) ديوانه: ١/ ٨٨ وفيه: «تعثّرت به». والبُرْد: جمع بريد.
(٦) ديوان ابن المعتز: ٢/ ٢٥٨، وفيه: «هذا أبو القاسم».

هذا أبو العبّاس في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وما يقول المملوك في البيت الكريم، إلاّ إنْ كان قد غاب بدره وأفل شهابه، أو غاص قطره وتقشّع سحابه فإنّ نيّره الأعظم باقٍ في أوْجه، وبحره الزاخر متلاطمٌ في موجه، وفي بقاء مولانا خَلَفٌ عمّن سلف، وعِوَضٌ عمّا انهدَم ركنه وانقضّ، وجبرٌ لمن عدم الجلد والصبر، والله يمتع المسلمين بحياته، ويجمع لديه بين ثوابه وثباته، لأنّه قد عاش الدرّ المفدَّى بالذهب وأضاءت شمس المعالي إن كان قد خَمَد اللهب:

علمَ الله كيف أنت فأعطا ك المحلّ الجليل من سلطانه

جُعل الدين في ضمانك والدنـ ـيا فعش سالماً [لنا] في ضمانه

وقد نظم المملوك قصيدةً مختصرة في رثاء المشار إليه، وجعَلَ ألفاظها تبكيه وقوافيها تنوح عليه، وهي[١]:

اللهُ أكبرُ يا ابنَ فضلِ الله شَغَلَتْ وفاتُكَ كلَّ قلبٍ لاهِ

كلٌّ يقولُ وقد عرته كآبةٌ واهاً لفقدك إن صبريَ وَاهِ

فقَدَتْ بك الأملاكُ بحرَ ترسُّلٍ متلاطمَ الأمواجِ بالأمواهِ

يا وحشة الإنشاءِ منك لكاتبٍ ألفاظهُ زُهرَ النجومِ تباهي

وتوجَّعُ الأشعارُ فيك لناظمٍ من لطفه لشذا النسيمِ يُضاهي

كم أمسكَتْ يمناك طرساً أبيضاً فأعدته في الحالِ طَرْزاً باهي

كم قد أدرْتَ من القريضِ قوافياً هي نشوةُ «الناشي» وزهو «الزاهي»

ورسالة أنشأتها في حانة النَّبا ذِ حازت حضرة الفَكّاهِ

ووضعتَ في الآداب كلَّ مصنَّفٍ قالت له البلغاءُ زاهٍ زاهِ

كم قد خَطرتَ على المجرَّةِ رافلاً يومَ الفخار بمعطفٍ تياهِ

شخصَتْ لعلياك النجوم تعجباً ولك السُّهى يرنو بطرفٍ ساهِ

ما كنتَ إلاَّ واحدَ الدهرِ الذي يسمو على الأنظارِ والأشباهِ

مِن بعدِكَ الكُتّابُ قد كتبوا فما يجدون منجاةً لهم من جاهِ

أقلامهمْ قد أمْلَقَتْ ورمى الردى أدواتهم ودواتَهم بدواهي

وطروسُهُمْ لبسَتْ حداد مدادها أسفاً عليكَ مؤكداً بسَفاه

أمّا القلوبُ فإنّها رهنُ الأسى تَرِدُ القيامةَ وهي فيك كما هي

أبداً يخيّل لي بأنك حاضِر تُملي الفوائدَ لي وأنت تجاهي

---

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠، أعيان العصر ١/ ٤٣١ ـ ٤٣٤.

فتعزَّ فيه واصطبرْ لمصابه ... يا خيرَ مولىً آمِرٍ أوْ ناهي
فدوامُ ظلِّكَ في البريةِ نعمةٌ ... ولَشُكْرُها حتمٌ على الأفواهِ
لا زالَ جَدُّكَ في المبادىء صاعداً ... رُتَباً سعادتُها بغيرِ تَناهي

إن شاء الله تعالىٰ.

مصنفاته[١]:

أنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع والأصدقة.

ووضع في حياته القصيرة (٧٠٠ ـ ٧٤٩هـ) عدداً من الكتب التي تفاوتت في حجمها وموضوعاتها.

١ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: موسوعة كبرى في التأريخ والجغرافيا والأدب والفلك والطب والاجتماع وغيرها، كتبها ابن فضل الله العمري في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وهي من أهم ما أنتجه عصر سلاطين المماليك، وقد وصفها الصفدي بأنها «كتاب حافل ما يُعْلم أن لأحد مثله»[٢].

وقد عكفنا على تحقيقها منذ أكثر من ست سنوات وسترى النور قريباً.

٢ـ التعريف بالمصطلح الشريف: وقد وضعه ليعرض فيه كل ما يُحْتَاج إليه في عمل الدواوين. وألَّفه في الفترة التالية لعام ٧٤١هـ ـ أي بعدَ أن أنهى كتابه الباب الخاص بمصر والشام والحجاز في موسوعته الكبيرة، وبعد أن تمتع بخبرة واسعة في ديوان الإنشاء.

وقد اكتسب هذا الكتاب مكانة خاصة لدى العاملين بديوان الإنشاء المملوكي فأطلق عليه القلقشندي «الدستور» ووصفه بأنه «أنْفَس الكتب المُصَنَّفة في هذا الباب»[٣].

وطُبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٣١٢هـ طبعة سقيمة، نفدت منذ زمن وأصبحت الحاجة ماسة إلى إعادة نشره اعتماداً على مخطوطات جديدة ومقابلاً على «صبح الأعشى» و«المقصد الرفيع المنشا» اللذين اعتمدا عليه اعتماداً كلِّياً، خاصة بعد أن توفّر على درسه المستشرق الألماني هارتمان[٤] والمستشرق الفرنسي

---

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الموضوع على مقدمة الأستاذ أيمن فؤاد سيد في تحقيقه للمسالك قسم ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، ط المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥م، ص٣٣م ـ ٣٦م.

(٢) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٥.

(٣) صبح الأعشى ١/ ٧.

(٤) Hartmann, R. (Politische Geographie des Mamlukenreichs), ZDMG 70 (1916), pp. 1-40,477-514 وهو تحليل للمقالتين الخامسة والسادسة من الكتاب.

جودفري دي مومبين[(١)].

وتوجد مخطوطات هذا الكتاب في المكتبات الآتية:

دار الكتب المصرية برقم ٥٧ أدب خ. ٧٦٤هـ، و٢١٣٤ أدب خ. ٧٩٣هـ، خ. ٨٣٧هـ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٠٠١ تاريخ)، Leiden Or, 352 آيا صوفيا ٣٨٢٣، Esc. 1639, Berlin 8639, Leipzig 659، نسخة خزائنية من القرن التاسع، Esc2. 1640 خ٨٦٩هـ (والنسختان مصورتان في معهد المخطوطات بالقاهرة فيما لم يفهرس)، Gotha 1657.

وقام بتنقيح هذا الكتاب والزيادة عليه أحد أفراد أسرة المُحِبِّي يُعرف بالمقر التَقَوي بن نَاظِر الجيش وسمّى كتابه «تَثْقيف التعريف بالمُصْطَلح الشريف» قال القلقشندي: أنه أورد فيه ما أهمله العمري في التعريف، وذكر ما فاته من مصطلح ما يكتب أو حَدَث بعد تأليفه، ومع ذلك فقد ترك مما تضمنه التعريف مقاصد لا غنى للكاتب عنها حتى أصبح لا يستغنى بأحدهما عن الآخر[(٢)].

وتوجد مخطوطات هذا الكتاب في المكتبات الآتية:

Esc2. 550, Bodl. (2) 363, Ambro 161, Golha 2126 (مصورة بمعهد المخطوطات في القاهرة فيما لم يفهرس).

وحقّق هذا الكتاب الأستاذ عبد الرحمن أمين صادق وحصل به على درجة الماجستير من جامعة الأزهر سنة ١٩٧٩، كما حقّقه المستشرق البولندي رودلف فَسَلي وهو الآن تحت الطبع لدى المعهد الفرنسي بالقاهرة.

ثم طبع محقّقاً من قبل السيد محمد حسين شمس الدين في بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣ ـ ممالك عُبّاد الصليب: وصف فيه ملوك الإفرنج في عصره، وقد روى ذلك عن بَلَبَان الجنوي، أحد مماليك بَهَادُر المعزّي، فوصف مُلك فرنسا وألمانيا وأحوالهما السياسية والاجتماعية، وفعل نحو ذلك في البنادقة والإيطاليين وأهل جَنْوَة، وبيّن علائقهم بالمسلمين. والكتاب طبع في روما سنة ١٨٨٣م مع ترجمة إيطالية لأماري (هدية العارفين ٣/ ٢٣٩).

٤ ـ النُزْهَة الكافية في معرفة الكتابة والقافية: منه نسخة في Leipzig 493، وأخرى في مكتبة فلايشر.

(١) Demombyens, G, la Syrie a L'epoque des Mamelouks, Paris 1923.

(٢) القلقشندي: صبح ١/ ٨.

٥ ـ دَمْعة الباكي ويقْظة الشاكي (أو الساهر): (الوافي ٨/ ٢٥٥، الفوات ١/ ١٦٠، المنهل الصافي ٢/ ٢٦٥، المقفى الكبير ١/ ٧٣٣، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٥، كشف الظنون ١/ ٧٦١، هدية العارفين ١/ ١١٠).

منه نسخة في مكتبة تشستربتي في إيرلندا بخط العُمَري جاء في آخرها «سمعه من لفظي المولى الشيخ الحافظ... أبو الخير سعيد بن عبد الله الدهلي الحنبلي أطال الله بقاءه، والشيخ الصالح برهان الدين إبراهيم بن كمال الدين محمد بن نصر الأنصاري بداري بسفح قاسيون في يوم السبت سابع صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة... وكتبها أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري عفا الله عنه».

(راجع، Rice, D.S. (A miniature in an autogrph of shihab al - Din ibn Fadlallah al - Umari), BSOAS (XIII (1949-50), pp. 856-867).

٦ ـ ذَهَبِيَّة العَصر: ذكر فيه شعراء المشرق والمغرب الإسلامي من أهل المئة الثامنة وذكر أشعارهم وأخبارهم على نهج من سبقه في التأليف عن أدباء عصره وشعرائه، كالثعالبي في كتابه يتيمة الدهر والباخرزي في كتابه دمية القصر، والعماد الأصفهاني في خريدة القصر، ومن بعده كالصفدي في كتابه أعيان العصر وغيرهم.

والعمري في كتابه هذا يمتاز على من تقدّمه بسعة إطلاعه على أحوال الممالك الإسلامية وقوة ارتباطه بحكّامها، قوة مكنّته من معرفة الكثير من أحوالها، مع اتصاله بمشاهيرها من علماء وأمراء وشعراء، يضاف إلى هذا اهتمامه بجزيرة العرب، اهتماماً يوضحه ابتداء كتابه هذا بذكر مشاهيرها من العلماء والشعراء وغيرهم، ومن هنا فليس من المستبعد أن يذكر في هذا الكتاب من المغمورين مَنْ لم يذكره غيره.

وقد صرّح مؤلفه «في المسالك ٣/ ١٣٣ ـ خ» إلى عام ٧٤٦هـ، ويشير ذلك إلى أنه آخر مؤلفاته.

لم يصل إلى الوجود سوى ٥ صفحات منه لدى الشيخ علي العسلي، صاحب المكتبة العتيقة في تونس.

وقد اطلع عليها الاستاذ أيمن فؤاد السيد.

والاستاذ إبراهيم شبّوح مدير الآثار في تونس، وأمين المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمّان، والعلامة الشيخ حمد الجاسر وقد وصفها في بحثه حول الكتاب.

كما عُثر على جزء من الكتاب في خزانة كتب الشيخ محمد سرور الصبّان التي ضُمّت إلى مكتبة جامعة أم القرى، وتقع مصوّرة مخطوطة هذا الجزء في ١٣٦ ورقة بـ٢٧٢ صفحة وقد وصفه ونقل بعض من نصوص الشيخ الجاسر في بحثه المذكور[١].

٧ ـ صَبَابة المُشْتَاق: مجلد في المدائح النبوية، (الوافي ٨/ ٢٥٥، الفوات ١/ ١٦٠، المنهل ٢/ ٢٦٥، النجوم ١٠/ ٢٣٥ المقفى الكبير ١/ ٧٣٣، كشف الظنون ٢/ ١٠٧٠).

٨ ـ الشتويات: مجموعة رسائل إخوانية كتبها في الشتاء. منها نسخة في ليدن برقم Leiden Or. 351، ومكتبة جامعة استانبول برقم ١١٤٤ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤٩٨ أدب).

٩ ـ الدَّعوة المستجابة: المقفى الكبير ١/ ٧٣٣، كشف الظنون ١/ ٧٥٦.

١٠ ـ نَفْحَة الروض: في الأدب، المقفى الكبير ١/ ٧٣٣، كشف الظنون ٢/ ١٩٦٨.

١١ ـ سَفْرة السفرة: (الوافي ٨/ ٢٥٥، الفوات ١/ ١٦٠، المنهل ٢/ ٢٦٥، النجوم ١٠/ ٢٣٥، كشف الظنون ٢/ ٩٩٢، المقفى الكبير ١/ ٧٣٣).

١٢ ـ فَواضل السمر في فضائل آل عمر: وهو دراسة عن أُسرته ورجالاتها وفضائلها في أربع مجلدات، وهو مفقود.

(الوافي ٨/ ٢٥٥، الفوات ١/ ٢٦٠، الدرر الكامنة ١/ ٣٥٤، المنهل ٢/ ٢٦٥، النجوم ١٠/ ٢٣٥، كشف الظنون ٢/ ١٢٩٣).

١٣ ـ الدرر الفرائد: وهو مختصر قلائد العِقْيان في محاسن الأعيان لابن خاقان وموضوعه تراجم لطائفة من ملوك ووزراء وقضاة وعلماء وأُدباء وشعراء المغرب.

منه نسخة في الخزانة التيمورية كتبت سنة ٧٢٠هـ. (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ (١٩٢٣) ٣٤٣.

١٤ ـ الدائرة بين مكة والبلاد: (الأعلام للزركلي ١/ ٢٦٨).

١٥ ـ تذكرة الخاطر: (كشف الظنون ١/ ٣٨٥).

١٦ ـ حسن الوفا لمشاهير الخلفا: وهي قصيدة رائية، (كشف الظنون ١/ ٦٦٨).

---

(١) انظر: بحث الشيخ حمد الجاسر بعنوان «كتاب ذهبية العصر لابن فضل الله العمري» مجلة جامعة الملك سعود، م١١، الآداب ٢ لسنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ص١٩٣ـ ٢٢١، ومنه اقتطفنا بعض الفوائد.

١٧ ـ الجواهر الملتقطة: وهو مجموعة من المكاتبات من إنشاء العمري. (صبح الأعشى؟).

شـــعره:

نظم أشعاراً كثيرة، منها ما ذكرها في تضاعيف كتبه، وفي هذا الكتاب خاصة، ومنها في كتابه «صبابة المشتاق» وما ذكرته كتب التراجم التي ترجمت له. وقد نحى بها مناحٍ عديدة، وأغراض مختلفة، تدلل على شاعرية الشاعر وأفكاره ونزعاته وقد قمت بجمع ما تناثر من شعره ليصدر في مجموع خاص، ونورد هنا بعضاً من أشعاره:

[١]

كتب إلى الصفدي وهو بصفد، ضمن كتاب: [من الخفيف]

١ـ مُحْسِناً لَمْ يَدَعْ لَنا بِأَيادِيْـ ـهِ على كَثْرَةِ الرَّجاءِ رَجاءَ

٢ـ جادَ قَبْلَ السُّؤالِ بِرّاً فَلَمَّا لم نَسَلْ مِن نَداهُ جادَ ابْتِداءَ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧٧.

[٢]

قال:

١ـ وحقِّ الذي أبلى فؤادي بحبّكم وصيَّر قَلَبي فيكمُ هائماً صَبّا

٢ـ محبكم المضنى على ما عهدتمُ ولم يجنِ فعلاً في الفراقِ ولا ذنبا

٣ـ ولكنَّها الأقدارُ تجري على الفتى وتحملُ فيها مِنْ أحبَّته عتبا

٤ـ أأحبابَنا أنتم بقلبي وناظري لذلك لا أشكو بعاداً ولا قربا

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٨.

[٣]

وقوله:

١ ـ قبحَ الطَّاعونُ داءٌ ذهَبتْ فيه الأحبَّهْ

٢ ـ أرخصَ الأنفسَ بيعاً كلُّ إنسانٍ بحبَّهْ

التخريج:

تعريف ذوي العلا ٦٤.

[٤]

ومن مدائحه النبويّة:

١ـ جنحتْ إليَّ معَ الأصيلِ المُذهَبِ والركبُ ممتدُّ الخطا في المَذْهبِ
٢ـ واليومُ مبيضُّ الإزارِ وإنّما جنبُ الإزارِ مطرَّزٌ بالغيهبِ
٣ـ والشمس قد هَمّتْ لتذهبَ رهبةً لكنّها بقيتْ لنا لم تذهبِ
٤ـ وعلى الأصائلِ رقةٌ فكأنّما لبستْ نحولَ العاشقِ المتلهّبِ
٥ـ والجوُّ حيثُ شممتَ ينفحُ عنبراً ويَذُرُّ منه فوقَ فرقِ المغربِ
٦ـ ومبشِّر النّوّارِ جاء مخلّقاً لا شكَّ قد خطرت نوافحُ يثربِ
٧ـ وافى يبشِّرُ بالحمى وبأهله يهنيكمُ هذي المدينة والنبي
٨ـ هذي المدينة أشرقت أعلامها يهنيكمُ فزْتم بأشرفِ مَطْلبِ
٩ـ هذي القباب كأنهنَّ عرائسٌ مجلوّةٌ سَفَرَتْ ولم تتنَقَّبِ
١٠ـ هذي الحدائقُ والنخيلُ وماؤها نَمْ واستظِلَّ من الهواجرِ واشربِ
١١ـ هذا رسول اللهِ جِدُّوا نحوه تجدوا النوالَ الجمَّ والخُلقَ الأبي
١٢ـ هذا رسولُ الله هذا أحمدٌ هذا النقيُّ الجَيبِ هذا مطلبي
١٣ـ هذا صباحُ المهتدي هذا ربيـ ـعُ المجتبي هذا شفيعُ المذنبِ
١٤ـ هذا النبيّ الهاشميّ المجتبى من نسلِ إبراهيم أكرم من أبِ
١٥ـ هذا المصفّى من سلالةِ آدم الطيبُ ابن الطيبِ ابن الطيِّبِ
١٦ـ شرُفتْ به آباؤُهُ وأتتْ به أبناؤه والكلُّ مثلُ الكوكبِ
١٧ـ واختاره الله المهيمنُ ربُّهُ وحباه بالقُرْبى وعزِّ المنصبِ
١٨ـ آتاه في المعراج فضلاً لم يكن لسواه من دونِ البريّةِ قد حُبي
١٩ـ يا حبّذا فيه مهاجمةُ الدجى ولو أنّه أسد يصولُ بمخْلبِ
٢٠ـ ودوامُ إيرادِ الرِّكاب صواديًا والفجرُ مثلُ الماءِ تحت الطحلبِ
٢١ـ لتنيخَ في بابِ النبيّ محمدٍ وتُراحَ من طولِ المسيرِ المتعبِ
٢٢ـ يا معشرَ العشاقِ هذا أنتمُ وحبيبكم والليلُ داجي الغيهَبِ
٢٣ـ قوموا انظروا وتمتَّعوا بجماله وتأملوا فجمالُهُ لم يُحْجَبِ
٢٤ـ وتزوَّدوا قبلَ الرحيل فإنّه لم يبقَ غير هنيهةٍ لم تذهبِ
٢٥ـ قَرُبَ الفراقُ فليته لم يقتربْ منّا وليت مَطِيَّه لم تُقْرَبِ
٢٦ـ أيامُ عمري ما أقمتُ بطيبةٍ أمّا سواهُ فإنّني لم أحْسِبِ

٢٧ـ ليتَ الزمانَ يدومُ لي بوصالها … أو لم يَجُدْ فبِطَيْفها المتأوِّبِ

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

[٥]

وكتب إلى الصفدي من دمشق وكان يومئذ بالقاهرة سنة (٧٤١):

١ـ رحلتم فلا والله ما بَعْدَكم قلبي … بقلبي ولا والله عقلي ولا لُبّي

٢ـ هجرتم زماناً ثم شطّ مزاركم … فآهاً على بُعدي وآهاً على قربي

٣ـ وبدّلتم غيري ووالله ما رأت … سوى حسنكم عيني ولا غيركم قلبي

٤ـ لئن كان ذنبي أن قلبي يحبّكم … فيا ربّ زدني منه ذنباً على ذنبي

٥ـ ولا تحسبوا أني تغيّرتُ مثلكم … فما قلبكم قلبي ولا حبّكم حبي

٦ـ رحلتم وما كنتم سوى روح مغرم … قضى بكم وجداً وما غاب في الترب

٧ـ نأيتم فلا والله ما هبّت الصّبا … فنمتُ مع النّوام جنباً على جَنْبي

٨ـ لئن عُدْتُم عاد السرور جميعُه … وإلاّ فمالي بالرسائل والكتب

٩ـ دَعُوا عنكم التعليل باليوم أو غد … فلست بمن يبقى إلى البعد والقرب

١٠ـ ولا تعجبوا إنْ متّ حين فراقكم … إذا بانَ حبّي كيف لا ينقضي نحبي

١١ـ أأحبابنا كيف استقلت ركابكم … وما علقتها العين في شرك الهُدب

١٢ـ وطرتم سِراعاً كالطيور مشقة … فهلاّ وقعتم في القلوب على الحَبّ

١٣ـ ووالله ما حَدّثت نفسي بمجلس … سوى ما أفاض الدمع فيه من الجبّ

١٤ـ ولا كان شرق الدمع من طبع مقلتي … إلى أن تغربتم ففاض من الغَرْب

١٥ـ ونغّصتم طِيْبَ الحياة ببعدكم … وهيهات أن ترجى حَيَاةُ فتىً صَبِّ

١٦ـ أأبغي سواكم في الهوى أو أريده … وهجركم سقمي ووصلكم طبّي

١٧ـ دعوني وأطلال الديار أنُحْ بها … وأندبها إن كان ينفعها ندبي

فكتب إليه الصفدي:

دعوتم على بعد فلبّاكم لبّي … وناجاكم قلبي على البعد والقرب

ومالي وذكر الدار يا ساكني الحشا … وداركم عيني وداركم قلبي

وأقسم أَنَّ الجفن فيكم جفا الكرى … وأحرق قلب الصب من دَمْعِه الصَّبِّ

إذا قلتُ هُبّي يا نُسَيمةَ دارِهم … يقول الجوى يا نارَ أشواقِه شبّي

أيا جيرة بالقلب لا الشام خيّموا … محاسنكم تصبي القلوب فلم تسبي

لأنتم وإن أضرمتم النار في الحشا … ألذّ إلى قلبي من البارد العذب
رفعتكم جَرّاً إلى نصب ناظري … فيا حَبّذا رفعٌ يجر إلى نَصْب
أحاشيكم أن يألفَ القلبُ غيركم … فقلبي لا يرضى بهذا ولا ربّي
وحقكم ما راقني غَيرُ حسنكم … وإحسانكم حسبي بما راقني حسبي
رحلت ولي قلب مقيم على الوفا … لعهدكم حتى أوسَّد في التُّرْب
أحاول عَودي نحوكم ويصدّني … خيانة دهر راح حربي لا حزبي
أليس من الأنكاد أن لا مخبّر … يبلغكم عني سلامي ولا كتبي
ولولا المنى أن يجمع الله شملنا … قريباً لما فارقت نَوحي ولا نَدْبي
سأجهد في عَوْدي لمطلع حبكم … ولو أن لي في مصر مملكة الغرب
بُعثتم على بخل الزمان لأنكم … كرام بنظم فاق منسجم السُّحب
غدا خارجاً في النظم عن قدرة الورى … ولكنّه في حُسْنه داخل الضرب
فقلت لدهري زِد عليّ قساوة … فقد ظفرت كفاي باللؤلؤ الرطب

التخريج:

أعيان العصر ١/ ٤٢٥ـ٤٢٧

[٦]

وقال في «الدير الأبيض»: [من المتقارب]

١ ـ ولم أَنْسَ بالدير يوماً لنا … وعيشُ السُّرور بهِ يُنْتَهَبْ
٢ ـ ففضَّضَ أبكارَه باللُّجَيْنِ … وموَّهَ آصالَهُ بالذهبْ
٣ ـ وكأسُ المُدَام علينا تَطُوف … بحمراءَ صافيةٍ كاللَّهَبْ
٤ ـ يطوفُ بها من بَنَاتِ القُسُو … س باخلةُ الكَفِّ ليستْ تَهَبْ
٥ ـ مُبَتَّلةٌ بين رُهْبانها … لألحاظِها في حَشَانا رَهَبْ
٦ ـ مسيحيَّةٌ طَلَعتْ في المُسوح … كصبحٍ أَطَلَّ وليلٍ ذَهَبْ
٧ ـ وقد غاب عَنَّا عِيانُ الرقيبِ … وجاد الزمانُ بما قد وَهَبْ
٨ ـ فرَشْفُ اللَّمى خُلَسٌ بيننا … وعضُّ الخُدُود لدينا نَهُبْ

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٦٤ .

[٧]

قال الصفدي:

وأَنْشَدَني هو أيضاً لِنَفْسِهِ: [من الكامل]

١ـ إِنَّا نُقيمُ على حَماةٍ حُجَّةً   في حُسْنِها وَلَها جَمالٌ يَبْهَتُ
٢ـ ومن النَّواعِيرِ الفِصاحِ خُصومُنا   ولَها لِسانٌ ناطِقٌ لا يَسْكُتُ

فأَنْشَدْتُهُ أَنا أَيْضاً لِنَفْسي: [من السريع]

ناعُورَةٌ أَنَّتْ وَحَنَّتْ فَقَدْ   شَوَّقَتِ الدَّانِيَ والقاصي
قَد نَبَّهَتْني لِلْهُدىٰ والتُّقىٰ   لَمَّا غَدَتْ تَبْكي علىٰ العاصي

التخريج: **ألحان السواجع ١/ ١٩٠. أعيان العصر ١/ ٤٢٤ـ٤٢٥.**

[٨]

وقال: [من الرمل]

١ـ سلْ شجيّاً عن فؤادٍ نَزَحا   وخليّاً فيهمُ كيف صَحا
٢ـ ومحبّاً لم يذقْ بعدهُمُ   غيرَ تبريحٍ بهمْ ما بَرِحا
٣ـ مزج الدمعَ بذكراهُ لهمْ   مثلَ خدَّيْ مَنْ سقاه القدحا
٤ـ زارهُ الطيفُ وهذا عَجَبٌ   شَبحٌ كيف يلاقي شَبَحا

التخريج: **الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٧**

[٩]

قال الصفدي:

وكتبتُ إليهِ قَرينَ أَغْنامٍ للضَّحايا: [من الطويل]

أَيا سَيِّداً أَرْجو دَوامَ ظِلالِهِ   عَلَيْنا وأَن يُمْسي بِخَيْرٍ كَما يُضْحي
وَحَقِّكَ ما هَذي ضَحايا بَعَثْتُها   ولَكِنَّني سُقْتُ الأَعادي إِلى الذَّبْحِ

فكتبَ إِليَّ الجوابَ عن ذلك: [من الطويل]

١ـ أَتَتْني ضَحاياكَ التي قد بَعَثْتَها   لِتُصْبِحَ كَالأَعْداءِ في بُكْرَةِ الأَضْحىٰ
٢ـ وحَقِّكَ أَعْدانا كِلابٌ جَميعُهُمْ   وحاشاكَ لا تَجْزي الكِلابُ لِمَنْ ضَحّىٰ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٨٩ـ١٩٠، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٦، تعريف ذوي العلا ٦٥، أعيان العصر ١/ ٤٢٣.

[١٠]

قال ضمن كتاب أجاب به الصفدي: [من السريع]

١- كـأنّـما الـيَـوْمُ وَقَـدْ تَـوَّهَـتْ مَـشْـرِقَـهُ الـشَّـمْـسُ وَلا جـاحِـدُ
٢- ثَـوْبٌ مـن الـشَّـرْبِ ولَـكِـنَّـهُ طُـرِّزَ مِـنْـهُ كُـمُّـهُ الـواحِـدُ

التخريج:

ألحان السواجع ١/١٥٨، مسالك الأبصار ـ خ ـ ١٢/ الورقة ٥٠٧.

[١١]

وكَتَبَ إلى الصفدي وقد تَواتَرَتِ الأَمْطارُ في شهر شُباط، من سنة ٧٤٦: [من البسيط]

١- هِيَ السَّحائِبُ أَمَّا وَجْهُها فَندِ طَلْقٌ وأمّا نَداها فَهْوَ مِلْءُ يَدي
٢- خُضْرٌ تَسُنُّ سُيوفَ البَرْقِ آوِنَةً إنَّ السَّحابَ لَجلاَّءٌ لِكُلِّ صَدي
٣- ما كانَ أَمْشيرُ مِمَّنْ لا يُشيرُ بِما أَوْمَتْ إليهِ بِكَفٍّ خُضِّبَتْ وَيَدِ[(١)]
٤- جاءَتْ بِجَمْرَةِ كانُونٍ وقد طُفِئَتْ نِيْرانُ كانُونَ لا بالماءِ والبَرَدِ
٥- عادَتْ عَلَيْنا وقد وَلّىٰ الشِّتاءُ بِما فِيهِ وَفاءَ عَلَيْنا الصَّيْفُ بالمَدَدِ
٦- وجاءَ شَهْرُ شُباطٍ فَوقَ عاتِقِهِ بزاخِرِ البَحْرِ تَحْتَ العارِضِ البَرِدِ
٧- طالَتْ عَلَيْنا لَهُ أَيّامُ مُدَّتِهِ كَأَنَّ أَيّامَهُ أَضْحَتْ بِلا عَدَدِ
٨- لَقَدْ جرىٰ وَهْوَ مُمْتَدُّ العِنانِ بِلا نِهايَةٍ في مَدَىٰ سَبْقٍ ولا أَمَدِ
٩- ودامَ يَهْمي سِجالَ المُزْنِ ساكِبَةً والبَرْقُ يَخْمَدُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّقِدِ
١٠- وقد خَفى البَرْقُ في أَثْنائِها وَجَرَتْ سَواكِبُ المُزْنِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ البَدَدِ
١١- فَأَرْمَدَتْ كُلَّ عَيْنٍ مَدُّ سائِلِها لكِنْ عُيونُ الحَيا مِنْهُ بِلا رَمَدِ
١٢- وصَيِّبُ الرَّعْدِ لا يَنْفَكُّ يَزْجُرُها أَما تَرىٰ الرَّعْدَ مِنْها مِثْلُ مُرْتَعِدِ
١٣- يَرْمي رواشِقَ نَبْلٍ صَوْبُ ساكِبِهِ فَتَتَّقِيهِ دُروعُ الرَّوْضِ بالزَّرَدِ
١٤- وفاخِتِيُّ سَحابٍ فَضْلُ مُطْرَفِهِ يَجُرُّ فَوْقَ الثَّرىٰ ذَيْلاً بِكُلِّ يَدِ
١٥- وَرُبَّ صَهْباءَ فَوْقَ الزَّهْرِ سائِرَةٌ حَمْراءَ تَعْبَقُ بَيْنَ الماءِ والزَّبَدِ
١٦- وَرُبَّ وَطْفاءَ كَحْلاءِ المَدامِعِ ما ذَرَّ الكَرىٰ بَيْنَ جَفْنَيْها من السُّهُدِ

(١) أمشير: السادس من شهور القبط، ويبدأ في السادس والعشرين من كانون الثّاني. (الأزمنة والأنواء ١٤٥).

١٧ـ وَرُبَّ رَيِّقِ مُزْنٍ طَعْمُ رِيقَتِهِ أَشْهىٰ من الرَّاحِ أَوْ أَحْلَىٰ من الشُّهُدِ
١٨ـ لَكِنَّهُ رُبَّما طالَ الثَّواءُ بِهِ وعافَهُ النَّاسُ لِلتَّطْويلِ في المُدَدِ
١٩ـ فَرُبَّما جاوَزَ المِقْدارَ مَنْفَعَةً وجاءَ بِالعَيْثِ صَوْبُ الغَيْثِ والنَّكَدِ
٢٠ـ وكم تَضَرَّرَ بادٍ من تَثاقُلِهِ وكم تَضَوَّرَ مِنْهُ ساكِنُ البَلَدِ

التخريج:

ألحان السواجع ١/١٦٨ـ١٦٩.

[١٢]

قال الصفدي:

كتبَ هو إليَّ مُلْغِزاً في «زُبَيْدَة»: [من الخفيف]

١ـ أَيُّها الفاضِلُ الذي حازَ فَضْلاً ما عَلَيْهِ لِمِثْلِهِ مِنْ مَزِيْدِ
٢ـ قَد تَدانىٰ عبدُ الرَّحيمِ إِليهِ وتَناءَىٰ لَدَيْهِ عبدُ الحَميدِ
٣ـ أَيُّ شَيْءٍ سُمِّي بِهِ ذاتُ خِدْرٍ تائِهٍ بِالإِماءِ أو بالعَبيدِ
٤ـ هُوَ وَصْفٌ لِذاتِ سِتْرٍ مَصونٍ وَهْيَ لم تَخْفَ في جَميعِ الوُجودِ
٥ـ مُذْ مَضىٰ حِيْنُها بِها لَيْسَ تَأْتي وَهْيَ تَأْتي معَ الرَّبيعِ الجَديدِ
٦ـ وَهْيَ مِمَّا يُبَشِّرُ النَّاسَ طُرّاً مِنْهُ مَأْتىً وَكَثْرَةً في العَديدِ
٧ـ وحَليمٍ أَرادَهُ لا لِذاتٍ بَلْ لِشَيْءٍ سِواهُ في المَقْصودِ
٨ـ ذاكَ شَيْءٌ مَنِ ارْتَجاهُ سَفيهٌ وَهْوَ شَيْءٌ مُخَصَّصٌ بالرَّشيدِ

فكتبتُ أنا الجوابَ إليهِ: [من الخفيف]

يا فَريداً أَلْفاظُهُ كالفَريدِ ومُجيداً قد فاقَ عبدَ الحَميدِ
وإِمامَ الأَنامِ في كُلِّ عِلْمٍ وشَريكاً في الفَضْلِ للتَّوحيدي
عَرَفَ العالِمونَ فَضْلَكَ بِالْـ ـعِلْمِ وقالَ الجُهَّالُ بِالتَّقْليدِ
مَنْ تَمَنَّىٰ بِأَنْ يَرىٰ لَكَ شِبْهاً رامَ نَقْضاً بِالجَهْلِ حُكْمَ الوُجودِ
طالَ قَدْري على السِّماكَيْنِ لَمَّا جاءَني مِنْهُ عِقْدُ دُرٍّ نَضيدِ
شابَهُ الدُّرَّ في النِّظامِ ولَمَّا شابَهَ السِّحْرَ شابَ رَأْسُ الوَليدِ
هُوَ لُغْزٌ في ذاتِ خِدْرٍ مَنيعٍ نَزَلَتْ في العُلىٰ بِقَصْرٍ مَشيدِ
هِيَ أُمُّ الأَمينِ ذاتُ المَعالي من بَني هاشِمٍ ذَوي التَّأْييدِ
أَنْتَ كُنْتَ الهادي لِمَعْناهُ حَقّاً حِيْنَ لَوَّحْتَ لي بِذِكْرِ الرَّشيدِ

دُمْتَ تُهْدي إِلَيَّ كُلَّ عَجيبٍ ما عَلَيْهِ في حُسْنِهِ من مَزيدِ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٥٠ـ١٥١، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٦ـ٢٥٧، أعيان العصر ١/ ٤٢١ـ٤٢٢.

[١٣]

وقال:

١ـ شربتُ مع غادةٍ عجوز طلاً فاستصحبتْ بَعد مَنْعِها العادهْ

٢ـ ليَّنَها السُّكرُ لي فحينئذٍ سلَّمْتُ أَنَّ العجوزَ قوّاده

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٧.

[١٤]

وله أيضاً في معذر:

١ـ بعارضيه بدا عذارٌ به جميع القلوب تُعْذَر

٢ـ يا قلب كيف الطريق حتّى اسلو هواهَ وقد تَعذَّر

التخريج:

المنهل الصافي ٨/ ٢٦٦.

[١٥]

وله في «الدير الأبيض»: [من الطويل]

١ ـ وبالديرِ يومٌ أبيضٌ لِيَ كاسمِهِ وقد طَلَعتْ من جانب الدير أقمارُ

٢ ـ وقد جُلِيَتْ في الكأس صهباءُ مُزَّةٌ تَكَشَّفَ منها في الدُّجُنَّةِ أستارُ

٣ ـ وبالدير دَيْرانيَّةٌ بَرَزَتْ لنا فتمَّ لنا فيها حديثٌ وأسمارُ

٤ ـ جَلَتْها كأنَّ الطُّورَ جانبُ كأْسِها وإلاَّ رُبى دَارِينَ من دُونِها دارُ

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٦٤.

[١٦]

وله:

١ ـ من شَقْتي في هواهُ حظِّي من حُسْنه الخدَّ والعِذارُ

٢ ـ قد قَرَّبا لي مدى حَياتي ... كذلك الليلُ والنهارُ

التخريج:

تعريف ذوي العلا ٦٤.

[١٧]

وله يصف «دير بلودان»: [من الخفيف]

١ ـ حبَّذا الديرُ من بَلُودَانَ دارًا ... أيُّ ديرٍ به وأيُّ نَصَارى

٢ ـ فيهمُ كلُّ أحْوَرِ الطْرف أحْوى ... فائقِ الحسنِ في حَياءِ العَذَارى

٣ ـ وغلامٍ رأيتُه كهِلالٍ ... ما بَدا للعُيُون حتّى تَوَارى

٤ ـ بقَوَامٍ إذا تمايل نَشْوا ... ناً فألحاظُ مقلتيْهِ سُكارى

٥ ـ ناحِل الخصْر حلَّ عِقدَ اصطِبارِي ... عندما شَدَّ خَصْره الزُّنارا

٦ ـ قبلَ رُؤْياه ما رأيتُ غَزَالاً ... بات يسْقي من مَرْشِفِيْه العُقَارا

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٤٥.

[١٨]

قال الصفدي:

وكتبتُ أنا إليهِ مُلْغِزاً في «نَجْم»: [من السريع]

يا سَيِّداً أَقْلامُهُ لم تزَلْ ... تُهْدِي لآلي النَّظْم والنَّثْرِ

قُلْ ليَ ما اسْمٌ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ ... مُعَذَّباً بِالبِيْضِ والسُّمْرِ(١)

وَكُلُّهُ في الأَرْضِ أو في السَّما ... وَثُلْثُهُ يَسْبَحُ في البَحْرِ(٢)

فكتبَ هو الجوابَ إليَّ: [من السريع]

١ـ دُمْتَ خَليلي سائِرَ الذِّكْرِ ... مِثْلَ الذي أَلْغَزْتَ في القَدْرِ

٢ـ بَعَثْتَها نَجْمِيَّةً قد حَلَتْ ... لكنَّها من سُكَّرِ الشُّكْرِ

٣ـ تَطْلُعُ بِالنَّجْم فأَمَّا الذي ... في مَطْمَحِ الزُّهْرِ أَو الزَّهْرِ

٤ـ عَجِبْتُ مِنْهُ كَيْفَ شَقَّ الدُّجىٰ ... وما أَتىٰ إلاَّ مع الفَجْرِ

٥ـ من صنْعَةِ البَرِّ ولكنَّهُ ... قد جاءَني في راحَةِ البَحْرِ

---

(١) قلبُ نجم: مجنّ.

(٢) في الأَرض: نَبْتٌ على غير ساق. وفي السماء: الكوكب. وثلثه: النون = السّمك.

٦ـ أَقْسَمْتُ منهُ قَسَماً بَالِغاً ... بِالفَجْرِ واللَّيْلِ إذا يَسْرِي
٧ـ لقد أَغَرْتَ الغِيْدَ إذْ لم تَجِدْ ... شَبيهَهُ في الجِيْدِ والثَّغْرِ
٨ـ بِعِقْدِ دُرٍّ ما لَهُ قِيْمَةٌ ... يا حُسْنَهُ لِلْكَوْكَبِ الدُّرِّي
٩ـ مُسَهَّدٌ تُذْكَىٰ لَهُ مُقْلَةٌ ... مَقْلُوبَةٌ كالنَّظَرِ الشَّزْرِ
١٠ـ وهو إذا حَقَّقْتَ تَعْرِيفَهُ ... عَرَفْتَ منهُ مَنْزِلَ البَدْرِ
١١ـ بِواحِدٍ عَدُّوا لَهُ سَبْعَةً ... تَقيسُ ذَيْلَ اللَّيْلِ بالشِّبْرِ
١٢ـ فاعْذِرْ أُخَيَّ اليَوْمَ إنْ قَصَّرَتْ ... بَديهَتي واقْبَلْ لها عُذْري
١٣ـ فَلَيْسَ بِالألغازِ لي عادَةٌ ... ولا غَزا في جَيْشِها فِكْري

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٥١ـ١٥٢، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٥ـ٢٥٦، أعيان العصر ١/ ٤٢٢ـ٤٢٣.

[١٩]

وله في «دير طرا»: [من مجزوء الرجز]

١ ـ يومَ طُرَا وديرِها ... وما أَتى من خَيْرِها
٢ ـ وأبيضٍ من يومِها ... وأحمرٍ من مَيْرِها
٣ ـ مُدامةٌ تَسْري بنا ... مُجِدَّةً في سَيْرِها؟
٤ ـ لم أَنْسَ هِيفَ نخلِها ... ويومَنا في حَيْرِها
٥ ـ وأكْلَنا من حُوتِها ... ووَحْشِها وطَيْرِها
٦ ـ هذا إلى فاتنةٍ ... مَليحةٍ في دَيْرِها
٧ ـ فلا تَقُلْ لي: غيرُها ... ما أَرَبي في غَيْرِها

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٥٧.

[٢٠]

ومن شعره: [من الرمل]

١ـ شادنٌ جَدَّد وجدي بعد ما ... صرتُ شيخاً ليس ترضاني العجوزُ
٢ـ قلت: جاوز لي متاعي قال: قل ... غيرَ هذا، ذاك شيءٌ لا يجوزُ

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٦.

[٢١]

وقال: [من الطويل]

١ـ أأحبابَنا والعذرُ منَّا إليكمُ ... إذا ما شُغلنا بالنوى أن نُودّعا
٢ـ أبثُّكمُ شوقاً أباري ببعضه ... حمام العابا رنَّةً وتوجُّعا
٣ـ أبيتُ سميرَ البرقِ، قلبيَ مثلُه ... أُقضِّي به الليلَ التمامَ مروّعا
٤ـ وما هو شوقٌ مدةً ثم تنقضي ... وَلا أنّه يبكي محباً مفجّعا
٥ـ ولكنه شوقٌ على القربِ والنوى ... أغصَّ المآقي مدمعاً ثم مدمعا
٦ـ ومن فارقَ الأحبابَ في العمر ساعة ... كمن فارق الأحبابَ في العمرِ أجمعا

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٧.

[٢٢]

وقال:

١ـ يقول لي مَنْ شَعرهُ أسودٌ ... كالليلِ بل بينهما فَرْقُ
٢ـ قلت وبي مَنْ وَجْهُهُ أبيضٌ ... فقال لي: هذا هو الحقُّ

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٧.

[٢٣]

قال الصفدي:

وأنشَدَني لِنَفْسِهِ بِحماة، ونحنُ بشاطىءِ العاصي: [من البسيط]

١ـ لَقَدْ نَزَلْنا على العاصي بِمَنْزِلَةٍ ... زانَتْ مَحاسِنَ شَطَّيْهِ حَدائِقُها
٢ـ تَبْكي نَواعِيْرُهُ العَبْرَىٰ بِأَدْمُعِها ... لِكَوْنِهِ بَعْدَ لُقْياهُ يُفارِقُها

فأنْشَدْتُهُ أَنا أَيضاً لِنَفْسي: [من الطويل]

وناعُورَةٍ في جانِبِ النَّهْرِ قد غَدَتْ ... تُعَبِّرُ عن شَوْقِ الشَّجِيِّ وتُعْرِبُ
تُرَقِّصُ عِطْفَ الغُصْنِ تِيْهاً لأَنَّها ... تُغَنِّي لَهُ طُولَ الزَّمانِ ويَشْرَبُ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٩٠، أعيان العصر ١/ ٤٢٤، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٥، المنهل الصافي ٢/ ٢٦٥.

[٢٤]

وله في وصف «دير صيدنايا»: [من السريع]

١ ـ فـي جـانـبِ الـدَّيْـرِ لـنـا مَـنْـزِلُ ... ومَـنْـهَـلٌ عَـذْبٌ بـه نَـنْـهَـلُ
٢ ـ وشـادِنٌ قـد جـاءنـا أحْـوَرٌ ... فـي كَـفِّـهِ كـأسٌ لـه تُـشـعَـلُ
٣ ـ وروضـةٌ تُـشـرِق أنـهـارُهـا ... قـد شَـقَّـهـا فـي وَسْـطِـهـا جَـدْوَلُ
٤ ـ ومُـطْـرِبٌ تُـطْـرِبُ ألـحـانُـهُ ... كـأنَّـه إسـحـاقُ أو زَلْـزَلُ
٥ ـ فَـدُونَـكَ الـراحَ فـفـي دَنِّـهـا ... شَـهْـدٌ وفـي الـطَّـعْـم بـهـا فُـلْـفُـلَ
٦ ـ وافـى بـهـا فـي الـكـأسِ لـكِـنَّـهـا ... عَـذْراءُ مِـن خُـطَّـابِـهـا تَـخْـجَـلُ

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٤٤.

[٢٥]

وكتب إلى الصفدي: [من الكامل]

١ـ وافـىٰ الـكَـمِـيُّ بِـهـا يَـهُـزُّ مَـنـاصِـلاً ... ويـذُمُّ صِـبْـغـاً لِـلـشَّـبـيـبَـةِ نـاصِـلا
٢ـ سَـبَـقَ الـظَّـلامَ بِـهـا بِـزِيْـنَـةِ لَـيْـلِـهِ ... ولـو أنَّـهُ في الفَجْرِ حلَّىٰ العاطِلا
٣ـ حَـمْـراءُ قـانِـيَـةٌ يَـذُوبُ شُـعـاعُـهـا ... وتَـرىٰ حَـصـا اليـاقـوتِ منها سائِلا
٤ـ حَـمْـراءُ قـانِـيَـةٌ يَـحُـثُّ كُـؤوسُـهـا ... وَقْـعَ الـصَّـوارِمِ والـوَشِـيْـجَ الـذَّابِـلا
٥ـ ذَهَـبِـيَّـةٌ مـا عِـرْقُ عـانَـةَ كَـرْمَـهـا ... لـكـنَّـهُ كَـفُّ الـكَـريـمِ شَـمـائِـلا
٦ـ كَـفٌّ لِـمُـنْـبَـجِـسِ الـنَّـوالِ كـأنَّـمـا ... دُفَـعُ الـسُّـيـولِ تُـمِـدُّ مِـنْـهُ نـائِـلا
٧ـ كَـرَمٌ خَـلـيـلـيٌّ يُـمِـدُّ سِـمـاطَـهُ ... ويَـشِـبُّ نـاراً لِـلْـقِـرىٰ وفَـواضِـلا
٨ـ ولَـهـيـبُ فِـكْـرٍ لـو يَـطِـيـرُ شَـرارَةٌ ... مـنـهُ لَـمـا بَـلَّ الـسَّـحـابُ الـوابِـلا
٩ـ يُـذْكِـي بِـهِ فـي كـلِّ صُـبْـحَـةِ قَـرِّهِ ... فَـهْـمـاً لِـنِـيْـرانِ الـقَـرائِـح آكِـلا
١٠ـ عَـجَـبـاً لَـهُ مـن سـابِـقٍ مُـتَـأَخِّـرٍ ... فـاقَ الأواخِـرَ ثـم فـاتَ أوائِـلا
١١ـ دانَـوْهُ فـي شَـبَـهٍ ومـا قِـيْـسُـوا بِـهِ ... مَـن ذا تَـراهُ لِـلـغَـمـامِ مُـسـاجِـلا
١٢ـ مـاثِـلْ بِـهِ الـبَـحْـرَ الـخِـضَـمَّ فَـإنَّـهُ ... لا يَـرْتَـضِـي خَـلْـقـاً سِـواهُ مُـمـاثِـلا
١٣ـ وافَـتْ عَـقـيـلَـتُـهُ ولـو بَـذَلَ امْـرُؤٌ ... فـيـهـا اسْـتَـقَـلَّ مِـن الـبُـروجِ مَـعـاقِـلا
١٤ـ جاءَتْ شَبيهَ الخَوْدِ في حُلَلٍ لَها ... حُـمْـرٍ كَـنَـوَّارِ الـشَّـقـيـقِ مَـواثِـلا
١٥ـ قد خُضِّبَتْ بِدَمِ الحَسودِ أَما تَرىٰ ... أَثَـرَ الـسَّـوادِ بِـهـا عَـلَـيْـهِ دلائِـلا

١٦ـ حُلَلٌ على سَحْبانَ تَسْحَبُ بُرْدَها وتَجُرُّ من طَرَفِ الذُّيولِ الفاضِلا
١٧ـ خِلْتُ الهِلالَ يَلوحُ طَلْعَ نِقابِها حتَّىٰ نَضَتْ فَرَأَيْتُ بَدْراً كامِلا
١٨ـ بِنْتُ القَريحَةِ ما وَنَتْ في خِدْرِها حُسْنُ المَليحَةِ أَنْ تُواصِلَ عاجِلا
١٩ـ جاءَتْ تَصوغُ من العِناقِ أَساوِراً لا بَلْ تَخوضُ من السُّيولِ خَلاخِلا
٢٠ـ قَبَّلْتُها وأَعَدْتُ تَقْبيلي لَها إنَّ المُتَيَّمَ لا يَخافُ العاذِلا
٢١ـ وأَتَتْ وَجَيْشُ النَّوْءِ مَرْهوبُ السُّطا مَلأَ الوُجودَ لَهُ قَناً وقَنابِلا
٢٢ـ والبَرْقُ مَشْبوبُ الضِّرامِ لأَنَّهُ صادَ الغَزالَةَ حَيْثُ مَدَّ حَبائِلا
٢٣ـ وافَتْ وَرَأْسُ الطَّوْدِ يَشْكُو لِمَّةً قَد عُمِّمتْ بِالثَّلْجِ شَيْباً شامِلا
٢٤ـ وَكَأَنَّما نَثَرَتْ قُراضَةَ فِضَّةٍ أَيْدِي البُرُوقِ وقد خُرِقْنَ أَنامِلا
٢٥ـ مَلأَتْ بِهِ كُلَّ الفَضاءِ فلا تَرىٰ إلاَّ لُجَيناً جامِداً أَو سائِلا
٢٦ـ والأُفْقُ كالكَأْسِ المُقَصَّصِ مِلْؤُهُ صَهْباءُ قد عَقَدَتْ حَباباً جائِلا
٢٧ـ أَثْناءَ يَوْمٍ قد تَقَهْقَرَ ضَوؤُهُ وبَدا ذُبالاً في الأَصائِلِ ناصِلا
٢٨ـ والجَوُّ مُنْخَرِقُ القَميصِ كَأَنَّهُ حَنِقٌ يَقُدُّ مِنَ السَّحابِ غَلائِلا
٢٩ـ والسَّيْلُ مُنْحَدِرٌ يَسُلُّ مُهَنَّداً إفْرِنْدُهُ ذَهَبٌ يَمُدُّ سَلاسِلا
٣٠ـ للهِ أَنْتَ أَبا الصَّفاءِ فَإِنَّني أَلْقىٰ خَليلاً مِنْكَ لي ومُخالِلا
٣١ـ أَنْتَ الَّذي حَلَّقْتَ صَقْراً أَجْدلاً وَضَمَمْتَ في بُرْدَيْكَ لَيْثاً باسِلا
٣٢ـ يا مَنْ يُنَفِّقُ سُوقَ كُلِّ فَضيلَةٍ أَسْئِرْ فَما أَبْقَيْتَ بَعْدَكَ فاضِلا

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٦٠ـ١٦٢، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٠ـ٢٦٥. مسالك الأبصار ١٢/ ٥٠٩.

[٢٦]

وقال:

١ـ لا تسلْ بعدَ بينهم ما جرى لي من دموعٍ كأَنَّهن اللآلي
٢ـ خففت وطأة الغرام ولكن عرفت في الجفونِ طيفَ الخيالِ

التخريج:

الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٧.

[٢٧]

وكتب إلى الصفدي عند قدومه من القاهرة، أوائل سنة ٧٤٦هـ في صدر كتاب:

[من الطويل]

١ـ رَعىٰ اللهُ قَلْباً لا يَزالُ يَشُوقُهُ حَبيبٌ علىٰ طُولِ المَدىٰ وخَليلُ

٢ـ وَدَهْراً أَعادَ اللهُ فِيهِ زَمانَنا وقُصِّرَ ذَيْلٌ لِلفِراقِ طَويلُ

٣ـ فَما مِثْلُ مَنْ قَدْ كُنْتُ فارَقْتُ شَخْصَهُ وعادَ وقَلبي بالبِعادِ عَليلُ

٤ـ لقد جَلَّ يَوْمَ البَيْنِ قَدْرُ فِراقِهِ وهَل كَخَليلٍ في الفِراقِ خَليلُ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧٤.

[٢٨]

وكتب إلى الصفدي وهو بصفد: [من الطويل]

١ـ سَمَتْ نَحْوَها الأَبْصارُ حَتَّى كَأَنَّها بنارَيْهِ مِن هَنَّا وثَمَّ صَوالي

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧٦.

[٢٩]

وكتب إلى الصفدي في نهاية كتاب: [من الطويل]

١ـ وطُوبى لِمَنْ أَمْسى على دارَةِ الحِمى لَهُ مَنْزِلٌ أَو دُونَهُ بِقَليلِ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧١.

[٣٠]

قال الصفدي:

وكتبتُ أنا إليهِ، أتقاضاهُ ما وَعَدني بِهِ، من قَلْعِ شَجَرَةِ لَيْمونٍ مُخَتَّمٍ وتَجْهيزِها إليَّ؛ والْتَزَمْتُ الياءَ قبلَ النُّونِ: [من مخلع البسيط]

يا سَيِّداً فِيهِ لي وَلاءُ عِنْدَ جَميعِ الوَرىٰ تَبَيَّنْ

للهِ لَيْمُونَةٌ أَراها لي مُونَةً غُصْنُها تَزَيَّنْ

كأَعْيُنِ الحاسِدينَ بَغْياً لأَجْلِ ذا قَلْعُها تَعَيَّنْ

فكتبَ هو إليَّ الجوابَ، والتزمَ نُوناً قبلَ النُّونِ: [من مخلع البسيط]

١ـ يا فاضِلاً ما لَهُ عَديلُ لأنَّهُ في الورىٰ تَفَنَّنْ
٢ـ وَكُلُّ شَيْءٍ عاناهُ فِينا علىٰ طَريقِ الهُدىٰ تَقَنَّنْ
٣ـ أَمْرُكَ حُكْمٌ في كُلِّ عَقْلٍ ما عاقَ إلاَّ مَن قد تَجَنَّنْ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٩١، أعيان العصر ١/ ٤٢٣.

[٣١]

قال الصفدي:

وأنشدتُهُ أَيضاً لِنَفْسي، وقد طالَ علينا المَرْكَزُ من شَمْسين[١] إلى حِمْصَ[٢]: [من السريع]

مَحْبوبُ قَلْبي مِثْلُ بَدْرِ السَّما أُدْنيهِ عُمْري وَهْوَ لي يُقْصي
بَيْني وبَيْنَ الصَّبْرِ في حُبِّهِ ما بَيْنَ شَمْسينَ إلى حِمْصِ

فأَنْشَدَني هو أيضاً لِنَفْسِهِ: [من الرجز]

١ـ لقَد تَمادَيْتَ مَدىً يا رَسْتَنُ كأنَّما قُرْبُكَ ما لا يُمْكِنُ[٣]
٢ـ لمَّا جَعَلْناكَ ضَميرَ قَصْدِنا غَدَوْتَ مِمَّا لا تَراكَ الأَعْيُنُ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٩١، أعيان العصر ١/ ٤٢٥.

[٣٢]

وله:

١ـ أَبكي على نَفْسي لأنِّيَ فاني أَوَما ترى ما انهَدَّ من بُنْياني
٢ـ ماذا انتظاري والمَشيبُ بمَفْرقي سيفٌ يُسلُّ كشعلَةِ النِّيرانِ
٣ـ أيضيعُ عمري كُلُّهُ في باطلٍ وأريدُ أن تبكيهِ لي إخْواني
٤ـ ماذا يفيدُ المرءَ بعدَ مماتهِ أسفُ الرِّجال ورَنَّةُ النِّسْوانِ
٥ـ ومقالُ كلِّ مؤبِّن يَبْكي لهُ حاشاكَ وهو يُلَفُّ في الأكفانِ
٦ـ أو قولُه يا قبرُ ذَرَّ بك الحَيا وسَقَتْ ثراكَ سواكباً أجْفاني

---

(١) شمسين: قرية تقع إلى الجنوب من مدينة حمص، على طريق دمشق؛ لا تزال معروفة بهذا الاسم.

(٢) البيتان في أعيان العصر.

(٣) الرِستن: بلدة بين حمص وحماة.

٧ـ هَيْهات لاردَّ التأسفُ فائتاً ذاقَ الفَناء وكلُّ شيءٍ فاني

التخريج:

تعريف ذوي العلا ٦٥.

[٣٣]

وقد رثى نفسه قبل أن يموت بهذين البيتين، وُجدَت مكتوبة في ورقة في دواته، بخطّ يده، وهو قوله:

١ـ قُلتُ لأقلامي اكتبي وانطقي فقالت الأقلام وآسوءتاهْ

٢ـ وشَقَّت الألسنَ من حزنها وَوَلْوَلت واسودّ وجه الدواهْ

التخريج:

بدائع الزهور ١/ ق١/ ٥٣٣.

[٣٤]

كتب إلى الصفدي صدر جواب على كتاب: [من الطويل]

١ـ رَدَدْتَ علىٰ عَيْني لَذِيذَ كَراها فعاوَدَها طَيْفٌ أطالَ نَواها

٢ـ سَرىٰ في الدُّجىٰ حتَّىٰ تَجلتْ نُجومُهُ فَواقِعَ تَطْفو فَوْقَ بَحْرِ دُجاها

٣ـ وَهَبَّتْ لِمَسْراهُ نَوافِجُ رَوْضَةٍ تَجُرُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ ذَيْلَ صَباها

٤ـ أَياديَ لو أَخْفَيْتُ حُسْنَ صَنِيْعِها لَنَمَّ عَلَيْها ضَوْؤُها وشَذاها

٥ـ فَكَمْ مُزْنَةٍ أَخْجَلْتَ وَجْهَ سَحابِها بِجُودِكَ حتَّىٰ غاضَ ماءُ حَياها

٦ـ وَقَرَّحْتَ بِالسَّبْقِ المُبَرِّزِ قَلْبَها فَضَمَّتْ على نارِ البُروقِ حَشاها

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٨٩.

[٣٥]

ومن شعر القاضي شهاب الدين:

١ـ إني لأهوى منه خدّاً ناعماً أمن العذار وبعض ذا يكْفيه

٢ـ ويسرُّ منه دوامَ حالٍ واحدٍ ويسرُّني التَّلوين إلاَّ فيه

التخريج:

المنهل الصافي ٨/ ٢٦٦.

[٣٦]

وله يصف «الدير الأبيض»: [من الرجز]

١ ـ يومٌ لنا بالدَّيْر، دير الأبيضِ قد انقضى وطِيبُه لم ينقضِي
٢ ـ قد جِئْتُه في العَسْكر المنصُورِ فغَلّق الأبوابَ كالمحصُورِ
٣ ـ ونزل الرُّهْبانُ بالدّبُّوسِ فيه إلى قَرارة الدَّيْمُوسِ
٤ ـ واطَّلَعَتْ نَحْوِي هُناك رابيهْ تيَّاهَةٌ على الوِهَاد آبيَهْ
٥ ـ قد خضعَتْ من جانِبَيْها الوُهْدُ كأنّها فَوْقَ الصُّدُورِ نَهْدُ
٦ ـ كأنّما تطَلُبُ منِّي المَأْتى هذا وقد وَلَّى زمانُ المَشْتى
٧ ـ وللربيع مُذْ أتى اعتِدُال وللنَّسِيم بينَهُ اعتِلالُ
٨ ـ والشمسُ قد دَبَّ بها السَّقامُ واليومُ لم يَبْقَ له مُقامُ
٩ ـ والليلُ قد هيَّأ صفَّ عَسْكرِهْ وإنّما مَعْروفهُ في مُنكَرِهْ
١٠ ـ والجوُّ في ردائِهِ المُصَنْدَلِ والأرضُ تُذْكى باشتعالِ المَنْدَلِ
١١ ـ ومُجِمْرُ الشَّقيقِ فيها مُوْقَدُ وشُعَلُ البَهارِ فيها تُوقَدُ
١٢ ـ وزَهَرُ الفُول ادَّعى بالحقِّ شبيهَ أذنابِ الدَّجاج البُلْقِ
١٣ ـ وزَهَرُ الكَتَّان كالبَنَفْسَج ومِثلُه لولا ذَكِيُّ الأَرَجِ
١٤ ـ تَبْدُو على أعطافه التَّرافَهْ ذو هَيَفٍ في شَكْلِهِ ظَرافَه
١٥ ـ كأنّه في مائه الممتَزِج زَبَرْجَدٌ رُصِّعَ بالفَيْروزَجِ
١٦ ـ وسائرُ الزرعِ شِقاقٌ خُضْرُ وبعضُها لها طِرازٌ نَهْرُ
١٧ ـ والنخلُ حولَ الدير كالعرائِس مَجْلُوَّةً في فاخِر المَلابِس
١٨ ـ كأنه مشَمِّراً فِي هِمَّهْ صفٌّ وُقُوفٌ حولَه في الخِدْمَهْ
١٩ ـ وثَمَّ من باقي مُدودِ النِيلِ ماءٌ شبيهُ الصارِم الصَّقِيلِ
٢٠ ـ وَافَتْ إليهِ خُلُجٌ مُفَرَّقَهْ واجتمعَتْ جميعُها في مَلَقَهْ
٢١ ـ دائرةٍ قَوْراءَ مثلِ الأُفُقِ تأوِي بها حِيتانُها في نَفَقِ
٢٢ ـ صافيةٍ كمثل عَيْنِ الدِّيكِ في غاية الصِّقال والتفريكِ
٢٣ ـ قد وَلِعَتْ فيها الرياحُ بالطُّرَرْ فشوّشَتْها ثم سَالَتْ كالغُرَرْ
٢٤ ـ فسيحة الأرجاء كالميدانِ تشُقُّها سَوابحُ الحِيتَانِ
٢٥ ـ فيها من الأسماك أشتاتٌ تُرى تأخُذُ من أنواعهِنَّ العنبرَا
٢٦ ـ فيها من البُلْطِيْ والبُنِّيِّ مآكِلٌ كالرُّطَبِ الجَنِيِّ

٢٧ ـ والبركةُ الفيحاءُ فيها قاربُ — وفيه صَارٍ للشِّباكِ ضارِبُ
٢٨ ـ يجري به قاربُهُ على نَفَسْ — وَهْوَ بِهِ في الماءِ نارِيُّ القَبَسْ
٢٩ ـ كأنّما أجْرى به جَوادا — أسرعَ في الرَّكْضِ وما تَمادى
٣٠ ـ كأنّه إذا أراد المَرْكَبَا — صِلٌّ من الحيّات يرقى عَقْرَبَا
٣١ ـ يُسَيِّرُ الحِيتانَ وسْطَ الماءِ — كأنَّها النجومُ في السماءِ
٣٢ ـ يأتِي إليها بأضاليل الخُدَعْ — لأجْلِ ما يأخُذُ منها ويَدَعْ
٣٣ ـ ولم يزلْ بخفَّةٍ في الحَركَهْ — حتّى انَّهُ يُلْقِي عليه الشَبَكَهْ
٣٤ ـ وكُلَّ ما يُريدُهُ يَصِيدُ — يا زَرْعَها آنَ لَكَ الحَصِيدُ
٣٥ ـ وعَنَّ لي سِرْبُ مَهًا جآذِرُ — أجفانُها تضُمُّ ما نُحاذِرُ
٣٦ ـ أقمارُ تُرْكٍ فوقَ شُهْبِ الخيْلِ — وبَيْنَها أدْهَمُ ضافِي الذَّيْلِ
٣٧ ـ فجئتُ حتّى صرتُ فوقَ الهَضْبَهْ — وعايَنَتْ عيناي تلك الجَلْبَهْ
٣٨ ـ ويا لَها من حَلْبَةٍ لا تُلْحَقُ — تكْبُو وراءَها الرياحُ السُّبَّقُ!
٣٩ ـ كأنَّها أُفْقٌ حوى أقمارَا — قد طَلَعُوا في أُفْقِها نَهارا
٤٠ ـ من نَسْلِ خاقانَ وجنسِ التُّركِ — قد عوَّدوا ألحاظَهم بالفَتْكِ
٤١ ـ كم فيهمُ من ساحِرِ الأجفانِ — قَيْسِيّ خدٍّ طرفُهُ يَمَانِي!
٤٢ ـ للهِ إنْ جرَّد أسيافَ الحَدَقْ — وبدَّد الدِّماءَ في الخدِّ الْيَقَقْ!
٤٣ ـ فيها مِلاحٌ للعِناق خُلِقُوا — ما بَرَزوا للعين حتّى عُشِقُوا
٤٤ ـ ومُيَّدُ الأغصانِ ثَمَّ تَسْتَبِقْ — طوْراً تُخَلّى ثُمَّ طَوْراً تعتَنِقْ
٤٥ ـ أغصانُ بانِ أمّ هُمُ غِزلانُ — أوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الوِلدانُ
٤٦ ـ قد ركِبُوا صوافِنَ السَوابِقِ — وافترقوا لكن فؤادَ العاشِقِ
٤٧ ـ منهمْ فتىً يهتزُّ كالرُّدَيْنِي — مَنْ لِيَ منْهُ لو قَضَيْتُ دَيْني؟
٤٨ ـ قد أسرجَ الغَمامَ بالهِلالِ — مُطَهَّماً في صِبغةِ الليالي
٤٩ ـ يَفْرُقُ شَطْرَيْ وجهِهِ بغُرَّهْ — كَآبَةٌ في وسْطِها مَسَرَّهْ
٥٠ ـ أدهمُ منه في السِّباق قد بَدَرْ — لَيْلٌ ولكن فوقَ عِطْفَيْهِ قَمَرْ
٥١ ـ مُبَلْبَلُ الصُّدْغ رخيمُ الدَّلِّ — أُرِيدُ منه للهوى مُعَلِّي
٥٢ ـ لهُ من العُجْبِ جُفُونٌ مُطْبَقَهْ — وآفتِي من العُيُون الضَّيِّقَهْ
٥٣ ـ لم أرَ مثلَ ثغرِهِ إذ ضَحِكَا — لقد حكَاه البرقُ لكن ما حَكى
٥٤ ـ بدرٌ ولا تَفضَحُ لي أسماؤُهُ — ذو تَرَفٍ يكاد يجرِي ماؤُهُ
٥٥ ـ مالِي وما للراحِ أو للأكْؤُسِ — إذ حلَّ لي بندَ القَبَاء الأطلسِ!

٥٦ ـ وبانَ من ثِيَابه المُجَرَّدُ   كأنّه من فِضَةٍ تُتَقَّدُ

٥٧ ـ فيا أُخَيَّ إنْ قَضَيْتُ نَحْبَا   دَعْنِي أموتُ في هواهُ حُبَّا!

٥٨ ـ أهونْ بدَمعِ مُقْلَتَيَّ الصَّبِّ   فقد تعشَّقتُ صَبِيّاً يُصْبِي!

٥٩ ـ ما الموتُ في هَوَاهُ إلاّ مَحْيَا   لوْ مُتُّ عِشْقا فيه كنتُ أحْيَا!

٦٠ ـ لَمَّا أتانِي من بعيدٍ ووقَفْ   قُمتُ لِلَثْم أقدام وكَفّ

٦١ ـ وكان قد حانَ غُرُوبُ الشمسِ   وطَلَعَ البدرُ كمثلِ التُّرْسِ

٦٢ ـ وظَلْتُ أُلهيهِ بأشغال السَّمَرْ   لعلَّ للّذي فعلتُه ثَمَرْ

٦٣ ـ وقلتُ هذا مَنْزِلٌ نَزِيهُ   ليس له فيما هُنا شَبِيهُ

٦٤ ـ يا مرحباً شرّفتَ هذا المَوْضِعَا   وجئتَنا والبدرَ في وقتٍ معا!

٦٥ ـ فلو نَزلته هناك أو هُنَا   عَمَّ بقُرْبك السُّرورُ والهنَا

٦٦ ـ فانزِلْ بنا واقعدْ قريراً ساعَهْ   ولا تخَفْ من فاضحِ الشَّنَاعَهْ

٦٧ ـ فَلانَ لِي جانبُه ثُمَّ ابتَسَمْ   وفاحَ لي طِيبُ رِضَاهُ ونَسَمْ

٦٨ ـ وقال لي أقِمْ حَوَالَيْنَا الحَرَسْ   وانحطَّ لي كالسَّهْم عن ظهر الفَرَسْ

٦٩ ـ فقلتُ: ما تقول في ذا إنْ مَسَكْ   هذا لنا وجابَ من هذا السَّمَكْ؟

٧٠ ـ ونُوقِدُ النارَ له ليُقْلى   ومَنْ أتى مُزاحِماً في المَقْلى

٧١ ـ ونأكُلُ السَّلُّورَ والشَّبُوطَا   والفرخَ والمَسْلُوخَ والمسْمُوطَا

٧٢ ـ هذا وما تضُمُّ أكنافُ السُّفَرْ   وما تكون منه ألطافُ السَّفَرْ

٧٣ ـ فقال لي: دُونَك مَا تُريدُ!   فكان عِندِي باللِّقاء عِيدُ

٧٤ ـ هذا وكُنّا قد أمَرْنا الطَّاهِي   بأخْذِ تلك الجِلَّة الزَّوَاهي

٧٥ ـ فأتقنَ الجميعَ بالتنظيفِ   وزانَها في الوضع والتصفيفِ

٧٦ ـ وحَطَّ عن أجسامها الجَوَاشنَا   وأظهر الجَمَالَ والمَحَاسنَا

٧٧ ـ واقتدَحَ النارَ من الزِّنَادِ   مِثلَ اصْطِكاك البَرْقِ في العِهادِ

٧٨ ـ يطيرُ من جانِبِها شَرَارُ   هلْ منه للرُّمّانة انتشارُ

٧٩ ـ يُؤَرِّثُ المَوْقِدَ جُلَّ نارِ   كأنّها شُبَّتْ بجُلَّنَارِ

٨٠ ـ وبعدَ هذا صفَّف المَقالِي   وكلُّنا نُحِبُّ ذاك القالِي

٨١ ـ وسكَبَ الدّهانَ في الطِّنجيرِ   كمثل بسْطِ الظِّلِّ فِي الغديرِ

٨٢ ـ ثُمَّ قَلىٰ في الطاجن الأسماكَا   لولا قليلٌ، لَقلى السِّماكَا

٨٣ ـ ونضَّدَ الصُّحُونَ ثُمَّ صفّفا   سبائكاً من النُّضَار قد صَفَا

٨٤ ـ أعادَها بعدَ اللُّجَيْنِ عَسْجَدَا   صَفَّرَ ألْواناً لها ووَرّدَا

٨٥ - وجاء بالمِلح وبالأبزارِ … سكارجا تروق للأبصارِ

٨٦ - مصفوفةً لنا على مقدارِ … كدِرْهَم صُفَّ إلى دِينارِ

٨٧ - وصَبَّ من أطايب الأَصْلاصِ … حقائباً مسدودةَ العِفَاصِ

٨٨ - من حامِضٍ مُطَيَّبٍ ومُزِّ … وغيرِ ذا من كُلِّ حمض يجزي

٨٩ - ونَضَّدَ البُقولَ في الأَطباقِ … مثلَ الحَرير لُفَّ في الأوراقِ

٩٠ - ووَضَعَ الكِماجَ والرُّقَاقَا … حتّى استدار حلوَها نِطاقَا

٩١ - وجاءَ بالفُقَّاع والمشرُوبِ … يَهُمُّ في الكِيزان بالوُثُوبِ

٩٢ - ومنْهُ في إنائه مسكوبُ … كأنَّه من ذَهَبٍ مصبوبُ

٩٣ - وقَرَّبوا الحَلْوَاء مِلْءَ الجام … كمثلِ قُرص الشمس بالتَمام

٩٤ - فقام لي وَزْنُ سُرُوري وقَسَطْ … لأنَ مَنْ أحببتُهُ قد انْبَسَطْ

٩٥ - ومدّ عندي يَدَهُ أكل … ثُمَّ تنقَّلنا بمنهوب القُبَلْ

٩٦ - فكَمْ أصبْنَا منه ما أردنا … ولو نشاء بعدَ هذا زِدْنا!

٩٧ - ثم أدَمْنا حمدنا والشكرا … وهْوَ بما جاد علينا أدرى

٩٨ - ثم أتانا الطَّستُ والغَسُولُ … كأنّه بعنبرٍ مجبولُ

٩٩ - ثم تلاه الطِّيبُ والمَنَديلُ … يا حبَّذا ما حَبَّه الرسولُ

١٠٠ - حتّى إذا ما نَزلَ السلطانُ … واشتغل الغَوْغاء والغِلْمانُ

١٠١ - ونام كلٌّ مستكِنًّا في الخِيَمْ … ونَكَّرَ الآفاقَ جِلبابُ الظُّلَمْ

١٠٢ - وأمِنَ الراهبُ والقِسِّيسُ … وانشقَّ عن موتاهُمُ الناوُوسُ

١٠٣ - وأوقدوا في البِيعة القِنديلا … ورَجَّعواالمِزْمارَ والإنجيلا

١٠٤ - وزيّنوا الهيْكلَ بالقُرْبانِ … وصفَّفوا الشُّموع والقَناني

١٠٥ - وسَكَبُوا الصهباء في الإبريقِ … صفراءَ أو حمراءَ كالعقيقِ

١٠٦ - وصبّها في الكاس مثلَ اللَّهبِ … ممتدّة مثلَ شَريط الذهبِ

١٠٧ - يسعى بها مُقَرْطَقٌ مُزَنَّرُ … شِبهُ الغزال الخِشْفِ أحْوى أحورُ

١٠٨ - مِن فِتْيةٍ داموا على الإنجيلِ … مَنْ لي بهم لو أنَهمْ من جِيلي

١٠٩ - وبعضهم دبَّ له عِذارُ … كأنّه من صَدِّه اعتذارُ

١١٠ - وفيهمُ ذاك الغَزال النافرُ … خليفةُ المِلاَح وهْو الظافر

١١١ - لما بدا منه الصَّباح السافرُ … تستَّر الليلُ فقيل الكافرُ

١١٢ - أو بِنْتُ قِسِّيس عليها مِسْحُ … كالليل قد أقبل فيه الصبحُ

١١٣ - بَمعصَمٍ فيه دَلاَلٌ وتَرَفْ … كَأنّه من ماءِ خدَّيْها اغترفْ

١١٤ ـ فاتنةٌ من الظِّباء العِينِ قد ناصبَت بدِينها لِدِيني
١١٥ ـ ماذا أقول في بديع صُنْعِها والبدرُ في الظَلماء حشوُ دِرعها؟
١١٦ ـ غصنٌ رطيبٌ دبَّ فيه الراحُ ومِن جَنى خُدُودها التُّفَّاحُ
١١٧ ـ آفةُ كلِّ مسلم وكافرِ وفتنةٌ في أوَّلٍ وآخرِ
١١٨ ـ ياما جَرى منها وياما يَجْرِي مِنَّا ومِنْها من بُكاً وهَجْرِ!
١١٩ ـ فَمُذْ هَدَتْ عنَّا عيونُ الناسِ ثُرْتُ به في غفلةِ الحُرَّاسِ
١٢٠ ـ وقلتُ، قُمْ حتّى نروحَ في الغَلَسْ في خُلْسةٍ، فأطيبُ العيش الخُلَسْ!
١٢١ ـ فالدَّيْر قد آن له أن يُفْتَحا وكان قد أُغْلِقَ عمداً من ضُحى
١٢٢ ـ قُمنا إليه تحت سِتر الليلِ نوازعاً نَرمِي على سُهَيْلِ
١٢٣ ـ وقد علا هيكلَه القِنديلُ كأنّه لرأسه إكليلُ
١٢٤ ـ وثَمَّ في الدير لنا صَدِيقُ منهمكٌ في السُّكْر لا يُفِيقُ
١٢٥ ـ لكنَّهُ لخوفه قد كانا ما شرِب الصَّهْباء حتّى الآنا
١٢٦ ـ وعنده جميعُ ما نطلُبُهُ وصوتُ أوتارٍ له تُطرِبُهُ
١٢٧ ـ وهْوَ إذا تبطَّن السُّلاَفَه لم تستطعْ مليحةٌ خِلاَفَهْ
١٢٨ ـ لأنه عرَّف كلَّ راهبه بمكره أنَّ الحياة ذاهبه
١٢٩ ـ وكلُّ ما تريد منه يحصُلُ وَفْقَ المُنى مسارعاً يستعجلُ
١٣٠ ـ فانهضْ وقُمْ وطِبْ ولا تُوَنِّي واقتُلْ بما شئتَ سِوى التجَنِّي!
١٣١ ـ فقم بنا انهضْ ودَعِ العُذّالا كم ذا القُعودُ هكذا كُسَالى!
١٣٢ ـ لِنَغنم الصِّحّة والفَرَاغا ونشربَ العُمْرَ لنا ما انساغا!
١٣٣ ـ ولم أزَلْ بِهِ بِهِ حتّى نَزَلْ شاباشُ لِي! صِدْتُ الغَزَالَ بالغَزَلْ!
١٣٤ ـ خدعتُه فانطاع لِي الغُلاَمُ وكان ما قد كان، والسلام!
١٣٥ ـ وبِتُّ مسرورا بذاك الخِشْفِ وفوق ما وصَفْتُ منه المَخْفِي
١٣٦ ـ وكان لي غُلَيِّمٌ ظريفُ حُلْوَ الكلام فَكِهٌ خفيفُ
١٣٧ ـ جميعُ ما يقوله مُجُونُ ما كان مثلهُ ولا يكونُ
١٣٨ ـ حديثهُ ليس عليه من حَرَجْ لنا به الفالُ وقد سُمِّي فَرَجْ
١٣٩ ـ قلت له: كأنَّني ممن نَدِمْ لأجل ذاك الظبْيِ لمّا أنْ طَعِمْ
١٤٠ ـ ويْحكَ لَمْ أطعمتَ هذا ذا السمكْ فقال: لولاه لما كان انمسَكْ!
١٤١ ـ جعلتُه لصيده كالفَخّ لأجل ذا أبصرتَه مُسْتَرْخِي
١٤٢ ـ يا شاطرَ البلاد أنت القيِّمُ فعلتَ ما لا تستطيع الأسهُمُ!

١٤٣ ـ لا شكَّ قد أتقنتَ علم السِّحرِ وصِدْتَ صيدْ البَرِّ بعد البحرِ!

التخريج:

مسالك الأبصار ١/ ٤٥٨ ـ ٤٦٤ .

نثره ورسائله

قال الصفدي: وسمعت من لفظه غالب ما أنشأه، وكتب قُدّامي كثيراً من التواقيع الحَفِلة من رأس القلم، وترسَّل كثيراً، وأنا أراه من رأس القلم عن الدولة وعن نفسه إلى إخوانه فيأتي بما يبهر العقول، لم أرَ لأحد قدرته على ذلك.

ومن نماذج رسائله(١):

[١]

قال الصفدي: وكتبَ هو إليَّ وقد تواتَرَتِ الأمطارُ والثُّلوجُ والرُّعودُ والبُروق في سنة ٧٤٤:

كيفَ أَصْبَحَ مَولانا في هذا الشِّتاءِ الذي أَقْبلَ يُرْعِبُ مَقْدَمُهُ، ويُرْهِبُ تَقَدُّمُهُ، ويُريبُ اللَّبيبَ من بَرْقِهِ المُومِضِ تَبَسُّمِهِ ؟

وكيفَ حالُهُ مع رُعودِهِ الصَّارِخَةِ، ورِياحِهِ النَّافِخَةِ، وَوُجوهِ أيَّامِهِ الكالِحَةِ، وَشَرَرِ لياليِهِ التي لا يُبيتُ منها بِلَيْلَةٍ صَالِحَةٍ، وسَحابِهِ وأَمواجِهِ، وجَليدِهِ والمَشْي فوقَ زُجاجِهِ، وَتراكُم مَطَرِهِ الأنيثِ(٢)، وتَطاوُلِ لَيْلِ فَرْعِهِ الأثيثِ، ومَواقِدِهِ المَمْقُوتَةِ، وذَوائِبِ جَمْرِهِ، وَأَهْوِنْ بِهِ وَلو أَنَّ كُلَّ حَمْراءَ ياقُوتَةٌ، وَتَحَدُّرِ نَوْئِهِ المُتَصبِّبِ، وتَحَيُّرِ نَجْمِهِ المُتَصَيِّبِ ؟

وَكيفَ هو مع جَيْشِهِ الذي ما أَطَلَّ حتَّىٰ مَدَّ مَضارِبَ غَمامِهِ، وَظَلَّلَ الجَوَّ بِمِثْلِ أَجْنِحَةِ الفَواخِتِ من أَعْلامِهِ؛ هذا علىٰ أَنَّهُ حَلَّ عُرىٰ الأَبْنِيَةِ، وَحَلَّلَ مِمَّا تَلَفَ في ذَمِّهِ سَالِفَ الأَشْتِيَةِ؛ فلقد جاءَ من البَرْدِ بِما رَضَّ العِظامَ وأَنْخَرَها، وَدَقَّ فَخَّاراتِ الأَجْسام وفَخَّرَها، وجَمَّدَ في الفَمِ الرِّيْقَ، وعَقَدَ اللِّسانَ إلاَّ أَنَّهُ لِسانُ المِنْطِيقِ؛ وَيَبَّسَ الأَصابعَ حتَّىٰ كادَتْ أَغْصانُها تُوقَدُ حَطَباً، وَقَيَّدَ الأَرْجُلَ فلا تَمْشِي إلاَّ تَتَوَقَّعُ عَطَباً؛ وأَتىٰ الزَّمْهريرُ بِجُنودٍ ما لِلقُوىٰ بِها قِبَلٌ، وَحَمَّلَ الأَجْسامَ من ثِقْلِ الثِّيابِ ما لا يَعْصِمُ مِنْهُ مَنْ قالَ: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ﴾(٣) ومَدَّ من السَّيْلِ ما اسْتَبْكىٰ العُيونَ إذا جَرىٰ،

---

(١) أفدنا من تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح وهوامشه لكتاب «ألحان السواجع» للصفدي.

(٢) الأنيث: اللَّيِّن.

(٣) سورة هود: الآية ٤٣.

واجْتَحَفَ ما أتىٰ عليهِ، وأوَّلُ ما بَدأَ الدَّمْعُ بِالكَرىٰ.

فَكيفَ أنْتَ يا سَيِّدِي في هذِهِ الأحْوالِ ؟ وكيفَ أنْتَ في مُقاساةِ هذِهِ الأهْوَالِ ؟ وكيفَ رَأَيْتَ منها ما شَيَّبَ بِثَلْجِهِ نَواصِي الجِبالِ، وجاءَ بالبَحْرِ فَتَلَقَّفَ ثُعبانُهُ ما أَلْقَتْهُ هَراواتُ البُروقِ من عُصِيٍّ، وخُيوطُ السُّحُبِ من حِبالٍ ؟

أَمَّا نَحنُ فَبَيْنَ أَمْواجٍ من السُّحُبِ تَزْدَحِمُ، وفي رَأْسِ جَبَلٍ لا يَعْصِمُ فِيهِ من الماءِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ؛ وكيفَ سَيِّدُنا مع مَجامِرِ كانُونَ وشَرارِ بَرْقِها القادِحِ، وَهَمِّ وَدْقِها الفادِحِ، وقَوْسِ قُزَحِها المُتَلَوِّنِ ؟ رَدَّ اللهُ عليهِ صَوائِبَ سِهامِهِ، وبَدَّلَ منهُ بِوَشائِعِ حُلَلِ الرَّبيعِ ونَضارَةِ أَيَّامِهِ، وجَعَلَ حَظَّ مَولانا من لَوافِحِهِ ما يُذَكِّيهِ ذِهْنُهُ من ضِرامِهِ، ومن سَوافِحِهِ ما يُوَلِّدُهُ فِكْرُهُ من تُؤَامِهِ، وعَوَّضَنا وإيَّاهُ بِالصَّيْفِ واللهُ يَتَقَبَّلُ، وأَراحَنا من هذا الشِّتاءِ وَمَشْيِ غَمامِهِ المُتَبَخْتِرِ بِكُمِّهِ المُسْبَلِ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

فكتبتُ أنا الجوابَ إليه:

يُقَبِّلُ الأَرْضَ، وَيُنْهي وُرُودَ هذِهِ الرُّقْعَةِ التي هي طِرازٌ في حُلَّةِ الدَّهْرِ، وحَديقَةٌ ذَكَّرَتْ زَمَنَ الرَّبيعِ وما تُهديهِ أَيَّامُهُ من الزَّهْرِ؛ فَوَقَفَ منها على الرَّوْضِ الذي تَهَدَّلَتْ فُروعُ غُصونِهِ بالأَثْمارِ، وَنَظَرَ منها إلى الأُفُقِ الذي كُلُّ كَواكبِهِ شُموسٌ وأَقْمارٌ، فَأَنْشَأَتْ لَهُ إطْرابَةً، وَأَعْلَمَتْهُ أَنَّ قَلَمَ مَولانا يَفْعَلُ بِالأَلْبابِ ما لا تَفْعَلُهُ نَغْمَةُ الشَّبابَةِ، وأَرْشَفَتْهُ سُلافاً كُؤوسُها الحُروفُ وكُلُّ نُقْطَةٍ حَبابَةٌ؛ وشاهَدَ أَوْصافَ هذِهِ الأَيَّامِ المُبارَكَةِ القُدومِ، المُتَّصِلَةِ الظَّلامِ، فلا أَوْحَشَ اللهُ مِن طَلْعَةِ الشَّمْسِ وحاجِبِ الهِلالِ وعُيونِ النُّجومِ؛ فَما لَنا ولِهذِهِ السَّحائِبِ السَّحَّابَةِ، والغَمائِمِ السَّكَّابَةِ، والرُّعودِ الصَّخَّابَةِ، والبُروقِ اللَّهَّابَةِ، والثُّلُوجِ التي أَصْبَحَتْ بِحَصْبائِها حَصَّابَةً، والبَرْدِ الذي أَمْسَتْ إِبَرُهُ لِغُصُونِ الجُلودِ قَطَّابَةً، والزِّمِّيتاءُ[1] التي لا تَرْوِي عن أَبي ذَرٍّ إلاَّ ويَرْوِي الغَيْثُ عن أَبي قِلابَة؛ كُلَّما أَقْبَلَتْ فَحْمَةُ ظَلامٍ، قَدَحَتْ فِيها البَوارِقُ شَرارَ جَمْرَتِها، وكُلَّما جاءَتْ سَحابَةٌ كَحْلاءُ الجُفونِ، رَجَعَتْ مَرْهاءَ لِما أَسْبَلَتْهُ من عبْرَتِها؛ فَما هذا شَهْرُ طُوْبَةٍ[2]، إنْ هذا إلاَّ جَبَلُ ثَهْلان، وما هذا كانُونُ، إنْ هذا إلاَّ تَنُّورُ الطُّوفانِ، فَإِلىٰ مَتىٰ قُطْنُ هذِهِ الثُّلُوجِ يُطْرَحُ على جِبابِ الجِبالِ؛ وإِلىٰ مَتىٰ تُفاضُ دِلاصُ الأَنْهارِ ويَرْشُقُها قَوْسُ قُزَحَ بِالنِّبالِ ؟ وإِلىٰ مَتىٰ تُشَقِّقُ السَّحابَ ما لَها من الحُلَلِ والحِبَرِ ؟ وَإِلىٰ مَتى تُرْسِلُ خُيوطَ

---

(١) الزِّمِّيتاء: الوقور. (اللسان).

(٢) طوبة: الخامس من شهور القبط، ويبدأ في الخامس والعشرين من كانون الأول. (الأزمنة والأنواء ١٤٣).

المُزْنِ من الجَوِّ وفي أَطْرافِها على الغُدرانِ إِبَرٌ ؟ وإلى مَتىٰ تَجْمُدُ عُيونُ الغَمامِ وتَكْحَلُها البُروقُ بِالنَّارِ ؟ وإلىٰ متىٰ نِثارُ هذِهِ الفِضَّةِ وما يُرىٰ من النُّجومِ دِيْنارٌ ؟ وإلىٰ متىٰ نَحْنُ نَحْنو على النَّارِ حُنُوَّ المُرْضِعاتِ على الفَطِيمِ[1] ؟ وإلىٰ متىٰ تَبْكي المَيازِيْبُ : [من الوافر]

بُـكـاءَ الأَوْلـيـاءِ بِـغَـيْـرِ حُـزْنٍ إذا اسْـتَـوْلَـوْا عـلـى مـالِ الـيَـتِـيـم

وإلى متىٰ هذا البَرْقُ تَتَلَوّىٰ بُطونُ حَيَّاتِهِ، وتَتَقَلَّبُ حَماليقُ العُيونِ المُحْمَرَّةِ من أُسُودِ غاباتِهِ ؟ وإلى متىٰ يُزَمْجِرُ عَتْبُ هذِهِ الرِّياحِ العاصِفةِ ؟ وإلى متىٰ يُرْسِلُ الزَّمْهَرِيرُ أَعْواناً تُصْبِحُ حَلاوَةُ الوُجوهِ بِها تالِفَةً ؟ أَتَرىٰ هذِهِ الأَمْطارَ تُقْلَبُ بِالأَزْيارِ، أَم هذِهِ المواليدُ التي تَنْتَهي فيها الأَعْمارُ ؟ كم من جَليدٍ يَذُوبُ بِهِ قَلْبُ الجَليدِ، ويُرىٰ زُجاجُهُ الشَّفَّافُ أَصْلَبَ من الحَديدِ، وَوَحْلٍ لا تَمْشِي هُريرةُ فِيهِ الوَحى[2]، وبَرْدٍ لا تَنْطِقُ فِيهِ نَؤومُ الضُّحىٰ.

اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا، لَقَدْ أَضْجَرَنا تَراكُمُ الثِّيابِ، ومُقاساةُ ما لِهَذِهِ الرَّحْمَةِ من العَذابِ، وانْجِماعُ كُلٍّ عن إِلْفِهِ، وإِغْلاقُ بابِ القِبابِ، وتَخَلُّلُ الضَّبابِ زَوايا البُيوتِ، فالأَطْفالُ ضِبابُ الضَّبابِ، كُلُّ ضَبٍّ منهم قد أَلِفَ باطِنَ نافِقائِهِ[3]، وقَدَّمَ بَينَ يَديهِ الموتَ بِدايَةَ بَدائِهِ، قد حَسَدَ علىٰ النَّارِ مَنْ أَمْسىٰ مُذْنِباً وَأَصْبَحَ عاصِياً، وتَمَنَّىٰ أَن يَرىٰ من فَواكِهِ الجَنَّاتِ عُنَّاباً وقَراصِيا.

فإِنْ كانَتْ هذِهِ الأَمْطارُ تُكاثِرُ مَكارِمَ مَولانا، فَيا طُولَ ما تَسْفَحُ؛ وإِنْ كانَتِ العَواصِفُ تَتَشَبَّهُ بِبَأْسِهِ، فَيا طُولَ ما تَلْفَحُ؛ وإِنْ كانَتِ البُرُوقُ تُحاكي ذِهْنَهُ المُتَسَرِّعَ، فَيا طُولَ ما تَتَأَلَّقُ؛ وإِن كانَتْ قَوْسُ قُزَحَ تَتَلَوَّنُ خَجَلاً من طُروسِهِ، فَيا طُولَ ما تَتَأَنَّقُ؛ وإِنْ كانَت الرُّعودُ تُحاكي جَوانِحَ أَعْدائِهِ، فَيا طُولَ ما تَشْهَقُ وتَفْهَقُ؛ وإِنْ كانَتِ السُّيُولُ تَجْرِي وراءَ جُودِهِ، فَإِنَّها تَجْري على طُولِ المَدىٰ وما تَلْحَقُ.

والأَوْلىٰ بِهذا النَّوْءِ الباكي، أَنْ لا يُحاكي؛ والأَلْيَقُ بِهذا الفَصْلِ المُبَغَّضِ، أَن لا يَتَعَرَّضَ؛ فَرَحِمَ اللهُ مَن عَرَفَ قَدْرَهُ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ مَولانا في الوُجودِ نَدْرَة؛ أُنهي ذلك.

---

(١) من قول المنازي أو حمدونة الأندلسية في وصف وادٍ: [وفيات الأعيان ١/ ١٤٣]

حـلـلـنـا دوحَـه فـحـنـا عـلـيـنـا حـنـوَّ الـمـرضـعـات عـلـى الـفـطـيـم

(٢) من قول الأعشى: [ديوانه ١٠٥] والوحىٰ: الإسراع.

ودِّع هـريـرة إنَّ الـرَّكـبَ مـرتـحـلُ وهـل تـطـيـقُ وداعـاً أيُّـهـا الـرَّجـلُ

غـرَّاءَ فَـرعـاءُ مـصـقـولٌ عـوارضُـهـا تمشي الهُوَينىٰ كما يمشي الوحىٰ الوَجِلُ

(٣) النّافقاء: جحر الضَّبِّ.

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٥٢ـ١٥٥، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٧ـ٢٦٠، أعيان العصر ١/ ٤٢٧ـ٤٢٩، مسالك الأبصار ١٢/ ٥٠٢.

[٢]

قال الصفدي:

فكتبَ [العمري] الجَوابَ أَيضاً عن جَوابي:

ويُنْهي وُرودَ جَوابِهِ الكَريم، فَوَقَفَ عليهِ، وَتَيَمَّنَ لِمُجَرَّدِ إِقْبالِهِ إِليهِ، وَقَبَّلَهُ لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِيَدَيْهِ، وَأَعَدَّهُ لِجَلاءِ المَرَهِ، فَأَمَرَّهُ علىٰ عَيْنَيْهِ، وَشَكَرَهُ وإِنْ لَمْ تَزَلْ حَقَائِبُ الشُّكْرِ مَحْطوطَةً لَدَيْهِ، لا بَرِحَ الشُّهْدُ من جَنى رِيْقِهِ المُعَلَّلِ، والطَّرَبُ بِكَأْسِ رَحِيقِهِ المُحَلَّلِ، والتِّيْهِ ـ وحاشاهُ مِنْهُ ـ في سُلوكِ طَرِيقِهِ المُذَلَّلِ، والسَّحابُ لا يَطِيرُ إِلاَّ بِجَناحِ نَعْمائِهِ المُبَلَّلِ، والرَّوْضُ لا يَبْرُزُ إِلاَّ في ثَوْبِ زُخْرُفِهِ المُجَلَّلِ، والبَرْقُ لا يَهْتَزُّ إِلاَّ في مُسْبَلِ رِدائِهِ المُشَلَّلِ، والجَهْدُ ولو كَلَّفَ لا يجيءُ بِمِثْلِ سَيْرِهِ المُذَلَّلِ، والنَّصْرُ يَقْضِي لِمَواضِيْهِ على حَدِّ حُسامِهِ المُفَلَّلِ، والفَجْرُ لولا بَيانُهُ الوَضَّاحُ لَما أَرْشَدَ لَيْلَهُ المُضَلَّلَ، والبَحْرُ لَوْلا عِرْقٌ من حَياءِ كَرَمِهِ الزَّاخِرِ لَما ذَمَّ على غَزَرِ المادَّةِ نَوالَهُ المُقَلَّلَ، والفَخْرُ وإِنْ شَمَخَ أَنْفُهُ لا يُنافِسُ عِقْدَهُ المُوَشَّحَ ولا يَتَطاوَلُ إِلى تاجِهِ المُكَلَّلِ؛ وفَهِمَهُ فَهامَ، واقْتَبَسَهُ فَجلا الأَوْهامَ، وَنَظَرَ فِيهِ فَزادَ صِقالَ الأَفْهام، وقَصَّرَ عن إِدْراكِهِ فَما شَكَّ أَنَّه إِلْهامٌ، وانْتَهىٰ فيهِ إِلى الجَوابِ في وَصْفِ أَنْواءِ تِلكَ اللَّيْلَةِ الماطِرَةِ، وما مَوَّهَتِ السُّحُبُ من ذَهَبِ بَرْقِها، وفَتَلَتْهُ الأَنْواءُ من خُيوطِ وَدْقِها، ونَفَخَتْ فِيهِ الرِّياحُ من جَمْرِ كانُونِها، وأَظْهَرَتْهُ حَقيقَةُ الرُّعودِ من سِرِّ مَكْنونِها، وما بَثَّتْهُ عارِضَةُ ذلكَ العارِضِ المُمْطِرِ الذي هو أَقْوىٰ من شآبِيْبِها، وأَوْفَىٰ مِمَّا أَرْقَتْهُ السَّماءُ من جَلابِيْبِها، وأَسْرىٰ من بَرْقِها المُومِضِ في غَرابِيْبِها، وَأَسْرَعُ من سُرىٰ رِياحِها، وقَد جَمَعَتْ أَطْواقَ السَّحائِبِ وَأَخَذَتْ بِتَلابِيْبِها.

وَسَبَّحَ المَملوكُ من عَجَبٍ لِهذِهِ البَلاغَةِ التي كَمَّلَتِ الفَضائِلَ، وَفَضَلَتْ عن العِلْمِ وفي الرَّعيلِ الأَوَّلِ عِلْمُ الأَوائِلِ، وفَضَّلَتْ مُبْدِعَها وحُقَّ لَهُ التَّفْضِيلُ، وآتَتْهُ جُمْلَةَ الفَضْلِ وفي ضِمْنِها التَّفْضِيلُ، وأَنْطَقَتْ لِسانَ بَيانِهِ وأَخْرَسَتْ كُلَّ لِسانٍ، وَأَجْرَتْ قَلَمَ كَرَمِهِ وَأَحْرَزَتْ كُلَّ إِحْسانٍ، وَنَشَرَتْ عَلَمَ عِلْمِهِ وأَدْخَلَتْ تَحْتَهُ كُلَّ فاضِلٍ، وأَرْهَفَتْ شَبا حَدِّهِ وقَطَعَتْ بِهِ كُلَّ مُناظِرٍ ومُناضِلٍ؛ وقالَتْ للسَّحابِ وقد طَبَّقَ: إِليكَ، فإِنَّ البَحْرَ قد جاءَكَ، ولِلنَّوْءِ وَقد أَغْدَقَ: تَنَحَّ، فإِنَّ هذا قد حَصَرَ أَرْجاءَكَ، ولِلرَّعْدِ وقد صَرَخَ: ٱسْكُتْ، فَقد آنَ لهذِهِ الشَّقاشِقِ أَنْ تَسْكُتَ، ولِلْبَرْقِ وقد نَسَخَ آيَةَ اللَّيْلِ: اسْتَدْرِكْ غَلَطَكَ لِئَلاَّ تُبَكَّتَ.

أَما تَرىٰ هذِهِ العُلومَ الجَمَّةَ وكيفَ زَخَرَ بَحْرُها، وأَثَّرَ في الأَلْبابِ سِحْرُها؛ وهذِهِ الفَضائلَ وكيفَ تَفَنَّنَتْ فُنُونُها، وفَتَنَتْ عُيونُها، وتَهَدَّلَتْ بِالأَثْمارِ أَفْنانُها، وتَزَخْرَفَتْ بِالمَحاسِنِ جِنانُها؛ وهذِهِ الأَلْمِعَيَّةَ وكيفَ ذَهَّبَتِ الأَصائِلَ، وهذِهِ اللَّوْذَعِيَّةَ وما أَبْقَتْ مَقالاً لِقائِلٍ، وهذِهِ الفَواضِلَ وقد تَوَقَّدَ ذُبالُها وَتَقَدَّدَ بِها أَدِيمُ الظَّلام وتَشَقَّقَ سِرْبالُها، وهذِهِ البَراعَةَ التي فاضَتْ فَكُلٌّ منها سَكرانُ طافِحٌ، وهذِهِ الفَصاحَةَ وما غادَرَتْ بينَ الجَوانِحِ، وهذِهِ البَلاغَةَ وقد سالَتْ بِأَعْناقِ المَطِيِّ بِها الأَباطِحُ[(١)]، وهذِهِ الصِّناعَةَ وقد اسْتُعِينَ عليها من أَهْلِها بِصالِحٍ، وهذِهِ الصِّياغَةَ وما تارِكٌ فَنَّ الجَوْهَرِ لَها إِلاَّ رابحٌ، وهذِهِ الحِكَمَ البَوالِغَ، وهذِهِ النِّعَمَ السَّوابغَ، وهَذِهِ الدِّيَمَ التي لا تَمْلأُ حَوْضَها من إِناءٍ فارِغٍ، وهذِهِ الشِّيَمَ التي لو تَنَكَّرَتْ ثم مُزِجَتْ بِالفُراتِ لَما شُرِبَ لِسائِغٍ، وهذِهِ الهِمَمُ التي تَرَقَّتْ بِوَجْهِها إِلى السَّماءِ، فَكَشَفَتْ غَيابَةَ عارِضِها وكَفَّت غَوايَةَ البَرْقِ وقَد وَلَعَ وَخطُ مَشِيْبِهِ بِخَطِّ عارِضِها، حتَّىٰ جَلاَّها وَأَضْحاها، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾[(٢)]، ونَفَخَ رَمادَ سَحابِها المُنْجلي عن اللَّهَبِ، وصَفَّحَ جَوَّها الفِضِّيَّ بِاللُّجَيْنِ وسَمَّرَتْهُ الشَّمْسُ بِالذَّهَبِ، وجَلا صَدأَ تِلكَ اللَّيْلَةِ عن صَفيحَةِ ذلكَ اليَوْمِ المُشْمِسِ، وبَدَّلَ بذلكَ الصَّحْوَ المُطْمِعَ من ذلكَ الغَيْمِ المُؤْيِسِ، ونَقَّىٰ لا زَوَرْدَ السَّماءِ من تِلكَ الشَّوائِبِ، وَوَقىٰ عِرْضَ ذلكَ النَّهارِ اليَقَقِ مِن المَعايبِ، وأَتْرَعَ غَديرَ ذلكَ الصَّباحِ خالِصاً من الرَّنَقِ، وَضَوَّعَ عَنْبَرَ ذلكَ الثَّرىٰ خالِياً من اللَّثَقِ، وأَطْلَعَ شَمْسَ ذلكَ اليومِ تُوَشِّعُ جانِبَ مَشْرِقِها، ويُوَشَّىٰ بِذَوائِبِ الذَّهَبِ رِداءُ أُفْقِها؛ فَقُلْتُ[(٣)]: [من السريع]

كَأَنَّما اليَوْمُ وَقَدْ مَوَّهَتْ ... مَشْرِقَهُ الشَّمْسُ وَلا جاحِدُ
ثَوْبٌ مِن الشَّرْبِ وَلَكِنَّهُ ... طُرِّزَ مِنْهُ كُمُّهُ الواحِدُ

أَستغفرُ اللهَ، بل بِشْرُ ذلكَ البِشْرِ، بل ذلكَ المَلَكُ الكَريمُ، وصَفيحَةُ وَجْهِهِ المُتَهَلِّلِ الوسيمِ، لا بل صَفيحَةُ عَمَلِهِ، وصَبيحَةُ أَمَلِهِ، وأُنْموذَجُ إِيْثارِهِ، وَضَوْءُ يَدِهِ البَيْضاءِ، وآثارِهِ، وشَبيهُ ما يَفُضُّهُ لُؤْلُؤُهُ من نِثارِهِ، وغيرُ هذا من أَيادِيهِ البِيْضِ علىٰ إِقْلالِ العَدِّلَهُ وإِكْثارِهِ، فَلِلَّهِ تلكَ اليَدُ المُقَبَّلَةُ، وتلكَ اليَدُ المُؤَمَّلَةُ، وللهِ تلكَ المَواهِبُ المُجْزَلَةُ، وللهِ تلكَ الرَّاحَةُ التي لا يُقاسُ بِها الثُّرَيَّا ولا تَجيءُ الجَوْزاءُ أُنْمُلَهُ؛ وللهِ ذلكَ البَيانُ السَّاحِرُ، وذلكَ البَنانُ السَّاخِرُ، وذلِكَ اللِّسانُ المُذَرَّبُ والبَحْرُ الزَّاخِرُ، وذلكَ

---

(١) من قول كثيّر عزَّة: [ديوانه ٥٢٥]

أَخذنا بأَطرافِ الأَحاديثِ بيننا ... وسالت بأَعناقِ المَطِيِّ الأَباطحُ

(٢) سورة النازعات: الآية ٢٩.

(٣) البيتان في مسالك الأبصار ١٢/ ٥٠٧.

الإنْسانُ الذي طالَ باعُ عِلْمِهِ، وطارَ فَأَوْقَدَ ضِرامَ اليَوْمِ المُشْمِسِ شُعاعُ فَهْمِهِ، وطابَ جَنىٰ عِزِّهِ وجَنابُ حِلْمِهِ، وطافَ الأَرْضَ صِيتُهُ وَنَفَقَ كاسِدُ الفَضْلِ بِاسْمِهِ، ولله وللهِ لِسَيِّدٍ جاءَ بِالفَضْلِ كُلِّهِ، وأَتىٰ بِالأَمْرِ على حِلِّهِ، واقْتَبَسَ من نُورِهِ وآوىٰ إِلىٰ ظِلِّهِ.

لقد أَلْبَسَ المَملوكَ رِداءَ الفَخارِ، وعَرَّفَهُ العَوْمَ، وكانَ لا يَطْمَعُ أَن يَشُقَّ بَحْرَهُ الزَّخَّارَ، ومَحا عنهُ صِبْغَ دُجُنَّةِ تِلكَ اللَّيْلَةِ، وَقَصَّرَ من ذَيْلِها، وقَهْقَرَ من سَيْلِها، وَأَخَذَ بِعَقِيصَتِها، وأَغْرَقَ في تَيَّارِ النَّهارِ سَوادَ لَيْلِها، وَأَطْلَقَ لِسانَهُ مِنَ الاعْتِقالِ، وأَنْطَق بَيانَهُ فقالَ: وَوَفَّقَهُ في البَيانِ ولولا تَوفيقُهُ لَما نَطَقَ، وَوَقَّفَهُ ولولا إِيْقافُهُ لَغَبَّرَ علىٰ آثارِهِ في وَجْهِ مَنْ سَبَقَ، وقامَ وأَقامَ الحُجَّةَ على البُلَغاءِ حيثُ لا يَجِدُ مَن يَقولُ إِلاَّ صَدَقَ. تَمَّت.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ما هالَني، وغَلَّ عَقْلي وغالَني؛ كَتَبْتُ الجَوابَ عن ذلكَ نَظْماً، وهو: [من الكامل]

جاءَ الجَوابُ يَزِفُّ مِنْكَ فَواضِلا ... وَيَرِفُّ في رَوْضِ البَيانِ خَمائِلا
أَغْرَقْتَ غِرَّ السُّحْبِ حِيْنَ وَصَفْتَها ... يا مَنْ غَدا بَحْراً يَموجُ فَضائِلا
لو لَم تَكُنْ يُمْناكَ بَحراً زاخِراً ... ما أَرْسَلَتْ تِلْكَ السُّطورَ جَداوِلا
ضَرْبٌ من السِّحْرِ الحَلالِ مَتىٰ تَشا ... أَخْرَجْتَهُ فَيَعودُ ضَرْباً داخِلا
ما إِنْ جَلا راوِيهِ حُورَ بَيانِهِ ... إِلاَّ وزانَ مَشاهِداً ومَحافِلا
فَمَتىٰ يَرُومُ بِهِ اللَّحاقَ مُقَصِّرٌ ... والنَّجْمُ أَقْرَبُ مِن مَداهُ تَناوُلا
أَبْرَزْتَهُ أُفُقاً فَكُلُّ قَرِيْنَةٍ ... بُرجٌ حَوىٰ مَعْناهُ بَدْراً كامِلا
فَكَأَنَّما تِلْكَ الحُروفُ حَدائِقٌ ... أَمْسَتْ مَعانيها تَصيحُ بَلابِلا
وَكَأَنَّ ذاكَ الطِّرْسَ خَدٌّ رائِقٌ ... والسَّطْرُ فِيهِ غَدا عِذاراً سائِلا
مَهْلاً أَبا العَبَّاسِ قَد أَفْحَمْتَني ... وَتَرَكْتَني بَعْدَ التَّحَلِّي عاطِلا
بِاللهِ قُلْ لي عِنْدَما سَطَّرْتَهُ ... هَلْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَن تُجيبَ الفاضِلا
أَقْسَمْتُ لو جاراكَ في إِنْشائِهِ ... ما كانَ ضَمَّ على اليَراعِ أَنامِلا
حَرَّكْتَ مِنْكَ حَمِيَّةً عَدَوِيَّةً ... مَلأَتْ فَضاءَ الطِّرْسِ مِنْكَ جَحافِلا
كَمْ فِيهِ مِن لامٍ كَلأْمَةِ فارِسٍ ... قَدْ هَزَّ مِن أَلِفاتِ خَطِّكَ ذابِلا
هَلْ شِئْتَ أَنْ تُنْشِيَ الجَوابَ سَحابَةً ... تَنْدىٰ فَجاءَتْ مِنْكَ سَيْلاً سائِلا
يا فارِسَ الإِنْشاءِ رِفْقاً بِالذي ... نازَلْتَهُ يَوْمَ التَّرَسُّلِ راجِلا
لو رامَ أَنْ يَجْري وَراءَكَ خُطْوَةً ... نَصَبَتْ لَهُ تِلْكَ الحُروفُ حَبائِلا
فاحْبِسْ عِنانَكَ قد تَجاوَزْتَ المَدىٰ ... وَتَرَكْتَ سَحْبانَ الفَصاحَةِ باقِلا
والفاضِلُ المِسْكِينُ أَصْبَحَ فَنُّهُ ... مِن بَعْدِ ما قد راجَ فِيْنا خامِلا

فاسْلَمْ لِتَبْليغِ النُّفوسِ مَرامَها فالدَّهْرُ في أَبْوابِ فَضْلِكَ ماثِلا
كم فيكَ لي أَمَلٌ يَروقُ لأنَّني أَدْري بِأَنَّكَ لا تُخَيِّبُ آمِلا

فكتبَ الجَوابَ عن ذلكَ أيضاً[1]: [من الكامل]

وافى الكَمِيُّ بِها يَهُزُّ مَناصِلا .... إلخ القصيدة

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٥٦ـ١٦٢، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٦٠ـ٢٦٥، مسالك الأبصار ١٢/ ٥٠٨.

[٣]

قال الصفدي:

وكَتَبَ [العمري] إِلَيَّ من دمشقَ المحروسَة، وأنا بالقاهِرَةِ المحروسَةِ، يَصِفُ الثَّلْجَ الكائِنَ في شَهرِ اللهِ المُحَرَّمِ، سنة ٧٤٥:

يُقَبِّلُ كذا، لا رأىٰ في هذا الشِّتاءِ كيفَ حالُ أَوِدَّائِهِ، وكيفَ حالُ بَلَدِهِ الذي رَقَّتْ عليهِ حتَّىٰ القاسيةِ قلوبُ أعدائِهِ، وكيفَ حالُ النَّاسِ تحتَ ذُيُولِ هذِهِ الأَشْتِيَةِ المَجْرُورَةِ، ونَوافِضِ هذهِ الرُّعودِ المَقْرُورَةِ، وقُرَّحِ شُقْرِ هذِهِ البُروقِ المَفْرورَةِ، وغُرَرِ هذِهِ الأَيَّامِ المَغْرورَةِ، وسَوافي هذِهِ الغُيوثِ المَذْرورَةِ، وَضَرَرِ هذِهِ الأَنْواءِ الرَّواءِ بالأَرْضِ المَضْرورَةِ، وسُيوفِ هذهِ السُّيولِ الحَدَّةِ المَطْرورَةِ، ونُزولِ هذِهِ الثُّلوجِ بِعُقَدِ البَلاءِ المَصْرورَةِ، ومَشْيِ الخَلائِقِ في أَرْدِيَةِ هذِهِ السُّحُبِ المَزْرورَةِ، وعُبوسِ هذِهِ الثَّنايا الضَّاحِكَةِ وما هِيَ مَسْرورَةٌ، ونوازِلِ هذِهِ الأَمْطارِ التي وُلِدَتْ بِمَواقِعِها القُضُبُ مَخْتونَةً وداراتُ النَّهْرِ مَسْرورَةً، وعَواصِفِ هذِهِ الأَيَّام التي كَأَنَّ بها جِنَّةً أو هيَ لِكَثْرَةِ المُرورِ مَمْرورَةً، وَكَلَبِ بَرْدِ هذِهِ اللَّيالي الذي أَصْبَحَتْ تَتَشَكَّاهُ الكُبودُ المَحرورَةُ، وبُعْدِ مَوْلانا الذي يَعْدِلُ عُمْرَةً كامِلَةً وحِجَّةً مَبْرورَةً.

فلقد أَنْسىٰ السَّنَةَ الماضِيَةَ وَنَشَرَ مَيِّتَها المَدروجَ، وأَعادَ ماضِيَها وَلَيْتَهُ إِذْ جَمَّدَ النَّباتَ لا كَرَّرَ سُكَّرَ الثُّلوجِ، وساءَ أَحوالَ المَدينَةِ، وطافَ طُوفانُهُ بالجامِعِ وَغَرَّقَ السَّفِينَةَ، وأَشابَ رَأْسَ النَّسْرِ وغَطَّىٰ الهِلالَ، وكَسَرَ الصَّحْنَ وأَكَلَ الحائِطَ الشَّماليَّ باليَمِينِ والشِّمالِ، وآذىٰ المَواذنَ والمُؤَذِّنينَ، وأَخْرَسَ القُرَّاءَ والمُؤَمِّنينَ، واقْشَعَرَّتْ لِبَرْدِ أَيَّامِهِ البَرَّادَةُ، وشَهِدَ المَشْهَدُ بِغَماءِ غَمامِهِ، وأَقامَتْ سَبَّاباتِ المَواذِنِ للشَّهادَةِ، وبَطُلَتْ

(١) انظر: القطعة رقم (٢٥) في موضوع شعره.

أَلْوانُ بابِ البَريدِ المُعَدَّدَةُ، وَجَرَتْ أَرْكانُ جَيْرونَ وأَبْوابُهُ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ، وجالَ على الدَّهْماءِ والخَضْراءِ بِشُهْبِ خُيولِهِ، وفَتَحَ أَفْواهَ أَوْدِيَتِهِ والْتَقَمَ أَرْقَمَ كلِّ نَهْرٍ مُتَلَوٍّ وشَرِبَهُ بِسُيولِهِ، وساءَ بَياضُ يَوْمِهِ سُودَ مَراتِعِها وخُضْرَ مَرابِعِها، وَشَوَّهَ في هذِهِ الشَّتْوَةِ الأَلْوانَ، وَبَسَطَ ذَيْلَهُ على الوِهادِ وَعَقَدَ حُباهُ على الكُثْبانِ(١).

وجاءَ هذا الشِّتاءُ بالعَجَبِ، وَذَكَّرَ دمشقَ في هذِهِ السَّنَةِ بِما خَلا في الخالِيَةِ من واقِعَةِ حَلَبَ(٢)، وأَنْسىٰ في كُلِّ لَيْلَةٍ من لَيالي رَمَضانَ لَيْلَةَ جُمادىٰ، وَدَفَنَ ثَلْجُها سَوْءاتِ ثَلْجِ سَنَتِنا الماضِيَةِ، وَذَرَّ عليها رَماداً، وطالَتْ أَيّامُهُ والأَعمارُ الذّاهِبَةُ بِهِ قِصارٌ، واسْتَطالَتْ جُنودُهُ المُهاجِرَةُ وَقَلَّتِ الأَنْصارُ، وجاءَتْ أَفْواجُهُ وكانَتْ في عِلْمِ الغَيْبِ، وقَدِمَتْ من وَراءِ البُروقِ من بِلادِ الرُّومِ وقادِمُها صُهَيْبٌ، وأَقْبَلَتِ السُّحُبُ بِخُيوطِ أَنْوائِها وَتَقَطَّعَتِ الأَسْبابُ، وفَتَّحَتْ خُوخَ البُروقِ في السَّماءِ المُفَتَّحَةِ الأَبْوابِ، وأَصْبَحَتْ بغارِبِ النَّوْءِ كُلُّ ذُرْوَةٍ كَأَنَّها سَنامٌ، وبِمُجْتَحِفِ السَّيْلِ كُلُّ عَيْنٍ كَأَنَّها مَنامٌ، وَوَقَعَ كُلُّ جَبَلٍ على جَنْبِهِ وقَد عَصَبَ رَأْسَهُ مِمَّا تَصَدَّعَ، وفاضَ كلُّ وادٍ امْتَلأَ بَطْنُهُ مِمَّا شَرِبَ وانْتَفَخَتْ رَوابِيهِ مِمَّا تَضَلَّعَ، وعَمَّتْ أَهْوالٌ، وَأَغَمَّتْ أَحْوالٌ، وكانَ لِلمدينَةِ أَيُّ يَوْمٍ، ولِلَيْلَتِها في يَوْمِهِ أَيُّ نَوْمٍ، وَدَخَلَتْها بِالجَواريفِ البَقَرُ لِجَرْفِ الثَّلْجِ، وما دَخَلَتْ آلَةُ الحَرْثِ دارَ قَوْمٍ(٣).

هذا بعدَ تَوالي أَيَّام ما نَعْرِفُ ما نَقُولُ فيها، إلاَّ أَنَّها شَغَلَتِ الشَّيْخَ أَبا تَمَّام وشَيَّبَتِ الوَلِيدَ، وَحَجَبَتِ الدَّارَ فَما نُظِرَ إليها إلاَّ من وراءِ زُجاجَةٍ مِـن الجَلِيدِ، وعَزَّ بِها حَتَّىٰ علـى المَيِّتِ أَنْ يُقْبَرَ، ولم يُرَ فيها قَتيلٌ في بَيْتِهِ إلاَّ أَنَّهُ القَتيلُ المُصَبَّرُ، ولـم يَبْدُ من شُهُودِ الجِبالِ ذَواتِ الذَّوائِبِ، إلاَّ كُلُّ مُعَذَّبٍ بِالرَّحْمَةِ، ولا مِنْ عُهُودِ الغَمامِ

(١) ينظر ما يقوله المؤرّخون في كائنة الثلج سنة ٧٤٥، في: تذكرة النبيه ٣/ ٦٣ والبداية والنهاية ١٨/ ٤٧٧ والذيل التام ١/ ٦٨ وتاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٤١٣.

(٢) قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ١٨/ ٤٦٩ـ٤٧٠: وفي صبيحة يوم السبت الخامس عشر منه [= شعبان سنة ٧٤٥] قبل الظهر، جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس لِخفَّتِها، ولله الحمدُ والمِنَّة؛ ثم تواترت الأخبار بأَنَّها شعَّثت في بلاد حلب شيئاً كثيراً العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب، وكثير من دُورها ومساجدها ومشاهدها وجُدرانها؛ وأمَّا في القلاع حولها فكثيرٌ جدّاً؛ وذُكر أنَّ مدينة منبج لم يبقَ منها إلاَّ القليل، وأنّ عامَّة السّاكنين بها هلكوا تحت الرَّدم، رحمهم الله.
وينظر: تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٣٦٠ـ٣٦١ وتذكرة النبيه ٣/ ٥٨ـ٦٠.

(٣) الإشارة إلى قول الرَّسول ﷺ عندما رأى سِكَّةً وشيئاً من آلة الحَرْثِ: «لا يدخلُ هذا بيتَ قومٍ، إلاَّ أُدْخِلَهُ الذُّلُّ». (صحيح البخاري ٣/ ٦٦).

المُمْتَدِّ السَّحائِبِ إلاَّ كُلُّ مَنْشُورٍ أَبْيَضَ كَالفَحْمَةِ.

فلمَّا راعَ المملوكَ مَنظَرُهُ وساءَهُ، ورأىٰ نَهارَهُ الطَّويلَ وقد جَعَلَ طَرَفَ جناحَيْهِ مَساءَهُ، اسْتَصْرَخَ على رُعودِهِ الصَّارِخَةِ، واسْتَعانَ على بُروقِهِ النَّافِخَةِ، واسْتَنْصَرَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَنْ يَهْتِفُ بِهِ الدَّاعِي، وتَهْفو إليهِ المَساعي، وأَرْسَلَ رُسُلَهُ يَشْكُو سَعْيَ هذا المَطَرِ المُفْسِدِ، فجاؤوا يَجْرِي وراءَهُم السَّاعي، ولم يُدْعَ منهُمْ مَن لم يُسْتَرَشْ بِجَناحِهِ، وَتُفْرَسْ عادِيَةُ هذا العَدُوِّ بِسِلاحِهِ، ويُرَدَّ بِهِ أَشَدُّ بَأْساً من هذا الشِّتاءِ، فأَمَّا هو وكَلَبُ بَرْدِهِ فَلاَ يُنَحَّىٰ بِحَجَرٍ لِنُباحِهِ.

وقد جَمَعَ المَملوكُ ذلكَ كُلَّهُ ـ الابْتِداآتِ والأَجْوِبَةَ ـ بينَ دَفَّتَيْ دَفْتَرٍ، وأَضافَ إليهِ مَقامَةً من ذَخائِرِ مَولانا التي لم يَزَلْ بِها يَتَكَثَّرُ، وأَثْبَتَ هذا الكِتابَ، وأَخْلىٰ مَكانَ الجَوابِ، فَلَعَلَّهُ يُنْعِمُ بِهِ لا بَرِحَ مُنْعِماً، ولا زالَ سالِماً ما عَلَيْهِ إلاَّ ما يَرِدُ من مَطَرِ السَّما، ولا فَتِىءَ يُكْمِلُ النَّقْصَ، ولو لم يَكُنْ مالِكاً لَما جُعِلَ، وحاشاهُ من الرَّيْبِ مُتَمِّماً، إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ.

فكتبتُ أنا الجَوابَ إليهِ:

يُقَبِّلُ الأَرضَ التي يَخْجَلُ السَّحابُ من نَداها، وَيَشْفي لَثْمُ تُرابِها القُلوبَ من صَداها، وتَؤُمُّها الأَيَّامُ بِأَلمَنِّ وتَغْدُوها الخُطوبُ إلى عِداها، تَقْبيلاً يَزْدادُ بِهِ شَرَفاً، ويَعْتادُ تَكْرارَهُ ولا يَعْتَدُّهُ سَرَفاً، ويَجْعَلُ مَواطِئَها بِمَواقِعِ لَثْمِهِ رَوْضَةً أُنُفاً.

ويُنْهي وُرودَ المِثالِ العالي، تَجَلَّىٰ حَبْرُهُ في حِبَرِهِ، وَيَفْضَحُ زَهْرَ الأُفُقِ رَوْضُهُ بِزَهَرِهِ، وَتَتَحَقَّقُ النَّواظِرُ حُسْنَ صَنائِعِهِ وَما دَبَّجَهُ القَلَمُ فِيهِ بِأَثَرِهِ، ويُهدي إلى الأَسْماعِ إِنْعامَ أَنْغامِهِ، ويَجْلو على العُيونِ صُوَرَ سُوَرِهِ؛ فَوَقَفَ لَهُ وانْتَصَبَ، وافْتَخَرَ بِوُرودِهِ على بَني الأَيَّامِ وانْتَسَبَ، وانْتهىٰ إلى الإشارَةِ الكَريمَةِ في أَخْبارِ الثُّلوجِ الَّتي طَمَّتْ وغَمَّتْ، وأَوْضَحَتْ أَنْباءَها وما عَمَّتْ، وساقَتْ إلى الشَّامِ قِطَارَ القُطارِ وَزَمَّتْ، وَنَمَتْ بَرَكاتُ مَواقِعِها ونَمَّتْ وَتَمَّتْ، وَهَمَتْ سَحائِبُها بالعَذابِ وأَهَمَّتْ، فإنْ لَمْ تَبْلُغِ القُلوبُ الحَناجِرَ فقد هَمَّتْ؛ فإنْ كانَتْ هذِهِ السَّنَةُ أَرْبَتْ بالثُّلوجِ على الأُولىٰ، وزادَتْ عَرْضَ الأَرْضِ طُولاً، وجَعَلَتْ صَحيحاتِ النَّواظِرِ حُولاً، فَما يَظُنُّ المَملوكُ إلاَّ أَنَّ اللهَ تعالىٰ نَسَفَ جِبالَ الشَّامِ ثَلْجاً، وَجَعَلَ حَواجِبَها المُمْتَدَّةَ على عُيونِ الأَرْضِ بَلْجاً.

على أَنَّ الدِّيارَ المِصْرِيَّةَ في هذا العام وَصَلَ إليها فَضْلَةُ ذلكَ البَرْدِ، ورَمىٰ أَهْلَها بِما لا عَهِدُوهُ من مِزاجِها الذي كَأَنَّهُ زَمَنُ الوَرْدِ، فلو تَرىٰ أَحَدَهُم وقد أَخَذَهُ النَّافِضُ، ونَحَّاهُ القَرُّ بِعامِلِهِ الرَّافِعِ الخافِضِ، لا يَحْمِيهِ حِصْنُ فَرْوَةٍ ولا يُجِنُّهُ، ولا يَصُدُّ عَنهُ نَفْحَة

زَمْهريرٍ ولا يُكِنُّهُ؛ لَتَوَهَّمْتَهُ أخا وَجْدٍ يَهْتَزُّ طَرَباً، أو غُصْناً اعْتَوَرَ عليهِ رِيْحا شِمالٍ وصَبا، قَد رُكِّبَتْ أَعْضاؤُهُ من الزِّئْبَقِ فَما تَسْتَقِرُّ، وَجَفَّتْ لَهَواتُهُ يُبْساً فَما تَسْتَدِرُّ، لا يَمُدُّ كَفَّهُ ولو بايَعَهُ النَّاسُ على الخِلافَةِ، ولا يُخْرِجُ يَدَهُ ولو كان فَقيراً إلى كِيْسِ ذَهَبٍ أَوْ نَدِيماً إلى كَأْسِ سُلافَةٍ، وَلا يَنْبَعِثُ لِعَمَلٍ كأَنَّهُ إنَّ وقد دَخَلَتْ عليهِ ما الكافَّةُ، ولا يُصَدِّقُ حَديثَ شَمْسٍ ولو كانَ بالقُطْرِ الجَنوبيِّ شِتاءً، ويقولُ: حَديثُ خُرافَة[1]: [من الكامل]

ويَرىٰ عِتاقَ الطَّيْرِ في وُكُناتِها … تَخْتارُ حَرَّ النَّارِ والسَّفُّودا
وإذا رَمىٰ فَضَلاتِ كَأْسٍ في الهَوىٰ … عادَتْ عليْهِ من العَقِيقِ عُقودا

كم بَكىٰ أَنْفُهُ، وَدَمْعُ جُفونِهِ أَحَقُّ بِتِلْكَ العَبَراتِ، وكم طافَ بِكَعْبَةِ كانُونٍ وما أَتىٰ غَيْرَ الجَمَراتِ، يَكادُ لِذلِكَ البَرْدُ واليُبْسِ يَتَجَسَّدُ حتَّىٰ الكَلامُ، وَيَتَوَسَّدُ الإِنْسانُ طَلَبَ الدِّثارِ تَحْتَ الرِّجام، تَلْهَجُ الرِّعْدَةُ بِهِ لَهْجَ السُّكونِ بِحَرْفِ العِلَّةِ، أَو عُيونِ العُشَّاقِ بِالدُّموعِ المُسْتَهِلَّةِ، أَو البَدائِعِ والبَداثِهِ بِكَلِمَاتِ مَولانا المُتَدَفِّقَةِ، أَوِ الفَهاهَةِ والعِيِّ بِعِبارَةِ المَملوكِ وكَلِماتِهِ المُتَلَفِّقَةِ.

لقد تَحقَّقَ أَنَّ عُنْصَرَ النَّارِ ذَهَبُ فَلَكُهُ، وَأَنَّ الأَثِيرَ تَقَطَّعَتْ حُبُكُهُ، يا رَحْمَتا لَهُ من عارٍ يَحْسَبُ أَنَّ النُّخَّ[2] نَخا تَحْتَهُ فَنَكُ، ويا عَجَباً لَهُ من عاجِزٍ عَنِ الكَلامِ وَكَمْ دَقَّ بالحَنَكِ، هذا وبَيْنَ الإِقْليمَيْنِ من هذا البُعْدِ الذي ما لِلُجَّهِ ساحِلٌ، والمَسافَةِ التي إذا سَرىٰ فيها طَيْفُ شَيِّقٍ أَصْبَحَ دُونَ الغايَةِ بِمَراحِلَ، ولم يَصِلْ إِلَيْنا إلاَّ فُضالاتُ تلكَ العَواصِفِ، ولُفاظاتُ ما يَنْفُثُهُ فَمُ الجَوِّ من الرُّعودِ العَواصِفِ، فَهذِهِ رُموزُ ما هُناكَ من التَّصريحِ، وبَعْضُ شرَرِ ما يَنْفُخُهُ كِيْرُ الرِّيْحِ، فكيفَ بِمكانٍ كانَ فيهِ المَصْرَعُ؟ ومَظانٌّ ما يَنْشَأُ عَنِ الرِّياحِ الأَرْبَعِ، ومَواطِنَ إذا كانَتِ الرِّيْحُ رُخاءً مَرَّتْ بِهِ وهي زَعْزَعٌ، وبِقاعٍ أَصْبَحَ الغُرابُ الأَبْقَعُ بِثَلْجِها قُمْرِيّاً، وبِلادٍ تَتَّخِذُ الشَّمْسَ في المَصِيفِ ظِهْرِيّاً، كَأَنَّها بِلادُ أَبِي الطَّيِّبِ التي لَبِسَتْ عليهِ مَسالِكَهُ، وَغَدَتْ بِبَياضِها وهي سَوْداءُ حالِكَةٌ، فَأَقْبِحْ بِتِلْكَ الأَرْضِ إذا أَصْبَحَتْ ثُغوراً تَضْحَكُ، وأَبْعِدْ بِتِلْكَ الأَنْداءِ التي يَنْحَلُّ منها الكافورُ وَيَنْحَكُّ؛ ولقد كابَدَ المَملوكُ ثُلوجَها ولا إلىٰ هذا الحَدِّ، وعالَجَ أَنْواءَها ولكن ذلكَ لَعِبٌ وهذا جِدٌّ، ولقد أَذْكَرَني ما قُلْتُهُ فيها في وَقْتٍ، وهو[3]: [من السريع]

تَبّاً لَها من بَلْدَةٍ لا أرىٰ … فيها مَقامي واضِحَ النَّهْجِ

(١) البيتان للباخرزي، في ديوانه ١٠٠ـ١٠١. وبلا نسبة في الكشف والتنبيه ٢٤٦.
(٢) النُّخّ: بساطٌ طوله أكثر من عرضه. (القاموس).
(٣) البيتان في الغيث المسجم ١/١١٨ والكشف والتنبيه ٢٤٩.

لأَنَّـهـا فـي وَجْـهِ سُـكَّـانِـهـا وَأَهـلِـهـا تَـبْـصُـقُ بِـالـثَّـلْـجِ

وللهِ الوَداعيّ[1] حيثُ يَقولُ[2]: [من المنسرح]

أَقـولُ والـثَّـلْـجُ قـد نُـشِـرْنَ لَـهُ عـلـىٰ وُجـوهِ الـمَـلا مُـلاآتُ

لَـوْ لَـمْ تَـكُـنْ قـامَـتِ الـقـيـامَـةُ مـا بُـدِّلَـتِ الأَرْضُ والـسَّـمـاواتُ

واللهُ المَسْؤولُ في الإعانَةِ، والمَرْجُوُّ لِحُسْنِ العاقِبَةِ، لا إِلهَ إلاَّ هُوَ سُبحانَهُ؛ ومَولانا في وِقايَةٍ من اللهِ تَكُفُّ عنهُ الأَسْواءَ، وتَرُدُّ الأَدْواءَ، وتَصُدُّ الَّلأْواءِ، ونِعْمَةٍ من اللهِ تُصاحِبُهُ صَباحَ مَساءَ، وتُبَلِّغُهُ من المآرِبِ والمَسارِبِ حيثُ سارَ وحَيْثُ شاءَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ.

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٦٣ ـ ١٦٨.

[٤]

قال الصفدي: وكَتَبَ إليَّ وقد تَواتَرَتِ الأَمْطارُ في شهر شباط من سنة ٧٤٦هـ[3]: [من البسيط]

هِيَ السَّحائِبُ أَمَّا وَجْهُها فَنَدِ ... إلـخ الـقـصـيـدة

يُقَبِّلُ كذا، لا زالَت سَنَةُ أَنوائِها ماطِرَةً، وسِنَةُ الكَرىٰ في مُقَلِ نَوَّارِها خاطِرَةً، وسُنَّةُ رِياضِها أَن تَتَبَرَّجَ مِنْهَا كلُّ عاطِرَةٍ، ولا بَرِحَتْ أَلْسِنَةُ بُروقِها لِقُلوبِ السُّحُبِ فاطِرَةً، وأَسِنَّةُ دَوْحِها من ذَلاذِلِ الأَنْداءِ قاطِرَةً، لِتَحْفَظَ لِمَواثِيقِ السُّحُبِ العُهودَ، ويُفَضَّ من وَثِيقِ السُّحُبِ العُقُودُ، وتَعْلَمَ يَدُ الأَنْواءِ إذا ضَنَّتْ بِالجُودِ كَيْفَ تَجُودُ.

مِن خَبَرِ هَذِهِ الخِدْمَةِ، وإِنْ تَقَسَّمَتْ أَقْساماً، وسَرَّتْ أَقْواماً وساءَتْ أَقْواماً، الإِعْلامُ بِأَخْبارِ هذا الشِّتاءِ، وأَحْوالِ هذا الحَوْلِ في الهَرَمِ والفَناءِ، وَأَنَّ الصَّيْفَ أَقامَ إِلىٰ آخِرِ كانُون، وما أُوقِدَتْ فِيهِ لِغَيْرِ شَمْسِهِ جَمْرَةٌ، ولا عُرِفَ من قَوْسِ قُزَحَ في غَيْرِ جَناحِ شُعاعِهِ خُضْرَةٌ ولا حُمْرَةٌ، ولا فُتِحَتْ فِيهِ للسَّماءِ أَبْوابٌ، ولا بَرَزَتِ الأَرْضُ من صَنْدَلِ

---

(١) الوداعي: عليّ بن المظفّر بن إبراهيم، كاتب ابن وداعة؛ توفي سنة ٧١٦هـ. (الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٩٩).

(٢) البيتان في الكشف والتنبيه ٢٤٦.

(٣) انظر: القطعة رقم (١١) في موضوع شعره.

الطِّيْبِ في إِزارٍ ولا أَثْوابٍ، حتَّىٰ إذا قَيَّظَ النَّاسُ، وقُيِّضَ الباسُ، وقيلَ: هذا الشِّتاءُ قد آذَنَ بِذَهابٍ، وهذا البَرْقُ لا تَفْضيضَ منهُ لِمَنْثُورِ مَصاحِفِ السَّماءِ ولا إِذْهابَ، آبَ منهُ ما ظُنَّ أَنَّهُ لا يَؤوبُ إلاَّ بعدَ آبٍ وأَيلولَ، ولا يُرىٰ إِلى السَّنَةِ الآتِيَةِ رُدْنُ رَوْضٍ مَبْلولٌ.

وَأَقْبَلَ وَقد تَقَطَّعَ خَيْطُ مُزْنِهِ، وسَمَحَ منهُ بِالكَثيرِ بعدَ طُولِ خَزْنِهِ، وجاءَ وِعاءُ المَطَرِ في آخِرِ الشِّتاءِ مَحْلولَ الرِّباطِ، وكُلُّ ما كَنىٰ عنهُ كانُونُ صَرَّحَ بِهِ شُباطُ، فَجاءَ لا نَعْرِفُ أَيَّامَهُ من لَيالِيهِ، ولا رَوائِحَهُ من غَوادِيْهِ؛ وَتَواصَلَ مِدْراراً، وسالَ وسأَلَ اسْتِمْراراً، واسْتَدْرَكَ فائِتَ الغَمامِ، وَأَقْبَلَ بِالسُّحُبِ الثِّقالِ والبِحارِ العِظامِ، ودَنا هَيْدَبُهُ مِن الأَرْضِ واقْتَرَبَ، وحَلَّ صَيِّبُهُ وِكاءَهُ وَسَكَبَ بِأَفْوَاهِ القِرَبِ، وَحَلَّ صَبيبَهُ إلاَّ أَنَّهُ ما جاءَ بِدِمْقَسِ حَريرِهِ الأَبْيَضِ إلاَّ مَحلولاً، ولا طارَ جَناحُ غَمامِهِ الغِرْبِيبِ الأَسْوَدِ إلاَّ مَبْلولاً، وَمَثَلَ فِيهِ السَّحابُ وَتَرْجَمَ عَنِ البَحْرِ بِفِيهِ، وَهَبَّتْ فِيهِ عَواصِفُ الشِّتاءِ وكانَ يُقالُ: إنَّ رَوائِحَ الصَّيْفِ فِيهِ، إلاَّ أَنَّ سُيوفَهُ لم تُسَلَّ، وَأَيْدي مُزْنِهِ فِي سَلاسِلِهِ لَم تُغَلَّ، وَصَوارِخَ رُعودِهِ ما كانَ منها في هذِهِ السَّنَةِ فَتَّاشٌ، وطُرُقَ أَنوائِهِ لم يَكُنْ مِنْهَا في هَذِهِ المُدَّةِ رَشَّاشٌ، وإِنَّما جاءَتْ وِفاقاً، وأَتَتْ عَمْداً وإِنَّما كانَتْ اتِّفاقاً؛ والرَّكْبُ قد حُبِسَ وما انْطَلَقَ، وَلَجَأَ إِلى ذُرْوَةٍ وخافَ الغَرَقَ، وأَضْحَتِ الإِبلُ في حَورانَ قَبْلَ رَمْلِ عالِجٍ بَوارِكَ، وسُرَّتْ فَلَجَأَتْ إِلى الشَّامِ بِمِثْلِ أَفْواهِ الهِجانِ الأَوارِكِ، وزادَ الأَمْرُ حتَّىٰ مُنِعَ طَوارِقُ أَخْبارِهِمْ أَنْ يَجينَ، وجُعِلَ زادُ الحُجَّاجِ وَفائِقُ أَخْبارِهِمْ من عَجِينٍ، هذا وكم من جَمَلٍ قد كُسِرَ، وَرَجُلٍ مُطْلَقٍ في سَبيلِهِ في حِبالِ الشِّتاءِ وقد أُسِرَ، وذِي هِمَّةٍ كانَ كأَنْ لَمْ يُفارِقِ المَدينَةَ قد رَجَعَ، وآخَرَ صَمَّمَ بِعِزِّ العَزْمَةِ إلاَّ أَنَّهُ لم يَحْمَدِ المُنْتَجَعَ.

وكانَ الرَّكْبُ الحِجازِيُّ في هذِهِ السَّنَةِ بَحْراً يَعُجُّ عَجاجُهُ، وبَرّاً يَضيقُ بِنازِليهِ فِجاجُهُ، وأَكْثَرُ القَوْمِ غُرباءُ، فَجاؤوا من بَعيدِ المَسْرىٰ، وأَتَوْا من خَلْفِ دارِ قَيْصَرَ وكِسْرىٰ، ورَكِبُوا الأَهْوالَ، وبَذَلوا الأَمْوالَ، وخاضُوا الأَوْحَالَ، إِلىٰ هذِهِ الأَحْوالِ.

وقد حَبَّرَ المَملوكُ بِيْضَ الصَّحائِفِ بِسَوادِ هذا الخَبَرِ، وعَبَّرَ عن بَعْضِ هذِهِ العِبَرِ، وإِنَّما الأَجْرُ على قَدْرِ المَشَقَّةِ، ولولا هذا لما قاسَ ذِراعَ مَطِيِّهِ وقاسىٰ تِلكَ الشُّقَّةَ، وَمَن عَرَفَ ما يَطْلُبُ هانَ عليهِ ما يَبْذُلُ، والصَّعْبُ في لِقاءِ الحَبِيبِ يَسْهُلُ، وهَؤلاءِ وَفْدُ اللهِ ورَسولِهِ ﷺ واللهُ ما يُضَيِّعُهُم، ولا يُنْسى لَدَيْهِ صَنيعُهُمْ: [من الطويل]

وطُوبى لِمَنْ أَمْسىٰ على دارَةِ الحِمىٰ ... لَـهُ مَـنْـزِلٌ أَوْ دُونَـهُ بِـقَـلـيـلِ

لا زالَتْ سَماؤُهُ مَصْحِيَّةً، وشُموسُ أَيَّامِهِ مَضِحْيَّةً.

فكتبتُ أنا الجَوابَ إليهِ عن ذلك:

يُقَبِّلُ الأَرْضَ مَعْنىً، وإلاَّ فَأَيْنَ الأَرْضُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ وُجودَها ذِهْناً، وإلاَّ فَهي مَفْقودَةٌ لِيَوْمِ العَرْضِ، غَطَّتِ الأَمْطارُ ثَراها، وشَطَّتْ مَنازِلُها وبَعُدَ حِمَاها، وَحَطَّتْ بِها رَكائِبُ السُّيولِ فاجْتَحَفَتْ تُرْبَها فما نَراها (تُرْباً)، وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَا لا الزُّبىٰ، وَزَكىٰ الغَيْثُ وَنَمَتْ بَرَكاتُهُ وَرَبا، وأَقْبَلَ شُباطُ فما آبَ آبٌ، وَوَلَّىٰ تَمُّوزُ هَرَباً، فَأَيْنَ المَفَرُّ ولا عاصِمَ؟ وأَيْنَ الخَلاصُ ونَحنُ بِمُدىٰ هذِهِ البُروقِ في حَزِّ الغَلاصِمِ ؟ وكيفَ وُضوحُ الحُجَّةِ لِلنَّجاةِ، وهذِهِ الرُّعودُ القاصِفَةُ تُخاصِمُ ؟ وكيفَ وكيفَ وكيفَ ؟ وهذا البَرْدُ قد فَعَلَ في الأَجْسامِ ما لا يَفْعَلُهُ ذُبابُ الصَّيْفِ، وأَهْونْ بِهِ، بلْ ولا ذُبابُ السَّيْفِ.

ويُنْهي ورودَ الأَبْياتِ الدَّالِيَّةَ تَجُرُّ رِداءَ حُسْنِها، وتَصِفُ شِدَّة حَلَّتْ بِنا، وما نَحْنُ وَزْنَ مُزْنِها، وتَسْرُدُ خَبَرَ النُّفوسِ التي ارْتاعَتْ في أَجْسادِها، وما كأَنَّها في كِنِّها، وتَتَّصِلُ بِرَوْضَةِ حَمائِمُها ساجِعَةٌ، وكَواكِبُ فَضْلِها للاسْتِقامَةِ راجِعَةٌ، وعُيونُ مَحاسِنِها تَسْهَرُ لَها العُيونُ وهيَ مِلْءَ جُفونِها هاجِعَةٌ، فَشَغَلَهُ حَلْيُها الذي لا يُعارُ لِسِواها، وبُهِتَ لِهذِهِ النَّيِّراتِ التي رَفَعَ قَلَمُهُ سَمْكَها فَسَوَّاها، وَتَنَزَّهَ في نِقْسِها الذي أَغْطَشَ لَيْلَها، وطِرْسِها الذي أَخْرَجَ ضُحاها.

وقالَ: أَلا هَكذا فَلْيَكُنْ كلامُ مَن أَنْشا، وأَبْطَنَ المَعاني البَليغَةَ وغَشَّاها مِنَ الأَلْفاظِ وما غَشَّىٰ، وكَتَبَ وهذا مَجازٌ، وإلاَّ فالحقيقةُ أَنَّهُ طَرَّزَ وطَرَّفَ، وَوَشَّعَ وَوَشَّىٰ، وما يقولُ المَملوكُ إلاَّ أَنَّ مَولانا مَلَكَ هذا الفَنَّ والنَّاسُ عليهِ عِيالٌ، وهو يَمْشي في نُورِ أَيَّامٍ والنَّاسُ يَخْبِطُونَ في ظُلماتِ لَيالٍ، وهو يَقْطِفُ زَهْرَ الكَلامِ ويَجْني ثِمارَهُ، وغَيْرُهُ يَحْتَطِبُ شَوْكَ السِّياجِ والسِّيالِ.

فلقد وَصَفَ هذِهِ الشَّدائِدَ بِما وَصَفَ، وحكىٰ الحالَ الذي كم بارِقٍ فِيهِ لَمَعَ، وكَمْ راعِدٍ قَصَفَ، وَأَطْرَبَ الأَلْبابَ فَلا خَدُّ وَرْدٍ إلاَّ في خَجَلٍ، وَلا غُصْنُ بانٍ إلاَّ انْقَصَفَ؛ وهو حَرَسُهُ اللهُ تعالىٰ إذا وَصَفَ عَرَفَ ما يَقولُ، وأَتىٰ بِما تَنْفَصِمُ لَهُ عُقودُ العُقولِ، وحَسَّنَ ما يَهونُ وَرَوَّعَ ما يَهولُ، وأَوْضَحَ المَعاني فَما تَخْفىٰ إلاَّ على غَبِيٍّ أَوْ جَهُولٍ، فاللهُ يُديمُ لنا هذِهِ الفَوائِدَ التي هي لِذُنوبِ هذِهِ الشَّدائِدِ كَفَّارَةٌ، ولِهذِهِ السَّيِّئاتِ الشَّتوِيَّةِ غَفَّارَةٌ.

وقد أَجابَ المَملوكُ عن هذِهِ الأَبياتِ الطَّائِلَةِ بِقُصُورِهِ، وأَتىٰ بِأَكْواخِهِ الضَّيِّقَةِ إلىٰ مَلِكِ الإِنْشَاءِ وهو في فَسيحاتِ قُصورِهِ، وما ثَمَّ إلاَّ سِتْرُ مولانا الذي عَوَّدَ إِسْبالَهُ،

وحِلْمُهُ الذي يَسَعُ هَفَواتِ غَيْرِه، ولو أَنْصَفَ نَتَفَ سِبالَهُ؛ وهي[(١)]: [من البسيط]

ما لِلْغَمائِمِ قد أَرْسَتْ على البَلَدِ ... ولَم تُفارِقْ مَغانِيْهِ مَدىٰ الأَبَدِ
وحينَ لاحَتْ على بُعْدٍ طلائِعُها ... ساقَتْ إِلَيْنا بَريْدَ البَرْدِ والبَرَدِ
خاطَتْ عَلَيْها ثِيابَ السُّحْبِ فَالْتَأَمَتْ ... هَذا وخَيْطُ الحَيا خالٍ من العُقَدِ
ولم تَبِتْ أَعْيُنُ الأَنْواءِ باكِيَةً ... إلاَّ ولِلْبَرْقِ فيها حُمْرَةُ الرَّمَدِ
كَم شَقَّقَ الرَّعْدُ جَيْباً من سَحائِبِهِ ... وقَلَّبَ البَرْقُ فيها قَلْبَ مُرْتَعِدِ
يا للعَجِيبِ قِبابُ السُّحْبِ قد وَقَفَتْ ... هذا الزَّمانَ وما قامَتْ على عَمَدِ
فاسْمَعْ حَدِيْثَ عَناءٍ قد أَحاطَ بِنا ... من عَهْدِ نُوحٍ وحتَّىٰ الآنَ لم يَرِدِ
أَبو قِلابَةَ يَرْوي اليَوْمَ عن مَطَرٍ ... عن ثابِتٍ عن يَزيدٍ واصِلَ السَّنَدِ
لا يُوحِشُ اللهُ من شَيْءٍ يُقالُ لَهُ ... شَمْسُ النَّهارِ فَما تَبْدُو لِمُرْتَصِدِ
أَمَّا النُّجُومُ فَشَيْءٌ كانَ في زَمَنٍ ... مَضىٰ حَمِيداً فقد وَلَّىٰ ولم يَعُدِ
كَذا الفِراءُ وكانَتْ ذاتَ مَنْفَعَةٍ ... «أَقْوَتْ وطالَ عَلَيْها سالِفُ الأَبَدِ»[(٢)]
وهَكَذا كُلُّ لِبْدٍ كُنْتَ تَعْهَدُهُ ... «أَخْنىٰ عَلَيْهِ الذي أَخْنَىٰ على لُبَدِ»
وَمُذْ نَشَدْتُ ثِياباً أَسْتَعِينُ بِها ... «عَيَّتْ جَواباً وما بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ»
قَدْ أَقْفَرَتْ راحَتي من راحَتي وخَلَتْ ... «ولم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بِالصَّفَدِ»
فَلا تَقُلْ إِنْ ذا لِلزَّرْعِ مَصْلَحَةٌ ... «يَسْعىٰ لِنَفْعِي ويَسْعىٰ سَعْيَ مُجْتَهِدِ»[(٣)]
فَلَيْتَ هذا الشِّتاءُ الصَّعْبُ مُذْ وَقَعَتْ ... «عَيْني عَلَيْهِ افْتَرَقْنا فُرْقَةَ الأَبَدِ»
بَرْدٌ لو اَنَّ الوَرىٰ جاءَتْ تُبايِعُني ... على الخِلافَةِ لم أَقْدِرْ أَمُدُّ يَدِي
ما نَحْنُ من قَوْمِ نُوحٍ كي يَطوفَ بِنا الطُّـ ... ـوفانُ فافْهَمْ لِتَعْرِيضي على بُعُدِ
لَقَدْ سَكِرْنا مِنَ الهَمِّ المُبَرِّحِ لا ... من راحِ راحَةِ ساقٍ فاتِنِ الجَيَدِ
فالوَكْفُ راووقُنا والبَيْتُ باطِيَةٌ ... ونَحْنُ مِثْلُ حَبابٍ فيهِ مُنْتَضَدِ
فالأَنْفُ باكٍ لأَنَّ العَيْنَ جامِدَةٌ ... والجِلْدُ مِمَّا يُلاقِي عادِمُ الجَلَدِ
قَد مَرَّ كانُونُ خِلْواً من أذىً وقَذىً ... وجَمْرَةُ الشَّمْسِ لا تَخْبُو لِمُتَّقِدِ

---

(١) ستة من هذه الأبيات في الكشف والتنبيه ٢٣٣.

(٢) الأعجاز الآتية مضمَّنة من داليّة النابغة الذُّبياني، ديوانه ٢-٢٦.

(٣) هذا العجز والذي يليه مضمّنان من قول أُسامة بن منقذ في ضرسٍ له قَلَعَهُ: [ديوانه ١٥٢ ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٠]:

وصاحِبٍ لا تملُّ الدّهر صحبتَه ... يشقىٰ لنفعي ويسعى سعيَ مجتهدِ
لم يَبْدُ لي مُذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظريّ افترقنا فرقة الأبدِ

فَجا شباط بِسِيْباطِ السَّحابِ إلىٰ ... أَنْ جَلَّلَ الأُفْقَ ثَوْباً لَمْ يُخَطْ بِيَدِ
فَكَمْ رَمىٰ نَبْلَ وَبْلٍ باتَ يَرْشُقُنا ... وَلَيْسَ تَمْنَعُهُ مَوضونَةُ الزَّرَدِ
ما كانَ أَغْنىٰ الوَرىٰ في ذا القُطوعِ وذا التَـ ... ـعْثِيرِ عن لَقْطِ هذا اللُّؤْلُؤِ البَدَدِ
فَلا تَقُلْ إنَّ هذا رَحْمَةٌ نَزَلَتْ ... فَإنَّ هذا قِياسٌ غَيْرُ مُطَّرِدِ
إنْ دامَ لا دامَ عَمَّ الهُلْكُ أَجْمَعَنَا ... وما لَنا غَيْرُ رُحْمَىٰ الواحِدِ الصَّمَدِ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٦٩-١٧٤.

[٥]

قال الصفدي:

وَكَتَب إليَّ عندَ قُدومي من القاهرة، أوائل سنة ٧٤٦ يَطْلبُ منِّي جَواباً كتبتُهُ عن السُّلطانِ الملِكِ الصَّالِحِ إسماعيل ـ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ـ إلى السُّلْطانِ أَبي الحَسَنِ المَرِيْنِي صاحِبِ مُرَّاكِش(١): [من الطويل]

رَعى اللهُ قَلْباً لا يَزالُ يَشُوقُهُ ... إلخ القطعة.

المَملوكُ يُقَبِّلُ كذا، التي جاءَتْ هيَ وبَواكِيرُ الرَّبيعِ علىٰ قَدَرٍ، وَوَرَدَتْ قَبْلَ الوَرْدِ، والبَدْرَةُ لِمَنْ بَدَرَ، وعادَتْ وأَبْقَتِ النِّيْلَ بِحُمْرَةِ خَجَلِهِ، لأَنَّ أَبا الصَّفاءِ لا يُماثِلُهُ أَبو الكَدَرِ.

ويُنْهِي تَشَوُّقَهُ إلى الرِّسالَةِ المَغْرِبِيَّةِ وما كُتِبَ في جَوابِها، وما يشُكُّ أنَّهُ قَد ساقَ إلى المغربِ الشَّمْسَ، وأَنْسَىٰ بِيَوْمِهِ في الدِّيوانِ كلَّ أَمْسٍ، وأَسْمَعَ المَرِيْنِيَّ ما لَمْ يَمُرَّ بِسَمْعِهِ مِن لِسانٍ، وأَراهُ من مَقْدَمِهِ أَحْسَنَ من يَوْمِ فَتْحِ تِلْمسان، هذا إلى مُتَجَدِّداتِ هذِهِ الرِّحْلَةِ مِمَّا لا يُوَلِّدُهُ من الدُّرِّ مَطَرُ نَيْسان.

فكتبتُ أَنا الجَوابَ إليهِ: [من الطويل]

خَليلُكَ إذْ وافىٰ حِماكَ تَرَفَّعَتْ ... بِهِ رُتَبٌ أَدْنَتْهُ فَهْوَ جَليلُ
وَصالَ وهابَتْهُ النَّوىٰ وسَما بِهِ ... إلىٰ الشُّهْبِ فَرْعٌ لا يُرامُ طَويلُ
وعادَ فَعادَتْهُ المَسَرَّةُ بَعْدَما ... مَضَتْ مُدَّةٌ بِالبُعْدِ وَهْوَ عَليلُ

---

(١) رسالة أبي الحسن المريني، أوردها المقري في نفح الطيب ٤/ ٣٨٦. وجواب الصفدي عنها في ٤/ ٣٩٤ وما بعد. وينظر إجازة الصفدي برواية رسالته في ٤/ ٣٩٩.
انظر: القطعة رقم (٢٧) في موضوع شعره.

وَمَن جاءَ مِن مِصرٍ إِلىٰ الشَّام قاصِداً إِلَيْكَ تَلَقَّاهُ بِجُودِكَ نِيلُ

يُقَبِّلُ الأَرْضَ، ويُنْهِي وُرُودَ المِثالِ الذي خَسَفَ حُسْنُهُ القَمَرَ، وأَراهُ تَرَفُّعَ الزُّهْرِ وتَفَتُّحَ الزَّهرِ، وَفَضَحَ رَوْنَقُهُ الدَّراري، وإِن تَنازَلَ فقد أَخْجَلَ الدُّرَرَ، وَتحقَّقَ أَنَّها دَوْحَةٌ أَخْرَجَها مَن ضَرَبَتْ أَعْراقُهُ الطَّيِّبَةُ إِلىٰ عُمَرَ، وامْتَثَلَ ما رَسَمَ به مَوْلانا وجَهَّزَهُ، عِلْماً بأَنَّهُ قد أَهْدىٰ الذُّبالَةَ إِلى النَّيِّرِ الأَعْظَمِ، وَجَهَّزَ النِّيْلَ المُحْتَرِقَ إِلى البَحْرِ المُفْعَمِ، وَعَرَضَ على غُوطَةِ قاسِيُونَ حاجِزَ المُقَطَّمِ، فَأَيْنَ جَوابُ الغَرْبِ مِمَّن مَلأَ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ ذِكْرُهُ؟ وأَيْنَ هَشِيمُ المُقِلِّ من مُكْثِرٍ سَدَّ الأَباطِحَ والرُّبا زَهْرُهُ؟ فإِنْ كانَ فيها ما يَروقُ فَهو من بَضائِعِ مَولانا التي رَدَّها اللهُ عليهِ، وساقَ هَدْيَ هَدِيَّتِها إِليهِ، وإِلاَّ فَكلامُ العاجِزِ عَجوز، ومُقابَلَةُ الشُّهُبِ بِالحَصىٰ لا تَجوزُ، واللهُ يُديمُ فَوائِدَ مَولانا التي تَهْدي فَواكِهَ أَيْلولَ إِلى مَن في قَلْبِهِ حَرُّ تَمُّوز، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ.

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧٤ـ١٧٥.

[٦]

قال الصفدي: وكتبَ [العمري] إليَّ، وأنا بِصَفَد المحروسَة، في سنة تِسع عَشرة وسَبعمئة جَواباً:

لا زالَتْ فِطْنَتُهُ داعِيَةَ الإِسْراعِ، ومَحاسِنُهُ مِلْءَ الأَبْصارِ والأَفْواهِ والأَسْماعِ، ويُنْهِي وقوفَهُ على كُلٍّ من الجوابَيْنِ، فَوَقَفَ النَّظَرَ عليهِ وحَبَسَهُ، واسْتَأْنَسَ بِهِ فآمَنَ سَمْعُهُ وآنَسَهُ، واجْتَنىٰ مَعانِيْهِ فَتَحَقَّقَ أَنَّها من ثَمَراتِ ذلكَ الغَرْسِ، وتَمَتَّعَ من مَحاسِنِهِ بِجَنَّاتٍ فيها ما تَلَذُّ الأَعْيُنُ وَتَشْتَهِي النَّفْسُ، وعَلِمَ أَنَّهُما أَمِنا أَنْ يُعَزَّزَ بِثالِثٍ، وأَن يُضاهِيهما إِلاَّ عابِثٌ، وأَنَّهما الشَّمْسُ والقَمَرُ، والبَحْرُ والمَطَرُ، واسْتَتَرَ بِهما وتَهَنّىٰ، وقالَ[1]: أَتاكَ المَجْدُ من هَنَّا وهَنَّا[2]: [من الطويل]

سَمَت نَحْوها الأَبْصارُ حتَّىٰ كَأَنَّها بِنارَيْهِ مِن هَنَّا وثَمَّ صَوالي

وقالَ: هكذا فَلْيَكُنْ مَن يُكاتِبُ، وَبِمِثْلِ هذا فَلْيجاوِبْ مَنْ يُجاوِبُ، وتَساوَتْ قِيْمَتُها فَلَم يَدْرِ أَيَّهما يُفَضِّلُ، وَبَهَرَتْ أَنوارُهُما حتَّىٰ دَهِشَ، أَيُّهما يَبْدَأُ بِهِ وَيَتَأَمَّلُ؛ إِلىٰ

---

(١) صدر بيت لأبي وجزة السَّعدي، في ديوانه ١٦٠. وعجزه:
وكُنْتُ لَه بِمُغْتَلَجِ السُّيولِ.

(٢) البيت لأبي العلاء المعري، في سقط الزَّند ٣/ ١١٦٤.

أنْ وَجَدَ أَحَدَهُما مُوَشَّعاً بِالخَطِّ الكَرِيمِ البَهائِيِّ مَرْقومُ، مُشْتَمْلاً على رِياضٍ صَدَرَتْ من أنامِلِهِ الشَّريفَةِ عن غُيومٍ، وما جَعَلَهُ في أَثْناءِ ذلِكَ الكِتابِ إلاَّ خَشْيَةَ أَنْ يَبْدَهَ العُقولَ فَيَشْدَهَها بالخَيالِ، وما كانَ مَوْضِعُهُ الحَواشي إلاَّ لِيُشْهِدَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ عليهِ خَطُّ الكَمالِ، ولا عَدِمَ المَملوكُ من عَوارِفِهِ في تالِدِ الفَضْلِ وطارِفِهِ: [من الخفيف]

مُحْسِناً لَمْ يَدَعْ لَنا بِأَيادِيْـ ـهِ عَلىٰ كَثْرَةِ الرَّجاءِ رَجاءَ
جادَ قَبْلَ السُّؤالِ بِرّاً فَلَمّا لَم نَسَلْ مِن نَداهُ جادَ ابْتِداءَ

ولقد اسْتَدْرَجَ كَرَمُهُ لِسانَ المَملوكِ، عمَّا كانَ بِصَدَدِهِ مِن ذِكْرِ المُشَرَّفِ الوارِدِ، وَوَصفَ مِنَنَهُ التي تَثْبُتُ في الأَعْناقِ كالقَلائِدِ؛ فإِنَّ المَملوكَ كان قد سَكِرَ بِما أَدارَهُ القَلَمُ البَّهائيُّ من كُؤُوسٍ تَصْرَعُ الأَلبابَ، وتَضْرِبُ بَينَ المَرْءِ وعَقْلِهِ بِحِجابٍ، وقد آنَ لِلمَملوكِ أَن يَصحو، وأَن يَقْصِدَ طَريقَ الأَدَبِ ويَنْحو، فيقولَ: إنَّ المُشَرَّفتينِ الكَريمتينِ وإن ثُلِّثَتا عَدَداً، وَسَلَكتا طَرائِقَ قِدَداً، فَدَرُّهُما مُؤْتَلِفٌ، وبِرُّهُما لا يَخْتَلِفُ، وَوَصَلَ قَرينَهُما ما أَنْعَمَ بِإِنْفاذِهِ ممَّا كانَ المَملوكُ الْتَمَسَهُ من كَرَمِهِ، واسْتَهْداهُ من مَواهِبِ قَلَمِهِ.

وأَمَّا ما كانَ بَلَغَهُ من الأَخْبارِ عن الجَنابِ الزَّيْنيّ، فالجوابُ عنهُ قَوْلُ مِهيار.

وأَمَّا المراثي الشِّهابيَّةُ، فَنَظَمَ الجَنابانِ الشَّريفانِ العلائيُّ والشِّهابيُّ وَلَدا غانِمٍ أَبْقَاهُما الله تعالىٰ قَصيدتَين، بل فَريدتَين، وكانَ الجَنابُ العالي ابنُ نُباتَةَ غائِباً عن مَوْتِهِ، فلمَّا حَضَرَ عَمِلَ قَصيدةً هَتَفَ بِها كلُّ سامِعٍ، واسْتَبْكىٰ بِها حتَّىٰ أَعْيُنَ النُّجومِ الطَّوالِعِ؛ وعَمِلَ الأَديبُ شمسُ الدِّينِ محمَّد الخَيَّاطِ مَرْثيَّةً لم يُرْفَعْ لَها عَلَمٌ، ولا تَلَجْلَجَ بِها نَغَمٌ؛ وتَقدَّمَ من المَملوكِ نَظْمُ واحِدَةٍ، وبلغَ المَملوكَ أَمْرٌ اقْتَضَىٰ كَتْمَها، ويَتناسىٰ ما فيها؛ وعُقَيْبَها يُجَهِّزُ بها وَرَقَةً مُحَبَّسَةً لِبَدائِعِها وحابِسَةً، لِيقِفَ عليها فَيَدفَعَ الأَرْبَعَةَ ويَكْتُمَ الخامِسَةَ، وأَوصَلَ المَملوكَ إلى اليَدِ الكَريمَةِ النَّاجِيَةِ، ابنِ المَقَرِّ الكَريميّ، كِتابَهُ وقد وَعَدَ فِيهِ بالزِّيارَةِ، فَأَوْقَفَ اللَّواحِظَ دبادِبُ السُّبُلِ تَتَرَقَّبُ انْتِظارَهُ، والمَسامِعَ رَبيئَةَ الرُّسُلِ لِتَتَسَمَّعَ أَخْبارَهُ، والمُسْتَمَدَّ من تَفَضُّلِهِ أَنْ يُواصِلَ بِخِدَمِهِ ما دامَ في قَوْسِ القَطيعةِ مَنْزَعٌ، ولِلرَّأْيِ تَرَدُّدٌ يُخْشىٰ ويَتَوَقَّعُ، واللهُ تعالىٰ يُقَرِّبُهُ مَقيلاً، ولا يُعْدِمُ المَملوكَ خَليلاً على الحَقيقةِ جَليلاً، بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٧٦-١٧٧.

[٧]

قال الصفدي:

وكتبَ [العمري] إليَّ بِصَفَدَ المحروسةَ في سنة ٧٢٠ جَواباً عن كتابٍ عَطَفْتُهُ على مُوَشَّحَةٍ نَظَمْتُها مُعارِضاً بِها المَوْصليّ أَحمد بن حسن، وسوف يأتي ذِكْرُها في ذِكْرِ جمال الدِّين يوسف الصُّوفيّ في حرف الياء:

لا زالَتِ البَلاغَةُ جَنىٰ غرْسِها، والبَراعَةُ شَأْنَ نَفْسِها، وقَبَّلَ المَملوكُ تلكَ العَقائِلَ الطَّالِعَةَ، واسْتَشْفىٰ بتِلكَ المَواهِبِ النَّافِعَةِ؛ وفَهِمَ المَملوكُ الإِشارَةَ في تَأْخيرِ الجَوابِ البَهائيِّ، وقد عَلِمَ اللهُ أَنَّ المُشَرَّفَ المُشارَ إِليهِ حينَ وَرَدَ، اسْتَبَقَ نَظَرُ المَملوكِ وبَنانُهُ إِلى تَأَمُّلِهِ والإِجابَةِ عنهُ، وازْدَحَمَتْ في طَريقِ نُطْقِهِ أَلْفاظُها، والأَلْفاظُ المَنْقولَةُ منهُ، وجَهَّزَهُ مع قاصِدٍ، لا شَكَّ أَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ من هُدَّاءِ القَوْلِ، فَنَبَذَهُ ظِهْرِيّاً، وجَعَلَهُ نَسْياً مَنْسِياً، ولم يَتَأَخَّرِ المَملوكُ مُحْجِماً، مع عِلْمِهِ بِأَنَّ الإِحْجامَ كانَ بِمِثْلِهِ أَلْيَقَ، لِيَسْتُرَ تَقْصِيرَهُ، ويُخْفي عُيوبَ فَهاهَتِهِ، ويُحيلَ المُحْسِنَ على إِحْسانِهِ الذي يَكفيهِ مُجازِياً ويُماثِلُهُ مُجارِياً.

وقد أَعادَ المَملوكُ إِلى الجَنابِ البَهائيّ خِدْمَةً ثانيةً، لعلَّ فَصاحَةَ المَولىٰ في الإِيْرادِ تُعْديها فَتُلْبِسُها المَحاسِنَ، وتُكْسيها المَيامِنَ.

وأَمَّا إِشارَةُ المَولىٰ إِلى المُوَشَّحَةِ التي عارَضَ بها المَوْصِلِيَّ في الوَزْنِ والرَّوِيِّ مُلْتزماً ما جاءَ بِهِ المُشارُ إِليهِ في عَفْوِ قَريحَتِهِ من الغُصونِ والأَقْفالِ، ونَسْجِهِ على ذلكَ المِنْوالِ، فَقد تَأَمَّلَها الخادِمُ واسْتَمْلاها، واسْتَجْلاها واسْتَحْلاها، وأَحْضَرَها مع مُوَشَّحَةِ المَوْصِليّ، فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وضُحاها، وذَكَرَ بِها فَريدَةَ الجَمالِ، فقالَ: والنَّهارِ إِذا جلاَّها، والقَمَرِ إِذا تَلاها، واللَّيْلِ من سَوادِ وَجْهِ مُعارِضِها إِذا يَغْشاها؛ وَتَمَثَّلَ القَوافي على غُصونِها حَمائِمَ، والحَشْوَ علىٰ سَجَعاتِها كَمائِمَ، وعَذَرَها في اتِّخاذِ الأَقْفالِ على ما صانَ من دُرِّها وصاغَ من تِبْرِها، وقابَلَها بكلِّ ما قيلَ في هذا النَّوعِ فَوَجَدَها كاسِفَةً، وماثَلَها بِأَمْثالِها فَغَدَتْ على حظِّها إِذا قِيْسَتْ أَحاسِنُ المَحاسِنِ آسِفَةً، ولقد وَقَعَتْ مَوْقِعَ الاسْتِحْسانِ، وَأَتَتْ كامِلَةَ الإِحْسانِ؛ لو اهْتَدَتِ العَرَبُ الأُولى إِلى طَريقِها لَعَدَلَتْ إِلى المُوَشَّحاتِ عن القَصائِدِ، ولو أَلِفَها الفَتْحُ بن خاقان لاسْتَفْتَحَ بِفَرائِدِها ما أَلَّفَ من «القَلائِدِ»، وقد عَطَفَها المَملوكُ على مُوَشَّحَةِ المولىٰ جَمالِ الدِّين مُقْتَضَبَةً مِمَّا كُتِبَ عليها من أَثْنِيَةِ بُلَغاءَ لم يُقَدِّروها حَقَّ قَدْرِها، ولا نَهَضُوا بِشُكْرِها، مع إِطالَةٍ تُفْضِي بِمُطالِعِها إِلى المَلَلِ، وتَشرحُ بَدائِعَها على وَجْهِ الجُمَلِ، عارِيَةً مِمَّا حُلِّيَتْ بهِ من وَصْفِهِمْ، إِذا كانَتِ المَليحَةُ تَغْنى عن حُلِيٍّ وعن حُلَلٍ؛ فإِنَّ المَملوكَ آثَرَ اسْتِنْسَاخَها،

واسْتَكْثَرَ نُسَّاخَها، لكنْ ضاقَ فِتْرٌ عن مَسيرٍ، وشَهادَتُها لِنَفْسِهَا بَيِّنَةٌ لا تُدْفَعُ، وحَسْبُ المَليحَةِ أَنْ تَأْتِي سَافِرَةً ولا تَتبَرْقَعَ.

مُحِبُّ المولىٰ الجَنابِ الزَّيْني يُتْحِفُهُ بِسَلامٍ أَريجِ النَّفْحَةِ، بَهِيجِ اللَّمْحَةِ، اعْتَرَضَ بِهِ وَظَائِفَ الأَدْعِيَةِ التي يَسْتَغْرِقُ بِهَا أَوْقَاتَهُ، فَقيلَ: هٰذِهِ شَذْرَةٌ في سُبْحَةٍ، إِنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ.

التخريج:

ألحان السواجع ١/١٧٨ـ ١٧٩.

[٨]

قال الصفدي:

وكتب [العمري] إليَّ من بِلْبِيس:

يُقَبِّلُ كذا، لا شانَ صَفْوَها كَدَرٌ، ولا شابَ وُدَّها تَغَيُّرُ الغِيَرِ، ولا شادَ اللهُ مَعْلَمَ مَجْدٍ إلاَّ ولها على صَدْرِهِ الوُرودُ ولِسِواها الصَّدَرُ، ولا شاءَ بِخَيْرٍ إلاَّ وَلَها منهُ نَصيبٌ مُعَجَّلٌ أَو مُنْتَظَرٌ، ولا شالَ بِضَبْعِ ماجِدٍ إلاَّ لِيُحِلَّها حَيْثُ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ، ولا شاعَ حَديثُ وَفاءٍ إلاَّ بِما يُحَدِّثُ منها خَليلُ الصَّفاءِ ويَقولُ: كانَت فَلْتَةَ عُمَر.

ويُنْهِي أَنَّهُ كَتَبَها من بِلْبِيس، قد عاجَلَهُ بِحَمْدِ اللهِ الفَرَجُ قَبْلَ قُدُومِهِ على قَلْعَةِ الجَبَلِ ومُعايَنَةِ أَهْوالِها، وقَبْلَ حُلولِهِ بِمصرَ وَتَوَقُّعِ زِلْزَالِها، وَقَبْلَ مُقابَلَةِ القاهرةِ ورُؤْيَةِ أَطْلالِها، وقِيلَ: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾(١) وعُودوا إلى دِمَشقَ بِمَشيئَةِ اللهِ سالِمينَ، وكَفاهُ اللهُ خَطَراتِ تِلكَ الوَساوِسِ، وخَطِراتِ تِلْكَ الهَواجِسِ، وخُطواتِ تِلكَ البُقْعَةِ ورُؤْيَةَ أُولئكَ الأَبالِسِ؛ والمَوْقِفَ المَخْشِيَّ هَوْلُهُ، والسَّائِلَ الثَّقيلَ قَوْلُهُ، «والعِزُّ في البَدْوِ لَيْسَ العِزُّ في الحَضَرِ»، وحَسْبُ المَرْءِ من المَساءَةِ النَّظَرُ.

فالحمدُ للهِ الذي تَدارَكَ بِلُطْفِهِ، وغَلَّ يَدَ المُبْطِلِ وسَيُسْقِطُ رَأْسَهُ على كَفِّهِ؛ وأُنْعِمَتِ الصَّدَقاتُ الشَّريفَةُ السُّلطانِيَّةُ المَلَكِيَّةُ الصَّالِحِيَّةُ بالإِطْلاقِ، وفَكِّ الخَتْمِ وَحَلِّ الوَثاقِ، وجاءَتْ مَراحِمُهُ عُقَيْبَ ذلِكَ السُّمِّ أَسْرَعَ تَخْليصاً من الدِّرْياقِ، وجاءَتِ البُشْرىٰ بِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ بِصَدَقاتِ سُلْطانِنا المَلِكِ الصّالِحِ لا بِسَبَبٍ من الأَسْبابِ، ولا بالسَّعْيِ إلىٰ أَحَدٍ، ولا بالوُقوفِ لأَحَدٍ على بابٍ، ولا بِإِبْداءِ عُذْرٍ بِقَوْلٍ ولا بِكِتابٍ، بل جاءَ هذا من عندِ اللهِ بِمِنَّتِهِ لا بِمِنَّةِ مَخْلُوقٍ، ولا بِسَعْيِ سابِقٍ ولا مَسْبوقٍ، حتّىٰ أَذْكَرَهُ كلمةَ عائِشَةَ

(١) سورة يوسف: الآية ٩٩.

رضيَ الله عنها نَوْبَةَ الإفْكِ، وأَذْكَرَتْهُ هذِهِ القَضِيَّةُ تِلْكَ القَضِيَّةَ، وتَمَّتِ الأُمُورُ بِحَمْدِ اللهِ على أَكْمَلِ الوُجُوهِ المَرْضِيَّةِ.

اللَّهُمَّ ما أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَو بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شريكَ لَكَ، اعْتِقاداً هو الذي لم نَزَلْ نَرْجِعُ إليهِ، ونَنْجَعُ ولا نُعَرِّجُ إلاَّ عليهِ، ونَهْجَعُ ثم نَنْتَبِهُ بِتَذكيرِهِ، ونُفْجَعُ ثم نُسَرُّ بِمَقادِيْرِهِ، ولم يَبْقَ بِإِذْنِ اللهِ إلاَّ أَنْ يُصْرَفَ إليهِ وَجْهُ السُّرىٰ، ويُصْدَفَ في طَلَبِ السُّرْعَةِ المَقْدوم عليهِ عائِقُ الكَرىٰ، ويُسْعِفَ اللِّقاءُ بِهِ وبالأَوْطانِ، ويُنْصِفَ الزَّمَنُ الجائِرُ بِلُطْفِ اللهِ وعَدْلِ السُّلطانِ، ويُتْحِفَ القَدَرُ بِجَمْعِ الشَّمْلِ، ويَعْلَمَ أَنَّها كانَتْ نَزْعَةً من نَزَغَاتِ الشَّيْطانِ؛ ومَولانا يَعذرُ في التَّقصيرِ، فَما هو وَقْتُ الإِطالَةِ، وهذا كَثيرٌ على الرَّاكِبِ المُجِدِّ في ما يُقَدَّمُ لَهُ من العُجالَةِ.

فكتبتُ أَنا الجَوابَ إِليهِ عن ذلك: [من السريع]

وَنِعْمَةٍ جاءَتْ كَما نَشْتَهي ... مِنْ عِنْدِ رَبِّ العَرْشِ مَسْراها

أَتَتْ وقد جَرَّتْ ذُيولَ الهَنا ... بِأَيِّ شُكْرٍ نَتَلَقّاها

رَوَتْ فَرَوَّتْ أَنْفُساً تَلْتَظي ... مِن حَذَرٍ قد كانَ عَنَّاها

فَالحَمْدُ للهِ على أَنَّنا ... نَحْمَدُ أُولاها وأُخْراها

فَاللُّطْفُ في مَبْدَئِها كامِنٌ ... والسَّعْدُ في مَضْمُونِ عُقْباها

فَقُلْ لِمَنْ قَد وَلِعَتْ بالمُنىٰ ... مُهْجَتُهُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ

إِنَّكَ إِنْ أَبْصَرْتَها مَرَّةً ... أَكْبَرْتَها أَن تَتَمَنَّاها

يُقَبِّلُ الأَرْضَ أَوَّلاً علىٰ هذِهِ النِّعْمَةِ شُكْراً، وثانياً على عادَةِ خِدَمِهِ مُسْتَمِرّاً، وثالثاً ورابعاً وخامساً وهَلُمَّ جَرّاً، حتَّىٰ يَسْتَغْرِقَ الواوَ العَطْفُ ويَنْفَدَ في السَّجع حَرْف الرَّا.

ويُنْهي وُرودَ المِثالِ الكَريم، الذي كانَ أَماناً من الحَذَرِ، ومُخَلِّصاً لِقَلْبِ المُحِبِّ الذي افْتَتَحَ الحُزْنَ واخْتَتَمَهُ وما شَعَرَ، وبَراءَةً من الخَطْبِ الذي لو عالَجَهُ اللَّيْلُ لانْصَدَعَ أَو الصُّبْحُ لانْفَجَرَ، وفَكّاً لأَنْفُسِ الأَوْلِياءِ من الجَزَعِ الذي لو حَلَّ بِالجِبالِ حَجَّرَ في الصَّبْرِ على الحَجَرِ، وشَدْواً لأَصْواتِ البَلاغَةِ التي مَن لم يَطْرَبْ لَها قُلْنا لَهُ ما قالَتْهُ النِّسْوَةُ من قُريشٍ[1]: أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ يا عُمَرُ: [من الطويل]

أَلَيْسَ لأَخْبارِ الأَحِبَّةِ فَرْحَةٌ ... ولا فَرْحَةَ العَطْشانِ فاجَأَهُ القَطْرُ

فَقَبَّلَ المَملوكُ شَفَتَيْ عُنوانِهِ، وتَخَيَّلَ لَعَسَ مِدادِهِما إِثْمِداً فَكَحَّلَ بِهِ رَمَدَ أَجْفانِهِ،

---

(١) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٦ و١٩٩ و٧/ ٩٣ ومسلم (٢٣٩٦) وأحمد في مسنده ١/ ١٧١ و١٨٢.

وكَرَّرَ السُّجودَ حتَّىٰ قيلَ: هذا هُدْهُدٌ بينَ يَدَيْ سُليمانِ زَمانِهِ[١]؛ وفَضَّهُ فلمَّا لَمَحَ تاجَ اسْمِهِ، قامَ لَهُ وَلَبَّسَهُ لَثماً، وعَلِمَ أنَّ البَرَكَاتِ تَنَزَّلَتْ عليهِ لَمَّا سَمَّىٰ، وَأَحَبَّ جَمْعَ ما فِيهِ من مالِ البَلاغَةِ حُبّاً جَمّاً، وأَكَلَ تُراثَ أَشْواقِهِ المُخَلَّفَةِ من حُروفِهِ أَكْلاً لَمّاً، وَذَكَرَ من حَديقَتِهِ اليانِعَةِ ما أَنْساهُ نَخْلَتَيْ حُلوانَ[٢] وَمَحَلَّتَيْ سَلْمىٰ: [من البسيط]

وَرُحْتُ أَسْقِيهِ من دَمْعِي وأَلْثُمُهُ وكادَ يَذْهَبُ بَيْنَ الدَّمْعِ والقُبَلِ

ثم تَأَمَّلَ ما اشْتَمَلَ عليهِ من جَنّاتٍ تَزَخْرَفَتْ، وبُروقِ مَعانٍ تَأَلَّقَتْ، وسَحائِبِ سُطورٍ تَأَلَّفَتْ، وَنَزَعاتٍ فاضِلِيَّةٍ اقْتَدَرَتْ على الكَلامِ فَتَصَرَّفَتْ؛ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، بل في كَلامِ الفَاضِلِ جُزَيْئِيَّاتٌ تُشْبِهُ هذِهِ الكُلِّيّاتِ، ومَعابِرُ كانَ يَغوصُ فِكْرُهُ في لُجَّةِ بَيانِها على هذِهِ الكَلِماتِ اللُّؤْلُؤِيّاتِ، وَزَهَراتٌ كانَ يَقْتَطِفُها من هذِهِ الرِّياضِ، وقَطَراتٌ كانَ يَرْتَشِفُها فَمُ قَلَمِهِ من هذِهِ الحِياضِ، فلقَد أَتىٰ وادي مَولانا فَطَمَّ علىٰ قَرِيِّهِ، وجاءَتْ جِيادُهُ وغُبارُ سَبْقِها يُنْفَضُ من هَوادي مَطِيِّهِ: [من الطويل]

وما زالَ يُنْبِي النَّاسَ فَضْلُ كَلامِهِ بِأَنَّ كَلامَ العالَمِينَ فُضُولُ

فاتَّخَذَها مَقاماً، وحَنا علىٰ جَواهِرِها لأَنَّها يَتامىٰ، وتَحَقَّقَ بَرَكَتَها فإِنَّ نارَ الخَليلِ رَجَعَتْ بِها بَرْداً وسَلاماً، وَرَشَفَ من أَلْفَاظِها مُداماً يُسَمِّيهِ النَّاسُ كَلاماً، وخَلَبَ لُبَّهُ سِحْرُها الحَلالُ، وَكَانَ يَظُنُّ السِّحْرَ حَراماً، وفَهِمَ مِنْهَا ما وَقَرَ في قَلْبِهِ فَسَبَقَ النَّاسَ إلى البُشْرىٰ، وصَحا قَلْبُهُ وَصَحَّ لَمَّا تَفَرَّقَ غَمامُ غَمِّهِ وَتَفَرّىٰ، وَوَدَّ لَو شَهِدَ بَطْنَ خَبْتٍ وقَد لاقىٰ الهِزَبْرُ أَخاهُ بِشْراً[٣]، وعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ أَرادَ لِمَولانا أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ عَزيزاً، ويَجْعَلَ طِيْنَها الإِبْليزَ مِثْلَ كَلامِهِ إِبْريزاً، وأَنْ لا يَرىٰ فيها ما يُرَوِّعُ رُوْعَهُ، وأَنْ لا يَرىٰ

---

(١) يضرب المثل بسجود الهدهد، فيقال: أَسْجَدُ من هدهد. (مجمع الأمثال ١/ ٣٥٦ وثمار القلوب ٢/ ٧٠٧).

(٢) نخلتا حلوان: كانتا بعَقَبة حلوان [= حلوان العراق] من غرس الأكاسرة، فضُرب بهما المثل في طول الصُّحبة وقِدَم المجاورة. (الميداني ١/ ٤٣٨ وثمار القلوب ٢/ ٨٤٢ وفي حاشيته مزيد تخريج).

ومحلّتا سلمى: عبارة وردت في شعر جرير: [معجم البلدان ٥/ ٢٥٢]

أمنزلتي سلمى بناظرة أسلما وما راجع العرفان إلاّ توهّما

وفي ديوانه ٢/ ٩٧٩: أمنزلتي هند ...

وفي شعر البحتري: [ديوانه ٣/ ١٩٥٤]

أمحلّتي سلمى بكاظمة أسلما وتعلّما أنّ الجوىٰ ما هجتُما

(٣) من قول بشر بن عوانة: [مقامات البديع ٢٥٠ ومنتهى الطلب ٨/ ٢٥٦ وحياة الحيوان «الهزبر»]

أَفاطِمُ لو شهدتِ ببطن خَبْتٍ وقد لاقىٰ الهِزَبْرُ أَخاكِ بِشْرا

نَجْمَ اسْتِقامَتِهِ يُخالِفُ رُجوعَهُ، فَحَفِظَهُ بِمُعَقِّباتٍ من بَيْنِ يَدَيْهِ ومن خَلْفِهِ، ولم يُحْوِجْهُ إلى غَيْرِ مَا يَعْهَدُهُ من خَفِيِّ لُطْفِهِ[1]: [من الخفيف]

رُبَّ أَمْرٍ أَتاكَ لم تَحْمَدِ الْفُعْـ ـعالَ فِيهِ وتَحْمَدُ الأَفْعالا

فاللهُ يُوزِعُنا ـ مَعاشِرَ الأَوْلِياءِ ـ شُكْرَ هذهِ النِّعَمِ التي تَخَيَّلْنا وُقوعَها، وتَحَيَّلْنا بِصِحَّةِ اليَقِينِ على عَوْدِها فَنِلْنا رُجوعَها، وما لَنا إلاَّ الدُّعاءُ إلى اللهِ بِأَنْ نرىٰ بَدْرَ وَجْهِهِ وقد طَلَعَ من ثَنِيَّاتِ الوَداعِ، وقد تَوَجَّهَ يَحُثُّ سُعودَهُ وانْقَطَعَ الخَصْمُ وَبَطَلَ النِّزاعُ: [من البسيط]

مَنْ كانَ ذا أَمَلٍ في الدَّهْرِ يَقْصِدُهُ فَإِنَّما أَمَلي في أَنْ تَرىٰ أَمَلَكْ

وما أَمْرُ بِلْبِيْسَ مِمَّا يُلْتَبَسُ، ولا تَحْبِيسُ عادَةِ السَّعادَةِ مِمَّا يُحْتَبَسُ، وما بَقِيَ إلاَّ عَوْدُ رِكابِهِ إلى وَطَنِهِ، ورُجوعُ دُرِّهِ إلى لُجِّهِ، وَذَهَبِهِ إلى مَعْدِنِهِ، لِنَأْمَنَ تَوَثُّبَ الباغي وَنَزواتِهِ، ونَغْنَمَ الصَّفاءَ من وُدٍّ يَحْمِيهِ اللهُ مِنَ الشَّيْطانِ وَنَزغاتِهِ: [من الطويل]

وَكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عِنْدِيَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ المانَوِيَّةَ تَكْذِبُ[2]

والمَملوكُ يَسأَلُ بَسْطَ العُذْرِ عن جُرْأَتِهِ في هذا الجَوابِ، ويَستغفرُ اللَّيْثَ الأَغْلَبَ من وَقاحَةِ الذِّئابِ، لا بَلْ لَجاجَةِ الذُّبابِ، فَأَيْنَ عُجالَةُ ذلِكَ الرَّاكِبِ من مُهْلَةِ هذا المُطْمئِنِّ؛ وَأَيْنَ ذلكَ الرُّوحُ الطَّاهِرُ من هذا الجَسَدِ المُسْتَجِنِّ؟ وأَيْنَ مَنِ ارْتَحَلَ مِمَّنْ تَرَوَّىٰ؟ وَأَيْنَ قَلْبُ الأَسَدِ مِنَ العَوَّا[3]: [من الخفيف]

قَدْ أَجَبْنا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ فَأَثَبْنا الحَصىٰ عن المَرْجانِ

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٨٢ـ ١٨٧.

[٩]

وكَتَبتُ أَنا إِليهِ من الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ في سنة ٧٢٧ وهو بالشَّامِ المَحروسِ، جَواباً عن كتابٍ وَرَدَ منهُ، وَأُهَنِّئُهُ بوِلايَةِ والِدِهِ القاضي مُحيي الدِّين كِتابَةَ السِّرِّ الشَّريفِ: [من الطويل]

أَيا سَيِّداً حازَ العُلا وَحَواها وجازَ نِهاياتِ النُّهىٰ ومَداها

---

(١) البيت للمتنبي، في ديوانه ٣/ ١٣٨.

(٢) البيت للمتنبي، في ديوانه ١/ ١٧٨.

(٣) البيت لأبي العلاء المعري، في شروح سقط الزند ١/ ٤٥٦.

وَغَبَّرَ في وَجْهِ الأَوائِلِ سَبْقُهُ فَفَاتَ مَدىٰ غاياتِها وشَآها
وجاءَتْهُ أَسْرابُ النُّجوم حواسِراً بِكَفِّ الثُّرَيَّا تَسْتَعيرُ حُلاها
فَأَبْهَجَها حتَّىٰ أَضاءَتْ بِجَوِّها وَأَلْحَفَها إِشْراقَها وسَناها
أَتاني مِثالٌ مِنْكَ مِثْلُ خَريدَةٍ تَضَوَّعَ في صُبْحِ الوِصالِ شَذاها
وَأَلْطَفُ من نَفْسٍ بَراها الهَوَىٰ وَقَد غَدَتْ تَتَشكَّىٰ لِلحَبيبِ عَناها
وَأَلْعَبُ بِالأَلْبابِ مِن بِنْتِ كَرْمَةٍ يَحُثُّكَ مَحْبوبٌ لِحَسْوِ طَلاها
تُطِيلُ إِلَيهِ الزَّاهِراتُ تَأَمُّلاً وتَعْجَبُ من أَلْفاظِهِ وبِناها
فَوا أَسَفاً إِذْ لم أَحُلَّ بِجِلَّقٍ وأَقْضِ بَقايا مُدَّتي بِحِماها
أُشاهِدُها في دَوْلَةٍ مُحْيَوِيَّةٍ سَقاها الحَيا وَسْمِيَّهُ ورَعاها
لَئِنْ كانَتِ الآدابُ أُخْمِلَ قَدْرُها فَقَدْ عادَ مَنْ كانَتْ بِهِ تَتَباهىٰ
وإِنْ كانَ قِدْماً قد عَراها كَسادُها فَها هيَ قد شَدَّ الزَّمانُ عُراها
وَيُعْمِلُ في داجي المُهِمَّاتِ فِكْرَهُ فَيُطْلِعُ فيها شَمْسَها وضُحاها
أَنامَ بِها عَيْنَ الأَنام فَرَدَّها مُوَسَّنَةً من بَعْدِ فَقْدِ كَراها
إذا رَأْيُهُ أَغْناكَ عن نَشْرِ رايَةٍ لأَيَّةِ حالٍ تَسْتَطِيلُ قَناها
فَيا فَوْزَ عَصْرٍ أَنْتُمُ ذُخْرُ أَهْلِهِ وبُشْرى لَيالينا بِكُمْ وهَناها

يُقَبِّلُ الأَرْضَ لا زالَتْ مَرْكَزاً لِدائِرَةِ التَّهاني، وقُطْباً لِفَلَكٍ تَرِدُ المَسَرَّةُ في مَجَرَّتِهِ على الدَّقائِقِ والثَّواني، ومَعْقِلاً يَعْصِمُ بِهِ وَسائِلُ الآمالِ وعَقائِلُ الأَماني، وحَرَماً تُحَثُّ إِليهِ نَجائِبُ البَشائِرِ فَلا يَكُونُ لَهُ عَنْهَا تَواري ولا لَها عَنْهُ تَواني: [من الوافر]

إِلى أَن يَجْتَنِيَ منها قُطوفَ الـ ـمَسَرَّةِ وهيَ طَيِّبَةُ المَجاني
ويُبْدِعُ في عُلاها كُلَّ مَعنىً فَنَظْفَرُ بِالمعالي والمَعاني

تَقبيلَ مَن أُجِيبَتْ دَعَواتُهُ، وشُغِلَتْ بِذلكَ لَهَ، لَهَواتُهُ، ومُلِئَتْ بما يُمْلِيهِ مِنْهَا خَلَواتُهُ، وَيَسْتَمِرُّ على وَلائِهِ الذي لم يَحْتَجْ ـ إِذْ يُحْتَجُّ بِهِ ـ إِلى دَليلٍ، ولم يَجِدْ ـ إِذْ يَجِدُّ ـ في سُلوكِهِ مَشَقَّةَ سَبيلٍ، ويَصِفُ ما يَجِدُهُ من شَوْقٍ شُقَّتْ لَهُ بالجَوىٰ جَوانِحُهُ، وَمَلأَتِ الفُؤادَ فَوادِحُهُ، وأَذابَتِ القُوىٰ قَوادِحُهُ.

ويُنْهِي ما عِنْدَهُ من هذا الهَناءِ الذي عَمَّتِ الوُجودَ بَشائِرُهُ، وَحَقَّقَ اللهُ بِهِ ظَنَّ كُلِّ مُؤَمِّلٍ فَما خانَتْ ضَمائِرُهُ، وَوَجَدَتِ القُلوبُ لأَخْبارِهِ ما يَجِدُهُ المَشُوقُ إِذا تَرَنَّمَ فَوقَ الأَيْكِ طائِرُهُ، فالآنَ أَعْطىٰ اللهُ القَوْسَ بارِيْها، وَأَنْزَلَ الدَّارَ بِالطَّالِعِ السَّعيدِ بانِيْها، وَتَقَلَّدَتِ المَمالِكُ عُقودَ الجَواهِرِ مِن بَحْرِ مُنْشيها، فَيا لَهُ يَوماً حَلَّىٰ بِهِ الدَّهْرُ جِيْدَهُ من عَطَلِهِ، وَظَفِرَ المُلْكُ بِالرَّأْيِ البَرِيءِ من خَطائِهِ وخَطَلِهِ، وعَلِمَ أَنَّ البَدْرَ في الوَهْنِ كما هو

في سَحَرِهِ، وَأنَّ الشَّمْسَ في رَأْدِ نَهارِها كما هيَ في طَفَلِهِ؛ ولا أَقولُ إلاَّ أنَّ السَّيْفَ قد عادَ إلى قِرابِهِ، والمالَ خَرَجَتْ مِنْهُ زَكاتُهُ وعادَ إلى نِصابِهِ، والأَسَدَ آبَ بَعْدَما غابَ إلى غابِهِ، والدُّرَّ تَرَقَّىٰ إلى التَّاجِ بعدَ أَنْ تَحَدَّرَ من سَحابِهِ، والهِلالَ تَنَقَّلَ في مَنازِلِ السُّعودِ حتَّىٰ طَلَعَ بَدْراً في ارْتِقابِهِ؛ فاللهُ يُمْتِعُ الأَيَّامَ والأَنامَ بِهذِهِ النِّعْمَةِ الكُبرىٰ، والمَسَرَّةِ التي أَضْحَتْ بعدَ فَتْرَةٍ وَرُسُلُها تَتْرىٰ، ويُوزِعُ الأَوْلِياءَ شُكْرَ هذِهِ المانَّةِ الجَمَّةِ واليَدَ الطُّولىٰ، ويُعَرِّفُهُم قَدْرَ هذِهِ الكَرَّةِ، فإنَّ الأُخْرىٰ خَيْرٌ لهم من الأُولىٰ؛ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

فكتبَ هو إليَّ الجَوابَ[١]: [من الطويل]

رَدَدْتَ عـلـى عَـيْـنـي لَـذِيـذَ كَـراهـا ... إلـــخ الـــقـــطـــعـــة

يُقَبِّلُ كذا، مَتَّعَ اللهُ بِبَيانِ قَلَمِها المُؤازِرِ، وحِكَمِها التي تَرْمُقْها النُّجومُ بِطَرْفٍ مُتَخازِرٍ، وكَلِمِها التي تَبيتُ القَرائِحُ دُونَ أَبْكارِها مَشْدُودَةَ المآزِرِ.

ويُنْهي وُرُودَ مُشَرَّفِهِ بل مُشَنَّفِهِ، فَأَطْنَبَ في نِعَمِهِ، وَأَطْرَبَ بِنَغَمِهِ، وَأَطْرَفَ بِما تَحَلَّىٰ من صِياغَةِ قَلَمِهِ، فاجْتَنىٰ المَعاني من ثَمَراتِ غَرْسِهِ، واجْتلىٰ مِنْهُ نِيْلَ مِصْرَ في عُرْسِهِ، والْتَقَحَ بِهِ ذِهْنُهُ فَأَحْسَنَ التَّوليدَ، والْتَمَحَ مِنْهُ عَجائِبَ بَيانٍ شَيَّبَتِ الوَليدَ، وانْتَهىٰ إلى عُهودِهِ الَّتي اهْتَزَّ بِها لِذِكْرِ إلْفِهِ، واعْتَزَّ بِها ثَمَّ بَزَّ بالانْعِطافِ إلى عِطْفِهِ، وحَمِدَ اللهَ على هذِهِ الهَبَّةِ من رَقْدَتِها، وَحَلَّ هذِهِ الهِبَةِ من عُقْدَتِها، واسْتَثْبَتَ أَنَّ صَحيفَتَهُ مَخْمورَةٌ بِلُطْفِهِ فَوَفَّاها حَدّاً من القُبَلِ، مَسْحُورَةٌ بِبَيانِهِ فَلَمَّا تَمَثَّلَها ذَرَّتْ على أَعْطافِهِ فَتْرَةَ الكَسَلِ، فَقَعَدَ لا يُجارِيها ولا يُبارِيها، ثم أَخَذَ مِنْها وشَكَرَها بِمعانيها.

التخريج:

ألحان السواجع ١/ ١٨٧ـ ١٨٩.

* * *

---

(١) انظر: القطعة رقم (٣٤) في موضوع شعره.

مصادر الترجمة والمقدمة

- آداب اللغة العربية ٣/ ٢٢٦.
- الأدب في العصر المملوكي ٢/ ٦٧ـ٧١.
- الأعلام ١/ ٢٦٨.
- أعلام الجغرافيين، د. حميدة ٥٤٨ـ٥٥٨.
- أعلام الحضارة العربية الإسلامية ٣/ ١٢٢ـ١٢٣.
- أعيان العصر وأعوان النصر ١/ ٤١٧ـ٤٣٤.
- ألحان السواجع ١/ ١٤٩ـ١٩١.
- بدائع الزهور ١/ ق١/ ٥٣٣.
- البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٩.
- بروكلمن ٢/ ١٤١، ملحق ٢/ ١٧٥ـ١٧٦.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي ١/ ٤١٠.
- تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٦/ ٤٢٠ـ٤٢٣.
- تاريخ ابن قاضي شهبة ١/ ٥٧٠.
- تاريخ النبات عند العرب ١١٦ـ١١٧.
- تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٤.
- تذكرة النبيه ٣/ ١٢٥.
- تعريف ذوي العلا ٦٤ ـ ٦٥.
- حسن المحاضرة ٢٧٣.
- دائرة المعارف الإسلامية ط٢، ٣/ ٧٨١.
- درر العقود الفريدة/ ط عالم الكتب ٢/ ٤٠٧، ٢١٨.
- الدرر الكامنة ١/ ٣٥٢ـ٣٥٤.
- الدليل الشافي ١/ ٩٦.
- ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/ ٢٠٤ـ٢٠٥.
- الذيل التام ١٠٥.

- ذيول العبر ٢٧٥.
- الرحلة والرحالون المسلمون، د. أحمد رمضان ٢٠٩ـ٢٢٠.
- الرد الوافر لابن ناصر الدين ٤٢ـ٤٤.
- السلوك للمقريزي ٢/ ٣/ ٤٦٤ـ٤٦٦، و٤٨٧، ٧٨٧، ٧٩٢.
- شذرات الذهب ٦/ ١٦٠ أو ٨/ ٢٧٣.
- طبقات الأسدي ٧٤.
- الفوائد البهية للكنوي ١٨.
- فوات الوفيات ١/ ١٥٧ـ١٦١.
- قلائد الجمان للقلقشندي ١٣٩ـ١٤٠.
- كشف الظنون ٣٨٥ وصفحات كثيرة.
- كنوز الأجداد ٣٧٥ـ٣٨٠.
- مسالك الأبصار، تحقيق: أحمد زكي باشا.
- المستشرقون ٢/ ٢٠٤ـ٢٠٥، ٢/ ٧٩١، ١/ ٢٨٥.
- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ١٤٤ـ١٤٦.
- معجم الشعراء للجبوري ١/ ٢٤١.
- المعجم المختص بالمحدثين ٤٥ـ٤٦، ٤٩.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة ١/ ٢٠٤ـ٢٠٥.
- معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٤ـ٢٠٥.
- المقفى الكبير للمقريزي ١/ ٧٣٢ـ٧٣٥.
- المنهل الصافي ٢/ ٢٦١ـ٢٦٦.
- مؤرخو مصر الإسلامية ٦٨ـ٧٥.
- النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ـ٢٣٥.
- الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٢ـ٢٧٠.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ١/ ٤٢، ٦٨.
- وفيات ابن رافع ١/ ٢٨٣.
- ابن فضل العمري مؤرخاً ـ رسالة ماجستير ـ سامي عبد الرؤوف أحمد، قسم

التـاريخ الإسلامي والحضارة الإسلاميـة ـ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، بإشراف د. طاهر راغب ١٩٩٨.

ـ مقدمة كتاب (مسالك الأبصار) قسم مصر والشام والحجاز واليمن ـ تحقيق: أيمن فؤاد سيد ط القاهرة ١٩٨٥.

ـ مقدمة كتاب (التعريف بالمصطلح الشريف) بقلم: محمد حسين شمس الدين ص٣ـ١١.

ـ حول تراثنا المبعثر في مكتبات العالم ـ ق٣ ـ مجلة العرب ع٤ السنة ٢ شوال ١٣٨٧هـ/ كانون الثاني ١٩٦٨م.

ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ج٢ مج٤٠ ص٣٣٧.

ـ مجلة المورد البغدادية ع١ مج٥ ص٧٩، ع٤ مج٦ ص٤١٠ـ٤١٢.

ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، لعمر رضا كحالة ٣٣/ ٣٥٣، ٣٥/ ١٧٠، ٣١٥، ٣٨/ ٢٢٧، ٣٩/ ١١٣، ٤٠/ ٤٩٩.

Brock. C. GAL. II, 177-178,

وراجع أيضاً:

Hartmann, R., (Politische Geographie des Mamlukenreichs), ZDMG 70 (1916), pp, 1-4, Salibi, K.S., El., art (lbn Fadillah al-Umari) III, pp.781-782; Little, D., An Introduction to Mamluk historiography. Wiesbaden 1970, p.40; Blachère, R., (Quelques relfexions sur les formes de I'Encyclopédisme en Egypte et en Syrie du VIII/XIV siècle à la fin du IX/XV siecle). BEO XXIII (1970). PP.14-17.

- De Slane: Catalogue des Manuscrits Arabes 407.

- Mingana: Cataloge of Arabic Manuscripts - 532.

مَسَالِكُ الأَبصَار في مَمَالكِ الأَمْصار

تُعَدُّ هذه الموسوعة التي كتبها ابن فَضْل الله العُمَري في النصف الأول من القرن الثامن الهجري من أهم ما أنتجه عصر سلاطين المماليك، رغم أنها لم تلْق ما يناسبها من الشهرة. ووصفها الصَّفدي ـ معاصر العُمَري ـ بأنها «كتابٌ حافلُ ما يَعْلم أن لأحدٍ مثله»(١).

مَنْهَجُ الكتاب:

بيَّن العُمَري في مقدمته الخطَّة التي اتبعها في تأليف هذا الكتاب، والغرض الذي ألَّفه من أجله فقال إنه أراد بذلك:

«إثبات نُبْذة دالَّة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومن فيها... وحال كل مملكة، وما هي عليه، وأهلها في وقتنا هذا، مما ضَمَّه نطاقُ هذه المملكة، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة. لأُقَرِّب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي عليه أُمُّ كل مملكة من المُصْطَلحِ والمعاملات، وما يوجد فيها غالباً: ليُبْصر أهل كل قُطْر القُطْرَ الآخر، وبيَّنته بالتصوير: ليُعْرَف كيف هو، كأنه قُدَّام عيونهم بالمشاهدة والعِيَان مما اعتمدتُ في ذلك على تحقيق معرفتي له، فيما رأيته بالمشاهدة، وفيما لم أره بالنَقْل مِمَّن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأُذنه.

ولم أنقل إلاَّ عن أعيان الثقات، ومن ذوي التدقيق في النظر والتحقيق للرواية.

واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كل مملكة، لآمَنَ من تَغفُّل الغفلاء، وتخيُّل الجهالات الضالَّة، وتحريف الأفهام الفاسدة(٢).

فإن نَقَلت عن بعض الكتب المصنَّفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لا بدّ منه: كتقسيم الأقاليم، وما فيها من أقوال القدماء... ولم أقتصر بذكر الأقاليم، عند ذكري الممالك، مقْصدَ الجغرافيا، كالأول والثاني والثالث، ولا بما نُطْلق عليه المسميات، كالعِرَاق وخُرَاسان وأَذَرْبيجان، بل أذكر ما اشتملت عليه مملكة كل

(١) الوافي بالوفيات ٨/ ٢٥٥.

(٢) اتّبع العمري في ذلك منهجاً علمياً بدائياً ذكره في مقدمة النوع الثاني من القسم الأول.

سلطان، جملة لا تفصيلاً، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة الملك... أو ما لا بد من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ... وقَنِعت بما بلغه ملك هذه الأمة، وتمَّت بكلمة الإسلام على أهله النعمة. ولم أتجاوز حدّها، ولا مشيت خطوة بعدها... وإن كان في العُمْر فُسْحَة، وفي الجسم صِحّة.. لأُذَيِّلَنَّ بممالك الكفَّار هذا التصنيف... لكنني لم آت في هذا الكتاب بذكر ممالكهم ـ على اتساع بلادها ـ إلاَّ عَرَضاً، ولا سطَّرت من تفصيلها إلاَّ جُمَلاً: توفيراً للمادة، وتيسيراً للجادّة... على أنني ربما ذكرت في مكانٍ ما قاربه من بلاد الكُفَّار، وذكرته للمجاورة رجاءَ أن يؤخذ بشُفْعَة الجوار.

ولم أذكر عجيبة حتى فحصت عنها، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل، لتكون عهدتها عليه، وتبرأت منها.

وأوّل ما أبدأ بالمَشْرق، لأن منه ينفتح نوَّار الأنوار، وتجري أنهار النهار. إلى أن أختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحيط، لأنه الغاية وإليه النهاية.

وقَطَعت فيه عمر الأيام والليالي، وأثبتُّ فيه بالأقلام أخبار العوالي، وشُغِلْت به الحين بعد الحين، وٱشتغلت ولم أسمع قول اللاَّحين، وحرصت عليه حِرْص الضَّنين، وخَلَصتُ إليه بعد أن أجريت ورائي السنين.

وشَرَعت فيه في أيام من مَانَنَا بإحسانه، وأمَّننا في سلطانه: سيّدنا ومولانا، ومالك رقابنا، السلطان ابن السلطان السيد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر، المؤيَّد المُظَفَّر المنصور، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيِّد الملوك والسلاطين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، نائب الله في أرضه، القائم بسُنَّته وفَرْضه، ملك البحْرين، خادم الحَرَمَيْن، حامى القِبْلَتَيْن، مبايع الخليفَتَيْن، بهلوان جهان، اسكندر الزمان، ناشر عَلَم العدل والإِحسان، مُمَلِّك أصحاب المنابر والأسرَّة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مبيد البُغَاة والطُّغاة والكُفَّار، هازم الرُّوم والفِرِنْج والكُرْج والأَرْمن والتتار، سلطان البسيطة، مُثَبِّت أركان المحيطة، إمام المتَّقين، ولي أمور المؤمنين، متعَهِّد حج بيت الله الحرام وزيارة سَيِّد المرسلين، أبي المعالي محمد ابن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المُظَفَّر قلاوون سيِّد ملوك الأرض على الإِجماع، المخصوص بمُلْك أَشْرَف البِقاع...

وسَمَّيته:

مَسالِك الأَبْصَار في مَمَالِك الأَمْصَار[(١)]

تقسيم الكتاب:

قَسَّم العمري كتابه إلى قسمين كبيرين جعل أحدهما: «في ذكر الأرض وما ٱشتملت عليه برّاً وبحراً»، والثاني: «في سُكَّان الأرض من طوائف الأمم». وكل من القسمين ينقسم بدوره إلى أقسام أطْلق عليها العُمَري اصطلاحاً «النَوْع».

فالقسم الأول الذي خَصّصه للأرض ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول ـ في ذكر المسالك.

النوع الثاني ـ في ذكر الممالك.

والنوع الأول المشتمل على «ذِكْر المَسالِك» يقع في خمسة أبواب. بينما يقع النوع الثاني المشتمل على «ذِكْر المَمَالِك» في خمسة عشر باباً.

أما القسم الثاني من الكتاب الذي خصَّصه العُمَري لسكان الأرض من مختلف الشعوب فينقسم بدوره إلى أربعة أنواع:

النوع الأول ـ في الإنصاف بين المشرق والمغرب.

النوع الثاني ـ في الكلام على الديانات: وهي ست نِحَلٍ، وأربع مِلَل.

النوع الثالث ـ في الكلام على طوائف المتدينين.

النوع الرابع ـ في ذكر التاريخ.

وفيه بابان:

الباب الأول ـ في ذكر الدول التي كانت قبل الإسلام.

الباب الثاني ـ في ذكر الدول الكائنة في الإسلام[(٢)].

مادة الكتاب:

١ـ رغم أن مادة موسوعة العمري تقتصر على الجغرافيا والتاريخ فقط ـ كما يدُلُّ على ذلك عنوانها ـ بعكس موسوعتي الوَطْوَاط والنُّوَيري اللتين عالجتا فنوناً أخرى غير

---

(١) العمري: مسالك الأبصار ١/ ١٩ـ ١٢٥.

(٢) مسالك الأبصار ١/ ١٢٥ـ ١٣٠.

الجغرافيا والتاريخ، فإن ثَقَافة العُمَري تبدو أكثر وضوحاً في موسوعته وفي كتابه «التعريف»[١] عن الوَطْوَاط[٢] والنُّوَيري[٣] اللذين يمثل مؤلفاهما مؤلَّفين نقليين بمعنى الكلمة. فمصنفا العُمَري «المسالك» و«التعريف» يُعدَّا من أهم آثار عهده بالنسبة لنظم دولة سلاطين المماليك ورسومها واعتمد عليهما كثيراً مؤرخو عصر سلاطين المماليك في القرن التاسع كما يبدو واضحاً في مؤلفات القلقشندي والمقريزي وابن شاهين والسيوطي.

ومع أن مُصنَّف العمري يظفر بأهمية أكثر من مصنف معاصره النويري، إلاَّ أنه لم تبلغ سمعته في الدوائر العلمية سمعة النويري، فموسوعة العمري مصدرٌ من الدرجة الأولى لدراسة عصر المماليك وعلى الأخص المعلومات التي يوردها عن البلاد التي رَبَطَتْها صلات دبلوماسية منتظمة أو متقطِّعة بدولة المماليك. فقد هيَّأ له عمله الحكومي الاطلاع على الوثائق ولقاء الكثير من الرجال والسفراء، كما أن مصادر أخباره ومعلوماته متعدِّدة للغاية مما مكَّنه من إخراج لوحة مفَصَّلة في وصف العالم المعاصر له.

أما القسم الثاني الذي خصصه العمري للحديث عن سكان الأرض فيتمتع نوعه

---

(١) حول كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» انظر بحثنا عن المؤلف في المقدمة، تحت عنوان «مصنفاته».

(٢) محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الأنصاري الكتبي، جمال الدين، المعروف بالوطواط: أديب مترسل من العلماء، من أهل مصر ولد سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م، كانت صناعته الوراقة وبيع الكتب، وصنف كتباً منها «غرر الخصائص الواضحة ـ ط» و«مناهج الفكر ومباهج العبر ـ خ» في الكيمياء والطبيعة، والحيوان والنبات، ستة مجلدات، الجزأين الأخيرين بخطه في الرباط (١١٥ أوقاف). توفي بالقاهرة سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م.
وهو غير «رشيد الدين، الوطواط، محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٧٣هـ».
ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٨، آداب اللغة ٣/ ١٣٢، الفهرس التمهيدي ٥٢٠، كشف الظنون ١٨٤٦، معجم المطبوعات ١٩٢٠، الأعلام ٥/ ٢٩٧.

(٣) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النُّوَيْري: عالم بحّاث غزير الإطلاع، نسبته إلى نويرة (من قرى بني سويف بمصر) ولد بقوص سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م ونشأ بها، اتصل بالسلطان الملك الناصر ووكله السلطان في بعض أموره، وتقلب في الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش في طرابلس، وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية، وكان ذكي الفطرة، حسن الشكل، فيه أريحية وودّ لأصحابه، وله نظم يسير ونثر جيّد، صنّف موسوعته «نهاية الإرب في فنون الأدب ـ ط» وهو دائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره. توفي بالقاهرة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م.
ترجمته في: الطالع السعيد ٤٦، الدرر الكامنة ١/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٩، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٤، الأعلام ١/ ١٦٥.

الأول الذي تحدّث فيه عن الإنصاف بين المشرق والمغرب، ونوعه الرابع الخاص بالتاريخ بأهمية خاصة. فبالنسبة للنوع الأول فقد ضمّنه العُمَري تراجم على درجة كبيرة من الأهمية لطبقات: القُرَّاء، وأهل الحديث الشريف، والفقهاء، وأهل اللغة، وأهل النحو، وأرباب المعاني والبيان، وفقراء الصوفية، والأطباء، والحُكَماء، والوزراء، والشعراء، والأذكياء، وعقلاء المجانين، والحمقى والمغفلين.

وترجع قيمة هذا القسم إلى أنه انفرد فيه بالترجمة لنفر لا نجد لهم ذكراً في غير ما أورده العمري في هذا القسم.

أما القسم التاريخي من الكتاب فلا يرقى بأي حال إلى قيمة القسم التاريخي في موسوعة النويري خاصة إذ وجدناه ينقل أحداث كتاب «دول الإسلام» للذهبي عن الفترة الواقعة بين سنة ٦٩٣ وسنة ٧٤٤هـ. فبذلك لم يضف إلى معلوماتنا التاريخية شيئاً جديداً.

نُقُول المَتأَخِّرين مِنَ الكِتَاب:

مثَّل الباب السادس من النوع الثاني من القسم الأول من موسوعة العمري «مَسَالِك الأَبْصار» مصدراً كبير الأهمية للمؤرخين المصريين المتأخرين.

كان أول هؤلاء المؤرخين هو القلقشندي وقد عالجت منذ قليل الصلة بين كتابه «صبح الأعشى» ومصنف العُمَري.

والمؤرخ الثاني هو المؤرخ المصري الشهير تقي الدين أحمد بن علي المَقْرِيزي المتوفّى سنة ٨٤٥هـ، فكما سبق وأن أوضح كازانوفا، فإن العُمَري هو المؤرخ الثاني بعد ابن عبد الظاهر الذي نقل عنه المقريزي أكثر معلوماته عن عصور سلاطين المماليك السابقة لزمنه، فهو الأصل الذي نقل عنه المقريزي أكثر عباراته وضوحاً في وصف القلعة[1]. ونقل عنه كذلك أكثر معلوماته عن خِلَع المماليك وأزيائهم حتى عصر الناصر محمد بن قلاوون. وكما فعل المقريزي في مواضع كثيرة من كتابه، فلم يُشر المقريزي البتة إلى العمري في صفحات كتابه «الخِطَط» رغم أنه لم يتورَّع أن ينسخ وصفه للقلعة وللخِلَع كلمة كلمة. فقارن ذلك بما فعله القلقشندي الذي تميَّز كتابه بالأمانة في النقل عن العُمَري بحيث أمكن لنا التعرف على ما ذكره العمري. وما أضافه

---

(١) Casanova, p. Historie et descroption de la Citadelle du Caire, MMAF VI (1891), p. 667.

القلقشندي إلى ما نقله نتيجة المشاهدة وما أضيف بالفعل من عمائر أو تغيَّر من رسوم منذ عصر الناصر محمد بن قلاوون الذي دَوَّن فيه العمري وَصْفَه.

أما المؤرخ الثالث فهو الحافظ المؤرخ جلال الدين السُّيوطي المتوفّى سنة ٩١١هـ. الذي اعتمد على كتاب «المسالك» للعمري كثيراً في كتابه «حُسْن المُحَاضَرة في تاريخ مِصْر والقَاهِرة» ونقل عنه كل معلوماته عن مملكة مصر في زمن المماليك[١] وأسند كل خبر أخذه عن العمري إليه، والغريب أن السيوطي وهو يكتب في أواخر القرن التاسع الهجري لا يشير في كتابه إلى مصنف القلقشندي «صبح الأعشى» وهو الشيء نفسه عند المقريزي في «الخِطَط».

وسيتضح للقارىء الكريم من الهوامش حجم استفادة كل من القلقشندي والمقريزي والسيوطي من مُصَنَّف العمري.

* * *

مَخْطُوطات الكتاب:

في مقدمته التي صَدَّر بها ترجمته للأبواب السبعة الأخيرة من القسم الخاص بالممالك من موسوعة العُمَري، أشار جودفري دي مومبين إلى تاريخ الاهتمام بهذا الكتاب[٢]. فذكر أن أول من أشار إليه كان العالم Deguignes في سنة ١٧٥٨م[٣]، ثم ترجم كاترمير في سنة ١٨٣٨ الأبواب المتعلِّقة بآسيا من قسم الممالك وهي الأبواب من الأول إلى أثناء الخامس[٤]، ثم استعان كاترمير بما جاء في الباب السادس في تعليقاته الغنية على الأجزاء الأولى من كتاب «السلوك» للمقريزي[٥].

كما روجعت مخطوطات المسالك بفائدة كبيرة من جانب عدد كبير من

---

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣.

(٢) Gaudefroy- Demombynes, L’Afrique moins l’Egypte, L’-Masalik al-absar fimamalik al- amsar par Ibn fadi Allah al - Omari, BGA II, Paris 1927, pp. I-VI.

(٣) Deguignes dans Journal des savants (1758).

(٤) Quatremere, M. (Notice de louvrage qui a pour titre Mesalek al- Absar fi Memalek al- Amsars Manuscrit, no.(583) 2325 dans Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliotheque du Roi et aurtes Bibliotheques 13 (1838) pp. 151-384.

(٥) Quatremere, M. Historire des Sultans Mamluks d Egypte, (trad. par), 1-3, Paris 1837-1842.

العلماء وعلى الأخص آماري وفان برشم.

والمخطوطات التي وصلت إلينا من هذا الكتاب ليست كثيرة وقد أحصاها هوروفيتس في سنة ١٩٠٧ وقدم عرضاً تحليلياً لمخطوطة آيا صوفيا[١].

ويكفي، كما يقول دي مومبين، أن نستكمل العرض الذي قدمه هوروفيتس بما عند بروكلمان[٢] مع إضافة نسخة المكتبة الصادقية في تونس ومخطوطة أحمد الثالث التي اكتشفها أحمد زكي باشا وأهدى منها مصورة إلى دار الكتب المصرية.

ولبيان النسخ المخطوطة من هذا الكتاب نبدأ أولاً بذكر نسخ الكتاب الموجودة في مكتبات تركيا ففي مكتبة آيا صوفيا باستامبول نسخة في ٢٤ مجلداً تحمل الأرقام من ٣٤١٥ إلى ٣٤٣٩ وهي نسخة ملفَّقة من نسختين مختلفتين تنقص الجزء الأول. وهذه النسخة هي التي عرضها هوروفيتس في مقاله السابق الإشارة إليه.

وفي سنة ١٩١٠ قادت الصدفة أحمد زكي باشا، رحمه الله، إلى العثور على نسخة من الكتاب في مكتبة أحمد الثالث طوب قبو سراي باستامبول حَمَلت بعد ذلك الرقم ٢٧٩٧ وهي نسخة خزائنية كتبت برسم خزانة السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي، وقد أهدى أحمد زكي باشا صورة من هذه النسخة إلى دار الكتب المصرية كانت وما تزال النسخة الكاملة الوحيدة لهذا الكتاب.

وتوجد أجزاء متفرِّقة من الكتاب في مكتبات استامبول الأخرى فهناك جزء يحمل الرقم ١٠٣٧ بمكتبة لاله لي. وجزء فيه الكلام على الحيوان والمعارف والنبات كتب بخط نسخ جميل وموضَّحة برسوم وصور متقنة للحيوانات والأشخاص والنبات في مكتبة روان كشك تحمل الرقم ١٦٦٨ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٥ معارف عامة).

وفي باريس يوجد مجلد يحوي وصف أقاليم آسيا ومصر والشام يبدو أنه نقل عن نسخة آيا صوفيا ويحمل الرقم ٢٣٢٥، وجزء آخر به الحوليات من سنة ٥٤١ـ٧٤٤هـ وهي آخر القسم التاريخي برقم ٢٣٢٨. وبالمكتبة الأهلية بباريس قِطَع أخرى تحمل الأرقام ٢٣٢٦ و٢٣٢٩ و٤٩٦٢ و٥٨٧٠ (وفيه تراجم الموسيقيين) و٥٨٦٧ و٥٨٦٨[٣].

وفي المتحف البريطاني جزء من القسم التاريخي ينتهي بنهاية الكتاب برقم ٣٧٣

(١) Horowitz, J. MSOS 10 (Berlin 1907), 2 partie, p. 43 et 5..

(٢) Brock.. C. GAL II. 177-178, S II, 175.

(٣) Sezgin, F. GAS II. 97.

وجزء آخر برقم ١٢٩٣. وجزء بمكتبة مانشستر برقم ٣٤٤.

وفي مكتبة الاسكوريال قطعة من الجزء ١٥ تقع في ٣١٧ ورقة برقم ٢٨٨ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية فيما لم يفهرس).

وفي المغرب نسخة في مكتبة القرويين بفاس برقم ١٣٢٤، وأخرى تحوي القسم الخاص بالممالك محفوظة في مكتبة العلامة محمد المنوني بالرباط برقم ٤٨٦ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية فيما لم يفهرس).

أما في مصر فتملك دار الكتب المصرية نسخاً من هذا الكتاب الهام أهمها مصورة مخطوطة أحمد الثالث وهي محفوظة بالدار تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة[١]، ومصورة مخطوطة آيا صوفيا وهي محفوظة بالدار تحت رقم ٥٦٠ معارف عامة، ومصورة الجزء المحفوظ في مكتبة البودليان بأكسفورد وهي تحت رقم ٥٦٢ معارف عامة، ونسخة حديثة تحوي القسم الخاص بالممالك وتحمل الرقم ٨م معارف عامة بالإضافة إلى قطع أخرى متفرقة تحمل الأرقام ٥٥٦ و٥٥٧ و٥٦١ معارف عامة.

وفي الخزانة التيمورية المضافة إلى الدار قطعة تحوي الباب السادس الذي ننشره اليوم وهي برقم ٥٣٥ تاريخ تيمور ويبدو أنها منقولة عن النسخة رقم ٨م معارف عامة أو أن الاثنين نقلا عن أصل واحد. وبالخزانة نفسها جزء يحوي النوع الأول من القسم الثاني الخاص بسكان الأرض فيه تراجم فقراء الصوفية والزهّاد، ثم تراجم الحكماء والمتكلمين والأطباء، ثم تراجم أهل الموسيقى وأعيان الوزراء والكتّاب وينتهي بترجمة خالد بن بَرْمك وابنه يحيى وهي محفوظة برقم ١٢٧٧ تاريخ تيمور (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٦ معارف عامة).

وفي مكتبة بلدية الإسكندرية قطعة تحمل الرقم / ن٣٣٥٥ـ ج وهي ج ١٢ تقع بـ٢٥٠ ورقة بها جميع أشكال النبات مصورة بالألوان.

وفي مكتبة سوهاج قطعة تبدأ بتراجم الوزراء والكتّاب تحمل رقم ١٨٥ تاريخ (مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤٧٣ تاريخ).

ونشر حسن حسني باشا عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وصف إفريقية والأندلس اعتماداً على نسخة تحوي ذكر الممالك كانت في خزانة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

---

(١) وعن هذه المصورة توجد صورة أخرى بمعهد المخطوطات العربية تحمل الأرقام من ١٣ـ٢٤ معارف عامة.

في تونس وهي غير نسخة المكتبة الصادقية رقم ١٢١.

هذا عرض لأهم مخطوطات كتاب «مسالك الأبصار» وهناك مخطوطات أُخرى معظمها حديثة العهد، وخاصة في مكتبات العراق يغلب على الظن أنها نقلت من النسخ المذكورة آنفاً.

وللدكتورة دوريتا كرافولسكي الباحثة في الدراسات الإسلامية بجامعة توبنغن - ألمانيا، دراسة توثيقية تناولت فيها مخطوطات الكتاب المودعة في المكتبات، والتي تُمثّل في مجموعات هي:

سلسلة آيا صوفيا.

سلسلة طوب قبو سراي.

السلسلة الأيوبية.

سلسلة ابن أبي جرادة.

إضافة إلى تبيان أجزاء كل سلسلة، وما يتبعها من أجزاء متناثرة في المكتبات العامة، والتي قد اطّلعتُ على أغلب النسخ التي ذكرتها الباحثة..

ولأهمية هذه الدراسة ارتأيت أن أنقلها بنصّها في مقدمتنا هذه لاستكمال حديثنا عن الكتاب بعد أن تحدثنا بإسهاب عن مؤلفه، شاكراً للباحثة الكريمة دقّتها ومتابعتها[(١)].

«اطلع المهتمون بأدب الشرق الإسلامي وتاريخه على كتاب ابن فضل الله العمري الضخم المعروف «بمسالك الأبصار في ممالك الأمصار» للمرة الأولى من خلال الترجمات التي قام بها كاترمير (Quaremere) عن مخطوطة «المسالك» الناقصة الموجودة بالمكتبة الملكية الفرنسية بباريس (Bibliotheque du Roi) تحت رقم ٥٨٣. ويبدو أن هذه المخطوطة اقتناها سكرتير الملك لويس الرابع عشر واسمه (Petis de la Croix[(٢)]) (المتوفى عام ١٩٦٥)[(٣)].

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (٧٠٠ـ٧٤٩هـ/ ١٣٠١ـ١٣٤٩م) محاولة في سيرة تأريخية لمخطوطاته. مجلة دراسات (العلوم الإنسانية) الصادرة عن عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية ـ عمان ـ المجلد ١٧/ أ العدد ٢/ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٦٩ـ١٨٥.

(٢) قارن: Allgemeines Gelehrten- Lexikon, Christian Gottleib Joche, de. Leipzig, 1750: 2209.

(٣) يظهر اسم سكرتير الملك باعتباره المشتري للمخطوطة بحلب على ورق العنوان. وأول المخطوطة ظهرت في Journal des Savants. Annee, 1758 لكن الملاحظة أخطأت في اسم المؤلف. وقد =

وقد دفع عمل كاترمير هذا شارل شيفر (Ch. Schefer) المترجم الأول بالسفارة الفرنسية بالقسطنطينية للبحث عن مخطوطات أخرى للكتاب. ويبدو أن سعيه قد تكلل بالنجاح لأنه يذكر في رسالة بتاريخ ٢٨ فبراير ١٨٥٥م نشر جزء منها بجملة الجمعية الآسيوية[١] أنه وجد نسخة من «مسالك الأبصار» مؤلفة من ستة وعشرين مجلداً بآيا صوفيا. كما وجد أخرى بطوب قبو سراي تقع في اثني عشر مجلداً[٢]. ويقترح شيفر على الجمعية الآسيوية في الرسالة نفسها تبني نشر الكتاب كله. ولم يؤد اقتراح شيفر إلى طبع الكتاب لكن يظهر أن هذه الفكرة التي لقيت عقبات جمة كانت وراء إقدام غودفري دي مومبين (Gaudofroy - De- mombynes) على ترجمة القسم الخاص بإفريقية من الكتاب والتعليق عليه تعليقات إضافية[٣].

وفي عشرينات القرن العشرين أخذت «دار الكتب المصرية» على عاتقها أمر إصدار نشرة كاملة من الكتاب، بإشراف أحمد زكي باشا، الذي كان قد صوّر في إحدى رحلاته إلى القسطنطينية عام ١٩١٠م نسخة من مخطوطات الكتاب وعاد بها إلى القاهرة[٤]. أما في مصر نفسها فإنه لم تكن قد بقيت من الكتاب غير أجزاء قليلة في مكتبات خاصة[٥] وكانت محتويات مخطوطة آيا صوفيا قد صارت معروفة بعد أن نشر

= قام كاترمير كما ذكرنا بترجمة أقسام كبيرة من المخطوطة ونشرها في Notices et Extratis des Manuscrits de la Bibliotheque du Roi, 1838, 13 فنشر (ص١٦٦ـ٢٢١). القسم الخاص بالهند. ونشر (ص٢٢١ـ٢٩١) القسم الخاص بالدول المغولية، وص(٢٩٢ـ٣٠٠) فصل مملكة جيل، وص(٣٠٠ـ٣٢٩) الفصل الخاص بالأكراد، وص(٣٣٠ـ٣٣٢). الفقرات المتعلقة باللور، وص(٣٣٢ـ٣٣٣) الفقرة المتعلقة بالشول، وص(٣٣٣ـ٣٣٤) الفقرة المتعلقة بشبنكاره، وص(٣٣٤ـ٣٨١) الفصل الخامس بآسية الصغرى.

(١) Journal Asiatique, v. Serie, Tome 5, 1855, 397-398.

(٢) العدد الحقيقي لمجلدات طوب قبو سراي هو ١٧ مجلداً.

(٣) Masalik el absar fi mamalik el amsar, Tome I, L'Afrique moins l'Egypte Traduit et annote avec une introduction et 5 cartes par Gaudefroy- Demombynes, Paris, 1927, III-V (introduction).

(٤) Ibn Fadlallah al Umari, Masalik al-absar, Tome I, Ahmad Zeki Pasha, de, Cairo: 1924: 2(introd), Ahmed Zeki Bey, Memoire sur les moyens propres a little, determiner en Egypte une renaiss ancedes letteres Arabes, Le Caire: 1910:12: D. Little, An Introduction to Mamluk Historiography, p. 145.

(٥) L'ouvrage d El-Omari... dont l Egypte ne possede que 6 volumes appartenant a diverses copies de second ordre, (v. Ahmed Zeki Bey. Memoire, p. 11). وهذه المجلدات =

يوسف هورويتز (J. Horovitz) مقالة عنها عام ١٩٠٧[(١)]. وصدر قسم أول من الكتاب بتحقيق أحمد زكي باشا عام ١٩٢٤م ضمن مشروع دار الكتب وعن مطبعتها[(٢)]. ويتضمن الجزء الصادر حوالي نصف النص الموجود بالمجلد الأول من مخطوطة آيا صوفيا. ثم ما لبث أحمد زكي أن توفي عام ١٩٣٢، وتوقف العمل في الكتاب[(٣)].

في العهود اللاحقة ظهرت أجزاء صغيرة من الكتاب؛ محققة أو مترجمة. كما أن فكرة نشر الكتاب كله لم تتم حتى اليوم. بيد أن أياً من الخطط الموضوعة من جهات

= الستة كانت بمكتبة نائب الخديوي بمصر مصطفى فاضل باشا المتوفى عام ١٨٧٦م. وهي اليوم بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣٦ و٣٣٧. تاريخ قارن بفهرس دار الكتب المصرية م٥/ ١٤٩-١٥٠. ويذكر أحمد تيمور باشا مجلداً سابقاً من مسالك الأبصار بمصر موضوعه النباتات والأعشاب، قارن أحمد تيمور باشا: نوادر المخطوطات العربية وأماكن وجودها، نشر صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٨٠. وقارن عن ذلك كله: W. Spitta, Die Bibliothek Mustafa- Pascha s ZDMG, 1876: 30,318-319, K Vollers, Aus der vicekoniglichen Bibliothek in Kairo, ZAMG, 1889, 43, 101-102..

(١) J. Horovitz, MSOS, 1907: 10, 43-45.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. المجلد الأول. تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩٢٤.

(٣) W. Bjorkman, OLZ, 1926: 29,836-837.

Quatremere, M.E, Notice de l ouvrage qui a pour titre, Mesalek el absar fi memalek al amsar (Manuscr. Arabe de la Bibl. du Roi, No. 583). v. Notices et Extraits des Manuscrits de la Bibliotheque du Roi, 1838: 13, 151-384, Tiesenhausen, W. de, Recueil de materiaux relative a I histoire de la Horde d Or, Tome I, St. Patersburg, 1884, Ibn Fadlallah al Umari, Masalik al- absar fi mamalik al-amsar, I, Ahmed Zeki Pasha, ed, Cairo: 1924. Hartmann, R. Die Beschreibung des Jordan- Laufes durch Al- Omari. v. Westostliche Abhandlungen, Fritz Merer, rd, weisbaden: 1954: 175-180, Ibn Fadlallah al- Umari, Bericth uber indien, O. Spies, ed. and transl. Leipzig. 1943. Inb Fadlallah al- Umari, Wasf al- Andalus wal- Maghrib, Hasan, Husni Abdalwahhab, ed, Tunis: 1922, Gaudefroy- Demombynes, Masalik al- absar fi mamalik al- amsar, Tome I, L Afriquemoins I Egypte. Trad, etannoteavec une introduction et 5 cartes, Paris: 1927, Ibn Fadlallah al- Umari, Bericht uber Weltrich, by Ibn Fadlallah al- Umari, ed. and transl, Wiesbaden: 1968, Ibn Fadlallah al- Umari, Wasf mamlakat al- Yaman, Ayman Fu ad Sayyid ed, al- musliman, Beirut: 1982, 41-70, Fariq, kursheed Ahmad, Indien unter Sultan Muh. b. Tughluq, form Masalik al- absar (transl. and ed.) Delhi: 1961, Siddiqi, I,H, et, al. A Fourteenth Century Arab Account of India under Sultan Muhammad bin Tughlug. English translation of the chapters on Inbia from Masalik al-absar, Aligarh: 1971..

متباينة لم تتحقق. فقد اعتزمت الجامعة الأميركية ببيروت أن تصدر الكتاب عام ١٩٦٦م بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسها. وفي عام ١٩٨٥م أعلن مركز البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود عن عزمه على نشر الكتاب. وفي العام نفسه جددت «دار الكتب المصرية» الإعلان عن إحياء خطتها القديمة للنشر[١]. وفي عام ١٩٨٨م بدأ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت بألمانيا الغربية بإصدار مصورة كاملة عن العمل كله تعتمد المخطوطات المعروفة كلها، بإشراف مدير المعهد الأستاذ فؤاد سزكين[٢]. وقد اكتمل إصدار المصورة عام ١٩٨٩م في سبعة وعشرين مجلداً.

واليوم وقد مضى على تعرفنا على كتاب العمري الضخم زهاء قرن ونيف، يحسن بنا السؤال عما إذا كان من الضروري أو من المفيد نشر «مسالك الأبصار» بشكل كامل. ذلك أن القسم الثاني من الكتاب المتضمن لتراجم المشهورين في سائر فنون العالم الإسلامي، والأدب، والشعر، والإدارة، والذي يشكل أكثر من ثلثي الكتاب مجموع كله من مصادر قليلة معروفة، ولا يمثل أصالة معينة، كما أنه لا يعرض جديداً في هذه المجالات. وعلى العكس من ذلك القسم الأول من الكتاب، وهو الذي يتضمن الجانب الجغرافي إذ تحتوي أجزاؤه على جديد معتبر وبخاصة ما يتعلق بالقرنين السابع والثامن للهجرة اللذين أولاهما العمري في مجال الجغرافية السياسية «عناية» ظاهرة. وما دام الأمر كذلك، أفليس الأجدى الانصراف للاهتمام بالقسم الجغرافي من «مسالك الأبصار» عن طريق النشر العلمي، وتحليل المضامين ؟ والواقع أن هذا هو ما كان حتى الآن، فجل العمل على «مسالك الأبصار» طول قرن من الزمان انصب على نشر أجزاء من القسم الجغرافي، أو ترجمتها إلى اللغات الأوروبية. وقد تتابع الناشرون والمترجمون على الشكوى من سوء المخطوطات المتوافرة من الكتاب. وكنت قد تمكنت من الاطلاع على مخطوطتي الكتاب الرئيستين الموجودتين بآيا صوفيا، وطوب قبو سراي أثناء عملي في نشر بعض أجزاء القسم الجغرافي. ثم قارنت هاتين المخطوطتين بالأجزاء المتناثرة من الكتاب، والمنتشرة في مكتبات أوروبا. ونتيجة لذلك تكونت لدي نظرة شاملة في مخطوطات الكتاب، سلاسله وأجزائه والعلائق فيما

---

(١) مجلة أخبار التراث العربي، جامعة معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ع١٧، ١٤٠٥هـ؛ ١٩٨٥.

(٢) رجع الأستاذ سزكين إلى كل المخطوطات المتوافرة من الكتاب، لكنه لم يراع ـ ربما لأسباب تتعلق بالخط ـ مسألة السلاسل التي درستها في هذا المقال «سيد».

بينها. ولذا فإن محاولتي هنا تنصَّب على بيان المخطوطات المبكرة للكتاب، والعلاقات فيما بينها وقدمها عسى أن يكون ذلك معيناً في الدراسات والنشرات المستقلة للكتاب وحوله من جانبي، ومن جانب سائر الباحثين.

أدتني النظرة المتأنية في مخطوطات «مسالك الأبصار» باسطنبول وأوروبا، إلى الاستنتاج، بأن نسخ الكتاب وتناسخه يمتد على حقبة زمنية قصيرة بعد وفاة المؤلف ابن فضل الله العمري (٧٠٠ـ٧٤٩/ ١٣٠١ـ١٣٤٩) ويعني هذا أن الاهتمام بالكتاب كان قصير الأمد، ويمتد فقط في الحقبة التي ظهرت فيها الموسوعات وكتب التاريخ والتراجم الشاملة بالشام ومصر، من مثل تاريخ ابن الفرات (٧٣٥هـ ـ ٨٠٧/ ١٣٣٤ ـ ١٥٠٤م) وصبح الأعشى للقلقشندي (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، وكتب المقريزي في التاريخ والتراجم (٧٦٦ـ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤ـ١٤٤٢م) وعقود الجمان لبدر الدين العيني (٧٦٢ـ٨٥٥هـ/ ١٣٦١ـ١٤٥١م)، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (من حوالي ٨١٢هـ حتى حوالي ٨٧٤هـ/ ١٤٠٩ـ١٤٦٩م)، وأخيراً جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ٩١١هـ/ ١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م) وكتبه الشاملة في عدة فنون. وقد لقيت هذه البيئة المنتجة نهايتها مع فتح العثمانيين لمصر عام ١٥١٧م. وهكذا نجد أن آخر من اقتبس من العمري هو السيوطي الذي يقع في خاتمة البيئة سالفة الذكر.

سلاسل نسخ «مسالك الأبصار»: إن المعتاد في نسخ الأعمال الكبيرة التي تتضمن عدة مجلدات، أن تتغير أجزاؤها عدداً وحجماً (سفر، جزء، مجلد). ويحدث ذلك تبعاً لحجم الورق المستعمل، ونوع الخط وضخامته، وذوق النساخ وهذه أمور تتعلق بالناسخ نفسه لا بالمؤلف الذي يسيطر على المحتويات، والتنظيم والتقسيم المضموني الداخلي للعمل. وهكذا فإن الباحث في مثل هذه الأحوال لا يستطيع أن يحدد بوضوح التجزئة الأصلية للمؤلف ما لم يكن الأصل حاضراً بين يديه أو يكون العدد الأصلي معروفاً من مصادر خارجية. في مثل هذه الحالة يقتصر عمل الباحث على ذكر أجزاء النسخ المختلفة للكتاب. وهذا العمل بحد ذاته مفيد للناشر أو المحقق الذي يكون عليه أن يدرس علاقات النسخ المختلفة للكتاب بعضها ببعض. فإذا استطاع الناشر أن يعرف جزءاً طائراً باعتباره منتمياً إلى نسخة معينة بناء على ترقيمه وأن يعيده إلى موضعه من مجموع النسخة، أمكن له أن يحدد قدم ذلك الجزء أو تاريخ نسخه في معظم الأحوال. ذلك أنه من النادر جداً في نسخة تتكون من عدة أجزاء أن لا تحتوي أسفارها، على ملاحظات وهوامش وتحشيات تمكن من تحديد قدمها، مثل نص وقف أو تملك، أو تاريخ نسخ أو سماع أو قراءة.

أما كتاب «مسالك الأبصار» للعمري الذي نحن بصدده، فإن العدد الأصلي لأجزائه حسب تقسيم المؤلف هو سبعة وعشرون سفراً[١]. وقد استطعت أن أحدد للكتاب أربع نسخ أو سلاسل من هذه النسخ. كانت هناك نسختان معروفتان منذ بحوث شارل شيف (Ch. Schefer) ويوسف هورويتز (J. Horovitz) وهما سلسلة آيا صوفيا التي تتكون من سبعة وعشرين سفراً، وسلسلة طوب قبو سراي (أحمد الثالث) التي تتكون من سبعة عشر سفراً[٢]. أما النسختان الأخريان اللتان أطلقت عليهما اسمي متملكيهما الأوائل فهما السلسلة الأيوبية، وتتألف من ثلاثة وعشرين مجلداً، وسلسلة ابن أبي جرادة، وتتألف من سبعة وعشرين سفراً مثل تجزئة نسخة المؤلف. وقد توصلت إلى هذه النتيجة ـ كما أسلفت ـ بالرجوع إلى مخطوطات العمل باسطنبول وأوروبا[٣].

يحمل الجزء الموجود من «مسالك الأبصار» من السلسلة الأيوبية بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٢٣٢٢٨ ـ عربي) نص وقفية هي كما يلي: «وقف وحبس وسبل جميع هذا المجلد وما قبله من المجلدات من كتاب «مسالك الأبصار... وعدد ذلك اثنان وعشرون مجلداً من أصل ثلاثة وعشرين...» وليس على ظهر الجزء ما يشير إلى أي جزء هو أو موقعه من النسخة لكن مضامين المجلد توضح موقعه. فهو يتضمن الأحداث التاريخية بين العامين ٥٠١ و٧٤٤هـ. ويعني هذا أن المجلد الباريسي هو آخر أجزاء الكتاب[٤]. ولأن نص الوقفية يقول إن السلسلة تتكون من ثلاثة وعشرين مجلداً فمعنى ذلك أنه المجلد الثالث والعشرون. والوقفية نفسها تدل على ذلك لأن نصها يقول: «وما قبله من المجلدات» بينما لا يتحدث «عما بعده» بخلاف ما على المجلد السادس عشر من السلسلة (المتحف البريطاني ـ رقم ٤٣٤٨) إذ يجيء في نص الواقف: «وما قبله وما بعده» وإذا كانت السلسلة الأيوبية قد تميزت بنص الواقف، فإن سلسلة ابن أبي جرادة تتميز بنص التملك الذي يتكرر على ظهور أسفارها على الشكل التالي: «من كتب عبد الغني ابن أبي جرادة الحنفي».

لكن لندقق النظر في السلاسل الأربع واحدة بعد الأخرى لإيضاح بعض التمايزات ونعني بها: مخطوطة آيا صوفيا، ومخطوطة طوب قبو سراي، والمخطوطة الأيوبية، ومخطوطة ابن أبي جرادة. فلكي لا يحدث خلط بين السلاسل نتقدم بملاحظة

(١) ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية ٣/ ١٩، والنتائج المستخلصة من الدراسة فيما بعد.
(٢) قارن بما ورد في الملاحظات الأولى.
(٣) لم أستطع الاطلاع على أجزاء الكتاب الموجودة بالقاهرة. قارن عنها الملاحظة رقم ٣ فيما سبق.
(٤) J.Horovitz, MSOS, 1907: 10,44.

مؤداها أن المجلد الأول من سلسلة آيا صوفيا ليس بين مجلداتها بمكتبة آيا صوفيا، بل إنه أضيف إلى سلسلة طوب قبو سراي التي فقد جزؤها الأول في وقت ما. وقد استنتجنا ذلك من نصي التملك والإهداء الموجودين على ظهر هذا المجلد كسائر مجلدات آيا صوفيا. وستعيننا هاتان الملاحظتان في ترتيب بقية المجلدات المتناثرة من هذه السلسلة. والحق أن إضافة هذا المجلد إلى سلسلة طوب قبو سراي ليس حديثاً. يدلنا على ذلك «طغراء» السلطان العثماني أحمد الثالث (١١١٥ـ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣ـ١٧٣٠م) الموجودة على سائر مجلدات سلسلة طوب قبو سراي، وعلى ظهر الجزء المذكور أيضاً والذي ينتمي في الأصل إلى سلسلة آيا صوفيا. وليس بالوسع القول بدقة متى ضمّ هذا المجلد إلى سلسلة طوب قبو سراي، لكننا نستطيع، استناداً إلى نص التملك عليه وعلى سائر أجزاء سلسلة آيا صوفيا، القول إنه كان ما يزال موجوداً ضمن سلسلته الأصلية حوالي العام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦ـ١٤٤٧م.

١ـ سلسلة آيا صوفيا: تقع سلسلة آيا صوفيا في سبعة وعشرين جزءاً وهناك ملاحظة طويلة على ظهر الجزء الأول من السلسلة تشير إلى أن «خطبة» الكتاب قرئت على المؤلف. وإلى هذه القراءة أو السماع ـ فيما يبدو ـ تعود بعض الملاحظات على الهوامش، ولكنها ليست بخط العمري كما حسب أحمد زكي باشا[١]. وبالإضافة إلى ذلك فإن ظهر المخطوطة يحتوي على تملك بخط محمد بن أحمد بن أينال العلائي الدوادار الحنفي (ولد حوالي العام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣ـ١٤٣٤م) وفي أعلى الورقة إهداء نصه: نعم الحافظ الله، نعم القادر الله فنعم القادرون ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٢].

وهكذا فإن نسخة آيا صوفيا تتميز بنص التملك والإهداء السالفي الذكر، والموجودين على كل أجزائها.

ويحتوي الجزء الأول من السلسلة، وهذا ما يميزه، على كل الخرائط المشار إليها في النص بما في ذلك خريطة العالم. والطريف الجديد في هذه الخريطة شبكة خطوط الطول والعرض المنحنية مراعية في ذلك الشكل البيضاوي للأرض، وهو أمر لا

---

(١) قارن بكلام أحمد زكي باشا في مقدمته على نشرته للمجلد الأول من مسالك الأبصار، القاهرة ١٩٢٤، ١/١. وقد تمكنّا من التعرف على خط العمري في ورقة باقية من كتاب «دمعة الباكي» فتبين لنا بالمقارنة أن الملاحظات والهوامش في الجزء الأول من المسالك بخط العمري، قارن عن ورقة «دمعة الباكي».D.S.Rice, BSOAS, 1949-1951: 13, 856-857 .

(٢) سورة هود: الآية ٥٧.

نعرفه في الخرائط المشابهة[١]. دخلت هذه السلسلة بطريق الوقف إلى مكتبة آيا صوفيا في القرن الثامن عشر. والواقف هو مؤسسة مكتبة آيا صوفيا السلطان محمود خان الأول (١٧٣٠ـ١٧٥٤م)[٢]. ويمكن تبين ذلك من الطغراء ونص الوقف على ظهر الجزء الثاني من السلسلة، وهو كما يلي: «قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم، الخاقان المعظم، ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين، السلطان ابن السلطان، السلطان الغازي محمود خان... الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين...».

٢ـ السلسلة الأيوبية: تقع هذه السلسلة في ثلاثة وعشرين مجلداً كما في نص وقفها. وبقي منها بمكتبات أوروبا مجلدان. أحدهما، وهو المجلد الثالث والعشرون بالمكتبة الوطنية بباريس رقم٢٣٢٨ ـ عربي. وهو يقع في ١٩٠ ورقة، ويتضمن الأحداث التاريخية بين العامين (٥٠٠ و٧٤٤هـ/ ١١٠٧ـ١٣٤٣، ١٣٤٤م). وعلى ظهر هذا الجزء نص يشير إلى هوية مالك السلسلة، وهو: «محمد بن علي بن عيسى[٣] بن داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي عفا الله عنه ـ عام ٧٦١» .

ويأتي تحت هذا النص سطر تتكرر فيه كلمة «وقف» يتلو ذلك بياض ثم نص الوقفية: «الحمد لله حق حمده. وقف وحبس وسبل المقر الأشرف العالي الجمالي محمود أستادار العالية الملك الظاهري... جميع هذا المجلد وما قبله من المجلدات من كتاب مسالك... وعدة ذلك اثنان وعشرون مجلداً من أصل ٢٣.

فالمفقود منه المجلد ٢١. وقفاً شرعياً على طلبة العلم... وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة... التي أنشأها بخط الموازينيين بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة...» ونتبين من نص الوقف أن المكتبة الموقوف بها تابعة لمدرسة بناها الواقف أيضاً. ومع أن النص لا يذكر اسم المدرسة لكننا نستطيع التعرف عليها دون صعوبة من خلال اسم الواقف وهي المدرسة المحمودية. فالمقريزي يذكر في الخطط[٤] أن منشىء المدرسة

(١) قارن عن الخرائط الإسلامية دائرة المعارف الإسلامية، النشرة الجديدة م٤، ١٠٧٧ب ١٠٨٣أ، وفؤاد سزكين: مساهمة العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت ١٩٨٧، خريطة رقم ١١.

(٢) El (2), Aya Sofia, I, 776a.

(٣) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى بن داود الدمشقي المصري (٦٥٥ـ٧١٩هـ/ ١٢٧٥ـ١٣١٩م) أمير طلبخاناه بدمشق، قارن: M.Gaston Wiet, Les Biographies du Manhal Safi, Nr. 1774.

(٤) المقريزي: الخطط ٢/ ٣٩٥ـ٣٩٧.

وواقفها هو الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستاذدار وقد أمر ببنائها عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤ـ١٣٩٥م، وأضاف إليها مكتبة ضخمة احتوت على ذخائر عز نظيرها بمصر والشام. وكان يمنع أثناء حياته (عاش بين ٧٦٦ و٨٤٥هـ/ ١٣٦٤ـ١٤٤٢م) من إعارة كتبها لأي كان.

ويحتفظ بالمجلد الثاني من هذه النسخة ـ المتحف البريطاني بلندن رقم ٢٤٣٤٨. ويبدأ المجلد بالقول: «ثم لم يبق إلا ذكر الشعراء بالجانب الغربي». وهكذا فإنه يلتقي من حيث المضمون مع المجلد السابع عشر بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٣٢٧ ـ عربي[1]. وعليه نص قراءة كتبه أحمد بن سلمان بن عبد الله الحنفي.

٣ـ سلسلة طوب قبو سراي: تتألف سلسلة طوب قبو سراي من سبعة عشر مجلداً. وينقص النسخة الجزء الأول الذي استعيض عنه بالمجلد الأول من نسخة أيا صوفيا. ويبدو أن ذلك حدث قبل دخولها إلى مكتبة السلطان أحمد الثالث (١١١٥ـ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣ـ١٧٣٠م). يدل على ذلك أنه يحمل ختم المكتبة والطغراء السلطانية، كما أنه كسائر أجزاء النسخة مرقم الصفحات، ومرقم الأجزاء بالخط نفسه مع ختم على ورقة الصفحة ورقم الجزء. ولأن هذا الجزء ينتمي إلى نسخة من «مسالك الأبصار» تتكون من سبعة وعشرين مجلداً، لذا فإنه يتضمن قسماً أقل من الكتاب، أي أنه يتضمن محتوياتٍ أقل من المجلد الذي استعيض عنه به، وهو جزء أو مجلدٌ من نسخة تقع في سبعة عشر مجلداً. ولذا بقي هناك نقص كبير نسبياً بين هذا الجزء المضاف وهو الأول، والجزء الثاني من سلسلة طوب قبو سراي. ولا يختفي هذا النقص إلا بوضع هذا الجزء قبل الجزء الثاني من نسخة آيا صوفيا التي كان ينتمي إليها أصلاً.

وما دام الأمر كذلك، ولكي نستطيع أن نصل إلى نتيجة ما حول قدم نسخة طوب قبو سراي، فإن علينا أن نبدأ بالمجلد الثاني وليس الأول. فعلى المجلد الثاني نجد أولاً نص الوقف الموجود على ظهور سائر مجلدات السلسلة: «برسم خزانة السلطان الملك المؤيد شيخ... بالجامع الذي أنشأه بباب زويلة... وقف هذا الجزء وما قبله وما بعده الملك المؤيد أبو النصر شيخ في الجامع المؤيدي...». وهكذا فإنّ واقف المخطوطة هو السلطان المملوكي المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي (٨١٥ـ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ـ١٤٢١م) الذي وضع حجر الأساس لجامعه في ٤ جمادى الثانية عام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م المعروف

---

(١) ينتمي هذا المجلد إلى سلسلة آيا صوفيا بعلاماتها المميزة كالإهداء ونص التملك.

بالجامع المؤيديّ. وقد ألحق السلطان بالجامع مكتبة افتتحها في العاشر من المحرم عام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م. وقد أمر السلطان بأن تجلب إلى مكتبته مجموعة ثمينة من الكتب كانت موجودة قبل ذلك بقلعة الجبل. وقد عيّن السلطان ناصر الدين محمد البارزي خطيباً بالجامع، ونائباً لوقفه فجلب معه مكتبته وأوقفها وكانت تحتوي على خمسمائة مجلد[(١)].

وتظهر في سلسلة طوب قبو سراي الأخطاء نفسها التي لاحظناها في سلسلة آيا صوفيا، بالإضافة إلى أخطاء كثيرة مستجدة ليست في آيا صوفيا. فإذا كانت هذه السلسلة ذات علاقة بآيا صوفيا فلا شك أن بينهما نسخة وسطية واحدة على الأقل.

٤ـ سلسلة ابن أبي جرادة: تقع نسخة هذه السلسلة في سبعة وعشرين مجلداً. وبذلك فإن مجلداتها تتطابق عدداً مع مخطوطة المؤلف[(٢)]. واستند في قولي بوجود هذه السلسلة من كتاب «مسالك الأبصار» إلى نص على مجلد من الكتاب بالاسكوريال تحت رقم ٢٨٧ ونصه: «السفر الخامس عشر من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. هذا الكتاب وهو في سبعة وعشرين مجلداً. هذا الخامس عشر. وهكذا فإنه المجلد الخامس عشر من سبعة وعشرين مجلداً. ومحتويات المجلد تراجم الشعراء بدءاً بالمتنبي. وبذلك فهو يطابق من حيث المحتوى المجلد الخامس عشر من سلسلة آيا صوفيا[(٣)]. وعلى المجلد ملاحظة هي نص التملك وهو غير مؤرخ وهو «من كتب عبد الغني بن أبي جرادة الحنفي». وهكذا فإن المالك هو أحد أعقاب أسرة المؤرخ ابن العديم المتوفى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م. وقد أخرجت هذه الأسرة طوال مائتي عام فقهاء وعلماء أحنافاً بحلب وحماة. وحوالي منتصف القرن الثامن الهجري وصل بعض أعقاب الأسرة إلى منصب قاضي قضاة الأحناف بالقاهرة[(٤)].

---

(١) العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ص٢٧٢، وابن إياس: بدائع الزهور ٢/ ٦، والمقريزي: الخطط ٢/ ٣٢٨ـ٣٣٠ والسيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ٢٧٢ـ٢٧٣.

(٢) قارن بما سبق عن النسخة التي اطلع عليها المؤلف.

(٣) قارن بـ J. Horovitz, MSOS, 1970: 10, 43.

(٤) عز الدين عبد العزيز بن محمد بن أبي جرادة بن هبة الله (٦٣٣ـ٧١١هـ) ظل حوالي الأربعين سنة قاضياً بحماة (ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/ ٤٩٢). أما ولده عمر فقد ولي قضاء الحنفية بحلب لأول مرة بعد أن كان الشافعية ينفردون بذلك (الدرر الكامنة رقم ٣٠٢٢). ثم عاد ولده محمد بن عمر (٦٨٩ـ٧٥٢هـ) فولي قضاء حماة فحلب طوال ثلاثين عاماً (الدرر الكامنة ٤/ ٢٢٤ رقم ٤١٥٧). وجاء ولد الأخير إبراهيم بن محمد بن عمر فولي قضاء حلب أيضاً حتى وفاته (الدرر الكامنة ١/ ٦٦ رقم ١٧٢). وابن إبراهيم هذا، وأحفاده انتقلوا إلى القاهرة وتوالوا على قضاء =

وتنتمي مخطوطة باريس من «مسالك الأبصار» رقم ٢٣٢٩ إلى السلسلة نفسها. وهي تتضمن الأحداث التاريخية منذ ما قبل الإسلام وحتى خلافة علي بن أبي طالب[١]. ثم تتابع سلسلة آل علي حتى الطبقة الخامسة وعلى ظهر هذا الجزء ملاحظتان إضافيتان غير تملك ابن أبي جرادة أولاهما: «نظر في هذا الكتاب المبارك أحمد بن علي بن بدر الشافعي المؤدب» ٢١ رجب ٩١٩هـ/ ١٥١٣م. والأخرى تملك متأخر نصه: «من كتب العبدوسي في سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤ـ١٦٠٥م».

أقدم السلاسل ـ النسخة الأم: ذكرنا من قبل أثناء الحديث عن مخطوطة آيا صوفيا من «مسالك الأبصار» أن على ظهر المجلد الأول منها ملاحظة تفيد أن خطبة الكتاب قرئت على المؤلف. وهكذا يرد السؤال عما إذا كانت مخطوطة آيا صوفيا هي «الأم» التي تفرعت عنها السلاسل الأخرى. وبعد تأمل في السلاسل والمستنسخات أستطيع أن أقول بشيء من الاطمئنان أن نسخة آيا صوفيا هي المخطوطة الأم فعلاً. وكان هورويتز Horovitz قد لاحظ في مقالته المنشورة عام ١٩٠٧ أن نسخة آيا صوفيا تتضمن مجلدات مكتوبة بخط مختلف[٢]. فهذه المجلدات لم تكن من النسخة الأصلية وإنما أضيفت إليها لتعويض مجلدات فقدت منها. وكنا قد ذكرنا أن سلسلة آيا صوفيا تتميز ببعض الأمور: الإهداء في أعلى ظهر المجلدات، ونص التملك الذي يرد فيه اسم أحمد بن إينال العلائي الدواداري الحنفي (المولود عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣ـ١٤٣٤م). وهكذا فإنه استناداً إلى هاتين العلامتين نستطيع أن نتعرف على أجزاء السلسلة المتناثرة أو الداخلة في سلاسل أخرى. ومن هذه الأجزاء المجلد الموجود بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٣٢٧ ـ عربي، والذي يبدأ: «ثم لم يبق إلا ذكر الشعراء بالجانب الغربي». والمجلد يحمل الرقم ١٧، وعليه العلامتان اللتان تميزان مخطوطة آيا صوفيا. كما يتضمن ملاحظات على هوامش صفحاته بخط المقريزي كتبها عام ٨٣١هـ/ ١٤٢٧ـ١٤٢٨م وكما استنتج هورويتز فإن هذا المجلد مكتوب بخط آخر. وقد اطلع العمري على هذا المجلد، وشطب كثيراً مما فيه. فهو يشطب أحياناً على بعض

= الحنفية فيها (المقريزي: السلوك ٤/ ١/ ٨٨، ٣٧٧، والسيوطي: حسن المحاضرة ٢/ ١٨٥، ١٨٦). وفي عصر العمري كان شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر بن أبي جرادة بن هبة الله (٧٠٠ـ٧٦٥هـ) نائباً بحصن شيزر (الدرر الكامنة ١/ ٣٠٨ـ ٣٠٩، وابن إياس: بدائع الزهور ١/ ٢/ ١٣، والمقريزي: السلوك ٣/ ١/ ٩٣).

(١) قارن بـ J. Horovitz, MSOS, 1970: 10, 45.

(٢) J. Horovitz, MSOS, 1970: 10, 43-45.

الأبيات، وأحياناً أخرى على القصيدة كلها. لكنه يكتفي أحياناً بشطب كلمات قليلة. وعندما قارنا هذا المجلد بالمجلد المماثل من السلسلة الأيوبية (الموجودة بالمتحف البريطاني رقم ٢٣٤٨) وجدنا أن كل المشطوبات في مجلد آيا صوفيا لم تعد موجودة». أما الإضافات بالهامش فقد صارت في أمكنتها بداخل النص. وكان كولان (G.S.Colin) قد خمن أن المجلد المذكور هو نسخة مقروءة ومعدلة من جانب المؤلف(١).

وهناك مجلد آخر من سلسلة آيا صوفيا يمكن النظر فيه لإثبات أنه «مسودة» المؤلف، وأعني به المجلد رقم ٥٩٨٩ بالمتحف البريطاني. يبدأ المجلد بتراجم الشعراء وبترجمة الشاعر الجاهلي امرىء القيس بالذات. ونلاحظ في المجلد العلامات نفسها التي تميز سلسلة آيا صوفيا: الإهداء على ظهر المخطوطة الأعلى، ونص التملك ومرة أخرى ملاحظات المقريزي على الهوامش. وأول هذه الملاحظات على الصفحة الأولى من المجلد وهي مؤرخة ونصها: «انتقاه داعياً لمعيره أحمد بن علي المقريزي ٨٣١هـ»(٢). وتأتي ملاحظة المقريزي الثانية سريعاً هذه المرة أثناء الترجمة لامرىء القيس إذ يخبرنا أنه جمع جزءاً في أسماء الشعراء «المراقسة» أو من اسمه امرؤ القيس من الشعراء. والمجلد مليء بالفجوات والبياضات المتروكة لملء لاحق أو إضافة عارضة. وهناك مثلاً عنوان يتضمن اسم شاعر لكن مكان الترجمة بياض كله.

لكن هناك أيضاً إضافات في الهوامش بيد أخرى أو خط آخر(٣). وفي خاتمة المجلد نقرأ النص التالي: «وكان الفراغ من هذا السفر يوم السبت، ثامن عشر ذو القعدة المبارك سنة ٧٤٥هـ/ ٣ مارس ١٣٤٥م». وهذا المجلد غير مرقم. لكن في سلسلة

(١) Il apparait que ce ms. silnest pas tout entier de la main meme d al- Umari represente neanmoins une premiere mise au propre des notes del auteur, avec, en marge, de nombreuses additions qui pourratient bien etre de son ecriture. Dnas plusieurs cas, I emplacement destine a certaines biographies avait ete laisse primitivtement en blanc, une fichey fut surement collee... puis se trouva detachee..., G. S. Colin, Quelques poetes arabes du XIV siecle. Hesperis, 1931: 12, S. 241.

(٢) هذا الشكر من جانب المقريزي للمعير موجود أيضاً على ظهر المجلد الثالث من نسخة آيا صوفيا، وعلى سائر ظهور مجلدات «الأم».

(٣) بل يرى D.S.Rice أن قسماً من المخطوطة مكتوب بخط المؤلف لكنني بعد مراجعة متأنية أرى أن ذلك غير مرجح، قارن: D.S.Rice, BSOAS, 1949-1951: 856.

آيا صوفيا ينبغي أن يكون رقمه الرابع عشر، إذ يأتي بعده المجلد رقم ١٥ حيث تستكمل تراجم الشعراء بدءاً بالمتنبي. ونجد إشارة إلى ذلك في آخر المجلد السابق.

ويمكن التأكيد أن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٣٢٦ـ عربي مستنسخة عن المجلد رقم ١٤ الذي تحدثنا عنه في السطور السابقة. فهذا المجلد يحمل الرقم ١٤ بوضوح ليس على الظهر فقط، بل مع بداية كل جزء من أجزائه. ويبدو أن استنساخه حدث في حياة المؤلف لأن الفراغات والبياضات التي في مسودة المؤلف موجودة فيه. وعلى هامش الورقة رقم ١٣٣/أ من المجلد ملاحظة كتبها بدر الدين أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي الشافعي (٨٦٧ـ٩٦٣هـ/ ١٤٦٣ـ ١٥٥٦م) مؤلف معاهد التنصيص[١]. وهو ينقد في ملاحظته العمري بقسوة لخطأ وقع فيه في ترجمته للفرزدق[٢].

هكذا نستطيع القول إن سلسلة آيا صوفيا تمثل الاستنساخ الأول من مسودة المؤلف «الناقصة» أو من المجموع الأول للمادة التي أعدها للكتاب. وظلت هذه السلسلة تحت يد المؤلف بحيث استطاع أن يتعقبها بالشطب والتصحيح والإضافة. وعلى هذا الاستنساخ الأول من الأم تأسست السلاسلة الأخرى: طوب قبو سراي، والأيوبية، وابن أبي جرادة. وتتميز السلسلة الأيوبية بالخط الجيد، والتشكيل الكامل المأخوذ عن الأم «بينما لا تشكيل في سلسلة ابن أبي جرادة، كما أنها مكتوبة بسرعة وبغير عناية. وخط نسخة طوب قبو سراي متوسط الجودة، كما أنها مشكلة جيداً.

لقد تحدثنا حتى الآن عن المخطوطات وسلاسلها الأربع باعتبارها وحدات مستقلة لكي لا يتعقد العرض منذ البداية. ويمكن الآن القول إن السلاسل المذكورة لا يتضمن كل منها مجلداتها الخاصة فقط، بل هناك اختلاط بين السلاسل ناجم عن إحلال مجلد من سلسلة أو أكثر محل ضائع أو مفقود. وقد رأينا من قبل أن المجلد الأول من سلسلة آيا صوفيا موجود اليوم كمجلد أول من نسخة طوب قبو سراي محل المجلد الضائع منها. وقد تبين لنا بطريق المراجعة الدقيقة أن سلسلة آيا صوفيا تحفل بمجلدات مستعارة من سلسلتي الأيوبيين، وابن أبي جرادة، ونتبين ذلك بوضوح على بعض المجلدات المأخوذة من السلسلة الأيوبية إذ جرى تغيير رقم المجلد ليتناسب

---

(١) انظر عنه أيضاً .Brockelmann SII, 394 and SI, 519 Nr. 6

(٢) يكرر العباسي النقد ذاته في كتابه معاهد التنصيص (بيروت ١٩٤٧) ١/ ٤٥ دون أن يذكر المخطىء أو المخطئين هذه المرة.

والرقم الضائع الذي يراد تعويضه بسلسلة آيا صوفيا. وكان ذلك ضرورياً لأن نسخة آيا صوفيا يبلغ عدد مجلداتها سبعة وعشرين، بينما يبلغ عدد مجلدات السلسلة الأيوبية ثلاثة وعشرين مجلداً. ونتيجة هذا التعويض فإن الأرقام تغيرت، كما نشأت أحياناً مكررات فـي أجزاء متوالية، وأحياناً أخرى نواقص ومفقودات فيما بينها. وقد تناول تعديل الأرقام أحد عشر مجلداً مما هو موجود الآن في سلسلة آيا صوفيا(١). دون أن يعني ذلك أن بقية المجلدات تنتمي إلى المخطوطة «الأم». إذ في السلسلة أجزاء أخرى مأخوذة مـن سلسلة ابن أبي جرادة. فإلى الأم تنتمي بسلسلة آيا صوفيا المجلدات التالية:

المجلد الثالث: يبدأ «النوع الثاني في ذكر ممالك الإسلام». والباب الأول في مملكة الهند والسند. وخاتمة المجلد «مملكة مصر والشام والحجاز». وعلى الورقة رقم ١٥٦ب من المجلد تعليقات للمقريزي. ونوع الخط يشير إلى أن قسماً من المجلد فقط هو جزء من المسودة الأم ـ بينما قسمه الآخر ليس من الأم.

المجلد الخامس: يبدأ «القسم الثاني من سكان الأرض». وعلاماته: الإهداء بأعلى ظهر المخطوطة، والتملك الذي كتبه إينال العلائي والقراءة التي أثبتها المقريزي في العام ٨٣١هـ، ونص الوقف بمكتبة السلطان محمود خان الأول، وورقات متناثرة، وسقط، وملاحظات على هوامش النسخة وتشكيل غني.

المجلد الخامس عشر: يبدأ: «ومنهم أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بالمتنبي». وعلاماته: «الإهداء بأعلى ظهر المخطوطة، والتملك الذي كتبه إينال العلائي، والقراءة التي أثبتها المقريزي في العام ٨٣١هـ، ونص الوقف بمكتبة السلطان محمود خان الأول، وورقات طيارة، وسقط، وتشكيل غني».

المجلد التاسع عشر: يبدأ «ومنهم السراج الوراق». وأماراته: الإهداء بأعلى ظهر المخطوطة، والتملك الذي كتبه إينال العلائي، والقراءة التي أثبتها المقريزي في العام ٨٣١هـ، ونص الوقف بمكتبة السلطان محمود خان الأول، وورقات طيارة، وتشطيب كثير يشمل أحياناً قصائد كاملة، وسقط، وفراغات، وتشكيل غني.

المجلد الخامس والعشرون: «وقد تقدم من ذكر الأنبياء والخلفاء وملوك بني

---

(١) تناولت التعديلات (حسب هوروبيتز) مثلاً المجلد الذي جعل سادسها، والمجلد السادس الذي جعل سابعاً، والمجلد الثامن الذي جعل تاسعاً، والمجلد التاسع الذي جعل عاشراً، والمجلد التاسع عشر الذي جعل الثاني والعشرين.

إسرائيل وغيرهم في قسم سكان الأرض ما كان فيه مقنع... حكان بني إسرائيل ذكر يوشع» وعلامات المجلد: الإهداء بأعلى الظهر، وتملك إينال العلائي، وقراءة المقريزي عام ٨٣١هـ، ووقف السلطان محمود الأول، وورقات طيارة، وشطب كثير، وسقط كير وبياضات، وتشكيل غني.

وهكذا فإننا نملك اليوم من المخطوطة الأم لمسالك الأبصار المجلد السابع عشر الموجود بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٣٢٧ـ عربي، والمجلد الرابع عشر الموجود بالمتحف البريطاني، لندن رقم ٩٥٨٩، والمجلد الأول الموجود بمكتبة طوب قبو سراي والمجلدات الخمسة بآيا صوفيا فيبلغ مجموع الموجود من الأم اليوم ثمانية مجلدات[١].

ويبقى أمر يستحق الاهتمام، فليس هناك ما يرغم على اعتبار كل مجلد فريد أو طيار من «مسالك الأمصار» منتمياً إلى إحدى السلاسل الأربع. إذ إن هناك أناساً كانوا يعمدون إلى نسخ أو استنساخ الجزء الذي يهمهم فقط من المسالك. وهو ما يظهر بالنسبة للمجلد الموجود بالبودليان، أوكسفورد بوكوك رقم ٩١٩١. فلا شك أنه مستنسخ عن المجلد الأول بسلسلة طوب قبو سراي، لأنه يتضمن تماماً ما يتضمنه ذاك المجلد من السلسلة البالغة سبعة عشر مجلداً. وقد نسخ المجلد أو اكتمل نسخه يوم الخميس في ٨ محرم ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م بينما تاريخ وقف نسخة طوب قبو سراي هو العام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م. وقد أشار الناسخ في مجلة البودليان في نهاية المجلد إلى محتويات المجلد الثاني، وإشارته تتفق وبداية المجلد الثاني فعلاً. وقد دخل المجلد المستنسخ عام ٩٤٤هـ/ ١٣٥٧م في ملكية معروف بن أحمد الشامي الذي عبّر عن أمله في ملاحظة التملك فـي أن يستطيع تملك المجلد الثاني المكمل للمجلد الذي دخل في تملكه. لكن ربما لم ينسخ أحد المجلد الثاني بحيث يستطيع الشامي تملكه. وقد ورث ابن معروف الشامي المذكور المجلد عن والده ثم دخل في تملك أسرة أخرى. وآخر التملكات الموجودة على المجلد بيد أحمد بن أبي نصر في ٢٥ ذي الحجة عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م.

ومن أمثلة الاستنساخ الجزئي المتأخر المجلدان الموجودان من «مسالك

---

(١) لم يتسن لي الاطلاع على المجلدات الموجودة بالقاهرة (وعددها ست)، والاسكندرية (مجلد واحد) ولا له لي باسطنبول رقم ٢٠٣٧. وقد ذكر سزكين في تمهيده لمصورته للعمري في مجلدات ومخطوطات أخرى غير ما اطلعت عليه. والمعروف أن مجلدات القاهرة، وتونس (وسنذكر ذلك) ٤مستنسخات متأخرة ولا تنتمي إلى السلاسل التي ذكرناها.

الأبصار» بالمكتبة الوطنية بتونس. أولهما يحمل الرقم ٦٧٧٨ ويبدأ: «القسم السابع في الطرق وفيه فصلان الأول في تعاريج الطريق، والفصل الثاني في سواء الطريق». وينتهي بنهاية أخبار مملكتي الكانم والنوبة. وجاء في الخاتمة: «وكان الفراغ من تحبيرها ضحوة يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الثاني عام ١١٢٥ من الهجرة النبوية...». ويتبين من حجم المخطوطة وامتدادها أنها مستنسخة من سلسلة ابن أبي جرادة التي تقع في سبعة عشر مجلداً. والمجلد الآخر الموجود بتونس يحمل الرقم ٦٢٤٦، وعليه أنه «الجزء الرابع من تاريخ الصلاح الصفدي» وبعد ذلك تصحيح بخط مغربي: «المسمى مسالك الأبصار في ممالك الأمصار». وهو المجلد الخامس عشر من مسالك الأبصار كما جاء في الخاتمة: إذ يبدأ المجلد من تراجم الشعراء بترجمة المتنبي ثم ينتهي بالقول: «نجز السفر الخامس عشر من كتاب مسالك الأبصار ويتلوه في السفر السادس عشر: ومنهم الأديب أبو الحسن أحمد بن جكينا البغدادي». وعلى ظهر النسخة من الجهة اليسرى بخط نسخي شرقي ما يفيد أن الناسخ انتهى من كتابة النسخة يوم المولد النبوي سنة ١٠٥٩هـ. فيتبين من رقم المجلد، ومحتوياته أنه مستنسخ عن المجلد الذي يحمل الرقم نفسه من مجلدات سلسلة ابن أبي جرادة أو سلسلة آيا صوفيا. وعلى المجلد المذكور بالإضافة لذلك تملكان أحدهما لمحمد بيرم الرابع (١٢٣٠هـ) والآخر للقيم على مكتبة «الهمام الأفخم جناب أمير الأمراء السيد خير الدين سنة ١٢٨٥هـ».

وكما اختلطت أجزاء السلاسل ومجلداتها بعضها ببعض، حدث أن وقع بين مجلدات «مسالك الأبصار» ما ليس منها. وهذا المجلد موجود اليوم في نسخة آيا صوفيا باعتباره السفر الثاني والعشرين. إنه كتاب موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي (ـ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) المسمّى: «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر...» وكان هورروييتز (Horouitz) قد لاحظ أن هذا المجلد لا ينتمي إلى النسخة المذكورة[١] ثم قام دونالد ليتل (D.Litle) عام ١٩٧٤ بالتعريف بمؤلفه، والحديث عن كتابه ومصادره[٢]. وطبع كتاب اليوسفي أخيراً عام ١٩٨٢ محققاً في نطاق أطروحة للدكتوراة[٣].

كانت هذه المقالة نظرة موجزة في مصائر كتاب العمريّ الضخم «مسالك

---

(١) J. Horovitz, MSOS, 1970: 10, 43-45.

(٢) D.P. Little, The Recovery of a ost Source for Bahri Mamluk History, Al- Yusufis Nuzhat an- Nazir fi sirat al- Malik an- Nasir, v. JAOS, 1974: 42-54.

(٣) تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٤.

الأبصار» ـ وأود في ختامها أن أشكر أولئك الذين عاونوني على متابعتها وهم: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الذي أتاح لي الاطلاع على مصورات الجامعة الأميركية ببيروت من مخطوطات الكتاب، وعرفت منه بعض تفاصيل خطة الجامعة لنشره ـ والأستاذ إبراهيم شبوح حافظ دار الكتب الوطنية بتونس الذي تفضل فأرسل لي مصورين عن مجلدي تونس من المسالك ـ وزوجي الدكتور رضوان السيد الذي راجع معي هذه الدراسة، وترجمتها إلى العربية. وكنت قد نشرت من الكتاب جزءين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ ببيروت أولهما القسم الخاص بالعرب في القرنين السابع والثامن للهجرة، وثانيهما القسم المتعلق بالدولة المملوكية الأولى التي عاصرها العمري»[١].

ما نُشِر من الكتاب:

لم يُنْشر من أصل الكتاب العربي إلاَّ قسماً صغيراً لا يتعدى عُشْر الكتاب، أما فيما عدا ذلك فقد كان نصيبُ النَّوْع الثاني من القسم الأول الخاص «بذكر الممالك» وافراً نسبياً حيث نُقِل إلى اللغة الفرنسية بوجه خاص قسمٌ كبير منه.

* فأول شيء ترجم كاترمير الفصول المتعلقة بآسيا في مخطوطة باريس رقم ٢٣٢٥ مع مقتبسات طويلة من المخطوط ونشر ذلك سنة ١٨٣٨.

Quatremere, M, (Notice de L'ouvrage qu apour titre Mesalek al- Absar fi Memalek al- Amsar) dans Notices et extraits des manuscrits de la Bibliotheque du Roi et autres Bibliotheques 13 (1838), pp. 151-384.

* ثم نشر ميخائيل آماري فصلاً من الكتاب عنوانه «ممالك عبَّاد الصليب»[٢] مع ترجمة إيطالية، وهو يمثل الفصل الثاني من الباب الثاني من النوع الأول من القسم الأول من الكتاب.

Amari, M. (Al- Umari, Condizioti dei Cristiani dell Occidente secondo una relazione di Domenichino Dorio da Genova) in Atti della R. Accademia deilincei, serie III. XI (1883), pp. 67-103.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين. لابن فضل الله العمري (المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٥) ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ دولة المماليك الأولى لابن فضل الله العمري (المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٦).

(٢) عنوان هذا الفصل كاملاً: «رسالة تشتمل على كلام جملي في أمر مشاهير ممالك الفرنج عبَّاد الصليب في البر والبحر بإقليمي الشرق ومصر في أيام نور الدين بن زنكي وأواخر الدولة العبيدية في مصر».

* ونقل المستشرق الروسي تيزنهوزن نصوصاً من المسالك خاصة بقبائل الأُرْدُو الذهبية في آسيا الصغرى في الدراسة التي أعدها عن هذه القبائل بالروسية.

Tiesenhausen, Recueil de matieres relatives a l histoire de la Horde d Or. St. Petersbourg 1884.

* كذلك أثبتت الدراسة التي قام بها شيفير للأقسام المتعلقة بالصين أنه يجب أن لا نعتبر العُمَري بالنسبة لهذه الأصقاع مجرَّد نقَّالة يكتفي بتسجيل ما وصل إليه عن طريق الصدفة، بل إنه يقدم لنا فيما يتعلق بشمال الصين معلومات جمة مروية بألفاظ عدد ممن التقى بهم وخاصة من التجّار والفقهاء.

Schefer, Ch, (Notice sur les relations des peuples musulmans avec les chinois, depuis l extention de I Islamisme jusqua la fin du XV siecle), dans centenaire de PEOV, 1895, p. 1-43.

* وفي عام ١٩٢٤ نشر أحمد زكي باشا، رحمه الله، الجزء الأول من الكتاب بعد أن توفر له الحصول على نسخة كاملة منه كانت في مكتبة أحمد الثالث باستامبول ووضع صورة منها في دار الكتب المصرية، وما نشره هو الباب الأول كاملاً من النوع الأول من القسم الأول من الكتاب.

«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٤.

* وبعد ذلك بعام، أي في سنة ١٩٢٥، نشر العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب، رحمه الله، قسماً من الكتاب في مجلة غير شديدة الرواج، اعتماداً على مخطوطة تحوي النوع الثاني من القسم الأول كانت في ملك العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، رحمه الله، بعنوان: «وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة مقتطف من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» تأليف شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٨ (كذا). عنى بنشره والتعليق عليه خادم العلم حسن حسني عبد الوهاب» من منشورات مجلة «البدر» لمؤسسي الجامعة الزيتونية بتونس.

* ثم نشر دي مومبين قسماً خاصاً بالمغرب، وهو من الأقسام التي نشرها حسن حسني عبد الوهاب، في الكتاب التذكاري المُهْدى إلى هنري باسيه.

Gaudefroy- Demombynes, (Quelques passages des Masalik al- Absar

relatifs au Maroc) dans Memorial Henri Basset, Paris, 1928, I, pp. 269-280.

* وكان دي مومبين قد نشر في سنة ١٩٢٧ ترجمة فرنسية مشروحة للأبواب السبعة الأخيرة من قسم الممالك التي تضم ممالك المسلمين بالحبشة، ممالك مسلمي السودان، مملكة مالي، مملكة جبال البربر، مملكة إفريقية، مملكة بر العدوة، مملكة الأندلس.

Gaudefroy- Demombynes, Masalik al- Absar fi Mamalik al- Amsar, 1-1 Afrique moins I Egypte, (traduit et annote par), BGA, Paris 1927

وطوال الخمسين عاماً الأخيرة توقف الاهتمام بموسوعة العمري وإن ظهر منها أقسام صغيرة في فترات متباعدة حيث نشر تيشنر الفصل الخاص بالأناضول.

Taschner, F. Al- Umaris Bericht uber Anatolien in seinem Werke Masalik al- Absar, epzig 1929.

* كما نُشر في ليبتسج القسم الخاص بمملكة الهند:

Ibn Fadlallah al Omaris Bericht uber Indien in seinem Werke Masalik al- Absar, fiMamalik al-Amsar, Leipzig 1943.

* ثم نشر الدكتور صلاح الدين المنجد «وصف دمشق في مسالك الأبصار» أولاً في مجلة معهد المخطوطات ٤/ (١٩٥٨) ١١٣ـ١٢٦، ثم في كتابه «مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين» بيروت ١٩٦٧، ٢١٩ـ٢٣١.

* ثم نشر من «المسالك» القسم الخاص بمملكة جنكزخان الذي نشره ليش في سنة ١٩٦٨.

Lech. K. Das Mongolische Weltreich, al- Umari's Darstellung der mongolischen Reiche in seinem Werke Masalik al- absar fi mamalik al-amsar, Wiesbaden 1968.

* القسم الخاص بمملكة اليمن الذي نشره الأستاذ أيمن فؤاد سيد في القاهرة ١٩٧٤. ثم حقق ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، ونشره المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥م.

* كما حققت دورتيا كرافولسكي الجزء المتعلق بقبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين، نشره المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٥.

وحققت الجزء المتعلق بمصر والشام والحجاز.

ثم القسم الخاص بدولة المماليك الأولى، نشره المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٦.

* كما حقق مصطفى أبو حنيف قسم منه من الباب الثاني إلى الباب الرابع عشر ونشره في الدار البيضاء ـ المغرب ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

* كما درس وحقّق محمد سالم بن شديد العوفي القسم الخاص بمملكة الهند والسند وهو الباب الأول من السفر الثالث من المسالك، وطبعه في القاهرة بمطبعة المدني ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

* وحقق عبد الحميد صالح حمدان ـ فرنسا، الجزء العشرون الخاص بالحيوان والنبات والجماد، ونشره في القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

وحقق الجزء نفسه، د. نوري حمودي القيسي، ومحمد نايف الدليمي، نشره عالم الكتب ـ بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

* وحقق فصلة من المسالك، وهي الجزء الحادي والعشرون، د. نوري حمودي القيسي، ومحمد نايف الدليمي ونشراه بمجلة المورد البغدادية (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ج٢ مج١ ص٤٦ـ٥٥ وج١ مج٢٢ (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص٣٨ـ٤٨.

* كما حقق محمد عيسىٰ الحريري الجزء الخاص بالسيرة النبوية الشريفة ـ ط بيروت ـ عالم الكتب ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

* وقام عمر محمد الشبيبي بدراسة وتحقيق القسم الخاص بمشاهير القرّاء من المسالك، في رسالة الماجستير في التأريخ الإسلامي من معهد التأريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

* وقد بدأ المجمع الثقافي في أبو ظبي ـ بدولة الإمارات العربية المتحدة بنشر أجزاء من المسالك يقوم بتحقيقها أساتذة أكفّاء، وهي مستمرة لغرض إكمال هذه الموسوعة.

* كما نشر مركز الشيخ زايد ـ في دولة الإمارات العربية المتحدة مجموعة من الأجزاء الأولى من المسالك.

* ومنذ عام ١٩٩٧ أقوم بتحقيق هذا الخزين العلمي المتعدد الاختصاصات، ولغرض اختزال الوقت فقد أحلت بعض الأجزاء إلى المحقق الفاضل الاستاذ مهدي

عبد الحسين النجم لتحقيقها وتثبيتها باسمه، وهي (الأسفار ٢، ١٢، ١٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق ونشر كل جزء من أجزاء الكتاب على عدة نسخ أشرت إليها في مقدمة كل جزء، ونشرت صوراً لصفحاتها الأولى والأخيرة عند مدخل كل جزء. وهي مما أوردته في موضوع (مخطوطة الكتاب) وما سأحصل عليه بعد كتابة هذه المقدمة.

جرى تحقيق (السفر الأول) هذا على ثلاث نسخ، نسختين مخطوطتين وأخرى مطبوعة:

١ـ مخطوطة أحمد الثالث في طوب قبو سراي ـ استانبول، رقم ٢٧٩٧/ ١ والتي نشرها بالتصوير الدكتور فؤاد سزكين، وهي نفس النسخة التي اعتمد عليها المرحوم أحمد زكي باشا في تحقيقه للسفر الأول. ويتضمن الجزء الصادر حوالي نصف النص الموجود في المخطوطة.

وهي تقع في ٣٧٢ صفحة، ومتوسط عدد السطور ١٩ سطراً.

ولم يشار فيها إلى تاريخ النسخ، ولعلها قد نسخت على مراحل، فبعضها نُسخ قبل سنة ٧٤٤هـ، أي قبل وفاة الحافظ تقي الدين السبكي، الذي تولّى نسخ عدد من الصفحات، وبعضها نسخ قبيل وفاة المؤلف كأن تكون سنة ٧٤٨هـ.

وتحتوي هذه النسخة على خمس لوحات لخرائط العالم والأقاليم، أربع منها ملونة، وأهمها الخريطة المأمونية، وهي النسخة الوحيدة المحفوظة من خريطة العالم التي صنعها جغرافيو المأمون[1]، وعليها جرى ترقيم صفحات هذا السفر، ومقابلة النص وإكمال النقص منها مع الإشارة.

٢ـ مخطوطة البودليان ـ أوكسفورد بوكوك رقم ٩١٩١، وقد تمّ نسخ هذه المخطوطة يوم الخميس ٨ محرم ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م وعليها تملك مؤرخ عام ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م، باسم معروف بن أحمد الشامي، ثم خلت في تملك ابن معروف الشامي عن طريق الإرث عن والده، ثم في تملك أسرة أخرى. وآخر تملك موجود عليها بيد أحمد بن أبي نصر في ٢٥ ذي الحجة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م.

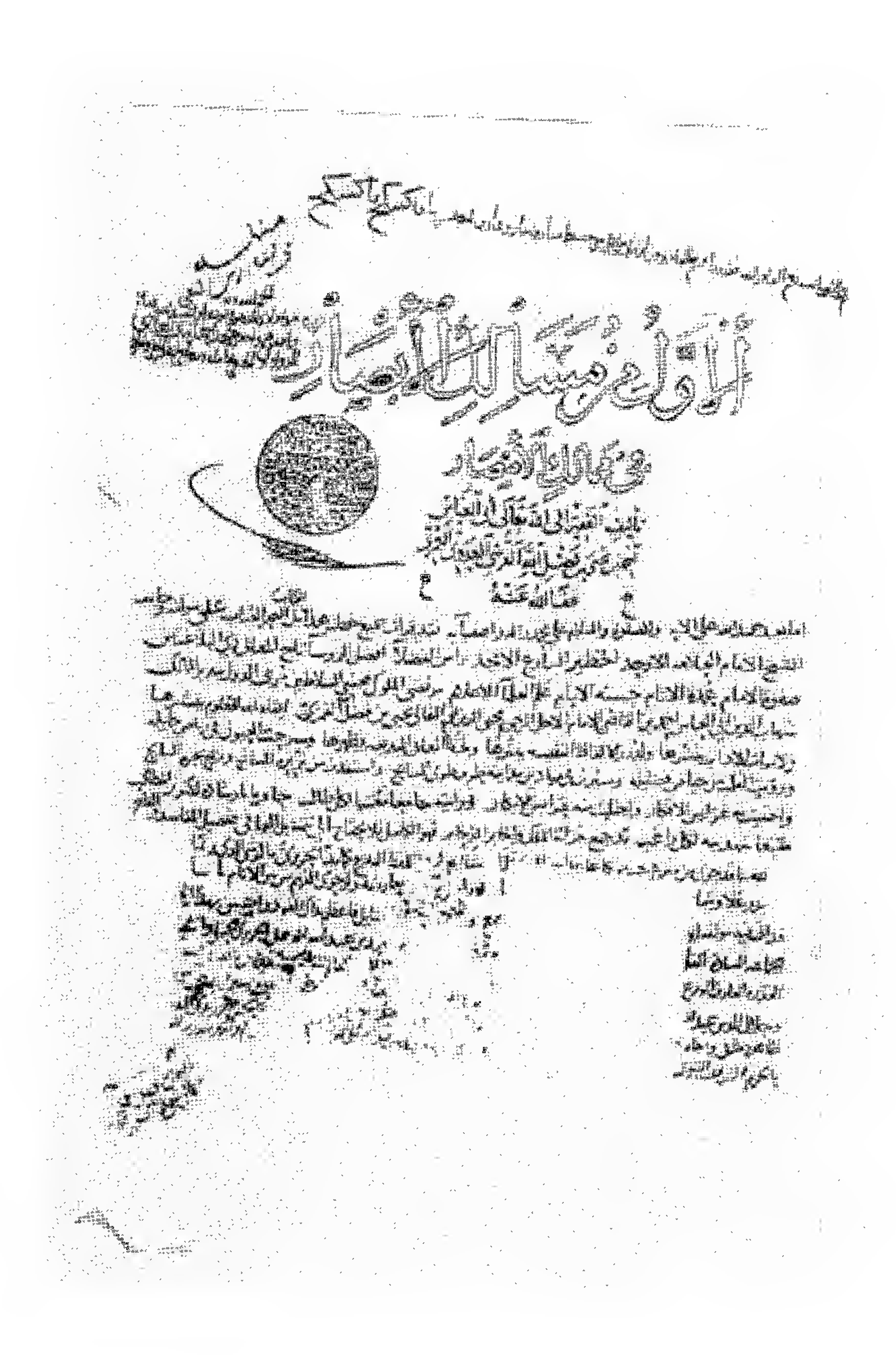
(١) انظر: مقدمة الدكتور سزگين للنسخة المصوّرة من مسالك الأبصار ١/ ٦.

علماً إن موجودات هذه النسخة تحمل بين طيّاتها السفر الأول وما يعدل نصف مجلد من السفر الثاني.

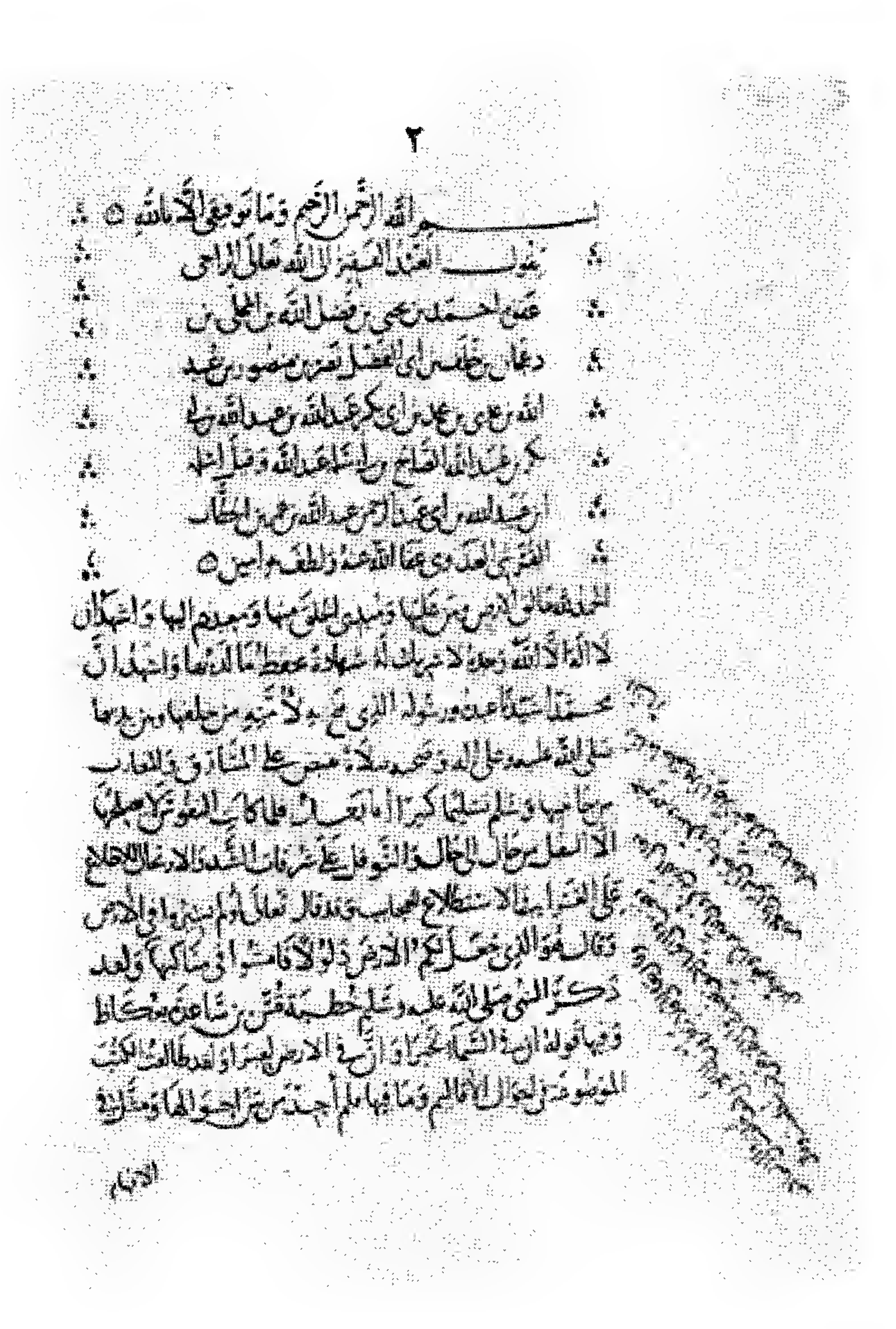
٣ـ مطبوعة الأستاذ أحمد زكي باشا :

وهي أول نشرة علمية محققة برغم قلّة هوامشها وتعليقاتها، إلاّ أن محققها اهتم بضبط النص، وصنع عناوين لموضوعات الكتاب.

* * *



صفحة العنوان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي استانبول رقم ١/٢٧٩٧



٢

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي

عفو [illegible] أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي بن

دعجان بن خلف [illegible] أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد

الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي

بكر عبد الله الصالح بن أبي سالم عبد الله [illegible]

ابن عبد الله بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب

القرشي العدوي عفا الله عنه ولطف به آمين

الحمد لله فالق الأرض ومن عليها ومبدي الخلق منها ومعيدهم إليها وأشهد أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة [illegible] الدنيا وأشهد أن

محمدا عبده ورسوله الذي [illegible] من طلعها [illegible]

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة [illegible] على المشارق والمغارب

من جانبيها وسلم تسليما كثيرا أما بعد فلما كان [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible] إلا [illegible] قال تعالى أو لم يسيروا في الأرض

وقال هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ولقد

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

وفيها قوله إن في [illegible] وإن في الأرض [illegible] الكتب

الموضوعة [illegible] وما فيها [illegible]

الأنام

الصفحة الأولى ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي استانبول رقم ١/٢٧٩٧

٢٧٢

الصدف وان احد نظر اليه حتى ياتي على اخره فاخذ التاجر منه وبعث
عنده بسبعة [illegible] فاذا كان بعد العصر ابتدروا الى الطعام فطعموه
فصلوا وناموا ليلهم الى الصباح ثم يقومون وينظرون في اعلى ما كانوا
فيه الى ان يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون هكذا كل يوم وكذا
زعموا ان كان ابوا صيده اعطوا السمع ولا يزالون على هذا الحال الى اخر
[illegible] هكذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزائر الواقعة في هذا الاقليم
وتمامه من الاقليم الثالث [illegible] والله اعلم ٥

بلغ

تم الجزء الاول من كتاب الاستبصار في عجائب الامصار

والحمد لله وحده وبه التوفيق والعصمة

لا رب غيره ولا اله سواه

ويتلوه ان شاء الله تعالى الجزء الثاني

وهذه صورة الاقليم الرابع وهو الاخذ

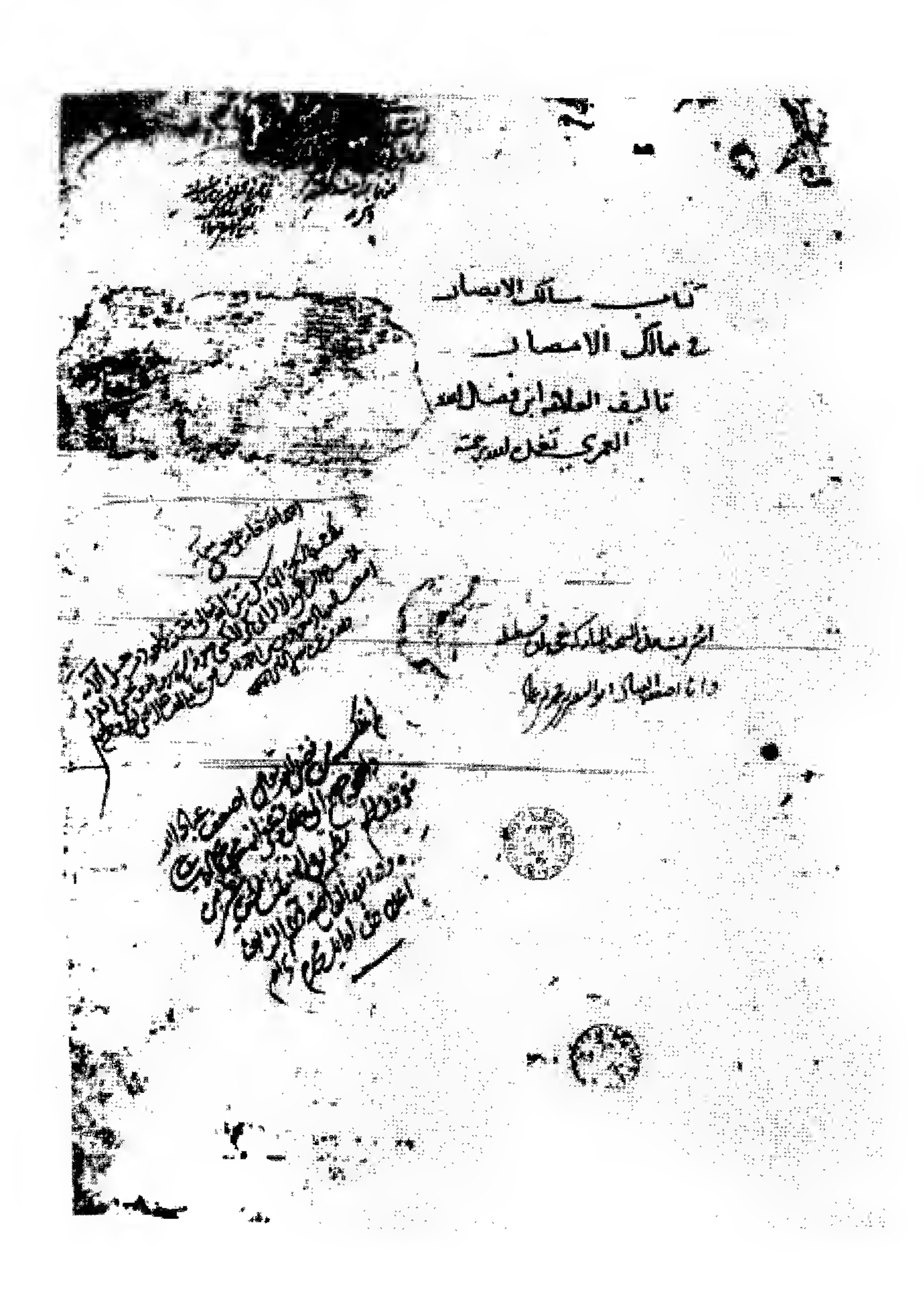
مع الاقليم الثالث على شماليه

من البحر المحيط باقصى الغرب

الى البحر المحيط باقصى الشرق ٥

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي استانبول رقم ١/٢٧٩٧



صفحة العنوان ـ مخطوطة البودليان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه [illegible]

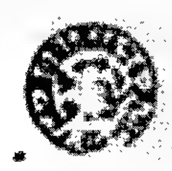
يقول العبد الفقير الى الله تعالى الراجي عفوه احمد بن يحيى بن فضل
الله بن المجلي بن دعجان بن خلف بن ابي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن
عدي بن محمد بن ابي بكر عبد الله بن عبيد الله بن ابي بكر بن عبيد الله الصالح
ابن ابي سلمة عبد الله وقيل اسامة بن عبيد الله بن ابي عبد الرحمن عبد الله بن
عمر بن الخطاب القرشي العدوي عفا الله عنه ولطف به امين

الحمد لله خالق الارض ومن عليها ومبدي الخلق منها ومعيدهم اليها واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تحفظ ما لديها واشهد ان محمدا سيدنا
عبده ورسوله الذي فتح به لامته من خلفها ومن بين يديها صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه صلاة تفيض على المشارق والمغارب من جانبيها وسلم تسليما كثيرا
وبعد فلما كانت النفوس لا يسليها الا التنقل من حالة الى حالة والتوقف
على شرفات السفر والارتحال للاطلاع على الغرائب والاستطلاع للعجائب
وقد قال تعالى اولم يسيروا في الارض وقال تعالى هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وقال تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت
وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خطبة قس بن ساعدة بعكاظ وفيها
قوله ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ولقد طالعت الكتب الموضوعة
في احوال الاقاليم وما فيها فلم اجد من بين احوالها ومثل في الاذهان صورها
لان غالب تلك الكتب لا يتضمن سوى الاخبار القديمة واحوال الملوك السالفة
والايام البائدة وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب اهلها ولم يبق في مجرد ذكرها
عظيم فائدة ولا كبير امر وخير القول الجديد فالناس بزمانهم اشبه منهم بابائهم
فاستخرت الله تعالى في اثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الارض وما فيها مما ظهر
فالاظهر والاشهر فالاشهر وما لم اجد بدا من ذكره في ذلك ومثله وحاكاه مملكة

الصفحة الأولى ـ مخطوطة البودليان



في الجيش والحول جل فضله عليه في بعثته ثم إنا جعلنا لما ذكرنا ما اتصل نقله لا
ننقل ولا نصحب ما لم نجد له إلا ثقة إلا السند ولا نعدل به إلا السنة عن
السنة . وأما ما نتكلم عليه من أمر البحار فسيأتي في الجزء الثاني
إن شاء الله تعالى وفيه ذكر البحار الأربع وصورة
الخامس . والحمد لله وحده . وصلواته
على سيدنا محمد نبيه صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين ...
الجزء الأول في يوم الخميس
المبارك ثامن ...
الحرام ...



الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة البودليان

منهج التحقيق

* اتبعت في تحقيق «المسالك» الذي أنشره اليوم، المنهج نفسه الذي اتبعته فيما نَشَرْتُ من نصوص قبل ذلك، وهو تقديم نصٍّ صحيحٍ سليمٍ للكتاب مع ضَبْطه والتعليق عليه وشرح مصطلحاته، ومقابلة نصوصه على مصادرها أو على ما نقله عنه المتأخرون، مع الإحالة إلى الأعمال العلمية الحديثة قدر الإمكان.

* استأنست بعدة نسخ أُخرى من الكتاب بما فيها نسخ حديثة العهد للاستفادة في الوصول إلى قراءة صحيحة كاملة.

* ولما كانت مادة العُمَري متداخلة في كثير من الأحيان، فقد أضَفْت عناوين جديدة لموضوعات الكتاب مستعيناً بالمؤلفات التي اعتمدت على العمري، وجَعَلْتُ هذه العناوين ـ التي أضفتها من عندي ـ بين قوسين معقوفين [].

* لم أُثقل هوامش الكتاب بالفروق الجزئية بين النسخ والتي لا داعي لها، اللهم إلاّ ما يوجب الذكر.

* ترجمت لبعض الأعلام، وعرّفت ببعض الأماكن، وشرحت بعض الكلمات الغريبة التي لا يمكن الإعراض عنها.

* جعلت في نهاية كل سفر فهرس بمواضيعه. وقد خصصت آخر جزء من الموسوعة للفهارس الفنية العامة، الآيات الشريفة، الأحاديث النبوية، الشعر وقائليه، الأعلام، الأماكن والبلدان، والخِلَع والأزياء والألفاظ الغريبة وغيرها مما يتطلب فهرسته كعمل علمي متكامل.

شكر وتقدير:

وفي الختام أجد من الواجب أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل من يَسَّر إخراج هذه الموسوعة إلى حيِّز الوجود، وأخصّ بالذكر:

* إدارة المعهد الفرنسي في دمشق وعلى رأسها السيد مدير المعهد، الذي أتاح لي الاطلاع والاستفادة من مصوّرة سزگين، وكافة موظفي المكتبة العامرة، وفيهم السيد عصام الشحادات وجميع العاملين فيه شكراً خالصاً.

* المحقق الثبت الأستاذ هلال ناجي لتفضله بإعارتي العدد الكبير من المصادر

والدواوين التي قد لا يتيسر بعضها في مكان آخر بالعراق.

* الدكتور حسين عبد العال اللهيبي لتفضله بنسخ بعض أجزاء الموسوعة.

* الأستاذ علي محيي الدين لتفضله بمقابلة النصوص مع التجارب الطباعية.

* الأستاذ حسن عريبي الخالدي لتزويدي مشكوراً بقائمة مصادر ترجمة العمري.

* أما إخراج الكتاب في هذه الصورة فالفضل فيه يرجع إلى السيد سلاڤا كركوتلي، والسيد ياسر علوان صاحبا مكتب الطباعة بدمشق لصفّ الموسوعة وإخراجها بالشكل اللائق وتحملهما المصاعب الجسام.

وأخيراً جزيل شكري وامتناني للحاج محمد علي بيضون صاحب دار الكتب العلمية ببيروت الذي وفّر كافة المستلزمات وذلّل المصاعب من أجل ظهور هذه الموسوعة بشكل محقق علّمياً وعلى هذه الصورة الرائعة.

جزاه الله ولكل العاملين في هذه المؤسسة خير جزاء المخلصين.

وإلى الجميع خالص شكري وامتناني.

جمهورية العراق ـ الكوفة

١ محرم الحرام ١٤١٨هـ

كامل سلمان الجبوري

* * *

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحققه هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء الأول

المسالك والآثار والأقاليم

مقدمة المؤلف

/ ٢ /

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الراجي عفوه، أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلّى بن دعَجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عُبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن أبي بكر بن عُبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله وقيل أسلمة بن عُبيد الله بن أبي عبد الرحمن عبد الله [بن] عمر بن الخطاب القرشي العدوي عفا الله عنه ولطف به، آمين:

الحمد لله خالق الأرض ومَن عليها، ومُبدىء الخلق منها ومُعيدهم إليها. وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحدّه لا شريكَ له، شَهادةً تحفظ ما لديْها.

وأشهد أن محمّداً سيدنا عبدُه ورسوله الذي فُتِحَ به لأُمَّته من خلفها وبين يَدَيْها. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً تَفيض على المشارق والمغارب من جانبَيْها. وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ:

فلمَّا كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقُّل من حال إلى حال، والتوقُّل على شُرُفات الشدّ والارتحال، لِلاطِّلاع على الغرائب، والاستطلاع للعجائب، وقد قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾(٢).

وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾(٣).

---

(١) سورة الروم: الآية ٩.

(٢) سورة الملك: الآية ١٥.

(٣) سورة الغاشية: الآيات ١٧ـ ٢٠.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[١].

ولقد ذكر النبيّ ﷺ خطبة قُسّ بن ساعدة[٢] بعُكاظ، وفيها قوله[٣]: «إنّ في السماء لَخَبَرا، وإنّ في الأرض لعِبَرَا».

ولقد طالعتُ الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها، فلم أجد مَن بيّن أحوالها، ومَثَّل في /٣/ الأفهام صُوَرَها؛ لأنّ غالب تلك الكتب لا تتضمّن سوى الأخبار القديمة، وأحوال الملوك السالفة، والأمم البائدة، وبعض مُصطلحات ذَهَبَتْ بذَهاب أهلها، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة، ولا كبير أمر. وخير القول أصدقه، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

فاستخرتُ الله تعالى في إثبات نُبذة دالَّة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومَن فيها: الأظهرَ فالأظهر، والأشهرَ فالأشهر؛ وما لم أجد بُدًا من ذكره في ذلك ومثله، وحال كل مملكة، وما هي عليه، هي وأهلها في وقتنا هذا، مما ضمَّه نِطاق تلك المملكة، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة. لأُقرّب إلى الأفهام البعيدة غالبَ ما هي عليه أُمُّ كلّ مملكة من المُصْطَلَح والمعاملات، وما يوجد فيها غالباً: ليُبصر أهل كلّ قطرٍ القطرَ الآخر. وبَيَّنته بالتصوير[٤]، ليُعرَف كيف هو، كأنه قُدَّامَ عيونهم بالمشاهدة والعِيان. مما اعتمدتُ في ذلك على تحقيق معرفتي له، فيما رأيتهُ بالمشاهدة؛ وفيما لم أره بالنقل مِمَّن يعرِف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأُذُنه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، وكان أسقف نجران، قيل إنه أول عربي خطب متوكئاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه «أما بعد» وكان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعمرين، طالت حياته وأدركه النبي (ﷺ) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك فقال: «يحشر أمة وحده»، توفي نحو سنة ٢٣ق هـ/ نحو ٦٠٠م.

ترجمته في: البيان والتبيين ١/ ٢٧، معجم الشعراء للمرزباني ٣٣٨، والأغاني ١٤/ ٤٠ وغيرها، الأعلام ٥/ ١٩٦.

(٣) انظر: صبح الأعشى ١/ ٢١٢، إعجاز القرآن ١٢٤، البيان والتبيين ١/ ١٦٨، الأغاني ١٤/ ٤٠، العقد الفريد ٢/ ١٥٦، مجمع الأمثال للميداني ١/ ٧٤، جمهرة خطب العرب ١/ ٣٥ـ ٣٦.

(٤) يريد به الخرائط التوضيحية كالتي أوردها في السفر الثاني، ولكنه لم يأتِ بها، وبقيت محلاتها فارغة، كما سيأتي.

ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية.

واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كلِّ مملكة، لآمَنَ من تغفُّل الغفلاء، وتخيُّل الجهالات الضالَّة، وتحريف الأفهام الفاسدة.

فإن نقلتُ عن بعض الكتب المصنَّفة في هذا الشأن، فهو من الموثوق به فيما لا بدّ منه: كتقسيم الأقاليم، وما فيها من أقوال القدماء، واختلاف آراء الحكماء، إلى غير ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام. مما هو مَسْرَح أمل، ومَطْمَح ذي عمل، لأُجَمِّلَ به كلامي، وأكمِّل به نقصي، وأتمِّم به بهجة النظر، ورونق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخدّ. لا لأكثِّر به سواد السطور، وأكبِّر به حجم الكتاب. ولم أقتصر بذكر الأقاليم، عند ذكرى الممالك، مقصدَ الجغرافية /٤/، كالأوّل والثاني والثالث؛ ولا بما تطلق عليه المُسَمَّيات، كالعِراق وخُراسان وأَذَرْبِيجان.

بل أذكر ما اشتملت عليه مملكة كلِّ سلطانٍ، جملةً لا تفصيلاً، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة المُلك: كقرشي والسَّرايْ من قسمَيْ تُوْران وتَوْريز[١] من إيران؛ أو ما لا بدّ من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولا أعنِي ذوي الممالك الصِّغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، آمرٍ فيهم: إذ هم جزء من كلٍّ، بل الذكر لكلِّ سلطان يستحقّ اسم السلطنة: لاتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغطَّى بذيله مَن لعلَّه يكون في مملكته من ذوي الممالك الصِّغار: كصاحب حَمَاة مع صاحب مصر، وصاحب مارِدِين مع صاحب إيران. اللهُمَّ إلا أن تكون تلك المملكة مُفرَدة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الجِيل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا المَجْرى، ويسري كوكبه هذا المَسْرى.

ولم آلُ جُهداً في تصحيح ما كتبتُه بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل. ولم أُعَرِّج إلى ملوك الكفَّار ركابي، ولا أرسيتُ بجزائر البحر سفني، ولا أسهرتُ في الظلمات عيني، ولا أتعبتُ في المحفورة يدي. إلا ما ألممتُ منه إلْمامةَ الطيْف المُنَفّر، ونَغَبتُ[٢] منه نُغبة الطائر الحَذِر؛ لأنّ غالب ما يقال ـ والله أعلم ـ أسماءٌ لا

---

(١) هي المدينة المسمّاة في الأشهر بإسم تبريز (بفتح التاء وبكسرها) وهي قاعدة أذربيجان ـ عن القاموس ـ (زكي).

(٢) النَّغب: حَسْوُ الطائر للماء، ولا يقال شربه (زكي).

يُعرف لها حقيقة، ومجاهل لا تُوصِّل إليها طريق.

ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ولا خرجتُ في جهاتها عن الطريق المستقيمة: اكتفاءً بالحقّ الواضح، والصدق الظاهر، مما اتّصلتْ بنا حقيقة أخباره، وصحَّت عندنا جليَّة أحواله.

وقنِعت بما بلَغه مُلك هذه الأُمَّة، وتمَّت /٥/ بكلمة الإسلام على أهله النعمة. ولم أتجاوز حدّها، ولا مشيتُ خَطوة بعدها، إلا ما جَرَّه سياق الكلام، أو طارح به شُجون الحديث: مما اندرج في أثناء ذلك، أو اضْطَرَّت إليه تعريجاتُ السالك، أو اقتضاه سبب، أو دخل مع غيره في ذمَّة حَسَب.

وإن كان في العمر فُسحة، وفي الجسم صحَّة، وللهمَّة نشاط، وللنفس انبساط، ـ وما ذلك على الله بعزيز، ولا من عوائد ألطافه الخفية بعجيب ـ، لأُذَيِّلَنَّ بممالك الكفَّار هذا التصنيف، وأجيءُ بفارسه المُعْلَم وخلفه من سيبِهم[١] رديف.

لكنَّني لم آتِ في هذا الكتاب بذكر ممالكهم ـ على اتساع بلادها ـ إلا عَرَضا، ولا سطَّرتُ من تفصيلها إلاّ جُمَلاً: توفيراً للمادّة، وتيسيرا للجادّة، ولأتمتع برونق الأنوار، ولا أشُوبَ بسواد الليل بياض النهار.

على أنّني ربما ذكرتُ في مكانٍ ما قاربه من بلاد الكفَّار، وذكرته للمجاورة رجاءَ أن يؤخذ بشفعة الجِوَار.

ولم أذكر عجيبة حتّى فحصت عنها، ولا غريبة حتّى ذكرتُ الناقل، لتكون عهدتها عليه، وتبرَّأتُ منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لنقصان العقول؛ لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعلم أن كل مقدور بالإضافة إلى قدرة الله تعالى قليل. وقد وصف الله تعالى الجُهَّال بعدم العقل، فقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾[٢]. وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسَّماوات، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٣]. وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحقَّ. فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟

وأوّل ما أبدأُ بالمشرق؛ لأن منه يتفتح نُوّار الأنوار، وتجري أنهار النهار. إلى أن أَختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحيط. لأنه الغاية، /٦/ وإليه النهاية. إلا فيما لم

---

(١) السيب: تشبيهاً بالناقة السائبة التي تلد عشر.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٤. (٣) سورة يوسف: الآية ١٠٥.

أجد بُدًّا من الابتداء به من المغرب إلى المشرق: كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر الغربيّ[١]، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قَسمه.

وقطعتُ فيه عمر الأيّام والليالي، وأثبتُّ فيه بالأقلام أخبار العوالي، وشُغِلتُ به الحينَ بعد الحين، واشتغلت ولم أسمع قول اللاَّحِين، وحَرَصت عليه حِرْص الضّنين، وخَلَصتُ إليه بعد أن أجريتُ ورائي السنين.

وشرعتُ فيه في أيام مَن مَانَنا[٢] بإحسانه، وأمّننا في سلطانه: سيِّدنا ومولانا، ومالك رقابنا، السلطان ابن السلطان، السيّد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر، المؤيَّد المظفَّر المنصور، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، سيِّد الملوك والسلاطين، وارث المُلك، ملك العرب والعجم والترك، نائب الله في أرضه، القائم بسنَّته وفرضه، ملك البحْرَين، خادم الحرَمْين، حامي القبلتَيْن، مبايع الخليفتَيْن، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر عَلَم العدل والإحسان، مُمَلِّك أصحاب المنابر والأسرَّة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مُبيد البُغاة والطُّغاة والكفّار، هازم الروم والفِرنج[٣] والكُرج[٤] والأرمن والتتار، سلطان البسيطة، مثبِّت أركان المحيطة، إمام المتَّقين، وليّ أمور المؤمنين، متعهِّد حَجّ بيت الله الحرام وزيارة سيِّد المرسَلين، أبي المعالي محمد ابن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المظفر قلاوون[٥]، سيِّد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بمُلك

(١) وهي جزر الكناري في المحيط الأطلسي.

(٢) مانَنا: كفانا وأنفق علينا.

(٣) نقل العرب إلى لغتهم اسم الجيل المعروف بـ Franes بقولهم الإفرنجة بزيادة ألف في أوّله لتسهيل النطق بالساكن وبفتح الراء والجيم. ونبه صاحب القاموس على أنه معرّب إفرنك، ونبه على أن القياس كسر الراء، ثم حذف الكُتّاب حرف الألف من الأوّل وقالوا: فرنج بكسر الفاء والراء، وأصله للدلالة على أهل فرنسا التي يسميها العرب فرنجة وإفرجة، ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أوربّة قاطبة، ما عدا الروم. (زكي).

(٤) الكُرْج: هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج باسم جورجيا Georgie، وعاصمتها تفليس. (زكي).

(٥) الملك الناصر: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، ولد سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م. وكانت إقامته في طفولته بدمشق، وولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبي، وخلع منها لحداثته سنة ٦٩٤ فأرسل إلى الكرك، وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨ فأقام في القلعة كالمحجور عليه، والأعمال في يد الأستاذدار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الأمير سلاَّر، واستمر نحو عشرين سنة ضاق بها صدره من تحكمهما، فأظهر العزم على الحج، وتوجه بعائلته وحاشيته =

أشرف البقاع[١]: [من البسيط]

سل عنْهُ وانطِقْ بِهِ وانْظُرْ إليْه تَجِد مِلْءَ المَسامِعِ والأفْواهِ والمُقَلِ

فأدام الله أيامه، وأدار على مَغَارق النجوم أعلامه!

وسمّيته: «**مسالك /٧/ الأبصار في ممالك الأمصار**»

وعلى الله أعتمد، ومنه استمدّ، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الحَوْل والقوّة إلاّ به. وهو حسبي ونعم الوكيل.

وفهرست ما تضمّنه، وجُملُته قسمان:

القسم الأوّل ـ في الأرض.

القسم الثاني ـ في سكان الأرض.

= ومماليكه وخيله، فودعه بيبرس وسلار وبقية الأمراء وهم على خيولهم لم يترجلوا له، وبلغ الكرك فنزل بقلعتها واستولى على ما فيها من أموال، وأعلن أنه قد انثنى عزمه عن الحج واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة... وكتب إلى الأمراء في مصر بذلك فاجتمع هؤلاء ونادوا بالأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام (سنة ٧٠٨) ولقبوه بالملك المظفر، وأمضى الناصر في الكرك قريباً من عام، ثم وثب، فدخل دمشق، وزحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه (سنة ٧٠٩) وقتل بيبرس بيده خنقاً، وشرّد أنصاره، وامتلك قيادة الدولة فخطب له بمصر وطرابلس الغرب والشام والحجاز والعراق ودياربكر والروم وغيرها، وأتته هدايا ملوك المغرب والهند والصين. والحبشة والتكرور والنوبة والترك والفرنج، وأبطل مكوساً كثيرة، واستمر ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يوماً كانت له فيها سير وأنباء أوردها المقريزي في مجلد ضخم، وأحدث من العمران ما ملأ ذكره صفحتين من كتاب المقريزي، ومما بقي من آثاره بمصر: الترعة المعروفة اليوم بالمحمودية، وتجديد القلعة، والخليج الناصري من خارج القاهرة إلى سرياقوس. واقتدى به أمراء دولته، فاستمرت حركة العمران طول حياته. وجيء بكبار المهندسين والبنائين من سورية وغيرها. وكان غاية في الكرم، قيل: وهب في يوم واحد ما يزيد على مئة ألف دينار ذهباً. وأولع بكرائم الخيل فكان في اسطبلاته بعد وفاته ٤٨٠٠ فرس. وكان وقوراً مهيباً، لم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا انبساطه، يدعو رجاله بأجل ألقابهم، ويكره الاقتداء بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يُذكر عنده ملك، ومع مبالغته في الحرص على ألاّ ينسب إليه ظلم أو جور، ففي المؤرخين من يأخذ عليه كثيراً من الشدة في سياسته. توفي بالقاهرة سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م.

ترجمته في: مورد اللطافة لابن تغري بردي ٤٤، والسلوك للمقريزي: القسمان الأول والثاني من الجزء الثاني، وفيهما استيفاء سيرته وتاريخ الدولة في أيامه، وابن الوردي ٢/ ٣٣٠ وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ وابن إياس ١/ ١٢٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤، ووليم مولر ٦٥ـ ٩٥، والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١ و١١٥ ثم ٩/ ٣، وانظر: ديوان صفي الدين الحلي ٥٥ـ ٦٢ و٢٤٢، الاعلام ٧/ ١١.

(١) البيت لابن شرف الجذامي القيرواني في معجم الأدباء ٦/ ٢٦٣٩ رقم ١١٠٨ ط الغرب الإسلامي، وفي الدر الفريد ٣/ ٣٦٣ لابن رشيق القيرواني، وقد أخلّ به ديوانه.

القسّم الأوّل من الكتاب في ذكر الأرض وما اشتملت عليه برّاً وبحراً

وهو نوعان:

النوع الأوّل ـ في ذكر المسالك.

النوع الثاني ـ في ذكر الممالك جملة.

أمّا النوع الأوّل المشتمل على المسالك، ففيه أبواب:

الباب الأوّل ـ في مقدار الأرض وحالها.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في كيفيّة الأرض ومقدارها.

الفصل الثاني ـ في أسمائها وصفاتها.

الفصل الثالث ـ في أسماء التراب وصفاته.

الفصل الرابع ـ في الغُبَار وصفاته.

الفصل الخامس ـ في أسماء الرمال وصفاتها.

الفصل السادس ـ في أحوال الأرض.

الباب الثاني ـ في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في تقسيم الأقاليم.

الفصل الثاني ـ فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة، برّاً وبحرا، وتصويرها بأشكالها.

(ويتّصل بذلك كلام جُمْلِيٌّ في أمر مشاهير عُبّاد الصليب، في البرّ دون البحر).

الفصل الثالث ـ في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث ـ في البحار وما يتعلّق بها.

وفيه فصول:

/٨/ الفصل الأوّل ـ في ذكر البحار.

الفصل الثاني ـ في ذكر الرياح، وصورة القُنْبَاص[١].

الفصل الثالث ـ في ذكر نبذة من العجائب، برّاً وبحراً.

---

(١) هذه الكلمة معرّبة عن لفظة Gompas الإفرنجية، وشرح المؤلف لها واف وافر في أوّل الجزء الثاني. فراجعه هناك. (زكي).

الباب الرابع ـ في القبلة والأدلَّة عليها.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في أقوال الفقهاء.

الفصل الثاني ـ في الاستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث ـ في الاستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع ـ في الاستدلال عليها بالجبال.

الفصل الخامس ـ في الاستدلال عليها بالأنهار.

الفصل السادس ـ في قبلة كلِّ أرض.

وخاتمة الباب فصلٌ جامع يشتمل على ذكر تداخل الشهور، والكواكب الثابتة، والسيّارة، وصورة الأفلاك، والقول في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك، ويندرج معه: لاستخراج القبلة، وما اندرج في ذلك. وتسميته استطراداً لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس ـ في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأوّل ـ في تعاريج الطريق.

الفصل الثاني ـ في سواء الطريق.

النوع الثاني ـ في ذكر الممالك

وهو خمسة عشر باباً:

الباب الأوّل ـ في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني ـ في ممالك بيت جنكزخان.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في الكلام عليها جُمْليّاً.

الفصل الثاني ـ في مملكة القان الكبير، صاحب التخت، وهو صاحب الصين والخَطا[1].

---

(١) الخَطا: هي بلاد الصين الشمالية (زكي).

الفصل الثالث ـ في التُّورانيّين. وهم فرقتان:

الفرقة الأولى ـ فيما وراء النهر.

الفرقة الثانية ـ في خُوارَزم والقَبْجاُق.

الفصل الرابع ـ في الإيرانيّين.

الباب الثالث ـ في مملكة الجيل.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في پومِن.

الفصل الثاني ـ في تُولِيم[١].

/ ٩/ الفصل الثالث ـ في كَسْكَر.

الفصل الرابع ـ في رَشَفْت.

الباب الرابع ـ في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ في الأكراد.

الفصل الثاني ـ في اللُّرّ[٢].

الفصل الثالث ـ في الشُول.

الفصل الرابع ـ في شنكارة.

الباب الخامس ـ في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلاً:

الفصل الأوّل ـ في مملكة كزمينان.

الفصل الثاني ـ في مملكة طنغرلو.

الفصل الثالث ـ في مملكة توازا.

الفصل الرابع ـ في مملكة عِيدلي.

الفصل الخامس ـ في مملكة كصطمونيّة.

الفصل السادس ـ في مملكة قاوِيا.

الفصل السابع ـ في مملكة بُرْسا.

---

(١) الذي في [تاريخ] أبي الفدا أنها بفتح اللام وبغير ياء (زكي).

(٢) أورد أبو الفدا هذا الاسم في تقويمه بالاشباع هكذا: اللُّور (زكي).

الفصل الثامن ـ في مملكة اكيرا.
الفصل التاسع ـ في مملكة مَرْمَرا.
الفصل العاشر ـ في مملكة مغنيسيا.
الفصل الحادي عشر ـ في مملكة نِيف.
الفصل الثاني عشر ـ في مملكة بركي.
الفصل الثالث عشر ـ في مملكة فوكة.
الفصل الرابع عشر ـ في مملكة أنطاليا.
الفصل الخامس عشر ـ في مملكة قراصار.
الفصل السادس عشر ـ في مملكة أَرْمَناك.

الباب السادس ـ في مملكة مصر والشام والحجاز.

الباب السابع ـ في مملكة اليمن.

وفيه فصلان:
الفصل الأوّل ـ فيما هو بيد أولاد رسول.
الفصل الثاني ـ فيما هو بيد الأشراف.

/ ١٠/ **الباب الثامن ـ في ممالك المسلمين بالحبشة.**

وفيه سبعة فصول:
الفصل الأوّل ـ في مملكة أَوفات.
الفصل الثاني ـ في مملكة دَوَارُو.
الفصل الثالث ـ في مملكة أرابيني.
الفصل الرابع ـ في مملكة هَدِيّة.
الفصل الخامس ـ في مملكة شرخا.
الفصل السادس ـ في مملكة بالي.
الفصل السابع ـ في مملكة داره.

الباب التاسع ـ في ممالك مسلمي السودان على ضفة النيل الممتدّ إلى مصر.

وفيه فصلان:
الفصل الأوّل ـ في مملكة الكانِم.

الفصل الثاني ـ في النُّوبة.

الباب العاشر ـ في مملكة مالِّي.

الباب الحادي عشر ـ في مملكة جبال البربر.

الباب الثاني عشر ـ في مملكة إفريقيَّة.

الباب الثالث عشر ـ في مملكة برّ العُدْوَة.

الباب الرابع عشر ـ في مملكة الأندلس.

الباب الخامس عشر ـ في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأماكنهم، ومضارب أخبيتهم ومساكنهم.

القسم الثاني من الكتاب في سكان الأرض من طوائف الأُمم

وهو أنواع:

النوع الأوّل: في الإنصاف بين المشرق والمغرب

وهذا النوع له شَبَهان: شبَهٌ بالقسم الأوّل بحسب موضوعه، وما اندرج معه، وتعلق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن؛ وله شَبَهٌ بهذا القسم بحسب ما اندرج فيه /١١/ من ذكر طوائف العلماء، الذين هم أعيان الناس، وذكر سائر الحيوان. إلا أن هذا الشَّبَه أقوى؛ لأن المقصود من المكان ساكنه. فألحقناه بهذا القسم.

النوع الثاني ـ في الكلام على الديانات: وهي ست نحل، وأربع ملل.

النوع الثالث ـ في الكلام على طوائف المتديِّنين.

النوع الرابع ـ في ذكر التاريخ.

وفيه بابان:

الباب الأوّل ـ في ذكر الدُّوَل التي كانت قبل الإسلام.

الباب الثاني ـ في ذكر الدُّول الكائنة في الإسلام.

ومن حيثُ عَيَّنا التبويب، وبَيَّنا الترتيب، نشرع في ذكرها باباً باباً إلى انتهاء الأبواب، ونوعاً نوعاً إلى انقضاء الكتاب.

واللهالمؤمَّل في عمرٍ يُوَفِّي بتمامه، ويُوَفِّر الموادّ على مَدَد أقسامه، مع ما هو أبقى من الابتهال إلى الله فيما هو أهمّ: من التفويض إليه، والابتهاج بما لديه، مما يُوَقِّي

المُهَجَات، ويُرَقِّي الدرجات، في الدنيا والآخرة. إنه وليٌّ ذلك، والقادر عليه، والمُقَدِّر له والهادي إليه.

والرغبة إلى من وقف على هذا الكتاب، ووقع منه نظره على خطأ أو صواب، أن يصفح عما جنح فيه القَلَم إلى الزَّلَل، وتخطّى إليه الفكر من الخَطَل؛ ويَبْسُطَ العذر لمن لم يَجُب البلاد، ولم يَجُل في الآفاق، ولم يُتْهِم في تِهامة ولا أعرق في عِراق؛ ولا خطب الدَّأْماء، ولا خبط الظَّلماء؛ ولا اقتحم لُجَج البرّ والبحر، ولا تعدّى مصر والشام والحجاز، ولا فارق ممالكَ كان هو وأسلافه فيها تحت قَيْد العُلَق والشواغل، لِمَا كان يتقلَّده منهم ابنٌ عن أبيه، وأخٌ عن أخيه، من أعباء الدولة وأُمور / ١٢/ الممالك، وأثقال الفكر والمهمات، وشَغْل الأسماع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات، ويقطع عن الأسباب، حتّى عن لفظةِ سؤالٍ، ولحظة كتاب، إلى أن وهبني الله فراغا أَلَّفت فيه هذا الكتاب.

وهذا أوانُ سرد ما اشتمل عليه كل قسم من الأبواب.

ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

وأستغفر الله إن الله غفور رحيم.

* * *

القسم الأوّل من الكتاب
في ذكر الأرض وما اشتملت عليه برًّا وبحراً وهو نوعان:

النوع الأول: في ذكر المسالك
النوع الثاني: في ذكر الممالك جملة

النوع الأوّل: في ذكر المسالك

وفيه أبواب

الباب الأوَّل: في مقدار الأرض وحالها

وفيه [ستة] فصول:

الفصل الأوَّل: في كيفية الأرض ومقدارها

الذي نبدأُ به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا الفصل، ما قام عليه البرهان، وهو أن العالَمَ كُرِيٌّ. ويدلّ عليه المشاهدة بالعِيان، لمن رعى الشمس من مطلعها إلى مغيبها؛ وكذلك النجومَ من مشارقها إلى مغاربها؛ لأنها تطلع حتّى تتوسّط السماء تقويساً، ثم تنحطّ حتّى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعُلم بالضرورة أنها تقطع في الغيبوبة عن العين نصفَ دائرةٍ، نظيرَ ما قطعت في الظهور، ليكمُل تمامُ الدائرة.

والذي تلخّص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيأة: أن العالَمَ كُرَةٌ، والأرض مركزها، والماء محيطٌ بها لا يفارقها، إلا ما انكشف.

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في /١٣/ جوف الفَلَك. كالمُحَّة في جوف البيضة في القشر.

ووضعُها وضعٌ متوسِّط. والهواء إما جاذبٌ لها إلى جهة الفلك أو دافعٌ عنه. وذهب بعضهم إلى أنها مستقرّةٌ بالوضع: فالأرض في فلك الماء، وفلك الماء في فلك الهواء، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير)، وفلك النار في فلك القمر، وفلك القمر في فلك عُطارِد، وفلك عُطارِد في فلك الزُّهَرَة، وفلك الزُّهَرَة في فلك الشمس، وفلك الشمس في فلك المرّيخ، وفلك المرّيخ في فلك المُشترِي، وفلك المُشترِي في فلك زُحَل، وفلك زُحَل في فلك البروج (وهو المُكَوْكَب)، وفلك البروج في الفلك الأطلَس.

والمكوكب في رأي فلاسفة الإسلام أنه المعبَّر عنه عند أهل الشريعة الشريفة بالكرسيّ، وأن الأطلس هو المعبَّر عنه عندهم بالعرش.

وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الفلك المكوكب، من الغرب إلى الشرق، ويُرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر.

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلى الشرق بالمتابعة.

فأما التاسع، الأطلس، فحركته من الشرق إلى الغرب. وبحركته تتحرّك. كما يتحرّك راكب السفينة بحركة السفينة.

وقد تكلَّمت الفلاسفة على مُقعَّر الأطلس، ولم يتكلموا على محدَّبه. وغاية ما قالوا: إنّ بَعد التاسع، لا خلا ولا ملا. وإلى هنا انتهى علمهم وانقطع نظرهم. والله أعلم بغيبه!

قلت: وزعموا أنّ في الثامن كلَّ الكواكب إلاّ السبعة.

قالوا: والبرهان على أنها في الثامن، أنّ حركاتِ هذه الكواكب الستة أسرعُ من حركات سائر الكواكب. والكوكب لا يتحرّك إلا بحركة فلكه. ولا يمكن أن يكون في التاسع؛ لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة. فإذا لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن.

على أن ابن سينا[1] قد قال في الشفاء: «لم يَبِنْ لنا بياناً واضحاً أن الكواكب

---

(١) الحسين بن عبد الله سينا، أبو علي، شَرَف المُلك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه.
وعاد في أواخر إيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م. قال ابن قيم الجوزية: «كان ابن سينا ـ كما أخبر عن نفسه ـ هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين». وقال ابن تيمية: «تكلم ابن سينا في أشياء في الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم؛ فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية؛ وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد» صنَّف نحو مئة كتاب، بين مطوَّل ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين. أشهر كتبه «القانون ـ ط» كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج « Canonmedicina» بقي معولا عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمون في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في رومة وهم يسمون ابن سينا Avicenne وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه «المعاد ـ خ» رسالة في الحكمة، و«الشفاء ـ ط» في الحكمة، أربعة أجزاء، و«السياسة»
و«أسرار الحكمة المشرقية ـ ط» ثلاث مجلدات. وأرجوزة في «المنطق ـ ط» ورسالة «حيّ بن =

الثابتة في كُرَة واحدة أو كُرَات منطوٍ بعضُها على بعضٍ، إلا بإقناعات. وعسى أن يكون ذلك واضحاً لغيري».

وقد شبّه بعضهم العالَمَ، فقال: «بطيخة في بركة ماء. فالبِزْرُ المُدُنُ، وبيوتُ البزر العمرانُ، واللحاءُ مجموعُ الأرض، والماءُ البحرُ المحيط، ومقعَّرُ البركة الهواءُ، ودائرُها الخارج الفلكُ».

قلت: وهذا التشبيه ليس بشيء.

وقال الشريف الإدريسيّ[(١)] في كتاب رُجار[(٢)] (واسم هذا الكتاب: «نزهة

= يقظان ـ ط» وهي غير رسالة ابن الطفيل المسماة بهذا الاسم، و«أسباب حدوث الحروف ـ ط» رسالة. و«الإشارات ـ ط» و«الطير» في الفلسفة، و«أسرار الصلاة ـ ط» في ماهية الصلاة وأحكامها الظاهرة وأسرارها الباطنة الخ، و«لسان العرب» عشر مجلدات في اللغة، و«الإنصاف ـ خ» في الحكمة، و«النبات والحيوان ـ خ» رسالة، ورسالة في «الهيئة ـ خ» و«أسباب الرعد والبرق ـ خ» رسالة، و«الدستور الطبي ـ خ» قطعة منه، و«أقسام العلوم ـ خ» رسالة، و«الخطب ـ خ» رسالة، و«العشق ـ ط» رسالة في فلسفته، وأشهر شعره عينيته التي مطلعها: «هبطت إليك من المحل الأرفع» وقد شرحها كثيرون. ولجميل صليبا «ابن سينا ـ ط» ولجورج شحاتة قنواتي كتاب «مؤلفات ابن سينا ـ ط» المخطوط منها والمطبوع، ولعباس محمود العقاد «الشيخ الرئيس ابن سينا ـ ط» ولبولس مسعد «ابن سينا الفيلسوف ـ ط» ولحمّودة عزابة «ابن سينا بين الدين والفلسفة ـ ط» ومثلهم لمحمد كاظم الطريحي.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٥٢ وتاريخ حكماء الإسلام ٢٧ـ ٧٢ وابن العبري ٣٢٥ وخزانة البغدادي ٤/ ٤٦٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٠٣ وآداب اللغة ٢/ ٣٣٦ ولسان الميزان ٢/ ٢٩١ والفهرس التمهيدي ٤٥٣ـ ٤٦٤ و٤٩٧ و٥١٦ـ ٥٦٦ وفيه ذكر كثير من كتبه ورسائله المخطوطة. وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢/ ٢٦٦ طبعة مصر سنة ١٣٥٧م. وأصدر أمين مرسي قنديل المدير العام لدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠م. رسالة في ذكر مؤلفاته وشروحها المحفوظة في الدار، تشتمل على رسائل لم يشر إليها العلماء الذين عنوا بآثاره وكتاباته. والذريعة ٢/ ٤٨ و٩٦ رقم ٧/ ١٨٤ والرد على المنطقيين ١٤١ـ ١٤٤، الأعلام ٢/ ٢٤١ـ ٢٤٢.

(١) الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله: مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية، من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة سنة ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني (RogerII) ووضع له كتاباً سماه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ ط» أكمله سنة ٥٤٨هـ، وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربة وإيطالية، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه. وقد ترجم إلى الفرنسية ترجمة كثيرة الخطأ (كما يقول سيبولد، في دائرة المعارف الإسلامية) وترجم إلى اللاتينية والإنكليزية والألمانية، وطبعت منه بالعربية خلاصات. وللإدريسي أيضاً «الجامع لصفات أشتات النبات ـ خ» استفاد منه ابن البيطار، و«روض الأنس ونزهة النفس» ويعرف بالممالك والمسالك، بقي منه مختصر في مكتبة حكيم =

المشتاق في اختراق الآفاق» صنَّفه للملك رُجَّار صاحب صِقَلِّيَّة، وكان فرنجياً مُحِبًّا للعلم وأهله من كل ملة). والذي قاله[1]: «الأرض مستقرّةٌ في جوف الفلك، وذلك لسرعة حركة الفلك. وجميع المخلوقات / ١٤/ على ظهرها. والنسيمُ جاذبٌ لما في أبدانهم من الخفّة، والأرضُ جاذبةٌ لما في أبدانهم من الثِّقَل، بمنزلة المغنيطس الذي يجذب الحديدَ إليه. فالأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الاستواء. وهو من المشرق إلى المغرب. وهذا هو طول الأرض. وهو أكبر خط في الأرض، كما أن مِنْطَقَةَ فلك البروج أكبرُ خطٍّ في الفلك».

قال[2]: «واستدارة الفلك في موضع خطِّ الاستواء ثلاثمائةٍ وستون درجة. والدرجة خمسة وعشرون فَرْسَخا. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والذراع أربعةٌ وعشرون إصبعاً. والإصبع ستُّ حبَّاتِ شعيرٍ، مصفوفة، ملصَقةٌ بطونُ بعضها لظهور بعض». تكون بهذه النسبة إحاطة الأرض مائةَ ألف ألف ذراع واثنين وثلاثين ألف ألف ذراع. وهي من الفراسخ أحد عشرألف فرسخ. قال الشريف: «وهذا بحساب أهل الهند. وأما هرمس فإنه قدّر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزءٍ مائة ميل. فتكون ستَّةً وثلاثين ألف ميل. وتكون من الفراسخ اثني عشر ألف فرسخ».

قلتُ: فالتفاوت بين الحسابين ألف فرسخ، زائدة في حساب هرمس على حساب أهل الهند. وذلك نصف السُّدس.

= أوغلو علي باشا في الآستانة، و«أنس المهج وروض الفرج». قال الصفدي: كان أديباً ظريفاً شاعراً «مغرى بعلم جغرافيا» وللمهندس البغدادي العلامة أحمد سوسة «الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية ـ ط» ويرجح أن وفاته في سبته سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م.

ترجمته في:

الوافي بالوفيات ١/ ١٦٣ والمشرق ١١/ ٣٢٠ ثم ١٥/ ٤٠٠ والفهرس التمهيدي ٥٤١ وآداب اللغة ٣/ ٨٤ والمقتطف ١٣/ ١٥٣ والنبوغ المغربي ١/ ٨٨ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٥٤٧ والرحالة المسلمون ٦٤ وBrock. 1:628 (477), S.1:876 ومعجم المطبوعات ٤١٤ وفي كتاب «المسلمون في جزيرة صقلية» ٢٣٦ مولده سنة ٤٨٧ ووفاته سنة ٥٦٨. واقرأ ما كتب عنه، في مجلة «العدوتان» المجلد الأول: ملحق جزء ربيع الأول ١٣٧١، الصفحة ٥ـ ٣٦، وانظر مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ٩/ ٢٥٧ـ ٣٧٢ بقلم حسين مؤنس، الأعلام ٧/ ٢٤.

(٢) هو Roger واسمه الطلياني المنقول عنه اللفظ العربي Ruggiero (زكي).

(١) نزهة المشتاق ١/ ٧ـ ٨.

(٢) م. ن ١/ ٨.

وقد زعم مَرْحبان الفيلسوف أن إرَدُسْناس[١] الحكيم قال: إنها مائتا ألف وخمسون ألف أشتياديوات. وأشتياديو[٢] هو ثُمن ميل، عنه أربعمائة ذراع عندهم. فذلك أحد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون[٣] ميلاً[٤].

وقد ذكر صاحب المَجسطِي أنّ دَوْرَ كرة الأرض أربعةٌ وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلاً، وأن قطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستمائة ميل وثلاثون ميلاً.

قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمد الأنصاريّ، عُرف بابن الشاطِر[٥]: «الأَوْلى أن يُقسم دور كرة الأرض على ثلاثة وسُبْعٍ؛ لأنه نسبة

---

(١) الظاهر أن هذين الاسمين محرّفان.
فالغالب أن الأوّل هو مرقيان (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الأوّلين كتبوه «مرخيان» تبعاً لقاعدة التعريب التي تقضي بنقل حرف Q أو C أو K إلى (ق، ك، خ) كما قالوا ألَخِنْدروس في Alexandrus (وانظر فهارس الطبري)، ثم حرّف الناسخون «مرخيان» إلى «مرحبان».
أما الأسم الثاني فكان الخطب فيه أسهل، لأنه محرف عن «إرَتُسْتِنَاس» [Eratosthene] ثم «إرَدُسْتِناس» ثم «إرَدُسْنَاس»، ولا غرابة في ذلك، فإن العرب كثيراً ما يقلبون التاء دالاً كما قالوا «بُدّ» عند تعريبهم لفظة «بُت» بمعنى الصنم (وانظر تاج العروس). وكما قالوا «زردق» و«زردك» في تعريب لفظة فارسية هي «زرتك» ومعناها عصير العصفر. (انظر ابن البيطار، وانظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزي) هذا و«مرقيان» هو من جغرافييّ الروم في القرن الرابع بعد الميلاد، وقد كتب سياحة بحرية حول الأرض.(Periple du monde)
وأما الثاني وهو إرتُسْتَان أو إرَتُسْتَناس فقد وُلد سنة ٢٧٦ وتوفي سنة ١٩٦ قبل الميلاد. أصله من المستعمرة اليونانية التي كانت ببلاد برقة [Cyrenaique] ثم اشتهر في بلاط الملك بطلميوس الثالث المعروف بأسم إفرجيت [Ptolomee Evergete] بمدينة الإسكندرية، لأن هذا الملك دعاه منذ سنة ٢٢٦ق.م لتولّي إدارة المكتبة النفيسة التي كانت بالاسكندرية. وبقى الرجل في هذه الوظيفة إلى أن كُفّ بصره في آخر عمره، فانقطع عن الطعام حتى وافاه الحِمام، كان عالماً بالفلك والهندسة، ينظم القريض ويتعاطىٰ الفلسفة، وهو الذي قاس بمدينة أسوان محيط الأرض، برصده للشمس في بئر هناك، وقد قال إنه ٢٥٢٠٠٠ إستادة [Stade]. فيكون ابن فضل الله قد جبر الكسور.

(٢) في الأصل: «اشتيادبو». وواضح أنها محرفة عن «اشتاديو» تعريباً لكلمة Stadion اليونانية التي نقلها الفرنسيون إلى .Stade ونحن في هذه الأيام نقلنا عنهم اللفظ اليوناني فنقول «إسناده» و«الإشتاديو» يساوي ثُمن ميل؛ والميل يساوي ٤٠٠ ذراع، كما قاله ابن فضل الله. (زكي).

(٣) في الأصل: «وثلاثون». [وقد صححتُ الرقم على ما يقتضيه الحساب]. (زكي).

(٤) إلى هنا النص منقول عن المسالك والممالك ١/ ١٧٩ـ ١٨٠.

(٥) علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الموقت، أبو الحسن علاء الدين، المعروف بابن الشاطر: عالم بالفلك والهندسة والحساب، من أهل دمشق، ولد فيها سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م وتوفي فيها أيضاً سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م. كان رئيس المؤذنين فيها، ويقال له «المطعّم» لاحترافه في صغره تطعيم العاج. رحل إلى مصر والإسكندرية. من كتبه «إيضاح المغيب في العمل بالربع المجيب - خ» فلك. و«أرجوزة في الكواكب - خ» و«الأسطرلاب - خ» رسالة، و«مختصر في العمل =

قطر كل دائرة إلى محيطها. وهو أصحُّ. وعلى هذا فيكون الدور أربعةً وعشرين ألف ميل، ويكون القُطْرُ سبعةَ آلاف وستمائة وستا وثلاثين ميلاً وثلث خمس مجبوراً.

قلتُ: وذكر صاحب كتاب «الكمائم» أن طول الأرض ظاهراً وباطناً، وبرًّا وبحراً، /١٥/ معموراً وغير معمور، أربعةٌ وعشرون ألف ميل. قال: «وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها».

وذكر أبو عُبَيْد البكريّ[1] في كتاب «المسالك والممالك»[2] أن حُبَيْشاً المنجّم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون ببريّة ديار ربيعة وهي برية شِيحان المقاربة لسَنجار. فوجد مقدار درجةٍ من الفلك ستةً وخمسين ميلاً من الأرض. فضرب العدد في ثلاثمائة وستين، التي هي جملة درج الفلك بمجموعه،

= بالأسطرلاب ـ خ» و«النفع العام في العمل بالربع التام ـ خ» و«نزهة السامع في العمل بالربع الجامع ـ ط» رسالة، و«كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع ـ خ» رسالة. وهو الذي صنع «البسيط» في منارة العروس بجامع دمشق. وله «الزيج الجديد ـ خ» اختصره محمد بن عبد الرحيم المخللاتي وسماه «نزهة الناظر باختصار زيج ابن الشاطر ـ خ».

ترجمته في: كشف الظنون ١٩٦٩ والدرر الكامنة٣/ ٩ وشذرات الذهب ٦/ ٢٥٢ والدارس ٢/ ٣٨٨ وفيه: ولادته سنة ٧٠٥هـ وBrock, 2:156, S. 2:157 والفهرس التمهيدي ملحق الهيئة والتنجيم. وفهرست الكتبخانة ٥/ ٢٧٣ و٣٠٦ ثم ٧/ ٥١٣ الأعلام ٤/ ٢٥١.

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة. علامة بالأدب، له معرفة بالنبات. نسبته إلى بكر بن وائل. كانت لسلفه إمارة في غربي جزيرة الأندلس، وقيل: كان أميراً، وتغلب عليه المعتضد. وقال الصفدي: «كان ملوك الأندلس يتهادون مصنفاته، وكان معاقراً للراح، مدمناً، يكاد لا يصحو» ولد في شلطيش (Saltes غربي إشبيلية) وانتقل إلى قرطبة. ثم صار إلى المرية، فاصطفاه صاحبها (محمد بن معن) لصحبته ووسَّع راتبه. وهذا ما حمل بعض المؤرخين على نعته بالوزير. ورجع إلى قرطبة بعد. غزوة المرابطين، فتوفي بها سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م عن سن عالية. له كتب جليلة، منها «المسالك والممالك ـ ط» بتحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٩٢م، طبع جزء منه باسم «المُغرب في ذكر إفريقية والمغرب» وقطع خاصة بالروس والصقلب، و«معجم ما استعجم ـ ط» أربعة أجزاء، و«أعلام النبوّة» و«شرح أمالي القالي ـ ط» و«التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه ـ ط» و«فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لابن سلاّم ـ ط» منه مخطوطة كتبت سنة ٦٠٨ في الرباط (١٥٨ق) و«الإحصاء لطبقات الشعراء» و«أعيان النبات» وله «رسائل» بعث بها إلى بعض معاصريه. وإنشاؤه مسجع على طريقة كتاب زمانه.

ترجمته في: ديوان الإسلام ـ خ. والصلة لابن بشكوال ٢٨٢ وطبقات الأطباء ٢/ ٥٢ وبغية الوعاة ٢٨٥ وآداب اللغة ٣/ ٨٤ والسيد عبد العزيز الميمني في مقدمة سمط الآلي. والمستشرق كور A.Cour في دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٤٨ـ ٥٠ وBrock 1:627, S. 1:875، الأعلام ٥/ ١٣٤.

(٢) المسالك والممالك ١/ ١٧٩.

فانتهى ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلاً. قال: «فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبرّ والبحر».

فقطرُها على هذا ستّةُ آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلاً ونصف ميل ونصف عُشر ميل، بالتقريب.

قال: «والمعمورُ نصفُ هذا المحيط، من خط الاستواء إلى الشمال. ومنها العمران في الشمال يؤُول في بِرِطانية[١]. فيكون ذلك تقدير الربع».

قال ابن الشاطر: «إنَّ واجبَ الحساب، على ما ذُكر، عشرون ألف ميل ومائة وستون ميلاً؛ وإنّ القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلاً ونصف ميل مجبوراً».

قلتُ: والذي حُرر في زمن المأمون، لكل درجة، ستةٌ وخمسون ميلاً وثُلُثا ميل. وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستَّةٌ وخمسون ميلاً، لا غير.

ولعل الأوَّلَ أقربُ؛ لأنّه قد يكون هذا الكسر أُهمِل في القياس. وعلى الأوّل الأكثرُ. وعليه عملُنا في هذا الكتاب. وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه، إن شاء الله! في مكانه. ولم نعمَل على ما حُرر للمأمون دون ما حرَّره القدماءُ، إلاّ لأنّه أقربُ إلينا وأشبهُ بنا.

وكلُّ فرسخ ثلاثةُ أميال، والميل أربعةُ آلاف ذراع مأمونيٍّ. فالدرجة تسعة عشر فرسخاً إلا تُسع فرسخ. وهو الذي عليه عَمَل هذا الكتاب.

/ ١٦/ وأمّا على رأي القدماء، فتكون كلُّ درجة اثنين وعشرين فرسخاً وتُسْعَيْ فرسخٍ. وأمّا البريد، فكلُّ أربعة فراسخَ بريدٌ.

وأمَّا العمران من الأرض، فقال البكريّ[٢]: تقديرُ الرُّبع. وقد ذكرنا ما قاله آنفا. وقال آخرون: الرُّبع. وقال آخرون: الثُّلث. وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثُّلث إلى الرُّبع، أقلُّ من الثُّلث وأكثر من الرُّبع.

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهانيّ[٣]، أطال الله مدّته! إنَّ العلاَّمة قطب الدين

---

(١) برطانية: أي بريطانيا. (٢) المسالك والممالك ١/ ١٨١.

(٣) محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، أو الأصبهاني: مفسر، كان عالماً بالعقليات. ولد في سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م وتعلم فيها. ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها، وأعجب به ابن تيمية. وانتقل إلى القاهرة فبنى له الأمير «قوصون» الخانقاه =

الشيرازيّ[(١)] قال له: إنه حرّر دور المعمورة من الأرض. فكان اثني عشر ألف ميل مجبورةً، قطرُها أربعة آلاف ميل مجبورةً، فتكون ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ مجبورةً.

قال ابن الشاطر: «وفي الذي ذكره الشيرازيّ ما لم يُفهم معناه. فإن كان أراد به ما

= بالقرافة، ورتبه شيخاً فيها، فاستمر إلى أن مات بالطاعون في القاهرة. سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. من كتبه «التفسير ـ خ» في صوفية (دار الكتب الشعبية ١/ ٤٣) مخطوطة كاملة نفيسة (٨٤٣ ورقة) كبير، منه الجزء الرابع مخطوط، سماه «أنوار الحقائق الربانية» قال الصفدي: رأيته يكتب في تفسيره من خاطره من غير مراجعة؛ و«تشييد القواعد ـ خ» في شرح تجريد العقائد للنصير الطوسي، و«شرح فصول النسفي ـ خ» و«مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار للبيضاوي ـ ط» و«ناظرة العين ـ خ» مصور في معهد المخطوطات، في المنطق، مع شرحه ـ خ» ـ ناضرة العين ـ لأحمد بن عمر المالكي (٧٩٥)، و«البيان ـ خ» في شرح مختصر ابن الحاجب، أصول، و«بيان معاني البديع ـ خ» شرح البديع لابن الساعاتي في أصول الفقه، و«شرح مطالع الأنوار» للأرموي في المنطق، و«شرح كافية ابن الحاجب ـ خ» و«شرح منهاج البيضاوي».

ترجمته في:

الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧ وبغية الوعاة ٣٨٨ وفهرست الكتبخانة ١/ ١٤٢، ٢/ ١١ و٥٤ و٢٣٩ و٢٧٢ والبدر الطالع ٢/ ٢٩٨ وشذرات الذهب ٦/ ١٦٥ وPrinceton 450 وطبقات الشافعية ٦/ ٢٤٧ والطبقات الوسطى ـ خ. وBrock. S. 2: 137 والفوائد البهية ١٩٨ والصادقية، الرابع من الزيتونة ٨ وفي مفتاح السعادة ٢/ ٤٩ وفاته سنة «٧٤٧» تصحيف تسع وأربعين، وكشف الظنون ١٩٢١ وأخبار التراث العربي، العدد ٦٤ ص٣٦ و«نشرة مكتبية/ ١» علوم العربية/ ٢، الأعلام ٧/ ١٧٦.

(١) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي: قاض، عالم بالعقليات، مفسر. ولد بشيراز سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، وكان أبوه طبيباً فيها، فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسي وقرأ عليه. ودخل الروم فولي قضاء سيواس وملطية. وزار الشام. ثم سكن تبريز، وتوفي بها سنة ٧١٠هـ/ ١٣١١م. وكان ظريفاً لا يحمل هماً ولا يغير زي الصوفية، يجيد لعب الشطرنج ويديمه، ويتقن الشعبذة، ويضرب بالرباب ويجلس في حلق المساخر. وهو من بحور العلم. من كتبه «فتح المنان في تفسير القرآن» نحو ٤٠ مجلداً، منه الجزء الأول مخطوط، و«مشكلات التفاسير ـ خ» و«حكمة الإشراق ـ ط» و«تاج العلوم ـ خ» و«شرح كليات القانون في الطب لابن سينا ـ خ» المجلد الرابع منه بخط مشرقي مشرق؛ كتب سنة ٧٣١ في خزانة الرباط (١٤٨ كتاني) و«مفتاح المفتاح ـ خ» في البلاغة، و«غرة التاج» في الحكمة، و«نهاية الإدراك في دراية الأفلاك ـ خ» في علم الهيئة، و«شرح الأسرار للسهروردي» و«رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم ـ خ» و«الانتصاف، شرح الكشاف ـ خ» و«شرح مختصر ابن الحاجب ـ خ» و«التحفة الشهية ـ خ» في الهيأة، و«التبصرة ـ خ» هيأة، و«شرح التذكرة الناصرية ـ خ» و«رسالة في البرص ـ خ».

ترجمته في: بغية الوعاة ٣٨٩ والدرر الكامنة ٤/ ٣٢٩ وابن الوردي ٢/ ٢٥٩ ومفتاح السعادة ١/ ١٦٤ ومجلة المقتبس ٢/ ٣ـ ٨ وتاريخ علماء بغداد ٢١٩ وPrinceton 173 والفلاكة والمفلوكون ٧٣ وفهرست الكتبخانة ١/ ١٨٦ و٤/ ١٥٤، و٥/ ٢٢٥ وBrock. 2:274 (211), S. 2:296 والفهرس التمهيدي ٥٠٩ و٥٢٩، والأعلام ٧/ ١٨٧ـ ١٨٨.

بين أوّل المعمور وآخره، فهو غير موافق، ولا يُطلق عليه محيطٌ؛ وإن كان أراد بالقُطر ما بين خطّ الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال، فهذا لا يقال له قُطرٌ ولا يفي المعمور بمقدار ما ذكره. ولا نسبة لما ذكر أنّه ذَرْعُ القُطر إلى ما ذكر أنّه دور المعمورة نسبة قطر الدائرة إلى محيطها». وقال: «وإذا فرضنا مبدأ العمارة خط الاستواء بخمسة عشر جزءاً إلى حدود خمسين جزءاً وثلث في الجهة الشمالية، كان نسبة المعمورة إلى باقي بسيط الأرض تقارب الثُّمن ونصفَ السُّدس. وإذا فرضنا إلى حدود ستة وستين جزءا كان نسبة المعمور إلى باقي البسيط يقارب الربع؛ لأن ما وراء السابع من الخراب يقارب ما قبل الأول من المعمور. ولا يكون أكثر من ذلك».

وقال الشريف[١]: «إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين، الجنوبيّ والشماليّ، تسعين درجة. واستدارتُها عرضا مثلُ ذلك.

إلاّ أنّ العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربعٌ وستون درجة، والباقي من الأرض خلاء، لا عمارة فيه، لشدّة البرد والجمود. والخَلْق بجملته على الرُّبع الشماليّ من الأرض. والرُّبع الجنوبيّ الذي هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور، لشدّة الحرّ به، وممرِّ الشمس (وهي أسفل فلكها) على سَمْته. فجفّت مياهه وعُدم حيوانه ونباته، لعدم الرطوبة».

قلتُ: وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط، وإن كان الصحيحَ، نظرٌ. فإنها في صورة لوح الرسم[٢] تتناهى إلى أكثر من ذلك، ويستكمل من خط الاستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم، جنوباً وشمالاً، /١٧/ على ما نذكره في مكانه. وإنما غالب الجنوب والشمال لا عمارة فيه: إذ لا يمكن سَكَنه.

ومن تأمّل وضع العالَم في لوح الرسم، رأى ذلك بالعِيان: لخُلُوّ ما تحت القُطبين، الجنوبيّ والشماليّ. والخالي تحت الجنوبيّ أكثرُ بما لا يقاس. وهكذا في الجغرافية وَضعهُ.

وقد ذكر أبو عُبيد مبلَغ طول النهار في الأقاليم السبعة، حتّى انتهى إلى الإقليم السابع. ثم قال[٣]: «وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور، فإنه يبتدىء من المشرق من بلاد البُرْغَر وأرض الترك إلى اللان، ثم يمرُّ على البُرْجان والصَّقالِبة، وينتهي إلى بحر

---

(١) نزهة المشتاق ١/٨.
(٢) أي الخريطة الجغرافية.
(٣) المسالك والممالك ١/١٨٦.

المغرب، وهو خارج على الأقاليم السبعة». إنتهى كلام البكريّ. وسيأتي (إنْ شاء الله تعالى) مبسوطا في موضعه.

وإنَّما ذكره هنا للاستدلال على أنّ الشمال أكْثُر عمارة من الجنوب؛ لأننا وجدْنا وراء الإقليم السابع عمارةً ممتدّة. وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأوّل. اللهُمَّ إلاَّ ما هو في قسم المشرق، وراء خط الاستواء، من الجزائر الممتدّة في البحر، آخذةً إلى المحيط، أو ما هو في حكمها بالصين.

فأمّا قسم المغرب، فإنّا لم نجد وراء الأوّل فيما يأخذ إلى جهة الجنوب عَرضاً، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً، عمارةً، بل ولا على خطه المستقيم، بل ولا وجدْنَا العمارة به إلاّ ما هو داخلٌ خطَّ الإقليم الأوّل إلى الإقليم الثاني.

وسنذكر ما وجدْناه من العمارة في كلّ منهما على ما نبيّنه.

فأمّا ما وقع من العمارة في قسم المشرق، من وراء خط الاستواء الذي هو أوّل الإقليم الأوّل، فنقول: إنَّ صاحب الجغرافية[1] صوّر، في ما هو خارج عن خط الاستواء من /١٨/ مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبّة أرِينَ، جُزُرا عامرة مسكونة في البحر الهنديّ، من وراء سَرَنْديب في الجنوب، وهي متصلة بها. وتقدير هذه الجُزُر في العرض، عرضُ إقليم واحد ونصف إقليم تقريبا، خلف الإقليم الأوّل، زائدا على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقيّ. وعرضُ هذا المقدَّر بإقليم واحد ونصف إقليم من حيْثُ يأخذ من قبّة أَرِينَ على خط الاستواء العرضيّ جنوبا محضا، ثلاثةُ أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرضُ أوّلها، وهو المارّ مع خط الاستواء في خارجه ممتدّا على جانب الإقليم الأوّل في غالب النصف الشرقيّ من قُبّة أرِينَ إلى جزيرة الجوهر في البحر المحيط، خمسُ درجات. وقد عَلّم عليه في لوح الرسم هـ.

وعرض ثانيها، وهو الذي يليه، عشرُ درجات، لارتفاع رأس الحَمَل والميزان. وقد عَلّم في لوح الرسم ى.

وعرض ثالثها، وهو الذي يليه، خمسَ عشرةَ درجة. وقد عَلَّم عليه في لوح الرسم يه.

---

(١) وهو بطليموس اليوناني، عالم الفلك والجغرافيا، وكتابه (الجغرافيا) المترجم للعربية، نشره الاستاذ فؤاد سزكين مصوّراً على مخطوطة أيا صوفيا، منشورات معهد تأريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت ـ ألمانيا ـ ١٩٨٧.

وذَكَر بها من الجُزُر العامرة: فلاي؛ وجزيرة القَمَر، وذكر أنّ طولها أربعة أشهر؛ ومنها سَرَنْدِيب، داخلَ خط الاستواء في الإقليم الأوَّل مماسَّةً له حيث هو من الطول من قُبَّة أرِينَ مائةٌ وخمس وستون درجة. وقد عَلَّم عليه في لوح الرسم فكه[١] .

كلُّ ذلك بحاسب الجُمَّل.

وذَكَرَ في هذه الجزيرة، ممّا هو وراء خط الاستواء، مدنا. منها: حمران؛ ودهمي؛ ودافور؛ وديمي؛ وعما؛ ونخزلاتي؛ /١٩/ وتمكاد؛ ومريانا؛ وتياو؛ وموضع قدم آدم عليه السلام (جنوبي سَرَنْدِيب، من وراء خط الاستواء)؛ وفزدرّا؛ وسونيه؛ وكيماما؛ وعيمي؛ ومحلاي؛ وملاي؛ وسمردي؛ يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كير؛ وأتونا؛ ومعلا؛ وقنصورا؛ واسفيل. ثم جزيرة تعرف بالموجة، أمّ جزائر الصين. ثم جزيرة القشمير. ثم جزائر الواق واق؛ وجزيرة الدجّال إلى جزيرة الجوهر، في البحر المحيط.

وصوَّر، في البرّ المتّصل من جهة الصين، برزخاً بين البحرين الهنديِّ، حيث انعطف شرقيَّ جزيرة الموجة أمّ جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط. وذلك البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط؛ وفي الجوف البحر الهنديُّ حيث خرج؛ وفي الغرب؛ حيث انعطف. وبقي الشمال مكشوفا، متَصلٌ به هذا البرزخ بالصين. وذَكَر فيه عدّةً من المدن.

وأوّل ما نبدأ بما تغلغل إلى الجنوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من الطول في الجغرافية مائةٌ وخمس وستون درجة، وقد علّم عليه في لوح الرسم قسه. ومائةٌ وسبعون درجة وقد علّم عليه في لوح الرسم قع.

وأوّلها مدينة حميسة، ومدينة قيطغون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا، ومدينة خانَفُو (وهي الخنسا على فُرْضة من البحر الهنديّ خرجت هناك في الصين ولم تمتدّ) مساحته لجزيرة الياقوت في المحيط. وقد سمَّاها الشريف بجزيرة بسياره[٢] .

وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة.

كلُّ هذا خارج عن خط الاستواء.

/ ٢٠/ وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربيِّ من قُبَّة أرِينَ إلى البحر المحيط الغربيّ، مسامتٌ الجزائرَ الخالدات، في جميع العرض إلى منتهى الجنوب) لا حظَّ له في العمارة.

---

(١) كذا في نسخة ب، ولدى زكي: (يأباه) في الحساب.

(٢) انظر: نزهة المشتاق ١/ ٥٢٠.

وأما ما وقع من العمارة وراء الإقليم السابع (ممّا ليس في حساب السبعة الأقاليم، وهو الذي أشار إليه أبو عُبَيْد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نبهنا عليه، وسيأتي إن شاء الله تعالى مبسوطاً في موضعه، وتقديره في العرض نصف إقليم، ممتدًّا على جانب الإقليم السابع من أوّل المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نبيِّنه) فأوّله من جهة الشرق قطعةٌ معمورة بيأجوج ومأجوج، فيما هو داخلٌ السدَّ؛ وبلاد سيسبان (وهي آخذةٌ عرضا من هذا الجزء المقدَّر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتّى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛ وبلاد الروسيّة الثانية (وكلُّها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلةً إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمسٌ وسبعون درجة. وقد عَلَّم عليه في لوح الرسم عه. وفي بلوغ العمارة هذا الحدّ وتجاوز أربع وستين درجةً، نظرٌ.

قالوا: فأمّا الروسيَّة، فعامرة آهلة. وكذلك الأنكرية. وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خَرِبت من قديم، لإغارات يأجوج ومأجوج عليهم.

ومن تأمّل لوح الرسم، رأى ذلك مُمَثَّلا لعينه في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأوّل خالياً في القسم الغربيّ، والمعمورَ من داخله على فرقتَي النيل: الفِرقة الآخذة على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتّى يصب في البحر المحيط، والفِرقة /٢١/ الآخذة على غربيّ الحَبَشة إلى شرقيّ النُّوبَة إلى مصر حتّى يصبَّ في البحر الشاميّ.

فعِلمنا أن سبب عمارة ما وراء خط الاستواء من الجُزُر في القسم الشرقيّ، وما هو في حكمها، لاكتناف البحر الهنديّ لها، فرطّب هواءها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها. فنبت بها النبات، وسكن الحيوان. ولم يقع في قَسم القِسم الغربيّ، وراء خط الاستواء، بحرٌ يؤثِّر فيه هذا التأثير. فبقي على كيفيَّة طبعه من اليُبْس والجفاف، لا يُمكن به نباتُ نباتٍ ولا حياة حيوان.

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان بكيفيَّة طبعه، لا بسبب آخر من خارجٍ.

فظهر حينئذ أنَّ الشمالَ أوفقُ لِمزاج الحيوان. فكان أعمرَ من الجنوب، لشدّة حر الجنوب على ما بيَّناه. وهو موافق لرأي الشريف.

قال الشريف[١]: «لا يكون الحيوان والنبات أبدا، إلاّ حيث تكون المياه والرطوبات».

وقال البكريّ[٢]: «وركّب الله على الأرض جِرمَ الشمس. لعلمه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيبُ العالَم في فلك أخرَج مركَزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من دَرَج فلك البروج. فلذلك اختلفت حركة الشمس. فمحا مِزاجَ جوهرِ الهواءِ المحيط بالناحية الجنوبيَّة، فكان الجزءُ المعمورُ في الناحية الشماليَّة. إذ كان كلّ حيوان، بطبعه، أحمل للبرد منه للحرّ. ألا ترى أنه يتولّد في الماء من الحيوان ما لا يُحصى كثرةً، وكذلك من النبات؛ ولا يكون في النار منه شيءٌ، إلاّ الشاذَّ النادر، إن صح ذلك فيه. كما زعموا أنه يتكوّن في أفران الزجّاجين ضربٌ من سامّ أبرصَ، وقد سماه أرسطو بالسُّرْفُوت وهي حُمْر الألوان، إذا خرجت عن النار، هلكتْ.

فوجب لهذه العلَّة أنْ يكون اسم الأقاليم السبعة وتحديدها / ٢٢/ في الجزء الشماليّ من الأرض، كما ترى في لوح الدائرة[٣].

وقد ذكر صاحب جغرافية أنّ جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون ميلاً. وهذا أزيد مما حرّره الشيرازيّ بخمسمائة ميل وثلاثين ميلاً. ولعلّ هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقيّ؛ وما هو خارج الإقليم السابع مارٌّ معه. فإنّ الشيرازيَّ، والله أعلم، لم يحرِّر إلاّ معمور الأقاليم السبعة خاصَّةً، وصاحبُ جغرافية ذكر المعمور كلَّه. فكان هذا التفاوت كلُّه.

قلتُ: ولا أدّعي أنّ ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغِّلٌ في الشمال، خارجٌ خروجا مباينا كلِّيًّا. ولكنَّه خروجٌ مماسٌّ مجاورٌ، حُكمُه حُكمُ ما هو على الخط. إذ لو كان خروجا مباينا، لكان إقليما ثامنا، وليس كذلك. إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجمود، كما لا يمكن لإفراط الحرّ واليُبْس.

والحكماء تشبِّهُ الأرض بجسدِ آدميٍّ: الترابُ لُحمه، والمياهُ دمُه، والحجارةُ عظمهُ، والرياحُ أنفاسُه، والبخاراتُ فَضَلاتُه؛ رأسُه الصينُ، ووجهُه الهندُ، وجيدُه ما وراءَ النهرِ، وصدرُه خُراسانُ وما يليها، وقلبُه العِراقُ، ويداهُ الجنوبُ والشمالُ، وبطنُه الشامُ، وسُرَّتُهُ جزيرةُ العرب، وعَجُزاه مِصرُ والقُسطنطينيَّةُ، وفَخِذاه إفريقيَّةُ وروميَّةُ،

---

(١) نزهة المشتاق ١/٨.   (٢) المسالك والممالك ١/١٨٨.

(٣) لوح الدائرة هو الخريطة الجامعة التي تسميها الآن مابموند تعريباً للفظة فرنسية Mappemonde (زكي).

ورِجْلاه بَرُّ العَدْوَة والأَنْدَلُسُ.

وليس هذا التشبيه بشيء.

قال الشريف[١]: «ومع كون الأرض كرةً، هي غير صادقة الاستدارة. منها منخفض ومرتفع. ولهذا قيل فيما انكشف: إنّه تضاريس. والبحر محيط بنصف الأرض إحاطةً متَّصلة، دائرٌ بها كالمِنطَقة. لا يظهر منها إلاَّ نصفها، وهو ما دارت عليه الشمس في قوس النهار. /٢٣/ مثل بيضة مُغَرَّقة في ماءٍ انكشف منها، وانغمر ما انغمر». وقد تقدَّم هذا التمثيل.

وقال شيخنا فريد الدهر، أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأَصفهانيُّ، أمتع الله به «لا أمنعُ أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا، منكشفا من الجهة الأخرى. وإذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة، لا أمنعُ أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا، أو من أنواع وأجناس أخرى»[٢].

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً، ذكرناه. وبالله التوفيق.

* * *

الفصل الثاني: في أسماء الأرض وصفاتها

قال الثعالبيُّ[٣]، في فقه اللغة[٤]:

---

(١) نزهة المشتاق ١/٨ ـ ٩.

(٢) للأصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن. وللاصفهاني فضلٌ أكبر على مكتشف أمريكا: لأنه تخيَّل وجودها بقوّة الفطنة والاستدلال، وأمّا كولومب فتخيّل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب. توفي أبو الثناء في سنة ٧٤٩هـ/ (١٣٤٩م). وأما كولومب فقد اجتهد في إقناع فردينند وإيزابلاّ صاحبي الأندلس بصدق نظريته في سنة١٤٩٢ ميلادية (الموافق لسنة ٨٩٨هـ) (زكي).

(٣) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور ولد سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وتوفي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م. كان فَراءاً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ. وصنّف الكتب الكثيرة الممتعة. من كتبه «يتيمة الدهر ـ ط» أربعة أجزاء، في تراجم شعراء عصره، و«فقه اللغة ـ ط» و«سحر البلاغة ـ ط» و«من غاب عنه المطرب ـ ط» و«غرر أخبار ملوك الفرس ـ ط» و«لطائف المعارف ـ ط» و«ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة ـ ط» و«طبقات الملوك ـ خ» و«الإعجاز والإيجاز ـ ط» و«خاص الخاص ـ ط» و«نثر النظم وحل العقد ـ ط» و«مكارم الأخلاق ـ ط» و«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ ط» و«سر الأدب ـ ط» و«الكناية والتعريض ـ ط» ويسمى «النهاية في الكناية» و«المؤنس الوحيد ـ ط» مختارات منه، و«نثر النظم وحل العقد ـ ط» و«التجنيس ـ خ» و«غرر البلاغة ـ خ» و«برد =

«إذا اتّسعت الأرض، ولم يتخلّلْها شجرٌ أو خَمَر، فهي الفضاء، والبَرَاز، والبَراح؛ ثم الصحْراء، والعَرَاء؛ ثم الرَّهاء والجَهْراء.

فإذا كانت مستوية مع الاتّساع، فهي: الخَبْت، والجَدَد؛ ثم الصَّحْصح، والصَّرْدَح؛ ثم القاع، والقَرْقَر؛ ثم القَرِق، والصَّفْصَف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع، بعيدَة الأكتاف والأطراف، فهي، السَّهْب والخَرْق؛ ثم السَّبْسَب والسَّمَاق.

فإذا كانت مع الاتّساع والاستواء، والبُعد، لا ماءَ فيها، فهي: الفَلاَةُ والمَهْمَه، ثم التَّنُوفَة والفَيفاء؛ ثم النَّفْنَف والصَّرْمَاء.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لا يُهتدى فيها لطريقٍ، فهي: اليَهْمَاء.

فإذا كانت تُضلُّ سالكها، فهي: المُضِلَّة، والمَتِيهَة.

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالِمُ، فهي: المَجْهَل، والهَوْجَل.

/ ٢٤/ فإذا لم يكن بها أثَرٌ، فهي: الغُفْل.

فإذا كانت قَفْراء، فهي: القِيُّ.

فإذا كانت تُبيد سالكَها، فهي: البَيْدَاء. (والمفازة كناية عنها).

فإذا لم يكن شيءٌ من النبْت، فهي: المَرْت والمَليع.

فإذا لم يكن فيها شيٌ، فهي: المَرات والسُّبْرُوت والبَلْقَع.

فإذا كانت الأرض غليظة صُلْبة؛ فهي: الجَبُوب؛ ثم الجَلَد، ثم العَزاز؛ ثم الصَّيداء؛ ثم الجُدْجُد.

= الأكباد ـ ط» و«الأمثال ـ ط» واسمه «الفرائد والقلائد» من إنشائه، و«مرآة المروآت ـ ط» و«الغلمان ـ خ» و«تحفة الوزراء ـ خ» و«أحسن المحاسن ـ خ» و«أحسن ما سمعت ـ ط» و«اللطائف والظرائف ـ ط» و«يواقيت المواقيت ـ ط» و«الشكوى والعتاب ـ خ» و«المقصور والممدود ـ خ» و«المتشابه ـ ط» رسالة، و«المبهج ـ ط» و«التمثيل والمحاضرة ـ خ» طبعت منتخبات منه و«لباب الأدب ـ خ» في مكتبة أسعد أفندي باستامبول (الرقم ٢٨٧٩).

ترجمته في: معاهد التنصيص ٣/ ٢٦٦ ومفتاح السعادة ١/ ١٨٧ و٢١٣ و Brock. 1: 337, S. 1: 499 وابن خلكان ١/ ٢٩٠ وشذرات الذهب ٣/ ٢٤٦ وآداب اللغة ٢/ ٢٨٤ والفهرس التمهيدي ٢٧٥ و٥٤٩ ومعجم المطبوعات ٦٥٦ والكتبخانة ٤/ ٢٢٠. وكان مما نسب إليه كتاب «المنتحل ـ ط» ثم تبين أنه من تأليف عبيد الله بن أحمد الميكالي وانظر الطبعة المعادة من كتاب «تاريخ غرر السير»: مقدمة مجتبى مينوي. الصفحة ز. الأعلام ٤/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٤) المنقول هنا من فقه اللغة للثعالبي، انظر: طبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٨٨٥م، ص٢٩١ ـ ٢٩٤، وطبعة دار الكتاب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ص٣٠٥ ـ ٣٠٧. وقد نقل العمري هذا النص من نهاية الإرب للنويري، انظر: ط دار الكتب المصرية ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٢.

فإذا كانت صُلبة يابسة من غير حصًى، فهي: الكَلَد؛ ثم الجَعْجاع.

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي: البُرقة، والأَبْرَق.

فإذا كانت ذات حصًى، فهي: المَحْصَاة والمَحْصِيَّة.

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي: الأمْعَز والمَعْزاء.

فإذا اشتملت عليها كلّها حجارة سودٌ، فهي: الحَرَّة واللاَّبَة.

فإذا كانت ذات حجارة كأنّها السكاكين، فهي: الجَزيز.

فإذا كانت الأرض مطمئِنَّةً، فهي: الجَوْف، والغائط؛ ثم الهَجْل، والهِضَم.

فإذا كانت مرتفعة، فهي: النَّجْد، والنَّشْزُ.

فإذا جمعت الأرض والارتفاع والصلابة والغِلَظ، فهي: المَتْن، والصَّمْد؛ ثم القُفُّ، والفَدْفَد، والقَرْقَر.

فإذا كانت ارتفاعها مع اتّساع، فهي: اليَفَاع.

فإذا كان طولها في السماء مثلَ البيت وعرضُ ظهرها [نحو] عشرةِ أذرع، فهي: التل؛ وأطول وأعرض منها: الرَّبْوَة، والرابية، والأكَمَة؛ ثم الزُّبْيَة وهي التي لا يعلوها الماء. (وبها ضرب المثل، في قولهم: بلغ السيل الزُّبى)؛ ثم النَّجْوَة (وهي المكان الذي تظنُّ أنَّه نجا بك)؛ ثم الصَّمَّان، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل).

فإذا ارتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غِلَظ الجبل، فهي: الخَيْف.

فإذا كانت الأرض ليِّنة، سَهْلة، من غير رمل، فهي: الرَّقاق (والبَرْث)؛ ثم المَيْثَاء والدَّمِثَة.

فإذا كانت طيِّبة التُّربة، كريمة /٢٥/ المنبِتِ، بعيدةَ الأحساء والنزور، فهي: العَذاة.

فإذا كانت مَخِيلَةَ النبت والخير، فهي: الأرِيضة.

فإذا كانت ظاهرةً، لا شجرَ فيها ولا شيء يختلط بها، فهي: القَرَاح، والقِرْواح.

فإذا كانت مهيَّأة للزراعة، فهي: الحَقْل، والمَشارَة، والدَّبْرَ.

[فإذا لم تُهَيَّأْ للزراعة، فهي: بورٌ].

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي: الفِلّ والجُرُز.

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضَيْن ممطورتين، فهي: الخَطِيطَة.

فإذا كانت ذات ندًى ووَخامة، فهي: الغمِقَةُ.

فإذا كانت ذات سباخ، فهي: السَّبَخَة.

فإذا كانت ذات وباء، فهي: الوَبِيئة والوبِئة [على مثال فَعِيلة وفَعِلة].

فإذا كانت كثيرة الشَّجَر، فهي: الشَّجْراء والشَّجِرة.

فإذا كانت ذات حَيَّات، فهي: المُحَوَّاة.

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي: المُسْبعة والمَذئبة.

الفصل الثالث[1]: في أسماء التراب وصفاته

تراب وجه الأرض يقال له البَوْغاء.

والدَّقْعاء، التراب الرِخْو الرقيق الذي كأنه ذَريرةٌ.

الثرى، التراب النَّدِيّ [وهو كل تراب لا يصير طينا لازبا إذا بُلَّ].

[المور]، التراب الذي تمور به الريح.

الهَبَاء، التراب الذي تُطَيِّره الريح، فتراه على وجه الناس وجلودهم وثيابهم.

[يلزق لزوقا (عن ابن شُمَيْل)].

[الهابي، الذي دقّ وارتفع (عن الكسائيّ)].

السافِياء، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح.

النَّبِيثَة، التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها.

الراهِطاء والدَّأْماء، التراب الذي يُخرجه اليَرْبوع من جحره ويَجْمَعه.

الجُرثومة، التراب الذي تجمعه النمل عند قريتها

العَفاء، التراب الذي يُعَفِّي الآثار. وكذلك العفر

الرَّغام، التراب المختلط بالرمل

السَّماد، التراب الذي يُسَمَّد به النبات. فإذا كان مع السِّرقين، فهو الدَّمال.

وإذا كان الطين حُرّاً يابساً، فهو: الصَلصال.

فإذا كان /٢٦/ مطبوخاً، فهو: الفخار

فإذا كان عَلِكاً لاصقاً: فهو: اللازب.

فإذا غيّره الماء وأفسده، فهو: الحمأ

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة).

---

(١) من هنا منقول عن فقه اللغة ـ انظر: ط الكتب العلمية ص ٣٠٨ ـ ٣١٠

فإذا كان رَطْبا، فهو: الثَّأْطة والثُرْمُطَة [والطَّثْرَة].

فإذا كان رقيقاً، فهو: الرِّدَاغ.

فإذا كان تَرْتَطِم فيه الدوابّ، فهو: الوَحْل. وأشدّ منه، الرَّدَغة والرَّزَعة وأشدّ منهما الوَرْطة: تقع فيها الغَنَم فلا تَقْدِر على التخلُّص منها. (ثم صارت مثلاً لكل شدّة يقع فيها الإنسان).

فإذا كان حُرًّا طَيِّباً عَلِكا، وفيه خُضرة، فهو: الغَضْراء.

فإذا كان مخلوطاً بالتبن، فهو: السَّيَاع.

فإذا جعل بين اللَّبِن، فهو: المِلاَط.

* * *

الفصل الرابع[(١)]: في أسماء الغبار وصفاته

النَّقْع والعَكُوب، الغبار الذي يثور من حوافر الخَيْل وأخفاف الإبل.

العَجاجَة، الغُبار الذي تثيره الريح.

الرَّهَج والقَسْطَل، غُبار الحرب.

الخَيْضَعَة، غبار المعركَة.

العِثْيَر، غبار الأقدام.

المَنِين، ما تقطّع منه.

* * *

الفصل الخامس[(٢)]: في أسماء الرمال وصفاتها

(ما استطال) من الرمل، يقال له: العدَاب.

الحَبْل، ما استطال منه.

اللَّبب، ما انحدر منه.

الحِقْف، ما اعْوَجَّ منه.

الدِّعصْ، ما استدار منه.

---

(١) منقول عن فقه اللغة، ط الكتب العلمية ص ٣٠٩.

(٢) منقول عن فقه اللغة، انظر: طبعة الكتب العلمية ص ٣١٢-٣١٣.

العَقِدَة، ما تعقّد منه.

العَقَنْقَل، ما تراكم [وتراكب] منه.

السِّقْط، ما جَعَل ينقطع ويتَّصل منه.

النُّهْبُورَة، ما أشرف منه.

التَّيْهُور، ما اطمأن منه.

الشَّقِيقة، ما انقطع وغَلُظَ منه.

الكَثِيب والنَّقا، ما احدَوْدَب وانهال منه.

العاقِر، ما لا يُنبت شيئاً منه.

الهِدَمْلة، ما كثر شجره منه.

الأَوْعس، ما سهُل ولاَنَ منه.

الرَّغام، ما لان منه، وليس بالذي يسيل من اليَدِ.

الهَيَام، ما لا يُتمالك أن يُمسك منه باليد، للينه.

الَّدكادك، ما الْتَبَد بالأرض منه.

العانِك، ما تعقّد منه، حتى لا يقدر البعير على المسير فيه.

والكثير من الرمل، يقال له: العَقَنْقَل.

فإذا نَقَص، فهو: كثيب.

فإذا نقص /٢٧/ منه، فهو: عَوْكل.

فإذا نقص منه، فهو: سِقْط.

فإذا نقص منه، فهو: عَذَاب.

فإذا نقص منه، فهو: لَبَب.

وقال صاحب الغريب[1]: «إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي: العَوْكَلَة؛ فإذا انبسطت وطالت، فهي: الكثيب، فإذا انتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح، وبقي منه شيء رقيق، فهو: اللَّبَب؛ فإن نقص، فهو العَذَاب».

والله أعلم.

* * *

(١) الغريب المصنف ١/ ٣٩٢ـ ٣٩٤.

الفصل السادس: في أحوال الأرض

هذا فصل قصدنا إفراده، لنزيده وضوحاً، وسنذكره جملة وتفصيلاً، ونستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، ما يندرج معها، وذكرَ جُمَل من الآثار القديمة.

فنقول، وبالله التوفيق:

إنّه لمّا كانت الأرض وما عليها من المركبات مِن الطبائع الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، نظرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقرّه؛ وما غلب عليه عنصر الماء (كالسمك) فكان في الماء مقرُّه. ووجدنا الطير، وإنْ طلب مركزه المركَّب منه أكثرُ أجزائه وهو الهواء، والسمَكَ وإنْ طلب مركزه المركَّب منه أكثر أجزائه وهو الماء، لم نجد واحداً منهما ولا شيئاً من الحيوان مطلقا يطلب النار ويُمَاسُّها[1]، إلاَّ السَّمَنْدَر[2] وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويُمَاسُّها كالطير إذا حطَّ إلى الأرض، والحوتِ إذا أوى بيتَه. فعلِمْنا حينئذٍ أنَّهما من لوازم الأرض.

فبالأَوْلى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصر الترابُ، كالإنسان. ويدلّ على هذا قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا / ٢٨/ نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[3].

فغلّب حكمها على بقيّة العناصر، في خلق الإنسان، فقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ إشارة إلى التراب؛ وجعلها البداية والنهاية، قال: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعيدُكُمْ». ثُمَّ أكَّد لها التغليب على بقيّة العناصر الثلاثة التي لا تقومِ المركَّبات إلاَّ بها، بقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾. فجعل منها النشأة الأُولى في أوّل الخلق؛ والثانيةَ في المعاد؛ وما بينهما، وهو: الموت.

فإن اعترض، معترضٌ، بالسمندر وأنه يأوِي النار، قلنا: هذا شاذٌّ نادر. والشاذُّ النادر لا حُكْمَ له.

وإذ قد تبيّن أنّ الترابَ في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزه: منها الميلاد، وإليها المَعَاد.

فعلمنا ضرورةً أنَّ الأرض أمُّ البشر. أخرجهم من بطونها، فكانوا كالولدان لها.

---

(١) في الأصل: «ولا يماسها»، والظاهر أن زيادة (لا) سبق قلم. (زكي).

(٢) صوابه: «السمندل»: وهو طائر بالهند لا يحترق بالنار» القاموس المحيط مادة (السمنة).

(٣) سورة طه: الآية ٥٥.

وقوتُ المولود ثديُ الأُمِّ، وهو: ما أخرجَتْ لنا من نباتها.

فعُلم حينئذٍ أنّ نوع الإنسان من لوازمها. بطلب مركزه منها: لما فيه من ثِقَل التركيب بها. إلا ترى أن النار ولو عُكِست، أبَتْ إلاّ طلب العُلُوّ: تطلب مركزها؛ والقربةَ المنفوخة التي قُسِرتْ بقاسِرٍ يدخلها الماء إذا أُطلِقت، طَلَبَ الهواءُ المملوءة به العلوَّ: يطلب مركزه؛ والماءَ لا يجري إلاّ من العالي إلى المنخفض من الأرض يطلب مركزه. وكذلك التراب، حيثُ رميتَ به الجوّ، ينحطُّ إلى الأرض: يطلب مركزه.

فهكذا الإنسان: لا يطلب إلاّ مركزه، وهو التراب: إذا كان أكثر أجزائه من التراب: وإلى هذا أشار الشريف بقوله[١]: «والنسيم جاذبٌ لِمَا في أبدانهم من الخفَّة، والأرض جاذبةٌ لِمَا في أبدانهم من الثِّقَل». وقد ذكرناه آنفا.

ولهذا لم يُقدِّروا في المركَّبات وجودَ الاعتدال الكامل المتساوي /٢٩/ في أجزاء التركيب: إذ لو كانت كذلك، لجذَبْتها العناصرُ الأربعة، جذبا متساوياً. فلم يكن له مركزٌ خاصٌّ. وذلك محالٌ.

وأقلُّ أجزاء العناصر في الحيوان غالباً، النار. ثم يتفاوت الحيوان في ذلك. ولهذا لا تقوى [الحيوانات] على النار قُوَّتَها على الماء والتراب والهواء. ثُمَّ بتفاوِت الحيوان في ذلك، مَالَ كُلٌّ إلى ما غلب على تركيبه. ولا يَهاب الحيوان شيئاً يقتحمه، كما يَهاب اقتحام النار. ولهذا كانت النارُ العذابَ الموعودَ به: لمنافرة ما بينها وبين الحيوان، لقِلَّة موجودها به في جزء التركيب ـ كما أشرنا إليه ـ واللهيفعل ما شاء لارادّ لأمره، ولا مُعَقِّب لحكمه.

فلمّا كان الإنسان ـ بما غلب على تركيبه ـ أرضياً ترابياً، من الأرض مبدؤه، وإليها معاده؛ ثُمَّ منها عوده، كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ اضطُرَّ إلى مركزه، واحتاج إلى الاضطراب في أرجاء الأرض، للكسب: إمَّا للصيد، وهو أوّل رُتَب المعاش؛ أو الزراعة، وهي ثاني المعاش؛ أو التجارة، وهي ثالث رتب المعاش، على ما يأتي بيانه. فلم يكن له غنًى عن معرفة جهات الأرض، ليمتدّ فيها لأسباب معاشه، فيما ذكرناه أو غير ذلك، مما يتفرّع منه أو يترتَّب عليه.

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى برّية يَهْماء[٢]، لا ساكنَ بها، لم يكن له دأبٌ إلاّ

---

(١) نزهة المشتاق ١/٧.

(٢) اليهماء: الفلاة التي لا يهتدي فيها. (القاموس المحيط، مادة «الهيم»).

طلب سبب البقاء، بما يصيد منه ليأكل؛ فإذا أكل، طلب ما هو أزيَد سبباً، فزرع؛ فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر. ثم تفرّع معاشه، وتشعَّبت أسبابه، فاحتاج حينئذٍ إلى معرفة أجزاء الأرض وعوالمها، ليعرف أين كسبه، ومن أين معاشه، ولا يمكنه أن يقصد أرضا في برٍّ ولا بحر، إلا بأعلام /٣٠/ دالَّة عليها، كالنجوم اللائحة، والجبال الماثلة، والأنهار الجارية، والأهوية الهابّة. وليس هذا موضع ذكرها. لكنا نذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبلة في كل أرض.

وإنَّما نذكر ههنا ما هو لائق به. وهو ما هو جُمْلِيٌّ من أحوال في الأرض لازمة لها، من بعضيّاتها المشهورة في جميع الأقطار: كالجبال العظيمة، والأنهار المتبحّرة؛ لأنّ بمواقع تلك الجبال الشهيرة، والأنهار المعروفة، يُعرف موقع كل جهة من الأرض.

فأما البحار، فإننا قد أفردناها بذاتها. وسيأتي ذكرها في موضعه. ولمْ نذكرها هنا مع الأرض، كما نذكر الجبال والأنهار؛ لأنّ الجبال والأنهار من عالَم الأرض. وأمّا البحار، فإنها عالَمٌ آخرُ، أكبر من عالَم الأرض، بما لا نسبةَ بينهما. فوجب إفرادها بذاتها، إذ كانت كشيء آخر.

ونحن نُقدِّم الجبال على الأنهار؛ لأنها أعلى أعلاما، وأثبت في مواضعها مُقاما؛ وأكثرها على حالها، لا تتغيَّر دواما.

[الجبال]

والذي نقول الآن: إنّ الجبال كلَّها متشعِّبةٌ من الجبل المستدير بغالب معمور الأرض. وهو المسمّى بجبل قاف، وهو أُمّ الجبال، كلُّها تتشعب منه، فتتصل في موضع، وتنقطع في آخر، وهو كالدائرة، لا يعرف له أوّل على التحقيق، إذ كانت الحلْقة المستديرة، لا يُعْرَف طَرَفاها، وإن لم تكن استدارته استدارةً كُرِيَّة، ولكنّها استدارةُ إحاطة، أو كالإحاطة.

فلمّا لمْ نقف له على أوّلٍ على التحقيق، قَدّرنا له أوّلاً، وهو: كَتِف السدّ الجنوبيّ. ونُدِيرُهُ بالمعمور. يتّصل في موضع اتّصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كَتِف السدّ الشماليّ: حيث الفُرْجة التي ساوى الإسكندر ذو القرنين فيها، كما قال تعالى ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ /٣١/ وأقام السدّ وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم.

ومجموع هذا الجبل ـ متصلة ومنقطعة في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ـ هو جبل قاف. وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائر بين العالم، بما يعبر به عند كلٍّ منهم، على ما يقتضيه اختلاف الألسنة واللغات.

وقد زعم بعضهم أن أُمّهات الجبال جبلان: خَرَجَ أحدهما من لَدُنِ البحر المحيط في المغرب، وأخذ جنوبا؛ وخرج الآخر من لَدُنِ البحر الروميّ، وأخذ شمالا؛ حتّى تلاقيا عند السدّ. وسَمَّوُا الجنوبيَّ قافاً، وسَمَّوُا الشماليَّ جبل قَاقُوناً. والأظهر - والله أعلم - أنّه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة الأرض، وأنّه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان؛ ولا يُعرف في الجنوب إلاّ بهذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل قاقونا. وبهذا تزول شبهة من ظنَّ أنّ كلاًّ منهما غير الآخر. والله أعلم.

والذي نقول - وبالله التوفيق - إنّ هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مبدؤه من كتف السدّ آخذا من وراء صنم الخَطا المحجوج إليه، إلى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين، آخذاً على غربيّ صين الصين، ثُمَّ ينعطف على جنوبيّه مستقيماً في نهاية الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفُرْجة المنفرجة بينه وبين البحر الهنديّ الداخلة، ثم ينقطع عند مُخْرَج البحر الهنديّ المحيط مع خطّ الاستواء، حيثُ الطولُ مائة وسبعون درجة (عَلَّم عليها في لوح الرسم قع بحساب الجُمَّل)، ثم يتَّصل من شُعبة البحر الهنديّ المُلاقي لشُعبةالمحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مُخْرَج البحر الهنديّ في /٣٢/ الجنوب؛ وتبقى الظلمات بين هاتين الشُّعبتين: شُعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشُعبة البحر الهنديّ الجائية على الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلاقى الشُعبتان عند مُخْرَج هذا الجبل، كتفصيل السراويل. ثم ينفرج رأس البحرين المتلاقيين شُعبَتَيْن على مبدأ الجبل، ويبقى الجبل بينهما كأنّه خارج من نفس الماء. ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبَّة أرِين، عن شرقها. وبُعده منها خمس عشرة درجة. وقد عَلَّم صاحب جغرافيا قُبالة مبدأ هذا الجبل في القسم الشرقيّ طولاً. وذلك بعد أن انتهت درجات القسم الغربيّ عند قبَّة أرِين إلى تسعين درجة، عَلَّم عليها في لوح الرسم ص فكان هذا المقدار يه. وهو تفاوت ما بين العددين.

ويقال لهذا الجبل في أوّله: المُجَرَّد. ثُمَّ يمتدُّ حتّى ينتهي في القسم الغربيّ إلى طول خمس وستين درجة من أوّل المغرب. وقد علَّمَ عليها في لوح الرسم سه.

وهناك يتشعَّب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصبُّ منه النيل. ويقال: إنّ به أحجارا برّاقة كالفضة البيضاء، تتلألأ، تسمّى صَنْجَة الباهت: كلُّ من نظرها، ضحك والتصق بها، حتّى يموت. وتسمى مَغناطيس الناس. قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأحجار.

وتتشَّعب منه شُعَب تسمّى آسيفي. يقال إنه مسكون، وإن أهله كالوحش. والله أعلم بصحة ذلك.

ثُمَّ ينفرج منه فُرجة، ويمرُّ منه شُعَب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط، تسمّى جبل وحشيّة: به سباعٌ لها قرونٌ طوال، لا تُطاق.

وينعطف دون تلك / ٣٣/ الفُرجة من جبل قاف شُعَبٌ. منها شُعبتان إلى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل، من الشرق والغرب.

فالشرقيّ، يُعرف بجبل قاقولي، وينقطع عند خط الاستواء.

والغربيّ، يُعرف بأدمدمة. يجري عليه نيل السودان، المسمّى في جغرافيا ببحر الدمادم. وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينتي سمغرة وجيمي.

وراء هذه الشُعبة، تمتدُّ شُعبة منه، هي الأُمّ من الموضع المعروف فيه الجبل بآسيفي المتقدِّم الذكر إلى خط الاستواء، حيثُ هو الطول هناك عشرون درجة. وقد عَلَّم عليها لوح الرسم ك.

ويُعرف هناك بجبل كرسقانة، وبه هناك وحوش ضارية، ثم ينتهي إلى البحر المحيط وينقطع دونه بفُرجة مفروجة. وذلك وراء التكرور، عند مدينة قلتبو. ووراء هذا الجبل هناك سودان، يقال لهم تمتم، يأكلون الناس. وستأتي جملة من أخبارهم في موضعها، إن شاء الله تعالى.

ثُمَّ تتَّصل الأُمُّ من شاطىء البحر الشاميّ في شماله، شرقيّ رومة الكبرى، مسامتة للشُّعبة المسماة أدمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا تكاد تخطئها، حيث الطول خمس وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له. ويقع منشأ اتِّصال هذه الأمّ في سمت خطِّ العروض على ن. رَسَمها في لوح الرسم. وكذلك تقع شُعبتها آخذا في الجنوب إلى الخطِّ المُعَلَّم عليه الأطوال في لوح الرسم، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية على ن.

وتتناهى وصلة هذه الأُمّ إلى البحر المحيط في نهاية الشمال، قبالة جزيرة بِرطانية. / ٣٤/ وتبقى سوسية داخل الجبل. ثم تمتدُّ هذه الأُمُّ بعد انقطاع بطيب وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقالب المسماة ببحر الأنقليشين[1] ممتدّاً إلى غاية المشرق. ويسمّى هناك بجبل قاقونا. وتبقى وراءه الأبحر الجامدة لشدّة البرد. ثم ينعطف من الشمال المُشَرّق جنوبا بتغريب إلى كَتِف السدّ

(١) الانقليشين تعريب لفظة English بصيغة الجمع العربيّ ومعناه: بحر الانكليز. (زكي).

الشماليّ. فيتلاقى هناك الطرفان. وبينهما في الفُرجة المنفرجة، ساوى الإسكندرُ بين الصَّدَفَيْن.

ونحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الجبال، ونقسمه إلى أربعة أقسام، تتجزأُ بها المعمورة طولاً وعرضاً.

ففي العرض ممّا وراء خط الاستواء من المعمور المقدّر عرضه بإقليم ونصف إقليم ممّا أُخِذ له عرضٌ لارتفاع الحَمَل والميزان وهو جزء مقدّر بنصف إقليم فيكون ذلك لَتمَّة لقدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيثُ انتهى أخذُ العرض هناك ممّا ابتُدىء من قبّة آرِين جنوبا عشرين درجة، وقد عَلّم عليها في لوح الرسم كـ إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسيّة الثانية، خارج الإقليم السابع في الجزء المقدّر بنصف إقليم مارّا مع الإقليم السابع من أوّل المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى.

اخذُ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة ـ على ما قدّمنا ذكره ـ وقد عَلّم عليه في لوح الرسم عه قاطعاً في الطول على خطّ مستقيم من المشرق إلى المغرب يقع وسطه على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خُوز وعَبّادان. وقد عَلّم عليه في لوح الرسم له. ووقع هذا الخط في المشرق آخذاً على جنوب السدّ، مارّا / ٣٥/ على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشاميّ حيث مُخْرَج الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط على وسط الأقاليم السبعة المقسّمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبين. وموقع هذا الخط الوسط منها.

(وأما جبال مكة والمدينة، فإنّا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفّر عيبها المآذن بإيرادها).

* * *

فالربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن، وهو الربع الشرقيّ الآخذ إلى الجنوب.

وبه الجبال في جزيرة القُمر العُظمى من المعمور الخارج عن خط الاستواء. جبلٌ يعرف بجبل قدم آدم. يقال: إنّ آدم (عليه السلام) أهبط عليه. وهو جنوبيّ جزيرة سرَنْديب.

ووراءه جبلٌ كأنّه باء محذوفة الذيل (بـ). ذكر صاحب جغرافيا في لوح الرسم أنّ أهله سود يأكلون الناس. تقع حذفة ذيله على خط الاستواء، على جزء بلغ طوله مائة

درجة وخمس درجات. وقد علَّم عليه في لوح الرسم مه من حساب الجُمَّل.

ووراءه ثلاثة جبالٍ منقطعة، صغارا. يتلو بعضها بعضا. أوّلها جبلٌ، شرقيّ هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ياء مُتَلَوٍّ كتلوِّي الأرقم. في سفحه مدينة عَلما؛ ويليه من شرقيّه الثاني وهو جبلٌ آخذ على مدينتي ملاي وسمردي. ذَكَر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران؛ ويليه من شرقِّيه، الثالثُ، وهو: جبلٌ هو أصغر الثلاثة، غربيّ مدينة مَعْلا.

ثُمَّ ما هو داخل تحت خط الاستواء جبلٌ كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره بجبل الديْلَم. ومنشؤه من البحر الهنديّ غربيّ المنيبار. يأخذ ممتدًّا إلى الشمال / ٣٦/ على وِرابٍ. في ذيله الغربيّ كابُلُ. ثُمَّ يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال. ويقع هناك على أصفهان، وتنتهي شُعبته على منبع نهر مكران، المادّ إلى السند. وعليه من ذلك الميل في شرقيّه، المُحمَّديَّة. ذكرناها هنا علامةً لهذا الجبل. وإذا قد ذكرنا هذا الجبل بمجموعة هنا، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الربع.

ومن ذلك جبلٌ آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وَسْط الأقاليم السبعة المُخْرَجة هذه الأرباع عليه. ويمتدُّ هذا الجبل مُشرِّقا على تَلَوٍّ في أوّله، مارًّا إلى مسامتة باب الصين على جنوبيّه. وهناك يتّصل بالأُمّ. وتمتدُّ من شعبة آخذة في الجنوب إلى البحر الهنديّ ممّا وراء المعبر، مدينة ازهونة. وذلك جميعه خارج على الأمُ، منقولا من لوح الرسم.

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن وهو الربع الغربيّ الآخذ إلى الجنوب.

به من الجبال تحت الأُمّ الخارجة من شعبتَي البحر المشبهة بتفصيل السراويل ـ المقدّمة الذكر ـ ثلاثةُ جبالٍ:

(الأوّل) منها وهو الشرقيّ جبلٌ آخذ عن الأُمّ على جانب فرجة بينهما؛ ممتدّاً إلى خط الاستواء حتّى وقع عليه وينقطع عنده. وتقع مدينة لقمرانه في ذيله على شرقيه، وبوشة في ذيله على غربيه.

ويليه (الثاني) على غربيه وهو جبلٌ آخذ إلى مدينة نسويه. وينقطع هناك.

ويليه (الثالث) على غربيه وهو جبلٌ يعرف بجبل حاقولي[1]. ذكر صاحب جغرافيا

---

(١) في تقويم البلدان ١٥١ـ ١٥٢ ونخبة الدهر ١٥١ «خافوني» وفي الجغرافيا لابن سعيد ٨١ «حافوني» وانظر تعليقه محققه ص ٢١٢.

في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين. يأخذ على شرقيّ النيل / ٣٧/ حتى ينتهي إلى مدينة فرقوة[١] حيث آخر خرجة البحر الهنديّ. وقد نبهنا على ذكر هذا الجبل، عند وصفنا للأمّ المذكورة، وأشرنا إلى أن مخرج الأُمّ يقع قبالته من شماليّ البحر الشاميّ، على ما تقدّم ذكره.

وعن يسرته جبلٌ آخذ على شرقيّ النوبة.

ومن ذلك جبلٌ يقع منه جنوباً مع تغريب كثير كأنه «لا» معلقة بالخط المغربي.

ومن ذلك جبلٌ آخر منقطع ما بين خاخة وجيمي.

ومن ذلك دونهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ وراءه غربيّ بحيرة نافرن، وشرقيّ بحيرة كوكورة.

ومن ذلك وراءه في غربيه جبلٌ كأنه رأس صاد بالخط المغربيّ [صـ] وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والنزول إليها جانبه الداخل. يجري منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهي إلى البحر الشاميّ.

ويليه جبلٌ يعرف باللمّاع كأنه فردة صولجان. عليه حصن الملح وجَزُولة وتنصبُّ منه أنهارٌ إلى المحيط.

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصبّ منه نهر بين أَسَفِي والمزمّة حتى يصب في البحر المحيط، شرقيّ طنجة.

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غربا، حيث الطول من الغرب خمس عشرةِ درجة، عَلَّم عليها في لوح الرسم يه من حساب الجُمَّل. ويأخذ جنوباً إلى البحر المحيط.

ومن ذلك جبلانِ يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية. وقد تقدّم ذكرهما. وذلك كله خارج عن الأُمّ، منقول من لوح الرسم.

والربع الثالث

الغربيّ الآخذ / ٣٨/ إلى الشمال به من الجبال جبلٌ آخر في جزيرة الأندلس، في جنوبيّها من البحر الشاميّ ومن إشبيليّة إلى بَطَلْيَوْس، وانصبَّ منه نهران: أخذ أحدهما على إشبيليّة مارًّا بينها وبين مالقة حتّى صبَّ في البحر الشاميّ، والثاني منهما أخذ على إلبيرة وصبّ في البحر المحيط.

---

(١) في تقويم البلدان ١٦٦ والجغرافيا لابن سعيد «قرمونة».

وفي شرقيّه جبلٌ آخذ من قورة إلى وادي آش، عليه هيكل الزُّهَرَة، وانصبّ منه نهر مرّ على وادي آش شرقيّ غَرْناطة إلى قُرْطُبة، وصبَّ في البحر الشاميّ.

وفي شرقيه جبلٌ خرج من البحر المحيط، من شمالٍ مغرِّباً وأخذ مارًّا في الأندلس إلى بَلَنْسِيَة، وانتهى إلى البحر الشاميّ.

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأُمّ الخارجة على شرقيّ رومة الكبرى.

ولولا مُخرَج الأُمّ هنا، لمَا امتنع سبيل الأندلس في البرّ إلى بلاد القُسطنطينيّة الكبرى واللاّن والأص والصقلَب، ولوصل منه إلى جميع الأرض، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، من غير بحر حائل ولالُجٍّ مانع. فلمّا لم يبق للأندلس سبيل إلاّ من البحر، بقيت كأنّها داخلة هذا الجبل المحيط بالمعمور، وإن كان موقعه وراءه من غربيّه.

ذكرنا هذا هنا لمقتضيه، إذ لم يمكن السكوت عنه.

ثم نعود إلى تتمّة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث.

فمن ذلك جبلٌ يأخذ على بحر بُنْطس[1] المتّصل بالبحر الشاميّ، من شرقيّ هِرَقْلة ويمتدّ إلى أنطاكِيَة وحَلَب ويمتدّ في الشأم على شماليّ بعلبك ودمشق. ويحصر هذا الجبلُ البحر الشاميّ آخذاً معه إلى الجنوب، على فرجة بينهما تلك الفُرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم، مثل: قُونية وقيصرية وأنطاكية.

ومن ذلك جبلٌ يمتدّ / ٣٩/ على مارِدين وشَهْرَزُور وأخلاط. ينقطع ويتصل بجبل أَذَرْبيجَان. وتنصب منه أنهار كثيرة: منها ما يصبّ في البحر الشاميّ، ومنها ما يصبّ في بحر بُنْطس، ومنها ما يصبّ في البحر الهنديّ، ومنها ما يصبّ في البحيرة البلاّعة المقاربة للسَّدّ. ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المارّ بين أذربيجان وغزنة. وكذلك يتّصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان، حيث يخرج خَطُّ أَخْذِ العروض.

ومن ذلك جبلان منقطعان، وراء بحر بُنْطس، من شماله بشرق. آخذان على بحيرة الجارس عن شرقها وغربيّها.

وذلك كله خارج عن الأمّ، منقولاً من لوح الرسم.

والربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها.

---

(١) وهو البحر الأسود. انظر. نزهة المشتاق ١/ ١٢، ٢/ ٨٠٤، المسالك والممالك للبكري ١/ ٢٠٤-٢٠٥، معجم البلدان ١/ ٥٠٠ مادة (بحر بنطس).

به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السند وبين بوار. وشماليّ القموج[١] يجري نهر مُكْران[٢] حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك.

ومن ذلك جبلٌ ينزل به غُرْغُر النار[٣]. به باب الصين.

ومن ذلك جبالُ الخَطا المحيطة بها على باش بالق، وآل بالق، وخان بالق.

ومن ذلك جبلٌ منقطع، كأنه صليبٌ ذَهَبَ أحدُ شُعَبه. ومدينة ظفَارِ في ذيله المغرّب. وشعبته الخارجة تقع بلاد الياش[٤] في ذيلها.

ومن ذلك جبلٌ منقطع مُتَلَوّ كالأرقم، من غربيّ بلاد أسحَرت إلى نهاية العمارة في الشمال. ومنه ينصب فرع نهر جيحون.

ومن ذلك جبلٌ في صحراء القبجاق، آخذ على منعطف النهر المتّصل بالبحيرة الجامدة من شدّة البرد.

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلى نهر أَتيل[٥] / ٤٠/ في شرقيّ صحاري القبجاق آخذا بشرق مدينة أوتنا. ووراءها عبدة الشياطين، على ما رسم صاحب جغرافية في لوح الرسم.

ومن ذلك شعبة آخذة من الأمّ إلى جنوبٍ مُغَرّب، ينصبُّ منه ماءٌ إلى النهر المنتهي إلى البحيرة الجامدة.

ثم إنا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان، ليكون أوضح لبيانه، وأدلّ على مكانه. وهو الجبل الممتدّ على الشام، وجبالٌ شهيرة بجزيرة العرب.

فأما الجبل الممتدّ على الشام

فإن أوّله بالمشرق من الصين من البحر المحيط. فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتي فرغانة إلى جبال البُتم الممتدّ بها نهر السُّغْد إلى أن يصل الجبلُ إلى جيحون

---

(١) أظن كثيرا أن الميم وقعت في هذا الاسم بدلاً من النون بطريق السهو. فهذا المكان مشهور باسم قَنّوج ويسمى عند الفرنسيين Canoge (زكي).

(٢) سماه أبو الفداء نهر مهران وكذلك المؤلف فيما يأتي من هذا الجزء وهو المشهور بنهر السند وعند الفرنسيين Indus (زكي).

(٣) لعلها: التتار. (زكي).

(٤) لعلها: الشاش. (زكي).

(٥) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا. Voiga ومعنى اتيل بفتح الألف أو بكسرها النهر في لغة الأتراك. وهو ببلاد الروسيا، وأكبر أنهار أوربة. (زكي).

فينقطع، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِع ثُمَّ [وصِلَ] في وسطه. ويستمرّ الجبل إلى الجوْزجان ويأخذ على الطَّالَقَان إلى أعمال مَرْوِ الرُّوذ إلى طُوس. فتكون جميع مدن طوس فيه. ويتّصل به جبال أصبَهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهنديّ. وينعطف هذا الجبل ويمتدّ إلى شَهْرَزُور إلى سُهْرَوَد. فيمُرُّ على جباله بسائر دِجْلَة. ثم يتّصل بجبل الجُوديّ، مَوْقِف سفينة نوحٍ (عليه السلام). ولا يزال هذا الجبل مستمرّاً من أعمال آمِد ومَيّا فارِقين حتّى يمرّ بثغورِ حَلَب. ويُسمّى هناك جبل اللُّكّام. ويستمرّ جبل اللُّكّام إلى أن يُعَدّى الثغور فيُسمّى بهذا حتّى يجاوز حِمْص فيُسمّى لُبْنان. ثم يمتدّ على الشام حتّى ينتهي إلى بحر القُلْزُم من جهة، ويتّصل من الجهة الأخرى ويُسمّى المُقَطَّم. ثم يتشعّب، وتتّصل أواخر شعبه بنهاية المغرب.

ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل، كليَّهُ وجزئيَّهُ، مما تقدّم على ما اقتضاه الإيضاح في مَوضعه على ما صُوِّرَ في لوح الرسم / ٤١/ في أماكنه، ولكّنا أردنا هنا اتصالَ لُحمته ليعرفَ كيف هو بأسمائه في ما يمرّ عليه في الأرض من شرقها إلى مغربها.

فأمّا جبال مكّة

فأعظمها وأحقها بالتقديم وإن بَعُدَ عن مكة مكانا جبل عرفات، موقف الحجيج الأعظم، وركن الحج الأكبر.

ومنها جبل أبي قُبَيْسٍ ولونه أدكن إلى البياض قليلا. وإنما قيل له أبو قُبَيْسٍ؛ لأن الحجر الأسودَ اقْتُبس منه. وقيل[١]: هو اسم رجل من مذحج كان يُكَنّى أبا قبيس عُرِفَ به، لأنه أوّلُ مَن بنى فيه. كذا قال الزمخشريّ[٢].

---

(١) الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ص ٧.

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م أشهر كتبه «الكشاف ـ ط» في تفسير القرآن، و«أساس البلاغة ـ ط» و«المفصل ـ ط» ومن كتبه «المقامات ـ ط» و«الجبال والأمكنة والمياه ـ ط» و«المقدمة ـ ط» معجم عربي فارسي، مجلدان، و«مقدمة الأدب ـ خ» في اللغة و«الفائق ـ ط» في غريب الحديث و«المستقصى ـ ط» في الأمثال، مجلدان، و«رؤوس المسائل ـ خ» في شستربتي (٣٦٠٠) و«نوابغ الكلم ـ ط» رسالة، و«ربيع الأبرار ـ ط»، و«المنتقى من شرح شعر المتنبي، للواحدي ـ خ» منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام، بالمدينة، رقم ٧٩٥ كتبت سنة ٦٣٣ في ١٣٦ ورقة (كما في مذكرات الميمني) و«القسطاس ـ خ» في العروض، و«نكت الأعراب في غريب الإعراب ـ خ» رسالة، و«الأنموذج ـ ط» اقتضبه من المفصل، و«أطواق الذهب ـ ط» و«أعجب =

وقال أبو القاسم السُّهَيْلِيّ[١]: عرف برجل من جُرهُم كان اسمه قبيس قد وَشى بين عمرو بن مُضاض، وبين ابنة عمه مَيَّة، فنذرت أن لا تكلمه، وكان شديد الكَلَف بها، فحلف ليقتلن قُبَيْساً، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبره، فإمّا مات، وإمّا تردّى، فسُمّيَ الجبل أبا قبيس[٢].

وقال ابن عباس: هو أوّل جبلٍ وُضع على الأرض. رواه أبو عروبة، وأبو بكر بن أبي شيبة.

وقال الزمخشريّ: «كان يسمّى في الجاهلية الأمينَ؛ لأن الركن كان مستودَعا فيه، عام الطوفان»[٣].

وفي أعلاه منار إبراهيم عليه السلام. وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المنار

= العجب في شرح لامية العرب ـ ط» وله «ديوان شعر ـ خ». وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٨١، ومعجم الأدباء ٧/ ١٤٧، ولسان الميزان ٦/ ٤، وظفر الواله ١/ ١٢٥ ونزهة الألبا ٤٦٩ وHuart i66 والجواهر المضية ٢/ ١٦٠، وآداب اللغة ٣/ ٤٦، ومفتاح السعادة ١/ ٤٣١، والفهرس التمهيدي ٢٥٩ و٣٠٣ ومجلة المجمع العلمي العربي ٥/ ١٣٥ وPrinceton 79 وانظر فهرسته، ومعجم المطبوعات ٩٧٣ والتاج ٣/ ٢٤٢ وراجع Brock. 1:344 (290), s i:507 وشعر الظاهرية ١٥٨ وانظر «مشاركة العراق» الرقم ٢٥٦ ففيه أسماء كتب ورسائل من تأليفه طبعت في بغداد، الأعلام ٧/ ٣٧٨.

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها:

«يا من يرى ما في الضمير ويسمع … أنت المعدّ لكل ما يتوقع»

من كتبه «الروض الأنف ـ ط» في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و«تفسير سورة يوسف ـ خ» في خزانة الرباط «د ١٤٢٧» و«التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ـ خ» و«الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين» و«نتائج الفكر».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٨٠، ونكت الهميان ١٨٧ وزاد المسافر ٩٦ والمغرب في حلى المغرب ١/ ٤٨٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧، والاستقصا ١/ ١٨٧ وفيه: «كان من أهل سهيل، يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف إلى أن طلبه السلطان بمراكش، فأقام بها نحو ثلاث سنين وتوفي بها، والتكملة ٥٧٠

وإنباه الرواة ٢/ ١٦٢، وبغية الملتمس ٣٥٤ وفيه: وفاته سنة ٥٨٣هـ، الاعلام ٣/ ٣١٣.

(٢) انظر أخبار مكة ٢/ ٢٦٦ـ ٢٦٨، معجم البلدان ١/ ٨٠ ـ ٨١ مادة (أبو قبيس).

(٣) الجبال والأمكنة والمياه ص ٧.

على الموضع الذي نادى منه إبراهيمُ الخليلُ عليه الصلاة والسلام بحجِّ بيت الله الحرام. والأكثرُ أنه نادى من أعلى المقام. وفي أصله الصفا. ومنه يُصعد إليه من ناحية المسجد. ويُصعد إليه أيضا من شِعْب أجياد الصغير. وأبو قبيس أحد الأخْشبين. وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام. وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة.

وجبل الخندمة[(١)] وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق. وهو جبل أحمر محجَر. فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلّقة، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من بعيد. تبدو من المسجد من باب السَّهميِّين الصغير. وفي هذا الجبل تحصَّن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة، وقلعوا الحجر الأسود، وأخذوا الشمسة وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن ردّه الله إلى موضعه، على يد ولد الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شِعب عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه).

والجبل الأبيض. الذي على الأبطح إلى باب المعلى يسمى عاضرة.

والجبل الآخر إلى الحجون ووجهه إلى قُعَيقِعان، على قبر عبد الله بن الزبير.

والأخاشب[(٢)] / ٤٢/ والجباجب[(٣)]. جبال مكة. وفيه الثَّنية، وهي العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بنى المقتدرُ السورَ، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب مِنًى، وشِعب المُحَصّب.

وجبل قُعَيْقِعَان[(٤)]. وهو يقابل أبا قُبَيْس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة ما بين الركن العراقيّ والميزاب. وهو حدّ أخشبَيْ مكة.

وجبل أجياد[(٥)]. إنما سمي بأجياد. لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل: «إني معطيك كنزا من كنوزي، لم أُعطه لأحد قبلك. فاخرج فنادِ بالكنز، يأْتِكَ». قال فخرج إسماعيل ـ وما يدري ذلك الكنزَ، ولا يدري كيف الدعاء به ـ حتى أتى أجياد. فألهم الله إسماعيل الدعاء بالجبل: «يا خيل الله، أجيبي!» فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذلّله الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمِّي ذلك الموضع بأجياد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير

(١) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٦٩، ومعجم البلدان ٢/ ٣٩٢ـ ٣٩٣.
(٢) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٦٦، ومعجم البلدان ١/ ١٢٢ـ ١٢٣ مادة (الأخشبان).
(٣) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٦٧، ومعجم البلدان ٢/ ٩٨ مادة (الجباجب).
(٤) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٨٤، ومعجم البلدان ٤/ ٣٧٩ مادة (قعيقعان).
(٥) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٩٠، ومعجم البلدان ١/ ١٠٤ـ ١٠٥ مادة (أجياد).

يرتجز بذلك[١] : [من الطويل]

أبونا الذي لم تُركِب الخيلُ قبلَه ولم يَدْرِ خلقٌ قبلَهَ كيف تُرْكَبُ

وجبل ابن عمران[٢]. وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبَيْس وأجياد. وهو خلفها. يظهر على بعدٍ كأنه بينهما. يقابل من الكعبة الشقّ اليمانيّ.

فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام.

ثم في العطف في آخر ذي طوى في طريق التنعيم جبل البُكاء. وقربَه على يسار المارّ إلى التنعيم، الحِجرُ /٣/٤٣/ الذي قعد عنده رسول الله ﷺ مستريحاً عند إقباله من العُمرة. فَلاَنَ فيه موضعُ رأسه، حتى استند إليه. وهو مشهور يقعد الناس عنده، عند انصرافهم من العُمرة، وعند جبل البكاء تحته مما يلي الغرب.

قال الفاكهيّ[٣] : وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منار مسجد التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية. وفي أصله مما يلي الشمال مياهٌ، وكانت قديماً بساتين. والوادي أسفل منها في المحجّة. كل ذلك على يمين المارّ إلى التنعيم.

وشامة وطُفَيْل[٤]. تحت الثَّنِيَّة السفلى غربيّ ذي طُوى.

ومن ناحية الشرق في طريق مِنًى.

جبل ثبير[٥]. وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عَطف وادي إبراهيم (عليه السلام) من يسار المارّ إلى مِنى.

قال السهيليّ : «عرف برجل من هُذَيْل. مات فدفن به فعرف به الجبل».

وقال الزمخشريّ : «ثبيران جبلان مفترقان تصب بينهما أُفاعِيَةُ، وهي واد يصب من مِنى، يقال لأحدهما ثبير غَيْنَا وللآخر ثبير الأعرج»[٦].

---

(١) البيت لأنس بن مدرك في أسماء خيل العرب وفرسانها لمحمد بن زياد الاعرابي ص ٧٨.

(٢) ورد اسمه (رأس الانسان) في أخبار مكة ٢/ ٢٩٠، ومعجم البلدان ٣/ ١٣ مادة (رأس الانسان).

(٣) محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي: مؤرخ، من أهل مكة، كان معاصراً للأزرقي، متأخراً عنه في الوفاة، توفي بعد سنة ٢٧٢هـ/ بعد ٨٨٥م، له: «تاريخ مكة ـ ط» قسم منه، ومنه قسم في جامعة الرياض برقم (٢٢٥ص) يراجع على القسم المطبوع منه.

ترجمته في: رونق الألفاظ ـ خ، كشف الظنون ٣٠٦، والتيمورية ٣/ ٢٢٤، ومعجم المطبوعات ١٤٣١، ومخطوطات الرياض ١٢١، الاعلام ٦/ ٢٨.

(٤) انظر: أخبار مكة ٢/ ١٥٤، ١٥٦، معجم البلدان ٣/ ٣١٥، مادة (شامة) و٤/ ٣٧ مادة (طفيل).

(٥) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٧٨، ٢٨١، معجم البلدان ٢/ ٧٢ـ ٧٤، مادة (ثبير).

(٦) الجبال والأمكنة والمياه ص ٢٧.

ثم جبل حِرَاء[١]. وهو على يسار المارّ إلى مِنى أيضاً. وهو الجبل الذي كان حُبِّب إلى رسول الله ﷺ الخلوةُ فيه، حتّى أتاه الوحْيُ. وليس فيه غارٌ. إنما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوض في أصل صخرة عظيمة في أعلى الجبل.

وجبل ثور[٢]، ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر. وهو خلْف مكة على طريق مكة. يسمّى ثور أطحل. والغار في جانب منه، في أعلاه دون الثنية قليلا. وفيه نزل جبريل على النبيّ ﷺ والغار الذي اختفى فيه عليه السلام مع أبي بكر صخرة واحدة مقببة، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلاّ ثلثاً وعرضه في أوسع مكان فيه، شبرٌ وأربع أصابع. وصفة الغار أنه مستطيل من ناحية الغرب إلى الشرق، وليس بغائص إلى أسفل. طوله ثلاثة وعشرون شبراً، وعرضه تسعة /٤٤/ أشبار إلاّ ثلثاً. وله بابٌ ثان في آخره، من ناحية الشرق. وهو الذي فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بجناحه إلى الصخرة، فانفتح هنالك باب طوله ستة أشبار وعرضه أربعة. ومنه خرج عليه السلام، يوم خرج إلى المدينة.

وأما جبالُ المدينَة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأشهرها: جبل أُحُد: وهو جبل أحمر أعلاه دَكْدكٌ، بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلاً، في شمالي المدينة، وفيه قال النبيّ ﷺ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ»[٣]. وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحدَ ركني باب الجنة[٤]. ويعضده قوله ﷺ: «المرء مع من أحب»[٥]. كذا قال السُّهَيْليّ[٦].

وجبل سَلْع[٧]. وهما أشهر الجبال هناك.

وجبل ثور: وغلط فيه بعضهم.

---

(١) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٠٤، معجم البلدان ٣/ ٢٣٣ـ ٢٣٤، مادة (حراء).

(٢) انظر: أخبار مكة ٢/ ٢٠٥، معجم البلدان ٢/ ٨٦ـ٨٧، مادة (ثور).

(٣) رواه السمهودي في وفاء الوفا ٢/ ١٠٨، عن الطبراني ـ الكبير ـ عن عمرو بن عوف، برقم ٦٤٦٧، ٦٤٦٩ انظر: مجمع الزوائد ٤/ ١٤، وأخرجه البخاري في صحيحه برقم ٢٧٣٢، ٣١٨٧، ٣٨٥٥ـ ٣٨٥٦، ٦٠٠٢، وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ١/ ٨١ ـ ٨٢.

(٤) انظر: مجمع الزوائد ٤/ ١٣، أبو يعلى ٣٥٥/ ١، معجم الطبراني ـ الكبير ـ رقم ٥٨١٣، وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ١/ ٨٣.

(٥) انظر: صحيح البخاري ٦/ ٥٨، ٧/ ٥٨، صحيح مسلم برقم ٢٦٤، الطبراني ـ الكبير ـ رقم ٧٣٤٨، ٧٣٦٠، ٨٣٨٨.

(٦) الروض الأنف (ط سعد) ٢/ ١٥٩.

(٧) انظر: الروض الأنف، معجم البلدان ٣/ ٢٣٦ـ ٢٣٧ مادة (سلع).

وجبل عَيْر[1]: والحرم ما بينه وبين أُحُد.

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها. لم نخلَّ منها إلا بما لعلَ صاحب جغرافيا لم يُصَوِّره في لوح الرسم؛ وإن كان، فهو القليل. وفيما ذكرناه كفاية.

الأنهار المعروفة

وأما الأنهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على أربعة أقسام تتجزَّأ بها المعمورة طولاً وعرضاً، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال. وبالله التوفيق.

فالربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقيّ الآخذ إلى الجنوب. وبه من الأنهار ما يُذكر.

فمن ذلك في جزيرة القمر العظمى ثلاثة أنهار: شرقيُّها آخذٌ من قنطورا ومعلا.

ويليه ثانيها في غربيّه ينصبّ من جبل قدم آدم على مدينة سيابا، ويأخذ مارّا إلى مدينة قزدار. ويبحر هناك بحيرة في جنوبيها مدينة كيماما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس.

ويليها ثالثها في غربيّه، ويخرج من الجبل المشبه بياء محذوفة الذيل [ء]. يُطَوِّق بمدينة دَهْمَى، فتبقى مدينة دهمى بينه وبين البحر الهنديّ في جزيرة بينهما. يكون هو محيطا بها شرقاً وجنوباً / ٤٥/ وغرباً. فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي. وتقع مدينة فورانة في غربيه حين يصب في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر ينصب من جبل قاف عند وصلة الأُمّ في شعبتي البحر المشبه بتفصيل السراويل. وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين على مَدًى غير بعيد. وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم.

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربيّ الآخذ إلى الجنوب.

---

(١) انظر: الروض الأنف، معجم البلدان ١٧١ـ ١٧٢ـ مادة (عير).

وبه نهر ينصب من جبل قاف، مارّا في الشمال إلى خط الاستواء حتّى ينصب في البحر الهنديّ شرقيّ قبة أَرِين.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المارّ على غربيّ مدينة لقمرانية حتّى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر النيل: وهو النهر الأعظم الذي لا يعدلُه في عظيم نفعه شيء، لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأُمم، وهو ينصبّ من جبل القُمر، وقد قدّمنا عند ذكر الجبال طرفاً فيه، وإن كان لا مقال يوفّيه؛ لأنه إحدى الكُبَر، وأُولى العبر؛ آية من آيات الله في أرضه، وعجيبة لمن تأمل من خلقه. ساقه الله تعالى إلى مصر وأحيا به بلدةً ميتا وسقاه أمة عظمى. وإن لم تكن هي المتفرّدة بنفعه، فإنها كالمتفرّدة به: لعظيم منفعتها منه وعميم مصلحتها به. يجيء إليها أحوجَ ما كانت إلى مجيئه، وينصرف أحوجَ ما كانت إلى انصرافه. وذلك تقدير العزيز العليم. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

[وفيه يقول القاضي الفاضل[2]: «النيل المصريّ الذي يكسو الفضاءَ ثوبا فِضِّيًّا، ويُذْكِي في الأرض ماؤه سراجا من النور مُضِيًّا؛ ويتدافع تيّاره دافعا في صدر الجَدْب

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٢) القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، وزير، من أئمة الكتّاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها سنة ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقرّبيه، ولم يخدم بعده أحداً، قال بعض مترجميه: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته» وكان السلطان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل!» وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، قيل: لو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مئة مجلد، وهو مجيد في أكثرها. وقد بقي من رسائله مجموعات، منها «ترسل القاضي الفاضل ـ خ» و«رسائل إنشاء القاضي الفاضل ـ خ» و«الدر النظيم في ترسل عبد الرحيم ـ خ» و«لابن سناء الملك كتاب «فصوص الفصول وعقود العقول ـ خ» أكثره من إنشاء القاضي الفاضل. وله «ديوان شعر ـ ط».

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣/ ١٥٦، وابن خلكان ١/ ٢٨٤، وخطط مبارك ٦/ ١٢، وكتاب الروضتين ٢/ ٢٤١، والكتبخانة ٤/ ٢٩٠، Brock.S.I:549، والنعيمي ١/ ٩٠، والنويري ٨/ ١ـ ٥١ والسبكي ٤/ ٢٥٣، وخريدة القصر: قسم شعراء مصر ١/ ٣٥، وهو فيه «عبد الرحيم بن علي ابن الحسن بن الحسن بن أحمد البيساني» وفي هامش الصفحة نفسها: كان أبوه يلي قضاء بيسان في فلسطين فنسب إليها. وفي كشف الظنون ٢/ ١٠١٦، «سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضي الفاضل توفي قبل مولد قلاوون بربع قرن، وإنما الكتاب من تأليف شافع بن علي العسقلاني؛ انظر ترجمته، الأعلام ٣/ ٣٤٦.

بيد الخِصْب، وتُرضع أمَّهات خلجانه المزارعَ، فتأتي أبناؤها بالعصف والأبّ». وفيه يقول أيضا: «وأما النيل فقد امتدّت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه؛ ولا يُعرَفُ الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا مَن يُرجى ويُخاف إلا إياه»][(١)].

ونحن نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصبُّ عشرة أنهار من جبل القُمر المتقدّم الذكر. كل خمسة أنهار من شُعبة. /٤٦/ ثم تتبحّر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تبحر بحيرةً بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحرٌ لطيف يأخذ شرقاً على جبل قاقولي، ويمتدّ إلى مدن هناك، ثم يصب في البحر الهنديّ. ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار. من كل بحيرة ثلاثة أنهار. ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

حدّثني أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزَّوَاوِيّ[(٢)]، أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلى أبي دبوس[(٣)] ووالده آخر سلاطين برّ العدوة من بني عبد المؤمن حدّثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بني عبد الحق، ملوك بني مرين القائمين الآن.

رجعنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة. فنقول وفي تلك البطيحة تضريسةُ جبلٍ: يُفْرَق بها الماء نصفين.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي الحميري المالكي، شرف الدين: فقيه، من العلماء بالحديث. من أهل زواوة ولد سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م (بالمغرب) تفقه ببجاية والإسكندرية، ورجع إلى فاس فولي القضاء بها. وانتقل إلى مصر فدرّس في الأزهر. وناب في الحكم بدمشق، ثم بالقاهرة. وأعرض عن الحكم منقطعاً للتصنيف، وتوفي بها سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م من كتبه «إكمال الإكمال - خ» وفي الحديث، و«شرح جامع الأمهات - خ» في فقه المالكية، وكتاب في «مناقب الإمام مالك - ط» و«تاريخ كبير، شرع في جمعه، فكتب منه عشرة مجلدات.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ٢١٠، وفهرست الكتبخانة ١/ ٢٧٠ ثم ٣/ ١٦٨، Brock.S.2:96I، ومعجم المطبوعات ٩٨١، الأعلام ٥/ ١٠٩.

(٣) هو إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف المومني الكومي، آخر ملوك دولة الموحدين بالمغرب، ولي بمراكش بعد مقتل المرتضي المومني سنة ٦٥٥هـ واستمر حكمه ثلاث سنوات اتسمت بالقلاقل والاضطرابات، وخرج عليه يعقوب بن عبد الحق المريني فقضى عليه وبموته انتهت دولة الموحدين سنة ٦٦٧هـ، وقيل سنة ٦٦٨هـ.
ترجمته في: شذرات الذهب ٧/ ٦٥٩، العبر ٥/ ٢٨٨-٢٨٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٠، المعجب ٤١٨.

يخرج النصف الواحد من غربيّ البحيرة. وهذا النصف هو المعرف بنيل السودان[١]. ويستقلّ نهراً يسمّى بحر الدمادم. يأخذ مُغَرّباً ما بين سمغرة وغانة، على جنوبيّ سمغرة وشماليّ غانة. ثم ينعطف هناك منه فرقةٌ ترجع جنوبا إلى غانة؛ ثم تمرّ على مدينة برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبيها خارج عن خط الاستواء إلى رُقيلة. ثم يتبحر في بحيرة هناك. وتستمر الفرقة الثانية مغرِّبة إلى بلاد مالِّي والتكرور حتّى تنصب في البحر المحيط، شماليّ مدينة قَلَنْبُو.

ويخرج النصف الآخر متشاملاً آخذاً على الشمال إلى شرقيّ مدينة جِيمِي. ثم يتشعب منه هناك شُعبة تأخذ شرقا إلى مدينة سَحَرْتة. ثم ترجع جنوباً. ثم تنعطف شرقاً بجنوب إلى مدينة سَحَرْتَة. ثم إلى مدينة مركة، منتهيا في العود هناك إلى خط الاستواء حيث الطول خمسٌ / ٤٧/ وستون درجة عَلّم عليها في لوح الرسم سه. ويبحِّر بحيرة هناك.

ويستمرّ عمود النيل من قُبالة تلك الشُعبة شرقيَّ مدينة شيمي متشاملاً آخذاً على أطراف بلاد الحبش. ثم يتشامل على بلاد السودان إلى دُنْقلة، حتّى يرمي على الجنادل إلى أسوان إلى قُوص، منحدرا يشقُّ بلاد الصعيد شقًّا، حتى يقابل قرية تعرف بدَرْوة[٢] سَربام. وقد تعرف الآن بدروة الشريف: نسبةً إلى الشريف ابن ثعلب[٣]، الثائر في الأيام الظاهرية الركنية بالصعيد، لمُقامه بها.

ويتشعب منه في غربيه شُعبة تسمّى المَنْهى، تستقل نهراً يصل إلى الفَيُّوم، يقال إن يوسف (عليه السلام) احتفره أيام تولِّيه لأمور ملك مصر، وهو يعرف إلى الآنَ ببحر يوسف. وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة، بخلاف بقية ما يتشعب بالديار المصرية من خُلْجان النيل. فيسقي الفيوم عامّة، سقيا دائما لا ينقطع. ثم يُبْحِّر فاضل مائه في بحيرة هناك.

---

(١) هو المعروف في الجغرافية الحديثة بنهر النيجر Le Niger (زكي).

(٢) هي بهذا الضبط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بياء قبل الراء). وهو تصحيف جرىٰ على ألسنة العامة واستفاض. (زكي).

(٣) هو حصن الدين، ثعلب بن اسماعيل بن ثعلب الجعفري الزينبي، قاد الثورة على الظاهر بيبرس لانه رأى نفسه أحق منه بالسلطة، وان العرب أحق بالسلطة من المماليك، وساندته العرب في مصر فبلغت جيوشه (١٢٠٠٠) فارس، هُزم وأُعدم شنقاً بالاسكندرية سنة ٦٦٣هـ.
ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٢٣، صبح الأعشى ١/ ٤١٣، ٤/ ٦٩ (ط بيروت).

ومن العجب ـ وهو مما رأيته بعيني ـ أنه ينقطع ماؤه من فُوَّهَتِه أوانَ انقطاع المياه من خُلْجان الديار المصرية، ويندِّي دون فُوَّهَتِه، ثم يكون له بلل دون المكان المندِّي، ثم يجري جرياً ضعيفاً دون مكان البلل، ثم يستقل نهراً جارياً لا ينقطع إلا بالسفن. ويتشعب منه أنهارٌ، وتنقسم قسما تعمُّ الفيوم لسقي قُرَاه ومزارعه وبساتينه وعامّة أماكنه.

ثم نعود إلى ذكر عمود النيل الممتدّ: فنقول إنه من دَرْوة سَرْبام حيث يتشعب المَنْهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقاً إلى مدينة الفسطاط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر)[١] حتى يتعدّاها. ثم يتفرّق فرقتين: /٤٨/ تأخذ إحداهما على دمياط؛ والأخرى على رشيد. وعندهما انتهاء النيل، ويصب في البحر الشاميّ.

ومن مبدأ هبوطه من أسوان مارّا في الصعيد إلى أن تصب فرقتاه في البحر الشاميّ، تقسم منه البحار والأنهار، وتتشعب منه الْخُلُج والمساقي. تجري في زيادته، وتنقطع في نقصه.

وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدُّكَّالِيُّ، وهو ممن أقام بمالّي خمساً وثلاثين سنة، مضطرباً في بلادها، مجتمعا بأهلها، قال: «المستفيضُ ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر من جبالٍ سودٍ تَبَانُ على بُعد كأنّ عليها الغمائم. ثم يتفرّق نهرين: يصب أحدهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي[٢]؛ والآخر يصل إلى مصر حتّى يصب في البحر الشاميّ».

قال الشيخ سعيد الدُّكَّالِيُّ: «ولقد توغَّلتُ في أسفاري في الجنوب مع النيل. فرأيتُهُ متفرّقا على سبعة أنهر، تدخل في صحراء منقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة، وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً مجتمعاً. كلا الرؤيتين في بلاد السودان. ولم أره لما اجتمع بالصحراء؛ لأننا لم ندخلها، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها».

قلتُ: والأقوال في أوّل مَجْرى النيل كثيرة. ذكر فيها المسعوديّ[٣] وغيره ما لا فائدة فيه.

والشائع على ألسنة الناس أنّ أحداً ما وقف على أوّله بالمشاهدة. وجعل كل واحد منهم سببا لعدم الوقوف على حقيقة أوّله.

---

(١) واسمها الآن مصر القديمة، ومصر العتيقة. (زكي).
(٢) هو نهر النيجر الذي سبق الكلام عليه في هامش سابق.
(٣) انظر: مروج الذهب ١/ ١١٢ ط الجامعة اللبنانية.

فقال بعضهم: إنه انتهى أُناسٌ وصعدوا الجبل، فرأوا وراءه بحرا عجَّاجا، ماؤه أسود كالليل، يشقه نهر أبيض كالنهار، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله، ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك. وزعموا أنه هرمس الهرامسة، وهو / ٤٩/ المسمى بالمثلث بالحكمة[١]. ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام. بلغ ذلك الموضع وبنى به قبة. قالوا: وسمى بالمثلث، لاجتماع الثلاثة له: النبوّة، والحكمة، والمُلك.

وقال بعضهم: إن أناسا صعدوا الجبل، وبقي كلما تقدّم منهم واحدٌ، ضحك وصفَّق بيديه وألقى روحه إلى ما وراء الجبل. فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك، فرجعوا.

وزعم بعضهم: أن أولئك إنما رأوا حجر الباهت. فبقيَ كل من رآه منهم، ضحك وتقدّم إليه والتصق به، حتّى مات.

وسيأتي إن شاء الله ما ذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصيّة هذا الحجر.

وقال بعضهم: إن مِلِكا من ملوكِ مصر الأُوَل جهَّز أناسا للوقوف على أوّله. فانتهَوْا إلى جبال من نحاسٍ، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها، أحرقت غالبهم، فرجع البقية.

وقال بعضهم: إنهم انْتَهَوْا إلى جبال برّاقة لماعة كالبلَّور. فلما انعكست عليهم أشعّة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم.

وقال بعضهم ـ وهو الصحيح ـ واللهأعلم: إنه لتوغُّل منبعه في الخراب المنقطع من وراء خط الاستواء، تعذر السلوك إليه: لبعد المسافة وشدّة الحرّ.

فإن قال قائل: فما منع قدماء الملوك، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق ما هي عليه، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أوّله؟ قلنا له: وأيّ فائدة تفي بركوب هذا المهلك في أرضٍ لا ينبت بها نباتٌ ولا يعيش حيوانٌ، ولا يعرف مقدار ما يستعدّ له المسافر، ولا ما يستظهر به الظهر[٢].

---

(١) Triomegiste (زكي).

(٢) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف أصل النيل. فرسم بشراء عبيد صغار زنوج وما شاكلهم، جلب لم يستعربوا. وسلمهم لصيادي السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير. فاذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل. (انظر: مطالع البدور في منازل السرور، ٢/ ٧٤ و٧٥) [والظاهر أن هذا المشروع لم يتم نظر للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أوّلاً بهجوم الصلبيين وثانياً بانقراض السلالة الأيوبية. وهذا المشروع قد تم بفضل اسماعيل خديو مصر الكبير في هذا العهد الجديد]. (زكي).

وإنما غالب ما يقال في هذا (والله أعلم) مما أظهره نظر العلم لا نظر العِيان. والله من ورائهم محيط.

وإذا فرغنا من الكلام في النيل، فلنذكر بقية الأنهار الشهيرة الواقعة / ٥٠/ في هذا الربع الثاني. فنقول: ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبَّه برأس صاد بالخط المغربيّ [ ].

يأخذ أحدهما مشرِّقاً ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاي، شماليّ كوكورة وجنوبيّ محالان جاي. ثم يخرج مشرِّقاً إلى بحيرة أخرى يتبحّر بها غربيّ مدينة زَافُون. ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب، على غربيّ أرض الملح السّواخة. ثم تتشعّب منه شعبة تأخذ جنوبا إلى مدينة أُوْذَغَسْت[1] وتستمر سائرة نهرا مادّا إلى مدينة فاس. فيصبُّ في البحر الشاميّ.

وثانيهما ينصب آخذاً إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مارّا بين أَسَفِي والمزمة حتّى يصب في البحر الشاميّ، شرقيّ طنجة.

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان: تجري من جنوب سِجِلماسة، واحداً بعد واحد. وتصبُّ الثلاثة مفرقة في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر يصبُّ من الجبل المشبه بتعنيقة لا معلقة بالخط المغربيّ [ ] وراء خط الاستواء. يصب في المحيط. وقد تقدّم ذكر بعض هذه الأنهار، في ضمن ذكر الجبال. وذلك جميعه منقول من خط الرسم.

والربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربيّ الآخذ إلى الشمال، به ما ذكر من الأنهار: فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيليّة، ينصبّ من الجبل الفاصل بينها وبين قُرْطُبَة، وينصب في البحر الشاميّ. [وهو من أحسن الأنهار وأجلّها، محفوف بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه ـ ايّامَ مُلك المسلمين لها ـ أوقاتُ

---

(١) كذا في ياقوت أوذغست مضبوطا بالعبارة، وكذا في تقويم البلدان الا أنه نص على إهمال الدال. وفي الأصل اودغش ولعله تصحيف من الناسخ. (زكي).

مسرّة ولَهْوٍ. وحكى الفتح بن خاقان[١]، قال: «ركب عبد الجليل بن وَهْبون، وأبو الحسن غلام البكريّ[٢] من إشبيليّة في ليلة أظلَمَ من قلب الكافر، وأشدّ سواداً من طرف الظَبْي النافر؛ ومعهما غلامٌ وضيءٌ قد أطلعَ وجهُهُ البدرَ ليلة تَمامه، على غصن بانٍ من قَوَامه؛ وبين أيديهم شمعتان قد أزْرَتا بنجوم السماء، ومزّقتا رداء الظلماء، وموّهتا بذهب نورهما لُجَين الماء[٣]. فقال عبد الجليل ارتجالا: [من المنسرح]

كـأنـمـا الـشـمـعـتـانِ إذْ سَـمَـتـا ... خَـدَّا غُـلام مُـحـسَّـنِ الـغَـيَـدِ

وفـي حَـشـا الـنـهـر مـن شُـعـاعِـهـمـا ... طَـريـقُ نـارِ الـهَـوى إلـى كَـبِـدِي

وقال غلام البكريُّ[٤]: [من الكامل]

أَحْـبِـبْ بـمـنـظـرِ لـيـلـةٍ لَـيـلاءِ ... تُـجْـنـى بـهـا الـلـذاتُ فـوقَ الـمـاءِ

فـي زورق يُـزهـى بـغـرّة اغـيـدٍ ... يـخـتـالُ مـثـلَ الـبـانـةِ الـغَـيْـنـاءِ

قَـرَنَـتْ يـداهُ الـشـمـعـتـيـنِ بـوجـهِـهِ ... كـالـبـدرِ بـيـنَ الـنَّـسـرِ والـجَـوْزاءِ

والْـتَـاحَ[٥] فـوقَ الـمـاءِ ضـوءُ مـنـهـمـا ... كـالـبـرقِ يـخـفـقُ فـي غَـمـام سـمـاءِ

قلتُ: ومن هذا النهر أُخِذت إشبيليّة، فقال بعضهم «لَسَبَ[٦] إشبيليّة عقربُها، وساورها أرقهما». يريد بالعقرب شَرَفَهَا[٧] المطلّ، وهو عقربيّ الشكل، وبالأرقم

---

(١) الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي، أبو نصر: كاتب، مؤرخ، من أهل إشبيلية. ولد فيها سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ونشأ فيها. وكان كثير الأسفار والرحلات، قال ابن خلكان: «خليع العذار في دنياه، لكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال» مات ذبيحاً بمدينة مراكش، في الفندق سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م، أوعز بقتله أمير المسلمين، علي بن يوسف بن تاشفين. من تصانيفه «قلائد العقيان ـ ط» في أخبار شعراء المغرب، و«مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ ط» و«راية المحاسن وغاية المُحاسن» أدب، و«مجموع رسائل» ورسالة في «ترجمة ابن السيد البطليوسي ـ ط» أوردها المقري في «أزهار الرياض».
ترجمته في: معجم ابن الأبار ٣٠٠ ونفح الطيب ٤/ ٦١٨، ووفيات الأعيان ١/ ٤٠٧، والمغرب في حلى المغرب ١/ ٢٥٤، وشذرات الذهب ٤/ ١٠٧، وإرشاد الأريب ٦/ ١٢٤، وفي تاريخ وفاته خلاف، اعتمدت فيه على رواية ابن الأبار. الأعلام ٥/ ١٣٤.

(٢) أبو الحسن، حكم بن محمد غلام أبي عبيد البكري: من الموالي من شعراء الدولة العبادية، كان من ندماء عبد الجليل بن وهبون، **ترجمته في**: الذخيرة ٢/ ١/ ٥٦٣، المغرب ١/ ٣٤٨، نفح الطيب ١/ ٦٥٧، قلائد العقيان ٤/ ٩٠٢ـ٩٠٧، بغية الملتمس ٢٦٥ رقم ٦٩٢، خريدة القصر ـ قسم المغرب ٢/ ٥٩٦.

(٣) هذه السجعات يظهر أنها من صنعة ابن فضل الله. وإلاّ فالذي في «قلائد العقيان» (ص ٢٤٢و٢٤٣) وفي «نفح الطيب» (١/ ٤٣٥ من طبعة أوربّة) يخالفها، وهما متخالفان أيضاً في بعض الألفاظ.

(٤) هنا سجعات أغفلها مؤلفنا. (زكي). (٥) في القلائد وفي النفح: تحت. (زكي).

(٦) لسب: بمعنى لدغ. (زكي).

(٧) هو المعروف الآن عند أهل اسبانيا باسم Aljarafe. (زكي).

نهرها. قالوا: وهو من العجائب][١].

/ بلا/ وحكى ابن ظافر[٢]، قال: «ركب [الأُستاذ][٣] أبو محمد بن صارة [مع أصحاب له][٤] في نهر إشبيليّة في عَشِيّة سال أصيلها[٥] على لُجَيْن الماء عِقيانا، وطارت زواريقها[٦] في سماء اللهو[٧] عِقْبانا[٨]؛ وأبدى نسيمها من الأمواج [والدارات سُرَرا وأعكانا؛ في زورق يجول جَوَلان الطِرف، ويسودُّ اسوداد الطَرف][٩]. فقال بديهاً: [من الوافر]

تـأمـلْ حـالَـنـا والـجـوُّ طـلـقٌ ... مُـحـيـاه، وقـدْ طَـفِـلَ الـمَـسـاءُ

وقـدْ جـالـتْ بـنـا عَـذراءُ حُـبْـلـى ... تـجـاذَبَ مِـرطَـهـا ريـحٌ رُخـاءُ

بـنـهـرٍ كـالـسَّـجَـنْـجـل كـوثـريّ ... تُـعـبِّـسُ وجـهَـهـا فـيـهِ الـسـمـاءُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) أوردها صاحب نفح الطيب عن البدائع برواية قريبة جدّاً من رواية ابن فضل الله (٢/ ٢١٥). (زكي).
وابن ظافر هو:
علي بن ظافر بن حسين الأزدي الخزرجي، أبو الحسن، جمال الدين: وزير مصري، من الشعراء الأدباء المؤرخين مولده سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ووفاته سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م في القاهرة. ولي وزارة الملك الأشرف مدة، وصرف عنها، فولي وكالة بيت المال. ثم اعتزل الأعمال من كتبه «بدائع البدائه ـ ط» و«الدول المنقطعة ـ خ» أربعة أجزاء، و«ذيل المناقب النورية ـ خ» و«شفاء الغليل في ذم الصاحب والخليل» اختصره السيوطي وسمّاه «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب ـ ط» رسالة، و«أساس السياسة» و«أخبار ملوك الدولة السلجوقية» و«أخبار الشجعان ـ خ» وغير ذلك، وشعره رقيق.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٥١، وفيه وفاته سنة ٦٢٣هـ، آداب اللغة العربية ٣/ ٦٥، معجم المطبوعات لسركيس ١٤٨، الخزانة التيمورية لتيمور ٣/ ١٨٦، معجم الأدباء ٥/ ٢٢٨، الفهرس التمهيدي ٣٩٠، الشهاب الثاقب ـ مقدمة الناشر، الأعلام ٤/ ٢٩٧، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٤٤٤.

(٣) الزيادة من «بدائع البدائه». (زكي).
وفي الأصل: «وحكى ابن خاقان» والصواب ما أثبتنا من بدائع البدائة لابن ظافر الازدي.
وهو علي بن ظافر بن حسين الأزدي، أديب، شاعر، مؤرخ، وزير مصري، ولد في القاهرة.

(٤) الزيادة من «بدائع البدائه». (زكي).

(٥) في البدائع: سأل أصلها. وهو غلط مطبعي. [ووردت بالصحيح في نفح الطيب] (زكي).

(٦) في ابن فضل الله: جواريها [وقد استحسنت رواية نفح الطيب]. (زكي).

(٧) في النفح: النهر. [وقد استحسنت هنا رواية البدائع وابن فضل الله. (زكي).

(٨) في البدائع: وطارت زوارقها في سماء الماء عقبانا. ورواية ابن فضل الله أفضل. (زكي).

(٩) الزيادة عن البدائع والنفح. (زكي).

ولما وقف عليها ابن خفاجة، استحسنها واستظرفها واستطابها. فقال يعارضها، على وزنها ورويّها وطريقها[١]: [من الوافر]

أَلا يـا حـبَّـذا ضَـحِـكُ الـحُـمَـيَّـا بـحـانـتِـهـا، وقـدْ عَـبَـس الـمَـسـاءُ!

وأدهـمُ مِـنْ جِـيـادِ الـمـاءِ[٢] نَـهْـدٌ تـنـازعَ حَـبْـلَـهُ ريـحٌ رُخَـاءُ!

إذا بـدتِ الـكـواكـبُ فـيـه غَـرْقـى رأيـتَ الأرض تـجـذبُـهـا[٣] الـسـمـاءُ

/ بلا/ ونهر سَرَقُسْطة: وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب.

وذكر ابن خاقان[٤] أنّ المستعين بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله، المنتظمة بجِيد ساحله. وهو نهر غزر[٥] ماؤه وراق، وأزرى[٦] على نيل مصر[٧] ودِجلةِ العراق[٨]. وقد اكتنفته البساتين من جانِبَيْه، وألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس تنظر إليه[٩]. هذا على اتّساع عرضه، وبُعْد سطح مائه وأرضه[١٠]. وقد توسّط زورقُه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة، وأحاطت به إحاطة الطُفاوة بالغزاله. وقد أعدّوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتّى] حوت السماء. وأهلّةُ الهالات طالعة من الموج في سحاب، وقانصة من بنات الماء[١١] كلّ طائرة كالشهاب. فلا ترى إلا صيودا كصيد[١٢] الصوارم، وقدود اللهاذم،

---

(١) ديوان ابن خفاجة ص ١٢.

(٢) في البدائع وابن فضل الله: الليل. [وقد استحسنت رواية نفح الطيب]. (زكي).

(٣) في النفح: تحسدها.

(٤) يشير إلى قلائد العقيان ١٨٥، ١٨٦. والحكاية بنصها وبفصها في بدائع البدائه ٢١٤. وانظر نفح الطيب، طبع بولاق ١/ ٤٢٥، ٢/ ١٨١، ولكن السجعات التي في القلائد هي مخالفة بالكلية للتي أوردها ابن فضل الله عن البدائع، والتي نقلها أيضا صاحب نفح الطيب. وانظر نفح الطيب، طبع أوروبة ١/ ٣٠٥، ٢/ ٨١٨. (زكي).

(٥) في البدائع وفي النفح: رق. [وهي أرق]. (زكي).

(٦) في النفح: وزرى. (زكي).

(٧) في الأصل: على نهر نيل مصر. (زكي).

(٨) في البدائع: ودجلة والعراق. [والواو الثانية زائدة بالطبع في أثناء الطبع]. (زكي).

(٩) في البدائع: أن تنظر. [ورواية ابن فضل الله أفضل، ومثلها في النفح]. (زكي).

(١٠) في البدائع: وبعد سطح الماء من أرضه. [وهذه الرواية أحسن وأمتن. وفي النفح: وبعد سطح مائه من أرضه]. (زكي).

(١١) في ابن فضل الله وفي النفح: الموج. (زكي).

(١٢) في النفح: كقصد(زكي).

ومعاصم الأبكار النواعم. فقال الوزير أبو الفضل بن حسداي[١]، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه، وارتجل: [من البسيط]

للهِ يومٌ أنيقٌ واضحُ الغُرَرِ ... مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الآصالِ والبُكَرِ!
كأنّما الدهرُ لمَّا ساءَ، أعتبنا ... فيه بعُتْبى وأبدى صفحَ مُعتذِرِ
نسيرُ في زورقٍ حَفَّ السَّفينُ بهِ ... مِنْ جانبيهِ بمنظوم ومُنتثرِ
مدّ الشراعُ به نشراً على مَلِكٍ ... بذّ الأوائلَ في أيّامهِ الأُخَرِ
هوَ الإمامُ الهمامُ المستعينُ حوى ... عَلياءَ مُؤْتَمَنٍ في هَدْي مُقتدرِ
تحوي السفينةُ منهُ آيةً عَجَبا ... بحرٌ تجمّعَ حتّى صارَ في نَهَرِ
تُثارُ مِنْ قعرهِ النينانُ[٢] مُصْعِدَةً ... صيدا كما ظفر الغَّواصُ بالدُّررِ
وللنُّدامى بهِ عَبٌّ ومُرْتَشَفٌ ... كالراحِ[٣] تعذبُ في وِردٍ وفي صَدَرِ
والشربُ في ودّ مولًى خُلقه زَهَرٌ ... يذكو، وغُرتُهُ[٤] أبهى مِنَ القمرِ

من ذلك نهرٌ ثان ينصبّ من ذلك الجبل أيضاً. ينزل على مدينة إلبيرة، وينصبُّ إلى المحيط.

ومن ذلك نهران ينصبان / ٥١/ من الجبل الفاصل بين طُلَيْطِلَة ووادي آش، المبنيّ بسفحه الجنوبيّ قبة الزُّهَرَة. يأخذ الأوّل منهما جنوباً إلى قُرطبة، وينصب في البحر الروميّ. ويأخذ الثاني شمالاً بين بَطَلْيُوسَ وقُورةَ، ويصب في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر ينصبّ وراء خليج البنادقة، من وصلة الأمّ الخارجة من البحر الشاميّ، شرقيَّ رومية الكبرى. يأخذ من هذا النهر غرباً بشمال على مدينة لَبطيرة شماليَّ فَرَنْسِيَة. ويصبُّ في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر يصبُّ من الجبل المحيط، حيث يسمّى بجبل قاقونا آخذاً شرقيّ مدينة سوسية إلى مدينة قسطنطينية العظمى. ويصب في البحر الروميّ عندها.

ومن ذلك نهر ينصبّ من الجبل المحيط المذكور، شرقيَّ هذا المصبّ، آخذاً على بلاد الصقلب، ماراً شرقيَّ بلاد الجركس والماجار إلى أن ينتهي إلى مدينة قِرم

---

(١) أبو الفضل، حَسْدَاي بن يوسف بن حَسْدَاي الإسرائيلي، أديب، كاتب، وزير، كان يهودياً فأسلم، وكانت والدة يوسف من بيت شرف يهودي، أي من بني الكوهن (أبناء هارون عليه السلام).
ترجمته في: الذخيرة في محاسن الجزيرة لابن بسام ٣/ ١/ ٤٥٧ـ ٤٩٤، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٩٦، نفح الطيب ١/ ٦٤٠، المغرب في حلي المغرب ٢/ ٤٤١.
(٢) في نفح الطيب شرح لطيف واف على هذا الجمع (٢/ ١٨١، ١٨٢). (زكي).
(٣) في الأصل: كالريق، وكذلك في النفح، وفي القلائد. [واعتمدت رواية البدائع]. (زكي).
(٤) في البدائع وفي ابن فضل الله: وبهجته. [واعتمدت رواية القلائد والنفح]. (زكي).

وينصب في بحر بُنْطُس[١].

ومن ذلك نهر ينصبّ من جبال هَمَذان وخلاط من شماليّ ماردين، آخذاً على شماليّ مَلَطّية، حتى يشق بين مدينتي شهر وقَرَمى. ويصبّ في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر جيحان[٢]: يخرج من بلاد الروم تحت حصن المُنَقَّب. يأخذ ما بين عين زَربا وكَفَربِثا. ثم يَمُدّ إلى المَصِّيصَة ويصبّ في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر سَيْحَان[٣]: يخرج من شماليّه ويمر على أَذَنَة[٤]. ثم يصب في البحر الشاميّ.

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار: منها اثنان ينصبّان من الجبل الأمّ المذكورة؛ وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقاً وغرباً لبحيرة جَارْس، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار. تنصب هذه العشرة الأنهار في / ٥٢/ هذه البحيرة المذكورة.

ومن ذلك أربعة أنهار تنصبّ من جبال الديلم:

ينزل الأوّل غربيّ أَرَّجان.

ويليه الثاني ينزل من شرقيّه.

ويليه الثالث ينزل من شرقيّ المسن.

ويليه الرابع ينزل من سابور. وتنصب الأربعة في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر دِجْلَة: يصبّ من جبال شهرزور وآمد. ويمتدّ بين آمد ومَيَّافارِقِين إلى الموصل. ثم يمدّها الزابان: الزاب الأكبر والزاب الأصغر. وهما نهران كبيران. ثم يأخذ إلى تكريت غربيّ ديار بني شَيْبَان (تامَرّى وعُكْبَرا والدادان) إلى بغداد. ثم يتشعّب ما بين بغداد والمدائن، جنوبيّ بغداد وشماليّ المدائن شعبةٌ منه، تأخذ منه شرقاً محضاً. وهو المسمّى بالنهروان. ثم يَمُدّ عمود دجلة مستقيماً على الجنوب، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جَرْجَرَايَا جنوبيّ النعمانية؛ وشرقيّ جبل جرجرايا شعبةٌ أخرى، تأخذ شرقاً محضاً، تمرّ بين حُلوان وبَعْقُوبا. ثم يَمُدّ عمود دجلة إلى واسط. فإذا عدَّاها

---

(١) في ياقوت ضبطه بضم الطاء بالعبارة ونص على إهمال السين. وفي الأصل: نيطش. وهو تحريف من النساخ شاع في كثير من كتب العرب. وقد سبق التنبيه على ذلك في حاشية صفحة ٥٧. وسنجري على التسمية المعتمدة في بقية الكتاب. لأن هذا الاسم مأخوذ عن اللغات الافرنكية وهو المعروف عندهم باسم Pontus واسمه الجغرافي عند الفرنسيين Pont- Eusein (زكي).

(٢) انظر: معجم البلدان / مادة (جيحان) و(جيهان).

(٣) انظر: معجم البلدان / مادة (سيحان).

(٤) هي المدينة التي يسميها الترك الآن: أطَنَة، منعاً للأختلاط في الكتابة بينها وبين أدرنه. (زكي).

إلى سوادها، لاقاه الفُرَات هناك. ويجتمع الكلّ إليه نهراً واحداً، يمدّ إلى المَفْتَح. ويتشعب منه نهر مَعْقِل[١]، وهو النهر المشهور. وينصب بعضه إلى بطائح البَصرة[٢]. ويستدير باقيه بالمِرْبَد والأُبلَّة شرقيّ البصرة. ثم يمدّ عمود دجلة مستقيماً على الجنوب. ثم تتشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تجيءُ على جنب الأُبُلَّة فتشق أرضها عرضًا، وتلاقي الشعبة المستديرة بها. ثم يمدّ عمود دجلة آخذاً جنوباً إلى عَبَّادان. ويصب هناك في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر الفرات: يصبّ من جبال الروم، ويأخذ على ملطيَّة /٥٣/ إلى سُمَيْساط، إلى الرَّقّة، إلى قرقيسيا، إلى الرحبة، إلى الدالية، إلى عانَةَ، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى[٣]، ونهر صَرْصَر[٤]، ونهر المَلِك[٥]، ونهر صورا[٦]، ونهر الصَّراة[٧]، وهو المشهور، وإياه عنى الشاعر في شعره. بقوله: [من الكامل]

أَوَ ما وجدتمْ في الصَّراةِ ملوحةً ... مما أُرقرقُ في الفُراتِ دُموعي؟

ثم يمتدّ عمود الفرات ويمرّ ما بين القصر[٨] وبين الكوفة على بابل، ويستدير منه شِعْبٌ بخانِقِين؛ وتكون هي جزيرة بوسطه، ويصب ذلك الشعب من تحت خانِقِين[٩] في

---

(١) الذي يقال فيه: إذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل. (زكي).
وهو منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حُرّاق بن لأي بن كعب بن عبد ثور بن هُذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدّ المزني، ومُزينة أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أدّ المزني، صحب النبي (ﷺ).
وهو نهر معروف بالبصرة، حُفر بأمر عمر بن الخطاب على يد معقل المذكور. وقيل غير ذلك.
انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٢٣ مادة (نهر معقل).

(٢) بطائح البصرة، وهي مناطق الجزائر القائمة في منطقة الأهوار الواقعة جنوب العراق.

(٣) نهر عيسىٰ: نسبة إلى عيسىٰ بن علي بن عبد الله الهاشمي بن العباس، وهم عمّ السفّاح وفي أصل النهر أقوال.
انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٢١ـ ٣٢٢ مادة (نهر عيسىٰ).

(٤) انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٠١ مادة (صرصر).

(٥) انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٢٤ مادة (نهر الملك).

(٦) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٧٨ مادة (سورا).

(٧) انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٩٩ـ ٤٠٠ مادة (الصراة).

(٨) القصر المقصود في هذا الموقع يعني (قصر ابن هبيرة) انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٦٥ مادة (قصر ابن هبيرة).

(٩) انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٤٠ـ ٣٤١ مادة (خانقين).

بطائح الكوفة، ثم يأخذ عمود الفرات فوق خانِقِينَ من حيث استدار ذلك الشعب عليها مائلاً على الجنوب مشرِّقاً. ثم يتشعب منه شُعَب أُخر إلى بطائح البصرة، وينعطف عمود الفرات آخذاً شرقاً بشمال على وِرابٍ قليل إلى سواد واسط، ويلاقي هناك دجلة. ويجتمع عمودها هناك نهراً واحداً، حتى يصبَّ غربيّ عبَّادان، في البحر الهنديّ.

ومن ذلك نهر الساجور[١]: يصبُّ من جبال الروم آخذا شرقا حتّى يُحاذي مَنْبِج، ثم يصب في الفرات، ويتشعب منه شعبٌ، لولاها لم يُذْكر الساجور. وهو نهر يسمّى قُويْق، يمدّ من مغاربه إلى أن ينزل حلب، ويسقي الأرض والمزارع، ويتناهى إلى شرقيّ قِنَّسرين، ويبحِّر هناك بحيرات لطيفة، وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُوَيْق، ولهذا علمناه بالأحمر.

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي: يصبُّ من وراء نهر بعلبك، من منابع شتّى في وطاءة أرض. قلتُ: من قرية تعرف باللبوة ومغارة الراهب. ثم يأخذ شمالاً ماراً حتّى /٥٤/ يقارب غربيَّ حِمص. فيصبّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع. ثم يخرج منها ويمرّ غربيّ حمص إلى حماه إلى شيزر إلى أَفَامِيَة. فيصب في بحيرة بها. ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب، إلى ديركوش، إلى بلاد يعرف بالإقليم. ثم ينزل العَمْقا إلى أنطاكية إلى السويدية. ويصب في البحر الشاميّ، حيث ينعطف هناك. وقد سمينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتدّ على الشام شرقيّ طرابلس المستجدّة[٢] البناء، حيث يسمّى الجبل هناك بلُبنان. يجري من قرية تعرف الآن برشعين، فيدخل تحت قناطر معقودة جدّدها الابرنس[٣] حين غلبت الفرنج على طرابلس، فعُرفت به. فيشق المدينة المستجدة ويصب في البحر الشاميّ.

ومن ذلك نهر بَرَدَا[٤]: ويخرج من عين صحراء الزَّبَدانيّ بين بعلبك وبين دمشق. ثم يمدّه نهر يخرج من الجبل الممتدّ على الشام من مكان يعرف الآن بالفِيجة[٥] تحت

---

(١) انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٠ مادة (الساجور).

(٢) إشارة إلى ما فعله السلطان قلاوون حين أخذها من الفرنج فانه هدمها. ثم بنى المدينة الجديدة الباقية إلى الآن بعيد عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة. (زكي).

(٣) Le Prince. (زكي).

(٤) المشهور كتابته بالياء: بردى. وهو نهر دمشق المشهور. (زكي).

(٥) وهذا الاسم باق إلى الآن. ويعرف المكان في عصرنا بعين الفيجة. وقد جرّوا منه الماء في أنابيب إلى مدينة دمشق. (زكي).

حصن عزّتا ويمدّ إلى دمشق. وينقسِمُ قبلها وبعدها أنهارا، يعمُّ دورها وبساتينها، ويسقي بعض قراها ومزارعها، ثم يبحر فاضل مائه شماليّ الغوطة في بحيرة هناك.

ومن ذلك نهر الأَرْدُنّ: /بلا/ ولا يسمّى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طَبَرِيَّة. ويسمّى الآن الشريعة ويشق وادي كنعان شقًّا في الطول حتّى ينتهي إلى بحيرة زُغَر (وهي سَدُوم، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالمُنْتنة)؛ والوادي بالغور. وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاّحة، وهي عين بعيدة العمق جدّا، ونهر بانياس.

وتسمّى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية. وترمي تحت جسر يعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمدّ فتتلاقى هي والشريعة القبلية بقرية تعرفّ بالبقارية، ويأتيان جسر الصنّيرة إلى الجسر العادليّ، وهو تحت عَقَبة فِيق[١]، قربَ الدير الأسود، ثم تأتي جسر شامة المقارب لقرية المجامع. وتمدّ فيلاقيها نهر الزرقاء، دون داميةَ. ثم تمدّ فترمي في البحيرة المنتنة.

وسنذكر أصل الشريعة الشمالية. وهو من دير الهُوَيْر والجولان واليرموك ووادي الأشعري والفوّار والمَّدان، مع ما ينضاف إلى ذلك من ينابيع. ويتحصّل من البلاد المرتفعة، ويجتمع تحت حمّة جَدَن[٢]. وهي تحت فِيق، وعليها قبوٌ معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعلة من العلل يبرئها، بإذن الله، إذا استحمَّ منه العليل بها. قالوا: ولم تزل على هذا حتّى أتى بعض قدماء الحكماء فهدم القبوَ والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرًّى واحد، إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريحٌ، والثاني لمن به جَرَبٌ. والماء الغَمْر لسائر الأسقام. وماء هذه الحمّة عذبٌ. وآثار الأبنية باقية.

/٥٥/ الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرقيّ الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكر من الأنهار: فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبّه بصليبٍ ذَهَبَ أحدُ شعبه.

ينصبّ أحدهما من جنوبيّ هذا الجبل واقعا شرقيّ مدينة طغان الواقعة في شمال

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ٢٣٣ مادة (أفيق).

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ١١٤، مادة (جدر).

هذا الجبل بغرب. يمرّ بين طغان وتركستان مغرّبا، حتّى يصب في بحيرة خِلاَط.

والنهر الثاني منهما ينصبّ من شرقيّ هذا النهر الأوّل وعلى سمته. يمتدّ بنهر، ثم يتشعّب على شُعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شماليّ مدينة طغورا مشرّقاً على قصر الدَّهَال المقارب لبلاد كنغد، ثم ينعطف آخذاً إلى الجنوب يشق بلاد الهند حتّى يصب في البحر الهنديّ، شرقيّ كوام. والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبيّ الأرض المحفورة، على ما قيل، حتّى تصب في البحيرة البلاّعة.

ومن ذلك نهر أَثِيل: وهو المركب عليه مدينة السراى. ومخرجه من عين تنبع في ذيل جبل قاقُونَا، ثم يقتبل الجنوب آخذاً بغرب في صحارى القبجاق على شماليّ معادن الفضة، حتّى يصبّ في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخَطا، نازلان من الجبل الغربيّ من جبال المحيط بها. يأخذ الشماليّ منهما مشرِّقاً ويُبحِّرُ جنوبيّ خان بالق. ثم يمتدّ مشرِّقاً بجنوب حتّى ينتهي إلى المالق والآخر ينتهي إلى باش مالق. ينتهي عندها.

ومن ذلك نهرٌ ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين. ينزل على قراقرم، ويأخذ مشرّقا على بلاد الهياطلة حتّى يصبّ في بحيرة السودان هناك.

ومن ذلك نهر ينصبّ منَ الجبل الممتدّ من وراء العوج. ينزل من شرقيه /٥٦/ على مدينة قلنبر. ويبحر في بحيرة هناك.

ومن ذلك نهر يسمّى نهر الطيب: يخرج من قشمير السفلى.

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل، شماليّ السُّدّ حتّى يصبّ في بلاد عبدة الشياطين، في بحيرة هناك، تسمّى بحيرة الشياطين.

ومن ذلك نهر جيحون[١]: ينزل من جبل قاقونا. وتمدّه أنهار من جبال تمدّه فيمتدّ حتّى يخرج من هذا الربع إلى الربع الغربيّ القسيم له. فيصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر سيحون[٢]: الآخذ على بلاد فرغانة ويمدّه نهر الشاش ويخرج حائط عبد الله بن حميد حتّى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر السُّغد[٣]: ينصب من جبال البُتّم، وينتهي إلى بُخَارا، ويبحر في بحيرة هناك.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ١٩٦ـ ١٩٧ مادة (جيحون).

(٢) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٩٤ مادة (سيحون).

(٣) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٢٢ـ ٢٢٣ مادة (السغد).

ومن ذلك نهر مَكْران[١]: ينصبّ من جبل الدَّيلم فيمتدّ آخذاً على مدينة المحمَّديَّة. على كرمان إلى بلاد السند.

ومن ذلك نهر عماس: في بلاد الترك.

ومن ذلك الأنهار العشرة. الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط، وتمدّه أنهار من جبال النوشادر الواقعة شرقيّ الصين حتّى يصب في نهر حمدان، ثم يمتدّ الجميع نهراً واحداً حتّى يصب في المحيط.

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم: وهو ينزل من جبال أرموية ونانوس على مدينة اطراغا، ويبحّر هناك. ثم يمدّ مشرقاً إلى مدينة لوقر. وينعطف في الصين حتّى تلاقيه هناك الأنهار العشرة، أعني المتقدّمة الذكر، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأوّل. يقال إنه يصبّ به نهر كل المنصب من الصين الداخل. ويمتدّ الجميع نهراً واحداً موغلاً في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهنديّ، /٥٧/ إلى وراء خط الاستواء. ثم يصبّ هناك في البحر المحيط.

ومن ذلك نهران: أحدهما نهر الكُر[٢] والآخر نهر الرَّس: يصبان من جبل الديلم يسمّى جبل قالبولا، ويجيء الكر على تفليس، ويلاقي الرَّس نهر ينزل من سبلان بين ترزند ووزنان، ثم يصب الكر جنوبيّ شروان، ويصب الرس غربيّه. كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان.

ومن ذلك نهر يسمّى الآن قراصو: وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشَمَاخِي ويسكب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس: يأتي على شرقيّ المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان. ويصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك ـ على ما قيل ـ نهران ينزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج ومأجوج. ينزل أحدهما جنوبي السدّ، والآخر من شماليه. وهكذا صوّره صاحب جغرافيا في لوح الرسم.

فهذه هي جميع الأنهار المشتهرة في جميع المعمورة وما قاربها. ولم نُخلّ منها إلا بما لعلّ صاحب جغرافيا لم يصوّره في لوح الرسم. وإن كان، فهو القليل. وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٥/ ١٧٩ـ ١٨٠ مادة (مكران).

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥١ مادة (كرّ).

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة، ونحن نقسمها على البحيرات المشهورة نصفين: نصفا شرقياً ونصفاً غربياً.

فالنصف الأوّل هو الشرقيّ فيه ما يذكر من البحيرات:

فمن ذلك بحيرة كيماما. بجزيرة القُمر الخارجة عن خط الاستواء. وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين. وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة سَرَنْك بالهند. وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة، شرقي قراقرم بشمال. وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة /٥٨/ بخارا. وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة خوارزم. وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة تهامة. يصب بها نهر اتكش في بلاد الترك.

ومن ذلك بحيرة زَرَه ببلاد سجستان. وهي ملح.

وذلك على ما نقل في لوح الرسم.

والنصف الثاني وهو الغربيّ، به من البحيرات ما يذكره:

فمن ذلك بحيرات النيل الثلاثة.

أعلاها بحيرتان، حيث تنصب في أوّله؛ ثم البحيرة الكبرى التي دونهما ونسميها البطيحة.

ثم بحيرة الفيوم[1] ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد غانة. وهي عذبة.

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا. وهي عذبة. ولم ننبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنُعلِم أن أرضهما لم تغيّر ماءهما ولا أفسدت طعمهما.

ومن ذلك بحيرة زاقون. يبحر بها النهر المنصب من الجبل المشبه بتعنيقة[2] [لا] بالخط المغربيّ.

---

(١) يشير إلى بحيرة في نيل السودان المعروف الآن بنهر النيجر، ويكون الفيوم حينئذ اسماً لموضع غير المشهور بديار مصر. (زكي).

(٢) في الأصل هنا: بتعريقه لام. وقد اخترتُ الاصطلاح الذي كره المؤلف فيما سبق. (زكي).

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسى وبين كوكورة؛ وبحيرة بين كوكورة ومجالات جاي.

ومن ذلك بحيرتان عند بنزرت من بلاد إفريقية: إحداهما ملح، والأخرى عذبة. تجري العذبة في الشتاء ستة أشهر، وتسكب في البحيرة الملح فلا يعذب ماؤها ثم تنقطع. وتجري البحيرة الملح ستة أشهر أخرى تمام السنة، وتسكب في العذبة فلا تملح. وبها أنواع من الحيتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوعٌ منها. فإذا فرغ الشهر، ذهب ذلك وجاء غيره، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان في الشهر الماضي شيء أَلبتة إلى مدّة ذلك الشهر من السنة الآتية. وحكى لي ذلك المغاربة. فسبحان من بيده الأمر كله!

ومن ذلك / ٥٩/ بحيرتان بأقصى المغرب: إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم في غاية الاتساع. بوسطها جزيرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبي سُلهام. تمدّها أودية تنحدر من جبال غمارة. وفي تلك الجزيرة يأوِي عرب ذلك الموضع بذخائرهم ورِعْي بهائمهم.

والأخرى بأزغان شماليّ مكناسة. تمدّها أنهار تنحدر من جبال أزرو جنوبيّ مكناسة. وليس لمياههما منفذ.

ومن ذلك بحيرة أبزو، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة تنس[(١)]، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة جارش، بالشمال وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة طبرية، وهي عذبة.

وبها الحَمَّة المعروفة بحمام طبرية، وللناس فيها أكاذيب، وهي صورة تنور مثل تنور الكلس تكون سعته نحو عشرة أذرع تقريبا. يخرج منه ماء يدير حجري رحًى. مهما وضع فيه احترق لإفراط حرارته. وقد استخرج منه جدول في عرض الجبل يمتدّ نحو ألف ذراع تقريبا، لتقلَّ ببُعد المدى حرارتُهُ. ثم يأتي ببيتين مسقوفين ـ وسقوفهما بالحجر ـ أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها مملوح مكبرت.

ومن ذلك بحيرة زُغَر. وهي المخسوف بها، وهي المنتنة.

---

(١) لعله يريد: تنيس، التي كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من دمياط [زكي].

ومن ذلك بحيرة دمشق، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة حِمص، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة أفامية، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة أنطاكية، وهي عذبة، وتعرف ببحيرة يَغْرا، وهي متوسطة المقدار.

ومن ذلك بطائح العراق: اثنتان بالبصرة، وواحدة بالكوفة. الجملة ثلاث بحيرات عذبة.

ومن ذلك بحيرة خِلاَط، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة أيودان، وهي ملح.

وذلك منقول من لوح الرسم، أو محقق بالسؤال، وإن حصل في بعضه إخلال. وفيما أتينا به غنًى عما سواه. وبعض الشيء في هذا الباب استدراك، إذ المراد بذلك ما يستدلّ على الأرض بأعلامها الظاهرة. وفي الدليل الواحد كفاية.

وإذا انتهينا إلى هنا نذكر رمل الهَبِير؛ لأنه مما هو ممتدّ في الأرض. فكان من أعلامها المشهورة المشهودة في الآفاق.

قال صاحب كتاب «معرفة أشكال الأرض»:[١] «وأما الرمل الهبير، فطوله من وراء جبلي طيِّىء إلى أن يتصل مشرقا بالبحر. ويمضي من وراء جبلي طيّء إلى أرض مصر، ثم إلى بلد النوبة. ويمتدّ إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر. ومنه عرق يضرب من القادسية إلى البحرين، فيعبر البحرين، فيمرّ على مشارق خوزستان وفارس إلى أن يرد سجستان. ويمرّ مشرّقا إلى مرو، وآخذا على جيحون في برية خوارزم. ويأخذ في بلاد الخَرْلَخِيَّة[٢] إلى بلد الصين والبحر المحيط في جهة المشرق. وهو على ما وصفتُه وسقتُه من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب. وفيه منه جبالٌ عظام لا تُتَوَقّل ولا تُرتقى. وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان. ومنه أصفر ليّن اللمس، وأحمر قانىء، وأزرق سماويّ، وأسود حالك، وأكحل مُشبَّع كالنيل[٣]، وأبيض كالثلج. وبعضه يحكي الغبار نعومةً، وبعضه خشن جريش اللمس».

---

(١) صورة الأرض لابن حوقل ص ٣٥ـ ٣٦.

(٢) نسبة إلى خَرْلج صنف من الترك وقد يتصحف هذا الاسم إلى الخزلجية والخرلجية وغير ذلك، والصواب ما هنا [زكي].

(٣) أي نبات النيلج المعروف في مصر باسم النيلة . [Indigo] [زكي].

ونحن نبيّن كلّ شيء بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد. وفوق كل ذي علم عليم!

* * *

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الآثار البيّنة في أقطار الأرض ما جرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ما قدّمنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسنذكرها مبيّنة. وبالله التوفيق(١).

/ ٦١/ فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام؛ ومسجد النبيّ ﷺ؛ والمسجد الأقصى.

وهي التي تُشدّ إليها الرحال، وتُجِدّ إليها الركائبُ التَّرحال، تَسرِي إليها سُرى السحائب في المَحال، وتسمو والكواكب غَرْقى سُمُوَّ حَباب الماء حالا على حال.

روى أبو سعيد الخُدريّ عن النبيّ (ﷺ) أنه قال: «لا تُشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس». رواه الإمام أحمد(٢).

ويُتبَع كلُّ مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألّق بإشراق نوره وإسفاره، مما ضمّه نطاق سوره، وأُفيض عليه بركة سوره، [إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُجدّ الدموعُ فيها النثار.](٣)

وأوّل ما نبدأ به:

ذكر الكعبة

البيت الحرام: أوّل بيت وُضِع للناس، ورُفع على قديم الأَساس. بُني مثالا للبيت المعمور، ودُعِي إليه كل مأُمور. وأذّن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحجّ؛ ودعا إليه الناس، فأتَوْه من كل فجّ. حَجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهدهُ ما تقادم. ويقال: إنه لم يبق نبيّ حتى حجَّه. ويعدّ عدة أنبياء دُفنوا في الحِجرِ منه. ولم تزل شعائره مكرّمة، ومشاعره محترمة. عُظِّم في الجاهليّة والإسلام، وحُرِّم من حيثُ بُنيَتْ الأعلام. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٤). وهو البيت المحجوج المحجوب،

---

(١) بياض في الأصل بمقدار ٥ أسطر.

(٢) صحيح البخاري رقم ١١٣٩، مسند أحمد ٣/ ٩٣.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٢.

والمقصود بالزيارة قصدَ الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، [والشاهد لمن حجّ وقبّله بأداء فرضه. سماءُ الدعاء، وحَرَمُ تحريم الدماء. يأمن به الحَمَام ساكنا، ومَنْ دَخَلَه كان آمِنا][1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[2].

وعن أبي ذرّ الغفاريّ. قال: «قلتُ يا رسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاريّ، وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد»[3].

قال ابن جرير الطبريّ[4]: اِختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ / ٦٢/ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[5] فقال بعضهم: تأويله «إن أوّل بيت وُضع للناس يُعبَد الله فيه مباركا وهدًى للعالَمين لَلَّذي ببكَّة». قالوا: وليس هو أوّل بيت وضع في الأرض، لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسندَ هذا القول عن عليّ بن أبي طالب والحسن ومَطَرٍ وسعيد (وأظنه ابن جُبير) ثم قال: وقال آخرون: بل هو أوّل بيت وضع للناس. واختلف هؤلاء في صفة وضعه أوَّلَ. فقال بعضهم: خلقه قبل الأرض، ثم دُحيت الأرض من تحته. وأُسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفَيْ سنة، وكان عرشه على الماء على زَبَدة بيضاء، فدُحيت الأرض من تحته. ونحوه عن مجاهد وَقَتادة والسُّدِّيّ. وقال آخرون: موضع الكعبة موضع أوّل بيت وضعه الله في الأرض. وأُسند عن قتادة. قال: ذُكر لنا أن البيت هبط مع آدم. وحين أُهبِطَ قال الله: أُهبِطَ قال الله: أُهبِطُ معك بيتي يُطاف به كما يُطاف حول عرشي. فطاف حوله آدم ومَن كان بعدة من المؤمنين. حتّى إذا كان زمن الطوفان، رفعه الله وطهّره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض. فصار معمورا في السماء. ثم إن إبراهيم تتبع منه أثرا بعد ذلك، فبناه على أساس قديم كان قبله. وقوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعني للبيتُ الذي ببكّة.

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦ -٩٧.
(٣) صحيح البخاري رقم١٣٨٦، ٣٢٤٣.
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

قال الزمخشريّ[١]: وهو عَلَم للبلد الحرام. ومكّة وبكّة لغتان. وقيل: مكّة البلدُ، وبكّة موضعُ المسجد. وقيل: بكّة موضعُ البيت، ومكّة ما حوله. وقيل: بكّة البيتُ والمسجدُ، ومكّة الحرم كلُّه.

وقال عطاء بن أبي رباح: وُجِّه آدم إلى بكّة حين استوحش. فشكا ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه. فلما انتهى إلى بكّة، أنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة. فكانت على موضع البيت الآن. فلم يزل يطوف به حتّى أنزل الله الطوفان، فرُفعت تلك الياقوتة. حتّى بعث الله عزّ وجلّ إبراهيم فبناه. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ /٦٣/ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[٢] رواه أبو عروبة.

وروى أبو الوليد الأزرقيّ[٣] بسنده عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قال: «إن الله ـ تبارك وتعالى ـ بعث ملائكة، فقال: ابنوا لي بناءً في الأرض تِمثالَ البيت وقدْرَه. وأمر الله مَن في الأرض من خلقه أن يطوفوا به، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. قال: وكان هذا قبل خلق آدم، عليه السلام. والله أعلم!

وقيل: إن آدم أوّل مَن بناها. وقيل شيث بن آدم. وكانت قبل بنائه خيمةً من ياقوتة حمراء، يطوف بها آدم».

وروى سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتَادة، قال[٤]: ذُكر لنا أن قواعد البيت من حِراء؛ وذُكر لنا أن البيت من خمسة أجبل: حِراء ولُبنان والجُوديّ وطور سينا وطورزَيْتا.

وقال ابن جُرَيجْ: بُني أساس البيت من خمسة أجبل. (فذكر مثله).

وحكى السُّهَيْلي[٥] أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم (عليه السلام) بالحجارة. وقيل رُفعت الكعبة في الطوفان وأودع الحجر الأسود أبا قُبَيس. وبقي موضعها ربوةً، حجها هود وصالح. فيقال إن يَعرُب قال لهود: ألا تبنيه؟ قال إنما يبنيه نبيٌّ يتخذه الله خليلا. ولما بناه إبراهيم دلّته عليه السكينة. وكانت تنزل عليه كالحَجَفة.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٢) سورة الحج: الآية ٢٦.
(٣) محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أبو الوليد الأزرقي، مؤرخ، يماني في الأصل، من أهل مكة، له: «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ـ ط» جزءان. توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ/ ٨٥٩م
ترجمته في: اللباب لابن الأثير ١/ ٣٧، الفهرست ١١٢، مفتاح السعادة ٢/ ١٥٤، الأعلام ٦/ ٢٢٢.
والنقل مختصراً عن كتابه أخبار مكة ١/ ٣٣ـ ٣٤.
(٤) أخبار مكة ١/ ٦٣.
(٥) الروض الانف ١/ ٢٢٣.

وقال الأزرقيّ[١]: لما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة، جَعل طُولَ بنائها في السماء تسعة أذرع، وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً. وكانت غير مسقوفة. ثم بنتها قريش في الجاهلية. فزادت في طولها في السماء تسعة أذرع. فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعا. ونقصوا من طولها في الأرض ستة أذرع وشبرا، تركوها في الحِجْر.

ولم تزل كذلك حتّى كان زمن عبد الله بن الزبير، فهدمها وبناها على قواعد إبراهيم، وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع. فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا. ثم بناها الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ، فلم يغير ارتفاعها. ونقض الحِجر وأعاده / ٦٤/ كما كان في الجاهلية.

واعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات[٢]:

إحداهنّ: بناء الملائكة أو آدم أو شيث، على ما تقدّم.

الثانية: بناء إبراهيم.

الثالثة: بناء قريش. والسبب في ذلك أن الكعبة استهدّمت، فكانت فوق القامة. فأرادوا تعليتها. وكان بابها لاصقاً بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جُرْهُم إلى أن بنتها قريش. فقال أبو حذيفة بن المغيرة: يا قوم! ارفعوا باب الكعبة، حتّى لا يدخلها أحد إلا بسُلَّم! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم. فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار نكالا لمن يراه. فَرفعتْ بابها، وجَعلتْ لها سقفا، ولم يكن لها سقف. وزادت ارتفاعها، كما تقدّم. وكان عمر النبيّ (ﷺ) إذ ذاك خمساً وعشرين سنة، وقيل خمساً وثلاثين. فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم، كما ثبت في الصحيح. وتنافست قريش فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الركن. ثم رضوا بأن يضعه النبيّ ﷺ.

الرابعة: بناء عبد الله بن الزبير. والسبب في ذلك على ما ذكر السهيليّ، أن امرأة أرادت أن تُجمّر الكعبة، فطارت شررة من المجمرة في أستارها. فاحترقت. وقيل طارت شررة من أبي قبيس، فوقعت في أستار الكعبة، فاحترقت. فشاور ابن الزبير مَن حضره في هدمها. فهابوا ذلك، وقالوا: نرى أن يُصلَح ما وهى منها ولا تُهدَم. فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح، ولا يكمُلُ إصلاحُها إلا بهدمها.

---

(١) أخبار مكة ١/ ٦٤- ٦٥، ٢٨٨- ٢٨٩.

(٢) أخبار مكة ١/ ٢٢١- ٢٢٢ .

فهدمها حتّى أفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر، فحرّكوا حجراً منها، فرأوْا تحته نارا وهَوْلاً أفزعهم، فبنَوْا على القواعد.

وفي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد. فطاف الناس بتلك الستارة. ولم تخل من طائفٍ. حتى لقد ذُكر أن يومَ قتل ابن الزبير، اشتدّ الحرب وشُغِل الناس حينئذ، فلم يُرَ طائف يطوف / ٦٥/ بها إلا جَمَلٌ. وتمم بناءها وألصق بابها الأرض. وعمل لها خَلْفاً أي بابا من ورائها وأدخل الحِجْر فيها. وذلك لأن خالته عائشة (رضي الله عنها) حدّثته أن رسول الله (ﷺ) قال: ألم تَرَيْ أن قومَكِ قصرت بهم النفقة حين بَنَوُا الكعبة، فاقتصروا على قواعد إبراهيم. ثم قالَ: لولا حدّثان قومك بالجاهلية، لهدمتُها وجعلتُ لها خَلْفاً، وألصقتُ بابها الأرض، وأدخلتُ فيها الحِجْر. فقال ابن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة. فبناها على مقتضى حديث عائشة.

وحكى أبو الوليد الأزرقيّ أنه لما عزم على هدمها، خرج أهل مكة إلى مِنًى. فأقاموا بها ثلاثا. خوفا أن ينزل عليهم عذابٌ لهدمها. فأمر ابن الزبير بهدمها. فما اجترأ على ذلك أحدٌ. فعلاها بنفسه وأخذ المِعْوَل وجعل يهدمها ويرمي أحجارها. فلما رأَوْا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا. فلما تمّ بناؤها، خلّقها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القَبَاطِيّ. وقال: مَن كانت لي عليه طاعة، فلْيخرجْ فلْيعتمرْ من التنعيم، ومَن قدر أن ينحر بَدَنَةً فلْيفعلْ، ومَن لم يقدر فليذبح شاة، ومَن لم يقدر عليها فليتصدّق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشيا، وخرج الناس مشاة. فاعتمروا من التنعيم، شكراً لله تعالى. فلم يُرَ يومٌ أكثر عتيقاً وبَدَنَةً منحورة وشاةَ مذبوحة وصدقةً من ذلك اليوم. ونحر ابن الزبير مائة بَدَنة.

قال السُّهَيْليّ: ولما قام عبد الملك بن مرْوان في الخلافة، قال: لسنا من تخليط أبي خُبَيب بشيء (يعني عبد الله بن الزبير). فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ إلا في ارتفاعها. ثم جاءه الحارث بن أبي ربيعة المخزوميّ ومعه رجل آخر، فحدّثاه عن عائشة عن رسول الله ﷺ بالحديث المتقدّم، فندم وجعل ينكت بِمخْصَرَة في يده الأرضَ، ويقول: «وَدِدْتُ أَني تركت /٦٦/ أبا خُبَيْب، وما تحمّل من ذلك».

وتولّى البناء ـ في زمن عبد الملك بن مروان ـ الحجاجُ بن يوسف الثقفيّ. وهو البناء الخامس الموجود الآن.

[والذي هدمه الحجاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركنين، وسدّ الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسدُّه بيِّنٌ إلى الآن. وجعل في الحِجْر من البيت دون سبعة أذرع. وعلامة

ذلك في داخل الحجر لَوْحانِ من مرمَرٍ منقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعاً][١].

وقيل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير الخمس.

إحداهما بناء العمالقة بعد إبراهيم، والثانية بناء جُرْهم بعد العمالقة.

قال السهيليّ[٢]: إنما كان ذلك إصلاحا لما وَهى منه؛ لأن السيل كان قد صدعَ حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العمالقة وجُرْهُم إلى أن انقرضوا. وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم؛ لكثرتهم بعد القِلَّة، وعزهم بعد الذِّلة. وكان أوّلَ من جدّد بناءها، بعد إبراهيم، قُصَيُّ بن كلاب. وسقَفها بخشب الدَّوْم وجريد النخل.

وروى الطبرانيّ[٣] عن أبي سعيد الخُدريّ ـ مرفوعاً ـ أن أوّل من جدّد الكعبة بعد كلاب بن مُرّة، قُصَيٌّ.

وحكى السُّهَيْليّ[٤] أن أوّل مَن اتخذ للكعبة غَلَقاَ تُبَّعٌ. ثم ضرب لها عبد المطلب بابا من حديد، وهي الأسياف القَلْعية التي كانت مع الغَزَالَيْنِ الذهب. وهو ما استخرجه عبد المطلب من بئر زمزم، لما احتفرها بعد ما طمّها الحارث بن مُضَاضَ، لما أخرج الله جرهُمَ من مكة بسبب إحداثهم في الحَرَم واستخفافهم بالحُرَم وبَغْي بعضهم على بعض. فتغوّر ماء زمزم. وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غَزَالان من ذهب وأسياف قَلْعية، كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابورُ. وجاء تحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفَّى عليها. ولم تزل دارسةً حتّى حفرها عبد المطلب واستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

واتخذ عبد المطلب من الغزالين المذكورين حلية للكعبة. فهو أوّل ذهب حُلِّيَت به الكعبة.

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد الله القَسْريّ بستة وثلاثين ألف /٦٧/ دينار. فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطين التي في جوفها، وعلى

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) الروض الأنف ١/ ٢٢٢.
(٣) الروض الأنف ١/ ١٧٢، أخبار مكة ١/ ٢١١ـ ٢١٢.
(٤) الروض الأنف ١/ ٢٢٤.

الأركان. وهو أوّل من ذهَّب البيت في الإسلام.

وذكر السُّهَيْليّ[(١)] أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود (عليهما السلام) من ذهب وفضة، حُمل إليه من طُلَيْطُلة، من جزيرة الأندلس. وكانت لها أطواق من زبرجد وياقوت. وكانت قد احْتُملت على بغلٍ قويٍّ، فتفسَّخ تحتها.

ثم لما آلت الخلافة إلى الأمين، رُفع إليه أنّ الذهب الذي عمله الوليد قد رَقَّ. فأرسل إلى عامله على ضواحي مكة، سالِم بن الجرّاح، بثمانية عشر ألف دينار ليضربها صفائح على باب الكعبة. فقُلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها ثمانية عشر ألف دينار. وضَرَب الصفائح والمسامير وحَلْقَتي الباب والعتبة. فالذي كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

قلتُ: ثم جُدّد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقى الله عهدها. عُمِل بمصر مُصَفَّحاً بالفضة. وأنا كتبتُ نسخة ما كُتب عليه. وجُهِّز به بَرسْ بُغا الناصريّ.

قال الأزرقيّ[(٢)]: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر في جوفها. فوزَّر به جُدْرانها، وفرشها بالرخام. فجميع ما في الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد. وهو أوّل من فرشها بالرخام وأزَّر به جدرانها.

قلتُ: ثم تقلَّع غالب ذلك. وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر يوسف بن عمر بن رسول[(٣)]، صاحب اليمن. واسمه في الرخام داخل الكعبة، حيث

---

(١) الروض الأنف١/ ٢٢٤، أخبار مكة١/ ٢١٢.

(٢) أخبار مكة ١/ ٢١٢ـ ٢١٣.

(٣) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن علي بن رسول التركماني اليمني، شمس الدين: ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن. وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. وولي بعد مقتل أبيه (سنة ٦٤٧هـ) بصنعاء. وأحسن صيانة الملك وسياسته. وقامت في أيامه فتن وحروب، فخرج منها ظافراً. وكانوا يشبهونه بمعاوية، في حزمه وتدبيره. وطالت مدته. واستمر إلى أن توفي بقلعة تعز سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. قال ابن الفرات: «كان جواداً عفيفاً عن أموال الرعايا، حسن السيرة فيهم» وهو أول من كسا الكعبة من داخلها وخارجها (سنة ٦٥٩) بعد انقطاع ورودها من بغداد (سنة ٦٥٥) بسبب دخول المغول بغداد. وبقيت كسوته الداخلية إلى سنة ٧٦١ ولا يزال على أحد الألواح الرخامية في داخل الكعبة إلى اليوم، النص الآتي: «أمر بتجديد رخام هذا البيت المعظم، العبد الفقير إلى رحمة ربه وأنعمه، يوسف بن عمر بن علي بن رسول. اللهم أيده بعزيز نصرك واغفر له ذنوبه برحمتك يا كريم يا غفار، بتاريخ سنة ثمانين وستمائة» وكانت له عناية بالاطلاع على كتب الطب والفنون، ومعرفة بالحديث، فصنف «المعتمد في الأدوية المفردة =

يُصلِّي المُصلِّي، بين العمودين تُجاه وجهه في الجدار المتصل بالركن اليمانيّ.

واختلف أهل السِّيَر في أوّل من كسا الكعبة الديباج.

فقال ابن إسحق[١]: هو الحجاج بن يوسف. وقال ابن بَكَّار: هو عبد الله بن الزبير.

/٦٨/ وقال الماورديّ: أوّل من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة تحمل البز، وأخذ فيها أنماطا، فعلقها على الكعبة.

وذكر جماعة ـ منهم الدارَقُطنيّ ـ أن نُتَيْلة بنت جناب أُمَّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلَّت العباس صغيرا. فنذرت إن وجدته أن تكسوَ الكعبةَ الديباجَ.

وحكى الأزرقيّ[٢] أنّ معاوية كسا الكعبةَ الديباجَ. قال: وكانت تُكسى يوم عاشوراء. ثم إن معاوية كساها مرتين.

ثم كساها المأمون ثلاث مرات[٣]. فكان يكسوها الديباجَ الأحمر يوم التروية، والقَبَاطيَّ يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر يتخرّق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج الأبيض. ففعله.

قلتُ: وهي الآن تُكسى في العام مرةً واحدةً في وقت الموسم. وتحمل إليها الكسوة من الخِزانة السلطانية بالديار المصرية، صحبةَ الركب. فيتولّى ذلك أُمراءُ الركب. ويحضرون بأنفسهم فتُكسى، ويأخذ الأشراف وبنو شيبة الكسوةَ العتيقةَ ويقتسمونها. ويأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتحمل إلى سائر البلاد للبركة.

= ـ خ» و«العقد النفيس في مفاكهة الجليس ـ خ» في خزانة مجلس الشورى الوطني بطهران و«البيان في كشف علم الطب للعيان ـ خ» مجلدان ضخمان في خزانة العبيكان بالطائف، وجمع لنفسه «أربعين حديثاً» كما يقول ابن كثير.

وفي أنباء الزمن: «قال الإمام المطهر بن يحيى حين بلغة خبر وفاته: مات التُبّع الأكبر، مات معاوية الزمان، مات من كانت أقلامه تكسر رماحنا وسيوفنا».

ترجمته في: العقوداللؤلؤية١/ ٥٠، ٨٥، ٨٨ـ ٢٨٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٠، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٢٠٢، البداية والنهاية ١٣/ ٣٤١، النجوم الزاهرة ٨/ ٧١، تاريخ الكعبة لباسلامة ١٤٠، الأعلام ٨/ ٣٤٢ـ ٢٤٢م.

(١) أخبار مكة ١/ ٢٥٢ـ ٢٥٥.

(٢) أخبار مكة ١/ ٢٥٤.

(٣) أخبار مكة ١/ ٢٥٦.

[وعهدي بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تحت الكسوة المصرية. وهما سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات جاءت في القرآن في ذكر الكعبة][١].

ولما حججتُ سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، صعدتُ أنا وأمراء الركب المصريّ لتلبيس الكعبة الشريفة، حتّى كنّا على سطحها. فرأيتُه مبلَّطا بالمرمر والرخام الأبيض. ومن جوانبه جُدُرٌ قصارٌ فيها حلَقٌ لمرابط الستور، تُجرّ فيها الكسوة بحبال، ثم تُربط في تلك الحِلَق.

وأنا أحمدُ الله، إذ بيدي توليتُ خلع الكسوة العتيقة عنها، وتلبيسها الكسوة الجديدة.

وحُمِلَت الكسوة العتيقة في تلك السنة إلى السلطان / ٦٩/ بمصر، لتُجَهَّز إلى السلطان أبي الحسن المرِينيّ[٢] مع ما يُجهَّز عوضَ هدية بعثها في هذه السنة، صحبة مريمَ زوجة أبيه وعريف السُّوَيْدي وجماعة من أكابر دولته. وعُوِّض بنو شيبة والأشراف عنها من بيت المال بمصر.

والعادة جارية أن تغسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من ذي القعدة، وتُشمَّر ستورها. وتُلَبَّس يومَ الأضحى، وتغسل بماء الورد عند عود الركب من مِنًى، أوانَ مُنصَرَمهم وكلُّ ذلك حضرتُه في هذه السنة وتوليتُه بيدي. ولله الحمد!

وأما أوّل مَن كسا الكعبة مطلقاً:

فحكى الأزرقيّ[٣] عن ابن جُرَيج أن تُبَّعاً أوّلُ مَن كسا الكعبة كسوة كاملة. أُرِيَ في المنام أنْ يكسوها. فكساها الأنطاعَ. ثم أُرِيَ أن يكسوها الوصائلَ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني ، أبو الحسن، قاضٍ حنفي، من علماء الحديث واللغة، من أهل مصر ولد سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وتوفي سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، له كتب منها: «المنتخب» في علوم الحديث، و«المؤتلف والمختلف» و«كتاب الضعفاء والمتروكين» و«بهجة الأديب ـ خ» في غريب القرآن، «والجوهر النقي في الرد على البيهقي ـ ط» و«تخريج أحاديث الهداية».

ترجمته في: الفوائد البهية ١٢٣، النجوم الزاهرة١٠/ ٢٤٦، معجم المطبوعات ٥٠، الأعلام ٤/ ٣١١.

(٣) أخبار مكة ١/ ٢٤٩.

فكساها. وهي ثيابُ حِبَرةٍ من عَصْب ثم كساها الناس بعده في الجاهلية.

قال السهيليّ[١]: ويُروى أن تُبَّعاً لما كساها المُسُوح والأنطاع، انتفض البيتُ. فزال ذلك عنه حين كساها الخَصَف، وهي ثياب غلاظ. فلما كساها المُلآءَ والوصائِلَ (وهي ثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة)، قبلته. ذكره قاسم في «الدلائل».

وروى الأزرقيّ[٢] بأسانيد متفرّقة، أن النبيّ ﷺ كسا الكعبة. ثم كساها أبو بكر. وكساها عمر من بيت المال القَبَاطيَّ. وكساها عثمان، ومعاوية، وعبدالله بن الزبير، ومَن بعدهم.

وقال تُبَّع لما كسا البيتَ[٣]: [من الخفيف]

وكَسَونا البيتَ الَّذِي حرَّمَ اللهُ مُلاءً مُعَضَّدا وبُرُودا
فأقَمنَا بهِ مِنَ الشهرِ عَشْراً وجعلنا لِبَابِهِ إقْلِيدا
ونَحَرْنا بالشِّعبِ سِتَّةَ ألْفٍ فترى الناسَ نحوّهنّ وُرُودا
ثُمَّ سِرْنا عنه نؤُمُّ سَهيْلا فرفَعْنا لِواءَنا مَعْقُودا

/ ٧٠/ وأما صفة الكعبة[٤]:

فاعلم أن الكعبةَ، البيتَ الحرامَ، مُرَبَّعةُ البنيان في وسط المسجد. ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعا؛ وعرض الجدار، وجِهْتُها الآن، أربعة وعشرون ذراعا، وهو الذي فيه بابها؛ وعرض مؤخرها مثل ذلك؛ وعرض جدارها الذي يلي اليمن - وهو فيما بين الركن اليمانيّ والركن العراقيّ، وهو الذي فيه الحجر الأسود - عشرون ذراعا. وإلى وسط هذا الجدار كان يصلي النبيّ ﷺ قبله هجرته إلى المدينة. وعرض جدارها الذي يلي الشام، وهو الذي فيما بين الركن الشاميّ والركن الغربيّ، أحد وعشرون ذراعا؛ وميزاب الكعبة على وسطه يسكب في الحِجر. ومن أصل هذا الجدار إلى أقصى الجدار ستة عشر ذراعا.

وعرض باب الحِجر الشاميّ خمسة أذرع إلا شيء يسير؛ وعرض بابه الغربيّ ستة أذرع إلا شيء يسير؛ وجدار الحِجر مدوَّر من بابه الشاميّ إلى بابه الغربيّ، كالطيلسان.

---

(١) الروض الأنف ١/ ٤٠. (٢) أخبار مكة ١/ ٢٥٢ وما بعدها.

(٣) منها ٣ أبيات في أخبار مكة ١/ ٢٥٠، والقصيدة كاملة في ملوك حمير وأقيال اليمن لنشوان الحميري ١٣٤ - ١٣٥ مع اختلاف يسير.

(٤) أخبار مكة ١/ ٢٨٩.

وعرضه ذراع؛ وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار.

والحجر الأسود، في الركن العراقيّ المقابل لزمزم. هو [على] سبعة أشبار من الأرض.

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض؛ وعلوّه ستة أذرع؛ وعرضه أربعة أذرع.

وما بين الباب والحَجَر الأسود أربعة أذرع. ويسمى ذلك الموضع المُلْتَزَم؛ لأن رسول الله ﷺ حين فَرغ من طوافه التزمه ودعا فيه، ثم التفت فرأى عمر، فقال[١]: «هاهنا تُسكب العَبَرات».

ومن الباب إلى مُصَلّى آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلوق، ومن إزاز الكعبة، أرجحُ من سبعة أذرع. وكان هناك موضع مقام إبراهيم ﷺ.

وصلى النبيّ ﷺ عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، / ٧١/ وأنزل الله تعالى عليه: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾[٢]. ثم نقله ﷺ إلى الموضع الذي هو فيه الآن. وذلك على عشرين ذراعا من الكعبة؛ لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويُرى الإمام من وجهه. ثم حمله السيل في أيام عمر وأخرجه من المسجد. فأمر عمر بردّه إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ.

وبَيْن موضع الخلوق ـ وهو مصلّى آدم عليه السلام ـ وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

ومن الركن الشاميّ إلى اللوح المرمر المنقوش في الحِجر الذي بنى هناك ابنُ الزبير ركنَ البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعةُ أذرع.

وفيما بين الحِجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا ويسمّى ذلك الحطيم، لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها؛ وقيل: لأنه حُطِم من البيت؛ وقيل: لأن من حلف هناك كاذبا انحطم دينه ودنياه.

وما بين الركن العراقيّ (وهو الذي فيه الحَجَر الأسود) إلى مصلى النبيّ ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، عشرة أذرع. وكان يستقبل بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس. ولهذا لم يَبِنْ توجُّهه إلى بيت المقدس إلا لما هاجر إلى المدينة.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، رقم ٢٩٤٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

وبين الركن اليمانيّ وبين الباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع. ويسمّى ذلك الموضع المستجار من الذنوب. وعَرْض الباب خمسة أذرع، وارتفاعه سبعة أذرع. وبينه وبين الركن الغربيّ ثلاثة عشر ذراعاً.

وبين الركن الغربيّ وآخر قواعد إبراهيم ـ وهناك اللوح المرمر المنقوش ـ أزيدُ من سبعة أذرع. وإلى هناك بنى ابن الزبير.

وقد قدّمنا أن ارتفاع الكعبة في الهواء سبعة وعشرون ذراعاً.

/ ٧٢/ وأما صفة المسجد الحرام المحيط بالكعبة فنقول: قد ذكر الأزرقيّ والماوردي والسُّهَيْليّ[١] وغيرهم، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض:

كان المسجد الحرام، أعني المحيط بالكعبة فِناءً لها وفضاء للطائفين. ولم يكن له على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر جدارٌ يحيط به. فضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها. وكانت الدور مُحْدِقة بالكعبة. وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية.

فلما استُخلف عمر، وكثر الناس، قال: «لا بدَّ لبيت الله من فِناء! وإنكم دخلتم عليهم ولم يدخل عليكم». فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد.

واتخذ للمسجد جدارا قصيرا، دون القامة. وكانت القناديل توضع عليه. وكان عمر أوّل من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

ثم لما استخلف عثمان، ابتاع منازل ووسعه بها. وبنى الأروقة للمسجد، فيما ذكر الأزرقيّ والماوَرْدِيّ وغيرهما إن ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة. واشترى دورا، من جملْتها بعض دار الأزرق، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار. وجعل فيها عُمُدا من الرُّخام.

ثم عمره عبد الملك بن مروان؛ ولم يزد فيه، لكن رفع جداره، وجلب إليه السواري في البحر إلى جُدَّة؛ وسقفه بالساج. وعمَّره عمارة حسنة.

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُّخام.

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

---

(١) انظر: أخبار مكة ٢/ ٦٨ وما بعدها؛ أخبار مكة للفاكهي ٢/ ١٥٧، الأحكام السلطانية ١٤٠، شفاء الغرام ١/ ٢٢٤، إتحاف الورى ٢/ ٨، الروض الأنف١/ ٢٢٤.

وزاد فيه المهديّ مرتين: إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها تُوُفِّي المهديّ واستقرّ بناؤه إلى الآن.

وأما الرواق فنقول: إن له سقفين، أحدهما فوق الآخر؛ وبينهما فرجةٌ قدر الذراعين، أو نحوهما فأما الأعلى منه، فسطوحه فرش مسقف بالدَّوْم اليماني / ٧٣/ وأما الأسفل منهما، فهو مسقوفٌ بالساج، مزخرفٌ بالذهب.

وعدد أساطينه [وذلك من الرخام والحجر الأبيض، سوى ما جُدّد في دار النَّدْوة وسوق الحنطة] أربعُمائةٍ وأربعٌ وثمانون أُسطوانة. بين كل أُسطوانتين ستة أذرع: منها في الجانب الشرقيّ الذي يلي المسعى مائة أُسطوانة وثلاث أساطين؛ وفي الجانب الشماليّ مما يلي الصفا مائة أُسطوانة وإحدى وأربعون أُسطوانة؛ وفي الجانب الغربيّ مائة أُسطوانة وخمس أساطينَ؛ وفي الجانب الشاميّ الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أُسطوانة.

وفي وسط هذا الشِّق أو نحوه الذي يلي المسجد ساريةٌ خمسُ أساطين: ذُكر أنها كانت ليهوديّة فسامها النبيّ ﷺ فيها، فأبَتْ بيعها إلا بوزنها ذهبا؛ ففعل النبي ﷺ ذلك، فوُضعت في ميزانٍ، ووضع مثقال واحد فرجح المثقال ببركة رسول الله ﷺ.

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ستٌّ؛ ومن ناحية الوادي والصفا عشرٌ؛ ومن ناحية بني جُمَح أربعٌ؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان.

وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أُسطوانة بالحجارة مبَيَّضة، وطول كلّ أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذَرْع ما بين كلّ أُسطوانتين ستةُ أذرع ونصفٌ.

وعدد طاقاته وهي الحنّايا المعقودة على الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقا، سوى ما في دار الندوة.

وذَرْع المسجد الحرام من باب بني جُمَح إلى باب العباس، الذي عند العَلَم الأخضر، ويعرف بباب بني هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع؛ وعَرْضه ما بين دار الندوة إلى باب الصفا ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذَرْع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقيّ الذي يلي المسعى مائتا ذراع وثلاثة عشر ذراعاً؛ / ٧٤/ ومن وسط جدار الكعبة الغربيّ إلى جدار المسجد الغربيّ الذي

يلي بني جُمَح مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعاً؛ ومن وسط جدار الكعبة الجنوبيّ إلى جدار المسجد الذي يلي الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعاً؛ ومن وسط جدار الكعبة الشماليّ الذي يلي الحِجر إلى جدار المسجد الذي يلي الندوة مائة ذراع وتسعة وثلاثون ذراعاً؛ ومن ركن الكعبة العراقيّ، ويقال له الشاميّ، إلى المَنَارة التي تلي المَرْوَة مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعاً؛ ومن ركن الكعبة الشاميّ ويقال له الغربيّ إلى المنارة التي تلي بابِ بني سهم [وهو باب العُمْرة] مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعاً؛ ومن الركن اليمانيّ إلى المنارة التي تلي أجيادَ الكبرى وبين الحزَوَّرة مائتا ذراع وثمانية أذرع؛ ومن الركن الأسود إلى المنارة مستمرةً تَلي المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا ذراع وثمانية وعشرون ذراعاً.

وارتفاع جداره في السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعاً؛ ومما يلي الوادي والصفا اثنان وعشرون ذراعاً؛ ومما يلي بني جُمَح اثنان وعشرون ذراعاً؛ ومما يلي دار الندوة سبعة عشر ذراعاً ونصف.

وعدد شُرُفاته من داخله وخارجه، أربعمائة وخمس وتسعون شُرَّافة. هذا من خارجه وعددها من داخله أربعمائة وثمان وتسعون شُرَّافة فجميعها ألف شُرَّافة إلا سبع شُرَّافات.

واعلم أن المسجد الحرام يطلقُ ويراد به عينُ الكعبة، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(١). إذ لم يقل أحد من المسلمين بالاكتفاء بالتوجه إلى استقبال المسجد المحيط بالكعبة. وهذا هو أصل حقيقة اللفظ، وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾(٢) وبقوله ﷺ لما سأله أبو ذرّ عن أوّلِ / ٧٥/ مَسجدٍ وُضِعَ أَوَّلَ، قال(٣): «المَسجدُ الحرامُ».

وقد يُطلَق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة. وهو الغالب في الاستعمال على وجه التغليب المجازيّ، كما في قوله ﷺ(٤): «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من أَلْفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرامَ». وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ

---

(١) سورة البقرة: الآية١٤٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٦.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، رقم ٢٩٤٥.
(٤) صحيح مسلم ٩/ ١٦٣، مسند أحمد ٢/ ٢٧٧ـ ٢٢٨.

بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[1]. على قول مَن روى أنه كان نائماً في المسجد المحيط بالكعبة.

وقد يُطلق المسجدُ الحرامُ ويراد به مكةُ أو الحرم بكماله، على قول مَن يقول: إن المراد بالمسجد الحرام مكةُ؛ لأنه ﷺ كان نائماً في بيت أُمِّ هانىء لما أُسْرِي به، وكما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2]. على قول مَن يقول: إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكماله.

وهذا كله على وجه التغليب المجازيّ. ولا ريب فيه. وإلا يلزم الاشتراكُ في موضوع المسجد الحرام. والمجاز أولى منه. واللهأعلم.

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سُقْيَا إسماعيل، وهَزْمَةُ رُوح القدس جبريلَ؛ طعامُ طُعْم، وشفاء سقم، لا تنزِف ولا تُذَم، ولا يتوجه إليها ذَم؛ لقيّة عبد المطلب، ودليل سُوَدده ولا كذب. وفي الحديث[3]: «ماءُ زمزمَ لِمَا شُرب له».

قال السُّهَيْليّ[4]: كانت زمزم سُقْيَا إسماعيل بن إبراهيم. فَجَرَها له رُوح القدس بعقبه. وفي ذلك إشارة إلى أنها لعقب إسماعيل، ورّاثه، وهو محمد وأُمَّته ﷺ». والقصة في ذلك معروفة.

وتلخيصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما احتمل إسماعيل وأُمَّه هاجَرَ إلى مكة، احتمل معه لهما قربةَ ماء ومِزْود تمر. وتركهما بمكة وعاد. فلما فرغ التمر والماء عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل ينشغ للموت، جعلت هاجَرُ تسعى من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا، لترى أحداً. حتّى سمعت صوتاً/ ٧٦/ عند الصبيّ.

فقالت: قد أسمعتَ، إنْ كان عندك غوث. ثم جاءت الصبيّ. فإذا الماء ينبَع من تحت خدّه. فجعلت تغرِف بيديها، وتجعل في القربة. وسيأتي بعد ذلك له خبر. قال النبيّ ﷺ لو تركَتْه لكان عينا (أو قال: نهراً معيناً).

قال الحربيّ[5]: سميتْ زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١. (٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) سنن ابن ماجه رقم ٣٠٥٣، مسند أحمد رقم ١٤٣٢٠، أخبار مكة ٢/ ٥٠.

(٤) الروض الأنف ١/ ١٦٦.

(٥) ابراهيم بن اسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق: من أعلام المحدثين. أصله من مرو، ولد سنة ١٩٨هـ/ ٨١٥م واشتهر وتوفي ببغداد، سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م ونسبته إلى محله فيها. كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام، قيماً بالأدب، زاهداً، أرسل إليه المعتضد ألف دينار فردها. تفقه على الإمام أحمد، وصنف كتباً كثيرة منها «غريب الحديث ـ خ» =

وقال المسعوديّ[١]: سميتْ زمزم؛ لأن الفُرس كانت تحجّ إليها في الزمن الأول، فتُزَمزم عندها. والزمزمة صوت تُخرِجه الفُرس من خياشيمها، عند شرب الماء. وأنشد المسعودي: [من السريع]

زمزمت الفُرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقيّ[٢] عن ابن عباس: أنها سميتْ زمزم؛ لأنها زُمَّت بالتراب، لئلا يسيح الماء يمينا وشمالا؛ ولو تركت لساحت على الأرض، حتى تملأ كل شيء.

وقد ذكرنا طمّ الحارث بنُ مضاض إيَّاها. ولم تزل دارسة، حتّى أُرِيَ عبد المطلب أنِ احفُرْ طِيبَةَ. فسُمِّيتْ طيبة، لأنها للطِيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقيل له: احفُرْ بَرَّة. وقيل: احفر المضنونة، ضَنَنْتُ بها على الناس إلا عليك. ودُلَّ عليها بعلامات ثلاث: بنقرة الغراب الأعصم، وأنها بين الفرث والدم، وعند قرية النمل.

ورُوي أنه لما قام ليحفُرها، رأى ما رُسِم له من قرية النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم. فبينا هو كذلك، ندّتْ بقرةٌ لجازرها، فلم يدركها حتّى دخلت المسجد الحرام، فنحرها في الموضع الذي رُسِم له. فسال هناك الفرث والدم. فحفر عبد المطلب حيث رُسِم له.

= الجزء الخامس منه وهو الأخير (كما في تعليقات عبيد) و«إكرام الضيف ـ ط» و«مناسك الحج ـ ط» رجّح الاستاذ حمد الجاسر نسبته إليه، وصدّره بكتاب آخر في سيرته وأخباره و«سجود القرآن» و«الهدايا والسنة فيها» و«الحمام وآدابه» و«دلائل النبوة» وكان عنده اثنا عشر ألف جزء، في اللغة وغريب الحديث، كتبها بخطه.

ترجمته في: تذكرة الحفاظ٢/ ١٤٧ وإرشاد الأريب ١/ ٣٧ وصفة الصفوة ٢/ ٢٢٨ وطبقات ابن أبي يعلى ١/ ٨٦ وتاريخ بغداد ٦/ ٢٧ واللباب ١/ ٢٩٠ والفوات ١/ ٣ ونزهة الألبا ٢٧٦، الاعلام ١/ ٣٢.

(١) مروج الذهب١/ ٢٨٣.

(٢) أحمد بن محمد بن خالد، أبو جعفر ابن أبي عبد الله البرقي: باحث إمامي. من أهل برقة (من قرى قم)، أصله من الكوفة توفي سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م. له نحو مئة كتاب. منها «المحاسن ـ ط» جزآن. في الفقه والآداب الشرعية. و«البلدان» و«اختلاف الحديث» و«الأنساب» و«أخبار الأمم» و«الرجال ـ ط» في مكتبة الدراسات العليا ببغداد.

ترجمته في: أعيان الشيعة ٩/ ٣٩٩ ومنهج المقال ٤٢ والنجاشي ٥٥ وفيه: نسبته إلى مدينة «برق رود» يقول الزركلي: أو «بروقة رود» كما في ضوء المشكاة ـ خ ـ ومخطوطات الدراسات العليا الرقم ١٣٨٤، الأعلام ١/ ٢٠٥.

وقيل لعبد المطلب في صفتها: إنها لا تنزِف أبداً. وهذا برهان عظيم؛ لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط. وقد وقع فيها حبشيٌّ فنُزِحَتْ من أجله. فوجدوا ماءها/ ٧٧/ يثور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماءً عينٌ من ناحية الحجر الأسود. رواه الدارقطنيّ. وروى الدارقطنيّ أيضاً مسنداً عن النبيّ ﷺ: «مَن شرب من ماء زمزم، فليتضلَّعْ، فإنه فرْقُ ما بيننا وبين المنافقين. لا يستطيعون أن يتضلّعوا منها». أو كما قال. ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال[1]: «ماءُ زمزمَ لما شُرِب له».

ورُوي أن أبا ذر تقوّت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتّى تكّسرت عُكَنُهُ[2].

وذكر الزُّهْريّ[3] في سِيرَه أن عبد المطلب اتَّخذ حوضا لزمزم يَستقي منه. وكان يُخَرَّب بالليل، حسداً له. فلما غمّه ذلك، قيل له في النوم: «قل: لا أُحِلُّها لمغتسل، وهي لشارب حِلٌّ وبِلٌّ. وقد كُفِيتَهم». فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعدُ من أرادها بمكروه، رُمىَ بداء في جسده، حتّى انتهَوْا عنه[4].

/٧٨/ الصفا والمروة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[5].

فَرْقَدَا الأرِض، وجارَا البيتِ الحرام، وطُوبى لمن وقف عليهما، وسعى بينهما أو إليهما. وسنذكر ما هما، فنقول:

أما الصفا فحجرٌ أزرقُ عظيمٌ في أصل جبل أبي قُبَيْس، قد كُسر دَرَج إلى آخر موضع الوقوف. وأكثر ما ينتهي الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُعَيْقِعَانَ: كأنه قد انقسم على جزأين، وبقيت بينهما فرجة، يبين منها دَرَج عليها إلى آخر الوقوف.

«وذَرْع ما بين الصفا والمروة، وهو المسعى، سبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً».

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعاً.

---

(١) مسند أحمد رقم ١٤٣٢٠، سنن ابن ماجه رقم ٣٠٥٣.

(٢) أخبار مكة ٢/ ٥٣.

(٣) أخبار مكة ٢/ ٤٣.

(٤) بعدها بياض بمقدار نصف صفحة.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

«وذَرْع ما بين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعاً».

ومن الميل الأصفر إلى الميل الأخضر الذي بإزاء دار جعفر بن العباس، وهو موضع الهرولة، مائة وخمس وعشرون ذراعاً.

ومن المِيل الثاني إلى المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعاً.

فجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة وثمانون ذراعاً.

* * *

دار النَّدوة

قال الماورديّ[١]: لم تكن مكة ذات منازل. وكانت قريش، بعد جُرْهُم والعمالقة، ينتجعون جبالها وأوديتها. ولا يخرجون من حَرَمها انتسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها، وتخصيصها بالحرم لحلولهم فيه. ويرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأنٌ. وكان كلما كثر فيهم العدد ونشأت فيهم الرياسة، قويَ أملهم وعلموا أنهم سيُقدَّمون على العرب. وكان فضلاؤهم يتخيلون أن ذلك لرياسةٍ في الدين وتأسيساً لنبوّة ستكون. فأوّل من أُلْهِم ذلك منهم كعبُ بن لُؤَيّ بن غالب. وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة. وكان يخطبهم فيه، ويذكر لهم أمر نبيّنا ﷺ.

ثم انتقلت الرياسة إلى قُصَيّ بن كلاب، فبنى بمكة دار الندوة/ ٧٩/ ليحكم فيها بين قريش؛ ثم صارت لتَشَاوُرِهم وعَقْدِ الألوية في حروبهم. وكانت هذه الدار، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها؛ ولا يُعقَد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها، ولا يُعذَر غلام إلا فيها، ولا تُدَرَّع جارية من قريش إلا فيها: يُشَق عليها دِرعها ثم تُدرّع ويُنطلَق بها إلى أهلها؛ ولا تخرج عِيرٌ من قريش ويرحلون إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها.

قال الكلبيّ[٢]: «وكانت أوّلَ دار بُنِيت بمكة، ثم تتابع الناس فَبَنُوا الدور. كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوّة وكثرة عدد، حتى دانت لهم العرب».

قال الماورديّ[٣]: صارت بعد قُصيّ لابنه عبد الدار. فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ، وجعلها دار الإمارة.

---

(١) الأحكام السلطانية ١٤١.

(٢) انظر: معجم البلدان / مادة (دار الندوة).

(٣) الأحكام السلطانية ١٤١.

وروى الأزرقيّ[١] أن مُعاوية اشتراها لما حجّ، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.

وذكر السُّهَيْليّ[٢] أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَيّ فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية في ذلك وقال: «بعت مُكْرُمة آبائك وشرفَهُم». فقال حكيم: «ذهبت المكارم إلا التقوى. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزِقّ خمر، وقد بعتها بمائة ألف، وأشهدكم أني جعلتُ ثمنها في سبيل الله! فأيُّنا المغبون؟».

قال الحارثيّ: هي اليوم (يعني دار الندوة) في المسجد الحرام.

قال الأزرقيّ[٣]: وهي جانبه الشماليّ. وقد تقدّم ذكرها[٤].

/ ٨٠/ مِنًى

[حيثُ تُرْمى الجَمَرات، وتُهْمى العَبَرات، ذوات الليالي المُقْمرات، والأيّام التي سُلخ من الكافور ثياب عشاياها المعنبرات؛ يُحلّى بها من كل تِربْ عاطِلُه، ويلتقي في كل سِرْب كل ذي دَينٍ وماطِلُه.

وهي][٥] بطحاء بين جبلين، مهدَّفة الجوانب، فيها مجتمع الحجيج. والمُحَصَّب منها موضع الجمرات. وهي على مدرجة السوق الأعظم. حيث يُنْصَب كلَّ سنة، أيامَ الموسم. يجتمع فيه الخليطان من شام ويَمَن، وتنزل الركوب به في منازلهم: من شَرَف الوادي إلى حيث تُنْحَر البَدَنات تحت العقبة الأولى، حيث تُنْصَب سقايات الحاجّ.

وكانت في قديم الإسلام موسم لقاء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق.

وثلاث ليالي منًى معروفةٌ موصوفةٌ، قد أكثر فيها الشعرآء وترنم بها المتيّمون.

وبِمنًى بيوتٌ هي كالقرية. منها ما هو مسكون ومنها ما هو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تُكرى بأجرة طائلة.

وبها آبار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع على الحجيج. وهو ماء ثقيلٌ وبِيءٌ: لما يحمل من أوساخ الذبائح، ويقايا الأضاحي، ودماء القرابين.

وفيها مسجد الخَيْف: وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات. والخَيْف هو البستان. وجدّد بناؤه في الأيام الزاهرة الناصرية، سقى الله عهدها!

---

(١) أخبار مكة ٢/ ١١٠.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٤٩.

(٣) أخبار مكة ٢/ ١٠٩.

(٤) بعدها بياض بمقدار ٥ أسطر.

(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وفيها مسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش. وهو على يسار المتوجّه من مِنًى إلى عرفات. يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به. [وينزل المصريون منه إلى مِنًى، وينزل المكّيُّون منه إلى مُعَرَّف، ويقع تُجاه مسجد الخَيْف منحرفا عنه على ذروة من الجبل. يحيل بينهما مجرى ماء من ماء الشتاء. ينزل فيما يليه إلى الطريق العظمى رُكْبانُ العرب][١].

جَمْعٌ - هي المزدلفة: وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسِّر. ومنها حَصى الجمرات. وبذلك فسّر عليٌّ وابن مسعود قوله تعالى: «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً». قالا: يعني المزدلفة.

ومسجد المُزْدَلِفة عن يسارك إذا مضيت إلى عرفات. وفيه يجمع بين المغرب والعشاء، إذا نفر الحاجّ من عرفات. وهي التي عني الشريف الرضيّ بقوله[٢]:

عارضًا بيَ رَكْبَ الحجاز نسائلْـ	ـهُ: متى عهْدُهُ بأيّام سَلْعِ؟
واستملاَّ حديثَ مَنْ سكنَ	الخَيْفَ ولا تكتباهُ إلا بدمعي
فاتني أنْ أرى الديارَ بطرْفي،	فلعلّي أرى الديارَ بسمعي!
لَهْفَ نفسي على ليالٍ تقضَّتْ	ليْ بجَمعٍ!وأينَ أيامُ جَمْعِ؟

/ ٨١/ قال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[٣]. المشعرُ الحرامُ: قُزَحُ، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه المِيقَدة.

وقيل: المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة إلى مأْزِمَيْ عرفة إلى وادي مُحَسِّر. وليس المأْزِمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام.

والصحيح أنه الجبل. لما روى جابر أن النبيَّ ﷺ لما صلّى الفجر - يعني بالمزدلفة - ركب ناقته حتّى أتى المشعر الحرام، فدعا وكبر وهلل. ولم يزل واقفا حتّى أسفر.

وقوله: ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ معناه مما يلي المشعر الحرام، قريباً منه. وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة. وإلا فالمزدلفة كلها موقفٌ، إلا وادي مُحَسِّر. وجُعلت أعقابُ المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت «المزدلفةَ» و«جَمْعاً» لأن آدم اجتمع فيها مع حوّاءَ وازدلف إليها، أي دنا منها. وقال قَتادة: لأنه يُجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز أن تكون وُصفت بفعل

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) ديوانه ١/ ٦٥٧ـ ٦٥٨.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

أهلها؛ لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى، أي يتقرّبون بالوقوف فيها[١].

وعن عليّ[٢]: «لما أصبح رسول الله ﷺ وقف على قُزَحَ، فقال: هذا قُزَحُ! وهو الموقف». وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ.

أَنصاب الحَرَم

هي العلامات المبنية على حدود الحرم.

وأوّل مَن بناها إبراهيم (صلوات الله عليه). وأشار له جبريل إلى مواضعها. هكذا ذكره أبو عَرُوبة والأزرقيّ[٣] وغيرهما.

وروى الأزرقيّ[٤]: أن النبيّ ﷺ أمر بتجديد العلامات التي على الحَرَم، التي عملها إبراهيم، وجبريلُ يريه مواضعها؛ ثم عمر؛ ثم عثمان؛ ثم معاوية.

وهذه العلامات بيّنة إلى الآن، بحمد الله تعالى.

وحدُّ الحرم، من طريق مدينة النبيّ ﷺ ـ دون التنعيم عند بيوت نِفَار ـ على ثلاثة أميال من مكة؛ ومن طريق اليَمَن، طرفُ أضاة لِبْنٍ في ثنيّة لِبن، على سبعة أميال؛ ومن طريق العراق، /٨٢/ على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال؛ ومن طريق الجِعْرَانَةِ في شعب آل عبد الله بن خالد، على تسعة أميال؛ ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن نَمِرَةَ، على سبعة أميال؛ ومن طريق جُدَّةَ، منقَطَع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه حدُّ ما جعله الله تعالى حَرَماً، لما اخْتُصَّ به من التحريم، وبَايَنَ بحكمه سائر البلاد.

وصَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال[٥]: «إن هذا البلد (يعني مكة) حرّمه الله يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ». وفي رواية: «قبل أن يخلق السماوات والأرض». فيكون تحريمُها قبل خلق السماواتِ والأرض كتابةَ تحريمها في اللوح المحفوظ، أو تقديرَ حُرمتها.

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنَ إبراهيم حرَّم مكَّة. ومعناه أظهر حُرمتها.

---

(١) الكشاف ١/٢٤٦، ط٣/ دار الريان ـ القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) مسند أحمد ١/١٥٦ـ١٥٧، الترمذي ٨٨٥.

(٣) أخبار مكة٢/١٢٨.

(٤) أخبار مكة ٢/١٢٨ـ١٢٩.

(٥) صحيح البخاري رقم ٢٩٥١، صحيح مسلم ٢٤١٢.

قال السُّهيليّ: رُوي في التفسير أن الله تعالى لما قال للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] لم يُجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم. فلذلك حرَّمها. فصارت حرمتها كحرمة المؤمن: إنما حَرُم دمُه وعرضه وماله، بطاعته لربه. وأرض الحرم لما قالت: «أتَيْنَا طائِعِينَ» حُرم صيدُها وشجرُها وخَلاَها، إلاَّ الإذْخِرَ؛ فلا حرمة إلا لذي طاعة. جعلنا الله من أهل طاعته!

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. لا يُعْضَد شجره ولا يُنَفَّر صَيْدُه ولا يُخْتلى خَلاَه».

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظِّمون هذا الحرم ويجتنبون قطع شجره.

قال الواقديّ[2]: لما أن أرادت قريش البنيان، قالَتْ لقُصيّ: «كيف نصنع في شجر الحرم؟ فحذّرهم قطعها وخوّفهم العقوبة من ذلك. فكان أحدهم يُحَرِّف بالبنيان حول الشجرة، حتّى تكون في منزله».

قال: وأوّل من ترخص في قطع/ ٨٣/ شجر الحرم، عبد الله بن الزبير.

قال السُّهَيْليّ[3]: ابتنى ابن الزبير دُورا بقُعَيقِعان وترخّص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة. وكذلك رُوِيَ عن عمر أنه قطع دَوْحة كانت في دار أسد بن عبد العُزّى، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يُوَسَّع المسجد. فقطعها ووداها ببقرة.

عَرَفات[4]

مُلْتَقى الخَلِيطينْ من شام وَيَمَن، ومجمع البحرين من الزعقة إلى عَدَن. به يتجلى الله على عباده، ويهبهم المغفرة. وبها الصخرات، موقف رسول الله ﷺ حيث تقف المحامل.

وعلى قُنَّة هذا الجبل قبّة آدم. هكذا تُسمّى.

ويقال: إنّ هناك تعارفَ آدمُ وحوّاء، بعد أن أُهبطا.

وعرفات علم للموقف. سُمِّيَ بجمعٍ، كأذرعاتٍ.

---

(١) سورة فصلت: الآية ١١.
(٢) الروض الأنف ١/ ١٤٩ـ ١٥٠.
(٣) الروض الأنف ١/ ١٥٠.
(٤) حول عرفات والمواقع التي تليها، انظر: أخبار مكة ٢/ ١٨٧ـ ١٨٩، شفاء الغرام ١/ ٣٠٣ـ ٣٠٦. وغيرهما من الكتب التي تعرضت لتاريخ البلد الحرام.

واختُلف في تسميتها بذلك. فقيل: لأنها وُصفت لإبراهيم، فلما أبصرها عرفها؛ وقيل إن جبريل (عليه السلام) كان يدور به في المَشَاعر، يريه إيَّاها، فقال: قد عرفتُ؛ وقيل الْتقى فيها آدم وحوّاء فتعارفا، كما تقدّم. وقيل؛ لأن الناس يتعارفون فيها. وهي من الأسماء المرتجلة؛ لأن عرفة لا تعرف في أسماء الأجناس[1].

/ ٨٤/ مسجد نَمِرة: ويسمى مسجد إبراهيم.

يقال: إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) بناه. ولا يصحّ هذا. وهو على يمين السالك من مكة إلى عرفات، قريب الطريق، مدانيا لعرفة.

وعادة الخطابة به في وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكّة المعظمة.

وجُدُره قائمة، وكذلك مِنبره. ولا سقف له.

مسجد عائشة رضي الله عنها:

هو بالتنعيم في الحِلّ، عند أوّل الحرم. ولا يحضرني مَن بناه[2]. وكل مسجد هناك يسمّى بهذا. وأشهرها المُصاقِب للطريق على يسار الداخل إلى مكة. وإنما نُسب إلى عائشة؛ لكونها اعتمرتْ من التنعيم. ولعلّها أحرمتْ في البقعة التي بُني بها المسجد. وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة رضي الله عنها:

وسمي بذلك لمكان قبرها. وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودُفن مُحْرِما، على ما هو مذكور في موضعه.

وميمونة هي بنت الحارث، إحد [ى] أزواج رسول الله ﷺ. وكانت أُختها أَمّ عبد الله بن العبّاس.

المواقيت

روى ابن عبّاس أن رسول الله ﷺ وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفة، ولأهل الشام الجُحْفَةَ، ولأهل نجد قرنَ المَنَازل، ولأهل اليمن يلَيلم. وقال[3]: «هنّ لهن ولمن أتى

---

(١) بعد هذا بياض بمقدار ٧ أسطر.

(٢) في المناسك للحربي ٣٤٧: إن الذي بناه عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عمّ المنصور، (ت ١٨٥هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج رقم ١٤٥٢ـ ١٤٥٧، ١٧٤٨،. صحيح مسلم رقم ١١٨١، ١١٨٢، مسند أحمد ١/ ٢٥٢، ٣٣٩.

عليهنّ من غير أهلهنّ، ممن أراد الحج والعمرة. ومن كان دون ذلك، فمن حيث أنشأ، حتّى أهل مكة من مكة». أخرجاه في الصحيحيْن.

فهذه المواقيت التي وقّتها رسول الله ﷺ لا يجوز لأحد يريد الحجّ والعمرة أن يتجاوزها إلا مُحرِما. وأما مَن لم يرد الحجّ أو العمرة، فكذلك عند فقهاء الأمصار، وقولان عند الشافعيّ. وموضع ذلك كتب الفقه.

فأما ذو الحُليفة فهو أبعد المواقيت، على عشر/ ٨٥/ مراحل من مكّة، أو سبع منها. (وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام). ومنها يُحرِم الان الركبُ الشاميُّ.

وبها آبار تسمّى آبار عليّ. وبعض الناس يقول بئر المحرم.

والجُحفة موضع على ثلاث مراحل من مكة. (وهي بضم الجيم وسكون الحاء المهملة بعد الجيم).

وذكر ابن الكلبيّ[1] أن العماليق أخرجوا بني عَبِيلٍ (وهم إخوة عاد) من يثرب. فنزلوا الجحفة، وكان اسمها مَهْيَعة، (بفتح الميم وسكون الهاء على وزن مقتلة وقيل: بكسر الهاء على وزن قبيلة). فجاءهم سيل فاجتحفهم، فسميت الجحفة.

ولما هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة أصابهم حُمّى. فدعا النبي ﷺ الله تعالى أن ينقل حُمَّاها إلى الجُحفة.

وهي شرقيّ رابغ ممر الركب المصريّ. ومن رابغ يُحرم الآن.

وقَرْن المنازل (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع على مرحلتين من مكة. وقد غلط الجوهريّ في قوله بفتح الراء، وقوله إن أويسا القرنيّ منسوب إليها. بل هو منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد.

وْيليلم[2] (ويقال ألملم بالهمزة عوضاً عن الياء)، موضع معروف على مرحلتين من مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

ومن المواقف ما لم يذكره النبيّ ﷺ في الحديث. وهو ميقات العراقيين، وهو ذات عِرْقٍ. وبينه وبين مكة خمس مراحل[3].

/٨٦/ المسجد النبويّ: على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

موضع مِنبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأُولاه، وبجانبه حجرته

---

(١) معجم البلدان ٢/ ١١١ مادة (الجحفة)، معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٨.
(٢) الصحاح في اللغة ٦/ ٢١٨١/ مادة (قرن).
(٣) بعدها بياض بمقدار ٤ اسطر.

المعظمة، التي ضمت أعظُمَه. ولله درّ القائل[١]: [من البسيط]

يا خيرَ من دُفنت في القاعِ أعظُمُهُ فطابَ من طيبهِنّ القاعُ والأَكَمُ
نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيهِ العَفَافُ وفيهِ الجُودُ والكرمُ

قال أنَس[٢]: «قدم رسول الله ﷺ فنزل في عُلُوِّ المدينة، في حيّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم إنه أرسل إلى ملإٍ بني النجّار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم، فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر رِدْفه، وملأُ بني النجار حوله، حتّى ألقي بِفناء أبي أيوب». قال: «وكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم».

ثم إنه أُمِر بالمسجد. فأرسل إلى ملأ بني النجار، فجاؤوا. فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله! ما نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى.

قال أَنَس[٣]: وكان فيه نخلٌ، وقبور المشركين، وخَرِبٌ. فأمر النبي (صلى الله عليه[وسلم) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنُبشتْ، وبالخرب فسُوّيتْ. قال: وصفُّوا النخل قبلةً، وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم، وهم يقولون:

«اللهم إنه لا خيرَ إلا خير الآخرهْ فانصرِ الأنصارَ والمُهاجرهْ».

[رواه البخاريّ ومسلم][٤].

ورويَ عن الشَّفَّاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت[٥]: كان رسول الله ﷺ حين بنى المسجد يَؤُمّه جبريلُ إلى الكعبة ويُقيم له القبلة.

قال السُّهَيْليّ[٦]: بُني مسجد رسول الله ﷺ وسُقِف بالجريد [وجُعلت قبلته من

---

(١) في المواهب اللدنية ٢/ ٥١٠ طبع محمد شاهين بالقاهرة سنة ١٢٨١: أن محمد بن حرب الهلاليّ أتى قبر النبي (ﷺ). فزاره وجلس بحذائه. فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾. وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعا بك إلى ربي! وانشأ يقول: «ياخير من دفنت... البيتين»
وانظر أيضاً شرح «المواهب» للزرقاني ٨/ ٣٦١ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٨. (زكي).
(٢) صحيح البخاري رقم ٣٧١٧، وفاء الوفا ١/ ٢٥٤، الروض الأنف ٢/ ٢٤٧، وغيرها.
(٣) صحيح البخاري رقم ٣٧١٧، وفاء الوفا١/ ٢٥٤، الروض الأنف٢/ ٢٤٧، وغيرها.
(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل، وروايته في صحيح البخاري رقم ٣٥٨٤ـ ٣٥٨٦، ٣٧٨٢، ٦٠٥ـ ٦٠٥١، صحيح مسلم رقم ١٨٠٤ـ ١٨٠٥.
(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٤٧. (٦) الروض الأنف ٢/ ٢٤٨.

اللَّبِن. ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض، وحيطانه باللَّبِن][١]، وجُعلتْ عمده من جذوع النخل. فنَخِرت في خلافة عمر، فجدّدها.

[قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: «كانت هذه القبلة في شماليّ المسجد؛ لأنه ﷺ صلّى ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس. فلما حُوّلت القبلة بقيَ حائط القبلة الأُولى مكان أهل الصُّفَّة»][٢].

قال أبو سعيد الخُدْريّ: كان سقف مسجد النبيّ ﷺ من جريدِ النخل. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكِنَّ الناس من المطر. وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر، فتفتِنَ الناس.

وعن عبد الله بن عمر[٣] أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللَّبِن، وسقفه الجريد، وعمده خُشُب النخل. فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئاً. وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهده رسول الله ﷺ باللبِن والجريد، /٨٧/ وأعاد عمدة خَشبا. ثم غيره عثمانُ، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقَفَه بالساج. [رواه البخاري في صحيحه].

وعن عِكْرِمَة قال[٤]: قال لي عبد الله بن عبّاس ولابنه عليّ: «اِنطلقا إلى أبي سعيد، فاسمعا من حديثه». فانطلقنا. فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدّثنا حتّى أتى على ذكر بناء المسجد. فقال: «كنا نحمل لَبِنَةً لَبِنَةً، وعَمّارٌ لَبِنتين لَبِنتين. فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب ويقول: ويحَ عمارٍ! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! قال: يقول: عمارٌ! أعوذ باللهمن الفتن!» [رواه البخاريّ]. وزاد معمر في «جامعه» أن عمّارا كان ينقل لبنتين لبنتين: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ. فقال النبيّ ﷺ: «للناس أجرٌ ولك أجران، وآخِرُ زادِك من الدنيا شربةُ لَبَنٍ، وتقتلك الفئة الباغية».

وعن خارجة بن زيد[٥]، أحدِ فقهاء المدينة السبعة، قال[٦]: بنى رسول الله ﷺ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد رقم ٤٣٥.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المساجد رقم ٤٣٦، الروض الأنف ٢/ ٢٤٨، وفاء الوفاء١/ ٣٣٠ـ ٣٣١.
(٥) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد، من بني النجار، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، تابعي، ولد سنة ٢٩هـ/ ٦٥٠م، أدرك زمان عثمان، وتوفي بالمدينة سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٦٨، حلية الأولياء ٢/ ١٨٩، الأعلام ٢/ ٢٩٣.
(٦) انظر: وفاء الوفا ١/ ٣٤٠ـ ٣٥٩.

مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعاً، أو يزيد. فلما كان عثمان، زاد فيه. جعل طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وامتدّت الزيادة إلى أن دخلتْ بيوتُ أُمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله ﷺ، وصاحباه رضي الله عنهما). فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد، فيصلي إليه العوّام ويؤدّي إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله ﷺ من اتخاذ المساجد على القبور. [ثم بنوا جدارين من ركنَي القبر الشماليين، حرفوهما حتّى التقيا. كل ذلك حتّى لا يتمكن أحد من استقبال القبر][1]. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها): «ولولا ذلك أُبرِز قبره، غير أنه خُشِي أن يُتَّخذ مسجدا».

/ ٨٨/ ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه فجعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدّمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين.

ثم زاد فيه المهديّ سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة اثنتين ومائتين، وأتقن بنيانه ونقش فيه: «هذا ما أمر به عبد الله المأمون» فيه كلام كثير.

قال العلامة أبو زكريا النَّوَوِيّ[2]، رحمه الله: فينبغي للمَصَلِّي أن يعتَنِي بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمنه ﷺ فإن الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» إنما يتناول ما كان في زمنه؛ لأنه هو الذي حصلت الإشارة إليه. لكنْ إذا صلّى في جماعة، فالتقدّم إلى الصف الأوّل، ثم إلى ما يليه أفضلُ. فَلْيُتَفَطَّنْ لذلك.

وذرع ما بين المِنبر ومقام النبيّ ﷺ الذي كان يصلي فيه حتّى تُوُفِّي، أربعة عشر ذراعاً وشبر.

وذرع ما بين المِنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعاً وشبر[3].

/ ٨٩/ بيوت النبيّ ﷺ

قال السُّهَيْليّ[4]: كانت بيوت النبي ﷺ تسعة: بعضها من جريد مطيّن بالطين وسقفها جريد؛ وبعضها من حجارة مرضومةٍ بعضها على بعض مسقفة بالجريد أيضا.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) صحيح مسلم ٩/ ١٦٥.

(٣) بعدها بياض بمقدار ٧ أسطر.

(٤) الروض الأنف ٢/ ٢٤٨.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: «لم يبلغنا أنه ﷺ بني له تسعة أبيات، حين بُنِيَ المسجد. ولا أحسبه فعل ذلك. إنما كان يريد بيتا حينئذ لسَوْدَةَ، أُمّ المؤمنين. ثم لم يحتج إلى بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوّال سنة اثنتين. وكأنه ﷺ بناها في أوقات مختلفة. والله أعلم».

وقال الحسن بن أبي الحسن[١]: كنتُ أدخل بيوت النبيّ ﷺ وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدِي. وكان لكل بيتٍ حُجرةٌ. وكانت حُجَرُه (عليه السلام) أكسيةً من شَعَرٍ مربوطةً في خَشَبِ عَرْعَرٍ[٢].

وفي تاريخ البخاريّ أن بابه ﷺ كان يُقرع بالأظافير. أي لا حَلَق له.

ولما توفي أزواجه ﷺ خُلطت البيوت والحُجَر بالمسجد. وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان. فلما ورد كتابه ذلك، ضجّ أهل المدينة بالبكاء، كيوم وفاته.

قال السُّهَيْليّ[٣]: وهذا يدلّ على أن بيوته ﷺ إذا أضيفت إليه، فهي إضافة مِلك: كقوله تعالى: «لَاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبي». وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» فليست إضافةَ مِلْك. وذلك أن ما كان مِلكاله، فليس بموروث عنه.

/ ٩٠/ مسجد قُبَاء

ذكر ابن اسحاق[٤] أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسَّسه لبني

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج بن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليتَ بهذا الأمر فانظر لي أعواناً يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في «فضائل مكة ـ خ» بالأزهرية. توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م ولإحسان عباس كتاب: «الحسن البصري ـ ط».

ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣، وفيات الأعيان ٢/ ٦٩ـ ٧٣، ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٤، حلية الأولياء ٢/ ١٣١، ذيل المذيل ٩٣، أمالي المرتضى١/ ١٠٦، الأزهرية ٣/ ٧٢٥، الأعلام ٢/ ٢٢٧.

(٢) الروض الأنف ٢/ ٢٤٨. (٣) الروض الأنف ٢/ ٢٤٨.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٩٤، الروض الأنف ٢/ ٢٤٦.

عمرو بن عوف. ثم انتقل إلى المدينة.

وذكر ابن أبي خَيْثَمة[١] أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه، كان هو أوّلَ مَن وضع حجرا في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه، ثم جاء عمرُ بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر. ثم أخذ الناس في البنيان.

وذكر الخطّابيّ عن الشَّمُوس بنت النعمان، قالت[٢]: كان رسول الله ﷺ حين بنى مسجد قُبَاء يأتي بالحجر قد صهره[٣] إلى بطنه، فيضعه. فيأتي الرجل يريد أن يُقِلّه، فلا يستطيع حتّى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

قال السهيليّ[٤]: وهذا أوّل مسجد بُني في الإسلام؛ وفي أهله نزلت: «فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَّهرُوا». فهو على هذا المسجد الذي «أُسِّس على التقوى». وإن كان قد روى أبو سعيد الخُدريّ أن رسول الله ﷺ سئل عن المسجد الذي «أسس على التقوى» فقال: هو مسجدي هذا. وفي رواية أُخرى قال: وفي الأرض خير كثير. وقد قال لبني عمرو بن عَوْف حين نزلت ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾[٥]: ما الطهور الذي أثنى الله به عليكم؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة. فقال: هوذاكم، فعليكموه!

قال السُّهَيْليّ[٦]: وليس بين الحديثين تعارضٌ. كلاهما أسس على التقوى. غير أن قوله سبحانه ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ يقتضي مسجد قُباء؛ لأن تأسيسه كان في أوّل يوم من حلول النبيّ ﷺ دار هجرته والبلد الذي هو مُهَاجَرُه.

قال القاسم بن عبد الرحمن[٧]: عمّار بن ياسر أوّل من بنى مسجدا لله، يُصَلّي فيه. رواه أبو عروبة. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمّار في خبر بناء مسجد المدينة.

قال السُّهَيْليّ[٨]: إنما عنى بهذا مسجد قباء؛ لأنه هو الذي أشار على النبيّ ﷺ /٩١/ ببنيانه. وهو الذي جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله ﷺ استتم بنيانه عمّارٌ.

وعن عبد الله بن عمر[٩] (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً

---

(١) الروض الأنف ٢/٢٤٦. (٢) الروض الأنف ٢/٢٤٦.
(٣) أي أدناه إلى بطنه (انظر: اللسان ج٦ مادة ص هـ ر).
(٤) الروض الأنف ٢/٢٤٦. (٥) سورة التوبة: الآية ١٠٨.
(٦) الروض الأنف ٢/٢٤٦. (٧) الروض الأنف ٢/٢٤٨.
(٨) الروض الأنف ٢/٢٤٨.
(٩) صحيح البخاري، كتاب التطوع، باب مسجد قباء رقم ١١٣٦، صحيح مسلم، باب فضل مسجد قباء رقم ١٣٩٩، مسند أحمد ٢/ ٤ـ ٥، شفاء الغرام ٢/٣٧٩، وفاء الوفا ٨٠٢ ـ ٨٠٣.

وماشياً، فيصلي فيه ركعتين. مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية: كان النبيّ ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت، راكباً وماشياً. وكان ابن عمر يفعله.

مسجد الضِّرار

رُوي أن بنِي عَمْرو بن عَوف لما بَنْوا مسجد قباء ـ وكان يأتيهم رسول الله ﷺ ويصلي فيه ـ حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عوف. وقالوا: نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدِم من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم، زعموا. وأبو عامر هو الذي سمّاه النبيّ ﷺ الفاسقَ. وقال لرسول الله ﷺ: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتُك معهم. فلم يزل يقاتله إلى يوم حُنَيْن. فلما انهزمت هوازنُ، خرج هاربا إلى الشام. وأرسل إلى المنافقين أن استعدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح، فإني ذاهبٌ إلى قيصر، وآتٍ بجنود، ومُخْرِجٌ محمدا وأصحابه من المدينة.

فبنَوْا مسجد الضِّرار إلى جانب مسجد قباء. وقالوا للنبيّ ﷺ: «بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية. ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة». فقال ﷺ: «إني على جَناح سفرٍ وحالِ شغلٍ. وإذا قدمنا، إن شاء الله، صلينا فيه». فلما قفل من غزوة تَبوكَ، سألوه إتيان المسجد، فنزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا﴾ إلى قوله ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدًاۚ﴾[1] الآيات.

فدعا بمالك بن الدُّخْشُم ومَعْن بن عَدِيّ وعامر بن السَّكَن ووحشيّ، قاتل حمزة،/ ٩٢/ فقال لهم: «اِنطلقوا إلى هذا المسجد الظالِم أهلُه. فاهدموه وأحرِقوه». ففعلوا. وأمَر أن يُجعل مكانه كُناسة تلقى فيها الجِيَفُ والقُمَامَة.

وقيل: كل مسجدٍ بُنِيَ مباهاةً، أو رياءً وسُمْعَةً، أو لغرضٍ سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيّب، فهو لاحق بمسجد الضِّرار.

وعن شقيقٍ أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر، فقيل له: مسجد بني فلان، لم يصلوا فيه بعدُ. فقال: «لا أحب أن أصلّي فيه، فإنه قد بني على ضِرارٍ». وكل مسجد بني على ضِرار أو رياء، فإن أصله ينتمي إلى المسجد الذي بُنِيَ ضِراراً.

وعن عطاءٍ: لما فتح الله الأمصار على عمر (رضي الله عنه) أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأنْ لا يتخذوا في مدينةٍ مسجدين يضارّ أحدُهما صاحبَه.

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ١٠٧ـ ١٠٨.

وذكر ابن إسحاق[١] الذين اتخذوا مسجد الضرار، وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يعرف بحمار الدار. وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف. وذكر فيهم ابنَه مُجَمِّعاً، وكان إذ ذاك غلاما حَدَثا قد جمع القرآن. فقدّموه إماما لهم، وهو لا يعلم بشيء من شأنهم.

وقد ذُكر أن عمر بن الخطاب، في أيامه، أراد عزله عن الإمامة. وقال: أليس بإمام مسجد الضِّرار؟ فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئاً من أمرهم، وما ظنّ إلا الخير. فصدّقه عمر وأقرّه.

مساجد المدينة

قال السُّهَيْلي[٢]: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبيّ ﷺ. كلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطنيّ في سننه.

فمنها مسجد راتِج، ومسجد بني عبد الأشهل، ومسجدُ بني عمرو بن مبذول، ومسجد جُهَينة، وأسلَمَ (وأحسبه قال مسجد بني سلمة).

وسائرها مذكور في السنن.

وذكرها ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجداً بذي الخِيفة. كذا وقع في كتاب أبي بحرٍ بالخاء معجمة، ووقع بالجيم في كتابٍ قرىء على ابن السراج وابن الأفليلي.

/٩٣/ بقيع الغرقد

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تَدافُن أكثر أهل المدينة.

وفيه قُبّة العباس بن عبد المطلب، عمّ النبيّ ﷺ. وفيها معه الحسن بن عليّ وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ إلا أن يُخافَ أن يُراقَ في ذلك مِحْجمُ دم. فمنعه مَرْوان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسنُ [ابنه] إلا أن يدفن مع جدّه. فكلمه عبدُ الله بن جعفر ومِسْوَر بن مخرمة. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضاً زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق.

وفي البقيع أيضاً قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٢٢ـ ٥٢٣، وفاء الوفا ٨١٦.

(٢) الروض الأنف ٤/ ١٨٠، وفاء الوفا ٨١٨ـ ٨١٩.

بستاناً لرجل من الانصار اسمه كوكب. وكان يقال حُشُّ كوكب. والحُشُّ البستان. فاشتراه عثمان (رضي الله عنه) وزاده في البقيع. [وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح][1]. فكان أوّل من دُفن بهذه الزيادة.

وفي البقيع أيضا قبة إبراهيم ابن النبيّ ﷺ.

وقبة فاطمة الزهراء.

وفي البقيع أيضاً جماعة من أزواج النبيّ ﷺ وعَمَّتُه صفيّة.

[وفيه خلائقُ من الصحابة والتابعين][2].

وفيه قبة مالك بن أَنَس، إمام دار الهجرة.

وأوّل من دفن بالبقيع عثمانُ بن مظعون. قال المطلب بن عبد الله بن حَنْطب: أوّل من دفنه النبيّ ﷺ بالبقيع، عثمانُ بن مظعون، ثم قال لرجل عنده: اذهب إلى تلك الصخرة، فأْتني بها حتّى أضعها في قبره. فمن مات من أهلنا دفناه عنده. رواه ابن أبي شَيْبَة[3].

قال عليّ بن أبي طالب: ثم أتبعه إبراهيم ابن النبيّ ﷺ. رواه ابن أبي شيبة أيضا[4].

قال الأصمعي: قُطِعت غَرْقدات في هذا الموضع، حين دفن فيه عثمان بن مظعون. فسمي بَقِيع الغَرقد/ ٩٤/ لهذا.

وقال الخليل[5]: «البقيع من الأرض موضع فيه أُروم شجرٍ. وبه سمي بقيع الغَرقد. والغَرقد شجر كان ينبت هناك».

والبقيع يلي باب المدينة الذي في جهة الشرق، الذي وراء دار عثمان بن عفَّان. ومنه يخرج إلى البقيع[6].

* * *

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل وقد هدمت القباب المشيّدة على القبور في ٨ شوال ١٣٤٣هـ ولم يبق منها سوى أكوام تراب متناثرة.

(٣) المصنف ١٤/ ١٣٧ رقم ١٧٨٧٢.

(٤) المصنف ١٤/ ١٣٧ رقم ١٧٨٧٢.

(٥) كتاب العين (المرتب) للخليل بن أحمد الفراهيدي ١/ ١٨٢.

(٦) بعدها بياض بمقدار ٧ أسطر.

المسجد الأقصى

معْهَد الأنبياء، ومتعهَّد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأوّل القبلتين حال الابتداء. شَيَّدَتْ ملوكُ بني إسرائيل معاهدَه، وشدّت بقباب البروج معاقدَه؛ ثم تدارك بنو أُمّية ذَماءه، وصفَّحوا أرضه وسماءه؛ وهذا هو على ما هو عليه من حمل الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدّسة المعراج، حيث عرج بخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلى حضرة القدس، وبسط له بساطُ الأنس؛ ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل إليه مَلَك مقرّب ولا نبيّ كريم؛ وقد أمَّ في ذلك المسجد بالنبيين، وصعِد. منه إلى أعلى عليين. وإلى صفيح تلك البقعة المحشر، ومنها يوم القيامة المَنْشر. والصخرة بها. عرش الله الأدنى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهي التي تزف إليها عروس الكعبة زفا، وتُقسم الناس لشقاوة وزلفى سُرّة المسجد الأقصى، وقلب / ٩٥/ الفضائل التي لا تحصى.

قد تقدّم حديث أبي ذرّ[١]: أوّل مسجد وُضع، المسجدُ الحرامُ ثم المسجد الأقصى. وبينهما أربعون عاماً.

ورُوي عن عليّ بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحا فمسحت الأرض مسحا، وظهرت على الأرض زَبَدة فقسمت أربع قطع. خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو الفرج ابن الجوزيّ[٢].

وروى ابن مَنْدَه بسنده، أن كعباً قال[٣]: بنى سليمان بن داود بيتَ المقدس على أساسٍ قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

قال ابن الجوزيّ[٤]: سكن الجبّارون في الأرض المقدّسة فسُلِّط عليهم يُوشَع، ثم سُلِّط الكفار على بيت المقدس فصيروه مزبلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فبناه. ورويَ عن سعيد بن المسيّب قال: أمر الله تعالى داود أن يبني مسجد بيت المقدس. قال: ربّ، وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى المَلَكَ شاهرا سيفه. قال: فرآه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع انهدم. فقال داود: يا رب! أمرتني أن أبنيَ لك بيتا، فلما ارتفع هدمتَه. فقال: يا داود إنما جعلتك

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣٨٦، ٣٢٤٣.

(٢) فضائل القدس لابن الجوزي ٧٣.

(٣) فضائل القدس ٧٤.

(٤) فضائل القدس ٧٤.

خليفتي في خلقي، لِمَ أخذتَه من صاحبه بغير ثمن؟ إنه يبنيه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقنطار. فقال سليمان: قد استوجَبْتُها: فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خيرٌ. قال: فإنه قد بدا لي. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار ما لم يتفرّقا.

قال [عبد الله][١] بن المبارك، هذا أصل الخيار. فلم يزل يرادّه، ويقول له مثل قوله الأوّل، حتّى استوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتّى فرغ منه. وتغلّقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها، فلم تنفتح، حتّى قال في دعائه: بصلواتِ أبي داودَ إلا تفتّحتِ الأبواب! ففُتِّحتِ الأبواب.

قال: ففرّغ له سليمان عشرة آلاف من قُرّاء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار،/ ٩٦/ لا تأتي ساعة من ليل ولا نهارٍ، إلا واللهعز وجل يُعبدَ فيه.

وقال أبو عَمرو الشَّيبانيّ: أوحى الله إلى داود: إنك لن تتمم بناء بيت المقدس. قال: أيْ ربِّ، ولِمَ؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم. قال: أيْ ربِّ، أَوَ لَمْ يكن في طاعتك. قال: بلى وإن كان.

وقال كعب[٢]: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن ابنِ بيت المقدس. فجمع حكماء الإنس وعفاريت الجنّ وعظماء الشياطين. ثم فرّق الشياطين، فجعل منهم فريقا يبنون، وفريقا يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمُد من معادن الرُّخَام، وفريقا يغوصون في البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان. وأخذ في بناء المسجد، فلم يثبت البناء. وكان عليه حَيْرٌ[٣] بناه داود. فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتّى بلغ الماء. فقال: أسِّسُوا على الماء. فألقوا فيه الحجارة. وكان الماء يلفظ الحجارة، فاستشار في ذلك، فأشاروا عليه أن يتخذ قِلالا من نحاس، ثم يملأها حجارة، ثم يكتب عليها ما على خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيها في الماء لتكون أساس البناء. ففعل، فثبت وبنى. عمل بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة وألوان الجوهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجُدُره. ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله، وأنه هو الذي أمر ببنائه، وأنه من انتقصه أو شيئاً منه، فقد ضادّ الله، وأنه كان قد عهد إلى داود في ذلك، ثم أوصى سليمانَ بذلك من بعده. ثم اتخذ طعاما وجمع الناس.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) فضائل القدس ٧٩ـ ٨٠.

(٣) الحَيْر: بالفتح شبه الحظيرة أو الحِمى (انظر: لسان العرب ٥/ ٣٠٨).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1] قال: هو سور بيت المقدس الشرقيّ. وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السليمانيّ والعجائب التي كانت فيه، لعدم صحته بالنقل.

وأما ما ورد في فضله.

فمنه حديث أَنَس[2]. قال: «قال رسول الله ﷺ: صلاةُ الرجل في بيته بصلاةٍ واحدة، وصلاتُه في مسجد القبائل بستّ وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد /٩٧/ الذي يُجَمَّع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة».

وعن أبي ذرّ قال: قيل: يا رسول الله، صلاةٌ في بيت المقدس أفضل، أم صلاة في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه. ولنعم المُصَّلى! هو أرض المحشر والمنشر، ولَيأْتينَّ على الناس زمانٌ، ولَبَسْطةُ قوسٍ من حيث يُرى بيت المقدس، أفضلُ وخيرٌ من الدنيا جميعاً».

وصحّ عن موسى (عليه السلام) أنه لما احْتُضِر قال: يا رب ادنني من الأرض المقدسّة رميةً بحجرٍ!

ونزله أبو ذرّ وأكثر فيه الصلاة. وصلّى فيه ابن عمر. ومات فيه عُبادة بن الصامت، وشدّاد بن أوس، وأبو أَبيّ ابن أُمّ حرام، وأبو ريحانة (واسمه شمعون) وذو الأصابع، وأبو محمد النجاريّ. هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به. والذي أعقب منهم عُبادة وشدّاد وسلامة بن قيصر وفيروز الديلميّ. والذي لم يعقب منهم أبو ريحانة وأبو محمد النجاريّ وذو الأصابع.

وقال أبو الزاهرية[3]: أتيتُ بيت المقدس أريد الصلاة. فدخلتُ المسجد وغَفَلتْ عني سَدَنةُ المسجد، حتّى أُطفِئت القناديل، وانقطعت الرِجل، وغُلِّقت الأبواب. فبينا

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٣.

(٢) فضائل القدس ٨٩، سنن ابن ماجه، باب الصلاة في الجامع رقم ١٤١٣.

(٣) أبو الزاهرية: حُدير بن كُريب الحمصي، إمام مشهور من علماء الشام، وكان أمياً لا يكتب، توفي سنة ١٠٠ وقيل ١١٧ وقيل ١٢٩ وقيل في خلافة عمربن عبد العزيز.
ترجمته في: طبقات خليفة ٣١١، تاريخ البخاري ٣/ ٩٨، الجرح والتعديل٣/ ٢٩٥، حلية الأولياء ٦/ ١٠٠، تاريخ الاسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠) ص٣٢١، البداية والنهاية ٩/ ١٩٠ تهذيب ابن عساكر ٤/ ٩٣، ٩٥، سير أعلام النبلاء٥/ ١٩٣، والخبر في فضائل القدس ١٣٢ـ ١٣٣.

أنا كذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان، قد أقبل وهو يقول: «سبحان الدائم القائم! سبحان القائم الدائم! سبحان الحيّ القيُّوم! سبحان الملك القُدّوس! سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العليّ الأعلى! سبحانه وتعالى. ثم أقبل حفيفٌ يتلوه، يقول ذلك. ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها، حتّى امتلأ المسجد. فإذا بعضهم قريب مني. فقال: آدميٌّ؟

فقلت: نعم.

فقال: لا رَوْعَ عليك، هذه الملائكة!

قلتُ: سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى! مَن الأوّل؟

قال: جبريل؛

قلت: ثم الذي يتلوه؟

قال: ميكائيل.

قلت: مَن يتلوهم بعد ذلك؟

/ ٩٨/ قال: الملائكة.

قلتُ: سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى. ما لقائلها من الثواب؟

قال: مَن قالها مرةً في كل يوم، لم يَمُت حتّى يرى مقعده من الجنة، أو يُرى له.

وروى أبو عبد الله بن باكُويَهْ، بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفيّ، قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شَيبة[١]: «كنتُ ببيت المقدس. وكنتُ أُحبُّ أن أبيتَ في المسجد، وما كنت أُترك. فلما كان في بعض الأيام، بصرُتُ في الرواق بحُصُرٍ قائمةٍ. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيتُ الحُصُر، فاختبأت وراءها. وانصرف الناس والقُوَّام. ثم خرجتُ إلى الصخرة. فلما سمعتُ غَلْق الأبواب، وقعت عيني على المحراب وقد انشق ودخل منه رجُلٌ ثم رجُلٌ إلى أن تم سبعة. واصطفّ القوم. ولم أزل واقفاً شاخصاً زائل العقل إلى أن انفجر الصبح. فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا».

وبه[٢] إلى ذي النون قال: بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس، سمعتُ صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدَّام، وَلَهَتْ بالطاعة عن الشراب والطعام، وألِفَتْ قلوبهم طول القيام، بين يدي الملك العلام! فتبعتُ الصوتَ. فإذا أمردُ مصفَرُّ الوجه،

---

(١) فضائل القدس ١٣٣ـ ١٣٤.

(٢) أي: وبسنده يعني بسند أبي عبد الله بن باكويه. (زكي).

يميل ميل الغصن إذا حركته الريح، عليه شملة قد اتّزر بها، وأُخرى قد اتَشح بها. فلما رآني، توارى عني بالشجر. فقلت: ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين. فكلِّمْني وأَوْصِني. فخرّ ساجدا، وجعل يقول: هذا مقام مَن لاذ بك واستجار بمعرفتك وأَلِفَ محبتك! فيا إله القلوب، احجبني عن القاطعين لي عنك! قال: فغاب عنّي ولم أره.

ورُوِيَ عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[1] قال: من صخرة بيت المقدس. وقال يزيد بن جابر في الآية: يقف إسرافيلُ على صخرة بيت المقدس، فينفخ في الصُّور، فيقول: أيتها العظام النَّخِرة، والجلود المتمزِّقة، والأشعار المتقطعة، إن الله تعالى أمركِ أن تجتمعي للحساب!

/ ٩٩/ وروى ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال[2]: إن الجنة لتحنْ شَوْقاً إلى بيت المقدس. وبيت المقدس من جنة الفردوس، وهي سرة[3] الأرض. [يعني الصخرة].

وبه عن أبي إدريس الخَوْلانيّ قال[4]: يحوّل الله صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماوات والأرض. ثم ينصبُ عليها عرشه. ثم يقضي بين عباده، يصيرون منها إلى الجنة وإلى النار.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾[5] قال: من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس.

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾[6] قالوا: هو إسرافيل. يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس، هَلُمُّوا إلى الحساب! إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء! ،وهذه هي النفخة الأخيرة. والمكانُ القريبُ صخرةُ بيت المقدس.

قال كعب ومقاتل: هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا. وقال ابن السائب: باثنيْ عشر ميلا.

ورويَ أن كعباً[7] قدم إيلياء فَرَشَا [حبرا] من أحبار يهود بضعةَ عشر ديناراً على أن دلّه على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد. وصلّى

---

(١) سورة قَ: الآية٤١.
(٢) فضائل القدس ١٣٩.
(٣) في الأصل: صّدة.
(٤) فضائل القدس ١٤٠، فضائل بيت المقدس ٥٧.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٧١.
(٦) سورة قَ: الآية ٤١.
(٧) فضائل القدس ١٤٣ـ ١٤٤.

مما يلي ناحية باب أسباط. فقال كعب: قام سليمان بن داود على هذه الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله. فدعا الله عز وجل بثلاث. فأراه تعجيل إجابته في دعوتين، وأرجو أن يستجيب في الثالثة. فقال: «اللهم هَبْ لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي، إنك أنت الوهاب» فأعطاه الله (عز وجل). وقال: «اللهم هب لي ملكا وحكما يوافق حكمك!» ففعل الله (عز وجل) ذلك به. ثم قال: «اللهم لا يأتي هذا المسجدَ أحد يريد الصلاة فيه، إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه».

هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه.

وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واستيلاء الفرنج عليه، ثم فتحه على يد الملك الناصر/ ١٠٠/ صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل، ثم استنقاذه منهم بعد ذلك على يد الناصر داود ابن المعظّم، فليس هذا موضعه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في التاريخ للتلويح بذلك والإشارة إليه. فهناك ذكره أنسبُ.

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى، وما اشتمل عليه من المزارات، على ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وقد ألّف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك[١] تأليفاً صغيراً سماه: «سلسلة العسجد، في صفة الصخرة والمسجد». نقلتُ منه ما يليق بهذا الموضع، معتمدا في ذلك على ما حرّره بالذراع.

ونبتدىء بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول: أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً؛ يعلو ذلك كرسيّ القبة، وارتفاعه عشرة أذرع وربع. ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهي مثمنة الأركان. كل تثمينة تسعة

---

(١) أحمد بن الصاحب امين الدين عبد الله، القاضي تاج الدين، أبو الفضائل، كان مستضلعاً بصنعة الحساب، ذكياً فطناً عفيفاً، أميناً، عمل في عدة وظائف، في ديوان الإنشاء ونظارة الدولة في مصر والشام، أقام مدة في القدس، وجاور بها، وفيها ألف كتابه «سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد» وكتابه هذا في عداد المفقود، عدا ما نقله عنه العمري في هذا الفصل. توفي في آواخر شوال سنة ٧٥٥هـ.

ترجمته في: أعيان العصر ١/ ٢٢٦ـ ٢٣٠، الدرر الكامنة ١/ ١٨٩؛ ومن هنا يبدأ المؤلف بالنقل من هذا الكتاب حتى نهاية صفحة١٢٤ من المسالك المخطوط.

وعشرون ذراعا وثلثا ذراع. والبناء من ظاهره مكسوّ منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجَّر. ومن أعلاه سبعة أذرع إلى الميازيب بالفصّ المُذْهَب المشجَّر المختلف. وتحتوي كل تثمينة على سبع طاقات: إِثنتان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائطٌ ارتفاعه أربعة أذرع، مكسوّ بالفص بالصفة المذكورة، مشخص في كل تثمينة منه ثلاثة عشر محراباً. ولها أبواب أربعة: فالقبليّ ارتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن. وأمامه من خارجٍ رواقٌ مفروش /١٠١/ بالرخام الأبيض المشجَّر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسطٌ مدهون. والوسطُ أمام الباب قنطرةٌ بالفص المُذْهَب، محمول على ثمانية أعمدة من الرُّخام: منها غُرابيٌّ اثنان في طرفيه، وخُضْرٌ مَرْسِينيّ تلوهما أربعة و«شحم ولحم» اثنان.

بين الأعمدة الغُرابيّ والخُضْرِ هَنابُ رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث. تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

ويُعلَّق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش. وعلى يَمْنة الداخل ويَسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع، في رؤوس التثمينة الأوّلة خاصة. ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان، ارتفاعه خمسة عشر ذراعا، محمول على حائط الصخرة. والأعمدة والحائط من باطن التثمينة، مُلَبَّس جميعه بالرخام بغير فص بانبذاريه رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة.

كل تثمينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والملوّن البديع. دور كل سارية أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع. وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجهها الذي يلي الصخرة بقُرنتين. ومع السارية عمودان: أحدهما «شحم ولحم» والآخر أخضر مَرسينيّ. بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع. ودوره ذراعان وثلثا ذراع. وارتفاعه خارجا عن القواعد ست ونصف يعلوها «بساتل» ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه. يعلو «البساتل» قناطر بالفص المذهب البديع.

بهذه التثمينة الأولى، ثمانية سَوَارٍ وستة عشر عمودا: منها أبيض وأزرق عشرة، وأخضر مرسينيّ ثلاثة، و«شحم ولحم» ثلاثة.

/١٠٢/ وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرعٍ لتثمينةٍ ثانيةٍ عليها سقف

«مقالي» مذهب، وارتفاعه ارتفاع السقف الأوّل. و«مقاليه» مركبة بغير تسمير لأجل كنس السقف. والسقفُ الذي يعلوه الرصاص خمسةُ أذرع من الباطن. وبآخر هذه التثمينةِ الدائرةُ الدرابزينُ المحيطُ بدور القبة. والحامل للقبة أربعة سَوارٍ مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام «الشحم واللحم» والأخضر المرسينيّ. يعلو ذلك قناطر من الوجهين: فصٌّ مُذْهَبٌ، والباطن رخام أبيض وأسود. جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عموداً: منها أخضر مرسيني سبعة، و«شحم ولحم» خمسة.

قال: ولقد قِستُ عموداً منها «شحماً ولحماً» فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفاً وارتفاعه خارجاً عن القواعد سبعةَ أذرع وثلثي ذراع.

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعاً؛ ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع؛ ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوّة بالرصاص ذراع ونصف.

قال: ولقد قست الدور الحامل للقبّة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع.

وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه العمد والسواري، له أربعة أبواب: الشماليّ منها مغلق، والثلاثة مفتوحة. فأما القبليّ فيُصعد إليه بدرجتين. ومن حد عتبته من داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع. وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملوّن ارتفاعَ ذراعين. ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزينُ من الخشب المنقوش، دوره أربعة وسبعون ذراعاً. وبآخر هذه الصخرة المرخمِة من غربٍ إلى جهة الشمال حجرٌ صغير محمول على ستة أعمدة صغار. قيل إنه أثر قدم النبيّ ﷺ ليلةَ المعراج. وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن يسمونها «درقة حمزة» محمولة/ ١٠٣/ على ثلاثة أعمدة لطاف: منهن اثنان «رُوحَان في جسد» وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة. وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد.

والمحراب الذي يصلي به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبليّ داخلَ الدرابزين الخشب المقدّم الذكر. وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة، معقودٌ قنطرةً بالرخام الغريب، على عمودين «شمعية» يُنزل إلى باطنها بأربع عشرة درجة. طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال.

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار. كل محراب على عمودي

رخام لطاف. وأمام المحراب الأيمن صُفَّةٌ تسمّى «مقام الخَضِر». طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع. يواجهها عمود رخام قائم للسقف، وعمود راقد مَرَدٌّ لها. وبالركن الشماليّ من المغارة صُفَّةٌ نقرٌ في الصخرة يسمونها «مقام الخليل». عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب ذراع وربع.

وأما الباب الشرقيّ من بناء الصخرة، فهما بابان: أحدهما داخل الآخر. جُعل الباب الخارج وقايةً للداخل من الأمطار والثلوج. ملبس بالرخام. رحاب ما بين البابين عرض أربعة أذرع وربع، وطول خرجته اثنا عشر ذراعاً ونصف.

على يمنة الخارج بيت للبوّاب. وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف، وعلى يَسْرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسينيّ وزُرْق.

وعقد ما بين البابين بالفص المُذْهَب. ومن عتبة الباب الثاني منهما إلى العمد سبعة أذرع وثلثان /١٠٤/ وهو الحامل للسقف البَسط.

ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعا. ومن باطن الشباك الحديد إلى الدرابزين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع. ومن حدّ هذا الباب الشرقيّ، على يُسرة الداخل منه طالبا للقبلة على مسافة تسعة أذرع، عمودان مرسينيّ أخضر. بأعلاهما دُقَيْسيّ مُذْهب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبة.

وأما الباب الشمالي ويسمّى باب الجنة فله خرجة كالتي في الباب الشرقيّ وصفتِها وحليتِها.

وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب ـ داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيفٌ ـ إشارةٌ على الرخامة السوداء التي يصلي الناس عندها. وفُقدت هذه الرخامة من مدّة زمانية، وعمل مكانَها رخامةٌ خضراء. والناس يصلون ويدعون عندها.

وأما الباب الغربي، فله خرجة كالبابين الشرقيّ والشماليّ.

[وسعة ما بين تثامين الصخرة من داخل مثل الباب الشماليّ خلا السعة من الشباك الحديد لدرابزين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع.][1]

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها.

وأما الصحن المحيط بها، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعا ؛ ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع.

وذرع ما بين الرواق الذي قبليّ الباب القبليّ من أبواب الصخرة إلى رأس السلالم الموصلة للجامع، ثلاثة وخمسون ذراعا، ومن رأس السلالم إلى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعا ونصف وربع.

وبأعلى هذه السلالم أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من البناء: منها عمودان صوّان أحمر، والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع.

ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب.

وشرقيّ هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعا قناطر مثلها. أعمدتها اثنان أخضر/ ١٠٥/ مرسينيّ. وفيما بين هاتين القنطرتين في سُفل الحَرَم صُفَّةٌ كبيرة تسمّى صفة السَّبْع دَرَجٍ. يقال إنها مأوى الصالحين والسُّيَّاح في الليل، وعليها يتركعون.

وبجانب القنطرة المذكورة أوّلا، مدهونٌ صورةُ محرابٍ، بخدّيه عموداً رخام لطاف. وفي ركنها الغربيّ قبتان من رخام، واحدة تعلو الأخرى: كل منهما قطعة واحدة، تسمّى قبة الميزان، محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام «الشحم واللحم» بقواعد «شمعية». والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكمالها: ثمانية أذرع وثلثان. وارتفاع العمد السُّفلى ذراعان وسدس؛ وارتفاع العمد الفوقاني ذراع ونصف وربع. [وتعرف أيضا بقبة النجوم][(١)].

وبالقرنة القبلية من جهة غربيّ الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية[(٢)]، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع. لها بابان يُفتحان للشمال، بخدّهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعةٌ في جسدٍ واحد، ملفوفةً «مثعبنةً». وتِلوُ ذلك عمودان لطاف. وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة.

ويُدْخَل من البابين المذكورين لرواقٍ طوله ثمانية عشر ذراعا ونصف في عرض ستة، بسقف شاميّ مذهب ثلاثة عشر مربعا. بصدره القبليّ ثلاثُ طاقاتٍ مطلةٌ على الحَرَم وأبواب الجامع.

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) نسبة إلى واقفها الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب (ت ٦٢٤هـ) وقد وقفها على أصحاب المذهب الحنفي، وموقعها عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الداودارية.
انظر: خطط الشام ٦/ ١٢١، الأنس الجليل ١/ ٤٠٣، ٢/ ٤٢.

وبالجهة الغربية منه قبةٌ معقودة. بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة والغربية ثلاث طاقات. ولجهتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور، وطاقة تطلّ على الرواق المذكور.

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه. سكنُ الإمام، وقيِّم المكان، وحاصلُ الزيت.

ورتب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلي الصلوات الخمس. ورتب بها خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم، وشرط أن يكونوا/ ١٠٦/ حنفية من جملة طلبة مدرسته التي خارج الحرم. ووقف على ذلك قرية تسمّى بيت لقيا، من عمل القدس الشريف. وعلى سقفها مكتوبٌ أنه اهتمَّ بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة.

وأمام الشبابيك الشماليّة التي بالقبة الغربيّة من هذا الرواق، على تقدير خمسة أذرع، مَمْشاةٌ معقودة عدّتها سبع عشرة درجة، عرض كل درجة ذراع، يُتوصل منهنّ إلى سفل الحرم.

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صُفَّةٌ عليها رخامة منقوشة مِزْولةً لإخراج ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان، وعرضها ذراع وثلث، وارتفاعها ذراع ونصف.

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبةٌ لطيفة مكسوّة من ظاهرها بالبياض، خلوةٌ لبعض المتصدّرين بالحَرَم الشريف، يفتح بابها للشمال. وتتمة جهاتها الثلاث بكل منهنّ طاقة مطلة على الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحداهما قبة من جهة الغرب والأخرى في الشمال سقفٌ على عمودين رخام، يصلي عليها المبلِّغون في الصلوات الخمس.

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقيّ إلى حدّ الدرج، نهايةَ صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا.

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على أربعة أعمدة وساريتين، بخدّهنّ القبليّ والشماليّ خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم. وارتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوةَ ارتفاع القناطر التي على سائر السلالم. وبقي ثلاث قناطر منهنّ مفتوحة، يُخرج منهنّ إلى هذه الدرج المسماة بدرج البُراق. وعدّتهن ست وثلاثون درجة.

وذرع ما بين أوّل درجة من هذا الدرج إلى حدّ السور الشرقيّ مائة وستة وخمسون ذراعا وثلث.

وذرع ما بين الباب الشرقيّ البّرانيّ وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

وهذه القبة محمولة على اثني عشر عمودا أخضر مرسينيّ و«شحم ولحم». طول كل عمود، خارجا عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلث وربع وثمن؛ /١٠٧/ وارتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.

جميع ما بين الأعمدة محروق. وما بين العمود والعمود مُتَّكَايَةٌ من الحجر الصوّان المنحوت المجليّ، تقدير شِبر لا غير. طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف. وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن. بخدّي المحراب عمودان رخام أبيض. وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان. ارتفاع القناطر ذراعان وربع، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية عشر ذراعاً. وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسينيّ و«شحم ولحم». ما بين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف. بأعلى الأعمدة قناطر ملبسة بالفص، طول أربعة أذرع ونصف. والقبة الخشب من أعلى ذلك.

روى أبو بكر بن أحمد بن محمد المقدسيّ الخطيب، بسنده إلى أبي مالك بن ثعلبة، قال: سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدّث عن أبيه عن جدّه يرفعه[1]: «أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلّقة من السماء إلى الأرض ليتبيَّن المحقُّ من المبطل؛ فالمحق ينالها والمبطل لا ينالها؛ وأن يهوديا استُودِع مائة دينارٍ فجحدها. فجاؤوا إلى السلسلة ـ وقد سبك اليهوديُّ الذهبَ في عصًا ـ وناولها صاحب المال وحلف: لقد أعطيته دنانيره. وحلف الآخر أنه لم يأخذ. فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم».

ويقال: إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة. والله تعالى أعلم.

/١٠٨/ وذرع ما بين الشماليّ من أبواب الصخرة [المسمى بباب الجنة][2] إلى منتهى الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وساريتين مائة وثمانية أذرع.

---

(١) فضائل القدس٨٢ ـ ٨٣.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[ويُنزل من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف. وأمام الدرج مَمْشاةٌ مستطيلة مفروشة بالبلاط، عرضها خمسة أذرع وربع، وينتهي متشاملا إلى باب الحَرَم المعروف بباب شرف الأنبياء؛ وطول هذه الممشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا. وسيأتي (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم][١].

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شماليّ الصحن مسطبتان طول كلّ منهما ثمانية أذرع ونصف، من الشرق إلى الغرب، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع. ويصلي الناس عليهما.

ومن هذا الباب الشماليّ على مسافة اثنين وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلث، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع. بُني عليها قبةٌ مثمنة، تسمّى قبة المعراج. بابها يفتح للشمال، سعته ذراع وثلث، وطوله ذراعان وثلث. بظاهر القبة المذكورة حاملا لأركانه من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا. طول كل عمود، خارجا عن القواعد، ذراعان وثلثا ذراع.

والتثمينة التي بين الأعمدة ملبسةٌ ألواح رخام ملكيٍّ مشجرةً بأزرق. يُصعد إلى بابها بثلاث درج رُخام. ثم ينزل إلى داخلها بمثلهنّ.

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض، وحيطانها من داخل كذلك، مثل الظاهر. باطنها من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا. وبأعلى الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس «المكندج» ثلاثة، وزجاج أربعة. وبأعلى الطاقات كرسيّ القبة. وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع. سَعة محرابها ذراعٌ وثلثا ذراع؛ وهو بأوّل المسطبة لجهة القبلة. والباب والسلالم بآخرها لجهة الشمال. وتتمة المسطبة يصلي عليها الناس.

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاعُ ستة عشر ذراعا. وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة /١٠٩/ مكانَ الهلال، محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع.

وذرع ما بين الباب الغربيّ إلى رأس القناطر التي أمامَه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعا وثلثا ذراع. وهي أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مُكتَّبة بالأزرق وساريتين. وينزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم. ومن

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

حدّ هذه الدرج إلى السور الغربيّ (وهو الذي فيه الباب الجديد المعروف الآن بباب القيسارية)، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتي ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم خمسةٌ وثمانون ذراعاً وثلث ذراع.

وبظاهر هذا الصحن من فم الصهاريج المركب على فُوَّهَة كل منهنّ خرزةُ رخام أو حجر منحوت سبعة، لهن تسعة أبواب. منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرُّمَّانة له بابان: هذا الباب الذي بالصحن، وباب بسُفل الحرم أمام الجامع؛ وبالجهة الشرقية بئران، يعرف أحدهما بالشوك، ويعرف الآخر ببئر الورد، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة. وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة. وبالجهة الغربية ثلاث آبار: إحداها يُعرف بالكاس؛ لأن على فُوَّهته كأس رخام طويل، والآخر له بابان من الصحن، والآخر بفرد فَمٍ.

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سُفل الحرم من الصهاريج، فنقول: في سُفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً.

وبالجهة القبلية ستة: بالقرب من الزاوية الفخرية واحد؛ وبباب الجامع واحد؛ وداخلَ باب الجامع الشرقيّ واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذي داخل باب الجامع، والآخر في مكان يعمل فيه نجارة الحرم؛ والبئر الأسود، وله ثلاثة أبواب: أحدها يُنزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة، له بابان؛ وبئر في الحاكورة التي عند الباب الشرقيّ، وله بابان: واحد في الحاكورة، وباب خارج عنها.

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار: منها بالقرب من باب الرحمة واحدٌ، له بابان.

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار: بئر بركة بني إسرائيل؛ وبئر بباب شرف الأنبياء؛ وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوي وخانقاه الإسعردي[1].

وبالجهة الغربية ثلاثة: أحدها بباب الغوانمة؛ والآخر عند باب الرباط المنصوريّ[2]، وله بابان: /١١٠/ بابٌ في الحاكورة، وبابٌ خارج عنها، يعرف بابن عروة؛ وبئر عند الباب الحديد مغطّى بحصر الأروقة.

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه.

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خرِبة معطلة. واحد عند دَرج الميزان، والثاني

---

(١) الخانقاه: مكان يقيم فيه المتصوفة، وهو الصومعة والتكية وجمعها خوانق. «فرهنگ رازي ٢٦١».
(٢) نسبة إلى واقفة السلطان قلاوون الصالحي (ت٦٨٩هـ) انظر: خطط الشام ٦/ ١٤٩.

عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم.

وقد استوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما اشتمل عليه.

فلنذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك.

ونبتدىء أوّلا بذكر السور المحيط بذلك جميعه.

صفة السور القبلي وما صاقبه من المساجد وغيرها

وأوّل هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولُها من المحراب للشمال ستة أذرع وعرضها ستة ونصف. وبصدرها محرابٌ. ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية الفخرية، يتلو بابَ الزاوية الفخرية من الشرق صُفَّةٌ عشرةَ أذرع وربع، وعرضها ثلاثة ونصف. ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة. وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف. ومحرابه لطيفٌ، مركب على عمودين رخام لطاف. ومن ظاهر حائط هذا المحراب إلى حائط جامع النساء خَرجةٌ في الزاوية الفخرية التي إلى جانبه؛ وطول دهليزه أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع، وعرضه/ ١١١/ أربعة أذرع وثلثا ذراع.

وفي باطن سوره الشرقيّ مسطبة لطيفةٌ؛ عرضها ذراع ونصف، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن.

وفي ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القَوَمَة به. وله باب واحد يُفتح للشمال. سَعَتُه أربعة أذرع وارتفاعه خمسة أذرع.

وقولنا جامع المغاربة، لغلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. وكل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمامٌ مفرد، يصلي فيه الصلوات الخمس لا غير.

ويتلو جامع المغاربة فَضوةٌ كبيرة يتلوها جامع النساء. وطوله من الشرق للغرب اثنان وستون ذراعا ونصف ذراع، وعرضه من القبلة للشمال اثنان وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع، وهو رواقان سقفهما اثنا عشر عقداً: كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط على ست عضائد. وبصدره من الشبابيك خمسة: عرض الشباك الأوّل منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع. وتتمة الشبابيك دون هذا المقدار.

وبحائطه الغربيّ شباك مطلّ على حارة المغاربة.

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خدّ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد

واحد. طولها خارجا عن القواعد ذراعان إلا ربعا. وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلي الناس عليها.

ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج إلى الأروقة المذكورة. ومن باب جامع النساء على مُضِيّ سبعة وعشرين ذراعا من جهة الشرق، البابُ الغربيّ من أبواب الجامع المسمّى الآن بالمسجد الأقصى.

١١٢/ [(١)] / ١١٣/ صفة السور الشرقي

تقدّم أن في قُرنة السور القبليّ مهدَ عيسى، عليه السلام. وشماليّه رواق معقود على ستة عقود قد خربت مساطبه من العمائر القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالفص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعا، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلى حدّ مهد عيسى.

وشماليّ هذا الرواق، على مضيّ ثلثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعا، وعرضه قبلةً وشمالا أربعة عشر ذراعا ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلي فيه إمام مفرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ستّ قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة على عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعا ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين بباب الرحمة.

وهما بابان قديمان قد سُدًّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعا، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة [إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش][(٢)]. وقد سُمِّرَا وأُحكم غلقهما. قيل: إنهما من بقايا العمائر السليمانية. سُمّيا بأبواب الرحمة.

ومنتهى السور الشرقي رواقٌ طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا ونصف، ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث، ويعقبه في أوّل السور الشماليّ باب أسباط. وسيأتي ذكره، إن شاء الله.

وليس في هذا السور الشرقيّ الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف. ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين.

---

(١) هذه الصفحة بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ويقال: إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس. فلم يفتحا إلى الآن.

وقد اتخذ الناس ظاهرَ هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم. وفيها قبر شدّاد بن أوس[١].

وتلو المقبرة المذكورة وادٍ عميقٌ /١١٤/ يعرف بوادي جهنم، يزرع. وفيه كروم وبساتين. [ومنه يُتَطَّرق إلى عين [....]. وفيه أبنية عجيبة، وآثار غريبة، ونقوش ومعابد قديمة][٢]. وهو وقف على المدرسة الصلاحية. وحدّ هذا الوادي من الشرق طُورزَيْتا الذي يقال: إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه. وبه قبر رابعةَ العدوية، يُزار قصداً. وفيما بين السور الشرقيّ وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين. تقدير عدّتها مائة شجرة، يستظلّ الناس تحتها ويصلون.

قال الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك:

«ولقد مضى عليّ في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصولُ الأربعُ، فرأيتُ له في كل فصل محاسنَ في غيره لم تُجمع، وهو أنه من مبدإ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لُبّ الذكيّ الأروع. وكلُّ أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه، ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرّته».

قال: «وأما ما شاهدته بالعِيان، أنني جلست وقتا في بقعة منه تكللت بأزاهرَ من الشقائق والبَهار والأُقْحُوان، وإلى جانبي فقير عليه أطمارٌ رثَّةٌ يبدي تبسُّماً، وتارة يعلن صوته بالتسبيح والتكبير ترنُّماً، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن، وكساك هذه الحلل الفاخرة، وجعلك تحتوي على كنوز الدنيا والآخرة! فقلت له يا سيدي! أما فضله وبركته، فقد صدَّق العِيانُ فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر؛ لكن ما كنوز الدنيا؟ فقال: ما مِن زهرة تراها إلا ولها في النفع والضرر خواصّ، يعرفها اهل الاختصاص! فقلتُ: لعلّ تُظهرللعِيان شيئاً مما عرفتَ يزداد به اليقين تبصرة، وتكون

---

(١) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري ـ أبو يعلى ـ صحابي من الأمراء ولاّه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة، كان فصيحاً حليماً حكيماً.
توفي في القدس سنة ٥٨هـ/ ٦٧٧م عن ٧٥ سنة. وله في كتب الحديث ٥٠ حديثاً.
ترجمته في: الإصابة، رقم ٣٨٤٢، تهذيب التهذيب ٤/ ٣١٥، صفة الصفوة ١/ ٢٩٦، حلية الأولياء ١/ ٢٦٤، الأعلام ٣/ ١٥٨.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة. فأخذ بيدي ومشى خُطُواتٍ إلى جهة من جهات الحرم. ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلأ، وقال: هل معك / ١١٥/ خاتم أو درهم؟ فقلت: نعم. فأخرجتُ درهما مما معي. فعركه بذلك الكلأ، فعاد كالدينار في صفرته. ثم أخذ حشيشة أُخرى، وعركه بها. فعاد أبيضَ، أنقى مما كان أوّلا. وقال: هذه رموز احتوت على تلك الكنوز. ولم يترك نبيّ الله سليمان شيئاً من المواهب التي منحه الله إياها، والمنافع التي وصلت إليه من الإنس والجنّ على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه في هذا الحرم. فأين من يفهم تلك المعاني، أو مَن كان لها يُعاني؟ ثم أخذ منهجا غير ما كنت أسلكه. فسألته التثبت والتلبث. فقال: الدنيء مَن صرف نظره إلى العَرَض الأدنى، والسريُّ مَن صرف زمانه بالتهجد في هذا المعنى. أُوصيك أن تغتنم الفرصة في ركعات تقدّمها بين يديك، فما سواها فان، ولا تلتفت إلا إلى ما يقرّبك من الرحمن. فقلت: يا سيدي! ومثلك مَن يفتح لي أبواب الصواب. فقال: ما بعد السنَّة والكتاب من باب. ثم فارقني مهرولا، معلنا بصوته ومرتلا. يقول: سبحانك يا دائم! سبحانك يا قُدُّوس! سبحانك يا رحمن! سبحانك يا محيي النفوس! فجعلتُ هذا الذكر لي ديدنا، وكلما اشتاقت له منى عينٌ أطربتُ بذكره أُذنا.

صفة السور الشماليّ

وفيه عِدَّة أبواب: أوّلها من جهة الشرق بابٌ يسمّى أسباط. وهو تلو الرواق المقدّم ذكره الذي هو نهاية السور الشرقيّ. وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع.

ويعقب هذا الباب من غربه، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ. طوله اثنان وسبعون ذراعا، وعرضه ثمانية أذرع. بصدره أربعة شبابيك مُطلّة على بركة بني إسرائيل. وهي بركة قديمة عميقة.

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهي أرضٌ كشفٌ ببعضها مصبُّ مياه لبركة بني إسرائيل. وبعضها كشفٌ، قُصد أن يُبنَى به أروقةٌ. وإلى الآن / ١١٦/ لم تُكمل. وطولها أربعة وسبعون ذراعا.

ويعقب هذه الأرضَ المدرسةُ الكريمية. وجاورت ما أمامها من الأروقة بحائطين: غربية وشرقية. وجعلوا مَصِيفَيْن قدَّامها. وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعا. وجُعل قدّامَ هذه الأروقة مسطبةٌ يُصعد إليها بأربع دَرَج بارزة في الحرم. طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا. وهذه المدرسة بناها كريم

الدين عبد الكريم، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية. ويعقب هذه المدرسة بابٌ، يسمّى باب حِطَّة. عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع. أمامه مَمْشاة مفروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا، وعرضها خمسة أذرع وكَسْرٌ يُصعد من آخر بدرج إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يُدخل منهن إلى صحن الصخرة.

وبخذّي هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما لصيقةٌ للمدرسة الكريمية المذكورة؛ وتلوَ الغربية رواق، طوله اثنان وسبعون ذراعا في العرض المذكور.

وفي سوره ثلاثة شبابيك للرباط العَلَميّ الدواداريّ. وبأوّله من الشرق بالقربِ شباكٌ للتربة الأوحدية، من بني أيوب.

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ يعرف بباب شرق الأنبياء. طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة. وأمامه ممشاة نظير الممشاة المذكورة. وقد تقدّم ذكر هذه أيضا.

ويتلو هذا الباب رواقٌ طوله سبعة وأربعون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع ونصف، معقودٌ على ثمان سَوَارٍ. بأوّله شباكان، أحدهما مفتوحٌ يُتوصل منه إلى زاوية الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك. وتلوهُما بابٌ /١١٧/ يُصعد من باطنه إلى زاوية اللاوي. وتلو الباب مسطبةٌ، فيها صهريجٌ.

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواقٌ معقود عقدين على ثلاث سوارٍ. طوله تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع. ويُصلِّي به الآن بعضُ النسوة، الصلواتِ الخمسَ، خلفَ الأئمة.

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاجّ آل مَلَك الجوكندار، وخانقاه مجد الدين الإسعرديّ التاجر. وبأوّله جوارَ الصهريج المذكور، سُلَّمٌ يُصْعد منه إلى المدرسة والخانقاه المذكورتين.

ويعقب هذا الرواق كشفٌ ليس به أروقة. وهو صورة مسطبة عالية. ويُنزل من وسطها بست درج إلى الحرم.

وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر الجاوليّ، رحمه الله. وليس لها استطراق إلى الحرم. ومن حدّ هذا الكشف، طالبا لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما بابٌ يُفتح للجهة القبلية من الحرم. وداخلهما كله في باطن السور الشماليّ. وهي من جبل صخرٍ أصمَّ، صفة مغارةٍ. وقيل يعرف قديما بمغارة

إبراهيم. وفي الشرقية منهما شباك لطيف. وإلى جانب هاتين الخلوتين، خلوة لشيخ الحرم. وبها شباكان على الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعا. وأمامها مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلث. وبأعلى هذه الخلوة، خلوة يُصعد إليها بسلَّم، بسبع درج في حدّ الباب الذي يفتح للشرق.

ويتلو ذلك رواق على عقدين طوله من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا وعرضه تسعة ونصف. وتلوه سُلَّم مستطيل جدّا، يصعد من أعلاه إلى مأُذنة، إلى دارٍ هناك لبني جماعة. وهذه المأُذنة هي أقصى السور الغربيّ، وارتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعا. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهي مكللة من /١١٨/ العمد الرخام اللطاف بأحد وثلاثين عمودا.

صفة السور الغربيّ

ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ. وأمام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلِّي الناس عليها، ويستظلون؛ خلا باب الغوانمة، فليس قدّامه شيء.

ومبدأ السور من المأُذنة المذكورة.

وأوّل أبوابه من هذه الجهة، باب الغوانمة. وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع. يُصعَد إليه من الحرم الشريف بعشر درج. وبحدّه الشماليّ خلوة للبوّاب، بارزةٌ في الحرم تقديرَ خمسة أذرع. ومن حدّ هذه الخلوة إلى المأُذنة المذكورة خمسة وثلاثون ذراعا. ومن الباب المذكور ـ على مضى ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة ـ بابٌ لطيفٌ لخلوة في باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين. ومن حدّ هذه الخلوةِ إلى نهاية أربعة وعشرين ذراعا حاكورةٌ بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى.

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدّمين، وله تأثيرات حسنة في الحرم من المواعيد والأبنية.

وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسةٌ وأربعون ذراعا، في عرض سبعة أذرع وكسر.

ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة كشف بلا أروقة. ولصيقُ هذه الحاكورة من القبلة بابٌ كبير يعرف بباب الرباط المنصوريّ. طوله ستة وعرضه خمسة ونصف. وأمامه مَمشاة يُتوصل بها إلى السلم الذي يتوصل منه إلى صحن الصخرة، قُبالةَ الباب الحديد الآتي ذكره.

وبخدّ الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين، طوله تسعة أذرع وعرضُه عرضُ الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به. وهذا العقد أوّل العقود في السور الغربيّ.

وعُمل في ثخانة الحائط التي في أوّله مع ثخانة السارية خلوةٌ صغيرة للقيّم والبوّاب بالباب المذكور.

/ ١١٩/ وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر في المصالح. وتلوُ الباب المذكورِ عرضُه عرضُ الأروقة، وطوله مائة وثمانية أذرع؛ معقودٌ على ست عشرة سارية. وعلى تقدير عشرة أذرع من أوّله شباكُ القاعة التي هي سكن الناظر على أوقاف الحرم. وهي من وقف الحرم. وفي آخره خلوةٌ لطيفةٌ سكنُ القيّم وبرسم القناديل.

وتلو ذلك البابُ المعروف بالحديد. طوله أربعة أذرع ونصف، وعرضه ذراعان وثلثا ذراع. وأمامه مَمْشاة مبلطة يُتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشريفة. عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف، وعدد درجه إحدى وعشرون درجة. وليس بأعلاه قناطر أُسوةَ بقيّة السلالم.

وتلو هذا الباب رواقٌ على ثمان سوارٍ طوله ثمانية وخمسون ذراعا وعرضه عرض سائر الأروقة. وبآخره بابٌ لطيف لخلوةٍ لبعض الفقراء.

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ كبيرٌ عُمِل من قريبٍ واستجدّ فتحه، يُنزل إليه بعشر درجات. له مساطبُ في خدّيه. طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلثا ذراع.

وقد أُتقنتْ عمارته. وارتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع. وعقده بوجهين، منقوش بالحجر الملوّن. وطراز كتابته بالذهب، نُقِر في الحجر. وأبوابه مصفحة بالنحاس المذهب المخرّم، متقن العمارة والزخرفة. ويُتوصل منه إلى القيسارية المستجدّة. وتشتمل على صفَّيْ حوانيت، بعضها وقفٌ على الحرم، وبعضها وقفٌ على المدرسة والخانقاه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز، (رحمه الله) وسيأتي ذكرها عن كَثَب. إن شاء الله.

وإلى جانب هذا الباب رواقٌ معقود على ساريتين كبار جدّا طوله خمسة عشر ذراعا، وعرضه إلى خارج الساريتين سبعة أذرع وثلثا ذراع / ١٢٠/ وإلى باطنهما خمسة أذرع ونصف. بصدره شباكٌ لقاعةٍ من وقف الحرم. وبجانب الشباك خلوةٌ لطيفةٌ للقيّم والبوّاب. وإلى جانب هذا الرواق بابُ الطهارة. وهو يشتمل على طهارتين: إحداهما للنساء، والثانية للرجال. وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين بيتا وفسقية كبيرة. وبأعلى طهارة النساء تُكْرى لوقف الحرم.

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات. وطول الباب أربعة أذرع وثلثا ذراع، وعرضه ثلاثة وثُمنٌ، وبعده سبع درجات إلى دهليز مستطيل، يُتوصل منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى عُلْو طهارة النساء. وطهارة النساء في أوائل الدهليز، على يمين الداخل.

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعا، وعرضه سبعة ونصف. معقودٌ على تسع سوارٍ.

[وفيه في ثخانة السور بابان لخلوتين: إحداهما للقيّم والأخرى برسم فقير](١). وفي آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصق للمأُذنة، يُصلّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمام مفردٍ. وتجاوره المأُذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانيةٌ وأربعون ذراعا. وبأعلاها درابزينان من الخشب. وهي مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

ويتلو المأُذنة بابان قد غُلِق الشماليّ منهما وسُمِّر والمأُذنة إلى جانبه. ويسمّى البابُ المفتوح بابَ السلسلة. ويعرف قديما بباب السَحَرة. سَعته خمسةُ أذرع وثلث، وطوله ثمانية ونصف. وكذلك المُغْلَق. [وأمام هذا الباب مَمشاة قلع يتوصل منها إلى سلالم صحن الصخرة بعقدٍ قبالةَ المعظميّة. ذرعها سبعة وسبعون ذراعا وربع](٢). ويتلو الباب رواقٌ معقود على عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع وربع، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف. وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم.

وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة التنكزية: [أبوابهما من الآبنوس والعاج، وداخلهما المدرسة](٣). وظهره حامل للخانقاه التنكزية. وفي آخره باب لطيفٌ يُصعد منه إلى /١٢١/ أعلى المدرسة وسكن الصوفية. وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صَوَّان كبار.

ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةٌ ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعا إلا ثُمنا، وعرضها عرض الرواق المذكور.

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعا، تجد باب حارة المغاربة. وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

وتلو البـاب المذكور [على ثلاثة أذرع](٤) مسطبةٌ. وهي نهاية السور الغربي [وأوّل السور القبـليّ](٥). وهذه المسطبة مجاورة للزاويـة الفخرية التي هي أوّل

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

السور القبليّ من جهة الغرب. وقد تقدّم ذكرها.

* * *

وإذ قد استوعبنا صفة السور المحيط، فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما اشتمل عليه سوى صحن الصخرة.

ونبدأُ بما هو تحت صحن الصخرة، وعدّته تسع خلاوٍ: أحدها جُعل حاصلاً لأصناف الحرم.

فمنها بالجهة القبلية ثلاثةٌ: منهنّ ما على أبوابه مساطب ومُعَرَّشات كَرْم، وفيه أبواب الرواق المعظَّمى التي تحت مدرسته. وهو مصلًّى للحنابلة بإمام مفرد. وبجانبه الشرقيّ حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه.

وفي الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلاوٍ: منها ما عمل قدّام أبوابه حاكورةٌ وغُرست أشجاراً. والجهة الشمالية خالية من الخلاوي والحواصل.

وبالجهة الغربية خلوتان. إحداهما جُعلت حاصلا لأصناف الحرم. وفيه أبوابُ للرواق المعظميّ. وقبالة أبواب الرواق المعظميّ من الغرب قُبَّة موسى عليه السلام. وهي أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة. بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعا. وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعا، وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف؛ /١٢٢/ وارتفاعها نصف ذراع. بصدر المسطبة القبليّ القبةُ المذكورةُ. طولُها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال عشرة أذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وارتفاع كرسيّ القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض مفروشة بالرخام.

بابها يفتح للشمال. عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلثان. وبخدّيه شُبَّاكَا حديد في طول الباب وعرضه. وبكل جهة من جهاتها شُبَّاكَا حديد. يُغلق على كل شباكٍ، زوجُ أبواب. وهي محمولة على الأركان. وبين كل حائط وأخيه قوسُ عقدٍ. وبأعلى كرسيِّ القبة كرسيٌّ ثانٍ، فيه خمسُ طاقات زجاج. وبأعلى الكرسيّ الثاني القبةُ المعقودة. تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسيّ الثاني ثمانية أذرع. وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية، حتّى ولا في خدّي المحراب.

صفة قبة سليمان (عليه السلام)

وهذه القبة بالجانب الشماليّ من الحرم. وهي مسامتة للصهريج والسُّلَّم الذي يُصعَد منه إلى الخانقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل مَلَك.

ومن واجهة الصهريج إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعا. وهو يُفتح للشمال. طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع وثُمْنٌ. بخدّيه عمودا رخام ومسطبتان: يمنى، ويسرى. طول كل منهما خمسة أذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك.

وبخدّي الباب المذكور شباكان مطلان على هاتين المسطبتين. طول كل شباك منهما ذراعان وثلثا ذراع، وعرضه ذراع وثلثان.

يُدخل من هذا الباب إلى قبة مثمَّنة. وتتمة التثمينات مسدودةٌ. بها أربعة وعشرون عمودا من الرخام طول كل عمود ـ خارجا عن القواعد ـ ذراعان ونصف. في كل تثمينة من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخام التي في عقد القناطر. وبخدَّي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع / ١٢٣/ ونصف.

وفي نهاية العمد ـ عند نهاية كرسيّ القبة ـ طاقاتُ زجاج بدائرها. سَعَة القبة ستة أذرع ونصف، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعا.

وعلى يَمْنة المصلى في المحراب صخرةٌ صغيرة طولها ذراعان وربع، وعرضها من الجهة القبلية ذراع، ومن الشَّمالية ثلثا ذراع. يدعو الزوّار عندها. ويقال: إنها من الآثار السليمانية، وإن الدعاء عندها مستجابٌ.

وفي حائط هذه القبة القبليّ، من خارجٍ، عمودان من الرخام. وبهما تكّمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عمودا.

صفة المجلس الذي بناه سليمان (عليه السلام)
ويسمّى الآن إصطبل سليمان

قال الصاحب تاج الدين: هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه. وله من داخل الخانقاه الصلاحية (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة) [وبها الآن شيخ يعرف بالختنيّ، وتُعرف الآن][1] سُلَّمَان: أحدهما ست وثلاثون درجةً يُنْزَل منها إلى بعض أقسام المجلس المذكور؛ والثاني أربع وخمسون درجةً، يُنْزَل منها إلى بقية أقسام المجلس المذكور.

قال: والمكان في غاية النور لِما عُمل له من المناور والطاقات المُحكمة. وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصَّوَّان وأركان البناء. وعرض هذه المجالس من القبلة إلى الشَّمال: منها ما عرضه ثمانية أذرع، ومنها ما عرضه تسعة أذرع، ومنها ما

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

عرضه عشرة أذرع؛ وارتفاع عقوده من الأرض التي بها الأبواب النافذة لرأس وادي عين سلوان منها ما تقدير ارتفاعه عشرون ذراعا، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعا.

ويقال: إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وفي إحدى أُسطواناته حَلْقةٌ. يقال إن البُرَاق ربط بها ليلةَ الإسراء.

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب. فمنها ما أمكن قياس طوله، الذي أمكن التطرّق / ١٢٤/ إليه. فكان تقديره ثلاثةٌ وتسعين ذراعا. ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطانا: منها ما هو في وقتنا هذا مملوءٌ بالتراب المهول؛ ومنها ما هو صفة حواصل؛ ومنها ما هو مساكن، ومرافق لسكان الخانقاه المذكورة.

قال: ونِطاق النُّطْق ضاق عن استيعاب وصف هذا المجلس. لكن الأماكن التي أمكن التطرّق إليها والمشي لما هو نافذ منها دلّت على أن البقعة المسماة بالجامع (يعني المسجد الأقصى) موضعَ الخطبة الآن؛ وبقعةَ جامع النساء وغالبَ الممشاوات التي بالحرم والأشجار المزدرعة: كلها معلقة على هذه العقود والسواري.

قلتُ: ولقد دخلتُ إلى بعض هذه الأماكن، ورأيتُ من عجائب الأبنية بها ما يملأ العين. وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخُتنيّ، ثم أفضيتُ منها إلى الكروم وظاهر المسجد[1].

/١٢٥/ قبر الخليل عليه الصلاة والسلام
وما جاوره من قبور بنيه والأزواج

وكلها داخل ذلك المسوَّر، وفي حدود ذلك المكان المنوَّر

روى الحافظ أبو القاسم مكّيّ بن عبد السلام بن الحسين الرُمَيْلي المقدسيّ[2]، بسنده إلى كعب الأحبار، قال: أوّل مَن مات ودُفن بِحَبْرى سارةُ. وذلك أن إبراهيم خرج لما ماتت، يطلب موضعا ليقبرها فيه. فقدم على صفوان. وكان على دينه. وكان

---

(١) بعد هذا بياض بمقدار نصف صفحة.

(٢) مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي ، أبو القاسم: مؤرخ من الحفّاظ، رحّالة، كانت الفتاوى تأتيه من مصر وغيرها، نسبته إلى الرميلة من أراضي فلسطين، ولد سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م، تعلم بالقدس، ولما استولى الإفرنج عليها سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م أسروه وأذاعوا أن فكاكه بألف دينار فلم يستفكه أحد، فرموه بالحجارة حتى قتلوه. له: «تاريخ بيت المقدس وفضائله» لم يتمه.
ترجمته في: الأنس الجليل ١/ ٢٦٤، اللباب ١/ ٤٧٧، الأعلام ٧/ ٢٨٦ .

مسكنه وناحيته حَبْرى[1]. فاشترى منه الموضع بخمسين درهما. وكان الدرهم في ذلك العصر خمسةَ دراهم. فدُفنت سارة فيه. ثم تُوُفِّي إبراهيم فدُفن لَصِيقَها. ثم تُوُفِّيَت رَبقةُ زوجةُ إسحاق، فدُفنت فيه. ثم تُوفي إسحاق فدفن لَزِيقَها. ثم تُوُفِّي يعقوب فدُفن في الموضع. ثم تُوفيت زوجته لِيقا فدفنت معهم.

فأقام ذلك الموضع على ذلك إلى زمن سليمان. فلما بعثه الله، أوحى إليه أنِ ابنِ على قبر خليلي حَيْرا حتّى يكون لمن يأْتي بعدك، لكي يُعرَف.

فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس، حتّى قدم أرض كنعان. فطاف فلم يصبه. فرجع إلى بيت المقدس. فأوحى الله إليه: يا سليمان، خالفتَ أمري! قال: يا ربِّ، قد غاب عني الموضع. فأوحى الله إليه: اِمض، فإنك ترى نورا من السماء إلى الأرض، فهو موضع قبر خليلي. فخرج سليمان ثانيا، فنظر فأمر الجنَّ فَبَنَوْا على الموضع الذي يقال له الرامة. فأوحى الله إليه: إن هذا ليس هو الموضع، ولكن إذا رأيتَ النور قد التزق بأعنان السماء. فخرج سليمان فنظر إلى النور قد التزق بأعنان السماء إلى الأرض. فبنى عليه الحَيْر.

قلتُ: ولم يكن لهذا الحير بابٌ. وإنما المسلمون لما افتتحوا البلد، فتحوا له بابا. وبناؤه بناء محكم. وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرا.

/ ١٢٦/ وقد أُقيم بهذا الموضع خطبةٌ، ورُتِّب به إمام ومؤذنون.

وفي قبلته بابٌ يُنزل منه بدرج كثيرة إلى سرداب ضيّق تحت الأرض، يأخذ متشاملا إلى فجوة فيها ثلاث نصائب قبور في حائطه، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق.

وهناك طاقة لا يُعرف إلى أين تنتهي، لكن يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتى. وتلك أمثال القبور من فوق.

ولقد أتيتُ إلى هذا السرداب ومشيتُ به زحفا، لضيقه. ولتطأطؤ سقفه، لا يقدر أحد على المشي منتصبا به. وهو خطوات يسيرة تنتهي إلى الفجوة المذكورة. وهي نحو أربعة أذرع في مثلها. هيأة القبور في قبلة المسجد الآن قبران: الأيمنُ قبر إسحاق، والأيسر قبر زوجته. وفي شماليّه مما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين قبران:

---

(١) حَبْرى كسكرى [انظر القاموس. وقد أورد القصة في معجم ياقوت ٢/ ١٩٥ ببعض تصحيف في الأسماء]. (زكي).

الأيمنُ قبر إبراهيم الخليل، والأيسر قبر سارة زوجته. وفي شماليّ الحرم قبةٌ مفردة مسامته لقبة الخليل. وفيها قبرٌ يقال إنه قبر يعقوب. ولا شكَّ ولا ريبْ أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومَن ذُكر معه مدفونون داخلَ هذا المسوَّر. وأما تعيين موضع القبر، فالله أعلم.

قال عليّ بن أبي بكر الهرويّ[1]: حدّثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك، انخسف موضع في هذه المغارة. فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد بَلِيَتْ أكفانهم، وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل. وهي مكشوفة. فجدّد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع. وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. حكى ذلك شهاب الدين بن الواسطيّ. قال: وقيل إن قبر آدم ونوح وسام في المغارة. قال: والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن. واللهأعلم.

ووراء الحرم موضعٌ فيه قبرٌ ينسب إلى يوسف، عليه السلام. يقولون إنه لما بُني المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم. فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) /١٢٧/ قائلا يقول: دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر.

[ويقال إن موسى (عليه السلام) لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف، ودفنه هناك قريبا من آبائه؛ ولم يدفنه عندهم، لما ناله من المُلك. هكذا

(١) علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن: رحالة، مؤرخ. أصله من هراة، ومولده بالموصل، طاف البلاد، وتوفي بحلب ٦١١هـ/ ١٢١٥م. وكان له فيها رباط. قال المنذري: كان يكتب على الحيطان، وقلما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها إلا وفيه خطه، حتى ذكر بعض رؤساء الغزاة البحرية أنهم دخلوا في البحر الملح إلى موضع وجدوا في بره حائطاً وعليه خطه. من كتبه «الإشارات إلى معرفة الزيارات ـ ط» و«الخطب الهروية ـ خ» مواعظ، و«التذكرة الهروية في الحيل الحربية ـ ط» وكتاب «رحلته ـ خ» تمت كتابته سنة ٦٠٢هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٤٦ والتكملة لوفيات النقلة ـ خ. الجزء السابع والعشرون. وابن الوردي ٢/ ١٣٢ وفيه: «كانت له يد في الشعبذة والسيمياء والحيل، وطاف أكثر المعمور». ونهر الذهب ٢/ ٢٩٣ وفيه ما كتبه على قبره يصف نفسه: «عاش غريباً ومات وحيداً، لا صديق يرثيه ولا خليل يبكيه، ولا أهل يزورونه ولا إخوان يقصدونه ، ولا ولد يطلبه ولا زوجة تندبه، سلكت القفار وطفت الديار وركبت البحار ورأيت الآثار وسافرت البلاد وعاشرت العباد فلم أر صديقاً صادقاً ولا رفيقاً موافقاً، فمن قرأ هذا الخط فلا يغتر بأحد قط». وآداب اللغة ٣/ ٨٧ والكتبخانة ٥/ ٥٨ ودار الكتب ٦/ ٣٢. وفي مذكرات الميمني ـ خ. ذكر نسخة من كتابه «التذكرة الهروية» بخطه سنة ٦٠٢ في ١٥٥ ورقة، في خزانة عاطف باستنبول، الرقم ٢٠١٨، الأعلام ٤/ ٢٦٦ .

يقال، والعهدة على قائله. والله أعلم][1].

قلتُ: وهذا الحرم مؤزّرٌ جُدُرُهُ بالرخام الملوّن والمُذْهَب. وعليه أوقاف جليلة. ويُمدّ فيه كلَّ يوم بعد العصرِ سِمَاطٌ، ويفرّق فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم.

وقد زرتُ الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة. فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالي العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف؛ وأن غالب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف. ويُفرق أيضاً مع الخبر طعام العدس بالزيت الطِّيب والسُّمَّاق. وفي بكرة النهار يُطبخ أيضاً قدر من الدشيش، ويفرّق على الواردين. وفي بعض أيام الأسبوع، يُطبخ ما هو أفخر من ذلك.

وله خُدّام برسم غربلة القمح وطحنه وعجينه وخبزه. لا يَبْطُلُون ليلا ولا نهارا وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلى بعض. بحيث إن القمحَ يُفرّغ في الأهراء ويُخْرِجَ خبزا مخبوزا. ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام، لا ينقطع له مدد، ولا يُحصر بضبط ولا عدد.

ولما استولى الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجرَوْا هذا السِّماط وزادوا على مَن كان قبلهم، وبالغوا في صلة هذا المعروف.

ثم زاد ملوك الإسلام في السِّمَاط. وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمير، والغنيّ والفقير.

وقلتُ من قصيدٍ مدحتهُ، عليه الصلاة والسلام: [من الكامل]

هـذا خـلـيـلُ اللهِ إبـراهـيـمُ قـدْ ... لاحتْ لنا أعلامُهُ الشُّمُّ الذُّرى!

هـذا الـذي سَـنَّ الـقِـرى لـضيـوفِهِ ... كـرمـاً، ولـولاهُ لـمـا سُـنَّ الـقِـرى!

هذا الـذي مَدّ السَماطَ فما انطوى ... ذاك السماطُ تكرماً، وسَلِ الورى!

وقلتُ من أخرى: [من الخفيف]

هـوَ ذا صـاحـبُ الـسِّـمـاطِ ولـكـنْ ... صـاحـبُ الـحـوضِ نـجـلُـهُ وذووه!

ذو فِـنـاءٍ يُـقـرى بـهِ كـلُّ ضـيـفٍ ... لـم يُـخيَّبْ تـحتَ الدُّجى طارقُوه!

مُـنـعِـمٌ سَـيِّـدٌ جـوادٌ كـريـمٌ؛ ... مـنـذُ مـدّوا سـمـاطَـهُ مـا طَـووهُ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وقلتُ من أخرى، حين زرته في ذي الحجة سنة خمس وأربعين /١٢٨/ [وسبعمائة]: [من الطويل]

خليلُ إلهِ العرشِ أوّلُ مَنْ قَرى ... ضُيوفا! وها قدْ جئتهُ واستضفتُهُ
أتيتُ كريما لا تزال رِحابُهُ ... مُطَبّقةً بالوفدِ حيثُ نظرتُهُ
دعتْ نارُه الضِّفانَ في غَسَق الدُّجى ... وليسَ سِوَاها بارقاً ثَمَّ شِمتُهُ
فتى الجودِ شيخُ الأنبياءِ جميعِهِمْ ... ووالدُهم حقًّا، يقيناً علمتُهُ

وقلتُ، عند الوَداع في هذه السنة: [من الكامل]

هذا الخليلُ وهذهِ أبناؤهُ! ... يكفيكَ بعدَ فراقِهِ أنباؤهُ!
هيهاتَ لا تُوفِي أقلَّ حقوقهِ ... ولوَ آن جفنكَ لا يجفُّ بكاؤهُ!
فامسكْ فؤادَكَ إنْ ملكتَ عنانَه! ... هيهاتَ قدْ طارتْ بهِ أهواؤهُ!
وتعزّ عنْ أهلِ الكثيبِ وإنما ... مِنْ أينَ للصبِّ الكئيبِ عزاؤهُ!

قلت: وكان قدومنا هذه المرّة على الخليل (عليه السلام) يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة. فبتنا ليلتنا نتبرّك بما حوت تلك القبور من العِظام العِظام، ونعفِّر الوجوه في تلك البقعة المُشرَّفة في مواضع أقدام أولئك الأقوام. ثم أصبحنا وقد حَمِدنا السُّرى عند الصَّباح، وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصِّباح. فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزَّتنا من النوبة الخليلية الطرَب، بعثتُ وراء الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن الخليليّ التميميّ الداريّ. وهو بقية هذا البيت الجليل، والمُنتهي إليه النظر على وقف الحبيب /١٢٩/ سيدنا محمد ﷺ وبلد أبيه إبراهيم الخليل. والتمسنا منه إحضار الكتاب الشريف النبويّ المكتتب لهم بهذه النَّطية[1]. والمُشرِّف لهم به على سائر البرية. فأنعم بإجابة الملتمَس، وجاء به أقربَ من رَجْعِ النَفَس. وهو في خرقة سوداء من مُلْحَم قطن وحرير، ومن كُمِّ الحسن أبي محمد المستضيء بالله[2]. أمير المؤمنين، وبطانتها من كَتَّان أبيض على تقدير كل

---

(١) أي العطية، بلغة اليمن. وذلك إشارة إلى إقطاع تميم الداري الصحابي وسيأتي حكاية هذا الإقطاع ونسخة كتابه في هذه الصفحة والتي تليها.(زكي).

(٢) الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي الهاشمي، أبو محمد، المستضيء بالله: خليفة، من العباسيين في العراق. ولد سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤٢م. بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ٥٦٦هـ) وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر. قال ابن شاكر: لما تولى المستضيء بالله نادى برفع المكوس، ورد المظالم الكبيرة، وفرق مالاً عظيماً، ثم احتجب عن الناس، ولم يركب إلا مع الخدم. وفي أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر، وضربت السكة باسمه، وجاء البشير =

إصبع منه ميلان أسودان، مشقوقان بميل أبيض، جُعل ضمن أكياس يضمُّها صُندوق من آبنوسٍ يُلَفُّ في خرقة من حرير. والكتاب الشريف في خِرقة من خُفٍّ من أدم، أظنُّها من ظَهْر القَدَم. وقد موّه سوادُ الجلد على الخط، لا أنّه أذهبه، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه. وهو بالخط الكوفيّ المليح القويّ. فقبّلنا تلك الآثار، وتمتعنا منه بمدد الأنوار. ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهدةً لهم بمضمونه، ومزيلةً لشكِّ الشاكّ المُريب وظنونه: ومضمون ما كتب كهيأته وسطوره:(١)

«نسخة كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه»

«لتميم الداريّ وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصَرَفه»

«من غزوة تبوك في قطعة أدم من خف أمير المؤمنين عليّ وبخطه»

«نسخته كهيأته»

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا ما انطى محمد رسول الله لتميم»

«الداريّ وإخوته حبرونَ والمرطومَ»

«وبيتَ عَيْنون وبيت إبراهيم وما فيهنّ»

/ ١٣٠/ «نَطيةَ بتٍّ بذمَّتهم ونفَّذتُ وسلمتُ ذلك لهم»

«ولأعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم»

«لعنه الله شهد عتيق بن أبو قحافة وعمر بن»

«الخطاب وعثمان بن عفان وكتب عليّ بن»

«بو طالب وشهد»

هذه نسخة الكتاب الشريف.

= إلى بغداد، وغلقت الأسواق وعملت القباب، وصنف ابن الجوزي في ذلك كتاب «النصر على مصر» وخطب له بمصر وقراها والشام واليمن وبرقة، ودانت الملوك لطاعته. توفي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م.

ترجمته في:

الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٠٩ ـ ٣١١، فوات الوفيات ١/ ١٣٧ وابن خلدون ٣/ ٥٢٨ وما قبلها، ومرآة الزمان ٨/ ٣٥٦ وابن الأثير ١١/ ١٧٣ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٦٦ والنبراس لابن دحية ١٥٩ ـ ١٦٤، الأعلام ٢/ ٢٢٧.

(١) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لحميد الله ١٢٩ ـ ١٣٣، وفيه مصادر تخريجها.

و«أبو قحافة» ألف وباء وواو ـ ثم «قحافة» ـ و«بو طالب» باء وواو ـ ثم «طالب». وليس في «بو» ألف. بُيِّن ذلك ليُعرف. و«كتب» في ذكر عليٍّ رضي الله عنه مقدّمةٌ، و«شهدَ» مؤخرةٌ. بُيِّن ذلك أيضا ليعرف.

وقد رأيتُ ذلك كله بعيني، ومن خط المستضيء نقلت. وهو خطه المعروف المألوف. وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشكُّ فيها ولا أرتابُ. وقرأتُه من الكتاب النبوي نفسه. وهو موافقٌ لما كتبه المستضيء، نقلا منه. على أن آثاره كادت لتعفّى، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفّى[(١)].

وكان التبرُّك برؤية ذلك على ظهر القبور الصغير الشماليّ، في الحرم الخليليّ الملاصق لقبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفضي منه إلى المأذنة بحضرة مخزن العدس.

---

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل ابن فضل الله. فمن ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدي (في ورقتي ٢٧ و٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية) وهذا نص ما فيه:
قال الفقيه القاضي أبو بكر العربي المعافريّ رحمه الله تعالى في كتاب القَبَس له: «وقد كان عند أولاد تميم الداريّ رضي الله عنه بحبرون بدمشق، قرية إبراهيم ﷺ، كتابُ النبي ﷺ في قطعة من أديم: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله ﷺ تميماً الداريّ. أقطعه قريتي حبرون وعينون قريتي إبراهيم الخليل. يسير فيهما بسيرته. وكتب علي بن أبي طالب. وشهد فلان وفلان) فبقيتا في يده يسير بسيرته. وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الروم سنة ستين [لعلها ست] وتسعين.
ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة بإن يزيلهما من يده إبان كوني بالشام. فحضر مجلسه القاضي حامد الهروي. وكان حنفياً في الظاهر، ومعتزلياً في الباطن، ملحداً شيعياً. وكان الوالي سكمان بن أرتبك [أزبك؟]. فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله ﷺ. فقال القاضي حامد: هذا الكتاب لا يلزم، لأن النبي ﷺ أقطع ما يملك. فأستفتى الفقهاء، فقال الطوسي، وكان بها حينئذٍ: هذا كافر، والنبي ﷺ كان يقطع الجنة ويقول: قصر عمر، قصر فلان. فكيف لا يُقْطِع في الدنيا؟ وقد قال رسول الله ﷺ: زُوِيت لي الأرض... الحديث فوعده صدقٌ وكتابه حق. فخزي القاضي والوالي، وبقي أولاد تميم بكتابهم.
ومما يدل على وجود هذا إلى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندي صاحب «صبح الأعشى» كتب فصلاً طويلاً على هذا الإقطاع وعلى الكتاب النبوي الكريم. وذكر في آخره ما نصه: «وهذه الرقعة التي كتب بها النبي ﷺ موجودة بأيدي التميميين خدّام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن. وكلما نازعهم أحد، أتَوْا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويَكُفَّ عنهم من يظلمهم. وقد أخبرني برؤيتها غير واحد. والأديم التي هي فيه قد خَلِق لطول الأمد.(انظر: صبح الأعشى ٧/ ٣٩ من النسخة المحفوظة بخزانتي). وذلك يدل على أن الكتاب النبوي كان موجوداً إلى سنة ٨٢١ هجرية. (زكي).

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدّمة بالحصنِ سكنِ بني الخليليّ، بظاهر البلد، لما أتيتُ زائراً بعد العوْد من الحجّ على الدرب المصريّ في المحرّم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة. ولكنّي إذ ذاك لم أنقله.

/ ١٣١/ قبر يُونس بن متّى عليه السلام

بقرية حَلْحُولَ على يسار الذاهب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام. ويعرّج الزائر إليه. وعليه بناءٌ وقُبَّةٌ. وله خادم.

زُرْتُهُ مراتٍ. وآخر عهدي به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة. وكتبتُ على جدار القبة بيتين خطرا لي في ذلك الوقت، وهما: (١)

قبر موسى بن عِمْران عليه السلام

بالقرب من أَرِيحاءَ. وتعرف القرية بِشَيْحان.

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلاّس (٢) ما صورته: «قال الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد الله بن يونس الأرمويّ (٣) عن والده قال: زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي بالقرب من أَرِيحاء. قال الشيخ إبراهيم: وكان إذ ذاك لم تُبْنَ عليه قُبَّةٌ ولا مشهدٌ. قال: فقلت في نفسي: اللهم أرِني ما أزداد به يقينا في صحة هذا القبر. قال: فبينا أنا نائم رأيتُ كأنّ القبر انشقَّ وخرج منه إنسانٌ طُوَال. قال: فجئتُ إليه وسلَّمتُ عليه، وقلتُ له: مَن أنت؟ قال: موسى بن عمران، وهذا قبري. وأشار إليه. ثم قعدنا. وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قِدْره فلما استوى طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شورباة أرز. فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق، وأنا ثلاث ملاعق، والرجل ثلاثا. ثم تداولناها بيننا إلى أن فَرَغت. قال الشيخ عبد الله: وكنتُ على عزم العود إلى بلاد العجم إلى عند شيخي. فقال لي موسى عليه السلام: أنت / ١٣٢/ لا تسافر إلى شيخك. وكيف

---

(١) بياض في الأصل بمقدار سطرين.

(٢) علي بن محمد بن علاء الدين الدواداري، شاعر كان جندياً بدمشق، وتوفي بحطين - من قرى صفد - بفلسطين سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، له «مجاميع» و«تعاليق».
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٨٤، الدرر الكامنة ٣/ ١٢٣، الأعلام ٤/ ٣٣٤.

(٣) ابراهيم بن عبد الله بن يوسف بن يونس بن ابراهيم بن سليمان بن ينكو، أبو إسحاق، ابن الأرمني الأرموي ولد سنة ٦١٥هـ بقاسيون وتوفي في سنة ٦٩٢هـ، زاهد عابد، له شعر جيد. ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٧، دول الإسلام ٢/ ١٤٨، العبر ٥/ ٣٧٥، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٦ رقم ٢٤٦٩، المقفى الكبير ١/ ٢٣٨، رقم ٢٧٣، النجوم الزاهرة ٨/ ٣٨، شذرات الذهب ٥/ ٤٢٠، تاريخ الإسلام حوادث سنة ٦٩٢هـ) ص١٤٧.

تسافر؟ وأنت تريد تتزوّج بامرأة من نسل الرسول وتُرْزق منها أربعةَ أولاد. وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة، وضم الإبهام إلى باطن كفه، يحكيه. قال الشيخ إبراهيم: فكان كما ذكر موسى عليه السلام. فلم يسافر والدي، وتزوّج بامرأة شريفة، وهي أُمّي. ورُزق أربعة أولاد، أنا أحدهم. ولما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي أنت راضٍ عني؟ فقال: كيف لا أرضى عنك، وقد بشرني بك موسى عليه السلام[١].

* * *

١٣٣/ مسجد دمشق

مسجدٌ عظيم[٢]، ومعبد قديم. لا يُعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بنائه. فتح المسلمون الشأم، وهو كنيسة لأهل دمشق يُتعبَّد فيها، زمنَ الرُّوم. وقد كان قبلهم معبداً لأمم مختلفة. وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم، وأنهم بَنَوْه فيما بَنَوْا من الهياكل السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة. جعلوه بيتا للمشترِي. قالوا ولهذا استمر التعبُّد فيه إذ كان المشترِي طالع الديانات والتألُّه. هذا ما زعموه.

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دُحَيْم: حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود وما كان من حدّ الفسيفساء إلى فوقُ، فهو من بناء الوليد.

وقال الوليد بن مسلم[٣]: لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحا من حجرٍ، فيه كتابُ نَقْشٍ. فأتَوْا به الوليد. فبعث إلى الرُّوم فلم يستخرجوه. فدُلَّ على وَهْب بن منبه. فأقدمه عليه؛ فأخبره بموضع ذلك اللوح. ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام. فلما نظر إليه وهبٌ، حَرَّك رأسه. ثم قرأه، فإذا هو:

«بسم الله الرحم الرحيم. اِبنَ آدم! لو نظرتَ يسير ما بقِيَ من أجَلِك، لزهدتَ في طول ما ترجو من أملك! وإنما تلقى ندمك، لو قد زلَّتْ بك قدمُك، وأسلمك اهلك وحشَمُك، وانصرف عنك الحبيب، وودَعك القريب، ثم صرت تُدعى فلا تجيب! فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد. فاعمَل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحلَّ بك أجلك، وتُنتزع منك رُوحك! فلا ينفعك مالٌ جمعتَه، ولا

(١) بعد هذا بياض بمقدار ثلاثة عشر سطراً.

(٢) من هنا النقل بتصرف من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٩.

ولدٌ ولدتَه، ولا أخٌ تركتَه! ثم تصير إلى برزخ المثوى، ومجاورة الموتى. فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوّة قبل الضعف، والصحةَ قبل السقم، قبل أن يؤخذ بالكَظَم، ويحالَ بينك وبين العمل! وكُتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام».

ولما فتح المسلمون دمشق ـ على ما يأتي ذكره، إن شاء الله تعالى ـ دخل أمير الجيش أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح (رضي الله عنه) بالأمان من / ١٣٤/ غرب البلد، ودخل خالدُ بن الوليد بالسيف من شرقه.

فكانت دمشقُ نصفين. والكنيسة كذلك. فاتخذوا منها النصف الشرقيّ المفتوح عَنْوةً، مسجداً يصلُّون فيه. وتصلِّي النصارى في النصف الآخر. فتأذّى المسلمون لمجاورة النصارى لهم في مكان تعبُّدهم، وكرهوا قرع النواقيس بإزائهم. واشتدّ ذلك على الوليد بن عبد الملك. وكان مُغْرًى في سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد. فأعطى رجلا ديته حتّى أتى القسطنطينية. ودهل في زِيّ النصارى كنيستها العظمى يوم الأحد، والملكُ فيها فَمَنْ دونه. فلبث حتّى رأى أن جمعهم قد استكمل. ثم قام فأذّن. فأُخذ وأُحضر لدى الملك، وقد جلس إلى جانبه البطريْرك، واستدارت بهما القسوس والشمامشة. فقال له الملك: مَن أنت، وما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: أما أنا، فرجل من المسلمين من أهل دمشق؛ وأما ما حَمَلني على ما صنعت، فأنشدك اللهَ، أيها الملك: هل ساءك ما فعلتهُ وكرهتَه أم لا؟ فقال: نعم. فقال: ونحن في معبدٍ في شطره النصارى، نسمع نواقيسهم، ونُساء بمجاورتهم. فأراد أمير المؤمنين أن يعرّفك أننا نُساء بذلك، كما ساءكم ما فعلتُ. فخلّى عنه، وكانوا قد همُّوا بقتله. ثم قال له: صالحونا على عِوَضٍ. فصولحوا عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين.

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فِنائه. أبقى منه ما أبقى، وجدّد ما جدّد.

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المُقرىء[1]: حدّثني أبي عن أبيه المغيرة، أنه دخل يوما على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموماً. فقال: يا أمير المؤمنين ما سبيلُك؟ فقال: يا مغيرة إنّ المسلمين قد كثروا، وقد ضاق بهم المسجد. وقد بعثتُ إلى هؤلاء لنُدخل كنيستهم في المسجد، فأبَوْا. وقد أقطعتُهم قطائعَ كثيرةً وبذلتُ لهم مالاً، فامتنعوا. قال: لا تغتّم يا أمير المؤمنين! قد دخل خالد من الباب الشرقيّ بالسيف، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان. فماسِحْهم أيَّ موضع بلغ السيفُ،

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٣ ـ ٢٤.

فإن يكن لنا فيه حقٌّ أخذناه. قال: فرّجتَ عني! فتولَّ أنت هذا / ١٣٥/ فتولاه. فبلغت المسحة إلى سوق الريحان حتّى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسراً بالقاسميّ. فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد. فبعث إليهم. فقال: هذا حقٌّ قد جعله الله لنا! لم يُصَلِّ المسلمون في غَصْبٍ ولا ظلم، بل نأْخذ حقنا. قالوا: قد أقطعتَنا أربع كنائس، وبذلتَ لنَا من المال كذا وكذا. فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضل بذلك علينا، فافعل! فتمنَّع عليهم حتّى سألوه وطلبوا إليه. فأعطاهم كنيسة حُمَيد بن درّة، وكنيسةً أخرى عند سوق الجُبن، وكنيسةَ مريم، وكنيسة المُصَلّبة.

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة. فقال بعض الأقساء للوليد، والفأْس على كتفه، وعليه قباء سفرجليّ، وقد شدّ قباءه: إني أخاف عليك من الشاهد[١]. قال: ويلك! إني ما أضع فأْسي إلا في رأْس الشاهد! ثم إنه صعد. فأوّل مَن وضع فأْسه في هدمها الوليدُ بن عبد الملك. وكبَّر الناس.

وقال يعقوب الفسويّ: سألت هشام بن عمّار عن هدم الكنيسة. فقال: كان الوليد قال للنصارى: ما شئتم، إنا أخذنا كنيسة توما عنوةً وكنيسة الداخلة. فأنا أهدم كنيسة توما، وكانت أكبرهما. قال: فرضُوا أن هَدَمَ كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد. وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلّى فيه. قال: وهدم الكنيسة في أوّل خلافته. وكانوا في بنيانه تسع سنين. ولم يتم بناؤه.

وقال يزيد بن أبي مالك: أرسل إليّ الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة فأتاه النصارى فقالوا: كنيستنا لا نهدمها! قال: فإني أتركها وأهدم كنيسة تُوما؛ لأنها لم تكن في العهد. فلما رأوْا ذلك، قالوا: فإنا نتركها لكم، وتدع لنا كنيسة توما. فصعد الوليد وصعدنا معه. فكان أوّلَ مَن ضرب بفأس في هدمها.

قال: وأراد أن يبني المسجد أسطوانات إلى الطاقات. فدخل بعض البنائين قال: لا ينبغي أن يُبنى هكذا. ولكن ينبغي أن يُبنى فيه قناطر وتُعقد أركانها، ثم تجعل أساطين وتجعل عُمُدا. وتُعقد فوق العُمُد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمد البناء. ونجعل بين كل عمودين ركنا. قال: فبُني كذلك.

وقال إبراهيم بن هشام الغسّانيّ[٢]: / ١٣٦/ حدثني أبي عن يحيى بن يحيى، قال: لما همّ بهدم كنيسة مَرْيُحَنَّا ليزيدها في المسجد، يعني الوليدَ، صعد المنارة ذات

---

(١) هو محراب الذبح، كما يؤخذ من الرواية في الصفحة القادمة (زكي).

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٠.

الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهبٌ يأوِي في صعومعةٍ. فأحدره من الصومعة. فأكثر الراهب كلامه. فلم تزل يد الوليد تدقُّ في قفاه حتى أَحدره من المنارة.

ثم همّ بهَدْم الكنيسة. فقال له جماعة من نجاري[1] النصارى: ما نجسر على هدمها. فقال: أتخافون؟ هاتِ المِعْوَل يا غلام! ثم أتِي بسُلّم فنصبه على مِحراب المذبح[2]. وصعد فضرب بيده حتّى أثّر فيه أثرا كبيرا. ثم صعد المسلمون فهدموه؛ وأعطاهم الوليد مكانَ الكنيسةِ الكنيسةَ التي بحمام القاسم، حِذاءَ دار أمّ البنين في الفراديس.

قال يحيى بن يحيى: أنا رأيت الوليد فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

وروى الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره، قال[3]: لما كان الوليد وأراد بناء المسجد، فقال إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذه، ونعطيكم عوضها حيث شئتم. وإن شئتم أعطيتكم ثمنها، وأُضعف لكم الثمن. فأَبَوْا ذلك، وقالوا: لنا ذمّةٌ وعهدٌ. والله إنا لنجد ما يهدمها أحدٌ، إلا جُنَّ! قال: فأنا أوّل مَن يهدمها. فقام وعليه قباء أصفر فضرب، وهدم الناسُ معه.

قال أحمد بن المُعَلَّى[4]: فأخبرني شيبة بن الوليد، قال حدّثني أبي، قال: كنت أمرُّ بعبد الرحمن بن عامر اليحصَبيّ، وهو شيخ كبير أزرق، وهو جالس بالروضة، فيقول لي: ألا تأْتي حتّى أكتبَ لك ارتجازَ جدّك وهو يضرب بالفأْس في الكنيسة بعد الوليد؟ قلت: نعم، ولكن حدَّثني الحديث. فقال: لما عزم الوليد على هدم الكنيسة، قالوا إنه لا يهدمها أحدٌ إلا جُنَّ. فقام جدّك يزيد بن تميم فجمع له وجوهَ أهل البلد. وأمرَهُ الوليد أن يتخذ فأْسا صغيرة. ففعل. ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد حتّى علا الكنيسة. ثم التفت إلى يزيد بن تميم، فقال: أين الفأس؟ فأتاه به. فقال إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أوّل مَن يهدمها يُجَنّ؛ وأنا أوّل /١٣٧/ من يُجَنُّ في الله. وأخذ برقبة قبائه فوضعها في مِنطَقته. ثم أخذ الفأْس فضرب به ضرباتٍ. ثم ناوله جدّك فضرب به بعده، وتناول الفأْس كل من حضر[5].

---

(١) العرب تقول للرجل نجار، وإن كان لا يعمل بالمثقب والمنشار ونحوه، ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك، انظر: كتاب «الحيوان» للجاحظ ٤/ ٢٦ (زكي).

(٢) هو الذي سماه «الشاهد» في الرواية المتقدمة للصفحة السابقة (زكي).

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٢. (٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٢.

(٥) لم يورد صاحب تأريخ دمشق الرجز الذي أشار إليه في صدر الكلام.

وصاح النصارى على الدرج وولولوا. فالتفتَ إلى يزيد بن تميم، وهو على خراجه، فقال: ابعث إلى اليهود حتّى يأتُوا على هدمها. ففعل. فجاء اليهود فهدموها.

قال ابن المعلّى[١]: وأخبرني همّام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدّثني أبي، قال حدثني مَرْوان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مَرْوان، قال: لما أراد الوليد بناء مسجد دمشق، احتاج إلى الصُّنَّاع. فكتب إلى الطاغية أن وجِّه إليّ بمائتي صانع من صُنَّاع الروم، فإني أريد أن أبني مسجدا. وإن لم تفعل، غزوتُك بالجيوش، وخربتُ الكنائس، وفعلتُ. فكتب إليه: «لئن كان أبوك فُهِّمَها فأُغفل عنها، إنها لوصمةٌ عليه؛ ولئن كنت فُهِّمْتَها وغُيِّبَتْ عن أبيك، إنها لوصمةٌ عليك. وأنا موجِّه إليك ما سألتَ». فأراد أن يعمل لها جوابا، فجلس عقلاء الرجال يذكرون. فقال الفرزدق: أنا أجيبه، قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[٢]. فَسُرِّي عنهم.

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه، قال[٣]: كتب ملك الروم إلى الوليد: «إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان حقًّا فقد خالفت أباك؛ وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك». فلم يجبه أحدٌ. فوثب الفرزدق، فقال: أنا أبو فراس! «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمنَ»! قال فكتب به الوليد إلى ملك الروم.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاَّس[٤]: حدثني أبي عن أبيه عن جدّه، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلَّتْ وتمَّتْ، وقعتْ. فشقَّ ذلك عليه. فأتاه بنّاء، فقال: أنا أتولّى بناءها، على أن لا يدخل أحد معي في بنائها. ففعل. فحفر موضع الأركان حتّى بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت على وجه الأرض، غطّاها بالحُصُر. وهرب. فأقام الوليد يطلبه ولا يقدر. فلما كان بعد سنة، قَدِم، فقال له: ما دعاك إلى الهَرَب؟ قال: تخرج حتّى أُرِيَك. فأتَوْا. فكشف /١٣٨/ عن الحُصُر. فوجدَ البنيان قد انحطَّ حتّى صار مع وجه الأرض. فقال: مِن هذا كنتَ تُؤْتى! ثم بناها حتّى قامت.

وقال عمر بن الدِّرَفْس الغسّانيّ[٥]: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حُفر لأركانها حتّى بلغوا الماء وألقِي على الماء جرانُ الكروم. وبنَى الأساس عليه.

وقال إبراهيم بن أبي حَوْشب[٦]: كان جدّي أحدَ قَوَمَة المسجد في بنائه. فحُدِّثتُ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.
(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٨ ـ ٢٩.
(٥) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩.
(٦) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩ ـ ٣٠.

أن الوليد بعث إليه عند فراغه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمت على أن أعقِدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اِختلطتَ؟ هذا شيء يُقْدَرُ؟ فقال: يامَاجِن، تقول لي هذا؟ وأمر به، فضُرِب خمسين سوطا. ثم قال: اذهب، فافعل ما أمرتُ به. قال: فذُكر لي أنه عَمل لَبِنَةً من ذهب. فحملها إليه فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً.

وقال أبو بكر أحمد بن البراميّ، حدثنا أبي[١]: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له أتعبت الناس في طينه كلَّ سنة. فأمر أن يُسقَّف بالرصاص من كل بلد. فبقي عليه موضعٌ لم يجد له رصاصاً. فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند امرأة منه شيئا، فأبت أن تبيعه إلا وزنا بوزن. فكتب إليه خذه بما أرادتْ. فأخذه منها وزنا بوزن. فلما وفّاها، قالت: هو منِّي هدَّيةٌ للمسجد. وقالت: أنا ظننتُ أن صاحبكم يظلم الناس. وقيل كانت يهودية.

وقال الوليد بن مسلم[٢]: لما أراد الوليد بناء المسجد، كان سليمان بن عبد الملك على الصُّنّاع.

وروى محمد بن عائذ عن مشيخةٍ قالوا: ما تمّ مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة. لقد كان يفضُل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسمار، فيجيء حتّى يضعه في الخِزانة.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام[٣]: سمعت أبي يقول: ما في مسجد دمشق من الرخام شيء، إلا رخامتا المقام الغربيّ. فإنه يقال إنهما من عرش سبأ. وأما الباقي فكله مرمر. المقام هو مقصورة الخطابة والرُّخامتان / ١٣٩/ هما السماقيُّ البرَّاق، لا يُدْرى ما قيمتهما.

[قلت: قوله في ذلك مردود، فقد أجمعت الحكماء على أن الرخام هو الأبيض. فأما الملوّن فكله حجارة. وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقْر مِئتين من الإبل. وإن كان الثاني رخاما بزعمه، ففيه من الملوّن كالغرابيّ والمنقط والمشحم والأخضر والسُّمّاقيّ غير اللوحين شيء كثير. والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام.

وقد استجدّ شيء كثير منه في الحائط الشاميّ، جدّده الظاهر بيبرس. واستجد بعد ذلك كثير][٤].

وقوله المقام الغربيّ، إشارةٌ إلى محراب مقصورة الخطابة. فإن المسجد لم يكن

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٣١.
(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٣١ ـ ٣٢.
(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٣٣.
(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

في حائطه القبليّ في ذلك الوقت إلا هذا المحراب، والمحراب الشرقيّ المعروف بمحراب الصحابة.

قال دُحَيْم: وحدثنا الوليد[١]، حدثنا مروان بن جناح عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخِّم.

وقال أبو تقيّ هشام بن عبد الملك: حدثنا الوليد بن مسلم، قال[٢]: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤونته، تكلم الناس وقالوا: مَحَقَ بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان. فصعِد المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «قد بلغني مقالتكم، وليس الأمر على ما ظننتم. ألا وإني أمرتُ بإحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة»[٣].

وقال الوليد عن عمر بن مهاجر، قال: حسبوا ما أنفق على الكرمة التي قبليّ مسجد دمشق، فكانت سبعين ألف دينار.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق ٢/ ٣٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٣٤.

(٣) أقام اليونانيون في جاهليتهم (سنة ٤٣٨ قبل المسيح) هيكلاً فخما جداً سمَّوه البارتنون[partheno Le] على رأس الصخرة المقدسة عندهم [I,Acropole] [Athenes] في مدينة أثينة واستغرقوا في بنائه عشر سنين إلى اثنتي عشرة. ولا تزال أطلاله ماثلة للآن، موضعاً للعجب العُجاب. وقد بلغت النفقة عليه٢٠٠٠ «تالنت» أي بدرة أو خزنة. والتالنت ٦٠٠٠٠ فرنك، قريباً من ٥٠٠٠ دينار. فيكون مجموع المصروف عليه ٦٠٠٠٠٠٠ من الدنانير [بتحويل النقد إلى ما يعادله في أيام الدولة الأموية].

وقد قام جماعة من المعارضين للحكومة فألبَّوا أهل أثينا على زعيمهم الخطيب الشهير بيريكليس [Pericles] ونعوا عليه هذا الإسراف الفاحش وهذا البذخ الباهظ. فجمعهم الرجل، وألقى عليهم خطبة أخذت بمجامع قلوبهم، وعرفهم أن هذه النفقة الطائلة لا تكاد تذكر في جنب هذا الفخر الذي سيبقى لهم ولأعقابهم مدى الدهر، فأقره القوم وانصرفوا راضين.

أما المسجد الأموي فقد كان بدء العمل فيه سنة ٨٨ للهجرة. وقد علمنا من الرواية المتقدمة أنهم «أقاموا في بنيانه تسع سنين ولم يتم بناؤه». هذا وقد عرفنا أبو قصي العذري كما في الصفحة السابقة أن النفقة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق، في كل صندوق ١٤٠٠٠ دينار فيكون مجموع النفقة عليه ٦٠٠٥٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهل أثينا على بناء هيكلهم.

فأنت ترى أن المدة التي استغرقها بناء الهيكل الوثني وبناء الجامع الإسلامي تكاد تكون واحدة. كذلك كان الشأن في اعتراض الوثنيين والمسلمين، وفي الرد الذي أجاب به كل من زعيم الوثنيين وأمير المسلمين، وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠سنة. أفليس التاريخ يعيد نفسه كما يقولون، ولو بعد توالي الدهور وتعاقب القرون؟ (زكي).

وذكر الحافظ ابن عساكر(١) في ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن لَهيعة السكسكيّ قال: ذُكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، مرّ برجل يعمل في المسجد وهو يبكي. فقال: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! كنتُ رجلا جمالا. فلقيني يوما رجل فقال: أتحملني إلى مكان كذا وكذا؟ وذكر موضعا في البِّريَّة. فقلت: نعم. فلما حملته وسرنا بعض الطريق، التفت إليّ فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك، وأنا حيّ، أغنيتك؛ وإن متُّ قبل بلوغي إليه، فاحمل جثتي إلى الموضع الذي أصف لك. فإنّ ثَمَّ قصراً خراباً، فإذ بلغته، فامكث إلى ضحوة النهار. ثم عُدَّ سبع شرفات من القصر واحفر تحت ظلّ السابعة منها على قدر قامة. ستظهر لك بلاطة، فاقلعها فإنك سترى تحتها مغارة، فادخلها، فإنك ترى في المغارة سريرين على أحدهما رجل ميت. فاجعلني على السرير الآخر، ومدّني عليه، وحمِّلْ ما معك مالا من المغارة وارجع إلى بلدك. فمات الرجل في الطريق، ففعلت ما أمرني به. وكان معي أربعة جمال وحمارة فأوسقتها كلها مالا من المغارة؛ وسرت بعض الطريق، وكانت معي مخلاة نسيت أن أملأها وداخلني الشَّرَهُ. فرجعت بها وتركت الجمال والحمارة في الطريق. فلم أجد المكان، وعدتُ فلم أجد الدوابَّ، فبقيت أدوِّر أياما. فلما يئست، رجعت إلى دمشق ولم أحصل على شيء واضطرني الأمر إلى ما ترى: أعمل في التراب كل يوم بدرهم. وكلما ذكرتُ حالي، لم أملك نفسي! أن أبكي فقال له الوليد: لم يقسم الله لك

(١) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي: المؤرخ الحافظ الراحلة. كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. مولده سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م ووفاته سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٦م في دمشق. له «تاريخ دمشق الكبير ـ خ» يعرف بتاريخ ابن عساكر، اختصره الشيخ عبد القادر بدران، بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر «تهذيب تاريخ ابن عساكر ـ ط» سبعة أجزاء منه، ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة، وباشر المجمع العلمي العربي بدمشق نشر الأصل فطبعت منه عدّة مجلدات محققّة . ولابن عساكر كتب أخرى كثيرة، منها «الإشراف على معرفة الأطراف ـ خ» في الحديث، ثلاث مجلدات، و«تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ـ ط» و«كشف المغطى في فضل الموطا ـ ط» و«تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان ـ خ» و«أربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة»و «تاريخ المزة» و«معجم الصحابة» و«معجم النسوان» و«تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس» و«معجم أسماء القرى والأمصار» و«معجم الشيوخ والنبلاء ـ خ» ٤٦ ورقة في شيوخ أصحاب الكتب الستة، في شيوخ أصحاب الكتب الستة، في الظاهرية .

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٥، مفتاح السعادة ١/ ٢١٦، ٢/ ٢١١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٤، طبقات الشافعية ٤/ ٢٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٨٧، آداب اللغة ٣/ ٧٣، مرآة الزمان ٨/ ٣٣٦، مخطوطات الظاهرية ١٠٩/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧، الأعلام ٤٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

من تلك الأموال شيئا، وإليّ صارت، فبنيت بها هذا المسجد. ثم وهبه شيئاً.

وقال أبو قُصَيّ العُذري[١]: وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق، فكان أربعمائة صندوق، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار. وبلغ الوليد أنهم تكلموا، فقال: يا أهل دمشق إني رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببتُ أن يكون مسجدكم الخامس.

وقال خالد بن تبوك[٢]: اِشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذينْ تحت النَّسْر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار.

وقال أحمد بن إبراهيم الغسّانيّ: حدّثنا أبي عن أبيه عن زيد بن واقد، قال: وكّلني الوليد على العُمَّال في بناء مسجد دمشق، فوجدنا فيه مغارة، فعرَّفْنا الوليدَ ذلك. فلما كان الليل وافى، والشموع تزهر بين يديه، فنزل. فإذا كنيسة لطيفة: ثلاثة أذرع في ثلاثة؛ وإذا فيها صندوق. فإذا فيه سَفَط، وفي السَّفَط رأْسُ يحيى بن زكريا. فأمر به الوليد، فرُدّ إلى المكان. وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيَّرا من الأعمدة. / ١٤٠/ فجعل عليه عمود مسَفَّط الرأْس.

وقال ابن البراميّ[٣]: سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازنيّ يقول: لما كان في أيام الوليد وبنائه المسجدَ، احتفروا فيه فوجدوا باباً مغلقاً. فأتى الوليد، ففُتح بين يديه. فإذا مغارة فيها تمثال رجل على فرس، وفي يده الواحدة الدُّرّة التي كانت في المحراب، ويده الأخرى مقبوضة. فأمر بها، فكسِرت. فإذا فيها حبتّان: حبّة قمح وحبّة شعير. فسأل عن ذلك، فقيل له: لو تركت الكفّ، لم يسوّس في هذه المدينة قمح ولا شعير.

قلتُ: وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الحرّاني الكاتب المجوّد، وكان يباشر به بعض العمائر، أنه فتح في حضرته الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قُنِيّ الماء. فإذا تحت المسجد أقباء معقود وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أُحكم بناؤها، وشُدّت في سلاسل الأساس معاقدها. قد بنيت بالصُّفَّاح[٤] والعمد، والبناء الذي ما هو في قدرة أحد. قال: ودخلناها وُجلنا في جوانبها.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٣٥. (٢) تاريخ دمشق ٢/ ٣٦.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٤٦.

(٤) الصُّفَّاح: حجارة عراض كما في اللسان. وقد استعملها كتاب الأندلس بمعنى الصخور (راجع درزي في تكملة المعجمات العربية). فلعل ابن فضل الله جرى في هذا المقام على هذا الاصطلاح. (زكي).

وحكى لي المعلم عليّ بن محمد بن التقيّ المهندس، قال: حدّثني أبي عن أبيه، قال: كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. في كل جهة باب. فالشرقيّ باب جَيْرون؛ وكان الباب الغربيّ تلقاءه، وراء المسرورية، ما بين العَصْرونية وبينها. وبقي إلى زمن العادل أبي بكر. ففكّهُ لما عمَّر القلعة. ونقل حجارته وعمده إليها.

قال: وكان في هذا الرواق قَلاَلِيُّ وصوامعُ.

قلت: ومن آخر ما نُقض منها البابُ وما يجاوره برأس القباقبيين، مما يلي عقبة الكتان.

وبُني منه منارة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعمائة.

وتأخر من حجارته بقايا اشتُريت لعمارة الجامع اليلبغاويّ، جوار بَرَدَى، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

وثَمّ بقايا من سُور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسة النُّورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام.

/ ١٤١/ وقال ابن المُعَلّى(١): أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا ضمرة عن عليّ بن أبي جَمِيلة قال: لما وَلِيَ عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمتَ حال كنيستنا! قال: إنها صارت إلى ما ترون. فعوّضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صُلحهم، يقال لها كنيسة توما.

قال ابن المعلّى(٢): وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر ابن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم. فكلمهم ورفع لهم في الثمن، حتّى بلغ مائة ألف. فأبَوْا. فكتب إلى محمد بن سُوَيد الفِهريّ أن يدفع إليهم كنيستهم، إلا أن يرضيهم. فأعظم الناسُ ذلك وفيهم بقيّةٌ من أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سُوَيد، متولي دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا؟ وقد أذّنّا فيه بالصلاة وجَمَّعْنا فيه. يُهدم ويعاد كنيسةً؟ فقال رجل منهم: ها هنا خصلة. لهم كنائسُ عظام حولَ المدينة: دَيْرمُرَّان، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم، ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت؛ وإن شاؤوا تُركت هذه الكنائس ونسجّل لهم سجلا. ثم عرضوا عليهم ذلك. فقالوا: أنظِرونا، ننظرْ في أمرنا! فتركهم ثلاثا. فقالوا: نحن نأخذ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٠.

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٤٠ ـ ٤١.

الذي عرضتَ علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجّل هو لنا بأمان على ما في الغُوطة. فكتب إلى عمر. فسرَّه ذلك، وسجَّل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تُخرَّب أو تُسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

وقال صفوان بن صالح[1]: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مهاجر: سمعت أخي عَمْراً قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذَكر مسجدَ دمشق، فقال: رأيت أموالا أُنفقت في غير حقها، فأنا مستدركٌ ما استدركتُ منها، فرادُّهُ في بيت المال: أعمدُ إلى ذلك الفسيفساء والرخام، فأقلعه وأطيِّنه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأنزع تلك البطائن. وابيع جميعَ ذلك. فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتدّ /١٤٢/ عليهم. فخرج إليه أشرافهم فيهم خالد القسريّ. فقال لهم خالد: ائذنوا لي حتّى أكون أنا المتكلم. فأذنوا له. فلما أتَوْا دير سمعان استأذنوا على عمر. ثم قال له خالد: بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا. قال: نعم. قال: واللهمالك ذلك. فقال: عمر لمن هو؟ لأَمّك الكافرة؟! وكانت نصرانية أُمَّ ولد. فقال: إن كانت كافرة، فقد ولدت مؤمنا. فاستحى عمر، وقال: صدقتَ! فما قولك «ما ذاك لي»؟ قال: لأنا كنا معشر أهل الشأم، وإخواننا من أهل مصر والعراق نغزو، فيُفرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء، وذراعا في ذراع من رخام. فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجر على ما حملوه إلى دمشق. ويحمل أهل حمص إلى حمص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق؛ ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم إلى دمشق. فذاك قولي: ما ذاك لك. فسكت عمر.

ثم جاءه بريدٌ من والي مصر يخبره أن قاربا ورد عليه من رومية، فيه عشرة من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين. فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية، ولا يعلمونهم بذلك حتّى يحملوا إليّ كلامهم. فساروا حتّى نزلوا دمشق، خارج باب البريد. فسأل الرومُ رئيسَ العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد. فأذن لهم فمرّوا في الصحن حتّى دخلوا من الباب الذي يواجه القبلة. فكان أوّل ما استقبلوا المقام. ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة. فخرّ رئيسهم مغشيًّا عليه. فحُمل إلى منزله، فأقام ما شاء الله أن يقيم. ثم أفاق. فقال له أصحابه بالرومية: ما قصّتك؟ وما الذي عَرَض لك؟ قال: كنا معشر أهل رومية نتحدّث أن بقاء العرب قليل. فلما رأيت ما بَنَوْا، علمتُ أن لهم مدّة سيبلغونها. فلذلك أصابني

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٢ ـ ٤٣.

ما أصابني. فلما قدموا على عمر، أخبروه. فقال: لا أرى مسجد دمشق إلا غيظا على الكفّار. فترك ما كان همّ به من أمره.

/١٤٣/ وقال أبو زُرعة الدمشقيّ[1]: حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه عن جدّه، قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرّد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب. وقال إنه يَشْغَل عن الصلاة. فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه أنفق عليه فيءُ المسلمين وأعطياتُهم. وليس يجتمع منه شيءٌ ينتفع به. فأراد أن يبيضه بالجِصّ. فقيل له: تذهب النفقات فيه. فأراد أن يستره بالخزف فقيل له: ضاهيتَ الكعبة. فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم. فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم. وأرسل معهم من يعرف الروميَّة وقال: احفظوا ما يقولون. فلما وقفوا تحت القبة، قال رئيسهم: كم للإسلام؟ قالوا: مائة سنة. قال: فكيف تُصغِّرون أمرهم؟ ما بنى هذا البنيان إلا مَلِكٌ عظيم. وأتى الرسول عمر فأخبره، فقال: أما إذ غايَظ العدوَّ، فدعه.

وقال أحمد بن إبراهيم بن ملاّس: حدثنا أبي عن أبيه قال: لما قدم المهديّ يريد بيت المقدس، ومعه أبو عبيد الله الأشعريّ كاتبهُ، فقال: يا أبا عبيد الله! سبَقَنا بنو أمية بثلاث: بهذا البيت، لا أعلم على الأرض مثله؛ وبنُبْل الموالي؛ وبعمر بن عبد العزيز. لا يكون والله فينا مثله أبدا. فلما أتى بيت المقدس ودخل الصخرة قال: يا أبا عبيد الله، هذه رابعةٌ.

قال أحمد: وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى ابن أكثم، قال: ما أعجبُ ما في هذا المسجد؟ قال المعتصم: دهنه وبقاؤه، فإنا ندعه في قصورنا فلا يمضي عليه عشرون سنة حتّى يتغير. قال: ما ذاك أعجبني منه. فقال يحيى بن أكثم: تأليف رخامه، فإني رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها. قال: ما ذاك أعجبني. قالا: فما هو؟ قال: بنيانه على غير مثال متقدّم.

وقال الشافعيّ: عجائب الدنيا خمس: منارة ذي القرنين؛ والثانية أصحاب الرقيم بالروم؛ والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها، يرون صاحبهم /١٤٤/ من مسافة مائة فرسخ؛ والرابعة مسجد دمشق؛ والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يُدرى له موضع.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٤.

قلتُ: وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر.

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق. ومن هذا النوع المسحور. وأما الملوّن فمعجون.

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحُصِّل منه عدّة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة، وعمل منه قِبَلٌ للجامع التنكزيّ ما على جهة المحراب.

غير أنه لا يجيء تماما مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر. والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد، والجديد قطعة مختلفة. وبهذا يعرف الجديد والقديم.

وروى الوليد بن مسلم عن ابن ثَوْبان قال: ما ينبغي أن يكون أحد أشدّ شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدها.

وروى أحمد بن البراميّ بسنده عن عبد الرحيم الأنصاريّ قال: سمعتُ [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد، يقولون: لا صلاةَ بعد القُلّيْلة. فقيل له: رأيتَ القُلَيْلَة؟ قال: نعم وهي تضيء مثل السراج. قلت: مَنْ أخذها. قال: أما سمعت المثل؟ «منصور سرق القلة، وسليمان شرب المرّة» منصور الأمير، وسليمان صاحب الشرطة، يعني صاحب شرطته. وذلك أن الأمين كان يحب البلور. فكتب إلى صاحب شرطة متولي دمشق أن يُنفِذ إليه القُلَيْلَة. فسرقها ليلا، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين ردّ المأمون القُلَيْلَة إلى دمشق ليُشنِّع بها على الأمين.

وكانت في محراب الصحابة. فلما ذهبتْ جُعل موضعها برنيّة زجاج رأيتُها ثم انكسرت فلم يُجعل مكانها شيء.

وقال عليّ بن أبي جميلة: كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود حسنة، فدخلته الريح فهرّته. فثار الناس فحرّقوا اللبود.

قلتُ: وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، قد بُني بالحجر والكِلس إلى منتهى حوائطه، وشُرِّف بالشراريف في أعاليه، واتُّخذت له ثلاث منائر: اِثنتان في جناحَيْ قبلته، شرقا وغربا؛ والثالثة في شامه وتعرف بالعروس.

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أُصول، واثنان مستجدّان. فالأُصول باب الزيادة، وهو في حائطه القبليّ؛ وباب الساعات وهو في حائطه الشرقيّ، يفضِي إلى حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات.

وتُجاهه في الحائط الغربيّ باب البريد، وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكرا من «ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ» للرفاق. وهو حضرة فسيحة في جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطايب المأكول. وبها القُنِيّ من المياه الجارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيموّه الماءَ ذهبُ شعاعها، وتُطْرب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها. والرابع باب النطّافين وهو في حائطه الشماليّ، تلاصقه الخانقاه الشميشاطية وتقاربها الأندلسية.

وأما البابان المستجدّان فهما الباب /١٤٥/ النافذ إلى الكلاّسة، والباب النافذ إلى الكاملية. وهما جناحا باب النطّافين.

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطّافين، وقد فُصِّصتْ حوائطه بالفسيفساء الروميّ المُذْهَب والملوّن بغرائب الأشجار والصباغة.

ويدور به رواقٌ أُزِّرت جُدُرُه وسواريه بالرُّخام الملوّن، وعُقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر. وجُعل على قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، يفصل بين كل اثنتين منها عمود رخام أو سارية.

وفي قبله ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنَّسر: قد عُقدت على المِحرابْ الكبير الذي يصلِّي به خطيب الجامع وعامّة الناس؛ ومقصورة الخطابة وبها المنبر؛ وأمامه سُدّة الأذان.

وإلى جانبه الأيسر المصحف العثمانيّ بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

وفي شرقيّ هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة. وهو مِحراب المسلمين الأُوَل. وبه تصلي المالكية الآن.

وغربيّ المحراب الكبير محرابٌ يعرف باللازوردة. تصلي به الحنفية، جوارَ دار الخطابة.

ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محرابٌ تصلي به الحنابلة.

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذِّن. وقد وُقف في كل محراب منها وقفٌ على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كلٌّ طائفة في محرابها.

وكلٌّ أروقته بالعمد والعضائد، عليها طاقاتُ القناطر المعقودة بعضها على بعض. وقد أُزِّرت جُدُرُ هذه الأروقة بالرُّخام الأبيض والمجزَّع والأحمر المنقَّط والأخضر المرشوش والأسود الغرابيّ والأبقع والمعجون الأزرق.

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النَّسر القبليّ والشاميّ فمن الرخام إلى أعلى الجدر والأركانِ معمولٌ بالفسيفساء، مسقوفٌ بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لونين.

وقد جُعل في أركان المسجد الأربعة أربعةُ مَشاهدَ اتُّخِذت على أسماء الصحابة الأربعة. فالشرقيّ بقِبلِهِ [مشهدٌ] على اسم أبي بكر، وبه عدّة خزائن كُتُب وقف. وشاميه مشهدٌ على اسم عليّ. والغربي بقِبلِهِ مشهدٌ على اسم عمر، ويعرف الآن بمشهد عروة، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل [وعدّة خزائن كتب وقف]. وشاميّة مشهدٌ على اسم عثمان. وبه يصلي نائب السلطان [في شباكه والحاكم الشافعيّ إلى جانبه.

وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة، كأنه كرسيّ ملك له.

وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لا ينفرد بها حاكم. فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم.

وداخل مشهد عليّ مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن. يقال إنه سُجِن به زين العابدين حين أُقدِم على يزيد. وجواره في زاوية الرواق الشاميّ ـ شرقيَ الباب النافذ إلى الكاملية ـ مقصورةٌ قد جاور بها جماعةٌ من الفقراء، /١٤٦/ وتعرف بالحلبية. وبها خزانة كتب وقف.

وفي كلٍّ من ذلك إمامٌ يُؤتمُّ به، ومؤذنٌ يقيم الصلاة ويُبَلِّغ.

وفي هذا المسجد زياداتٌ في شماله اتسع بها فِناؤه، وتفسحت أرجاؤه.

منها الزاوية الحلبية المذكورة في أوّل حدّه الشماليّ من الشرق؛ ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن؛ والكَلاَّسة، وبها إمامان ومؤذنان.

وفي شامها، الأشرفية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن.

وجوار المدرسة العزيزية التربةُ الصلاحيَّة من غربها.

هذا إلى عدّة أئمة تقوم فيه احتسابا.

وقد فُرش المسجد بالمرمر، ومقطعه من جبل المزّة، وعمد قائمه بالرخام الملوّن والمنقوش المُذْهَب.

وكذلك عُملت عضائده وذُهِّبت قواعد عمده ورؤُوسُها. وأُجرِي الماء في صحنٍ

عُقدت عليه قبةٌ في صحنه، وفي صحنٍ في ركن النَّسر من داخل الرواق، وفي جميع مشاهده وزياداته، وفي ميضأةٍ اتُّخِذت أسفل المنارة الشرقية منه. هذا إلى ما في حضرة باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية، وأسواق قائمة، وسُرُج تتّقد ليلا كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسِّم.

فأما القبة فما لا يجول مثلها في ظنّ، ولا يدور في فكر. قد تعلّق رفرفها بالغمام عابثا، وحلّق طائرها إلى أخويه النسرين يبغي أن يكون لهما ثالثا. قد بُنيت على قناطر، ممتدّة على قناطر، بعقود مُحكمة، وقطع صخور مُنظّمة، إلى سقوف مُذْهَبَه، ومحاسن موجزة مسهبة.

وعلى رأس القبة هلالٌ عالٍ في أنبوبة، طولَ الرمح قد غُلِّفت هي وكل الأسطحة بالرصاص. وحُكِّمت ميازيبُه، وجُمع فيه من كل حَسَن غريبُه.

قال أبو محمد بن زَبْر القاضي(١): سُمي بابَ الساعات؛ لأنه عمل هناك بيكار الساعات، يُعلم بها كلُّ ساعة تمضي. عليها عصافيرُ من نُحاسٍ وحيّة من نُحاس وغرابٌ من نحاس. فإذا تمت الساعة خرجت الحيّة، وصفرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت حصاة في الطَّست.

وكان في الجامع قبل حريقه طِلَّسماتٌ لسائر الحشرات، مُعَلَّقةٌ في السقف فوق البطائن. ولم يكن يوجد في الجامع شيء من /١٤٧/ الحشرات قبل الحريق. فلما احترقت الطلسمات، وُجِدتْ. ومما كان فيه طِلَّسمٌ للصنُونات(٢) لا تعشعش فيه. ولا يدخله غرابٌ. وطِلَّسم للفأر، وطلَّسمٌ للحيّات والعقارب. وما أبصر الناس فيه من هذا شيئا إلا الفأر. وفيه طِلَّسمٌ للعنكبوت.

وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وكان سببه أن أمير الجيوش بدراً الجماليّ ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة. فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشارقة والمغاربة. فضربوا دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرتْ إلى الجامع. وكانت العامّة تعاون المغاربة. فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع. فجلّ الأمر وعظم، فجعلوا يبكون ويتضرّعون.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٤٧.

(٢) هو الطائر المعروف باسم السنونو عند العرب وباسم عصفور الجنة عند عامة مصر. واسمه الفرنسي Hirondelle. (زكي).

ووصف العماد الكاتب[(١)] هذا الحريق في كتاب. فقال: «وفي النصف من شعبان هذه السنة، احترق جامع دمشق. ففُجع الإسلام بمُصَابه؛ وصلَّت النار في محرابه؛ واشتعل رأس القبة شيباً بما شبَّت، وأكلت النار أُمَّ الليالي منها ما ربَّت؛ وطار النَّسر بجناح الضِّرام؛ وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام؛ فكأنّ الجحيم استجارت به فتمسكت بذيله؛ وكأنّ النهار ذكر ثأُرا عنده فعطف على ليله؛ فواهاً له! من مسجد أحرقته نَفَحاتُ أنفاس الساجدين؛ وعَلِقت فيه لَفَحات قلوب الواجدين؛ ثم تداركه الله بالألطاف والإطفاء؛ وأتاه بالشفاء بعد الاشتفاء؛ وقال حسبه اصطلاء واصطلاما؛ وحقق فيه قوله: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾[(٢)].

---

(١) محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أُلُهْ، أبو عبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني: مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب. ولد في أصبهان سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، وقدم بغداد حدثاً، فتأدب وتفقه. واتصل بالوزير عون الدين «ابن هبيرة» فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط. ومات الوزير، فضعف أمره، فرحل إلى دمشق، فاستخدم عند السلطان «نور الدين» في ديوان الإنشاء. وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد أيام «المستنجد» ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين، فكان معه في مكانة «وكيل وزارة» إذا انقطع «الفاضل» بمصر لمصالح صلاح الدين قام العماد مقامه. ولما توفي صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية. وتوفي بها. سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م. له كتب كثيرة، منها «خريدة القصر ـ ط» مجلدات منه، في دمشق وبغداد ومصر وايران والمغرب وتونس. و«الفتح القسي في الفتح القدسي ـ ط» و«البرق الشامي ـ خ» سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه، و«ديوان رسائل» و«ديوان شعر» و«السيل على الذيل» ثلاث مجلدات، في تاريخ بغداد، جعله ذيلاً على ذيل ابن السمعاني، و«نصرة الفترة وعصرة الفطرة» في أخبار الدولة السلجوقية، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه «زبدة النصرة ونخبة العصرة ـ ط» ويعرف بـ«تواريخ آل سلجوق» وله «البستان ـ خ» في التاريخ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٧٤ وفيه ضبط «أله» بفتح فضم فسكون، وهو بالفارسية العقاب، بضم العين. ومثله في الإعلام بتاريخ الإسلام ـ خ. وفي مرآة الزمان ٨/ ٥٠٤ «أله» بتشديد اللام. وضبطه السبكي في الطبقات الكبرى ٤/ ٩٧ والطبقات الوسطى ـ خ. «بضم الهمزة واللام» والوافي ١/ ١٣٣ وابن الوردي ٢/ ١١٧ وسماه «محمد بن عبد الله» كما في المختصر لأبي الفداء ٣/ ١٠٠ وهو خلاف ما اتفقت عليه المصادر كلها. وكتاب الروضتين ١/ ١٤٤ ثم ٢/ ٢٤٤ والنعيمي ١/ ٤٠٨ والمختصر المحتاج إليه ١٢٢ ومفتاح السعادة ١/ ٢١٤ وPrinceton i93 والفهرس التمهيدي ٣٨٤ وآداب اللغة ٣/ ٦١ وBrock. S.i: 548 وتذكرة النوادر ٨١ وطوبقبو ٣/ ٣٤٦، ولمحمد بهجة الأثري، محاضرة عنه نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي ٤/ ١٦ ـ ٣٤، الأعلام ٧/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

[وقال ابن العين زَربيّ[١] في الحريق المذكور:

لَهْفَ نفسي على دمشقَ التي كا ... نتْ جَمالَ الآفاقِ والأقطارِ
وعلى ما أصابَ جامعَها الجا ... معَ للمعجباتِ والآثارِ
إذْ أتتهُ النِّيران طُولا وعَرضا ... عَنْ يمينٍ مِنْ قُطرِهِ ويسارِ
ثم مرَّتْ على حدائقِ نخلٍ ... فإذا الجمرُ موضعُ الجُمَّارِ][٢]

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فوّارة الماء في سنة تسع وستين وثلثمائة. قال: «وقرأتُ بخط إبراهيم بن محمد الحنائيّ: أُنشئت الفوّارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة. وأَمَرَ بجرّ القصعة من ظاهر قصر حجّاج إلى جيرون وأجرى ماءَها الشريفُ /١٤٨/ فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسينيّ». وتحتهُ بخط محمد بن أبي نصر الحُمَيدي. «وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جِمالٍ تحاكَّتْ بها. فأنشئت كَرَّةً أخرى».

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبدالله الذهبيّ: ثم عُمل لها الشاذروان، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

قال: «ورأيتُ القَصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جيرون. وفي زنَّارها الأوسط ستُّ أنابيبَ صغار، تفور حولَ الفَوَّارة. وعليها درابزينات. فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، تلفت هذه القصعة وبُني عوضَها هذه البركة المثَّمنة. [وينبع الماء في هذه البركة من قناةٍ دُفنت إليها من مكان مرتفع. فيعلو بها الماء نحو قامة. وسُمعة الفوّارة أعظم من مرآها، واسمها أجلّ من معناها»][٣].

قلتُ: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفيين، وتشّعث وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر وتَعلَّت شَرَر النار حتّى وصلت إلى دائر المنارة الشرقيّة وشرعوا في إصلاح ما وهى من ذلك، وجدوا أعاليَها متداعية،

---

(١) إسماعيل بن علي زربي، أبومحمد، شاعر محسن، توفي بدمشق سنة ٤٦٧هـ.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٩/١٦٨، فوات الوفيات ١/١٨٢٢، تاريخ دمشق ٩/٢٦ - ٢٩، خريدة القصر - قسم الشام ٢/ ١٨٠، بغية الطلب ٤/١٧١٨.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وحجارتها مفخّرة مفطّرة. فوقف عليها الحكام، وقامت البيّنة بالضرورة الداعية إلى نقض المنارة وتجديد بنائها. فنُقضت جُدُرها الأربعة إلى حدّ أوتار الرواق القبليّ، ونُقض الجدار القبليّ والجدار الشرقيّ إلى الأرض، وحُفر ما بين الجدران في وسط المنارة عدّةَ قامات. وبُني ذلك لَبِنةً واحدة، وبُنيت المنارة بنيانا جليلا لم يُبن من زمن الوليد أجلُّ منه ولا أوثق.

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفديّ[1] من مقامةٍ أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع:

«فسألتُ الخبر، ممن غبر، فقال: إن الحريق وقع قريبا من الجامع، وانظر إلى شَبَح الجوّ كيف انتشرت فيه عقائق اللَّهَب اللامع! فبادرتُ إلى صحنه والناس فيه قطعة لحم، والقلوب ذائبة بتلك النار كما يذوب / ١٤٩/ الشحم؛ ورأيت النار، وقد نشرت في حداد الظلام مُعَصْفَراتِ ذوائبها، وصعَّدت إلى السماء عَّذَباتِ ذوائبها: [من الطويل]

---

(١) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد في صفد (بفلسطين) سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. له زهاء مئتي مصنف، منها «الوافي بالوفيات ـ ط»، في التراجم، و«الشعور بالعور ـ خ» في تراجم العور وأخبارهم، و«نكت الهميان ـ ط» ترجم به فضلاء العميان، و«ألحان السواجع ـ ط» رسائله لبعض معاصريه، رتب أسماءهم على حروف المعجم، عندي نسخة منه و«التذكرة ـ خ» مجموع شعر وأدب وتراجم وأخبار، كبير جداً، جاء في تعليقات الميمني أن منه أحد عشر جزءاً في مكتبة البساطي بالمدينة (رقم ١٦٥ ـ ١٧٥ أدب) و«الغيث المسجم في شرح لامية العجم ـ ط» في الأدب، و«نصرة الثائر ـ خ» في نقد المثل السائر، و«تشنيف السمع في انسكاب الدمع ـ ط» و«دمعة الباكي ـ ط» و«أعيان العصر ـ ط» في التراجم، كبير و«منشآته ـ خ» جزء، و«ديوان الفصحاء ـ خ» مجموع في الأدب، و«تمام المنون في شرح رسالة ابن زيدون ـ ط» وهي غير الرسالة التهكمية التي شرحها ابن نباتة، و«جلوة المذاكرة ـ خ» في الأدب، و«المجاراة والمجازاة ـ خ» و«فض الختام في التورية والاستخدام ـ خ» و«تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ـ ط» ورسائل، منها: «الروض الباسم ـ خ» و«الحسن الصريح في مئة مليح ـ ط» و«قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة ـ ط» و«الوصف والتشبيه ـ خ» و«وصف الهلال ـ ط» و«وصف الحريق ـ ط» و«كشف السر المبهم في لزوم ما لا يلزم ـ خ» ذكره عبيد، و«غوامض الصحاح، الأسكوريال (الرقم ١٩٢). وله شعر فيه رقة وصنعة.

ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٨٧ وطبقات الشافعية ٦/ ٩٤ وآداب اللغة ٣/ ١٦١ ومجلة المجمع العلمي العربي ٥/ ٤٤٥ ثم ١٦ و٣٨ والوافي بالوفيات ١/ ٢٤٩ الحاشية، والفهرس التمهيدي ٢٧١ و٤٤٥ و٥٦٤، الأعلام ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

ذوائبُ لـجّـتْ فـي عُـلُـوٍّ كـأنَّـمـا تـحـاولُ ثـأراً عـنـدَ بعضِ الـكواكـبِ

وعلَت في الجوّ كأنها أعلام ملائكة النصر، وكان الواقف في الميدان يراها وهي ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾(١)؛ فكم «زُمَرٍ» «أضحت» لذلك «الدُّخَان» «جاثِية». وكم نفس كانت «في النازِعَات» وهي تتلو ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾(٢)؟ ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتُفنى ما يستفِلها ويعتليها؛ إلى أن ارتفعتْ إلى المنارة الشرقية، ولعبت ألسنتها المسودّة في أعراض أخشابها النقية؛ وثارت إليها من الأرض لأخذ الثار، وأصبح صَخْرها كما قالت الخنساء: «كأنه عَلَم في رأْسه نار»(٣). فنُكِّست وكانت للتوحيد سبّابة، ولمعبدها المطرب شبّابة؛ وابْتُلِيَ رأْسها من الهدم والنار بشقيقه، وأدار الحريق على دائرها رحيقَه: [من المتقارب]

وبـالأرض مـن حُـبِّـهـا صـفـرة، فـمـا تُـنْـبـتُ الأرضُ إلا بَـهـارَا

وأصبح «باب الساعات» وهو من آيات الساعة، وخلت مصاطب الشهود من السنَّة والجماعة؛ وعادت الدهشة، وقد آل أمرها إلى الوحشة؛ وحسنُها البديعُ وقد ثَلَّتِ النارُ عرشه. كأنْ لم أَرَ بها سميرا، ولا شاهدتُ من بنائها وقماشها جنَّةً وحريرا».

وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتابٍ عن كافل الشام، تنكز (رحمه الله) إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة.

«وأضحى «فَمُ الفوّارة» يصاعد جمرات أنفاس، و«سوق النَّحّاسين» يُرسَل منه إلى سور الجامع «شُوَاظٌ مِن نارٍ ونُحَاس»؛ وأُقعِد «بيت الساعات» إلى قيام الساعة، ودُخل إلى باب الجامع لكن لغير طاعة؛ وكاد يُصْلّى مَنْ به يُصَلِّي، ويُقبل على صفّ العابدين فيُوَلِّي. واهتزَّت المأذنة بحُمَّى نافض، وتشّعث وجه المَشْهد الأبِي بكري فكأنما أصابته عين الروافض؛ وترقرقَتْ عيون العابدين من الألم، ورقّ صحن الجامع لمأتم / ١٥٠/ هُداة الساجدين من المأْذنة بنار على عَلَم؛ وما زالت مِرآةُ اللَّهب حتّى خرّبت المنار، وصُفَّ بعد ذلك في صحن الجامع ما فَضَل عن أكل النار».

قلتُ: وهذا المسجد معمور بالناس كلَّ النهار وطَرَفِي الليل؛ لأنه ممرّ المدارس

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٢.

(٢) سورة الغاشية: الآية ١.

(٣) عجز بيت للخنساء، صدره:

«وإن صخراً لتأتم الهداة به» انظر الديوان، ط دار صادر ٤٩.

والبيوت والأسواق. وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقرّاء، ومشايخ العلم والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووظائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين من ذوي الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورةً بالخير، آهلة بالعبادة. قَلَّ أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مُصلٍّ، أو جالسٍ في ناحيةٍ منه لاعتكافٍ، أو مرتلٍ لقرآنٍ، أو رافع عقيرتَهُ بأذان، أو مكررٍ في كتابِ علمٍ، أو سائلٍ عن دِينٍ، أو باحثٍ في معتقَدٍ، أو مقرّرٍ لمذهبٍ، أو طالب لحل مشكلٍ: من سائلٍ ومسؤول، ومفتٍ ومستفتٍ. هذا إلى مَن يأتي هذا المسجد مستأنسا لحديث، أو مرتقبا لقاءَ أخٍ، أو متفرجا في فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا في سمائه. هذَا إلى فسحة الفضاء وطيب الهواء وبَرْد رُواقاته، أوقاتَ الهجير؛ وحسن مَرَائِي ميازيبه، أحيانَ المطر. وفي كل ناحية من وجهها قمر.

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْتَقِلُّ به إلا ديوانُ مَلكٍ؛ وعليه جلائل الأوقاف. إلا أن الأيدي العاديّةَ قد استولت على كثير منه لسبة الأكابر والمناصبات، وغير ذلك مما عُمل عليه على سبيل النَّصَبَات.

وقد أضيف إليه وقفُ المصالح، وقد كان أُفرِد زمَن نور الدين، رحمه الله. وهو لا يجاوز تسعين ألفا في السنة. جُعل لها مصارف أُخذ بحجتها كل مال المسجد وغُلَّ بالباطل ورُتِّب منه لغير ذوي الاستحقاق. وحُمِّل حتّى كَلَّ مَطاه، وأُخِذتْ حتى قَصُرَتْ خُطاه. وها هو الآن قد اختلَّت أحواله، وأُكِلت وشُربت أمواله. وأصبح نَهْبا مُقَسَّما، وسَوَاما صِيحَ في حَجَراته. وآل حال مباشريه إلى أسوأ الحال وشر المآل. [من الطويل]

وكانوا غِياثاً ثم أضحَوْا رَزِيَّةً ألاَ عَظُمَتْ تلك الرزايا، وجَلّتِ!

وقد اتفقت كلمة السُّفَّار في الآفاق إلى أنه فردٌ في محاسنه، بديع في نظرائه.

/ ١٥١/ مقام إبراهيم ببَرْزة

روى مكحول عن ابن عباس، قال: وُلِدَ إبراهيم بغُوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَةُ، بجبل قاسِيُون.

وعن حَسَّان بن عطية قال: أغار ملك نَبَطِ هذا الجبل على لوط فسباه وأهله. فأقبل إبراهيم في طلبه، في عدّة أهل بدر: ثلثمائة وثلاثة عشر. فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور. فعبَّى إبراهيم ميمنةً وميسرةً وقلبا. وكان أوّلَ من عبَّى الحرب هكذا. فالتقوا. فهزمه إبراهيم واستنقذ لوطا وأهله. فأتى هذا الموضع الذي ببَرْزة، فصلّى فيه.

وروى أحمد بن حميد بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه، إن الأثاراتِ التي في

بَرْزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم[١] في الجبل [عند الشق] أنه مكان إبراهيم، وأن الأثارات التي فوق الشِّق في الجبل موضع رأى إبراهيم، فمن صلّى فيه ودعا أجابه الله، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع من الجبل. أدركتُ الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون. وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّى في الموضع الشق، لمنامٍ رآه.

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازيّ، قال: قال أحمد بن صالح: أدركتُ الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلُّون فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شريف. ويذكرون ذلك عن شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الجبل خارجا عن المسجد هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمروذ، صاحب دمشق.

وعن عروة بن رُويم عن أبيه عن عليّ: سمعتُ رسول الله ﷺ وسأله رجل عن الأثارات بدمشق فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قَتَل ابنُ آدم أخاه، وفي شرقيّه وُلد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى ابن مريم وأُمَّه من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فاغتسل وصلّى فيه ودعا، إلا لم يُردّ خائبا. وهو جبل كلمه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع؛ وإنما ذكرته لئلا يُغْتَرّ به).

/ ١٥٢/ مغارة الدم

قال أبو زُرعة الدمشقيّ: سألت أبا مُسْهِرٍ عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحمرة، موضع الحوائج. يعني بذلك الدعاءَ فيها والصلاةَ.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد بن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله أن يسقيَنا، فسقانا.

قال مكحول: وخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون. فلم يبرحوا حتّى سالت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم نسأل الله أن يسقينا. فأتى مطر، فأقمنا في الغار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدتُ مع أبي وجماعة ـ نسأل الله سُقْيَا ـ إلى موضع قَتَلَ

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٣٢٧.

ابنُ آدمَ أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتّى أقمنا في المغار. فدعونا الله فارتفع عنا، وقد رَوِيتِ الأرضُ.

وقال محمد بن يوسف الهرويُّ: سمعتُ يزيد بن محمد وأبا زُرعة وأحمد بن المُعلّى وسليمان بن أيوب بن حذْلم وغيرَهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحُوَارى[1] وسليمان بن عبد الرحمن والقاسم بن عثمان الجُوعيّ يقولون: سمعنا الوليد بن مسلم يقول: سمعت ابن عَيَّاشٍ يقول: «كان أهل دمشق إذا احتبس عنهم القَطْرُ أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطانٌ أو كانت لأحدهم حاجةٌ، صعدوا إلى موضع ابن آدم المقتول. فيسألون الله، فيعطيهم ما سألوا».

قال هشام: ولقد صعِدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقيا. فأرسل الله علينا مطرا غزيرا حتّى أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذكر عن كعبٍ قال: اختبأ إلياسُ من مَلِك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتّى أهلك الله الملك ووَلِيَ غيرهُ. فأتاه إلياسُ فَعَرَضَ عليه الإسلامَ. فأسلم وأسلم من قومه خلقٌ، سوى عشرة /١٥٣/ آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم[2].

مقام عيسى بالربوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعيّ عن حسان بن عطية أن مَلِكا من بني إسرائيل حضره الموت، وأوصى بالمُلك لرجلٍ حتّى يُدرك ابنُه. وكانوا يؤمِّلون أن يُدرك ابنُه فيُملّكوه. قال: فمات فجزعوا عليه. فلما خرجوا بجنازته، وفيهم عيسى ابن مريم، دنا من أُمّه فقال: أرأيتِ إنْ أحييتُ لك ابنَك، أتؤمنين بي وتتبعيني؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلت أكفانُه تتحلَّل عنه، حتّى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتّى انتهى إلى شِعب النيرب. فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبرٍ من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقيتَ نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القُدُس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟» فقال: «يا غَوِيّ، الطويلَ الغَواية! إني واجدٌ فيما علمني ربيّ، عز وجل، أني لا أُجرِّب ربّي حتّى أعلم أراضٍ عني أم ساخطٌ عليّ» فأقبلتْ أُمُّ الغلام، فقالت: يا معشر بني

---

(١) الحوراىٰ بوزت سكارى، انظر: القاموس/ مادة ح و ر(زكي).

(٢) بعد هذا بياض بمقدار ٧ أسطر.

إسرائيل! كنتم تبكون وتشقُّون ثيابكم جزعا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. /١٥٤/ قالوا: فما تأُمرينا به؟ قالت: إيتوه فآمِنوا به. فأتوه فقالوا: خَصلةٌ بيننا وبينك! إن أنت فعلتَها، اتّبعناك. قال: وما هي؟ قالوا. تُحيِي لنا عُزَيرا. قال: دلُّونِي على قبره. فنزل عيسى معهم حتّى انْتَهَوْا به إلى قبره. قال: فتوضأ وصّلى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتَفَرّج عنه التراب. فخرج قد ابياضّ نصف رأسه ولحيتهِ وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتّبعوني حتّى أُحييك لهم. وهذا في هُدى قومك يسير. قال فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتّباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيضّ؟ قال: سمعتُ الصيحة، فظننتُ أنها دعوة الداعية، حتّى أدركني مَلَك، قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فانتهى الشيب إلى ما ترى.

واختلف أهل التفسير في تعيينها.

ورُوي مرفوعا عن النبيّ ﷺ. في قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1]. قال: أتدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغُوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام:

ورُوي عن ابن عباس قال: الرَّبوة أنهار دمشق.

وكذا قال سعيد بن المسيّب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب: أَمر الله تعالى عيسى ابن مريم وأُمّه أن يسكنا دمشق، وهي إِرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي أرض ذات أشجار وأنهار. يعني أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مَشْيخته أن بني إسرائيل همَّت بعيسى فأمره الله أن ينطلق إلى دمشق. وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتحملهم. وماء جارٍ. قال: هي الربوة، هي دمشق.

وقيل إن الربوة في القرآن هي الرملة. رُوِي مرفوعا عن النبيّ ﷺ، وزاد فيه: ولا تزال طائفة من أمتى على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتّى يأتي أمر الله وهم كذلك. قلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس.

وروى عبد الرزاق /١٥٥/ في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين.

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.

ويروى عن قتادة: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر[١].

ويروى عن جابر الجُعفيّ عن أبي جعفر: وآويناهما إلى ربوة، قال: الكوفة، والمعين الفرات.

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها ربوة دمشق.

وهذه الأقوال واهيةٌ. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبي القاسم بن عساكر، رحمه الله!

الكهف بقاسيون

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن المُعَلِّم أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وباللهربي أعتصم من الكذب، وأسأله أن يُنطق بالصدق لساني. رأيتُ جبريل عليه السلام في النوم. فقال لي: إن الله يأمرك أن تبنى مسجدا يُصلَّى فيه ويُذكر اسمُه؛ وهوهذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميتُه أنا: كهف جبريل. وقلتُ: أَنَّى لي بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجدٌ عظيمٌ بمدينة الفُسطاط. بناه عمرو بن العاص، موضعَ فسطاطه وما جاوره. وموضعُ فسطاطه منه، حيث المحراب والمِنبر.

وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلَّوْا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء. معمور الأوقات بالذكر. وبعقب صلاة الصبح فيه أوقاتٌ مشهودةٌ ومواسمُ خيرٍ لا تعدُّ.

وحكى علي بن ظافر [الأزديّ][٢] قال: رُوي لي أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس و[نشو الملك عليّ بن مفرج] بن المُنَجِّم اجتمعا في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها

(١) المقصود هنا المدينة المعروفة قديماً بالفسطاط (زكي).

(٢) وقعت هذه الحكاية في بدائع البدائة، ط بولاق سنة ١٢٧٨هـ، ص١٣٧ ـ ١٣٨، وهناك زيادة ونقص في الألفاظ، فلذلك جمعت بين روايته ورواية ابن فضل الله. (زكي).

الهلال للعيون، وبرز في صفحة بحر النيل كالنون. ومعهما جماعة من غواة الأدب، الذين ينسلون إليه من كل حَدَب. فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربة، وإلى مستقرّها جارية ذاهبة؛ قد شمرت للمغرب الذيل، واصفرّت خوفا من هجمة الليل، والهلال في حمرة الشفق، كحاجب الشائب أو زورق الورق. فاقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت النزيه، على البديه.

فصنع ابن قلاقس[1]: [من البسيط]

انُظرْ إلى الشمسِ فوقَ النيلِ غَاربةً   وانظرْ لما بعدَها من حُمْرَةِ الشَفَق
[غابتْ وأبقتْ شُعاعا منه يخلفها   كأنما احترقتْ بالماءِ في الغَرَقِ
وللهلالِ، فهلْ وافى لينقذَها   في إثرها زورقٌ قدْ صيغَ من وَرِقِ؟[2]

وصنع ابن المنجم: [من البسيط]

يا رُبَّ سامِيةٍ في الجوّ قمتُ بها   أَمُدُّ طَرْفِيَ في أرضٍ منَ الأُفق.
حيثُ العشِيَّةُ في التمثيلِ معركةٌ   إذا رآها جبانٌ، ماتَ للفَرَقِ

(١) نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي، أبو الفتوح، الأعز، المعروف بابن قلاقس الإسكندري الأزهري: شاعر، نبيل، من كبار الكتاب المتوسلين. كان في سيرته غموض، ولد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م، ونشأ بالإسكندرية، وانتقل إلى القاهرة فكان فيها من عشراء الأمراء، ثم عاد إليها وزار صقلية سنة ٥٦٣هـ وكان له فيها أصدقاء يكاتبهم ويكاتبونه. ودخل عدن سنة ٥٦٥هـ ثم غادرها مبحراً في تجارة، وارتطمت سفينته بصخرة في جزيرة «نُخْرة» قرب دهلك، وهو مرسىٰ في جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة. واستقر أخيراً في «عيذاب» لتوسطها بين مصر والحجاز واليمن ، وتوفي بها سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م .
وله عدة مصنفات، وشعره كثير غرق بعضه في أسفاره، وبعضه في «ديوان ـ ط» ولمحمد ابن نباتة المصري «مختارات من ديوان ابن قلاقس ـ خ» في خزانة الشيخ علي الليثي بمصر؛ وفي المكتبة الأهلية بباريس، مخطوطة (رقم ٣١٣٩) من «ديوانه» فيها زيادات على المطبوع (كما يقول محمد بن شنب، في دائرة المعارف الإسلامية) وسبق ذكر تأليفه «مواطر الخواطر» ولعله على طريقة الخريدة، و«الزهر الباسم»، أما «ديوان ترسُّله ـ خ» ففيه من شعره ما ليس في دواوينه. ثم طبع ديوانه محققاً من قبل د. سهام فريح ط٢ الكويت ٢٠٠١م.
ترجمته في: ترسل ابن قلاقس ـ خ. وخريدة القصر، قسم شعراء مصر ١/ ١٤٥ وكتاب الروضتين ١/ ٢٠٥ وابن خلكان ٢/ ١٥٦ وإرشاد الأريب ٧/ ٢١١ وهو الجزء المصنوع. والإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ. ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٦٤ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٦٩ وBrock.S 1:461 ومعجم البلدان ٤/ ١١٥ وسماه النواجي في «تأهيل الغريب ـ ط»: «نصر الله بن قلاقس اللخمي الأوند»، الأعلام ٨/ ٢٦، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ٤٠ ـ ٤٢.

(٢) انظر ديوان ابن قلاقس ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

شمسٌ نهاريَّةٌ للغربِ ذاهبةٌ ... بالنِّيل مُصْفَرَّةٌ من هَجمَةِ الغَسَق
وللهلالِ انعطافٌ كالسِّنانِ بَدَا ... من سَوْرَة الطعن مُلْقىً في دَمِ الشَّفَق

وحكى عليُّ بن ظافر أيضاً. قال[1]: أخبرني [أبو عبد الله] بن المنجم الصوّاف، بما معناه قال: صعِدتُ إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة. فصادفتُ به الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك عليّ بن مفرِّج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعاً المغربيّ في جماعة من الأدباء. فانضفتُ إليهم. فلما غابت الشمس وفاتت، ودُفِنَتْ في المغرب حين ماتت، وتطرّز حِداد الظلام بعَلَم هلاله، وتحلّى زَنْجيُّ الليل بخَلخاله، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا في صفة الحال. فأطرق كلٌّ منهما مفكرا، وميزّ ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيِّرا. فلم يكن إلا كرجْع الطَّرف، أو وثبة الطِّرف، حتّى أنشدا.

فكان ما صنعه نشو الملك[2]: [من الخفيف]

وعَشِيٍّ كأنما الأُفْقُ فيه ... لازُوَرْدٌ مُرصَّعٌ بنُضارِ
قلتُ لَمَّا دَنَتْ لمغربها ... الشمسُ ولاَحَ الهِلالُ للنُّظّارِ
أقْرضَ الشرقُ صِنْوَه الغَرْبَ دِينَا ... راً فأعطى الرهينَ نصفَ سِوارِ

وكان الذي صنعه ابن قلاقس: [من الخفيف]

لا تَظُنّ الظَّلامَ قدْ أخذَ الشمسَ ... وأعْطى النهارَ هذا الهِلالا
إنما الشرقُ أقرضَ الغَرْبَ دينا ... راً فأعطاهُ رَهْنَه خَلْخالا

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعزّ أبي الفتوح بن قلاقس: لتنصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعا، ولم يتركا للزيادة في الإحسان موضعا][3].

---

(١) بدائع البداثة ص١٢٩، وفيه زيادة ونقص عن ابن فضل الله، وقد جمعت بين الروايتين. (زكي).

(٢) نشو الملك، أو نشو الدولة، أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن المبارك السُّلمي، أبو الفضل، شاعر من دمشق، من بني نفاذة، محب للفضل، حريص على تحصيله، له ديوان شعر وآخر للرسائل، تولى الإشراف على الهُرْي بالقلعة.
وله مدائح كثيرة في السلطان صلاح الدين وأولاده، وأخيه العادل وجماعته. توفي سنة ٦٠١هـ عن ستين سنة.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ٣٩ ـ ٤٤ رقم ٢٩٧٤، الخريدة ـ قسم الشام ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤. الروضتين ٢/ ١١، ٢٠٩.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/ ١٥٦/ مسجد قرطبة

مسجدٌ عظيمٌ ليس في مساجد المسلمين مثله بِنْيَةً وتنميقا، وطولا وعرضا.

وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعا.

ونصفه مُسَّقف، ونصفه صحن للهواء.

وعدد قسيّ مسقَّفه تسعة عشر قوساً. وفيه من السواري (أعني سواري مسقَّفة بين أعمدته وسواري قبلته ـ صغاراً وكباراً ـ مع سواري القبة الكبرى وما فيها) ألف سارية.

وفيها ثُريات كبيرة للوقيد. منها واحدة يوقد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل اثني عشر مصباحاً.

وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه. وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي. ارتفاع الجائزة منها شبرٌ في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبرا. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة. والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المسدّسة والمُدَرَّب وهو صنعة الفص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضا بل كل سماء منها مكتفٍ بما فيه من صنائعَ قد أُحكم ترتيبها وأُبدع تلوينها بألوان حمرة الزنجفرية والبياض الإسفيداجي والزرقة اللازورديَّة والزرنوق الباروتيّ والخضرة الزنجارية والتكحيل النِّقسي. تروق العيون وتستميل النفوس: بإتقان ترسيمها، ومختلفات ألوانها وتقسيمها.

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا. وبين العمود والعمود خمسة عشر شبرا.

ولكل عمود منها رأْس رخام وقاعدة. وقد عُقد بين العمود والعمود على أعلى الرأْس قِسِيٌّ غريبةٌ عليها قِسِيٌ أخر، على عمد من الحجر المنحوت، متقنة.

وقد جُصِّصَ الكلُّ منها بالجِص والجَيَّار. ورُتِّبت عليها نجورٌ مستديرة، ثابتة بينها ضروب صناعات الفص بالمُغْرة. وتحت كل سماء منها إزار خشب.

ولهذا المسجد الجامع قبلة تُعجز الواصفين /١٥٧/ أوصافُها. وعلى وجه المحراب سبع قسيّ قائمة على عمد طول كل قوس منها أشفُّ من قامةٍ، وكل هذه القسيّ مزجَّجة بصبغة القوط. قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها. وفي عِضادتي المحراب أربعة أعمدة: اِثنان أخضران، واثنان زرزوريَّان. لا تقوّم بمالٍ.

ومع يمين المحراب المنبرُ الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعةً. خشبهُ آبنوس

وبقس وعود المِجْمر. ويحكى في كتب تواريخ بني أُميّة أنه صنع في نجارته ونقشه سبع سنين. وكان عدد صُنَّاعه ستة رجال، غيرَ من يخدُمهم ويتصرف لهم. ولكل صانع منهم في اليوم نصف مثقال محمّديّ.

وعن شمال المحراب بيتٌ فيه عُدَد وطسوت ذهب وفضة وحسك(١). وكلها لوقيدِ الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان.

وفي هذا المخزَن مصحف يرفعه رجلان، لثقله. فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه، وفيه نُقطٌ من دِمه.

ولهذا الجامع عشرون باباً، مصفحةً بصفائح النحاس وكواكب النحاس. وفي كل باب منها حَلْقتان في نهاية الإتقان.

وفي الجهة الشمالية منه الصومعةُ، الغريبةُ الشكلِ والصنعةِ، الجليلةُ الأعمال الرائقة. اِرتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي: منها ثمانون ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعاً. ويصعد إلى أعلى المنار بدرجَيْن: أحدهما من الجانب الغربيّ والثاني من الجانب الشرقيّ. إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى. والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ثلاثمائة عمود: بين صغير وكبير. وفي أعلى الصومعة على القبة التي على بيت المؤذنين /١٥٨/ ثلاثُ تُفّاحات: واحدةٌ من ذهب، واثنتان من فضة. تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت.

ويَخْدُمُ الجامعَ كله ستون رجلاً(٢).

[بقية المزارات الأُخرى]

/١٥٩/ وأما سائر المزارات فكثيرة جدّا: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضَرَنا ذكرُه في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، [على ما يغلب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكنَ لا حقيقة لها. والله أعلم!](٣)

---

(١) هكذا في الأصل بالإهمال. وفي اللسان أن الحسك شوك مدحرج لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يبس إلا من كان في رجليه خف... والحسك من الحديد ما يعمل على مثاله وهو من آلات العسكر. [ولعله المراد هنا والغرض إحاطة هذه العُدَد والآلات بشيء يمنع الناس الوصول إليها]. (زكي).

(٢) بعد هذا بياض في الأصل بما يقارب صفحة.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

فمن ذلك:

قبر مالك بن الأشتر النخعيّ: قيل إنه على باب مدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

قبر حفصة، زوج النبيّ ﷺ: قيل إنه ببعلبك. والصحيح أنها أمّ حفص، أخت معاذ بن جبل. فإن حفصة ماتت بالمدينة.

دير إلياس النبيّ عليه السلام، ويقال إنه كان محبوسا [فيه].

مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدّد بناءه الملك الأشرف موسى.

قبر أسباط، ببعلبك.

قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكَرَك، من أعمال بعلبك.

قبر شيث، بقرية تعرف بشَرْعِينَ بالقرب من كَرَك نوح. وقبر إلياس النبيّ بقربِه.

قبر حزقيل، أحد أنبياء بني اسرائيل بالبقاع، غربيّ كَرَك نوح.

قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر حمار، من البقاع.

قبر شَيْبان الراعي، بالبقاع، بالقرب من حزقيل. في مشهد مبنيٍّ عليه.

قبر أيُّوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نَوى. كان بها أيوّب، عليه السلام. وبها ابتلاه الله، عزّ وجلّ، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها؛ وبالقرية أيضا قبر سعد التكروري، فقير صالح له شهرة.

مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بمُحَجَّةَ على يسار الذاهب إلى زُرع كان بها /١٦٠/ وقعة أجنادِينَ في فتوح الشام. وبها حجرٌ، ذُكر أن النبيّ ﷺ جلس عليه وهذا ليس بصحيح. فإنه ﷺ لم يُعَدِّ بُصْرى. وذُكر أن بجامعها سبعين نبيا.

قبر الْيَسَع، بقرية تعرف ببُسر، من أعمال زُرع[1].

نَجْرانُ، شرقيَّ بُسر. يقال إن بها الأُخدود. ولا يصحّ؛ لأن الأُخدود باليمن. واللهأعلم.

قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدُّور، على باب زُرع. واللهأعلم.

الهَمَيْسَع أبو الْيَسَع، في ذيل اللَّجَاة. واللهأعلم.

سام بن نوح، على باب نَوَى. وبها قبر الشيخ محيي الدين النَوَويّ. وبها الشيخ علي الحريريّ، شيخ الطائفة الحريرية.

---

(١) ذكر ياقوت ٢/ ٩٢١ أن أصل اسمها زُرًّا والعامة سمتها زُرع (زكي).

مبرك الناقة. موضعٌ معروف ببُصْرى. ويقال إن ناقة النبيّ ﷺ بركت به هناك. أما قدوم النبيّ ﷺ بُصْرى فلا شك فيه؛ وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا نقطع به. ولكن الظاهر أنه هو. فالله أعلم.

وفي هذا الموضع مصحفٌ شريف عثمانيٌّ، وعليه أثر الدم.

- وقبليّ بُصْرى ديرٌ يقال له دير الناعقيّ. كان به بَحِيرا الراهب. وبه اجتمع برسول الله ﷺ.

- وشرقيَّ بُصْرى، قرية تعرف بدَنِين. بها قَدَمُ رسول الله ﷺ في صخرة سوداء، على ما ذكروا. واللهأعلم.

- وقرب بُصْرى قرية تعرف بغَصب، بها قبر وهب بن مُنَبِّه.

- قدم هارون، عليه السلام. ببلدةٍ بصَرْخَد.

- وبهذه البلدة مشهدٌ، ذكروا أن موسى وهارون (عليهما السلام) كانا به، لمّا خرجا من التيه.

- قبر هارون. في السيق ببلاد الشَّوْبَك.

- قبر أبي عُبيدة بن الجرّاح. بقرية عَمْتَا من الغَوْر. وعليه بناءٌ، ولخادمه مرتب جارٍ. أُجرى له في الأيام التنكزيّة، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

- قبرُ معاذ بن جَبَل. بالقُصَير المَعِينِيّ.

- قبر أبي هُريرة. بقرية تُبْنى بالساحِل، من أعمال الرملة.

/ ١٦١/ - البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقيم هناك. وهذا ليس بصحيح. قال الهَرَويّ: وقد زرنا الكهف والرقِيم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها أَبْسُس[١]، خَرِبةٌ بها آثار عجيبة، قريبةٌ من مدينة أُبُلُسْتَيْنِ. وقيل إن مدينة دقيانوس هي طليطلة. والصحيح الذي ببلاد الروم. وسيأتي ذلك في موضعه.

- قبر جعفر الطيّار. بقرية مُؤْتَة، من أعمال كَرَك الشَّوْبَك.

- وبها أيضا قبر زيد بن حارثة، وقبر عبد الله بن رَوَاحة، والحارث بن النعمان، وعبد الله بن سهل، وسعد بن عامر القيسيّ وأبي دُجَانَة الأنصاريّ: اِستُشهدوا (رضي الله عنهم) في غزوة مُؤْتَةَ، وهي غزوة مشهورة.

- قبر سليمان بن داود. شرقيّ بُحَيرة طَبَريّة. قال شهاب الدين بن الواسطيّ في

---

(١) تعرف أيضاً باسم أفسس. وبالفرنسية Ephese (زكي).

تصنيفه: والصحيح أن سليمان دُفن إلى جانب أبيه، في بيت لحم. وهما في المغارة التي بها مولد عيسى، عليهم السلام.

قال: ومن شرقيّها أيضا قبر لُقْمان الحكيم وابنه، على ما قيل.

- قبر أُمّ موسى بن عمران. بقرية يقال لها إرْبِل من أعمال طبريَّةَ، عن يمين الطريق. وبها أربعة من أولاد يعقوبَ. وهم: دان وأبساخور وزَبولون وكاذ.

- قصر يعقوب، عليه السلام؛ وبيت الأحزان؛ وجُبّ يوسف، عليه السلام. في الطريق إلى بانياس. / ١٦٢/ وهذا هو المشهور. قال ابن الواسطيّ: والصحيح أن جُبّ يوسف في طريق القُدْس، عند بلد يقال له سِنْجِيل. وقال في موضع آخر: سَيْلُون قريةٌ كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها. وإن يوسف (عليه السلام) خرج منها مع إخوته. والجُبّ الذي رُمى فيه بين سِنْجِيل ونابُلُس، عن يمين الطريق.

- قبر شُعْيبٍ، عليه السلام. بقرية يقال لها حِطِّين ويقال حِطِّيم. وقبر زوجته على الجبل، على ما قيل.

- قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

- قبر صَفُورَاء، بنت شُعيب، زوجة موسى بن عمران. بقرية كفر مَنْدَه. قيل إنها مَدْيَن، على ما زُعم. قال ابن الواسطيّ: والصحيح أن مَدْيَن شرقيّ طُورسينا.

- وبهذه القرية الجُبُّ الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شُعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها اثنان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالي.

- وعند هذه الأماكن جبل يقال له الطور. قيل: إن موسى، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

- قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل.

- قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرقيّ بلد الخليل.

- مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغَر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليومَ البحيرة المنتنة. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، بزُغَر.

- قبر عبادة بن الصامت. بالرملة.

- مشهد الحسين[1]. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون

---

(١) نشرت الدكتورة سعاد ماهر بحثاً حول رأس الحسين وقبره، في مجلة منبر الإسلام القاهرية بعددها السادس من السنة ٢٩ في جمادى الثانية ١٣٩١هـ/ ص٣٥ - ٣٧ ولأهمية الأطلاع عليه =

/١٦٣/ الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلفَ القصرَيْن، على

= أوردته في هذا الهامش، نصه:
قرأنا في مجلة (العربي) في العدد (١٥١) ربيع الثاني سنة ١٣٩١ هـ يونية سنة ١٩٧١م في باب «أنت تسأل ونحن نجيب» سؤالاً لأحد السادة القراء عن مكان استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما ومكان دفنه. ولما كانت مجلة (العربي) من المجلات الإسلامية ذات الثقافة العالية والانتشار الواسع، كما أن السؤال عن رأس الحسين وقبره من الموضوعات التي تهم جمهور المسلمين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، وكانت الإجابة عنه في مجلة (العربي) قد اعتمدت على رأي واحد من المؤرخين فقط، وهو ابن كثير في نفي وجود الرأس الشريف بالقاهرة، ولذلك وجدت لزاماً عليّ أن أجمع ما استطعت من الأقوال والآراء لعلي أستطيع بعد مناقشتها أن أخرج منها بالقول الراجح. يكاد يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أن جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله في كربلاء. وقد جاء في كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، أنه بعد أن احتزت الرأس وأخذت إلى ابن زياد بالكوفة خرج قوم من بني أسد، كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين حيث قبره الآن بالحائر، أي كربلاء ، ودفنوا ابنه علياً عند رجليه وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه حوله، ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن.
أما عن رأس الحسين فقد كثرت الأقوال وتضاربت الروايات، واختلفت كتب السيرة في تحديد مكان وجوده، ولكن المراجع على اختلافها تكاد تتفق على أن عبيد الله بن زياد عني بتجهيز علي بن الحسين مع من كان معه من الحرم، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ومعهم رأس الحسين، ثم اختلفت بعد ذلك الروايات في موطن الرأس الشريف فمنها أن الرأس أعيد إلى الجسد بعد أربعين يوماً ودفن معه في كربلاء ومنها أنه دفن بالمدينة، ومنها أنه دفن عند باب الفراديس بدمشق، وفي رواية أن الرأس دفن بمقابر المسلمين في عهد سليمان بن عبد الملك، ثم نبش القبر بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل إلى القاهرة في آخر العصر الفاطمي. وتقول رواية أنه نقل إلى مدينة الرقة وأخرى إلى حلب، وقيل إن أبا مسلم الخراساني لما استولى على دمشق نقل الرأس إلى مرو. وهكذا نرى أن الأماكن التي ذكرت موطناً للرأس ثمانية في ثمان مدن هي كربلاء والمدينة ودمشق والقاهرة وعسقلان والرقة وحلب ومرو.
فعن القول بوجود الرأس بالمدينة فهناك ما ينقضه بدليل مادي ذكره المسعودي فيما نقلناه عنه، وهو أنه كان يوجد حتى القرن الرابع الهجري رخامة مكتوب عليها العبارة الآتية:
الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدة نساء العالمين. والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد رضوان الله عليهم أجمعين. فلو أن الرأس كان مدفوناً معهم لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء.
أما قول غالبية الشيعة الإمامية الاثني عشرية بأن الرأس مدفون مع الجسد في كربلاء فقول لا تؤيده مراجعة الحوادث فمن المستبعد عقلاً أن يعيد يزيد الرأس إلى كربلاء حتى لا يزيد النار اشتعالاً وهو يعلم بأنها لاتزال مركزاً لشيعة الحسين والمؤيدين لمذهبه، هذا بالإضافة إلى ما جاء =

زعم من قال ذلك. والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق؛ لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية.

= في أحداث سنة ٢٣٦هـ من أن الخليفة المتوكل أمر (الزيريج) بالمسيرة إلى قبر الحسين بن علي رضوان الله عليهما وهدمه. فتناول (الزيريج) مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين وانتهى هو ومن معه إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا آثاراً للرأس، وبعيد أن نتصور أن الرأس قد بلي في ذلك الوقت المبكر، إذ لاحظنا أن أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام لآلاف السنين.

وكذلك القول بوجود الرأس برباط مدينة مرو بخراسان. منقوض من أساسه، لأن أبا مسلم الخراساني الذي قيل إنه نقل الرأس من دمشق لما استولى عليها وبنى عليه الرباط بمرو، لم يكن موجوداً بالشام وقت فتحها، ولأنه من غير المقبول أن يأذن الخليفة عبد الله بن علي بن العباس لمولاه أبا مسلم بنقل الرأس الشريف لكي يدفنه بمرو، ولأن الخليفة نفسه لو ظفر بالرأس لأظهره للناس ليزدادوا ـ كما قيل بحق ـ غضباً على بني أمية.

أولاً: أن مقتل الحسين حدث خطير وله ما بعده، ولو طيف بالرأس في البلاد بقصد التشفي كما ورد في بعض المراجع، لأدى ذلك بغير شك إلى فتنة، بل وليس من المستبعد أن يؤدي إلى خلع يزيد نفسه، لأن الناس جميعاً حتى أولئك المناصرين ليزيد طمعاً في الكسب المادي، كانوا يحترمون الحسين، ويعظمونه في حياته ويستعظمون ما حدث له ويأسفون على تفريطهم في نصرته بعد وفاته. يضاف إلى ذلك أن يزيد نفسه ندم على قتله ودمعت عيناه لما وضع الرأس بين يديه وقال: ويحكم، قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، رحم الله أبا عبد الله، فكيف مع ذلك يأمر بأن يطاف بالرأس في البلاد!

ثانياً: ومن المعقول والمرجح أيضاً أن يكون الرأس قد ظل في خزائن السلاح بدمشق حتى ولي سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ فحمل الرأس كما ورد في بعض المراجع في تابوت وعطره ثم صلى عليه ودفنه في مقابر المسلمين أي بعد أن هدأت الفتنة ومضى عليها أكثر من ثلاثين عاماً.

أما الرواية التي تقول بوجود الرأس بعسقلان، فيؤخذ عليها أن مرجعاً لم يحدد الوقت الذي نقل فيه الرأس إليها، اللهم إلا تلك الرواية التي تقول بأن الرأس قد طيف به في البلاد بأمر يزيد، فلما وصل إلى عسقلان دفن هناك، وقد بينا فيما تقدم منافاة هذه الرواية لواقع الحال، واستبعدنا أن يصدر ذلك عن يزيد مراعاة لمصلحته الخاصة. وإذا أسقطنا من حسابنا هذه الرواية فكيف جاء الرأس إلى عسقلان؟ هناك من يقول بأن القبر الذي بناه سليمان بن عبد الملك للرأس نبش بعد ذلك وأخذ منه الرأس ونقل في وقت ما إلى عسقلان. ونبش القبر قد يكون صحيحاً، لأنه أمر متوقع ولا يبعد حدوثه، ولكن ما السبب في اختيار مدينة عسقلان بالذات لكي تكون مقر الرأس، وهي مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة، اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس في مكان قريب من بيت المقدس من جهة ومن جهة أخرى قريب من الساحل حتى يسهل إخراجها من المشرق حيث لاقى الشيعة الشيء الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ثم العباسيين ثانياً، ونقلها في يسر إلى شمال إفريقيا وبلاد المغرب حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة.

ومهما يكن من أمر فقد بان في حكم المؤكد أنه لم يكن في القرن الخامس الهجري وجود للرأس في دمشق بل كان في مدينة عسقلان للأسباب الآتية:

أولاً: يؤيد وجود الرأس بعسقلان في العصر الفاطمي نص تاريخي منقوش على منبر المشهد =

وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أمية. ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته. وله بدمشق مشهدٌ معروف، داخل باب الفراديس. وفي خارجه

= الذي أعاد بناءه بدر الجمالي وأكمله ابنه الأفضل في عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، ولما نقل الرأس إلى مصر، نقل المنبر الخليلي بالقدس والمنبر ما زال موجوداً هناك حتى الآن.
ثانياً: جاء في المقريزي أن المؤرخ ابن المأمون ذكر في حوادث سنة ٥١٦هـ إن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين بعسقلان، وأهدى إليه الوزير المأمون البطائحي قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية.
ثالثاً: لو كان الرأس موجوداً في غير عسقلان سواء في الشام أو خارجها لما عز على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية، وقوتهم الدينية تعتمد في أكثر ما تعتمد على نسبتهم لفاطمة الزهراء. أما قوتهم السياسية فقد فاقت قوة الدول العباسية، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال إفريقيا وبلاد المغرب غرباً، بل إنه حدث في عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيري أحد أعوانهم من الشيعة بسقوط الدولة العباسية في بغداد والبصرة وواسط وجميع الأعمال وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمي على منابرها في خطبة الجمعة وفي هذا أكبر شاهد على تلك القوة.
رابعاً: ذكر عثمان مدوخ في كتاب «العدل الشاهد» في القرن ١٩م أنه عثر بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين، فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن مما يؤيد نقل الرأس منها.
خامساً: جاء في المقريزي أن الصالح طلائع بنى مسجداً لرأس الحسين بعد نقله من عسقلان خشية استيلاء الفرنجة عليه، وهو المسجد المعروف بجامع الصالح طلائع خارج باب زويلة (بوابة المتولي الآن).
سادساً: جاء في كتاب «العدل الشاهد» أن المرحوم عبد الرحمن كتخذا الفزدغلي، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسيني، قيل له أن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ونزل فيه الأستاذ الجوهري الشافعي والأستاذ الشيخ الملوي المالكي وكانا من كبار العلماء العاملين وشاهدا ما بداخل البرزخ ثم ظهرا وأخبرا بما شاهداه وهو كرسي من الخشب الساج عليه طشت من ذهب فوقه ستار من الحرير الأخضر تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف ، فانبنى على أخبارهم تحقيق هذا المشهد وبنى المسجد والمشهد وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها.
مما تقدم نستطيع أن نقول بوجود رأس بمشهد عسقلان ومن المرجح أن يكون هو رأس الحسين رضوان الله عليه، ونستطيع أن نؤكد في ثقة واطمئنان بأن هذا الرأس قد نقل إلى مشهد الحسين بالقاهرة. هذا ولا أجد في هذا المقام أخيراً من العبارة التي جاءت في المقريزي أختم بها موضوع الرأس الشريف: «ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار، ما إذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى مليّة والعمل بالنية» أو كما قال سبط الجوزي، «ففي أي مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر».

مكان الرأس، على ما ذكروا. وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظُمَ الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتّى دفنوه بقبر أخيه الحسن. والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان.

ـ وفي هذا المشهد دُفن رأْس الكامل صاحب مَيَّافارقينَ. وفي ذلك قال ابن المهتار الكاتب: [من الخفيف]

أيـنَ غـازٍ غَـزَا وجَـاهَـدَ قـومـا،	أَثْـخـنـوا بـالـعـراق والـمـشـرقَـيْـنِ؟
لـم يَـشِـنْـهُ أنْ طِـيـفَ بـالـرأس مـنـهُ	فـلـهُ أسـوةٌ بـرأسِ الـحُـسـيـنِ
وافقَ الـسِّبطَ في الـشهـادةِ والـدفنِ	وقـدْ حـازَ أجـرَهُ مـرَّتـيـنِ
لِمَ وَارَوْا في مشهدِ الرأْسِ ذاك الرأسَ؟	فـاسـتـعـجِـبـوا مـن الـحـالـتـيـنِ!

ـ قبر يحيى وزكريا. يقال إنهما بِسَبَسْطِيَة.

وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد، قال: وكلّني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق. فوجدنا فيه مغارة، فعرّفنا الوليد ذلك. فلما كان الليل وافى، وبين يديه الشموع. فنزل. فإذا هي كنيسة لطيفة: ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع. وإذا فيها صُندوق. فإذا فيه سَفَط وفي السفط رأْس يحيى بن زكريا، مكتوبا عليه: «هذا رأْس يحيى بن زكريا». فأمر به الوليد، فرُدّ إلى المكان. وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مُغيّرا من الأعمدة. فجُعل عليه عمود مُسفَّط الرأس.

قال زيد بن واقد: رأيتُ رأْس يحيى بن زكريا، وعليه البشرة، والشَّعَرُ على رأْسه لم يتغير.

وقال القاسم بن عثمان الجُوعيّ: سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل: أين بلغك رأْس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثَمَّ. وأشار بيده نحو العمود المسفّط الرابع من الركن الشرقيّ.

وقال هشام بن عمار: حدّثنا محمد بن شُعَيب، قال: دخلتُ مع شدّاد بن عبد الله من باب الدَّرَج. فقال لي: ترى ها هنا كتابا بالرومية؟ قلت: نعم. فصلّى ركعتين. وقال: هاهنا رأس يحيى بن زكريَّا.

وروى القاسم الجُوعيّ عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعيّ: أين بلغك رأْسُ يحيى بن زكريا؟ قال: في العمود الرابع المُسَفَّط.

/ ١٦٤/ سعد بن عبادة. يقال إنه بقرية المنِيحة، من غُوطة دمشق. ولا يصحّ[1].

---

(١) بعد هذا بياض بمقدار سطرين.

خالد بن الوليد. يقال إنه خارجَ حِمْص. ولا يصحّ. وإنما هو خالد بن يزيد بن معاوية، بقولٍ جَزْم. فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالداً عن حمص وأشخصه إلى المدينة، فمات بها، ووَجَدَ عليه عمرُ بعد موته.

ضِرَار بن الأَزْوَر. خارج باب شرقيّ. مع خلق من الصحابة، استُشهِدوا في فتح دمشق.

- وبمقابر باب الصغير خلقٌ من الصحابة أيضاً، استُشهِدوا في فتح دمشق.
- وكذلك من سكن دمشق منهم.
- وكذلك بسائر بلاد الشام، وبمصر، والعراق، والعجم، والمغرب.
- ويجزيرة العرب منهم رجال، وبمكة والمدينة مشاهيرُ وأعلام[١].

* * *

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم:

فأوّل ذلك ما كانت عُبَّاد الكواكب تعظمه.

وهي سبعة بيوت في الأرض. يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة: لاعتقادها أن الكواكب أجسامٌ حيّةٌ ناطقةٌ، تجري بأمر الله في كل ما يحدث في العالم. فقرّبوا إليها القرابين، لتنفعهم. فلما رأَوْها تَخفى في النهار وبين أحايين الليل، عملوا لها تماثيل، وبنَوْا لها / ١٦٥/ البيوت والهياكل: ظنًّا أنهم إذا عظموا تلك التماثيل الموضوعة لها، تحرّكت الأجسامُ العُلوية بمرادهم.

وقد قال الله تعالى، حكايةً عن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٢].

والأبيات السبعة التي كان إليها حجُّهم:

أوّلها: البيتُ الحرام. كان يأتيه منهم من يتقرّب بزُحَل.

قلتُ: وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيتَ الحرام بالتعظيم، فلا عجيبٌ. فإنه ما زال معظما في الإسلام وقبل الإسلام، تحجُّ إليه طوائف الأمم في كلِّ الأوقات. زاده الله إبقاء وأدامه، ووصل شرفه بيوم القيامة.

وثانيها: بيتُ فارس، على رأس جبل أصفَهان. وبينهما ثلاثة فراسخ. كان يأتيه منهم مَن يتقرّب بالمشترِي. ثم جعله يستاشف ـ لمّا تمجّس ـ بيتَ نارٍ. فعظمه المجوس.

وثالثها: بيت مندرسان، ببلاد الهند. كان يأتيه منهم من يتقرّب بالمرّيخ. وقد ذكره

---

(١) بعده بياض بمقدار ٤ أسطر.

(٢) سورة الزمر: الآية ٣.

أبو عبيد البكريّ وقال: إن به من القُوى الدافعة والجاذبة والمنفردة، أوصافا لا يسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.

ورابعها: بيت كاوسان. بناه كاوس الملك، بمدينة فَرْغانة. كان يأتيه منهم من يتقرّب إلى الشمس.

قال أبو عبيد البكريّ: وهدمه المعتصم. ولهدمه خبر ظريف ذكر في كتاب الزمان.

وخامسها: بيت غُمْدانَ. بناه الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم مَن يتقرّب بالزُّهَرَة. وخرّبه عثمان بن عفان، رضي الله عنه. والآن مكانه بركة. وآثاره كالجبل الضخم. وكان الوزير عيسى بن الجرّاح، لما نفى إلى اليمن احتفر به قبراً وبنى عليه سقاية. قال البكريّ: وزعم أهل اليمن أنه سيُبنى على يدِ غلام يخرج من بلاد /١٦٦/ سبأ، يؤثّر في هذا العالم تأثيرا عجيبا.

وسادسها: بيت بأعلى بلاد الصين. بناه ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح. يأتيه منهم [من] يتقرّب لعُطَارد خاصةً، ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامةً. وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كُوًى، يقابل كلَّ كوّة صورةٌ على صورة كوكب من الخمسة والعشرين. ولهم فيه أسرارٌ بزعمهم.

وسابعها: بيت النُّوبَهار. بناه منوشهر الهنديّ بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصابئة من يتقرّب بالقمر. وكان يسمّى المتولِّي لسدانته «برمكُ». وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه. وآلت ولايته إلى أبي خالد البرمكيّ، فلهذا قيل «خالد بن برمك» ولهذا قيل «البرامكة». وكان من أعلى المباني تشييداً. وكان يُلَبَّس بالحرير الأخضر، تُنشر عليه شِقاقٌ منه. طول كل شُقَّة مائة ذراع. فيقال: إن الريح حملت بعض تلك الشِّقاق فرمت به على مسيرة خمسين فرسخا. وهذا يدل على عُلُوّه الزائد. وكان قد كتب على باب النوبهار بالفارسية: «قال سوراشف الملك: أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال: عقل، وصبر، ومال».

ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ، كُتب تحت هذه الكتابة بالعربية: «كذب سوراشف. الواجب على الحرّ إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان».

هياكل الأقدمين(١)

وأما بيوت اليونان، فهي ثلاثة هياكل، وهي مشهورة في العالم:

(١) في هذه التسمية نظر. ولعل المؤلف أراد «أترلين». وإلا فالهرم للمصريين الأقدمين، وبيت المقدس لبني إسرائيل. (زكي).

أوّلها: بيت بانطاكيَةَ، داخل مدينتها، على يَسْرة المسجد الجامع. وخربه المسلمون. ولما أتى ثابت بن قُرّة بن زكريا الحَرّانِيُّ مع المعتضدِ في سنة تسع وثمانين ومائتين، أتى هذا الهيكل وعظّمه.

وثانيها: هو الهرم الذي على بُعْد من الفُسطاط.

/١٦٧/ وثالثها ـ بيت المقدس. كان قد شُرع في بنائه. ثم شَرع داود (عليه السلام) في تكميل بنائه مسجدا. ثم تمّ على يد ابنه سليمان، عليهما السلام.

قال البكري: فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل، فكانت اليونانية اختارت له جبل لُبْنان. فاتخذوا له هناك هيكلا فيه نقوش عجيبة، في الحجر. لا يتأتّى مثلها في الخشب[١].

هياكل الصقالبة

وأما بيوت الصَّقلب فهي بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات استرقَّت عقولهم:

فأوّلها ـ بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات. قال البكريّ: وهذا البيت على الجبل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالَم.

(قلتُ: لعله يكون على الجبل المستدير وهو المسمّى في الشمال بجبال قاقونا).

وثانيها ـ على الجبل الأسود. تحيط به مياه عجيبة، ذوات طعوم مختلفة. وفيه صنم كبير، على صورة رجل شيخ، بيده عصًا يحرّك بها عظام الموتى. وتحت رجله اليسرى غرابيبُ سودٌ من صور الغُدَاف وغيرها.

وثانيها ـ يحيط به خليج من البحر، في وسطه قبة عظيمة، بها صنم على صورة جارية.

هياكل الصابئة

وأما ما كان للصابئة. فكان لهم هياكلُ تسمى بأسماء، وهي:

هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس. مستديراتُ الأشكال.

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع.

---

(١) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك، فإن هذا الوصف ينطبق عليه. (زكي).

وكانت لهم فيها دُخَنٌ وقرابينُ يطول وصفها.

قال البكريّ[١]: والذي بقِي من هياكلهم، بيتٌ بحرّان، في باب الرّقة. يعرف بمعلنيشا. وهو هيكل آزر، أبي إبراهيم، /١٦٨/ عليه الصلاة والسلام. ولهم في آزر وأبيه كلام كثير.

قال البكريّ[٢]: ولهم في هياكلهم مخاريق قد وصلت: تقف السَّدَنَة من وراء الجُدُر وتتكلم بأنواع الكلام، فتجري الأصوات من تلك المنافخ والمخاريق إلى تلك الصور المجوّفة فيظهر لها نطقٌ على حسب ما دُبِّر على هيأة هندسية. ثم قال: والصابئةُ حشويّةُ اليونان. وإنما يضافون إلى الفلسفة، إضافة نَسَب لا إضافة كلمةٍ؛ لأنهم يونانيون، وليس كلّ يونانيّ بحكيم. قال أبو عبيد البكريّ: وعلى باب حَرَّان كتابة بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون: الإنسان نبات سماويّ. قال: والصابئة تقرّب في بعض الأوقات ثوراً أسود، تُشدّ عيناه ويُضرب وجهه بالملح، ثم يُذبح ويُنظر في أعضائه. وما يَظهر منه في الجراحات والاختلاج، فيُستدل به على أحوال السنة. ولهم في قرابينهم أسرار ومخبّآت.

- وهيكل في أقاصي الصين وهو بيت مدوّر له ستور وأبواب. في داخله قبة مسَّبعة عظيمة البنيان. وبه بئر مسَّبعة الرأس، متى أكبّ إنسان على رأسها تهوّر على رأسه فيها. وعلى رأس البئر، شبهُ الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السندهند: «هذه البئر تؤدّي إلى مخزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لِمَا كان ويكون، وتؤدّي إلى خزائن رغائب هذا العالَم. لا يصل إلى الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلاّ مَن وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا».

قلتُ: هذا ما ذكره البكريّ ذكرته كما ذكره. والعهدة عليه فيما نقله.

[بيوت النيران]

وأما بيوت النيران، فأوّل من ذكرها أفريدون. قال: لأنه /١٦٩/ زعم أنها من جنس الكواكب النورية. وبالنور صلاح العالم؛ لأنها عندهم أصل كل حيّ ومبدأ كل تمام؛ لأنها تجذب الحيوان إليها كالفَرَاش الطائر بالليل، وما يصاد بالليل بالسُّرُج من الوحش والطير والسمك كما يصاد في البَصرة بإيقاد السرج في الزواريق، فيطلع السمك

(١) المسالك والممالك ١/ ١٧٣.

(٢) مختصراً عن المسالك والممالك ١/ ١٧٤.

من الماء حتّى يقع في الزواريق. ويبطل أقوال المجوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار، فإذا رأى النّارَ ظنّه فرجة إلى النهار، فقصده.

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها. وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به.

وبيوتهم المشهورة خمسة:

فأوّلها، بيتٌ بطُوسَ،

وثانيها، بيتٌ ببخارى، بناهما أفريدون.

وثالثها، بيتُ دار ابجرد في أرض فارس.

وكان زرادشت نبيّ الفرس، على ما زعموا، قد أمر يستاشف الملك أن يطلب نارا كان يعظمها جمٌّ، الملك؛ فوجدت بخوارزم. فنقلها يستاشف إلى دار ابجرد. قال البكريّ: والمجوس تعظم هذه النار، وهي أكرم نيرانهم.

ورابعها، بيتٌ بإصطخر، من فارس. ويقال إنه كان مسجد سليمان، عليه السلام.

وقال المسعودي[1]: وقد دخلتُه. وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما، وفي أعلاه صُوَرٌ من الصخر محكمة، عظيمة المقادير: من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد شُكِّلت وأتقِنت. ويزعم مَن جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لها هبوبٌ وحفيفٌ. يذكر مَن هناك من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه، وأنه كان يتغدّى ببعلبكَّ، من / ١٧٠/ أرض الشام، ويَقيل بمدينة تَدْمُر، في الملعب المتَّخذ فيها، وهي في البرِّيَّة بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام، ثم يتعشّى بهذا المسجد.

وبتدمر خلق من العرب من قحطان.

وخامسها، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماورد. بيت نار بناه أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجيبة. وإليه متنَزَّهاتهم. وفي وسط جُور بنيانٌ كانت تعظّمه الفرْس، يعرف بالطربال. خرّبه المسلمون.

وإنما فُضِّل مآء وردهم، لصحة التربة وصفاء الهواء.

وألوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحمرة والبياض.

---

(١) مروج الذهب ٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠، انظر المسالك والممالك ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧.

وبين جور وشيراز، وهي قصبة فارس، عشرون فرسخاً.

فسبحان الذي منّ علينا بالإسلام، وهدانا إليه وعلّمنا ما لم نكن نعلم، وفضَّلنا على كثير من خلقه، تفضيلا.

* * *

الآثار المشهورة

ومما نُتبع به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي، لقي جسمُه أو رسمه، ما يُذكر:

ـ فمن ذلك صنم الخطا المِحجوج في نهاية الشرق المتشامل. وهو قريب من السند.

ـ ومن ذلك قصر الدهاك. ما بين مدينة طَغُورا وبين مدينة باش بالق، شرقيّ طغورا وغربيّ باش بالق.

ـ ومن ذلك حائط القلاص. ويعرف بالحائط المحيط، ويعرف بحائط عبد الله بنِ حُمَيْد جنوبيّ بلاد الغربة وأَسبيجاب.

ـ ومن ذلك مدينة إصطخر[1]. وهي مدينة عجيبة البناء، من بناء سليمان، عليه السلام.

ومن ذلك قصر سِنْداد[2]. وهو بالعراق، قريب النيل، بأرض الأزير، على نهر سنداد. وكان مسكن آل مُحَرِّق. وفيه قال الأسود بن يَعفُر[3]: [من الكامل]

/١٧١/ ماذا أؤمِّلُ بعدَ آلِ مُحَرِّقٍ، تـركـوا مـنـازلـهـم، وبـعـدَ إيـادِ؟

أهـلِ الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـرِ ومـأرِبٍ والـقـصـرِ ذي الـشُّـرُفـاتِ مِنْ سِنْداد

---

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ٢١١ ـ ٢١٢ مادة (إصطخر).

(٢) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ مادة (سنداد).

(٣) الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل وأبو الجراح، شاعر جاهلي، من سادات تميم، من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً، نادم النعمان بن المنذر، ولما أسنَّ كُف بصره، ويقال له: «أعشى بني نهشل» جمع شعره ونشره د. نوري حمودي القيسي في «ديوان الأسود بن يعفر ـ ط» بغداد.

ترجمته في: الشعر والشعراء ٧٨، شرح شواهد المغني ٥١، سمط اللآليء ٢٤٨، طبقات ابن سلام ٣٢، معجم المورد ٣/ ٢/ ٢٢٦، الأعلام ١/ ٣٣٠، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٢٨٨ والأبيات من قصيدة في ديوانه ص ٢٥ ـ ٣١.

دارٌ تـخـيَّـرهـا لـطـيـبِ مَـقـيـلـهـا ... كـعـبُ بْـنُ مـامـةَ وابـنُ أمِّ دُؤَادِ
نـزلـوا بـأنْـقِـرةٍ يـسـيـلُ عـلـيـهـم ... مـاءُ الـفُـرات، يـجـيءُ مـنْ أطْـوادِ
جرتِ الـريـاحُ عـلـى محلِّ ديـارِهـمْ ... فـكـأنـمـا كـانـوا عـلـى مِـيـعـادِ!

ومن ذلك قصور الحِيرة، بين العراق والشام.

ـ ومن ذلك الخَوَرْنَق[1] والسَّدِير[2]. وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص اسمه سِنِمَّار للنُّعمان بن قيس، وكمّله في عشرين سنة. فلما وقف عليه النعمان، استجاده وأثنى على سِنِمَّار. فقال له سِنِمَّار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ. فأمر به أن يُطرح من أعلى شُرُفاته. فضُرب به المَثَل، فقيل: «جزاه جزاء سنمار»[3]. وفي ذلك يقول الشاعر: [من الطويل]

جَزَتْنِي بنُو قيسٍ، وما كنتُ مذنباً ... جـزاءَ سِـنِـمَّـارٍ ومـا كـانَ ذا ذنَـبِ!
بنى القصرَ للنعمان عشرينَ حَجَّةً ... يـعُـلّ عـلـيـهِ بـالـقـرامِـيـدِ والـخُـشْـبِ
فـلـمـا استوى البنيانُ واشتدّ رصفُهُ ... وآضَ كمثلِ الطودِ والشامخ الصَّعْبِ
رمـى بـسِـنِـمَّـارٍ عـلـى أُمِّ رأسـهِ ... وذاك لعمرُ الله من أعظمِ الخَطْبِ!

ثم ترهب هذا النعمان في الجاهلية، وانخلع من ملكه، وليس المُسُوح. وفيه قال عَدِيُّ بن زيد[4]: [من الخفيف]

---

(١) انظر: معجم البلدان / ٤٠١ ـ ٤٠٣ مادة (الخورنق).

(٢) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٠٢ مادة (السدير).

(٣) انظر: جمهرة الأمثال ١/ ٣٠٥ـ ٣٠٦.

(٤) عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر، من دهاة الجاهليين. كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، ويلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب. فسكن المدائن. ولما مات كسرى أنوشروان وولي ابنه «هرمز»؛ أقرّ عدياً ورفع منزلته ووجهه رسولاً إلى ملك الورم طيباريوس الثاني(Tiberius II) في القسطنطينية، بهدية، فزار بلاد الشام، وعاد إلى المدائن بهدية قيصر. ثم تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر، ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره، فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة نحو سنة ٣٥ ق هـ/ نحو ٥٩٠م.
وقال ابن قتيبة: كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه، وعلماء العربية لا يرون شعره حجة. وجمع د. محمد جبار المعيبد ما بقي من شعره في «ديوان ـ ط» ببغداد.
ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٨٠ ـ ١٨٦ والأغاني، طبعة دار الكتب ٢/ ٩٧. وهو في العبر لابن خلدون ٢/ ٢٢٦ «عدي بن زيد بن حماد بن أيوب ابن محروب» وفي شعراء النصرانية ٤٣٩ اسم جده «حمار» بتشديد الميم، وفي هامشه: «ويروى خمار وحماد وحماز». وفي النجوم =

وتـــذكَّـــرْ ربَّ الـــخـــورنـــق إذْ فـكّـر يـومـا. ولـلـهُـدى تـفـكـيـرُ!
راقـهُ مـالُـهُ وكـثـرةُ مـا يـمـلـكُ، والـنـهـرُ مُـعـرِضـاً والـسـديـرُ
/١٧٢/ فارعوى قلبُه وقالَ: وما غبطةُ حَيّ إلى المماتِ يصيرُ؟[١]

ـ ومن ذلك قصر سَنَافاد.

ـ ومن ذلك الرصيف الممتدّ بين صَرْخَد والعراق، ممتدّاً في البرية. يقال إنه من عمل سليمان بن داود، عليهما السلام. وهو يتصل في مواضع وينقطع في أخرى. ويتوصل السالك معه من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الشام في أقرب مدّة.

ـ ومن ذلك مدينة تَدْمُر[٢] بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكبار العمد.

ـ ومن ذلك ملعب بعلبك[٣] والباقي منه عمدٌ بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال: إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.

ـ ومن ذلك مدينة شُهْبَة[٤] من بلاد حوران. وبها من الأبنية الباقية والعمد العالية والآثار الدالَّة ما هو من جلائل الآثار.

ـ ومن ذلك مدينة جُرَش[٥] من بلاد حوران. يحكى الهول عن غرائب آثارها وقد أضحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسُكَّانها، لا يُحسّ بها حسيس، ولا يوجد بها أنيس.

ـ ومن ذلك جُبُّ يوسف[٦]، وهو قرب قرية اسمها شورى.

= الزاهرة ١/ ٢٤٩ «عدي بن زيد بن الخمار بخاء مضمومة». واسم جده في شرح الشواهد للسيوطي ١٦١: «جمار» وهو في جمهرة الأنساب ٢٠٣ «عدي بن زيد بن أيوب بن مجروف». وفي جمهرة أشعار العرب ١٠٢ «عدي بن زيد بن حماد بن زيد». والشعر والشعراء ٦٣ واللباب ١/ ١١١ وشرح قصيدة ابن عبدون ١٢٨ ورغبة الآمل ٢/ ٣٩ و٤٠ وابن سلام ٣١ وابن الأثير ١/ ١٧١ وسمى المرزباني ٢٤٩ جده «حماراً». ومثله في المقاصد ٣/ ٦٢١ وسمط اللآليء ٢٢١، الأعلام ٤/ ٢٢١، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٣٧٧.

(١) من قصيدة في ديوانه ص٨٤ ـ ٩٢.
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ١٧ ـ ١٩ مادة (تدمر).
(٣) انظر: معجم البلدان ١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٥ مادة (بعلبك).
(٤) انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٧٤ مادة (شهبة).
(٥) انظر: معجم البلدان ٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧ مادة (جرش).
(٦) انظر: معجم البلدان ٢/ ١٠٠ ـ١٠١ مادة (الجب).

ـ ويدانيها جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كلّ ذلك ببلاد صَفَد.

ـ ومن ذلك منازل ثمود[١] بين الحجاز والشام. وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن. وهي المعنيّة بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[٢]. وبها البئران: بئر الناقة، وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشِّرب ولما مرّ رسول الله ﷺ بأرض ثمود في غزوة تَبُوكَ، وجد بعض مَن سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحِجْر. فأمر بأن يُراق الماء. فقالوا: يا رسول الله قد عجنّا منه العجين. فأمر بأن يُطعِموه الإبل، وأن يشربوا من بئر الناقة. /١٧٣/ وهما معروفان هناك.

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.

[ـ ومن ذلك جُبُّ بابِلَ، وهو الذي حُبِس به دانيال. ألقاه فيه بُخت نَصَّر. وألقى معه أسدين حتّى أتاه، بأمر من الله، نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل. فقال: يا صاحبَ الجُبّ! فأجابه دانيالُ: قد أسمعتَ! ما تريد؟ قال: أنا رسول الله إليك، لأستخرجك من موضعك. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا يَنسى مَن ذكره! والحمد لله الذي لا يَكِلُ من توكّل عليه إلى غيره! والحمد لله الذي يجزى بالإحسان إحسانا! والحمد لله الذي يجزى بالإساءة غفرانا! والحمد لله الذي يكشف ضرنا عن كربنا؛ واستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتّى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.

وعن ابن عباس، قال: من قال عند كلّ سبُع: «اللّهُمَّ! ربَّ دانيالَ وربَّ الجبِّ وربَّ كل اسدٍ مستأسدٍ! اِحفظني واحتفظ عليّ!» لم يَضره السبعُ][٣].

ـ الأُخدود. المحتفر لأصحاب الأُخدود المذكورين في القرآن الكريم. هو بنَجرانَ من اليمن.

ـ ومن ذلك البئر المُعَطَّلة والقصر المَشِيد. وهما قريب الفج الخالي[٤] بمشاريق اليمن.

ـ ومن ذلك سدّ مأْرب[٥]. وهو ببلاد سبأ من اليمن.

---

(١) في الأصل «عاد» وصححها بالهامش «ثمود» ولكنه لم يلتفت إلى البقية فصححناها نحن كما ترى، والآية والحديث معروفان من قصة ثمود. (زكي).

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٤٩.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٤) هو الذي يسمى الآن بالربع الخالي، في الجنوب الشرقي من بلاد العرب. (زكي). انظر أيضاً: الإكليل ٨/ ١٦٦.

(٥) انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٤ـ ٣٨ مادة (مأرب).

ـ وبه قصر القَشِيب[١]. كان لبِلْقيس.

ـ ومن ذلك قصر غُمْدان[٢]. بصنعاء اليمن. وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم. كان مسكن التبابعة من حِمْيَر، ومنهم شَمِر بن مالك وأسعد أبو كَرِب. وكفى بذكرهما. طافا الأرض وبلغا الآفاق. وقصر غُمدان هذا هو المذكور في الأشعار، والمشهور في الأخبار. وفيه يقول ابن أبي الصَّلْت[٣]: [من البسيط]

إشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مغتبِقاً في قصرِ غُمْدان دارا منْك مِحْلالا!

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبنٍ شِيبَا بماءٍ، فعادا بعدُ أبْوالا!

ـ ومن ذلك بئر بَرَهُوت[٤]. ببلاد حَضْرَمَوْت من بلاد اليمن. وهو الذي لم يُعرف عمقه، ولا عُلم أن إنسانا نزله.

ـ ومن ذلك قصر رَيدان[٥]. المشهور بمدينة ظَفَارِ باليمن. وكانت تسمّى قديما مدينة يَحْصِب.

---

(١) انظر: معجم ما استعجم ٣/ ١١٧١.

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٢١٠ـ ٢١١ مادة (غمدان).

(٣) أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعت بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع، وأقام في الطائف إلى أن مات. سنة ٥هـ/ ٦٢٦م أخباره كثيرة، وشعره من الطبقة الأولى، وعلماء اللغة لا يحتجون به لورود ألفاظ فيه لا تعرفها العرب. وهو أول من جعل في أول الكتب: باسمك اللهم. فكتبتها قريش. قال الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر ابن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب.

ترجمته في: خزانة الأدب ١/ ١١٩ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ١١٥ وسمط اللآلي ٣٦٢ وجمهرة الأنساب ٢٥٧، والأغاني طبعة دار الكتب ٤/ ١٥، والخميس ١/ ٤١٢ وفيه وفاته سنة ٢هـ، وابن سلام ٦٦ وهو فيه: «أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة» والبلخي ٢/ ١٤٤ وفيه قطعتان من شعره، والشعر والشعراء ١٧٦، وتهذيب الأسماء ١/ ١٢٦، الأعلام ٢/ ٢٣، معجم الشعراء الجبوري ١/ ٣١٦ـ ٣١٧.

والبيتان في ديوانه ص٣٤١ـ ٣٥٠.

(٤) انظر: معجم البلدان ١/ ٤٠٥ـ ٤٠٦ مادة (برهوت).

(٥) انظر: معجم البلدان ٥/ ١١١ـ ١١٢ مادة (ريدان).

ـ ومن ذلك قصر الشَّاذِيَاخ[١]. وهو بباب نيسابور، من خُراسان. كان دار السلطنة لبعض ملوكها. ولم نؤخر ذكره إلا لأنه شُبِّه ببناء غُمدان. فكان كأن لذكره به تعلقاً: [من البسيط]

إشربْ هنيئاً عليكَ التاج مرتَفِقاً ... بالشَّاذِياخِ، ودع غُمدان لِليَمَنِ
فأنتَ أولى بتاجِ المُلكِ تلبَسُه ... من هَوْذَةِ بنِ عليّ وابنِ ذي يَزَن

[وعلى باب قصر الشاذياخ، صُلب عليُّ بن الجَهْم[٢]. فقال حين صُلب، ارتجالاً: [من الكامل]

لم ينصِبوا بالشاذِياخ عَشيَّة ... الاثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نَصَبوا بحمد الله مِلءَ قلوبهم ... شرفا، وملءَ صدورهمْ تبجيلا
ما عابَهُ أنْ بُزَّ عنه ثيابُهُ، ... فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولا[٣]

ـ ومن ذلك دار الأنماط. وكانت بفسطاط مصر، يباع بها قماش النساء، وفاخر اللباس والأمتعة. وتجلب إليها من كل أرض. وكان يجلس على حوانيتها أهل الفراغ واللهو. وكانت من عجائب المباني، وغرائب الآثار.

وحكى ابن ظافر[٤]: أن ابن قلاقس جلس بمصر فيها مع جماعة، فمرّت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك. وهي شمس تحت سماء النِّقاب، وغصن في أوراق الشباب. فحدّقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب. فجعلت تتلفَّت تلفُّت الظبي المذعور، أفرقه القانص فهرب؛ وتثنّى تثنِّيَ الغصن الممطور، عانقه

---

(١) انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٠٥ـ ٣٠٧ مادة (الشاذياخ).

(٢) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني سامة، من لؤي بن غالب: شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد، كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة وصلب بأمر المتوكل على باب قصر الشاذياخ مجرداً نهاراً كاملاً، ثم رجع إلى العراق، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب، فقاتلهم، وجرح ومات من جراحه سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م. له «ديوان شعر ـ ط» بتحقيق خليل مردم بك، ط٢ بيروت [دت].
ترجمته في: الأغاني، ط الدار ١٠/ ٢٠٣ـ ٢٣٤، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥ـ ٣٥٨، طبقات الحنابلة ١٦٤، معجم الشعراء ٢٨٦، تاريخ بغداد ١١/ ٣٦٧، الأعلام ٤/ ٢٧١، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٤١٤.

(٣) ديوانه ١٧١ـ ١٧٤، ٢١٥.

(٤) هذه الحكاية والأبيات المتعلقة بها ليست في ياقوت. وإنما أوردها صاحب الأغاني ٩/ ١٠٧ بتفصيل أوفىٰ مع إيراد القصيدة بأكملها وهي ١٢ بيتاً، وقد صححتُ بعض الكلمات بمعونته.

النسيم فاضطرب. فسألوه العمل في وصفها. فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن العطّار الأزديّ: [من الكامل]

أعرضْنَ لما أنْ عَرَضْنَ فإنْ يكنْ ... حذرا، فأينَ تلفُّتُ الغِزْلانِ؟

ثم صنع: [من المتقارب]

لها ناظرٌ في ذرى ناضر ... كما رُكِّب السِّنُّ فوق القناةِ

لَوتْ حين وَلَّتْ لنا جِيدَها ... فأيُّ حياةٍ بَدَتْ من وفاةِ؟

كما ذُعِر الظبيُ من قانصٍ ... فمرَّ وكرّر في الالتفاتِ!

ثم صنع: [من الكامل]

ولطيفةِ الألفاظِ لكنْ قلبَها ... لم أشكُ منهُ لوعةً، إلاّ عَتَا

كملتْ محاسنُها فودَّ البدرُ أنْ ... يَحْظى ببعضِ صفاتِها أو يُنعتا

قد قلتُ لما أعرضَتْ وتعرَّضتْ: ... يا مُؤيسا، يا مُطعما، قُلْ لي متى؟

قالتْ: أنا الظبيُ الغرَيرُ وإنما ... ولّى وأوْجسَ خِيفةً فتلفَّتا][1]

ـ ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلُّها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر الناس القول في سبب ما بُنيا له. فقيل: «هياكلُ للكواكب». وقيل: «قبور ومستودع / ١٧٤/ مالٍ وكتب» وقيل: «ملجأ من الطوفان». وهو أبعد ما قيل فيها؛ لأنها ليست شبيهة بالمساكن. وأقربها إلى الصحة ـ والله أعلم ـ أنها إما هياكل كواكبَ، وإما مواضع قبور. ولقد فُتِح أكبرها في زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه ما يدلُّ على ما وُضع له. وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهبا فوزنه، وحسَب مقدار ما أنفقه، فوجدهما سواء بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشيء، لعلمهم السابق أنه سيُنفق عليه مثل هذا المقدار. فوُضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه. ووجدتُ هذا في كثير من الكتب. فراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكونَ إليها، فلم أجد المأمون وجد به شيئاً ولا استفاد زائداً عما يعلم الناس به علما.

وأدلُّ الأدلة على أن أحدها هيكلُ بعض الكواكب، أن الصابئة كانت تأتي حقيقة تَحُجُّ الواحد وتزور الآخر، ولا تبلغ به مبلغ الأوّل في التعظيم. والله أعلم بحقيقة أمورها وجليّة أحوالها.

وهي أشكال لهبيّة كأنّ كلّ هرم لهبة سراج. آخذة في أسافلها على التربيع مسلوبة

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

في عمود الهواء، آخذة في الجوّ حتّى إلى التثليث. لولا استدارة سفل أُبلوج[١] السُّكَّر لشبهناها به. ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعا لبعض الكواكب لمناسبةٍ اقتضته.

ولقد أصْعَدْتُ غير مرَّة، مارّا على الأهرام بجميع بلاد الجيزة، ورأيت منها ما دَثَر بعضه، وما دثر كله. فإذا هي مصفحة البناء، شيئاً على شيء، لا فُسحةَ في أوساطها، كما تكون ساحات الدور بين الجُدْران. وإنما هي بناء ملتصق على بناء، بعضها فوق بعض. ووجدتُ بعض الأهرام مبنيّة بالطوب. وهذا أكبر دليل على أنها لم تُتَّخذ ملجأ من / ١٧٥/ الطوفان.

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما، فإنه مذكور في الكتب ذكرا مستوعبا لم أحققه بالقياس. وأبى لي تحقيقي في هذا الكتاب أن أذكره بمجرّد التقليد، مع إمكان التحقيق، مع كثرة تردّدي عليها، وسَكَني بالقاهرة في جوارها. ولعذرٍ مانعٍ في وقت هذا التأليف، قَعَدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق.

على أن الهَدْم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن. نبّه لها الدهرُ طرْفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، تابعة السكان. فلقد صدق عليها المتنبيّ[٢] قوله: [من الكامل]

أيـنَ الـذي الـهَـرَمـانِ مِـنْ بُـنْـيـانـه؟ مَنْ قومُهُ؟ ما يومُهُ؟ ما المَصرعُ؟
تـتـخـلَّـفُ الآثـارُ عَـنْ سُـكّـانِـهـا حِينا، ويُدركها الفَناء فتتبعُ!

وإن فيها لعبرةً للمعتبر، وتذكرةً للمدَّكر، وآيةٌ لمن أناب، وتبصرةٌ في الدنيا لمن يلد للفَناء ويعمِّر للخراب.

وحكى ابن ظافر[٣]، قال: ذُكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلى الأهرام، ليَروْا عجائب مبانيها، ويتأملوا غرائب ما سطّره الدهر من العِبَر فيها، فاقترح بعضُ مَن كان معهم العملَ فيها. فصنع أبو الصَّلْت أُمَيَّة بن عبد العزيز [الأندلسيّ][٤]: [من الطويل]

بعيشِكَ هلْ أبصَرتَ أحسنَ منظَراً، على ما رأتْ عيناكَ، من هَرَمَيْ مِصرِ؟

(١) أي رأس السكر، قمع السكر (زكي).
(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٣/ ١٣.
(٣) بدائع البداثة ص ١٣٦، ونفح الطيب ٢/ ٢٢٤ (زكي).
(٤) ديوانه ٩٨، خريدة القصر ـ قسم المغرب والأندلس ١/ ٢٢١.

أَنَافَا بأعنانِ السماءِ وأشرفا على الجَوّ، إشرافَ السِّمَاكِ على النَّسْرِ[١]
وقد وافيا نَشْزًا من الأرض عالياً كأنهما نَهْدَانِ قامَا على صدر

ـ ومن ذلك أبو الهول. وهو اسمٌ لصنمٍ يقارب الهرم الكبير. في وَهْدة منخفضَة تقع دونه شرقا بغرب. لا يبين من فوقِ سطح الأرض إلا رأسُ ذلك الصنم. وعنقه أشبه شيء برأس راهب حبشيّ، عليه غفّارية. على وجهه صباغ أحمر إلى حُوَّة، لم يَحُلْ على طول الأزمان، وقديم الآباد. وهو كبير. لو كان شاخصا كله، لما قصَّر عن عشرين ذراعا طولُه. في غاية مناسبة التخطيط.

يقال إنه طَلْسَم[٢] يمنع الرمل عن المزدَرَع. وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويره لهم، أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدَرَع.

في أبي الهول يقول [أبو منصور] ظافر الحدّاد[٣]:

تأمّل هيأة الهَرميْنِ وانظُر، وبينهما أبو الهَوْلِ العجيبُ!
كَعَمَّارِيتينِ[٤] على رحيلِ بمحبوبينِ، بينهما رقيبُ
وفَيْضُ البحرِ عندهما دموعٌ وصوتُ الريحِ بينهما نحيبُ
وظاهِرُ سجنِ يوسفَ مثلُ صَبٍّ تخلّفَ، فهو محزونٌ كئيبٌ

ـ وأما سجن يوسف[٥]، فشمالَ الأهرام، على بُعدٍ منه، في ذيل خرجة من جبلٍ في طَرَف الحاجر.

ـ ومن ذلك حائط العجوز[٦]. وهو حائط يستدير / ١٧٦/ بالديار المصرية، ممتدّا على جانب المزدرع بها كأنه قد جُعل حاجزا بين الرمل والمزدرع. على أنه غير عالي الذُّرى. مشيتُ معه إلى دَنْدرا، من الصعيد الأعلى. ورأيتُه قد دثَرَ غالبه، ومنقطِعه أكثر من

---

(١) في الأصول: «أو النشر» وما صوبناه من ديوانه.
(٢) هكذا ضبطه في الأصل، والمعروف أنه طِلَّسم (زكي).
(٣) ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد، شاعر من أهل الإسكندرية، كان حدّاداً، له «ديوان شعر ـ ط» توفي بمصر سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٤١، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٦، معجم الأدباء ٤/ ٢٧٨، خريدة القصر ـ قسم مصر ٢/ ١ـ ١٧، الأعلام ٣/ ٢٣٦، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ١٩.
(٤) العمارية: الهودج الذي يُجلس فيه على البغل وغيره حيث تزف العروس إلى بيت زوجها.
(٥) انظر: معجم البلدان ٣/ ١٩٣ مادة (سجن يوسف).
(٦) انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٠٩ـ ٢١٠ مادة (حائط العجوز).

متصله. وهو مبنيّ من طوب. ليس بعريض السَّمْك ولا عالي الجدار.

ووقفت على الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة اسمها دلوك، وأنه يصل إلى ما بين العريش ورَفَح، منتهى الحدّ الفاصل بين مصر وبين الشأم. ليس له هناك أثر، بل ولا في أسافل أرض مصر.

ويُذكر في تلك الكتب ـ بسبب بناء العجوز له ـ خُرَافةٌ لسنا نرضى ذكرها.

ولا يُعرف مَن بنى هذا الحائط حقيقةً، ولا ما بُني له عن يقين. ولكنا قلنا على الظن الغالب.

ـ ومن ذلك شامَة وطامَة[١]. وهما صنمان من حجر، على قاعدتين، ببلاد الصعيد.

ـ ومن ذلك البَرابِي[٢]. بالصعيد، في أماكن منه.

ـ وأشهرها برباة إخميم[٣]. من ورائها على شرقيّ النيل، حيث ينعطف الرمل ملتَّفا على الريف.

رأيتُ بها مختلفاتٍ من صور الحيوان: من نوع الإنسان والدوابّ والوحش والطير. على صور مختلفة، وأشكال متباينة، مصبَّغة بأنواع الأصباغ، مرسومة في الجُدُر والسقوف والأركان، من باطن البناء وظاهره، لم تنطمس رسومها، ولا حالت أصباغها: كأنّ يَد الصانع ما فارقت صورها؛ وكفَّ الصبّاغ ما مسح دهانها.

قال لي الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش: إنه سافر قصْداً إليها وأقام مدّة يردّد نظره فيها، ويحدّد نظره في أوضاعها. فرآها تشتمل على هيأة العُلْوِيّات المرصودة /١٧٧/ بأسرها، مما لا يُعمل كلّ موضوع منها إلا برصد محرَّر مما لا يسع زمانٌ واحدٌ بعضَه. قال: فعلمتُ أنها ما عُملت في زمانٍ واحد، بوضع حكيم واحد؛ لِقَصر مدد الأعمار عن زمان يفي برصد تلك الهيأة الكاملة. قال: وإنما تكون ـ والعلم لله ـ مما توارث عَمَلَها على حُكم الأرصاد المحررة عدّ ةُ حكماء في أزمنة طويلة، حتّى استقلَّ ذلك المجموع وتمّت تلك الهيأة.

ـ ومن ذلك عمود الصَّواري[٤]. بظاهر الإسكندرية. وهو عمود مرتفع في الهواء

---

(١) انظر: معجم البلدان ٣/ ٣١٥ مادة (شامة).

(٢) انظر: معجم البلدان ١/ ٣٦٢ـ ٣٦٤ مادة (البرابي).

(٣) انظر: معجم البلدان ١/ ١٢٣ـ ١٢٤ مادة (إخميم).

(٤) انظر: معجم البلدان ١/ ١٨٢ـ ١٨٩ مادة (الاسكندرية).

تحت قاعدة، وفوقه قاعدة. يقال إنه لا نظير له من العمد في علوه ولا في استدارته. ويُحَكى عنه حكاياتٌ منها ما هو مسطّر في الصحف، ومنها ما هو مستفيضٌ على الألسنة. مما لا نرى ذكره.

- ومن ذلك المنارة[١] بها. وشهرتها كافية. ولم يبق منها إلا ما هو في حكم الأطلال الدوارس، والرسوم الطوامس.

[وقد كانت المنارة مسرح ناظرٍ، ومطمح أمل حاضر؛ طالما جمعت أخدانا، وكانت لجياد الخواطر ميداناً.

حكى ابن ظافر[٢] أن ابن قلاقس والوجيه ابن الذوريّ طلعا المنارة. والوجيه يومئذ في عنفوان [شبابه و] صِباه، وهبوب شَماله في الجَنوب وصَباه. وابن قلاقس مغرم به، مُغْرًى بحبه، مكبٌّ على تهذيبه، مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه. ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة، ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة. فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة. فقال [بديهاً]: [من الطويل]

وساميةِ الأرْجاء تُهدِي أخا السُّرى ... ضِياءً، إذا ما حِندِسُ الليلِ أظلما

لبستُ بها بُرْداً من الأنس ضافياً ... فكانَ بتذكارِ الأحبّةِ مُعْلَمَا

وقد ظلّلَتْني من ذُراها بقبّةٌ ... ألاحظ فيها منْ صِحابيَ أنجما

فَخُيِّل أنَّ البحرَ تحتي غَمامةٌ ... وأنيَ قد خيَّمتُ في كَبِد السَّما

فاشتدّ سرور ابن قلاقس وفرحه، وقال يصفها ويمدحه[٣]: [من البسيط]

ومنزلٍ جاوَرَ الجَوْزاءَ مُرتقيا ... كأنَّما فيه للنَّسْرَيْن أوْكارُ

راسِي القرارةِ سامِي الفرع في يدهِ ... للنُّون والنُّور أخبارٌ وآثارُ

أطلقتُ فيهِ عِنانَ النظم فاطَّردتْ ... خيلٌ لها في بديع الشِّعر مِضمارُ

ولَمْ يَدَعْ حَسَناً فيه أبو حَسَنٍ ... إلا تحكّمَ فيهِ كيفَ يختارُ

حلَّى المنارةَ لما حلّ ذِرْوتَها ... بجوهرِ الشعرِ بحرٌ منهُ زخّارُ

ما زال يُذْكِي بها نارَ الذكاءِ إلى ... أنْ أصبحتْ عَلَماً في رأسِهِ نارُ

ومن ذلك الملعب بها. وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه، في كل سنة، وتُرمى به كُرة. فمن وقعت في كمّه، آل إليه المُلك. وحضره عمرو بن العاص في الجاهلية، ووقعت الكُرة في كمّه. فقالوا: أخَرمت العادةُ؟ فإن مثل هذا لا يُملّك.

---

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ١٨٢ـ ١٨٩ مادة (الاسكندرية).

(٢) بدائع البدائه ص ١٣٨.

(٣) ديوانه / الملحق ٦١٠.

وهذه واقعة مشهورة، لا حاجة إلى الإطالة بها.

ومكانَ هذا الملعب عمّر بنو خُلَيف القصر المنسوب إليهم.

وحكى ابن ظافر(١): أن ابن قلاقس حضر يوما عند بني خليف [بظاهر الإسكندرية] في قصرٍ رسا بناؤه وسما، وكاد يمزِّق بمزاحمته أثواب السما. قد ارتدى جلابيب السحائب، ولاث عمائم الغمائم. وابتسمت ثنايا شُرُفاته، واتسمت بالحُسْن حنايا غُرُفاته. وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها، وحبَتْه السحائب بما اؤْتُمنتْ السحب عليه من ودائع أمطارها. والرمل بفنائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه، والجوّ قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمةَ نسيمه. والنخل قد أظهرت جواهرها، ونشرت غدائرها. والطلّ ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه، والبحر يرعُدُ [غيظا] من عَبَث الرياح به. فسأله بعض الحُضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنُه، وغُبط به ساكنه. فجاشت لذلك لُجَجُ بحره، وألقتْ إليه جواهرَه لترصيع لَبَّة ذلك القصر ونحره، فقال: [من الكامل]

قَصْرٌ بمَدْرَجة النسيم تحدّثتْ فيهِ الرياضُ بسرّها المستورِ(٢)
خفَضَ الخورنقَ والسديرَ سمُوُّه وثنى قصورَ الرُّومِ ذاتَ قُصورِ
لاثَ الغمامَ عِمامةً مِسْكيَّة وأقامَ في أرضٍ من الكافورِ
غنّى الربيعُ بهِ محاسنَ وصفِهِ فافتَّر عنْ نَوْرٍ يروقُ [ونُورِ]
فالدَّوْحُ يسحبُ حُلَّة من سُنْدُس تزهو بلؤلؤ طلِّها الموفُور
والنخل كالغِيدِ الحِسان تقرّطتْ بسبائكِ المنظوم والمنثورِ
والرملُ في حُبُكِ النسيم كأنما أبدى غُضُونَ سوالفِ المذعورِ
والبحرُ يرعُد متنُهُ فكأنهُ درعٌ تُسَنُّ بمَعْطِفَيْ مقرورِ
وكأننا، والقصرُ يجمعُ شَمْلَنا، في الأفق، بينَ كواكِبٍ وبُدُور
وكذاكَ دَهْرُ بني خُلَيف لم يزلْ يثني المعاطفَ في حَبير حُبُورِ

ومن ذلك مدينة لبدة(٣): وهي خراب يَبَاب. بهما صنمان عظيمان من الرُّخَام الأبيض، في زِيّ امرأتين. وغالب بناء هذه المدينة ـ في جدرها وسقوفها وفرش دياراتها وأرضها ـ من الرخام الأبيض. وكان يجري إليها وادٍ يُصب إلى البحر الشاميّ

---

(١) بدائع البدائع ص١٧٥، ونفح الطيب ٢/ ١٧٤ـ ١٧٥. (زكي).

(٢) ديوان ابن قلاقس ٤٤٨ـ ٤٤٩.

(٣) اسمها الجغرافي القديم «لبتيس» .Leptis (زكي).
انظر: معجم البلدان ٥/ ١٠ مادة (لبدة).

وتُرسى السفن البحرية إليه. وطفّات الوادي ومجاري الماء مرصوفة بالرخام. فغلب عليه سافي الرمل، فقطع مدد الوادي، وأخلى أوطانها، وأجلى سُكّانها. وهذه المدينة ببَرْقة، مما يقابل أَطرابُلُس الغربية(١).

ومن ذلك المُعَلَّقة(٢). وهي مدينة بإفريقية. على ساحل البحر الشاميّ على نحو ستة عشر ميلاً من تونس. يقال: إنها كانت لابنة الملك الذي قال الله / ١٧٨/ وقوله الحق، في حقه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(٣). بها آثار عظيمة، وأحجار كبيرة، ومهاوٍ بعيدة، وأشراب عميقة. تُظْهر لمن تأملها العجبَ العُجَاب، واللُّبّ اللباب. ومن عظيم ما حوته من الأحجار، أنه على طول المُدد، وتراخي عِنان الأبد، أنه ينقل من أحجارها إلى ما جاورها ولا ينقطع مددها، ولا يظهر نقص في كثرتها.

ومن ذلك مدينة شرشال(٤). وهي مدينة تقابل مِلْيانةَ، بالغرب الأوسط، على ساحل البحر الشاميّ. يقال إنها كانت مدينة الملك الغاصب للسفن، المعنِيّ بقوله تعالى في سورة الكهف. وقد تقدّمت الآية عند ذكر ابنه هذا الملك، فيما قبلُ. وهي مدينة تزيد على الوصف، في اتساع الأفنِية، وارتفاع الأبنية، وعظم القناطر المرفوعة، والأقبية المعقودة، والقواعد المشيدة، والجُدُر السميكة، مما يشهد له جُوَّال الأرض، وسُفَّار الآفاق، وسُمَّار الحديث، بأنه لا شبيه له في تخشين بنائها، وتحسين صناعاتها.

ومن ذلك صخرة سَبْتَة(٥). يقال إنها المعنية(٦) بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾(٧). وهي مشهورة هناك.

ومن ذلك هيكل الزُّهَرَة(٨). بالأندلس، في ذيل الجبل الآخذ بين طُلَيْطلة(٩) ووادي آش(١٠) في شرقيه بشمال. مطلٌّ على البحر المحيط. وقد تقدّمت الإشارة إليه.

ومن ذلك باب الصُّفر(١١). في شرقيّ الأندلس يفصل بينه وبين الأرض

---

(١) Tripoli de Barbarie. (زكي).

(٢) يشير المؤلف إلى أحد أقسام مدينة قرطاجة المشهورة التي يسميها الإدريسي قرطاجنة، وقد أفاض في وصفها وفي شرح آثارها (ص١١٢ـ ١١٤ من طبعة دوزي). (زكي).

(٣) سورة الكهف: الآية ٧٩.

(٤) ذكرها الأدريسي. وليس في كتابه هذا الوصف الذي أورده ابن فضل الله. (زكي).

(٥) هي مدينة Centa. (زكي).

(٦) في الأصل: المعنيّ. (زكي).

(٧) سورة الكهف: الآية ٦٣.

(٨) Port Vendre. (زكي).

(٩) Tolede. (زكي).

(١٠) Guadix. (زكي).

(١١) يشير إلى أحد أبواب (Puerta) جبال البرانس (Les Pyrenees) التي يسميها العرب جبال الأبواب وجبال البُرتات وجبال البرانس. (زكي).

الكبيرة[١]. ذات الألسُن العديدة من سكان الشمال. عمل الباب على نقب كان فتح في جبل حيث خَرَجْتَ من البحر الشاميّ طريقا للأندلس إلى البر المتصل.

وقد /١٧٩/ رأيتُ أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها أو أبلغ في الاعتبار، وهو:

قصر العَبَّاس[٢]. وهو بين سنجار ونَصِيبين. وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ما ذكرنا، فإنه في العِبرة كما أشرنا.

حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خَلِّكان في تاريخه[٣] قال: مر أبو الربيع قرواش بن المقلَّد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغَنَويّ وكان مطلاً على بساتينَ ومياه كثيرة. فتأمله، فإذا في حائط منه مكتوب: [من مجزوء الكامل]

«يا قصرَ عَبَّاسِ بنِ عَمْـ ... ـروٍ، كيفَ فارقك ابنُ عَمْرِكْ؟
قدْ كنتَ تغتالُ الدُّهو ... رَ، فكيفَ غالكَ رَيبُ دهرِكْ؟
واهاً لِعزِّكَ بلْ لُجو د ... كَ بلْ لمجدكَ بلْ لفخرِكْ!

وكتبه عليّ بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة». وهذا هو الأمير [سيف الدولة بن حمدان][٤].

وتحته مكتوب: [من مجزوء الكامل]

«يا قصرُ، ضَعْضعكَ الزما ... نُ وحطَّ مِنْ عَلْياءِ فخرِكْ
ومحا محاسنَ أسطُرٍ ... شَرُفتْ بهنّ مُتُونُ جُدْرِكْ
واهاً لكاتبِها الكريـ ... ـمِ وقدرِهِ المُوفِي بقَدْرِكْ

وكتبه الغضنفر بن الحسن بن عليّ بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة».

(وهذا هو عدّة الدولة ابن الأمير ناصر الدولة أخي سيف الدولة).

وتحته مكتوب: [من مجزوء الكامل]

يا قصرُ، ما فعلَ الأُلى ... ضُرِبَتْ قِبابُهُمُ بِعُقْرِكْ؟

---

(١) هذا التعبير يطلق في عرف جغرافيي العرب وخصوصاً الأندلسيين على بلاد فرنسا خاصة وسائر أرض أوربة عامة. (زكي).

(٢) انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٥٩ـ ٣٦٠ مادة (قصر العباس).

(٣) كتاب «وفيات الأعيان» في ترجمة «المُقَلَّد» صاحب الموصل ٢/ ١٦٨ـ ١٦٩، طبعة بولاق سنة ١٢٧٥. وانظر الترجمة الانكليزية للبارون ده سلين تحت اسم Mukallad.

(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

أخْنى الزمانُ عليهِمُ وطَواهُمُ لطَويلِ نَشْرِك
واهاً لقاصِرِ عُمْرِ مَن يختالُ فيكَ، وطُولِ عُمْرِك

/١٨٠/ وكتبه المقلَّد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة».

(وهذا هو والد قرواش).

فكتب ولده قرواش تحته:

يا قَصْرُ، ما صنعَ الكِرا مُ الساكنُونَ قديمَ عَصْرِك؟
عاصَرْتَهم فبذَذْتَهم وشأَوْتهم طُرًّا بصبرِكْ
ولقدْ أثارَ تفجُّعِي يا ابنَ المسيَّبِ رَقْمُ سطرِك
وعلمتُ أنِّي لاحِقٌ بكَ دائبٌ في قَفْو إثْرِك

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة».

وعزم على هدمه، وقال: هذا مشؤوم. ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنويّ من أهل تَلِّ سَيَّار، باني الرقة ورأس عين من حصن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مَرْوان. وكان يتولّى اليمامَة والبحرينْ. وسيّره المعتضد لحرب القَرامطة في عشرة آلاف فارس. فقُتل الجميع، وسلِم وحدَه. (وعمرو بن الصفا حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في خمسين ألف فارس فأخذوه وسلم الباقون).

[وكذلك قصر البصرة. وكان قبل أن تُختطَّ البصرة منزلا تنزله الأكاسرة في متصيَّداتهم، وتخرج إليه الأساورة في متنزَّهاتهم. وتهدّم حتّى جدّده الحجاج، فعرف به، فقيل قصر الحجاج. وكان يعرف بقصر قُباذَ. وقال: قال أبو الغرّاف: قال الحجاج لجرير والفرزدق، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: «إيتِياني في لباس آبائكما في الجاهلية». فلبس الفرزدق الديباج والخزَّ، وقعد في قبَّة. وشاور جرير دُهَاة بني يربوع وشيوخَهم، فقالوا: «ما لباس آبائنا إلا الحديد». فلبس درعا وتقلد سيفا وتأبط رُمْحا وركب فرسا، وأقبل في أربعين فارسا من بني يربوع. وجاء الفرزدق في هيأته. فتقاولا. فقال جرير: [من الطويل]

لَبِستُ سلاحي، والفَرزْدق لُعبةٌ عليهِ وِشاحَا حَلْيِهِ وخلاخِلُهْ
أَعِدّوا مع الخَزِّ المَلابَ؛ فإنّما جريرٌ لكم بعلٌ وأنتم حلائلُهْ!

ثم رجعا. فوقف جرير في معرّة بني حصن، ووقف الفرزدق بالمِرْبَد. وقد أبرَّ جرير عليه][1].

وكذلك قصر الكوفة[2]. وقد هُدم، فلم تبق منه باقية.

وله حكاية مشهورة. ولهذا ذكرناه.

قال عبد الملك بن عُمير: كنتُ مع عبد الملك بن مَرْوان بقصر الكُوفة، حين جيء برأس مُصْعَب بن الزبير، فوُضِع بين يديه، فرآني قد ارتعدت فقال لي: ما لك؟ فقلت: أعيذك بالله، يا أمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، في هذا الموضع، مع عبيد الله ابن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد، فرأيتُ رأس ابن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصْعَب بن الزبير. فرأيتُ رأس المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين / ١٨١/ يديك. فقام عبد الملك من مقامه ذلك. وأمر بهدم ذلك الطاق.

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر. فسبحان الله الباقي، وكل شيء هالك؛ الدائم، وما سواه ليس كذلك!

[ومنها: قصر هِرَقْل. وهو بالشَّرَف الأعلى الشماليّ. ويُعرف في زماننا بقصر شمس الملوك. ولم يبق منه اليومَ إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خانقاه للفقراء. ولم يزل منزلا للملوك ومنزها لأهل البلد، لإشرافه [على] نهر بَرَدَى والوادي. ونزله السلطان صلاح الدين.

وحَكى ابن ظافر[3] قال: دخل أبو خالد بن صغير القيسرانيّ[4] على الأمير تاج الملوك أبي سعيد نور بخت، أتابك طغتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة الفِناء، صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجرّ النسيم عليها ما رقّ من أذياله وضفا. وهو تارة يرشُف رضابها، ويجعِّد ثيابها، وتارة يسبكها مِبْردا، ويحبكها مسْردا. فأمره

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) انظر: معجم البلدان / ٣٦٣ مادة (قصر الكوفة).

(٣) بدائع البدائة ١٧٢. (زكي).

(٤) عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير القرشي المخزومي، أبو محمد، فتح الدين، ابن القيسراني: من علماء الوزراء. شاعر، أديب، من بيت رياسة. أصله من قيسارية الشام. ولد في دمشق سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م. وولي بها الوزارة في أيام السعيد بن الظاهر، ستة أشهر، وانتقل إلى مصر، فتوفي بالقاهرة في ٢١ ربيع الآخر سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م. له كتاب «أسماء الصحابة» بالمدرسة الناصرية بدمشق و«أربعون حديثاً» خرجها لنفسه. وله نظم في «ديوان».

ترجمته في: البداية والنهاية ١٤/ ٣١ والدرر الكامنة ٢/ ٢٨٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢١٣ وشذرات الذهب ٦/ ٩ وأعلام العرب ٢/ ١١٦ والأعلام ٤/ ١٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٢٨١.

بوصفها، فقال(١): [من مجزوء الكامل]

فـأَوَ مَـا تَـرى طَـرَبَ الـنـسيــ ـم إلـى الـغـديـرِ إذا تـحـرَّكْ؟
بَـلْ لـو رأيـتَ الـمـاءَ يـلـعـبَ فـي جـوانـبـه، لـسـرَّكْ!
وإذا الـصَّـبـا هـبّـتْ عـلـيـ ـه، أتـاكَ فـي ثـوبٍ مُـفـرَّكْ](٢)

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم عليّ بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم. قال: قرأت بخط أبي الحسن رشإٍ بن نظيف، وأنبأنيه أبو القاسم عليّ بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم، عنه: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عليّ بن محمد بن يحيى الدقاق: حدثني أبو الحسن عليّ بن أحمد بن سلامة الطحاويّ: حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم، قال: قرأت على قصرٍ بدمشق لبني أُمَيَّة: [من الخفيف]

لـيـتَ شِـعْـري! مـا حـالُ أهـلـكَ يا قَصْرُ وأيْنَ الذينَ عالَوْا بِناكا؟
مـا لأرْبـابِـكَ الـجـبـابـرَةِ الأمـلاكِ شـادُوكَ ثـمَّ حَـلُّـوا سِـوَاكـا؟
أَلِـزُهْـدٍ يـا قـصْـرُ فـيـكَ تـحـامَـوْ كَ ألا تُـبْـتَـنـى ولـسـتَ هُـنـاكـا؟
ليتَ شِعْري! وليتني كنتُ أدْرِي ما دهاهُمْ، يا قصْر، ثُمَّ دهاكا؟

ومن خلفه: «هذا جوابٌ عنهم: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـسـائـلُ الـمـفَـكِّـرُ فـيـهـم! ما إلى ذا السُّؤال ـ قُلْ لي ـ دَعَاكا؟
أَوَ مـا تـعْـرِف الـمَـنُـونَ إذا حـلّـتْ دِيَـارا فـلـن تُـراعِـي هَـلاَكـا!
إنَّ فـي نـفـسـك الـضـعـيـفـةِ شُـغْـلا فـاعـتَـبِـر وامضِ فـالـمَـنُـون وَرَاكـا!»

قال: وحدثني أبو الحسن بن الطحاويّ: حدثني ابن أبي هاشم قال: قرأتُ بحُلوان [مصر] على قَصرٍ لعبد العزيز بن مَرْوان: [من الخفيف]

/١٨٢/ أيْنَ ربُّ القَصْر الذي شيَّدَ الـقـصـرَ، وأيـنَ الـعَـبِـيـدُ والأجـنـادُ؟
أيْـنَ تـلـكَ الـجُـمـوعُ والأمـرُ والـنـهـيُ وأعـوانُـهـم وذاكَ الـسَّـوادُ؟
أيـنَ عَـبُـد الـعـزيـز، أيْـنَ ابـنُ مَـرْوا نَ، وأيْـنَ الـحُـمـاةُ والأولادُ؟
مـا لـنـا لا نُـحِـسُّـهـم ونَـرَاهـم! أتُـرى، ما الـذي دهـاهـم، فـبـادُوا؟

قال: وقرأت تحته: «هذا جواب عنهم: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـسـائـلُ الـمُـفَـكِّـرُ فـيـهـم: كـيْـفَ بـادّتْ جُـمُـوعُـهـم والـسَّـوادُ،

---

(١) شعر ابن القيسراني ٣٢٨ـ ٣٢٩.
(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ثُمَّ في القَصْر والذينَ بَنَوْه أَسَفاً، حينَ فارقوهُ وبادُوا
أيْنَ كِسْرى وتُبَّعٌ قبلَ مَرْوا نَ ومِنْ قبلِ تُبَّع شَدّادُ
أيْنَ نُمْرودُ؟ أيْنَ فِرْعونُ مُوسى؟ أينَ مِنْ قبلهم ثمودٌ وعادُ؟
كلُّهم في الترابِ أضحى رَهِينا حينَ لم تُغْنِ عنهم الأجْنَادُ!
إنّ في الموت يا أخي لكَ شُغْلا عنْ سِواهُ، والمَوْقفُ المِيعادُ!»

ومما ينسحب على ذيل ذلك، أنني نزلتُ في مسجد بقُنَيَّة السلاّر، من اليرموك بالشام، وكانت قديما منازل غَسَّانَ، ثم نزلها قوم من آل يَسَار، ثم صار إلى بني السَّلار، وكانوا أمراء نبلاء، وسادة أجلاء، ثم أبادهم الحدثان، فقرأت على بعض جُدْران المسجد: [من الكامل]

أرأيتَ أيُّ منازلٍ وديارِ أمسَتْ خَلاءً مِنْ بني السَّلاَّرِ،
العامرينَ مساجداً لإلهِهم الغامرينَ ندًى ذَوِي الإعسارِ؟

وقد كتب آخرُ تحتها: [من الكامل]

قلْبي المَشُوقُ إلى بَني السَّلاّر أبداً يُقلَّب فوق جُذوة نارِ
قومٌ لحُسْن صَنِيعِهم أحببتُهم، حُبِّي لآلِ محمدِ الأطْهارِ
فاقوا الورى بمناقبٍ ومراتبٍ ومواهبٍ غمرتْ وَطيْبِ نِجارِ
إن أقفرتْ أرضُ القُنَيَّةِ منهمُ فعراصُها ملأى من الإيثارِ

/ بلا/ فكتبتُ تحتها: [من الكامل]

لا تُنكِرنَّ تَنكُّرَ الآثارِ وتغيُّرَ الأوْطانِ والأوْطار
يا مَنْ تعجَّبَ للقُنَيَّةِ إذْ خلَتْ مِنْ ساكنيها مِنْ بني السَّلاَّر
لا تعْجَبنّ فهمُ سُلالَة آدم أُكْلُ المَنُون وعُرْضةُ الأقدار
إنْ تخلُ منهم، فهي من قبلٍ خلَتْ مِنْ آل غَسَّانٍ وآلِ يَسَار
لا تعجَبنّ مِنَ الفِراقِ، فإنَّهُ ما هذه الدُّنْيا بدارِ قَرار
جاؤُوا على آثارِ غيرِهمُ وقدْ ذهَبُوا كما ذهَبُوا على الآثار
وسَبِيلُنا لمَّا أتيْنا بعْدَهم كسبيلِهم في الوِرْد والإصْدارِ
كلُّ الذي حازُوهُ عاريَةٌ ولا عَجَبٌ إذا ردّ المُعارُ عَوارِي

/ بلا/ قلتُ: ومن هذا النوع أنني مررتُ بعد حين من الدهر بمعاهدَ كنت آلفها أول عُمري، والشيبُ ما عارض عارضي ولا عُذري؛ وعقد الاجتماع منظوم، وأهلها أهلة ونجوم. فوجدتها خالية بعد أهلها، ظامية بعد عَلِّها ونهلها؛ قد أصبحت عارية. ريفها وظِلِّها، عادمة لكُثْرها وقُلِّها. وقد كتب عليها بعض من ولع: [من الخفيف]

هـذه دارُهـمْ ومـاتُـوا جَـمـيـعـاً ... هـكـذا هـكـذا يُـعـادِي الـزمـانُ

فحرّكني هذا البيت، لسكان ذلك البيت، وأيامِنا نحن وساكنه الميْت، وتذكرتُ تلك الأيام الماضية، والعيشة الراضية، ثم ما غرت الحوادث، وسدّت من الأبواب والبواعث، فقلت ارتجالا: [من الخفيف]

أيـنَ دهْـرٌ مـضـى لـنـا أوّلَ الـعُـمْـر ... وأيـنَ الـزمـانُ والإخْـوانُ؟

حَـدثَـتْ بـعـدَنـا عـلـيـهـم أمـورٌ! ... هـاتِ شيـئـا مـا اغـتـالَـهُ الـحَـدَثـانُ؟

ذهـب الـكُـلُّ فـي زمـانٍ تـقـضّـى، ... كـلُّ شـيء يـأتِـي عـلـيـه الـزمـانُ

مـا تَـبَـقـى لـنـا مـن الـكُـلِّ إلاَّ ... قـولُـنـا لـلـتَّـذْكـار: كُـنَّـا وكـانُـوا

ثم أمرتُ مَن كتبها تحت البيت وانصرفت باكيا، وشكوتُ لو أنصف الدهر شاكيا.

* * *

[الديارات والحانات]

/١٨٣/ وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغَيرهم، أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأُمراء والأُدباء والشعراء المشهورين، أو ورد لذلك الدير ذكرٌ في شعر قديم أو عصريّ.

فمنها: دير الكَلَب[١]: وهو قرب مَعْلَثايا[٢]، في سفح جبل. والماء ينحدر عليه. وقلالِيُّه[٣] مبنيّة بعضها فوق بعض، في صعود الجبل. فمنظرها أحسن منظر. ويَنْبُوعه ينصبّ عليه من أعلاه.

وفيه من الزيتون والرُّمَّان والآس والكرْم والزعفران والنرجس شيءٌ كثير.

ولرهبانه مزارعُ في السهل. وغلاته كثيرة.

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ص٣٠١ وذيله ص٤١٥ ـ ٤١٦، معجم البلدان ٢/ ٥٣٠ مادة (دير الكلب) و(كَلْبُ)، أحسن التقاسيم ص ١٤٦.

(٢) انظر: معجم البلدان ٥/ ١٥٨ مادة (معلثايا).

(٣) القلالي: جمع قليّه، وقلاية، معرب عن اليونانية، بناء مرتفع كالمنارة خارج الدير تكون للراهب ينفرد بها، وهي دون الصومعة، وقد تكون داخل الدير، تطلق على حجرات وغرف الرهبان. انظر: تاج العروس، مادة (قلل)، الديارات النصرانية في الإسلام ص٢٥ ـ ٢٨.

قال الخالديُّ[1]: ولهذا الدير خاصية في برءِ عضة الكَلْبِ الكَلِبِ. وله عيدٌ في وقت من السنة. ويخرج إليه خلقٌ: من النصارى نساء ورجالٌ للإقامة عندهم، وخلق من المسلمين للنظر إليه والنزهة فيه. ويجتمع إليه أهل الرَفَث والمُجَّان، وتُسمع به الأغاني وأنواع الملاهي، وتُذبح به الذبائح، وتُشرب الخمور.

وحُكي أن أخاً لأبي السفاح الشاعر عضة كَلْبٌ كَلِبٌ، فحمله إلى هذا الدير، فتداوى به، فبرئ. وأنشد له شعرا فيه، لم أذكره[2].

---

(١) الخالدي، وهو أحد الشاعرين المعروفين بهذا اللقب، وهما:
سعيد بن هاشم بن وَعْلة بن عُرام، من بني عبد القيس، أبو عثمان الخالدي: شاعر، أديب، أشتهر هو وأخوه «محمد»، بالخالدَّيين، وكانا آية في الحفظ والبديهة، يتهمهما شعراء عصرهما بسرقة شعرهم. وأورد الثعالبي (في اليتيمة) قصائد لأحد معاصريهما في هذا المعنى، وقال ابن النديم: «كانا إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه، حياً أو ميتاً، لا عجزاً منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كانت طباعهما!» وهما من أهل «الخالدية» من قرى الموصل، ونسبتهما إليها، وقيل: نسبتهما إلى جدّ لهما اسمه خالد (ابن منّبه، أو ابن عبد القيس، أو ابن عبد عنبسة، على اختلاف الروايات) وعرّفهما الزبيدي (في التاج) بالموصلّيين. وقال ياقوت (في معجم الأدباء): كانا أديبي «البصرة» وشاعريها في وقتهما. ولأبي عثمان هذا «ديوان شعر ـ ط» واشتركا في تصنيف كتب، منها «الأشباه والنظائر، من أشعار المتقدمين والجاهلين والمخضرمين ـ ط» يُعرف بحماسة المحدَثين أو «حماسة الخالديَّين» وجمعا مختارات مما قيل فيهما، في كتاب «التحف والهدايا ـ ط» ومن كتبهما «أخبار أبي تمام ومحاسن شعره» و«أخبار الموصل» و«اختيار شعر ابن الرومي» و«اختيار شعر البحتري» و«اختيار شعر مسلم بن الوليد» توفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م.
ترجمته في: فهرست ابن النديم ٢٤٠، وتاج العروس: مادة خلد، واليتيمة ١/ ٤٧١ وفوات الوفيات ١/ ١٧٠ واللباب ١/ ٣٣٩ والفهرس التمهيدي ٢٧٤ و٢٩٧ ومعجم البلدان لياقوت: في الكلام على الخالدية. ومعجم الأدباء لياقوت ١١/ ٢٠٨ طبعة دار المأمون، وفيه اسم صاحب الترجمة «سعد بن هشام بن سعيد» وفي هامشه نقلا عن الوافي بالوفيات للصفدي، الجزء الرابع، القسم الثاني، هو «سعيد بن هاشم بن سعيد». الأعلام ٣/ ١٠٣، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٣٣٥.
ومحمد بن هاشم بن وعلة، أبو بكر الخالدي: شاعر أديب، من أهل البصرة. اشتهر هو وأخوه «سعيد» بالخالديين. وكانا من خواص سيف الدولة ابن حمدان. وولاهما خزانة كتبه. لهما تآليف في الأدب تقدم ذكرها في ترجمة «سعيد بن هاشم» فراجعها هناك. وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة فتنسب إليهما معاً. ذكر ابن النديم (في الفهرست) أن أبا بكر، هذا، قال له، وقد تعجب ابن النديم من كثرة حفظه: إني أحفظ ألف سفر، كل سفر في نحو مئة ورقة. توفي نحو سنة ٣٨٠هـ/ نحو ٩٩٠م.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٧١ وفهرست ابن النديم ٢٤٠ وفي مجلة المجمع العلمي العربي ٢٥/ ٤٩ بعض أخبار «الخالديين»، الأعلام ٧/ ١٢٩، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٠٢.

(٢) وهو: سقى ورعىٰ الله دير الكلاب ومن فيه من راهب ذي أدب انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٠ مادة (دير الكلب).

دير أَبُّون[١]: وهو دير بين الجزيرة و[قرية][٢] ثمانين. وهو دير جليل عند النصارى. وبه جماعة من الرهبان. ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام؛ وقد تقدّم ما ذكرنا في أمر قبره بكَرَك البقاع. والله أعلم أيّ بقعة ضمّته.

ولهم صهريج للماء. زعموا أن له أنابيب من صُفْر يجري فيها الماء من جبل الجُوديّ إلى الصهريج.

وإلى جانبه ضيعةٌ غنَّاءُ كثيرة البساتين. ويقال لها بزر مهران.

دير الزعفـران[٣]: وهو بالقرب من مَعْلَثايا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسينية. وهو فـي لِحْفِ جبلٍ تُطلُّ عليه قلعةُ أَرْدَمُشت. وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها.

/ ١٨٤/ وهو كثير الرهبان والقلاليّ، ولرهبانه يسارٌ ونَعَمٌ ومزارع وبساتين.

وفرشُ أرضه من زهر الزعفران. وقلاليّة بعضها من [فوق] بعض، كبناء دير الكَلَب، بأحسن وصف وألمح تكوين. وله سور يحيط به وشرابه مفضّل في اللون والرائحة والعتق. وماؤه سائح من يَنْبُوع في جبله.

قال الخالديّ: اجتزتُ به في بعض السنين، وعامل الناحية سعيد بن إسحاق، فاحتبسني عنده أياما للأنس. فعملتُ فيه عدّة أشعار، منها[٤]: [من البسيط]

وزَعْفـرانِـيَّـةٍ فـي الـلَّـوْنِ والـطِّـيـبِ ... طيِّبَةِ الخَمرِ دَكْناءِ الجَلابِيبِ،

ثَـوَتْ بـحـانـةِ عُـمْـر الـزعـفرانِ عـلـى ... مَـرّ الـهَـوَاجِـر فـيـه والأَهَـاضِـيـبِ

ومـا الـغَـطَـارِفـةُ الـشَّـبَّـانُ إنْ شَـرِبُـوا ... خَـمْـرا بـأَبْـلَـجَ مَـن رُهْـبـانِـهِ الـشِّـيـبِ

شَـرِبْـتُـهـا مـن يَـديْ حـوراءَ مُـقـلـتُـهـا ... تُـضْـنِـي الـقُـلُـوبَ بـتَـبْـعِـيـدٍ وتـقـريـبِ

شمسٌ إذا طلَعَتْ، قالتْ محاسِنُها: ... ها قد طَلَعْتُ، فيا شمسَ الضُّحى غِيبي!

ونِمْتُ سُكْراً، ونامَتْ لِي معانِقَةً ... فلا تَسَلْ عنْ عِناقِ الظَّبي والذِّيبِ!

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٦ مادة (دير أَبُّون) وفيه: «يقال أبيون وهو الصحيح، بقردى بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين قرب ماسورين...».

(٢) ما بين المعقوفتين من معجم البلدان.

(٣) انظر: الديارات ١٩٢ـ ١٩٣، وذيله ٣٨١ـ ٣٨٢، وفيه «عُمْر الزعفران» والعَمْر: لفظة سريانية (عمرا) بمعنى البيت والمنزل، والمراد به هاهنا: الدير، وجمعها أعمار ومعجم البلدان ٢/ ٥١١ مادة (دير الزعفران) وسيرد في المسالك أيضاً بعنوان (عمر الزعفران)، نزهة الأذهان في تأريخ دير الزعفران ص١٨٦، اللؤلؤ المنثور في تأريخ العلوم والآداب السريانية ص٥١٠.

(٤) ديوان الخالديين ٢١ـ ٢٢.

دير قُنّي[١]: وهو ببغداد والمداين.

ودير العاقُول[٢]: أسفل منها باثني عشر فرسخا. وإلى جانبه قرية كبيرةٌ، أخرجت

(١) في الديارات: إنه «على ستة عشر فرسخاً من بغداد، منحدراً في الجانب الشرقي، بينه وبين دجلة ميل ونصف، وبينه وبين دير العاقول بريد.
وهو دير حسن، نزه عامر، وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه، لكل راهب قلاية. وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين ديناراً. وحول كل قلاية بستان، فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون، وتباع غلّته من مائتي دينار إلى خمسين ديناراً، وعليه سور عظيم يحيط به. وفي وسطه نهر جار .
وعيده الذي يجتمع الناس إليه عيد الصليب.
وقد وصفته الشعراء. ولابن جُمهور، فيه:

يا مَنزل اللّهو بدير قُنَّا ... قلبي إلى تلك الربي قد حَنَّا
سقياً لأيامك لما كنّا ... نمتارُ منك لذّةً وحُسنا
أيام لا أنعَمَ عيشٍ منّا ... إذا انتشينا وصحونا عُدنا
وإن فنى دَنٌّ نزلنا دنَّا ... حتى يُظنّ أننا جُننّا
ومُسعدٍ في كل ما أردنا ... يَحكي لنا الغصن الرطيب اللّدنا
أحسن خلق الله أدّى لحنا ... وجسَّ زير عوده وغنّى
بالله، يا قسيس يا ما قُنَّى ... متى رأيتَ الرشَأ الأغنا
متى رأيتَ فتنتي يوحنا ... آهٍ إذا ما ماس أو تَثَنّى
يا مُنية القلب إذا تمنَّى ... فتكتَ بالصبّ بك المعنّى
ثم قلت في الهوى المجنَّا ... عذبته بالحبِّ فنَاً فنّا
وصارتِ الأرض عليه سجنا ... فما يلاقي الجفن منه جفنا
أفديك لا تهجر صباً مضنى ... قد كان من غدرك مطمئنا
أسأتُ إذ أحسنتُ فيك الظنَّا ... وصار قلبي في يديك رَهنا

وقال فيه أيضاً:

وكم وقفةٍ في دير قُنَّى وقفتها ... أُغازل فيه فاتن الطَّرف أحَورَا
وكم فتكةٍ لي فيه لم أنسَ طيبها ... أمتُّ بها عُرفاً وأحييت منكرا»

انظر: الديارات ٢٦٥ـ ٢٧٣ وذيله ٣٩٣ـ ٣٩٦ وفيه ملخص لبحث كتبه ميخائيل عواد عن هذا الدير وضبط اسمه وتأسيسه وموقعه وكنيسته وغيرها. وله أيضاً بحث نشره في مجلة المشرق - بيروت ٣٧/ ١٩٣٩ ص١٨٠ـ ١٩٨ عنوانه: «دير قنى» موطن الوزراء والكتاب معقل المسيحية في العراق».
انظر أيضاً: وفيه مصور الديارات ٢٦٥ـ ٢٦٦، معجم البلدان ٢/ ٥٢٨ـ ٥٢٩، مادة (دير قنى) و٢/ ٥٣٦ مادة (دير مرماري)، معجم ما استعجم ٢/ ٥٩٤، وبلدان الخلافة الشرقية ٥٤ـ ٥٥ وخارطته ص٤٠.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٢٠ـ ٥٢١ مادة (دير العاقول)، الروض المعطار ٤٠٥، المسالك والممالك لابن خرداذبة ٥٩، مسالك الممالك ٨٧، صورة الأرض ٢٤٥، أحسن التقاسيم ١٠٩، تقويم البلدان ٥٤، ٢٩٥، بلدان الخلافة الشرقية ٥٤ـ ٥٥.

عدّة من الكتاب والوزراء. وهو حسن البناء، راكبٌ على دِجلة. وبات فيه الوزير عليّ بن مقلة[1]، ثم اصطبح فيه. وقال: [من السريع]

باتتْ يدِي تَجْنِي ثِمارَ الجُناحْ ... بديرِ قُنّى مِنْ وُجُوهٍ مِلاحْ!
حتّى تَلاَ الراهِبُ مَزْمُورَه ... وضَمَّخَ الأُفْقَ خَلوقُ الصَّباحْ
فَهَلْ فَتًى يُسْعِدُنِي عاقداً ... ذيْلَ غَبُوقٍ بذُيولِ اصطِباحِ؟
أُطيعُهُ في كلِّ ما يَشْتَهِي ... كطاعةِ الرِّيشِ لأمْرِ الرياحِ

/١٨٥/ وفيه يقول البحتريّ[2]، من قصيدة يمدح ابن الفَيَّاض الوزير،

---

(١) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد سنة ٢٧٢هـ/ ٨٦٦م، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ، ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ فجيء به من بلاد فارس. فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فاختبأ (سنة ٣٢١)، واستوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤ فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦) وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.
مصادر ترجمته:
وفيات الأعيان ٢/ ٦١ وثمار القلوب ١٦٧ وفيه: «كتب ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه. وهو إلى اليوم ـ أي زمن الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ـ عند الروم في كنيسة قسطنطينية، يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه». وفي الفهرس التمهيدي، ص٥٤٨ رسالة في «علم الخط والقلم ـ خ» يقال إنها لابن مقلة. الأعلام ٦/ ٢٧٣، معجم الشعراء الجبوري ٥/ ١٥٢.

(٢) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البُحتُري: شاعر كبير، يقال لشعره «سلاسل الذهب». وهو أحد الثلاثة الذين كانو أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م. له «ديوان شعر ـ ط» وكتاب «الحماسة ـ ط» على مثال حماسة أبي تمام. وللآمدي «الموازنة بين أبي تمام والبحتري ـ ط» وللمعري «عبث الوليد ـ ط» في تصحيح نسخة وقعت له من ديوانه. ولعبد السلام رستم «طيف الوليد أو حياة البحتري ـ ط» ولرفيق فاخوري «البحتري ـ ط» ولحنا نمر؛ ولمحمد صبري «أبو عبادة البحتري ـ ط» ولجرجس كنعان «البحتري، درس وتحليل ـ ط» وكلها رسائل، وفيها ما يحسن الرجوع إليه.

=

وكان من ديرقُنى[1]: [من الخفيف]

ماتُقَضّى لُبانةٌ عِنْد لُبْنى، والمُعَنّى بالغانيات مُعَنّى!
نزلُوا رَبْوة العِراق ارتيادا أيُّ أرضٍ أشفُّ داراً وأسْنى؟
بين دَيْرِ العاقُول مُرتَبَعٌ أشـ ـرفَ مُحتلُّه إلى ديرقُنّى،
حيثُ باتَ الزيتونُ من فوقهِ النخـ ـلُ عليه وُرْق الحَمَام تَغَنّى.
ما المَعَالِي إلا المَكارِمُ تزدا دُ وإلاّ مَصانعُ المجد تُبنى!

قال الخالديّ: وأنشدنا أبو العباس بن أبي خالد الأحول: قال أنشدني كاتب ابن طولون لنفسه: [من الخفيف]

إنَّ عَجْزاً كما نكون وغَبْنَا أن نُرى صاحيَيْن في ديرقُنّى!
حَبَّذا روضُهُ المدبَّجُ ليلاً وهواهُ ذاكَ المُمَسَّكُ رُدْنا!
قد جَرى السَّلْسَبِيلُ بالمِسْكِ فيها فحوَتْهُ الدِّنّانُ دَنًّا فدَنّا
كَمْ خلَوْنا بخُسروانِيّ كِسرى وهوَ يُسقى طوراً وطورا يُغَنّى!
تحتنا فَرْدةٌ مِنَ الوَرْد إلاّ أنها من أنامل البدر تُجْنى!

وحكى جحظة البرمكيّ[2] قال: كُنت بحضرة إسماعيل بن بُلْبُل، بواسطَ أيامَ

= **ترجمته في**: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥ ومعاهد التنصيص ١/ ٢٣٤ والشريشي ١/ ٣٦ وتاريخ بغداد ٤٤٦/١٣ ومفتاح السعادة ١/ ١٩٣ وHuart 83 والمنتظم ١١/٦ وفيه: وفاته سنة ٢٨٥ ويقول مرجليوث A.S.Margoliouth في دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٦٥ـ ٣٦٨ إن النقاد الغربيين يرون البحتري أقل فطنة من المتنبي وأوفر شاعرية من أبي تمام. وفي كتاب العرب والروم ٣٥٢ لفازيليف، بعض ما ورد في شعر البحتري من الاشارات إلى حروب الروم. البحتري، الدكتور أحمد بدوي ـ القاهرة ٩٦٠، البحتري لجرجي كنعان وطيف الوليد، حياة البحتري لعبد السلام رستم، الموسوعة الموجزة ١٤٦/٢، الأعلام ٨/ ١٢١، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١١٠ـ ١١١.

(١) ديوان البحتري ٤/ ٢١٤٧.

(٢) أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك، أبو الحسن: نديم أديب مغن، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد. كان في عينيه نتوء فلقبه ابن المعتز بجحظة، فلزمه اللقب. وكان كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم كاللغة والنجوم، مليح الشعر، حاضر النادرة، عارفاً بالموسيقى، لم يكن أحد يتقدمه في صناعة الغناء. نادم ابن المعتز والمعتمد العباسيين، وصنف كتباً قليلة منها «المشاهدات» في الأخبار واللطائف و«ما صح مما جربه علماء النجوم» و«أخبار الطنبوريين» وله ديوان شعر وأخباره كثيرة. ولادته في بغداد سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م ووفاته في جيل (قرية من أعمال بغداد) سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م ولأبي الفرج الأصبهاني كتاب «أخبار جحظة البرمكي». =

حرب العلويّ البصريّ[١]، والموفق الناصر يقاتله. فلما انصرفت رافقني البحتريّ، وكان قد زار ابن بُلْبُل. فلما وصلنا إلى ديرقُنّى قال لي: ويحك يا جحظة! هذا ديرقُنّى، وهو من الحُسْن والطيب على ما ترى! وأنت أنت! وطُنْبورك طنبورك! فهل لك أن نقيم به اليوم، فنشربَ ونطرب، وننعَمَ ونلعب؟ فقلت: نعم! ولم يكن معنا نبيذ. فسألنا عمن يقربُ منا من العمال، فكتب إليه البحتريّ[٢]: [من الخفيف]

يابنَ عِيسى بنِ فَرُّخانَ، ولِلفُرْ ... س بعيسى بن فَرُّخان افتخارُ!
قد حلَلْنا بدير قُنَّى وما نبـ ... ـغي قِرًى غيرَ أنْ يكونَ عُقَارُ!
فاسْقِ من حيثُ كان يشرب كِسرى ... عُصْبةً كلُّهمْ ظِماءٌ حِرَارُ!
من كُميْتٍ تولَّتِ الشمسُ منها ... ما تولَّتْهُ مِنْ سِواها النارُ

فوجه إليها عشرين دنًّا شرابا، ومائة دجاجة وعشرين حَمَلا، ونبائج[٣] فاكهة.

= ترجمته في: معجم الأدباء ١/ ٣٨٣ وسير النبلاء ١٥/ ٢٢١ـ ٢٢٢ رقم ٨٤. وفيه وفاته سنة ٣٢٦هـ عن عمر بلغ الثمانين سنة، وتاريخ بغداد ٤/ ٦٥ ولسان الميزان ١/ ١٤٦ ولقبه بالطنبوري. والذريعة ١/ ٣٢٦ والمنتظم ٦/ ٢٨٣ وابن خلكان ١/ ٤١ وفيه: «وفاته سنة ٣٢٦ وقيل ٣٢٤ بواسط، وقيل حمل تابوته منها إلى بغداد». وفي كتاب الألقاب ـ خ ـ لابن الفرضي: «توفي في شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة». الأعلام ١/ ١٠٧، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٨٧.

(١) وهو علي بن محمد الورزنيني العلوي، الملقب بصاحب الزنج: من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي. وفتنته معروفة بفتنة الزنج، لأن أكثر أنصاره منهم. ولد في «ورزنين» إحدى قرى الري وظهر في أيام المهتدي بالله العباسي سنة ٢٥٥هـ، وكان يرى رأي الأزارقة. والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاعها. فامتلكها واستولى على الأبلة. وتتابعت لقتاله الجيوش، فكان يظهر عليها ويشتتها. ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل. وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة. وعجز عن قتاله الخلفاء، حتى ظفر به «الموفق بالله» في أيام المعتمد، فقتله سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م وبعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك، كان يقولها وينحلها لغيره. وفي نسبه (العلوي) طعن وخلاف. جمع أشعاره، أحمد جاسم النجدي ونشرها في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ص١٦٧ـ ١٧٤.
ترجمته في: دول الإسلام للذهبي ١/ ١٢٦ والمرزباني ٢٩١ والطبري ١١/ ١٧٤ وفيه: «اسمه، فيما يذكر، علي بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبه في بني عبد القيس، زعم أنه علي بن محمد بن أحمد الحسيني العلوي الطالبي». وابن خلدون ٤/ ١٨ وسماه «علي بن عبد الرحيم»، من بني عبد القيس» وقال: «هو من قرية دريفن، من قرى الري؛ سار إلى البحرين سنة ٢٤٩هـ، فادعى أنه علوي، واتبعه كثير من أهل هجر، ثم تفرقوا عنه، ولحق بالبصرة فكان منه ما كان»، الأعلام ٤/ ٣٢٤، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٤٨ـ ٤٩.

(٢) ديوانه ٢/ ٩٦٩.

(٣) النبائج: الغرائر السود، أي الجواليق والزكائب، فتكون الفواكه من النواشف، أي من نوع النُقل.. (زكي)، وفي هامش الديارات ص١٥٢ قال محققه: «النبيجة: السفرة والطبق من الخوص أو الخيرزان».

وعملتُ في الأبيات لحنا. فلم نزل نشرب عليه يومَنا وليلتَنا. وأخذتُ فيها معنًى فقلت: [من السريع]

وباتَ يَسْقينا جِنانيّةً ضنَّتْ بها الشمسُ على النار!

دير العَذَارى[1]: وهو بين سُرَّ مَن رأى وبغداد، بجانب العلث على دِجلة، في موضع حسن. فيه رواهب عذارى. وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات. لا يعدَم من دخله أن يرى من رواهبه جواريَ حسانَ الوجوه والقدود، والألحاظ والألفاظ.

قال الخالديّ: ولقد اجتزتُ به فرأيتُه حسنا، ورأيتُ في الحانات التي حوله خلقا يشربون على المَلاَهي. وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيت في جُنَيْناتٍ لرواهبه جماعةً يَلْقُطْنَ زهر العُصْفُر، ولا يماثل حمرةَ خدودهنّ. ثم إن دجلة أهلكته بمدودها، حتّى لم يبق منه أثرٌ. ولجحظة فيه أخبارٌ وأشعار؛ لأنه كان مَعَانه ومأواه، وإليه ينجذب به هواه. وفيه يقول ابن المعتز[2]: [من الطويل]

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ١٠٧ـ ١٤٧، الديارات للاصفهاني ١٢١ـ ١٢٢، معجم البلدان ٢/ ٥٢٢ـ ٥٢٣، مادة (دير العذارى) معجم ما استعجم ٢/ ٥٨٨ـ ٥٨٩، آثار البلاد ٣٧١ـ ٣٧٢، البدور المسفرة ١٩ـ ٢٠.

(٢) عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباسي: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في شعبان سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ببغداد، وأولع بالعلم والأدب، درس على شيخي العصر أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب العالمين اللغويين المعروفين المتنافسين؛ كما درس على غيرهما. وكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم. واستمع إلى جمهرة من العلماء بالنحو والأخبار فاستفاد كثرة السماع وغزارة الرواية، وعنى بصورة خاصة بالأدب وقرض الشعر عناية أكسبته الشهرة؛ وكان عالماً بفنون الآداب وشاعراً مطبوعاً قريب المأخذ، سهل اللفظ حسن الإبداع والابتكار، وله في شعره تشبيهات رائعة وقد ضم شعره أغراضاً مختلفة من الشعر الرائق، وظهرت مشاعره طافية على شعره وإن أشبه بعضها الزبد الطافي.

ولم يخفِ ابن المعتز انحرافه عن العلويين؛ بل وانصرافه إلى النيل منهم!.. وكان ـ كما يبدو ـ يُحس به في قرارة نفسه ثم يعلنه في شعره، ولا يستغرب منه ذلك فقد كان جده مقتداه ومتولاه في هذا الباب أو هذا الافتئات والسباب!! وكانت خاتمة حياته غريبة! ففي خلافة المقتدر اتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد وأعوانه، وقرروا خلع المقتدر ليحتل مكانه؛ وخلعوا المقتدر لعشر أو سبع بقين من ربيع الأول سنة ٢٩٦ وبايعوا عبد الله ابن المعتز ولقبوه «المرتضى بالله» أو غير ذلك من الألقاب.. ولكنه لم يتمتع بالخلافة أكثر من يوم وليلة! لأن أصحاب المقتدر تحزبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز فشتتوهم وأعادوا المقتدر إلى سابق مكانته فاختفى ابن المعتز في دار أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص التاجر الجوهري، فأخذه المقتدر وسلمه إلى =

أَيَا جِيرَةَ الوادِي على المَشْرعِ العَذْبِ! سَقَاكَ حَياً حيُّ الثَّرى ميِّتُ الجَدْبِ
وحسبُكَ يا دَيْرَ العَذارى قليلُ مَا يحِنُّ بما تَحْوِيه من طِيبَةٍ قلبي
كَذَبْتُ الهوى إنْ لم أَقِفْ أَشْتَكِي الهَوى إليكَ وإن طال الوُقُوفُ على صَحْبي
وعُجتُ به والصُّبْح يَنْتَهِب الدُّجى بأضوائه، والنَّجْمُ يركُضُ في الغَرْب[1]
/١٨٧/ أُصَانِعُ أَطْرافَ الدُّموع بمُقْلَةٍ مُوفَّرةٍ بالدمعِ غَرْباً على غَرب
وهَلْ هِيَ إلا حاجةٌ قُضِّيَتْ لنا ولومٌ تحمّلناه في طاعةِ الحبّ؟

قال الخالديّ: وأنشدني جحظة لنفسه[2]: [من البسيط]

قالُوا: قَمِيصُك مَغْمُور بآثارِ من المُدَامة والرَّيْحانِ والْقَارِ
فقلتُ: مَنْ كان مَأْواه ومَسْكَنُه دَيْرَ العذارى لدى حانُوتِ خمُار
وِسادُه يدُه والأرضُ مَفْرَشُه لا يستَطِيعُ لسُكْرٍ حَلّ أَزْرارِ
لم يُنْكِر الناسُ مِنْهُ أنّ حُلَّته خَضْراءُ كالروض أو حَمْراءُ كالنارِ

=
مؤنس الخادم فقتله خنقاً وسلمه إلى أهله ملفوفاً في كساء ودفن في خربة بإزاء داره، وخبره طويل... وذلك في سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م. وللشعراء مراثٍ كثيرة فيه.
ولابن المعتز مشاركة في العلوم العقلية والنقلية وصحبة مع العلماء، وصنف كتباً، منها «الزهور والرياض» و«البديع ـ ط» و«الآداب» و«الجامع في الغناء» و«الجوارج والصيد» و«فصول التماثيل ـ ط» و«حلى الأخبار» و«أشعار الملوك» و«طبقات الشعراء ـ ط».
وله «ديوا شعر» في جزأين. ومما كتب في سيرته «ابن المعتز وتراثه في الأدب ـ ط» لمحمد خفاجة، و«عبد الله ابن المعتز، أدبه وعلمه ـ ط» لعبد العزيز سيد الأهل.
ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ١٠/ ٣٧٤ ومعاهد التنصيص ٢/ ٣٨ وثمار القلوب ١٥٠ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٤٦ وفيه: قال مغلطاي: «مكث في الخلافة يوماً وليلة وقتل، وبعضهم لم يذكره مع الخلفاء وسماه الأمير، لا أمير المؤمنين، ومذهب بعضهم أنه أمير المؤمنين ولو لم يل الخلافة، فإنه كان أهلاً لها». وتاريخ بغداد ١٠/ ٩٥ وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ـ ٢٩٦ وفيه كثير من شعره. ونماذج من نثره. وفوات الوفيات ١/ ٢٤١ ومفتاح السعادة ١/ ١٩٩، ابن النديم ١٦٨ـ ١٦٩، نزهة الألباء ١٦٠، ط علي يوسف، المنتظم ٦ـ ٨٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٨ـ ٢٥٩ أو ٢/ ٢٦٣، البداية والنهاية ١١/ ١٠٨، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ٧٠ـ ٧٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٢، روضات الجنات ٤٤٦، أعلام العرب ١/ ١٣٨، الأعلام ٤/ ١١٩، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٢٩٩ـ ٣٠٠.

(١) ديوانه ١/ ٢٢٦ـ ٢٢٨، ط بيروت. (٢) ديوانه ١٠٢.

وقال: وللصنوبريّ[١] فيه[٢]: [من الوافر]

أقولُ لمُشبهِ العَذْراء حُسْناً ... علامَ رعَيْتَ في دَيْرِ العَذارى؟
وما وَحْدِي أغارُ عليه، لكِنْ ... جميعُ العالَمِينَ مَعِي غَيارى

ولابن فيروز البصير فيه: [من الطويل]

وروضةِ لهوٍ قد جَنَيْتُ ثمارَها ... بدَيْرِ العَذارى بين رَوْضٍ وأنهارِ
تَخالُ بها وجهَ المُدِير وكأسَه ... هِلالاً وشَمْساً بيْنَ أنْجُم نَوَّارِ
يَطُوف بإبريقٍ مُفَدًّى كَرامَةً ... علينا بأسْماعِ كرام وأبصارِ
كأنّا له زُغْبُ الفراخ يَقُوتُها ... بمثل مُذابِ التِّبْرِ من شَطْرِ مِنقارِ

قال الخالديّ: وهذا حَسَن بديع.

وحكى الجاحظ[٣] قال[٤]: زعم فتيان من تَغلِب أنهم أرادوا قطع الطريق على

---

(١) أحمد بن محمد بن الحسن بن مَرّار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر الصَّنَوبري، المعروف بالصنوبري: شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق. توفي سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. وجمع الصولي «ديوانه» في نحو ٢٠٠ ورقة. وجمع الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب سماه «الروضيات - ط» صغير. وفي كتاب «الديارات - ط» للشابشتي زيادات على ما في الروضيات. ثم نشر الدكتور إحسان عباس مخطوطة يظهر أنها الجزء الثاني من الديوان، وأضاف إليها ما تفرق من شعره في مجلد سماه «ديوان الصنوبري - ط».
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٦١ وإعلام النبلاء ٤/ ٢٣ والبداية والنهاية ١١/ ١١٩ وسماه «محمد بن أحمد بن محمد بن مراد؟» وفيه: وفاته في حدود سنة ٣٠٠هـ. والديارات ١٤٠- ١٤١ واللباب ٢/ ٦١ ونسمة السحر ١/ ١٢٧- ١٣٤، وأعيان الشيعة ٩/ ٣٥٦- ٣٨١، الأعلام ١/ ٢٠٧، معجم الشعراء للجبوري ١/ ١٩١.

(٢) ديوانه ص٤٥.

(٣) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده في البصرة سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م ووفاته فيها سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. فلج في آخر عمره. وكان مشوّه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها «الحيوان - ط» أربعة مجلدات، و«البيان والتبيين - ط» و«سحر البيان - خ» و«التاج - ط» ويسمى أخلاق الملوك، و«البخلاء - ط» و«المحاسن والأضداد - ط» و«التبصر بالتجارة - ط» رسالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي، و«مجموع رسائل - ط» اشتمل على أربع، هي: المعاد والمعاش، وكتمان السر وحفظ اللسان، والجد والهزل، والحسد والعداوة. وله «ذم القوّاد - ط» رسالة صغيرة، و«تنبيه الملوك - خ» في ٤٤٠ ورقة، و«الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير - ط» و«فضائل الأتراك - ط» و«العرافة والفراسة - خ» و«الربيع والخريف - ط» و«الحنين إلى الأوطان - ط» رسالة. و«النبيّ والمتنبي» و«مسائل القرآن» و«العبر =

قَفَلٍ، بلغهم أنه يمرّ بهم قريبَ دير العذاري. ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عُرّف بهم وأقبل في طلبهم. قال: فاختفينا في الدير، فلما أَمِنَّا، قال بعضنا لبعض: ما يمنعنا أن تأخذوا القَسَّ فتشدّوه وثاقا ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار، /١٨٨/ فإذا طلع الفجر تفرّقنا في البلاد؟ وكنا جماعة بعدد الراهبات اللواتي كنا نظنهنّ أبكارا، فوجدناهنّ كلهنّ ثيباتٍ، وقد افتضهنّ القَسُّ. فقال بعضنا: [من المتقارب]

وديْرُ العَذَارى فَضُوحٌ لَهُنّ، وعِنْدَ اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيبُ
فخَلَوْنا بعشْرينَ دَيْرِيَّةً ونَيْلُ الرواهبِ شيءٌ عجيب
إذا هُنَّ يَرْهَزْنَ رَهزَ الظراف وبابُ المَدِينة فَجٌّ رحيبُ
لقد باتَ بالدَّير ليلُ التَّمام نِسَاءٌ وِسَاعٌ ونَيْلٌ صليب
وللقَسّ حُزْنٌ يَهِيضُ الفُؤاد ووجدٌ يَدُلُّ عليه النَّحِيب
وقد كان عَيْرا لدى عانَةٍ فصُبَّ على العَيْر لَيْثٌ غَضُوب

وفيه يقول بعض القُطَّاع أيضاً، من كلمة له[(١)]: [من المتقارب]

وأَلْوَطُ مِنْ راهبٍ يَدَّعي بأنَّ النِّساءَ عليهِ حَرَامُ
يُحَرِّمُ بَيضاءَ مَمْكُورةً ويُغْنِيهِ في البَضْع عَنْها الغُلامُ
إذا ما مشى غَضَّ مِنْ طَرْفِهِ وفي الديرِ بالَّليْل منهُ عُرَامُ

= والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطبائع ـ خ» و«فضيلة المعتزلة» و«صياغة الكلام» و«الأصنام» و«كتاب المعلمين» و«الجواري» و«النساء» و«البلدان» و«جمهرة الملوك» و«الفرق في اللغة ـ خ» في تذكرة النوادر، و«البرصان والعرجان والعميان والحولان ـ ط» و«القول في البغال ـ ط» و«كتاب المغنين» و«الاستبداد والمشاورة في الحرب». ولأبي حيان التوحيدي كتاب في أخباره سماه «تقريظ الجاحظ» اطلع عليه ياقوت. وجمع محمد جبار المعيبد العراقي، ما ظفر به متفرقاً من شعره في مجموع ط، ولشفيق جبري «الجاحظ معلم العقل والأدب ـ ط» ولحسن السندوبي «أدب الجاحظ ـ ط» ولفؤاد أفرام البستاني «الجاحظ ـ ط» ومثله لحنا الفاخوري، **ترجمته في**: إرشاد الأريب ٦/ ٥٦ـ ٨٠ والوفيات ١/ ٣٨٨ وأمراء البيان ٣١١ـ ٤٨٧ وابن الشحنة: حوادث سنة ٢٥٥ وفيه: عن الجاحظ، قال: «ذكرت للمتوكل لأعلم أولاده، فلما استحضرني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف دينار وصرفني». وآداب اللغة ٢/ ١٦٧ ولسان الميزان ٤/ ٣٥٥ والفهرس التمهيدي ٥٥٠ ومجلة لغة العرب ٩/ ٢٦ وتاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢ وأمالي المرتضى ١/ ١٣٨ ونزهة الألبا ٢٥٤ والبعثة المصرية ٤٠ ودائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٢٣٥ و185 :Brock. 1 (152), S. 1: 239 وتذكرة النوادر ١٠٨ وانظر: «مشاركة العراق» لكوركيس عواد، الرقم ١٨٢ ففيه رسائل أخرى من تأليفه نشرت في العراق، الأعلام ٥/ ٧٤.

(٤) عيون الأخبار ٤/ ١١٢، الديارات للشابشتي ١٠٧ـ ١٠٨، معجم البلدان مادة (دير العذارى)، مجمع الأمثال، ط القاهرة ١٣١٠هـ، ٢/ ١٣٧.

(١) الديارات للشابشتي ١٠٨، آثار البلاد ٣٧١.

وديـرُ الـعَـذارى فَـضُـوحٌ لـهـنّ ... وعـنـدَ الـلُّـصُـوصِ حـديـثٌ تـمـامُ

وقيل في راهبة فيه[(١)]: [من الكامل]

يـا أيُّـهـا الـقـمـرُ الـمُـنِـيـرُ الـزاهـرُ ... الـمُشرِقُ الحَسَنُ المضيءُ الباهرُ

أَبلِغْ شَبِيهَتكَ السَّلام، وهنِّها ... بـالـنـومِ، واشْـهَـدْ لِـي بـأنّـي ساهِر

دير الباعوث[(٢)]: وهو على شاطىء الفرات، من جانبها الغربيّ. في موضع نَزِهٍ. وكانت العمارة قليلة حوله. وله خفراء من الأعراب. وله مزارع ومباقل وجُنَيْنات. وفي هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن، يقال إن لها مئين سنين، لم /١٨٩/ تتغير أصباغها، ولا حالت ألوانها.

قال المنبجيّ: اجتزتُ بدير الباعوث هذا واستحسنتُه واستطبتُه، فلولا الوطن لاستوطنتهُ. ورأيت في رُهْبانه غلاما كما عذَّر قد ترهَّب. فخاطبته وإذا به أحلى الناس ألفاظا على لثغة فيه تجعل السين ثاء. فشدّيتُ سُمَّاريَّتي[(٣)] إلى جانب الدير. واشتريت شرابا من الرهبان. وبِتُّ هناك منادما لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل قال: أتنصرف من عندنا وأنت شَاعرٌ ولم تقل فينا شيئا؟ فقلت: بلى، واللهقد قلتُ! وأنشدته[(٤)]: [من الكامل]

يـا طِـيـبَ لـيـلَـةِ ديْـرِ مَـرْ بـاعـوثِ! ... فسَقَـاه رَبُّ الـعَـرْشِ صِـرْفَ غُـيُـوثِ

ومُـوَرَّدِ الـوَجَـنـات مـن رُهْـبـانِـه ... هـو بَـيْـنَـهُـم كـالـظَّـبـيْ بـيـن لُـيُـوثِ

حـاوَلْـتُ مـنـه قُـبْـلـةً فـأجـابَـنِـي، ... يـا حُـسـنَ ذا الـتَّـذْكـيـرِ والـتـأنـيـثِ

حَـتّـى إذا مـا الـرَّاحُ سـهّـل حـثُّـهـا ... مـنـه الـعـسـيـرَ بـرِطْـلـهِ الـمـحـثـوث

نِـلـتُ الـرِّضَـا وبـلَـغْـت قـاصِـيـةَ الـمُـنـى ... مِـنْـهُ بـرغْـم رَقِـيـبـه الـدُّيُّـوث

ولَـقـد سَـلَـكْـتُ مع الـنَّـصـارى كـلّ مَـا ... سـلَـكُـوه غـيْـرَ الـقَـوْل بـالـتَّـثْـلِـيـث

دير السوسيّ[(٥)]: وهو في الجانب الغربيّ بسُرَّ من رأى، ومنه أرضها. فابتاعها المعتصم من أهله.

---

(١) البيتان في: من غاب عنه المطرب، ط بيروت ١٣٠٩هـ، ص٥٨ وفيه إنهما لعبيد الله بن طاهر. وفي الديارات للشابشتي ١٣١ إنهما لسليمان بن عبد الله بن طاهر، وفي يتيمة الدهر ٤/ ١٦٣- ١٦٤ إنهما لمحمد بن عيسىٰ الدامغاني.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٦- ٥٣٧ مادة (دير ماعوث).

(٣) السماريّة: نوع من السفن النهرية المستخدمة في العراق في العصر العباسي، وجمعها: سميريات. انظر: السفن الإسلامية: لدرويش النخيلي، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤م/ ص٦٧.

(٤) من قصيدة قوامها ١١ بيتاً في المعجم، وفيه: «يا طيب ليلة دير مرماعوث».

(٥) انظر: الديارات للشابشتي ١٤٩- ١٦٢، معجم البلدان ٢/ ٥١٨ مادة (دير السوسي) معجم ما استعجم ٢/ ٥٨٧.

حكى أحمد بن أبي طاهر[١]، قال[٢]: قصدت بسُرَّ مَن رأى رائداً بعض كبارها بشعر مدحته به، فقبلني وأجزل صِلَتي، ووهب لي غلاماً رومياً حسن الوجه. فسرتُ أُريد بغداد. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلى دير السوسيّ لنقيم فيه إلى أن يخفّ المطر. فاشتدّ القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذي هو فيه: أنت العشيّةَ بائتٌ هنا، وعندي شراب جيد، فتبيتُ تقصف ثم تبكّر. فبتُّ عنده. فأخرج لي شراباً جيداً، ما رأيتُ أصفى منه ولا أعطر. وبات الغلام يسقيني، / ١٩٠/ والراهب نديمي، حتّى متُّ سكراً. فلما أصبحتُ رحلتُ وقلتُ: [من المتقارب]

سَقى سُرَّ مَن رَا وسُكَّانَها ... ودَيْراً لسُوسِيِّها الراهبِ
فقد بِتُّ في دَيْرِه ليلةً ... وبَدْرٌ على غُصُنٍ صاحِبي
غزالٌ سقانيَ حتى الصّباحِ ... صفراءَ كالذهبِ الذائبِ
غزالٌ سَقَانِي المُدامة مستَيْقِظا ... ونِمْتُ ونام إلى جانِبي
وكانتْ هَناةٌ لِيَ الويلُ من ... جَنَاها الذي خَطّه كاتِبي

وقد ذكره أبو الفرج[٣]، وأنشد فيه قول ابن المعتز[٤]: [من الخفيف]

يا لَيَالِيَّ بالمَطِيرةِ والكَرْ ... خ وديرِ السُّوسِيّ، باللهِ عُودِي
كنتِ عِنْدِي أُنمُوذَجاتٍ مِنَ ... الجَنَّة، لكِنَّها بغيرِ خُلُودِ

---

(١) أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني، أبو الفضل: مؤرخ، من الكتاب البلغاء الرواة، أصله من مرو الروذ. ومولده ببغداد سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م ووفاته فيها سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. كان مؤدب أطفال. له نحو خمسين كتاباً، منها «تاريخ بغداد» طبع منه المجلد السادس، و«المنثور والمنظوم» أربعة عشر جزءاً بقي منها جزآن. أحدهما الحادي عشر، طبعت قطعة منه باسم «بلاغات النساء» والآخر الثاني عشر، مخطوط. وله «كتاب المؤلفين» و«سرقات الشعراء» و«سرقات البحتري من أبي تمام» و«فضل العرب على العجم» و«أخبار بشار بن برد» وله شعر قليل أورد ياقوت نبذاً لطيفة منه.

ترجمته في: معجم الأدباء ١/ ١٥٦ و١٥٧ والمسعودي ٢/ ٣٨١ وتاريخ بغداد ٤/ ٢١١ ومعجم المطبوعات ٣٧٠ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٨٠ وآداب اللغة ٢/ ١٩٥ والعرب والروم لفازيليف ٣٣٩ وعرفه ابن النديم في الفهرست ـ الفن الثالث من المقالة الثالثة ـ بابن أبي طاهر، ونقل عن جعفر بن حمدان صاحب كتاب الباهر قوله فيه: «كان مؤدب كتاب، عامياً، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين، ولم أر ممن تشهر بمثل ما تشهر به من تصنيف الكتب وقول الشعر أكثر تصحيفاً منه ولا أبلد علماً ولا ألحن، وكان مع هذا جميل الأخلاق ظريف المعاشرة». الأعلام ١/ ١٤١، معجم الشعراء للجبوري ١/ ١٢٦.

(٢) الخبر والأبيات في معجم الأدباء ١/ ٢٨٦.

(٣) الديارات لأبي الفرج.

(٤) ديوانه ٢/ ٩٥ـ ٩٦.

أَشْرَبُ الراحَ وهي تَشْرَبُ عَقْلي، وعلى ذاك كان قَتْلُ الوليدِ

دير عبدون[١]: وهو بسُرَّ مَنْ رأى إلى جانب المطيرة. قال: وسُمِّي دير عبدون لكثرة إلمام عبدون ـ أخي صاعدٍ [بن مخلد][٢] ـ به. وكان عبدون نصرانياً. وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر. فاستوزره وبلغ معه المبالغ العظيمة.

وحكى البحتريّ أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فِصح، ومعه ابن خرداذبة. قال البحتريّ فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها، وأوّلها[٣]: [من الخفيف]

لا جديدُ الصِّبا ولا رَيعَانُهْ راجعٌ بعدَ ما تقضّى زمانُهْ

فأمر لي بمائتي دينار، وثياب خز، وشِهْريّ[٤] بسرجه ولجامه. وأخوه حينئذ مع الموفق في قتال العلويّ البصري. فسُرَّ بذلك وقال لي: يا أبا عبادة! قل في هذا شعرا أنفذُه إلى ذي الوزارتين، يعني أخاه، وكان لقب بهذا. فقلت[٥]: [من المنسرح]

لِيكتَنِفْكَ السُّرورُ والفَرَحُ! ولا يَفُتْكَ الإبريقُ والقَدَحُ

/١٩١/ فَتْحٌ وفِصْحُ قد وافَيَاكَ معاً: فالفَتْح يقْرى، والفِصح يُفْتَتح

فانعَم سَلِيمَ الأقطارِ تَغْتَبِقُ الصهْباءَ من دنِّها وتَصْطَبِح

فإنْ أردْتَ اجتراح سَيِّئةٍ، فها هنا السَّيِّئاتُ تُجتَرَح

وأقمنا يومنا إلى الليل، وخلع على ابن خرداذبة وحمله وانصرفنا.

وأنشد الخالديّ قول ابن المعتز فيه[٦]: [من البسيط]

سقى الجزيرَةَ ذاتَ الظِّلِّ والشجَرِ فديرَ عَبْدونَ هطَّالٌ من المَطَرِ

دَير زَكّي[٧]: وهو قريب البَلِيخ والفرات. في أنزه البقاع، بين بساتينَ وأنهار وقلال وضياع.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٢١ـ ٥٢٢ مادة (دير عبدون).

(٢) انظر أخباره في: الديارات للشابشتي ٢٧٠ـ ٢٧٣، والروض المعطار ٢٥١.

(٣) ديوان البحتري ٤/ ٢٢٩٤، والقصيدة قوامها ٣٤ بيتاً.

(٤) الشهري: ضرب من البراذين، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، أو بين الرمكة والفرس.

(٥) ديوان البحتري ١/ ٤٥٦.

(٦) ديوان ابن المعتز ٢/ ١٠٢.

(٧) انظر: الديارات للشابشتي ٢١٨ـ ٢٢٧، وذيله ٣٨٤ـ ٣٨٧، وفيه نبذة عنه كتبها العلامة مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، الديارات للأصبهاني ٩٦ـ ٩٧، معجم البلدان ٢/ ٥١٢ـ ٥١٣ مادة (دير زكي)، البدور المسفرة ٣٣ـ ٣٤، الروض المعطار ٢٥٢، معجم ما استعجم ٢/ ٥٨٢ـ ٥٨٤.

وحُكي عن الحسين بن يعقوب أنه قال: صرتُ إلى الرُّها، فبتُّ بها. وخرجت قبل عيد الصليب بيوم. فإذا لدينا وجوهٌ حسانٌ من نصرانيات خرجن لعيدهنّ، عليهنّ جيِّدُ الثياب وفاخر الجوهر؛ وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّب الهواء منها، وقد فُرش لهنّ على العجَل وهو يُجرّ بهنّ؛ وأخريات على الشَّهاريّ الخراسانية والبغلات المصرية والحمر الفُرْه؛ ومشاةٌ، وفي خلال ذلك صبيانٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها وقدوداً وثياباً. فتأملت منظَراً لم أر أحسن منه قط. وإذا هم يطلبون دير زَكّي ليعيِّدوا فيه.

قال الخالدي: وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذاتُ قصور ودور. وفيها يقول بعض الشعراء[1]: [من الوافر]

قُصورُ الصالحيَّةِ كالعَذارى ... لِبسْنَ حُلِيَّهنَّ ليوم عُرسِ
تقَنِّعُها الرياضُ بكلّ نَوْر ... وتُضْحِكُها مطالعُ كلّ شمس

وفيها قال الصنوبريّ[2]: [من البسيط]

إني طَرِبْت إلى زيتون بِطْياس ... فالصالحيَّةِ ذاتِ الوَرْد والآسِ
وَصْفُ الرياض كفانِي أن أُقِيمَ على ... وَصْفِ الطُّلُولِ، فهل في ذاك من باسِ؟
وقائلٍ لِي: أفِقْ يوماً! فقلتُ له، ... من سَكْرة الحُبِّ: أو من سكرة الكاسِ؟
/ ١٩٢/ قلْ للذي لامَ فيه: هل تَرى كَلِفا ... بأمْلَحِ الرَّوض إلا أملحَ الناسِ؟

وفيها قال أيضاً[3]: [من مجزوء الكامل]

الصالِحيَّة مَوْطِني ... أبداً، وبِطْياسٌ قَرَاري
من فَوْقِ غُدْرانٍ تَفِيـ ... ـض وبَيْنَ أنهار جوارِي
ومُدامةٍ بُزِلَت فأشـ ... ـبه فتلُها فتلَ السِّوارِ
يا لائمي ما العارُ عا ... رُك! فامض! عنِّي العارُ عارِي
لَهَفِي على مَلْويّة الـ ... ـاصداغ مسْبَلةِ الإزارِ
قد فُضِّضَتْ بالياسَـ ... ـمِينِ وذُهِّبَتْ بالجُلَّنارِ

وفيه قال[4]: [من الخفيف]

---

(١) البيتان في معجم البلدان ٢/ ٣٨٩ـ ٣٩٠ مادة (الصالحية) لمنصور النمري، وفي الأغاني ١٨/ ٢١٧ معاهد التنصيص ٥/ ٦٥ لأشجع السلمي، مع اختلاف برواية البيت الثاني.
(٢) ديوانه ١٦٢ـ ١٦٣.
(٣) ديوانه ٥٤ـ ٥٥.
(٤) ديوانه ٤٤٧، الديارات للشابشتي ٤٢٤.

حبّذا المرحُ! حبّذا العَمْرُ! لا بَلْ — حبّذا الدَّيْرُ! حبّذا السَّروتانِ
قد تجلّى الربيعُ منْ حُلل الزَّهـ — ـر وصاغ الحَمامُ طِيبَ الأغاني
زُيِّنْت أوجهُ الرياض فأضحتْ — وهي تُزهى على الوجوه الحسان
أخضَرُ اللونِ كالزبرجدِ في أحـ — ـمرَ صافي الأَدِيم كالعِقْيان
وبَهارٌ مثلُ الزنانيرِ محفُو — فٌ بزهرِ الخَيْرِيِّ والحُوذان
سقِّياني بكلِّ لَوْنٍ منَ الرا — ح على كلِّ هذهِ الألوان

وفيه يقول الصنوبريّ أيضاً من قصيدة(١): [من الوافر]

أراقَ سِجالَهُ بالرَّقَّتيْنِ — جَنُوبيٌّ صَخُوبُ الجانبينِ
وأهدى للرَّصيف رَصيفَ مُزْنٍ — يعاودهُ طريرُ الطُّرَّتينِ
تُضاحِكُها الفُراتُ بكلِّ فجٍّ — فتضْحَكُ عنْ نُضارٍ أو لُجَين
/١٩٣/ كأنَّ عِناقَ نَهريْ دَير زكيّ — إذا اعتنقَا عِنَاقُ متَيَّميْن
أقامَا كالسِّوارَيْن، استدارَا — على كفّيهِ أو كالدُّمْلُجيْن
وياسُفُنَ الفراتِ بحيثُ تَهوِي — هُوِيّ الطيْرِ بينَ الجَلْهَتَين
تَطارَدُ مُقبِلاتٍ مُدْبِراتٍ — على عَجَلٍ تَطارُدَ عَسْكرين
تَرانَا واصليْن كما عَهِدنا — وصالا لا نُنَغِّصه ببَين؟
ألاَ يا صاحِبَيَّ خُذَا عِنَانَيْ — هوايَ! سلِمْتما من صاحبَيْن
وكان اللهوُ عِنْدي كابن أُمِّي — فصِرْنا بعد ذاك لِعَلّتين

وله أيضا من أخرى(٢): [من الخفيف]

يا نديمي أما تَحِنُّ إلى القَصْف، — فهذا أوانُ يَبْدُو الحنينُ؟
ما تَرى جانبَ المُصلّى وقد أشْـ — ـرق منه ظُهُورهُ والبُطُونُ؟
أُسْرِجَتْ في رياضه سُرُج القُطْـ — ـر وطابتْ سُهُوله والحُزونُ
إنّ آذار لم يَذَرْ تحت وجه الا — رض شيئا أكَنَّه كانُونُ
وكأنّ الفُراتَ بينهما عينُ — لُجيْن يعومُ فيها السَّفِينُ
كبُطُون الحيّاتِ أو كُمتُونِ الـ — ـمَشْرَفيّاتِ، أخلصَتْها القُيُونُ
كم غدا نحو دير زكّى من قلـ — ـبٍ صحيح فعادَ وهْو حَزِينُ
لو على الدير عُجتَ يوما، لألْهَتْـ — ـكَ فُنونٌ وأطربتْك فنونُ

---

(١) ديوانه ٤٤٣، الديارات للشابشتي ٢١٩ـ ٢٢٠، معجم البلدان ٢/ ٥١٢ـ ٥١٣ مادة (دير زكي).
(٢) ديوانه ٤٤٤، الديارات للشابشتي ٢٢٢ـ ٢٢٣.

لائمي في صَبابتي قَدْكَ مَهْلاً لا تلمني. إن المَلامَ جُنونُ

ولأبي بكر المُعَوَّج فيه من قصيدة: [من الخفيف]

ما تَرى الدير؟ ما ترى أسفَلَ الدَّيـ ـرِ، وقد صار وَرْدةً كالدِّهَان؟

/١٩٤/ لو رآه النُّعمانُ، شَقَّ عليه ما يَرى من شَقائِق النُّعْمان

قال الخالديّ عن الزهراويّ، قال: كان بالموصل جارية مغنية، لُقِّبَتْ بالدير. وكان لها ابن عم يعشقها. فطرقتُه يوما زائراً، فاحتجب عني، وعرَفت أن عنده المغنية المعروفة بالدير، وقد خلا بها. فكتبت إليه: [من الخفيف]

قد عَلِمْنا بأنَّ مَثْواكَ بالدَّيْـ ـر، فعيشَا في غبْطةٍ وأمانِ

تَتَغنّى طَورا وتَسقِيكَ طَوْرا وتُلاقِي للسوءَة السَّوْءتان

ثم أنْشَدتُ إذ سمِعْت نَخِيرا كنَخِير الرُّعُود في نَيْسانِ:

(ما ترى الدير؟ ما ترى أسفل الديـ ـر، وقد صار وَردة كالدِّهانِ).

قال الخالديّ: «وهذا التضمين حَسَنٌ، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا سبيل مثله أن يكون البيت المضَمَّن كأنه من الشعر المضاف إليه». قلتُ: بشرط نقله لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه. وإلا فترك التضمين أولى، إذا كان بمعنى الأَوَّل.

وقد ذكره أبو الفرج وقال: وممن ذكره هارون الرشيد. فقال في بعض غزواته، وقد خلّف جارية كان يحبها هناك[1]: [من المتقارب]

سلامٌ على النَّازِحِ المغتربْ تحيَّةَ صَبٍّ به مُكْتَئِبْ

غزالٌ مراتِعُه بالبلِيخ إلى ديرِ زَكّى فَقصْر الخَشَبْ

أيا مَنْ أعانَ على نَفْسِه بتخليفِه طائعاً مَن أحِبّ

سأسْتُر، والسَّتْرُ من شِيمَتي، هوى من أُحِبُّ لمن لا أُحبّ

قال: ويقال إنه قالها في ديرانية رآها في دير زكّى، فهويَها.

دير القائم الأقصى[2]: وهو على شاطىء الفرات، من جانبه الغربيّ في طريق الرَّقَّة.

قال أبو الفرج: وقد رأيتُه، وهو مَرْقبٌ من المراقب التي كانت بين الروم

(١) الأغاني ٨/ ٣٠٨، الديارات للشابشتي ٢٢٥، الديارات للأصبهاني ٩٧، معجم البلدان ٢/ ٥١٢ـ ٥١٣، مادة (دير زكي)، معجم ما استعجم ٢/ ٥٨٢ـ ٥٨٣.

(٢) انظر: الديارات للأصبهاني ١٢٨ـ ١٣٢، الأغاني ٥/ ٣٤٣ـ ٣٤٤، معجم البلدان ٢/ ٥٢٦ مادة (دير القائم الأقصى)، معجم ما استعجم ٥/ ٥٩١ـ ٥٩٢.

والفُرس، على أطراف الحدود.

وقال إسحاق الموصليُّ[١]: /١٩٥/ لما[٢] خرجنا مع الرشيد إلى الرقة، مررنا بالقائم وعنده الدير. فاستحسن الرشيد الموضع. وكان الوقت ربيعا، وكانت تلك المروح مملوءة بالشقائق والزهر. فشرب على ذلك ثلاثة أيام. ودخلتُ الدير أطوف فيه، فرأيتُ ديرانيَّة، حين نهد ثدياها، عليها المسوح، ما رأيتُ أحسن من وجهها وجسمها، وكأنّ تلك المسوح عليها حليّ. فدعوت بنبيذ وشربت على وجهها أقداحا. وقلت[٣]: [من الوافر]

بِـــدَيْـرِ الـــقـــائِـــم الأقْـــصـــى   غَـــــزَالٌ شـــــادِنٌ أحْــــــوى
بَـــرى حُـــبِّـــي لـــه جِـــسْـــمِـــي   ولا يَـــــدْرِي بِـــمــــا ألْـــقـــى
وأكْـــتُـــمُ حُـــبَّـــه جَـــهْــــدِي   ولا وَالــــلــــهِ مــــا يَـــخْـــفـــى

ثم دعوتُ بالعود، فغنيتُ في الدير صوتاً مليحاً ظريفاً. وما زلتُ أكرره وأشرب وأنظر إليها، وهي تضحك من فعلي حتّى سكرتُ. فلما كان من الغد، دخلتُ على الرشيد، وأنا ميّت من السكر. فقال لي: أين شربت؟ فأخبرته القصة. فقال: طيِّبٌ وحياتي! ودعا بالشراب فشرب. فلما كان العشيّ، قال: قم بنا حتّى أتنكّر وأدخل إلى

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد ابن النديم: من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً، له تصانيف، من أفراد الدهر أدباً وظرفاً وعلماً. فارسي الأصل، مولده ببغداد سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م ووفاته فيها سنة ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م، وعمي قبل موته بسنتين. نادم الرشيد والمأمون والواثق العباسيين. ولما مات نُعي إلى المتوكل فقال: ذهب صدر عظيم من جمال المُلك وبهائه وزينته. وألف كتباً كثيرة، قال ثعلب: رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب كلها سماعه. من تصانيفه: «كتاب أغانيه» التي غنى بها، و«أخبار عَزة الميلاء» و«أغاني معبد» و«أخبار حماد عجرد» و«أخبار ذي الرمة» و«الاختيار من الأغاني» ألفه للواثق، و«مواريث الحكماء» و«جواهر الكلام» و«الرقص والزفن» و«الندماء» و«النغم والإيقاع» و«قيان الحجاز» و«النوادر المتخيرة» ولابن بسام الشاعر كتاب «أخبار إسحاق النديم» ومثله للصولي. ولماجد العزي، «إسحاق الموصلي، ديوان ودراسة وتحقيق ـ ط» بغداد.
ترجمته في: الفهرست ١/ ١٤٠ ووفيات الأعيان ١/ ٦٥ وسمط اللآلىء ١٣٧ و٢٠٩ و٥٠٩ والأغاني طبعة دار الكتب ٥/ ٢٦٨ـ ٤٣٥ ولسان الميزان ١/ ٣٥٠ وتاريخ بغداد ٦/ ٣٣٨ وإنباه الرواة ١/ ٢١٥ والذريعة ١/ ٣٢٠ ونزهة الألباب ٢٢٧، والأعلام ١/ ٢٩٢، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٢٥٨.

(٢) الخبر في الأغاني ٥/ ٤١٨، معجم ما استعجم ٢/ ٥٩١ـ ٥٩٢.

(٣) ديوانه ٨٧، الأغاني ٥/ ٣٤٣ـ ٣٤٤، ٤١٨، معجم البلدان ٢/ ٥٢٦ مادة (دير القائم الأقصى).

صاحبتك هذه وأراها. فقمتُ معه وتلثّم ودخل الدير فرآها وقال: مليحة والله! وأمر من جاءه بكأس وخَرْدَاذِي. وأحضرت عودي فغنيته الصوت الذي صنعته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاث أرطال. ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم فقلتُ: يا سيدي، وصاحبة القصة؟ أريد أن يبَين عليها أثري. فأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر بأنْ لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراجٌ. وأقطعهم إياه وجعل عليه عن الخراج عشرة دراهم في كل سنة، تُؤدّى ببغداد.

دير حزقيال[١]: ـ قال شريح الخزاعيّ[٢]: اجتزتُ بدير حزقيال. فبينا أنا أدور فيه إذا بسطرين مكتوبين على أُسطوانة. فقرأتهما، فإذا هما: [من الخفيف]

/١٩٦/ رُبَّ لَيْلٍ أمدّ من نَفَس العا ... شِقِ طُولاً، قطَعْتُه بانتحابِ

ونَعِيم بوصِلِ مَن كنتُ أهْوى ... قد تبدّلتُه ببُؤس العِتاب

نَسَبُونِي إلى الجُنُون ليُخفُوا ... ما بقلبي من صَبْوةٍ واكتِئابِ

ليت بي ما ادّعَوْه من فَقْدِ عَقْلي ... فهو خيرٌ من طُول هذا العَذَابِ

وتحته مكتوب: «هَوِيتُ فُمنعتُ، وطُردتُ وشُرِّدتُ. وفُرِّق بيني وبين الوطن، وحُجبتُ عن الإلف والسَكَن. وحُبستُ في هذا الدير [ظلماً و] عدواناً، وصُفِّدتُ في الحديد زماناً: [من الطويل]

وإنِّي على ما نابَنِي وأصابَنِي ... لَذُو مِرّةٍ باقٍ على الحَدَثان

فإنْ تُعْقِبِ الأيامُ أظْفَرْ ببُغْتَتِي! ... وإنْ أتولى يرم بِي الرَّجَوان

فكم ميّتٍ همًّا بغيظٍ وحَسْرةٍ ... صَبُورٌ لما يأتيَ بِه المَلَوان»[٣]

فدعوتُ برقعة، وكتبتُ ذلك، وسألت عن صاحبه، فقالوا: رجلٌ هَوىَ ابنة عم له، فحبسه عمّه في هذا الدير، وغرم على ذلك جملة للسلطان خوفاً أن تفتضح ابنته. ثم مات عمه. فورثه، هو وابنته. وجاء أهله فأخرجوه وتزوّج ابنة عمه.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٥ مادة (دير حزقيال) و/ مادة (دير هزقل)، الديارات للأصبهاني ٦٦ـ ٦٧، الديارات النصرانية في الإسلام ١٠٨ـ ١٠٩، آثار البلاد ٣٦٩ـ ٣٧٠، الروض المعطار ٢٥٢، وسيرد مرة أخرى بعنوان (دير هزقل) من ديارات الشام.

(٢) الخبر والأبيات في معجم البلدان ٢/ ٥٠٥ مادة (دير حزقيال) معجم ما استعجم ٢/ ٥٧٤ـ ٥٧٥، الديارات للأصبهاني ٦٦ـ ٦٧، الروض المعطار ٢٥٢ وفيه: «شريح الخرامي».

(٣) الملوان: الليل والنهار.

دير ماسَرجَس[١]: قال أبو الفرج[٢]: لم يذكر ايّ دياراته؟ وله عدّة ديارات. منها ديرٌ بازاء البركان، في ظهر قرية يقال لها كاذة.

حُكي عن عبد الله الربيعيّ قال: دخلتُ ـ أنا وأبو النصر البصريّ، مولى بني جُمَح ـ بِيعة ماسَرجَس. وقد ركبنا مع المعتصم، نتصيّد. فوقفتُ أنظر إلى جارية كنتُ أهواها، وجعل وهو ينظر إلى صورة في البِيعة، استحسنها؛ حتّى طال ذلك. ثم قال أبو النصر[٣]: [من الرمل]

فَتَنَتْنا صُورةٌ في بِيعةٍ! فتَنَ اللهُ الذي صَوّرَها
زادَها الناقِشُ في تحسينِها فَضْلَ حُسنٍ، إنه نَضَّرها
وجْهُها لا شَكَّ عِنْدِي فِتنةٌ وكذا هِيْ عِنْدَ مَنْ أبصرها
/١٩٧/ أنا للقَسّ عليها حاسِدٌ ليت غَيْرِي عَبَثاً كسَّرها

قال، فقلت: له شتان ما بيننا! أنا أهوى بشراً، وأنت تهوى صورة! قال لي: هذا عبثٌ، وأنت في جِدّ.

قال حماد: وغنّى عبد الله بن العباس في هذا الشعر غناءً حسناً، سمعته منه. فنسبه إليه لكثرة شعره في امرأة كان يهواها.

دير الروم[٤] ـ وهو بأرض بغداد.

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٢٨ـ ٢٢٩، معجم ما استعجم ٦٠٠ـ ٦٠١، الديارات للأصبهاني ١٤٨ـ ١٤٩، معجم البلدان ٢/ ٥٣١ـ ٥٣٢، وفي هامش الديارات ص٢٢٨ يقول محققه: «ما» في «ماسرجيس» مقتطعة من لفظة «مار». و«سرجيس»، هو القديس الشهير سرجيوس Sergius الذي قتله القيصر الروماني مكسيمينوس غاليريوس Max Galerius نحو سنة ٣٠٧م. ويقترن اسم سرجيس باسم زميله «باخوس» أو «باكوس» الذي استشهد معه في رصافة الفرات (سرجيوبوليس Sergiopolis). وكان لسرجيس عند نصارى الشرق منزلة كبيرة، حتى أن نصارى العرب رسموا صورته على أعلامهم لتتقدمهم في حروبهم. وفي العراق ولبنان عدة كنائس وديارات على اسمه. ويقع عيده في ٧ تشرين الأول من كل سنة. وترجمته وترجمة رفيقه باخوس في: التاريخ السعردي (١/ ٤٣ـ ٤٥)، مجلة «المشرق» (٥ [١٩٠٢] ص٩٤٥ـ ٩٥١)، أبطال الإيمان لشيخو (ص٢٧ـ ٢٨)، مجلة «النجم» (١٠ [١٩٣٨] ص٢٨١ـ ٢٨٧). وقد اختلفت المراجع العربية في كتابة هذا الاسم، فورد فيها بصورة: سرجس، وسرجيس، وسركيس، وسرجيوس وتصحف في بعضها إلى سرجبيس، وسرجسان. اهـ.

(٢) معجم ما استعجم ٦٠٠ـ ٦٠١، وفيه النص كاملاً: الديارات للأصبهاني ١٤٨ـ ١٤٩.

(٣) البيتان الأولان في الديارات للشابشتي ٦٦ لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع في جارية نصرانية كان يعشقها ويهيم بها. وهما أيضاً في معجم ما استعجم ٣٧٥.

(٤) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١١ مادة (دير الروم)، الديارات للشابشتي ٣٣٧/ الملحق، البدور المسفرة ٧ـ١٤ وفيه اسمه: «دير أسرى الروم».

قال الشابشتيّ: كان مُدرك بن عليّ الشَّيْبانيّ يطرقه في الآحاد والأعياد. فينظر مَن فيه من المُرْدان، والوجوه الحِسان. وله فيه: [من الطويل]

وُجوهٌ بدَيْر الرُّوم قد سلَبَتْ عَقْلي فأصبَحْتُ في بُؤْسٍ شَدِيدٍ منَ الخَبْلِ
فلم تَرَ عَيْنِي مَنْظَرا مثلَ حُسْنِهم ولم تَرَ عَيْنٌ مُستهاماً بِهِمْ مِثْلي

وحكي عن جساس بن محمد قال: كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى، يقال له عمرو بن يوحنا. وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا. وكان مُدرك بن عليّ يهواه. وكان من أفاضل أهل الأدب. وكان له مجلس تجتمع فيه الأحداث لا غير. فإن حضره ذو لحية، قال له مدرك: إنه يقبُح بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم. وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به. فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره. فقرأها فإذا فيها: [من الكامل]

بمجالس العِلْم التي بِكَ تَمّ جَمْعُ جُمُوعِها
إلاّ رَثَيْتَ لمُقْلةٍ غَرِقتْ بفَيْض دُموعِها
بَيْنِي وبَيْنكَ حُرْمة، فاللهَ في تضْيِيعِها

فقرأ الأبيات، ووقف عليها مَنْ حضر. فاستحيا عمرو، فانقطع عن الحضور وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه. وقال فيه أشعارا، منها قوله: [من الكامل]

يا من يُريد وصالَنا ويَرُدّهُ ما قدْ يحاذِرْ منْ كلام الناس
/١٩٨/ صِلني فإنْ سبقَتْ إليكَ مقالةٌ منهم، فعصِّبْ ما يقالُ براسِي

قال جساس: ثم خرج مدركٌ إلى الوَسْواس. فحضرتُه عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: ألستُ صديقكم القديم؟ فما فيكم أحد يُسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فمضينا إليه. وقلنا له: يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل دِيناً، فإنّ إحياءه لمُروءةٌ. قال: فما فعل؟ قلنا له: قد صار إلى حالٍ ما نحسبك تلحقه. قال: فنهض معنا. فلما دخلنا عليه، سلّم عليه عمرو، وأخذ بيده. فقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فنظر إليه، ثم أُغمِي عليه، ثم أفاق وهو يقول: [من مجزوء الرمل]

أنا في عافيةٍ إلا من الشَّوْقِ إليكا
أيُّها العائدُ ما بي منك لا يَخْفى عليكا
لا تَعُد جِسْما وعُد قَلبا رَهِينا في يَدَيْكا
كيف لا يَهْلِكُ من يُرْ مى بسهمَيْ مُقْلتيكا؟

دير الزَّنْدَوَرْد[١] ـ وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد. وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج واعناب. وعنبها من أجود ما يعتصر هناك. ولذا قال أبو نُوَاس: [من البسيط]

فسقّني من كروم الزنْدَوَرْد ضُحًى ... ماءَ العَنَاقيدِ في ظلّ العَنَاقيدِ!

قال الشابشتيّ: حَكى عبد الواحد بن طَرْخان: قال خرجتُ إلى دير الزندورد في بعض أعياده متطربا ومتنزها، ومعنا جحظة في جماعة من إخواني. فنزلنا موضعا حَسَناً. ووافقْنا هناك جماعةً من ظراف بغداد، لجميعهم معشوقاتٌ حسان الوجوه والغِنَاء. فأقمنا به أياما في أطيب عيش. وقال جحظة فيه شعراً، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنّى فيه لحناً حسنا. وهو: [من البسيط]

سَقْياً ورَعْياً لدير الزَّنْدَوَرْد وما ... يَحْوي ويجمَعُ من راحٍ ورَيْحانِ

دير تَدُور به الأقْداحُ مُتْرعَةً ... من كفّ ساقٍ مريض الطَّرْف وسَنْانِ

والعُودُ يتْبَعُه نايٌ يوافِقُه ... والشَّدْوَ يُحكِمُه غُصْن من البانِ

/١٩٩/ والقومُ فَوْضى ترى هذا يُقبّل ذا ... وذاكَ إنسانُ سَوْءٍ فوقَ إنسانِ

هذا ودِجْلةُ للرائينَ مُعْرِضَةٌ ... والطيرُ يَدْعُو هَدِيلاً بين أغصان

برٌّ وبحرٌ فصَيْدُ البرِّ مقتَرِبٌ ... والبحرَ يسبَحُ شَطاهُ بحِيتانِ

ثم صنع لحنا وغنّى فيه بشعر له. منه: [من الوافر]

خليليَّ الصَّبُوحَ! دنا الصباحُ! ... فإنّ شِفَاء ما تَجِدانِ راحُ

فَنبِّهْ فتيةً جَبَهُوا قديما ... عَواذِلَهم بَزجْرٍ فاستراحوا

رأيتُ الغانياتِ صَدَدْنَ عنِّي ... وأعرضتِ المبتّلةُ الرَّداحُ

وقلنْ: مضتْ بِشرَّتكَ الليالي! ... فقلتُ: نعمْ، وقد رثّ السِّلاحُ

دير دُومَالِس[٢]، وهو في باب الشمَّاسية. شرقيّ دجلة. قال الشابُشتيّ: وموقعه في هذا الوقت في ظهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الديلميّ. وهو نزه كثير البساتين والشجر. وبقربه أجمة قصب. وهو كبير آهل. وهو من البقاع المعمورة بالقَصْف. وعيده أحسن عيد. يجتمع نصارى بغداد فيه. وفيه يقول ابن حمدون النديم: [من السريع]

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٣ مادة (دير الزندورد)، الديارات للشابشتي / الملحق ٣٣٨ـ ٣٣٩، البدور المسفرة ١٤، الروض المعطار ٢٥٤.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٩ مادة (دير دومالس)، والديارات ص٤ وفيها: درمالس، وفي هامش الديارات يذكر محققه إن اسم هذا الدير قد تصحف في المراجع المعروفة، ويرى أن الوجه الصحيح هو «رومانس» وهو اسم عرف به ثلاثة من القديسين عاشوا بين ٤٠٠ـ ٦٠٠م.

يـا دَيـرَ دُومـالِـسَ مـا أحـسَـنَـكْ! ويـا غَـزَالَ الـدَّيْـر مـا أفـتـنَـكْ
لِـئِـنْ سَـكَـنْـتَ الـدَّيْـرَ فـي أهْـلِـهِ، فـإنَّ فـي وَسْـط الـحَـشَـا مَـسْـكَـنَـكْ

دير سَمَالُو[1]، وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد. على نهر المهديّ. وهناك أرْحِية للماء، وحوله بساتين وأشجار نخل. آهل بمن يطرقه من أهل الخَلاَعة. وفي عيد الفِصْح لا يبقى أحد من النصارى ببغداد، حتّى يأتي إليه، ولمحمد بن عبد الملك الهاشميّ فيه شعرٌ، منه: [من الكامل]

ولَـرُبَّ يـومٍ فـي سَـمَـالُـو تَـمّ لِـي فـيـه الـنَّـعِـيـمُ وغُـيِّـبـتْ أحـزانُـهُ
/ ٢٠٠/ حتّى حَسِبْتُ لنا البِساطَ سَفِينةً والـبـيـتَ تـرقُـص حَـوْلَـنا حِـيـطـانُـه

قال خالد بن يزيد بن الكاتب[2]: كنتُ بدير سَمَالو، فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم بن المهديّ قد وافاني. فذهبت إليه، فإذا برجل أسود مشفرانيّ قد غاص في الفُرُش، فاستجلسني. فجلست. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك! فأنشدته: [من الطويل]

رأتْ منه عينِي مَنْظَرَين كما رأَتْ منَ البَدْرِ والشمسِ المُضيئةِ بالأرضِ
عِـشـيَّـةَ حَـيّـانِـي بـوَرْدٍ كـأنَّـهُ خُدودٌ أُضِيفَتْ بعضُهنَّ إلى بَعْضِ
ونـاوَلَـنِـي كَـأْسـا كَـأنَّ رُضَـابَـهـا دُمُوعيَ لمّا صَدّ عن مُقْلَتِي غُمْضي
وولَّـى، وفِـعْـلُ الـسُّـكْـر فـي حَـرَكـاتِـه من الراحِ فعْلُ الرِّيح بالغُصْنِ الغَضِّ

فزحف حتّى صار في ثُلُثي المُصَلَّى. ثم قال: يا بُنَيَّ! شبّه الناسُ الخدودَ بالورد، وشبهتَ أنت الوردَ بالخدود! زدني! فأنشدته: [من مجزوء الكامل]

عـاتَـبْـتُ نَـفْـسـي فـي هَـوا كَ، فـلـمْ أجِـدْهـا تَـقْـبَـلُ
وأجَـبْـتُ داعِـيَـهَـا إلـيـ ـكَ، ولـم أُجِـبْ مَـنْ يـعـذُل
لا وَالّـذِي جـعـل الـوُجُـو هَ لِـحُـسْـنِ وجْـهِـك تَـمْـثُـلُ
لا قُـلْـتُ: إنَّ الـصَّـبْـرَ عَـنْـكَ مـن الـتَّـصـابِـي أَجْـمَـلُ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٩ مادة (ديرسالو)، الديارات للشابشتي ١٤ ـ ٢٣.

(٢) خالد بن يزيد البغدادي الكاتب، أبو الهيثم، شاعر غزل، من الكتّاب، أصله من خراسان ومولده بها، عاش وتوفي في بغداد سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م، كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي، وكان يهاجي أبا تمّام، وغلبت عليه السوداء، وعاش عمراً طويلاً حتى دق عظمه ورق جلده، شعره رقيق، أكثره غزل، له «ديوان ـ خ».
ترجمته في: المنتظم ١٢/ ١٧٦ـ ١٨٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٦، فوات الوفيات ١/ ١٤٩، ومعجم الأدباء ٤/ ١٧١، سمط اللآلي ٣١١، تاريخ بغداد ٨/ ٣٠٨، الأغاني ٢١/ ٣١، شعر الظاهرية ١٣٧، الأعلام ٢/ ٣٠١، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ١٨١.

فزحف حتّى صار خارج المصلّى. ثم قال: زدني! فأنشدته: [من الرمل]

عِشْ فحُبِّيكَ سَرِيعاً قاتِلِي | والهَوى إن لم تَصِلْني واصِلي
ظَفِر الحبُّ بقلبٍ دنِفٍ | بكَ والسُّقْمُ بجِسْمٍ ناحل
وبكى العاذلُ لِي من رَحْمتي | فبُكائي من بُكاءِ العاذلِ

فصاح وقال: يا بُلَيْق! كم لي معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً. قال: /٢٠١/ اقسمها بيني وبينه.

وحكى الشابشتي لخالد حكايات، وأنشد له شعراً، منه قوله: [من الخفيف]

كَبِدُ المُسْتَهام كيف تَذُوبُ؟ | ما تُقاسِي منَ العُيونِ القُلُوبُ؟
يا مكانَ الهَوى خلَوْتَ من الصَّبْر | فما لِلسُّلُوِّ فِيكَ نَصيب

وقوله: [من الطويل]

ولَمْ أدْرِ ما جَهْدُ الهَوى وبلاَؤهُ | وشِدَّته، حتّى وجَدْتُكَ في قَلْبي
أطاعَكَ طَرْفِي في فُؤَادِي، فَحَازَهُ | لطَرْفِكَ حتّى صِرتُ في قبضة الحبِّ

دير الثعالب[1] ـ وهو في الجانب الغربيّ من بغداد، بباب الحديد. وهو بمكان متنزه لا يخلو من قاصد وطارق. ولا يتخلف أحد من النصارى عن عيده. فمواطنه معمورة، وبقاعه مشهورة. ولابن دهقان فيه شعر ظريف. وهو من ولد إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، ويُكَنّى بأبي جعفر. وأنشد له جَحْظةُ: [من المتقارب]

أَحِينَ قطعْتُ لكَ الواصِلِينَ | وجُدْتُ عليكَ ولم أَبْخَلِ،
غَدَرْتَ وأظهرْتَ لي جَفْوةً | وجُرْتَ عليّ ولم تَعْدِلِ؟
أأطمَعُ في آخِرٍ من هَواك | ولم تَرْعَ لي حُرْمَةَ الأوّلِ؟

دير مِديان[2] ـ وهو على نهر كَرْخايَا ببغداد. وكَرْخايَا نهر يَشُقُّ من المحوّل الكبير ويمرّ على العبّاسية، ويَشُقُّ الكَرْخَ، ويصبُّ في دِجلة.

وكان قديما عامرا يصبُّ الماء فيه، ثم نضب بالبثوق.

قال الشابُشتيّ: وهذا الدير حسن عامر حوله البساتين، ويُقصد للتنزه. ولابن

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٢ مادة (دير الثعالب)، الديارات للشابشتي ٢٤ـ ٢٧، وذيله ٣٤٣ـ ٣٤٦، الديارات لأبي الفرج ٥٥ـ ٥٨، البدور المسفرة ١٥.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٣، مادة (دير مديان)، الديارات للشابشتي ٣٣ـ ٤٥، وذيله ٣٥٣.

الضحاك[١] فيه شعر. منه[٢]: [من البسيط]

يا دير مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ، ما هِجْتَ من سِقَم! يا ديرَ مديانا
هل عِنْدَ قَسّكَ من عِلْم فيُخْبِرَني؟ أم كيفَ يُسْعِد وجهٌ الصبر مَن خانا؟
/٢٠٢/ سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايَا وساكِنِها بين الجُنينة والرَّوْحاء مَن كانا

دير أَشْمُوني[٣] ـ وأشموني امرأةٌ بُني الدير باسمها ودُفنت فيه. وهو بقُطْرُ بُلَّ.

قال جَحْظَةُ: خرجت في عيد أشموني فلما وصلتُ الشطَّ، مددتُ عيني لأنظر موضعا خاليا أصعد إليه، أو رجُلا أنزل عليه. فرأيت قينتين من أحسن مَن رأيتُ. فقدّمتُ سُميريَتي نحوهما، وقلتُ: تأذنون لي في الصعود إليكما؟ فقالتا: بالرَّحب والسعة! فصعدتُ، وقلت: يا غلام! طُنْبوري ونبيذي. فقالتا: أما الطُّنبور فنَعَم، وأما النبيذ فلا. فجلستُ مع أحسن الناس خلقا وأخلاقا وعِشْرة. فأخذتُ الطنبور وغنَّيتُ بشعرٍ لي[٤]: [من السريع]

سَقياً لأشُموني ولَذّاتِها والعيشِ فيها بين جَنّاتِها
إذِ اصطباحِي في بَسَاتِينِها وإذ غَبُوقِي في دِيَاراتِها

فشربنا بالأرطال، وطاب لنا الوقت إلى آخر النهار.

قال محمد بن المؤمّل: كنت مع أبي العتاهِيَة في سُميريّته، ونحن سائرون إلى أشموني. فسمع غناء من بعض تلك النواحي، فاستحسنه وطرب له، وقال لي: أتحسن أن ترقص؟ فقلتُ: نعم. فقال: فقم بنا نرقص. فقلت: في سميرية؟ أخاف أن نغرق.

---

(١) الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي، من مواليهم، أو هو منهم، أبو علي، شاعر من ندماء الخلفاء، قيل: أصله من خراسان، ولد في البصرة سنة ١٦٢هـ/ ٧٧٩م ونشأ فيها، وتوفي ببغداد سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م، اتصل بالأمين العباسي ونادمه ومدحه، ولما ظفر المأمون خافه الخليع، فانصرف إلى البصرة حتى صارت الخلافة للمعتصم، فعاد ومدحه ومدح الواثق، أخباره كثيرة، كان يلقب بالأشقر، وأبو نؤاس متهم بأخذ معانيه في الخمر منه، وشعره رقيق عذب، جمع عبد الستار أحمد فراج طائفة منه بأسم «أشعار الخليع ـ ط».
ترجمته في: الأغاني ٦/ ١٦٥ـ ٢٠٥، وفيات الأعيان ١/ ١٥٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٩٧، الآمدي ١١٣، تاريخ بغداد ٨/ ٥٤، الموسوعة الموجزة ٦/ ١٤٧، الأعلام ٢/ ٢٣٩، ومعجم الشعراء للجبوري ٢/ ١٠١.

(٢) أشعار الحسين بن الضحّاك ١١٥ـ ١١٦.

(٣) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٨ مادة (دير أشموني)، الديارات للشابشتي ٤٦ـ ٥٣، وذيله ٣٥٥ـ ٣٥٩، البدور المسفرة ١٧ـ ١٨.

(٤) ديوان جحظة ٥٤.

فقال: إن غرقنا، أليس نكون شهداء الطرب؟

دير سابُر[١] ـ وهو في الجانب الغربيّ من دِجلة، بين المَزْرفة والصالحيّة، في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمّارين، معمورةٍ بأهل الطرب. والدير حَسَنٌ عامرٌ. ولابن الضحاك[٢] فيه: [من الكامل]

وعَواتِقٍ باشَرْتُ بين حدائقٍ ... ففَضَضْتُهنّ وقد غَنِينَ صحاحا
أتبَعْتُ وخْزَةَ تلكَ وخَزَة هذه ... حتّى شَرِبْت دماءَهنَّ جراحا
أبرَزْتُهن من الخُدُور حواسِراً ... وتركتُ صَونَ حريمِهنّ مُباحا
/٢٠٣/ في ديْرِ سابُرَ والصباحُ يلوحُ لِي، ... فجمعتُ بدراً والصَّباحَ وراحا
ومنعَّمٍ نازعتُ فَضْلَ وِشاحِه ... وكسوْتُهُ من ساعِدَيَّ وِشاحا
فاذهبْ بظَنِّك كيف شِئتَ فإنَّهُ ... مما اقْترفْتُ لَذاذةً وجِماحا

وأورد الشابشتيّ فيه للحسين بن الضحاك أخباراً ظرافاً، وأنشد له أشعاراً لطافاً. منها[٣]: [من الوافر]

أمَا ناجاكَ بالوَتَر الفَصِيحِ ... وأنَّ إليكَ منْ قَلْبِ الجريحِ؟
فليتَكَ حِينَ تَهْجُرهُ ضِراراً، ... مَنَنْتَ عليه بالقَتْلِ المُريحِ
بحُسْنكَ كان أوّلُ حُسْنِ ظنّي، ... أما يَنْهاك حسنُك عنْ قَبيحِ؟
ألاَ يا عَمْرو هل لك بِنْتُ كَرْمٍ؟ ... هَلُمَّ إلى صَفِيَّةِ كلِّ روحِ
فقام على تَخاذُلِ مُقْلَتيهِ ... وسَلْسَلَها كأوْداجِ الذَّبيحِ
وأتْبَعَ سَكْرةً سلَفتْ بأُخرى ... وخَلّى الصَّحْو للْحُر الشَّحِيحِ

وحَكى عنه قال: كنا عند المتوكل في يوم نوروزٍ، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل من عنبر. وكان شفيعٌ الخادم واقفا، عليه قباء مورّد، ورداء مورّد، وهو فيهما من أحسن الناس وجها. فجعل المتوكل يدفع إلى شفيع قطعةً قطعةً من ذلك العنبر، ويقول: اِدفعها إلى حسين، واغمزْ يده. فيفعل ذلك. ثم كان آخر ما دفع إليّ وردة حمراء حيَّاني بها. فقلت[٤]: [من الطويل]

وكالوَرْدةِ الحَمراءِ حَيَّا بأحمرٍ ... من الوَرْد، يسعى في غلائلَ كالوَرْدِ
له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيَّةٍ ... بكفَّيْهِ تستدعي الخَليّ إلى الوَجْدِ

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٣ـ ٥١٤ مادة (دير سابر)، الديارات للشابشتي ٥٤ـ ٦١.
(٢) أشعاره ٣٧. (٣) أشعاره ٢٣٦.
(٤) أشعار الحسين بن الضحاك ٤٣.

تمنَّيتُ أن أُسقي بكفَّيْهِ شَرْبةً ... تُذَكِّرني ما قد نَسِيتُ من العهدِ
سقى اللهُ دهراً لم أَبِتْ فيه ليلةً ... منَ الدَّهْر إلا من حَبِيبٍ على وعْد

فأمره المتوكل أن يسقيه، وقال: قد أعطيناك أُمْنِيَّتك.

/ ٢٠٤/ دير قُوطا[1] - وهو بالبَرَدان، على شاطىء دِجلة.

قالَ الشابشتيّ: وبينه وبين بغداد بساتينُ متصلةٌ، ومتنزهاتٌ منتظمةٌ. كلُّ ذلك شجرٌ وكرومٌ كثيرةُ الطُّرّاق. قال: وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة: من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه. ولعبد الله بن العباس الربيعيّ فيه: [من البسيط]

يا ديرَ قُوطا، لقد هَيَّجْتَ لي طَرَبا ... أزاحَ عنْ قلبيَّ الأحزانَ والكُرَبا
بشادنٍ ما رأتْ عيْنِي له شَبَهاً ... في الناس، لا عَجَماً منهم ولا عَرَبا
والله، لو سامَنِي نَفْسِي سَمحْتُ بها ... وما بَخِلْتُ عليه بالذي طَلَبا

وأنشد الشابشتيّ له فيه قوله: [من السريع]

يا حبَّذا يَوْمِيَ بالدَّالِيَهْ ... نَشْرَبُها قَفْصِيَّةً صافيَهْ
معْ كلِّ قَرْمٍ مُتلِفٍ مالَهُ ... لم تَبْقَ في الدُّنْيا له باقِيَهْ
فخُذْ منَ الدنيا ولذّاتِها، ... فإنَّما نحنُ بها عاريَهْ

دير جرجس[2] - وهو بالمَزْرَفة: أحدُ الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة. ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد في السُّمَيْريات، لقربه وطيبه. وهو على شاطىء دَجلة، والبساتينُ محدقة به، والحانات مجاورة له، وبه كل ما يُحتاج إليه.

وأنشد الشابشتيّ فيه لأبي جفنة القرشيّ: [من المنسرح]

تَرَنَّم الصَّيفُ بعد عُجمتهِ ... وانْصرفَ البَرْدُ في أزِمّتِهِ
ومِثْلُ لَوْنِ النَّجيع صافِيةٌ ... تَذْهَب بالمرءِ فوقَ هِمَّتهِ
ومَنْ وفى وعدَه بزَوْرتِه ... وبِتُّ، أُوفى لهُ بِذمَّتِهِ
في دير مَرْجِرْجِسٍ وقد نَفحَ الـ ... ـفجرُ علينا أرواحَ زَهْرتِهِ

وأنشد له فيه: [من الكامل]

وقرعتُ صافيةً بماء سَحابةٍ ... فتحِنُّ حين قرعتُهنّ سرورا

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٢٩ مادة (دير قوطا)، الديارات للشابشتي ٦٢-٦٨، البدور المسفرة ٢٠.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٤-٥٣٥ مادة (دير مرجرجس)، الديارات للشابشتي ٦٩-٧٨، وفيه: «دير مرجوجس»، البدور المسفرة ١٨-١٩.

/٢٠٥/ وشربتُ ثم سقَيْته فكأنّني ... سبْسَبْتُ فوق لَهَاته كافُورا
وفتًى يُدِير عليك في طَرَباته ... خَمْرا تُولِّد في العِظَام فُتورا
ما زِلْتُ أشرَبُها وأَسْقِي صاحبي ... حتّى رأيتُ لِسانه مَكْسُورا

قال: وكتب منه النميريّ إلى ابن المعتز في آخر شعبان. [من مجزوء الرمل]

يا أبا العبّاس، قد ... شمّر شَعْبانٌ إزارَهْ
ومضى يَسْعَى فما يَلْـ ... ـحقُ إنسانٌ غُبارَهُ
فاغدُ نشْرَبْ صفوة الدّ ... نّ ونَسْلُبْه وَقَارَهْ

فلم يردَّ عليه جوابا، ولا أفهمه فيه خطابا.

دير الخُوَات[1] ـ وهو بُعكْبرَا. وهو دير كبير عامر. وأكثر سكانه نساءٌ مترهِّبات. وعيده الأحد الأوّل من الصوم.

قال الشابشتيّ: وتسمّى ليلةَ الماشُوش، وهي ليلةٌ يختلط فيها الرجال بالنساء، فلا يردّ أحد يده عن شيء. وأنشد فيه لجحظة[2]: [من الرجز]

وحانةٍ بالغَلَثِ وَسْطَ السُّوقِ
نزلْتُها وصارِمِي رَفِيقي
على غُلامٍ من بَنِي الحَلِيق
فجاءَ بالجام وبالإبْرِيق
أمَا رأيتَ قِطَعَ العقيقِ!

دير باشَهْرا[3] ـ وهو على شاطىء دجلة. نزهٌ كثير البساتين، على طريق سرَّ مَنْ رأى، منزلة المُصعِد والمنحدر. وفيه يقول أبو العيناء[4]: [من الهزج]

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٨ مادة (دير الخوات)، الديارات للشابشتي ٩٣ـ٩٥.
(٢) ديوان جحظة ١٣٣.
(٣) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٩ مادة (دير باشهرا)، الديارات للشابشتي ٧٩ـ ٩٣.
(٤) محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر بن سليمان، أبو عبد الله، أبو العيناء البصري، أصله من اليمامة، ولد بالأهواز سنة ١٩١هـ، ونشأ بالبصرة وبها كتب الحديث وطلب الأدب، ثم انتقل على كبر وعمى إلى بغداد.
كان إخبارياً، راوية، محدثاً، أديباً، حافظاً، فصيحاً، سريع الجواب، حاضر النادرة، ماجناً، توفي بالبصرة سنة ٢٨٢ وقيل ٢٨٣هـ.
له: كتاب «ذم أحمد بن الخصيب».
لسعيد الغانمي «أبو العيناء البصري، حياته وشعره» نشره في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة ٦/ =

نـزلْـنـا دَيْـرَ بـاشَـهْـرا عـلـى قِـسِّـيـسِـهِ ظُـهْـرا
فَـسَـقَّـانـا ورَوّانـا مـنَ الـصـافِـيَـة الـعَـذْرا
فـقـابَـلْـنـا بـه الـشَّـمْـسَ وقـبـلّـنـا بـه الـبـدرا
/٢٠٦/ وأحـيَـتْ لَـذَّةَ الـكـاسِ ولـكـن قَـتَّـلَـتْ سُـكْـرا

دير مرمار[1] ـ وهو بسُرَّ من رأى، عند قنطرة وصيف. حوله كروم وشجر.

وأنشد فيه الفضل بن العبَّاس بن المأمون: [من البسيط]

أنْضَيْتُ في سُرَّ مَنْ را خَيْلَ لذَّاتِي ونِلْتُ فيها هَوى نفْسِي وحاجاتي
عمَّرتُ فيها بِقاعَ اللَّهْو منغَمِسا في القَصْف ما بيْنَ أنهارٍ وجنّات
بدير مَرْمارَ إذ نُحْيي الصَّبُوحَ به ونُعملُ الكاسَ فيه بالعَشِيّات
فكَمْ به منْ غَزالٍ شادنٍ لَبِقٍ يَصِيدُنا باللِّحاظ البابِلِّيات

وحكى الشابشتيّ أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد.

قال: فانقطعنا عن الموكب، أنا وهو ويونس بنُ بغا. فشكا المعتز العطش.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن في هذا الدير راهبا أعرفه، وله مروءة حسنة. وفيه آلات جميلة. فهل لنا أن نعدل إليه؟

فقال: افعل! فصرنا إليه، فرحّب بنا وتلقّانا بأجمل مَلْقًى. وجاءنا بماء فشربنا. وعرض علينا النزول عنده.

وقال: أما تبتردون عندنا؟

فقال المعتز: اِنزل بنا إليه. فنزلنا عنده. فسألني الديرانيّ عن المعتزّ ويونس.

فقلت: فَتَيَان من أبناء الجُند.

فقال: بل مُفْلَتان من أزواج الحُور.

فقلتُ له: ليس هذا من دينك واعتقادك.

= ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، وللدكتورة ابتسام مرهون الصفار «أبو العيناء، الأديب البصري الظريف» ط الموصل ١٩٨٨.

ترجمته في: معجم الأدباء ٧/ ٦١، ونور القبس ٣٢٢، ومعجم الشعراء ٤٠٣، وتاريخ بغداد ٣/ ١٧٠، والمنتظم ٥/ ١٦٠، وفيات الأعيان ٤/ ٣٤٣، نكت الهميان ٢٦٥، نهاية الأرب ٤/ ٦٨. والأبيات في أبي العيناء البصري/ قطعة ٨.

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٦ مادة (دير مرماري)، الديارات للشابشتي ١٦٣ـ ١٧١، الديارات لابي الفرج ١٥٨ـ ١٦٠، البدور المسفرة ٢٠ـ ٢١ .

فقال: هو الآن في ديني.

فضحك المعْتز. ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات. وكان من أنظف طعام في أنظف آنية. فأكلنا منه وغسلنا أيدِيَنا. فقال لي المعتزُّ: قل له بينك وبينه من تحبُّ أن يكون معك من هذين ولا يفارقك.

فقلت له.

فقال: كلاهما. فضحك المعتزّ حتّى مال من الضحك. ولَحِقَنا الموكبُ، فارتاع، فقال له المعتزّ: بحياتي عليك لا تنقطع عما /٢٠٧/ كنا فيه، فإنني لمن ثَمَّ مولًى ولمن ههُنا صديقٌ! فمزحنا ساعة. ثم أمر له المعتزّ بخمسين ألف درهم.

فقال: لا والله، لا قبلتُها إلا على شرط!

قال: ما هو؟

قال: يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع مَن أراد.

قال: ذلك إليك. فاتعدنا ليوم جئناه. فلم يُبق غاية، وقام بالموكب كله. وجاء بأولاد النصارى، فخدموا أحسن خدمة. وسُرَّ سرورا ما رأيتُه سُرَّ مثله قطُّ. ووصله ذلك اليوم بمال كثير.

دير سرجيس[١] ـ وهو بِطيزَنَاباذَ[٢]. بين الكُوفة والقادسيَّة، على حافَة الطريق. وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر. وكان بهذا أحدَ البقاع المعمورة، ونُزَهِ الدنيا التي تبتهج بها القلوب المسرورة.

قال الشابشتيّ: وقد عَفت الآن آثارها، وهُدمت دياراتها.

قلتُ: وبلغني أن ديارها خربت، ولم يبق من رسومها إلا قِبابٌ خَراب، وجرنٌ على قارعة الطريق في القفر اليَبَاب.

قال الشابشتيّ: ويسميه الناس مِعصرة أبي نُوَاس. وله فيه[٣]: [من البسيط]

قالوا: تنسَّكَ بعد الحَجِّ! قلتُ لهم: أرجـو الإلـهَ وأخـشـى طِـيـزَنـابـاذَا

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٣٣، معجم البلدان ٢/ ٥١٤ مادة (دير سرجس وبكس).

(٢) طيزناباذ: قرية بين الكوفة والقادسية على ميل منها، على حافة الطريق على جادة الحاج، وكانت من أنزه المواضع، محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكانت أحد المواضع المقصودة للّهو والبطالة، وهي الآن خراب لم يبق لها أثر.
انظر: معجم البلدان ٣/ ٥٧٠ مادة (طيزناباذ)، مروج الذهب ٦/ ٣٠٥.

(٣) ديوانه ١٩٨ـ ١٩٩.

أخشى قُضَيِّبَ كرم أنْ ينازِعَني فضْلَ الخِطَام، إذا أسرعتُ إغذاذا
فإن سَلِمتُ ـ وما قلْبي على ثقةٍ من السَّلامة ـ لم أَسْلم ببغداذا
ما أبعدَ الرشدَ من قلبٍ تضمَّنهُ قُطْرَبُّلٌ فَقُرى بنَّا فكَلْواذا

وفيه يقول الحسين بن الضحاك[1]: [من الكامل]

أَخَوَيَّ، هُبَّا للصَّبُوح صَبَاحَا! هُبَّا ولا تَعِدَا النَّدِيمَ رَوَاحا
هل تَعْذِران بدير سَرْجس صاحِباً بالصَّحْو، أو تَريَانِ ذاك جُناحا؟
إني أعيذُكُما بأُلفةِ بينِنا أن تَشْرَبا بقُرى الفُرات قَراحا
/٢٠٨/ يا رُبَّ ملتَبِسِ الجُفُونِ بنومةٍ نَبَّهتُه بالراح حِينَ أراحا
فكأنَّ رَيّا الكاسِ حينَ نَدَبْتُهُ للكأس أنهضَ في حَشَاه جباحا
فأجابَ يعثرُ في فُضُول رِدَائه عَجْلانَ يَخْلِطُ بالعِثَار مُزاحا
فهَتَكْتُ ستْر مُجُونه بتَهتُّكي في كل مُلْهِية وَبُحتُ وَباحا

ديارات الأساقف[2] ـ قال الشابشتيّ: هذه الديارات بالنَجَف، ظاهرَ الكوفة، في أوّل الحيرة. وهي قِباب وقصور، تسمى ديارات الأساقف، بحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخَصِيب، وعن شماله السَّدِير. والديارات بين ذلك.

قال: وقصر أبي الخَصِيب هذا، من أحسن متنزهات الدنيا، مُشْرفٌ على النَّجَف والظهر كله. يُصعد من خمسين مَرْقاة إلى سطحٍ حسنٍ، ومجلس مُشْرِف. ثم يُصْعَد من خمسين مِرْقاة أخرى إلى سطح أَفْيَح ومجلسٍ عجيب الصنعة. وهو منسوب إلى أبي الخَصِيب، مولى أبي جعفر المنصور.

وأنشد في هذه الديارات لعلي بن محمد بن جعفر العلويّ[3] قوله[4]: [من مجزوء الكامل]

---

(١) أشعاره ٣٨ـ ٣٩.

(٢) الديارات للشابشتي ٢٣٦ـ ٢٤٠، معجم البلدان ٢/ ٤٩٨، مادة (ديارات الأساقف).

(٣) علي بن محمد بن جعفر، أبو الحسين العلوي الكوفي الحماني، شاعر، من أهل الكوفة، كان منزله فيها ببني حمان فنسب إليهم، وكان وجيه الكوفة في عصره، وبها وفاته سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م، حبسه الموفق العباسي ثم أطلقه. وكان يقول: أنا شاعر، وأبي شاعر، إلى أبي طالب، كلهم شعراء، وكان شعره مجموعاً في «ديوان»، يظهر أنه بقي حتى القرن التاسع، وذكره صاحب هدية العارفين، ولم يعرف مصيره، جمع شعره د. مزهر السوداني ونشره في مجلة كلية آداب البصرة ثم تصدى لجمعه وتحقيقه د. محمد حسين الأعرجي ونشره أولاً في مجلة المورد البغدادية وثانياً في ديوان ط ببيروت، ترجمته في: سمط اللآلي ٤٣٩، مجلة المورد مج٣ ع٢/ ١٩٩ـ ٢٢٠، ٢٢٧، الأعلام ٤/ ٣٢٤، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٢٨.

(٤) ديوانه ٨٥ ـ ٨٨.

كـم وَقْـفَـةٍ لـك بـالـخَـوَرْ نـقِ لا تُـوازَى بـالـمَـواقِـفْ
بـيـنَ الـغَـدِيـرِ إلـى الـسَّـدِ يـرِ إلـى دِيـاراتِ الأَسـاقِـفْ
فَـمَـدارجِ الـرُّهـبـانِ فـي أطـمـارِ خـائِـفَـةٍ وخـائِـفْ
دِمَـنٌ كـأنّ رِيـاضَـهـا يُـكْـسَـيْـنَ أعـلامَ الـمَـطـارِف
وكـأنَّـمـا غُـدْرانُـهـا فـيـهـا عُـشُـورٌ فـي مَـصَـاحِـفْ
وكـأنَّـمـا أنـوارُهـا تـهـتـزّ بـالـريـح الـعَـوَاصِـفْ
طُـرَرُ الـوصـائِـف يـلْـتَـقِـيـن بـهـا إلـى طُـرَرِ الـوَصَـائـفْ
تَـلْـقـى أوائِـلَـهـا أوَا خِـرُهـا بـألـوان الـزَّخـارفْ
/٢٠٩/ بـحـريَّـةٌ شَـتَـواتُـهـا بَـرّيـةٌ فـيـهـا الـمَـصَـايِـفْ

دير زُرَارة[١] ـ وهو بين الكوفة وحَمَّام أعْيَن، على يمين الحاجّ من بغداد. نَزِهٌ، كثير الحانات والشراب. لا يخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف.

قال الشابشتيّ: خرج يحيى بن زياد[٢] ومطيع بن إياس[٣] حاجّين. فلما قربا من

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٤٧ـ ٢٥٧، معجم البلدان ٣/ ١٣٥ مادة (زرارة)، الديارات لأبي الفرج ٩٤ـ ٩٥.

(٢) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل، شاعر ماجن، يرمى بالزندقة.
من أهل الكوفة، له في السفّاح والمهدي العباسيين مدائح، وهو ابن خال السفّاح أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها، فخرج عنها.
توفي في أيام المهدي نحو سنة ١٦٠هـ/ نحو ٧٧٦م.
ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤/١٠٦، أمالي المرتضىٰ، تحقيق أبي الفضل ١/ ١٤٢ـ ١٤٤، لسان الميزان ٦/٣٥٦، شرح الحماسة للتبريزي ٢/ ١٧٠، ٣/ ٧٥، معجم المرزباني ٤٩٧، ديوان المعاني للعسكري ١/ ١٢٦، ٣١٨، الأعلام ٨/ ٢٤٥، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٢٦ـ ١٢٧.

(٣) مطيع بن إياس الكناني، أبو سلمى: شاعر، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ظريفاً، مليح النادرة، ماجناً، متهماً بالزندقة، مولد ومنشأه بالكوفة وأصل أبيه من فلسطين، مدح الوليد بن يزيد ونادمه في العصر الأموي، وانقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات، وكان صديقاً لحماد عجرد الشاعر، وحماد الراوية، أقام ببغداد زمناً، وولاه المهدي العباسي الصدقات بالبصرة فتوفي فيها، سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٣م، وأخباره كثيرة، وفي شعره ما كان يتغنّى به.
ترجمته في: الأغاني ١٢/ ٧٥ـ ١٠٤، لسان الميزان ٦/ ٥١، أمالي المرتضىٰ ١/ ٩٨، معجم المرزباني ٤٨٠، النويري ٤/ ٦٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٥، الديارات ١٥٩ـ ١٦٦، رغبة الآمل ٨/ ٢٤٨، التبريزي ٢/ ١٦٨، سمط اللآلي ٦٠٠، الأعلام ٧/ ٢٥٥، معجم الشعراء الجبوري ٥/ ٤١٢.

زُرَارة، قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن نقدّم أثقالَنا، ونَمضي إلى زُرارة، ونشرب في ديرها ليلتنا، ونتزوّد من خمرها، ونستوفى من مردها ما يكفينا إلى العودة، ثم نلحق بأثقالنا؟ ففعلا. وسار الناس، وأقاما. ولم يزل ذلك دأْبهما، إلى أن عاد الحاجّ. فحلقا رؤوسهما، وركبا بعيرين، ودخلا مع الحاجّ، على أنهما قد حجّا. وقال مُطيع[1]: [من الوافر]

أَلـم تَـرَنِـي ويَـحْـيـى إذ حـجـجـنـا، وكـانَ الـحـجُّ مِنْ خَـيْـرِ الـتـجـارهْ؟

خـرجْـنـا طـالـبَـيْ خَـيْـرٍ ودِيـنٍ، فـمـالَ بـنـا الـطَّـريـقُ إلـى زُرَاره

فـآب الـنـاسُ قـد غـنـمـوا وحـجُّـوا وأُبـنـا مُـوقَـرَيْـنِ مِـنَ الـخَـسـاره

عُمْر مرتومان[2] ـ وهو بالأنبار، على الفرات. وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلاّيات والرهبان. عليه سور محكم البنيان، كالحصن العظيم. والجامع ملاصقه. وله ظاهر حسن، ولا سيما في أيام الربيع؛ لأن صحارِيَهُ وسائر أرضه تكون كالحُلَل: لكثرة نُوّاره، وطرائف أزهاره. ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء. وفيه يقول كُشاجِمُ[3]: [من الخفيف]

---

(١) شعره.

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٢٥٨ـ ٢٦٤، معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ مادة (دير مريويان).

(٣) محمود بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) ابن السندي بن شاهك، أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم: شاعر متفنن، أديب، من كتّاب الإنشاء. من أهل «الرملة» بفلسطين. فارسي الأصل، كان أسلافه الأقربون في العراق، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد، وزار مصر أكثر من مرة. واستقر بحلب، فكان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله (والد سيف الدولة) بن حمدان، ثم ابنه سيف الدولة. توفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م له «ديوان شعر ـ ط» و«أدب النديم ـ ط» و«المصايد والمطارد ـ ط» و«الرسائل» و«خصائص الطرب» و«الطبيخ» ومن أجلّ كتبه كتابه الأخير، قيل: كان ـ في أوليته ـ طباخاً لسيف الدولة. ولفظ «كشاجم» منحوت؛ فيما يقال، من علوم كان يتقنها: الكاف للكتابة، والشين للشعر، والألف للإنشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق؛ وقيل: لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جميلاً مغنياً؛ وتعلم الطب فزيد في لقبه طاء، فقل «طكشاجم» ولم يشتهر به.

ترجمته في: الديارات للشابشتي ١٦٧ـ ١٧٠، وشذرات الذهب ٣/ ٣٧ وهو فيهما «محمود بن الحسين» كما في فهرست ابن النديم ١٣٩ طبعة فلوجل، و٢٠٠ طبعة مصر. وهو في الشذرات، من وفيات سنة ٣٦٠ وفي حسن المحاضرة ١/ ٣٢٢ من وفيات ما بين سنة ٣٤٥ و٣٥٤ وسماه «محمود بن محمد بن الحسين» ويرجع هذه التسمية أن جده «السندي بن شاهك» كان صاحب الشرطة في عهد الرشيد العباسي، ووفاة الرشيد سنة ١٩٣ فلا بد من أبوين على الأقل لملء المدة بين صاحب الترجمة والسندي؛ إلا أن المصادر الأخرى متفقة على تسميته «محمود بن الحسين» وكذلك ورد اسمه في مقدمة نسخة قديمة من ديوانه، كتبت سنة ٥١٤ كما في Princeton 9، =

أَغْـدُ يـا صـاحِـبـي إلـى الأنْـبـارِ، نَـشْـربُ الـراحَ فـي شَـبَـابِ الـنـهـارِ!
واعـمُـر الـعُـمْـر بـالـلَّـذاذةِ والـقَـصْـفِ وحَـثِّ الـكـؤوسِ والأوتـارِ!
فـاغـتَـنِـمْ غَـفْـلَـة الـزمـانِ وبـادِرْ واقْـتَـرِضْ لَـذَّة الـلـيـالِـي الـقِـصـارِ!
لا تُـفَـرِّط فـإنـهـا خُـلَـس الـعَـيْـ ـش وبـادِرْ بَـوَادِرَ الـمِـقْـدارِ!

/٢١٠/ وأنشد الشابشتيّ له فيه يصف عوداً في يد محسنة[١]: [من المنسرح]

جـاءتْ بـعُـودٍ كـأنّ نَـغْـمَـتُـه صَـوْتُ فـتـاةٍ تَـشْـكُـو فِـراقَ فـتـى
دارتْ مَـلاوِيـهِ فـيـه واخـتَـلَـفَـتْ مِـثْـلَ اختلاف الـكَـفَّـيْـنِ شُـبِّـكـتـا
يـا حُـسْـنَ صَـوْتَـيْـهـمـا، كـأنـهـمـا أُخْـتـانِ فـي صَـنْـعـةٍ تَـراسـلَـتَـا
وهـو عـلـى ذا يـنـوبُ إن سـكَـتَـتْ عـنـهـا، وعـنـه تَـنُـوب إن سَـكَـتـا

دير الأبلق[٢] ـ وهو بالأهواز. وحكى المدائني، قال: إنه اصطبح في دير الأبلق في جماعة من أصحابه، فلما سكر قال: [من السريع]

يَـوْمِـي بـدَيْـرِ الأبـلـقِ الـفَـرْدِ مـا أنـتَ إلا جـنّـة الـخُـلْـدِ
بـه وأمـثـالٍ لـه لـم يَـزَلْ يـجـوّز الـعِـيـسَ أبـو الـهِـنـدِي

[عُمْر إتراعيل[٣]. والشاهد فيه مار ميخائيل.

قال ابن المستوفي[٤]: بينه وبين كفر عزّى أقل من ميل. وهو عمار كبير وفيه

= وانظر ما كتبه أسعد طلس، في مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/ ٢٨٨ وفي مقدمة المصايد والمطارد، وما كتبه يوسف العش في مجلة المجمع العلمي العربي ١٨/ ١٨٤ وولفنسون في المجلة نفسها ١٨/ ٢١٠ ويستفاد من التاج ٩/ ٤٦ أن «كشاجم» بضم الكاف، وفتحها بعضهم. ونقل حبيب الزيات، في مجلة المشرق ٣٥/ ١٨٢ عن مخطوطة اطلع عليها أن ابناً لكشاجم، اسمه «أحمد» كان يقرأ فص الخاتم باللمس دون الرؤية ـ قبل اختراع قراءة العميان ـ وقال في **ترجمته**: أحمد بن محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك بن زادان بن شهريار، أبو الفرج ابن أبي الفتح كشاجم. أعلام الحضارة العربية الإسلامية ٢/ ٤٧١، الأعلام ٧/ ١٦٨، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٣٢٣.

(١) ديوانه ـ محفوظ ٧١/ ٧٢.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٦ مادة (دير الأبلق).

(٣) العُمْر: لفظة سريانية (عمرا) بمعنى البيت والمنزل، وتطلق على الدير وجمعها: أعمار.

(٤) المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي: مؤرخ، من العلماء بالحديث واللغة والأدب. كان رئيساً جليلاً، ولد بإربل، سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م، وولي فيها استيفاء الديوان ثم الوزارة. واستولى عليها الصليبيون. فانتقل إلى الموصل، وتوفي بها سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م له «تاريخ إربل ـ ط» المجلد الثاني منه، قام بتحقيقه د. سامي الصفار ببغداد، والمجلد الرابع منه، في شستربتي (٤٠٩٨) وهو آخر أجزائه، و«النظام في شرح شعر المتنبي =

رُهبان كثيرة، وله نهر يجري على بابه وكرم وشجر في شرقيه، ورحًى عامرة تطحن فوق الكرم. وبإزائه تلٌّ دير زارج، إذا صعده الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حزة. وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأقاحي والشقائق وصنوف النور والزهر... يسرّ الناظرين ويقصر وصف الواصفين. وفي قلاليّ رهبانه جنينات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك.

قال: وحدثني محمد بن حمد الأصم، قال: كنتُ بكفر عزّى، فنزحتُ مع جماعة فيهم خيرٌ نلتمس موضعا نزها نجلس فيه ونقصف. فأجمع رأينا على قصد دير إتراعيل - وهو من كفر عزى على ميل - في أيام الربيع، فرأيناه في نهاية الحسن بما حوله وفيه، وهو مشرف على بلد حزة كله، فنزلناه وقصفنا فيه أياما متتابعة، وقلتُ فيه هذه الأبيات: [من مجزوء الوافر]

عَمَرنا عُمْرَ إتراعيلَ   بالقَصْفِ وباللّعِبِ
بِفتْيانٍ ذوِي شَرَفٍ   وقَدْرٍ وذَوِي لُبٍّ
بغَوْا في كفرِ عزى نُزْ   هةً تبعثُ للشُّرْبِ
فوافَوْا جَنَّةً منْ عُمْـ   ـرِ إتراعيلَ عنْ قُرْبِ
وقد حُفَّ بكَرْمٍ و   بأشجارٍ له غُلْبِ
وأنهارٍ يحاكي جر   يُها مسلولةَ القُضْبِ
وروضٍ راضهُ المُزْنُ   فأضحى وهو كالعَصْبِ
رأَوْهُ كعروسٍ جُلِيَتْ فـ   ـي حُلَلٍ قُشْبِ
فخلُّوا منه في منز   لِ لهوٍ مُونِقٍ رَحْبِ
ودارت نُجُبُ الأبطا   لِ مَجَّتْ بحلى الشُّرب
على أوجهِ أعمارٍ   على قُضُبٍ على كُثُبِ
فما ظنُّك بالعطشا   نِ عندَ المَكْرَعِ العذبِ؟

= وأبي تمام - ط» بتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان، بغداد ١٩٨٩- ٢٠٠١م، و«ديوان شعر».

ترجمته في: بغية الوعاة ٣٨٤ والوفيات ١/ ٤٤٢ والحوادث الجامعة ١٣٥ والتكملة لوفيات النقلة - خ. الجزء الخامس والخمسون. وانظر Brock.S.1:496، الأعلام ٥/ ٢٦٩، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٢٦٣.

قال فانصرفنا بعد أيام، وكلّنا يودّ أن لا يزول منه: لطيبِه وحسنِه.

قال ابن المستوفي: وليس بهذا الدير الآن شجر ولا ماء على بابه. وفيه بِيعة حسنة وقناة قديمة ورحاه باقية، والماء الذي يدير... بعيد عن الدير؛ وفي كل عيد من أعياد النصارى يقام بهِ سوق وتخرج إليهِ جماعة من إربل، ويزوره خلق من النواحي يكونون فيه مدّة يومين أو أكثر وينصرفون عنه.

دير باقوقا ـ ذكره ابن المستوفي في تاريخ إربل، قال: وهو إلى الآن باق، وفيه رهبان كثيرة.

ذكر الشمشاطي[1] أنه وراء الزابي وله مزرعة إلى جانب داري وفيها بساتين وفيها تين أسود كبير. وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ. وهو دير كبير. وكان أنشدني فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب: [من الوافر]

نـزلْـتُ بـدَيْـرِ بـاقُـوقَـا وفـيـهِ ... مـن الـرُّهْـبـان لـي خِـدْنٌ مُـقـيـمُ
فـألـحـقـنِـي بـصـهـبـاءٍ شَـمـولٍ ... يـفـوحُ بـعَـنْـبـرٍ مـنـهـا الـنـسـيـمُ
ونـادمَـنِـي بـرُهْـبـانٍ مـلاحٍ ... وفـيـهـم شـادنٌ حَـسَـنٌ رخـيـمُ
وسِـرْنـا عـنـه والأهـواءُ فـيـه، ... وهـل شـيءٌ مـن الـدنـيا يَـدُومُ؟][2]

/ تتمة ٢١٠/ دير سعيد[3] ـ وهو بالجانب الغربيّ من الموصل. مطلٌّ على دجلة، حسن البناء. حوله قلال كثيرة، حسنة العمارة، ظاهرة النضارة. في كلِّ قلاّية منها جنينات لرهبانه، فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر. كثير النرجس. وهو يقارب تل

---

(١) علي بن محمد الشمشاطي العدوي، من بني عدي، من تغلب، أبو الحسن: عالم بالأدب، من الندماء. له اشتغال بالتاريخ، وشعر. أصله من شمشاط (بأرمينية)، اشتهر في الجزيرة، واتصل بآل حمدان، فكان مؤدب ابني ناصر الدولة ابن حمدان. ثم نادمهما، توفي بعد سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. له تصانيف، منها «النزه والابتهاج» مجموع كالأمالي، و«الأنوار في محاسن الأشعار ـ خ» و«الديارات» كبير، و«أخبار أبي تمام والمختار من شعره» و«تفضيل أبي نواس على أبي تمام» و«المثلث» في اللغة، على حروف المعجم، و«مختصر تاريخ الطبري» حذف منه الأسانيد وزاد عليه من سنة ٣٠٣هـ إلى زمنه، و«رسائل» بعث بها إلى سيف الدولة.
ترجمته في: إرشاد الأريب ٥/ ٣٧٥ والنجاشي ١٨٦ ومعجم البلدان ٥/ ٢٩٤، وBrock.S.1:251، وفي مذكرات الميمني ـ خ، ذكر نسخة من كتاب «الأنوار ومحاسن الأشعار» لصاحب الترجمة، في ٢٠٥ ورقات، لعلها الجزء الثاني منه، في خزانة طوبقبو سراي، باستنبول، الرقم ٢٣٩٢ قال الميمني: صالح للنشر. الأعلام ٤/ ٣٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٣٨ـ ٣٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، واتممناه من نسخة بودليان.

(٣) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٥ـ ٥١٦ مادة (دير سعيد).

باذع. وتراه في الربيع كالوَشِي المُلَمَّع، والحَلْي المرصَّع. وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك بن مَرْوان. أصحُّ ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتعهَّده أيام إمارته بالموصل.

ويقال: إن لترابه أثرا في دفع أذى العقارب، وإن ماءه إذا رُشَّ في دارٍ، قَلَّت العقارب بها.

وحُكي أن رهبانه أُلْزموا في وقتٍ بجباية، فقاموا بثلثمائة ألف درهم.

وللخالدي فيه شعر. منه(١): [من الوافر]

ألاَ فاسْتَرْزِقِ الرحمنَ خيرا وسِرْ بالكأسِ نحْوَ السُكْر سيْرا
فأيَّامُ الهُموم مُقَصَّصاتٌ وأيامُ السُّرُورِ تَطِيرُ طَيْرا

وله فيه(٢): [من الخفيف]

/٢١١/ سَعِدَتْ صُحْبَتِي بديرِ سَعيد يومَ عيدٍ في حُسْنه ألفُ عيدِ
كم فَتَاةٍ مِثْل المَهَاة، سلَبْنا ها صَلِيباً من بَيْن نَحْرٍ وجِيدِ
وغَريرٍ مثلِ الغَزَال حلَلْنا عَقْدَ زُنَّارِ خَصْرِهِ المَعْقُودِ
وحطَطْنا رِحالَنا بِفِناءِ الهَيْـ ـكَل المُونِق البَديع المَشِيدِ
والرَّوابي مُشَهَّراتٌ كغِلْما نٍ لَنا في مُحَبَّرات البُرودِ
فخدودٌ مثلُ الشَّقائِق في اللَّوْ نِ تَلِيها شَقَائِقٌ كالخُدُودِ
وإذا ما الهَزَارُ غرَّد في الغُصْـ ـنِ، حَكَتْهُ الأوتارُ في التغريدِ
مَن رآنا ـ ونحن في الأرض صَرْعى ـ قال: قومٌ مَوْتى بغَيْرِ لُحُود

وله فيه(٣): [من المنسرح]

قامَرَ بالنفْسِ في هَوى قَمَرٍ ونالَ وَصْلَ البُدُور بالبِدَرِ
وافتَضَّ أبكارَ لَهْوِه طَرَبا بينَ عَشَايا المُدام والبُكَرِ
من لم يَدُر في رُبى الحَدَائِق مِنْ دَيْرِ سَعيدٍ، رحاهُ لم تَدُرِ
مَسَرَّةٌ كلُّها بلا حَشَفٍ ولَذَّةٌ صَفْوُها بلا كَدَرِ
قد ضُرِبَتْ خَيْمةُ الغمام لَنا ورُشَّ خيْشُ النسيم بالمَطَرِ
وعِنْدَنا عاتِقَانِ حُمْراءُ كالشـ ـمس وأُخْرى صَفْراءُ كالقمرِ
يا تاركاً طِيبَ يَوْمِه لِغَدٍ! تَبيع عَيْنَ السُّرُور بالأثرِ؟

(١) ديوان الخالديين: ٥٥.
(٢) ديوان الخالديين: ٤٨ـ ٤٩.
(٣) ديوان الخالديين: ٥٨ـ ٦٠.

وقوله(١): [من المنسرح]

قد طَفَح القلْبُ بالهُموم فإنْ ... طُفتْ بكأسٍ، فهاتِها تَطْفَحْ!
في جُنْح ليلٍ تُرى كُواكِبُهُ ... وهْي إلى الغَرْب، كلُّها جُنَّحْ
/ ٢١٢/ نَراكَ تَنْسى سُرورَ يومِكَ في ... دَيْرِ سعيدٍ وظِلُّه الأفْيَحْ
على بِسَاطٍ من البَنَفْسَج قد ... أُلْقي من الوَرْدِ فَوْقَه مَطْرَحْ
وكأسِ راحٍ يُديرها قَمرٌ ... لِحاظُه في قُلوبِنا تَجْرَحْ
قد كان فيما مضى يُعرِّضُ ... بالوصْلِ، ولكِنْ أَراه قد صَرَّحْ

وقوله(٢): [من الهزج]

فكَمْ مِنْ رَوْحَةٍ والشَّـ ... ـمْس لم تَدْنُ لتطفيلِ
إلى دَيْرِ سعيدٍ أو ... إلى دَيْرِ مَخَائِيل
بِسَاق كَمَهاةٍ مُغْزِ ... لٍ أدماءَ عُطْبُول
تَرى في وجْهه وَجْهَ ... ك للرِّقَّة مِن مِيلِ
فأَجْراهَا كخَلْخَالٍ ... من الياقُوتِ مَفْتُولِ
شَرِبْناها على أوجـ ... ـهِ حورٍ كالتماثيلِ
إذا شئْنَ تمَنْطَقْنَ ... جَمِيعاً بالخَلاخِيلِ

قال الخالديّ: وأنشدني السريّ الرّفاء(٣) لنفسه فيه(٤): [من الكامل]

---

(١) ديوان الخالديين: ٤١.

(٢) ديوان الخالديين: ٨٤ ـ ٨٥.

(٣) السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن: شاعر، أديب من أهل الموصل. كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بها، فعرف بالرفاء. ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة. ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد. ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان (محمد وسعيد ابنا هاشم) وكانت بينه وبينهما مهاجاة فآذياه وأبعداه عن مجالس الكبراء، فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة (النسخ والتجليد) فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة. وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م وكان عذب الألفاظ، مفتناً في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رواء ولا منظر. من كتبه «ديوان شعره ـ ط» و«المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ـ ط».

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١/ ٢٠١ ويتيمة الدهر ١/ ٤٥٠ ـ ٥٣٠ ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٨٠ وتاريخ بغداد ٩/ ١٩٤، وكشف الظنون ١٦١١، والأعلام ٣/ ٨١، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٤) ديوانه ٣١٥ ـ ٣١٦ ط صادر.

وقَلاَلِيُ الدير الذي لَوْلا النَّوى لم أَرْمِها بِقِلًى ولا بِعُقُوقِ
محمرَّة الحِيطانِ يَنْفَح طِيبُها فكأنَّها مَبْنِيَّةٌ بخَلوقِ!
فمتى أزورُ بَناتِ مُشرفَةِ الذُّرى، فأرُودَ بين النَّسْرِ والعَيُّوقِ؟
وأرى الصَّوامع في عَوارِبِ أُكْمِها مثلَ الهَوادِجِ في غَوارِب نُوقِ؟
حُمْرٌ تلوح خِلالَها بِيضٌ كما فَصَّلْتَ بالكافُورِ سِمْطَ عَقِيقِ

وحكى ابن المستوفي في تاريخ إربل، في ترجمة أبي حفص، عمر بن محمد بن الشِّحنة الموصليّ النحويّ، أنه نقل من مجموع بخطه، قال: كنتُ في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل، يعرف بدير سعيد. وكان فيه راهب من النُّبل، كنتُ آوِي إليه إذا جئتُ الدير. فاتَّفق في ذلك اليوم أني خرجتُ من قلايته إلى بستان الدير ومعي جماعة من الكتَّاب، كنت آنس بهم. ونحن على لذتنا، وإذا قد أتانا رجُلٌ، فجلس واندفع يغنِّي، ويقول هذا الصوت في الموضع الفلانيّ، ليرينا أنه يعرف صنعة الغناء. فأبرمني وأبرم الجماعة، واستثقلناه. فسألني بعض الجماعة أن أقول فيه على طريق العَبَث شيئاً. فعملتُ في الحال: [من الطويل]

ثقيلٌ يُصِمُّ السمعَ من قُبْح صَوْتِهِ وتعمى له أبصارُنا والبَصائِرُ
ولو لَم يكُنْ فوقَ البَسِيطةِ لم تَزَلْ مُزلْزَلةً بُطْنانُها والظواهِرُ
تغنّى فقلنا: هاتِفُ البَيْنِ قد دَعَا بفُرْقَتِنا أو رَيْبُ دهرٍ مبادرُ
فيا ليتَ أن الله لم يكُ خالِقي ويا ليْتَه دارَتْ عليه الدوائرُ

الدير الأعلى[1] - وهو بالموصل، في أعلى جبل، تُطِلّ على دِجلة. يضرب المثل به في رقة الهواء، وحسن المُستشرَف تحته. والجزائر تتفرق خُلْجانها وغُدْرانها بإزائه. ولم تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلى الماء. ويقال: إنه ليس للنصارى دير مثله. وظهر عنده معادن الكبريت والمرقشيثا والقلفطار وأشياء من هذه الأنواع. ثم صانعت النصارى /٢١٣/ حتى أُبطِلَتْ، خوفاً من تثقيل السلطان.

قال جعفر بن محمدٍ الفقيهُ: اجتاز بنا بعضَ السنين أبو الحسين بن أبي البغل[2]،

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ١٧٦ـ ١٨٠، وذيله ٣٧٤ـ ٣٧٥، معجم البلدان ٢/ ٤٩٨ـ ٤٩٩ مادة (دير الأعلى)، والديارات لأبي الفرج ٤٤ـ ٤٧.

(٢) محمد بن أحمد بن يحيى، أبو الحسين، ابن أبي البغل، ولي ديوان الخراج والضياع بأصفهان سنة ٣٠٠هـ، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً، وشاعراً مجوّداً.
ترجمته في: معجم الأدباء ط الغرب ـ بيروت ٦/ ٢٤٣٨، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء للصابي ٥١، ٢٩١ـ ٢٩٩.

فنزلت عليه، وخرجتُ في غد يوم نزوله إليه. فجعل يصف من طيب الهواء فيه وطيب قِراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدني لنفسه فيه شعراً:

ولستُ أرضاه.

ومما قال الخالديّ فيه[١]: [من الكامل]

واستَشْرفَتْ نفْسِي إلى مُسْتَشْرَفٍ ... للدير، تاهَ بحُسْنه وبطيبِهِ
مُتَفَرِّق آذِيّ دَجْلةَ تحتَهُ ... بغَدِيره وخليجِه وقليبِهِ
فَنَعِمتُ بين رِيَاضِه وغِياضِه ... وسَكِرْتُ بين شُرُوقِه وغُرُوبِهِ
غنَّى الجَمَالُ به فزاد الثَّغْرُ من ... تفْضيضه، والخَدُّ من تَذْهيبِهِ
واهتَزَّ غصنُ البانِ في زُنّاره ... وأضاء جِيدُ الرِّيم تحتَ صَليبِهِ

وله[٢]: [من المتقارب]

فتكْتَ! فلا تأخُذَنْ مَنْ فَتَكْ ... بما أخَذَ الجهلُ أو ما تَركْ
أَدِرْها! ألَسْتَ تَرى الديرَ في ... بدائِعَ من حُلَلٍ لم تُحَكْ؟
وبين البُكُور وبين الغُرُوبْ ... وبينَ الرِّياض وبينَ البِرَكْ،
غِناءٌ تُشَدُّ إليه الرِّحال، ... بلَحْنٍ تُحَلُّ عليه التِّكَكْ

دير مار مخايل[٣] ـ وهو على ميل من الموصل. يركب دجلة في بقعة حسناء. يُطِلّ على كروم وشجر. برّيّ بحريّ، سُهْليّ جبليّ. وبه قَلاَليّ كثيرة في غاية الظَّرف، محفوفة بأنواع الشجر، وأصناف الزهَر. وله عيد يكون قبل الشعانين بأسبوع. تخرج إليه النصارى بنسائهم وصبيانهم. ويمرّ لهم فيه يوم وليلة، تتجاوب فيه ألحان الأغاني وقراءة الرهابين.

وحُكي أنه أريد به حفر بئر في بعض قلالِيّه، فأفضى الحفر إلى /٢١٤/ صندوق من حجر. فكشف، فإذا فيه ميِّت لم يتغير من جسمه شيء، وإذا ثيابه صحيحة. وعند رأسه صحيفة من صُفر فيها كتابة قديمة لم يقفوا على قراءتها، ولكنهم علموا أن فيها ذكره. وقصد المسلمون انتزاعه منهم. ثم دارت النصارى حتى خُلِّيَ لهم، فردّوه إلى مكانه، وعفَّوْا أثره.

---

(١) ديوان الخالديين ٢٩.

(٢) ديوان الخالديين ٧٧.

(٣) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٠ مادة (دير بانخايل)، و٢/ ٥٣١ مادة (دير مانخايل) و٢/ ٥٣٨ مادة (دير ميخائيل).

قال الخالديّ: والذي يُظنُّ أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام وأنه هرب بدينه، فمات في هذا الموضع، ودُفن فيه.

قال: وبين هذا الدير وبين الموصل وادٍ يُعرف بوادي زَمَّار، عليه رابية تُعْرف برابية العُقاب، تُشرف على دجلة والبساتين والجزائر والنهر. وهي غاية في الربيع. وقال فيه[1]: [من المتقارب]

ألَسْتَ تَرى التلّ يُبدِي لنا ... طَرائِفَ مِنْ صُنْعِ آذارِهِ؟
وقدْ نقّطَ الزهْرُ خَدّ الثَّرى ... بِدِرْهَمِهِ وبِدِينارِهِ
وكتّب في لازُوَرْد الدُّجى ... بِزَنْجُفْرِه وبِزِنْجارِهِ
فلا تَلْقَ كأساً بتأخِيرِها ... ولا يومَ لهوٍ بإنظارِهِ

قال: وكان جحظة قد أنشدني لنفسه في دير العَلْث قوله[2]: [من البسيط]

سَقْياً ورَعْياً لدير العَلْثِ من وَطَنٍ! ... لا ديْرِ حَنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْراح
أيامَ، أيامَ لا أصْغى لعاذِلةٍ، ... ولا تردُّ عِنانِي جَذْبةُ اللاحِي

فاستحسنتُها، وذكرتُ قول أبي نُوَاس في دير حنَّة، وهي في عروضها وقافيتها، فقلتُ[3]: [من البسيط]

مَحاسِنُ الدَّير تَسْبِيحِي ومِسْباحِي، ... وخمرُه في الدُّجى صُبْحي ومِصْباحِي
بُسْط البَنَفْسَج... تبسَّطُ في ... صُحُون آسٍ وخَيْرِيّاتِ تُفّاحِ
بدائعٌ لا لدَيْرِ العَلْثِ هُنَّ ولا ... لدَيْرِ حَنَّةَ من ذاتِ الأُكَيْراحِ
حتّى تخَمّرَ خَمّارى بمَعْرِفَتي ... وحبَّرَتْ مُلَحِي بالسُّكْر مَلاّحِي
/٢١٥/ أبا مَخايَالَ، لا تعدَمْ ضُحًى ودُجًى ... سِجالَ كلِّ مُلِثٍّ الودَقْ سَحّاح
فإنْ أُقِمْ سُوقَ إطرابي، فلا عَجَبٌ ... هذا بذاكَ إذا ما قامَ نُوَّاحي!

قال: وكان في هذا الدير خمَّار، يقال له الحارث، ويكنّى أبا الأسد، معروف بجَوْدة الشراب؛ وكان المُجّان من أهل الموصل يقصدونه.

وكان له ابن حسن الوجه، مهَفْهَف القَوَام، خفيف الروح، يقال له عبد المسيح،

---

(١) ديوان الخالديين ٦٢.
(٢) ديوانه ٦٧.
(٣) ديوان الخالديين ٣٧ـ ٤٠.

يسقينا ومعنا مغنٍّ مليحُ الغِناء، غنّانا في شعر حسّان بن ثابت[1]، قوله[2]: [من المنسرح]

أُنظر خَلِيلي ببطنِ جِلِّقَ هل تُؤْنِسُ دون البَلْقاء من أحدِ؟

وهو صوت معروف في الأغاني. فاستحسنّاه، وكان معنا كاتبٌ، له عليّ ايادٍ، فقال لي: أُحِبُّ أن تعمل في عروض هذا الشعر شعرا تذكر فيه يومنا. فقلتُ[3]: [من المنسرح]

لا وجُفُونٍ تَنُوس في العُقَدِ وحُسْنِ ثغرٍ يلوح كالبَرَدِ
لا كنتُ ممن يُضِيعُ أدْمُعَه بيْنَ الأَثَافِي والنُّؤْي والوتدِ
أحْسنُ من وَقْفةٍ على طَلَلٍ قَفْرٍ وزَجْرِ العَيْرانة الأُجُدِ
كأسُ مُدام جَلاَ المديرُ بها أُمَّ الليالي وجَدَّة الأَبَدِ
نشربها شُعْلةً بلا حَرَقٍ ونَجْتلِيها رُوحاً بلا جَسَدِ
هلْ أحدٌ نالَ مِثْل لَذّتنا؛ يا بَا مَخايَالَ ليلَةَ الأحدِ؟
سَقْياً لماخُورِ حارتٍ ولما خُصَّ به من مَحَاسِنٍ جُدُد
قلتُ له وابْنُه يَطُوف بها عُمْرُك فينا عِمارةُ البلدِ
بابنِكَ ذا في جمال صُورتِهِ صِرْتَ أبا الظَّبْي لا أبا الأَسَدِ
هاتِ اسقِنِيها فإنْ سَفَكْتَ دمي! فما بقَتْلي عليْكَ من قَوَدِ

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته. لم يشهد مع النبي مشهداً، لعلة أصابته. وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وكان يضرب بلسانه أرنبة أنفه من طوله. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية. وشاعر النبيّ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرد (في الكامل): أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حَرام. توفي في المدينة سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م. وفي «ديوان شعره ـ ط» ما بقي محفوظاً منه. وقد انقرض عقب حسان. ومما كتب في سيرته وشعره «أخبار حسان» للزبير بن بكار، و«حسان بن ثابت ـ ط» لحنا نمر، ومثله لخلدون الكناني، ومثله لفؤاد البستاني.

ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٧ والإصابة ١/ ٣٢٦، وابن عساكر ٤/ ١٢٥، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٠٩، وخزانة البغدادي ١/ ١١١، وذيل المذيل ٢٨ والأغاني طبعة الدار ٤/ ١٣٤، وشرح الشواهد ١١٤، وابن سلام ٥٢، والشعر والشعراء ١٠٤، وحسن الصحابة ١٧ ونكت الهميان ١٣٤، دائرة معارف القرن العشرين، وشرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ط ـ بيروت وفيه ولادته ٥٤٠ ووفاته ٦٧٠م الموسوعة الموجزة ٦/ ١٤٢، الأعلام ٢/ ١٧٦، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٧ـ٢٨.

(٢) ديوانه ١/ ٢٧٩. (٣) ديوان الخالديين: ٥٠.

/٢١٦/ فأقمنا يومنا ذلك، وبتنا. فلما أصبحنا، أراد الكاتب الموصليّ أن يذهب. وكان اليوم حسناً لرقة غينه، وملاحة صحوه. وكان للرجل غلام يحبُّه، فأراد الركوب إلى ديوانه، فأنشدتُه أبيات شعر قُلتُها. فأمر بحطّ سروج بغاله، وأخذنا في شأننا.

ومنها[1]: [من المتقارب]

بِحُمرةِ وجهٍ لذاك الهلالِ ... وفترةِ مُقلةِ ذاك الغزالِ
صِلِ اليومَ بالأمسِ، إنّي أرى ... له بالسُّعُودِ وجُوهَ اتِّصالِ
هواءٌ صَفَا، وهوًى مِثْلُهُ ... كخَمْرِ دلالٍ وماءٍ زُلالِ
وغيمٌ توهُّمُه كالنَّوى ... وصحوٌ حقيقتُه كالمُحالِ
ومِثْلُ اليَواقِيتِ زَهْرُ الرُّبى ... وقَطْر النَّدى بينها كالـلآلي
إذا ما دَنَتْ شمْسُه للذُّبو ... ل، أشْرق نُوّاره كالذُّبَالِ
وذا الديرُ تَسْعى بِغزْلانِهِ ... شَعانِينُه في صُنُوف الجَمَالِ
وصَفْراءُ بائعُها خاسِرٌ، ... ولو حازَ عن قَدَحٍ بيتَ مالِ
أيا يا مخايالَ أَفْدى ثَراك ... بنَفْسِي، ومالِي، وعمِّي، وخالِي
فكَمْ سَكرة لِيَ قَبْلَ الأذا ... نِ بيْنَ دوالِيبه والدَّوالِي
تَجُول خُيولُ دوالِيبِها ... فتَمْلأُ مَاوَرْدَ ذاك المَجَالِ

وقوله فيه[2]: [من البسيط]

بَامخايَالَ إن حاوَلْتُما طَلَبِي ... فأنْتُما تَجِدانِي ثَمَّ مَطْرُوحا
يا صاحبيَّ هو العُمْر الذي جُمِعَتْ ... فيه المُنى، فاغْدُوَا للديرْ أو رُوحا
بَرٌّ وبَحْرٌ به يُهدِي نَسِيمُها ... للرُّوحِ مِسْكاً بماء الوردِ مَنْضُوحا
يجرُّ صيَّادُه الشَّبُّوطَ مُضْطرِباً ... حَيًّا، وقانِصُهُ اليعفورَ مذبوحا

[وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشِّحنَة الموصليّ النحويّ، من قصيدة:

واعْمِدْ إلى مَرْ مخائِيلٍ فإنّ بهِ ... مَحاسِناً لسُرُورِ النفْسِ مِفْتاحُ
كم فيهِ من أشْعثٍ بادٍ شُحُوبَتُهُ ... تَهْفُو له بِنْتُه تلكَ الأُكَيْراحُ

وفيه يقول أيضاً: [من الكامل]

يا مَرْ مخائِيلٍ، وإن بَعُد المَدى، ... سُقِّيتَ صَوْبَ سحائبٍ وبَوَارِقِ

(١) ديوان الخالديين ٨٣ ـ ٨٤.
(٢) ديوان الخالديين: ٣٥ ـ ٣٦.

يـا حـبَّـذا نُـوَّارُ رَوْضِـك إذ غَـدَا   يَـفْـتَـرُّ مـن دَمْـع الـغَـمَـامِ الـدَّافِـقِ
مَـغْنًـى خَـلَـعتُ بـه الـعِـذارَ تـصـابِـيـاً   فـي غُـنْـجِ أحـداقٍ وزُهْـرِ حـدائـقِ
أيـامَ أَجْـرِي فـي مـيـاديـن الـصِّـبـا   مُـتـخـايـلاً جَـرْىَ الـجَـمُـوحِ الـسَّـابِـق

وستأتي القصيدتان، إن شاء الله تعالى، في ترجمته مع النحاة. وبالله التوفيق!][1]

/ ٢١٧/ دير مَتّى[2] ـ وهو بالموصل، من الجانب الشرقيّ، على جبل شامخ، يعرف بجبل مَتّى. يُشرف على رستاق نِينَوى والمرج. وهو حسن البناء، جيد الحصانة. وأكثر بيوته منقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاما، إلا جميعاً: في بيت للشتاء، وبيت للصيف.

ومتى جلس أحد في صحن هذا الدير، نظر إلى الموصل. وبينهما سبعة فراسخ.

وله عدّة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصْمَت. وبه صِهْريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعا: لكل شهر ذراعٌ من الماء. ويفتح هذا الصِّهريج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله. فيخرج ماؤه من أَسَدَيْن من صُفْر. وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله.

وحوله من الأشجار من سائر الثمار. وفي خارجه مغارٌ في الجبل، فيها صناديق من صخر بأطباق لموتاهم، فمتى امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يقرءُون أناجيلهم، ويجمعون العظام البالية منها. ثم تطرح في فجٍّ داخل هذا المغار.

قال: وبتُّ ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، فقلتُ[3]: [من الكامل]

فـلأشـكُـرنّ لـديـر مـتّـى لـيـلـةً   مَـزّقـتُ ظُـلْـمـتَـهـا بـبـدرٍ مُـشـرِقِ
حـتّـى رأيـنـا الـلَّـيـل قَـوَّسَ ظـهـرَه   هَـرَمٌ وأثَّـر فـيـه شَـيْـبُ الـمَـفْـرِقِ

قال: وقرأتُ على باب دهليزه بيتين كُتِبا، وهما: [من البسيط]

يا دَيرَ مَتّى سَقَتْ أطلالَكَ الدِّيَمُ!   وانـهـلَّ فيكَ عـلى سُكّانِك النِّعَمُ
فـمـا شَـفَـى غُـلَّـتي مـاءٌ عـلـى ظَـمَـأً   كـمـا شَـفَـى حَرَّ قَلبي ماؤُكَ الشَّبِمُ

دير الخنافس[4] ـ وهو دير صغير بالموصل، بالجانب الشرقيّ، على قُلَّة جبل شامخ، يُشرف على أنهار نِينَوى وضياعها.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٢ مادة (دير متى).
(٣) ديوان الخالديين: ٧٥.
(٤) انظر: الديارات للشابشتي ٣٠٠، وذيله ٤١٢ـ ٤١٤، معجم البلدان ٢/ ٥٠٨ مادة (دير الخنافس).

وفيه طِلَّسْمٌ ظريف: يجتمع له في وقتٍ من السنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل، حتّى تسودّ حيطانه وبيوته وسقوفه وأرضه، مدّة ثلاثة أيام. ثم لا توجد. ولهذا سُمِّي دير الخنافس.

قال الخالديّ: وهذا معروف مشهور بالموصل. فإذا كانت /٢١٨/ تلك الأيام، أخرج الرهبان أمتعتهم منه، هرباً منها.

وقال: ولا أعرف فيه شعراً إلا ما قاله بعض بني عُروة الشَّيبانيّ يرثي أخاً له، مات عنده، فدُفن إلى جانبه. ومنه: [من الطويل]

بقُرْبكَ يا دَيرَ الخَنافِس حُفرةٌ ... بها ماجِدٌ رَحْبُ الذِّراع كَريمُ
طَوَتْ منه هَمَّامَ بنَ مُرَّةَ في الرُّبى ... هِلاَلٌ يُنِيرُ اللَّيْلَ، وهو بَهِيمُ
سَقَاك وسَقّاهُ وسَقّى ضريحَهُ ... أَجَشُّ من الغُرِّ العَذَابِ هَزِيمُ
فيا دَيرُ أحسِنْ ما استطعتَ جِوارَهُ، ... فإنِّيَ غادٍ عَنكَ، وهُو مُقِيمُ

قال: فنساء بني عُروة جميعا تنوح عليه وعلى موتاهم بهذه الأبيات إلى اليوم؛ وإذا نَزلتْ أحياؤهم به، نحروا عليه وأقاموا مآتم.

دير باعربا[1] - وهو بين الموصل والحَدِيثة، على شاطىء دجلة، من الجانب الغربيّ. بإزاء جزائر كثيرة الشجر، قلَّما خلت من سَبُع. وهو جليل عند النصارى، وفيه قبور يعظمونها. وبناؤه عجيب. وارتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع، ما حوله بناءٌ يسنده. وله مزارع. وفيه بيت ضيافة ينزله مَن يجتاز عليه.

قال الشيظميّ[2]: لما انحدر سيف الدولة إلى العراق، نزل دير باعربا، وضرب مضربه على شاطىء دجلة، وتغدّى ونام. فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه. فرأى منظرا حسنا، من بره وبحره وعلوّ مشترفه. فاستدعى شرابا، ودعا سقارة العوّاد، فغناه. وكان معه من الندماء أبو اسحاق اليسريّ. ثم استدعاني، وسقّارة يغني بشعر غثّ في وزن بارد. فأمرني بأن أعمل في عروضه، فقلت بعد تمنّعٍ، لكنه لا يجيء فيه الحسن: [من الرمل]

شَرَفاً يا ديرَ عَرباء ومَجْداً ... بهما تُغْنى مَدى الدَّهْر وتُعْمَرْ
سَتَرى ماءكَ هذا ماءَ وَرْدٍ، ... وترى صَحْنَك ذا مسكاً وعَنبرْ

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٩ مادة (دير باعربا).
(٢) نصر بن خالد الشيظمي، أبو القاسم، شاعر مجيد، من معلمي سيف الدولة الحمداني.
ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ١٣٢، الفهرست ١٩٥، بغية الطلب ١٠/ ٤٥٨٤-٤٥٨٦.

إذ على سطحك سَيفُ الدولة القِرْ مُ الذي فاتَ الوَرى عزًّا ومَفخَرْ
/ ٢١٩/ والذي إنْ سارَ في العسكرِ فرداً فهو في إقدامهِ ألفٌ [و] عَسْكَرْ

دير القَيّارة[1] ـ وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة الغربيّ نُسب إلى عينٍ فيه ومعدنٍ، يستخرج منه القِير. وتحته حَمَّةٌ عظيمة. يقصده من به علةٌ أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام، مستنقعا في مائِها، فيبرأ من علته. ويشفى من النقرس ويبسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات.

قال الخالديّ: وسبيل مَن قصدها، أن يظلَّ نهاره في مائها، ويأوِي ليله هيكلَ ديرها، ويدهنه رهبانه بالطيبوث. فيشفى بإذن الله.

وفيه عيون يخرج منها النفط والقِير. فتُتَقَبَّل من السلطان بألوف دراهم في كل سنة. ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلتُ: وسنلمّ بذلك في موضعه.

دير بارقانا ـ وهو فوق الحَدِيثة، على جانب دجلة الشرقيّ. راكب للماء، في موضع نزه حسن. وبناؤه محكم. وقلاليُّه كثيرة الشجر والزهر. وله بساتين ومباقل. ويقال: إنه ليس في سَمك دجلة أسمن من سمكٍ يصاد من شاطئه.

قال الخبّاز البلديّ[2]: اجتزتُ به، فرأيت من حسنه ونضارة شجره، ما دعاني إلى المُقام به والقصف فيه. وسألت رهبانه عن الشرب، فدلّوني على راهب منهم. فرأيته ظريفا، وقَلاَّيته مليحة، وشرابه صافيا جدّا. فابتعتُ منه، وأقمت عنده نهاري وليلتي. وقلتُ[3]: [من الوافر]

أَلاَ سَقْياً لِرقّة بارِقَانا وهَيكَلِهِ المشَيَّدِ والقَلاَلي
فكَمْ مِنْ سَدْفَةٍ باكرتُ فيها مُعَصْفَرةً كمثلِ دَمِ الغزال
فكم عانقت غُصناً في اعتدالِ بِهِ، وَلثمتُ بدراً في كَمَال

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٣٠٢ـ ٣٠٣ وذيله ٤١٧.
(٢) محمد بن أحمد بن حمدان، أبو بكر، الخباز البلدي، نسبة إلى بلد واقعة في بلاد الجزيرة التي منها الموصل، من شعراء القرن الرابع الهجري.
كان أمياً، شعره ملح وتحف، وغررٌ وطرف، ولا تخلو مقطوعة له من معنًى حسن أو مثل سائر، كان يحفظ القرآن الكريم ويتمثل به في شعره، كان حيّاً قبل سنة ٣٨٠هـ، جمع شعره وحققه صبيح رديف، ط بغداد ١٩٧٣.
ترجمته في: شعره المقدمة، معجم الشعراء في معجم البلدان للجبوري ٢٥٢ـ ٢٥٣.
(٣) شعره ٣٥.

وجادَ بما أُحاوِلُ مِنهُ سكرا ... وكانَ ممانِعِي طيفَ الخيال

دير أبي يوسف[١] - وهو قريب من بَلَدٍ. بينه وبينها نحو فرسخ. على شاطىء دجلة. وموضعه حسن / ٢٢٠/ معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين، مغروس الرُّبى بالنرجس. وهيكله حسن البناء. وفيه عجائبُ من بدائع التصوير. ولرهبانه جِدَةٌ ونَعَمٌ. ولا يُعْوزِه كلَّ يوم قافلةٌ تحطّ عنده لتأخذ خمرا. والمُجّان تقصده للتنزه فيه بِطَنابيرهِم وعيدانهم وسائر ملاهيهم.

قال الخالديّ: خرجتُ في بعض السنين إلى بلدٍ، مع كاتب لبعض أمرائنا فأحببتُ الشرب في دير أبي يوسف. فكتبتُ إليه[٢]: [من المتقارب]

بديرِ أبِي يُوسُفٍ خمرةٌ ... تَزيدُ على لَهَبِ البارقِ
ونَرْجِسُه كنَسِيم الحَبِيْبِ ... عنْدَ مُحِبٍّ له وامِقِ
فماذا تَرى فيه قَبْل استِماع ... هَمَاهِم ناقُوسِه الناطقِ؟
لِتَقْنِصَ بِكْرا خَلُوقيّةً ... تُخَبِّر عن حكْمة الخالِق

ففعل. وأقمنا به ثلاثة أيام في ألذّ عيش، وأصفى وقت. ثم انحدرنا منه.

دير الشياطين[٣] - وهو بالقرب من أوسَل، بلدٌ على قطعة من الجبل على دجلة، في موضع حسن. وهواؤه رقيق لطيف، وقلاليُّه عامرة كثيرة الأشجار. وأرضه كثيرة الرياض. وله سور يحيط به، ومشترف على سطح هيكله يُشرف على دجلة والجبل.

وفيه يقول السريّ الرفاء[٤]: [من البسيط]

عصى الرَّشادَ فَقَد ناداهُ منْ حِينِ ... وراكَضَ الغَيَّ في تلكَ المَيَادين
ما حَنّ شَيْطانُه العاتِي إلى بلدٍ ... إلا ليَقْرُب من دير الشَّياطين
وفتيةٍ زَهَرُ الآدابِ بينُهمُ ... أبهى وأنضَرُ من زَهْر البَساتِين
مَشوْا إلى الرَّاح مَشْيَ الرُّخِّ وانصَرَفُوا، ... والسُّكْر يَمْشِي بهم مَشْيَ الفَرَازِين
حتّى إذا أَنْطَقَ الناقوسَ بينهمُ ... مُزَيّنُ الخَضْر رُوميّ القرابِين
فَحثّ أقداحَها بِيضُ السَّوالف في ... حُمْر الغلائِل في خُضْر الرَّياحِين
كأنَّها وبياضُ الماء يَقْرَعُها ... وَرْدٌ يصافِحُه أوْراقُ نَسْرِين

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٧ مادة (دير أبي يوسف).
(٢) ديوان الخالديين ٧٣.
(٣) انظر: الديارات للشابشتي ١٨٤- ١٩٠، معجم البلدان ٢/ ٥١٨، مادة (دير الشياطين).
(٤) ديوانه ٢/ ٧٣٤- ٧٣٥.

/ ٢٢١/ دير مرسرجَس[١] ـ وهو فوق بلدٍ بثلاثة فراسخ، على قُلَّة جبل عالٍ. يبين للناظر من عدّة فراسخ.

قال الخالديّ: وعلى بابه شجرةٌ لا يعرف أحدٌ ما هي، لا يسقط ورقها عند سقوط ورق الشجر، ولها ثمرة تشبه اللوز. وفي جبله من الزرازير شيء عظيم، لا تفارقه صيفا ولا شتاء، لا يُقدر على صيد شيء منها. وفي شِعاب جبله أفاعٍ كثيرةٌ، تمنع من صيد طيره ليلا.

قال: وفي أوديته حصًى على شكل اللوز لا تغادره.

قلت: ولعلّ هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية، وقال إنها في الدنيا واحدة لا ثاني لها.

وحكى الخالديّ، قال: حدثنا الخبّاز البلديّ، قال. تقلّد بلدنا رجل من آل الفرات، وكان أديباً شاعراً. فاستخصّني، فما كنت أفارقه. فرأى يوما هذا الدير وسألني عنه. فوصفته له. فأحبّ النظر إليه. فخرج وحملني معه. وكان ذلك في شتاءٍ متصلِ المطر. فلما جئناه، رأينا في جبله من الغُدْران ما ملأ أفاويقه. فلما صعدنا سطح الهيكل، فكر ساعة ثم أنشدني لنفسه: [من البسيط]

وهيكلٍ تَبْرُزُ الدنيا لِمُشْرِفِهِ ... حتّى يُعايِنَ منها السهلَ والجَبَلا
كأنّ صَبَّيْنِ باتا طُولَ ليلِهما ... يستَمْطِرانِ على غُدْرانه المُقَلا

دير صُباعى[٢] ـ وهو على شاطىء دِجلة الشرقيّ، فوق تكريت بقليل. وهو كثير الرهبان. وله مزارعُ وجُنَينات. ولرهبانه يسار وغِنًى. وفيه يقول بعض لصوص بني شيبان: [من الوافر]

ألا يا ربِّ سَلِّم دَيْرَ صُبَّاعىٰ ... وزِدْ رُهبانَ هَيْكلِهِ اجتماعا
فكمْ جِئْناهُ أمواتا سِغَاباً ... ورُحْنا منهِ أحياءً شِبَاعا
فيَا للقَصْف ما أسْرى نَبيذا ... ألَذَّ طِلاً وأحسنَه شُعَاعا
لِنعمتِهِ ومِنَّتِه علينا ... عَمَرْناهُ وخَرَّبْنا الضِّيَاعا

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٥ مادة (دير مرجرجيس).

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ١٧٥، وذيله ٣٧٢ـ ٣٧٣، معجم البلدان ٢/ ٥١٨ـ ٥١٩ مادة (دير صباعى).

/ ٢٢٢/ عُمْر الزعفران[١] - وهو على رأس جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة من جانب، وعلى طُورِ عَبْدِينَ وقَرْدى وبعض ديار بكر من جانب آخر؛ وبه كثير من الزعفران. وهو عجيب البناء، كثير الرهبان. وفيه جَنَّات لهم حسنة نضرة مملوءة بشجر البندق والفستق واللوز الفرك والزيتون والبُطم. وماؤه من صهاريج يجتمع فيها ماء السماء. والصهاريج منقورة في صخور. والثلج به ممكن. ولما نزل المتقي نصيبين استعذب ماءه واختاره على مائها وماء دجلة.

قال الخالديّ: ولهذا الدير بيوت للضيافة في عُلُو الهيكل. وللسور تسوير عجيب، وعليه أبواب من حديد مُصْمَت. قال: وشَعْر زعفرانه فائق. ومنه ومن العسل أكثر يسار رهبانه. قال: وكان الأمير أبو البركات يخرج إليه، وأخرجُ معه. فيقيم به على شُرْب وسرور. وأمرني أن أعمل فيه شعرا. فقلت[٢]: [من مجزوء الكامل]

عَطّلتُ دارسةَ المَغانِي ... وعَمَرتُ عُمْر الزَّعْفران،
وأقمتُ في غُرَفٍ لديه ... كأنَّها غُرفُ الجِنان
وترى قَنانِينا مُفَدّمـ ... ـةً بآس خُسْرُوانِي
ومُعانِقي ظَبْيٌ وبد ... رُ دُجُنَّة وقضيبُ بانِ
والراحُ أحصَنُ جُنّةٍ ... لك في مُقارَعة الزمان
لا تأْمَنَنَّ صُروفَه: ... فالدهرُ ليس بِذي أَمَانِ

قال: وأنشدني البَبَّغا[٣] لنفسه في هذا الدير[٤]: [من الطويل]

صَفَحْتُ لهذا الدَّهْرِ عَنْ سيِّئاتِه ... وعَدَّدْتُ يوم الديرِ مِنْ حَسَناتِهِ
وصبَّحتُ عُمْر الزعفرانِ بصنجةٍ ... أعاشَتْ سُرورَ القَلْب بعدَ مَمَاتِهِ
وأهْيَفَ فاخَرْتُ الرياضَ بحُسْنه ... فأذعَنَ صُغْرا وَصْفُها لِصفاتِهِ

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ١٩١ـ ١٩٧، وذيله ٣٨١ـ ٣٨٢، ومعجم البلدان ٤/ ١٥٤، و٢/ ٥١١ـ ٥١٢ مادة (دير الزعفران).

(٢) ديوان الخالديين ١٠١.

(٣) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، أبو الفرج المعروف بالببغاء، شاعر مشهور وكاتب مترسل، من أهل نصيبين، اتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء، توفي سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م، له «ديوان شعر»، ولهلال ناجي «الببغاء، حياته، ديوانه رسائله، قصصه» ط بيروت.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ١١، المنتظم ٧/ ٢٤١، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٨، نزهة الجليس ٢/ ٣١٩، يتيمة الدهر ١/ ١٧٣ـ ٢٠٤، الأعلام ٤/ ١٧٧، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٣٤٢.

(٤) شعره لهلال ناجي ٣٦ـ ٣٧.

فلما دجا الليلُ استعاد سنى الضُّحى / براح نأَتْ بالليلِ عنْ ظُلماتِهِ
ونَمَّ إلينا دَنُّها بضيائِها / فكأن كقَلْبٍ ضاق عن خَطَراتِهِ
وخوّفَنِي منه، فخِلْتُ صَلِيبَه / لِشدّةِ ما نَخْشَاه بعضَ وُشَاتِهِ!

وفيه يقول مُصْعَبٌ، الكاتب[1]: [من البسيط]

وقائلٍ قالَ لي: أَقْصِر! فقلْتُ له: / أمَا تَرانِي بحبِّ المُرْدِ مَشْغولا؟
لا أعْشَق الأبيضَ المَنْفُوخَ منْ سِمَنٍ؛ / لكِنَّني أعْشَق السُّمْر المَهَازيلا
فقال لي: أنت مَجْنونٌ؟ فقلت له: / لا تُكْثِرنَّ عَليَّ القالَ والقِيلا
إني امرؤ أركَبُ المُهْرَ المُضَمّر في / يوم الرِّهانِ، فدعْنِي واركَبِ الفِيلا

وكذلك قال: [من البسيط]

دبَيْبُ أمْشِي على الكفَّينِ أَلْمِسُه / كَمشْي مُستَرِقٍ للسمع أسْرارا
فمرّ يَمْشُق في قِرْطاسَهَ قَلَمِي / والليلُ مُلْقٍ على الآفاق أستارا
فقال لَمَّا انجلى عن عَيْنه وَسَنٌ / وقدْ رأى تِكَّةً حُلَّتْ وأزرارا:
يا راقِدَ الليلِ مَسْروراً بأوّلِه / إن الحَوادِثَ قد يَطْرُقْن أسحارا

دير باربيثا ـ وهو بنينَوى، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة. وله عند النصارى قدرٌ جليل.

قال الخالديّ: رأيتُه في بعض السنين. وكان به راهب يقال له كوريال، من عُبَّاد النصارى فأضافنا أحسن ضيافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العتيق الواسع، وعلف الدوابّ. وأكثر، فعظم في عيني؛ وعاتبته على الإسراف في فعله. فقال: هذا واللهرسمنا مع كلّ مَن ينزل بنا!

قال: وهذا الدير الذي قُتِل عنده عبيدُ الله بن زياد. قتله إبراهيم بن الأشتر، على هذا النهر، وأنفذ برأسه إلى المختار في خبر يطول، وليس هذا موضعه.

دير حنظلة[2] ـ وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق. وموضعه

---

(١) مصعب بن الحسين البصري، أبو الحسين، المعروف بمصعب الماجن، شاعر من أهل البصرة كان ورّاقاً، اشتهر في أيام المتوكل العباسي، قال المرزباني: استفرغ شعره في وصف الغلمان، وأورد نبذاً منه.
ترجمته في: معجم الشعراء ٤٠٣، الديارات ١٩٢ـ ١٩٧، الأعلام ٧/ ١٤٧، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٤٠٧.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٧ مادة (دير حنظلة) وفيه انه «منسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربى بن نمارة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أُدد»، الديارات لأبي الفرج ٧٨.

حسنٌ، لما فيه من جُنينات رهبانه وأشجارهم، وما يُلبسه الربيع من الرياض.

وأنشد الخالديّ فيه لغيره شعراً، منه: [من الكامل]

/ ٢٢٤/ طَرَقَتْك سُعْدى بين شَطَّيْ بارقِ نفسي الفِداءُ لطَيْفها من طارِقِ

يا ديرَ حنظلةَ المُهَيِّجَ لي الهوى هل تستطيعُ صَلاَحَ قلبِ العاشِقِ؟

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهانيّ، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجزاً، منه: [من الرجز]

بساحةِ الحِيرة ديرُ حَنْظَلَهْ

عليه أذيالُ السُّرور مُسْبَلَهْ

أحييتُ فيه ليلةً مُقْتَبَلَهْ

وكأسُنا بين الندامى مُعْمَلَهْ

والراحُ فيها مثلُ نارٍ مُشْعَلَهْ

دير الجاثَلِيق[1] ـ وهو قديم البناء، غربيّ دِجلة، في عرض حَرْبى. على الحدّ بين آخر السواد وبين أوّل أرض تكريت. وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مَرْوان ومُصْعَب بن الزُّبير. فقال ابن قيس الرُّقَيَّات[2]: [من الطويل]

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٨ـ ٣٢، معجم البلدان ٢/ ٥٠٣ مادة(دير الجاثليق)، الديارات لأبي الفرج ٥٩ـ ٦٣، البدور المسفرة ١٧، وفي الديارات: الجاثليق: لفظ يوناني معناه «العمومي» والمراد به، الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين، وجمعها «الجثالقة» ويقابله في وقتنا هذا «البطريرك».

(٢) عبيد الله بن قيس بن شُريح بن مالك، من بني عامر بن لؤيّ: شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيماً في المدينة. وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله)، فأقام سنة. وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي نحو سنة ٨٥هـ/ نحو ٧٠٤م، أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية وأخباره كثيرة معجبة. وقيل: اسمه عبد الله والصواب التصغير. له «ديوان شعر ـ ط».

ترجمته في: الأغاني. طبعة الساسي ٤/ ١٥٤ـ١٦٦ وطبعة الدار ٥/ ٧٣ وانظر فهرسته. والموشح ١٨٦ وسمط اللآلي ٢٩٤ والجمحي ٥٣٠ـ ٥٣٤ وشرح الشواهد ٤٧ والشعر والشعراء ٢١٢ ومعجم المطبوعات ٢٢٠ وخزانة البغدادي ٣/ ٢٦٥ـ ٢٦٩ والتاج ١٠/ ١٥٥ وفيه تخطئة الجوهري في تسميته «عبد الله»، الأعلام ٤/ ١٩٦، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٣٦٠، والبيتان في ديوانه ـ الزيادات ١٩٦ـ ١٩٧.

لَقدْ أورثَ المِصْرَيْنِ حُزناً وذِلَّةً قَتيلٌ بديرِ الجاثَليقِ مُقِيمُ
فما قاتلتْ في اللهِ بَكرُ بنُ وائلٍ ولا صَدَقْتْ عِنْدَ اللِّقاءِ تَمِيمُ

وحُكي أنه كان به غلام أمرد نصرانيّ من أهل الحيرة، يقال له عشير بن إليا الصَّيْرَفيّ. وكان يتعشقه بكر بن خارجة[1]، وفيه يقول من شعر له[2]: [من الوافر]

أجِرْنِي! مُتُّ قَبْلَكَ منْ هُمُومي! وأرشِدْني إلى وجهِ الطَّريقِ
فقدْ ضاقَتْ عليّ جِهاتُ أمْري وأنتَ المستجارُ من المَضِيقِ

وفيه يقول بيتين يحضُرني منهما قوله: [من الرجز]

زِنَّارُه في خَصْره مَعْقُودُ
كأنّه من كَبِدي مَقْدودُ

قال أبو الفرج: وكان دِعبِل[3] يستحسنه ويقول: ليت هذين البيتين لي بمائةِ بيت

---

(١) بكر بن خارجة، شاعر ماجن من أهل الكوفة، مطبوع، طيب الشعر، كان ورّاقاً ضيق العيش، يتكسب من الوراقة، ويصرف ما يكسبه في الحانات.
ترجمته في: الأغاني ٢٣/ ١٨٩، الديارات ٢٤٢.

(٢) شعره.

(٣) دعبل: أبو علي، محمد بن علي بن رزين الخزاعي، ينتهي نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعي الصحابي الجليل المعروف من الازد، ومن الأسر العربية العريقة في العرب، وقد اشتهر باسم (دعبل). ولد سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م وقضى سني حداثته في الكوفة، وشبَّ على حب الأدب والاختلاف إلى مجالس وأنديه الكوفة، وقال الشعر وهو في مقتبل العمر، وغادر الكوفة إلى بغداد وله من العمر ٢٢ سنة بطلب من هارون الرشيد وكان قد سمع به فأرسل إليه هدية تتألف من عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه مع ركب من مركبه. ثم غادر دعبل بغداد إلى إيران وولي فيها مدينة سمنجان ـ بلدة من طخارستان ـ وليها للعباس بن جعفر الخزاعي أو لابنه الفضل بن العباس وكان الأخير والياً على خراسان من سنة ١٧٣ ـ ١٧٥هـ. وتركها دعبل وعاد إلى بغداد وأدى فريضة الحج ومعه أخوه رزين بن علي ومنها شخصا إلى مصر ـ وكان عليها المطلب بن عبد الله الخزاعي ـ سنة ١٩٨ هـ وهناك تولى دعبل أسوان، ثم علم المطلب بهجاء دعبل له فعزله عن ولاية أسوان، وعاد إلى العراق. ثم علم أن المأمون أعلن ولاية العهد للإمام الرضا علي بن موسى في (مرو) فشدَّ دعبل الرحال وقابل الإمام هناك وأنشده قصيدته التائية الخالدة فأجازه الإمام بعشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وبجبة من ملابسه، عاد دعبل مجتازاً بقم ـ وقد علم أهل قم بجبة الإمام الرضا ـ فساومه أهل قم على الجبة فامتنع ثم أخذت منه ـ مكرهاً ـ مقابل ثلاثين ألف درهم أو ألف دينار في رواية أخرى، مع إعطائه قطعة منها، صارت هذه القطعة فيما بعد في كفنه!.
وكانت لدعبل رحلات متعددة وإلى بلاد مختلفة حتى إنه وصل في بعضها إلى الغرب! أما الملوك الذين عاصرهم من بني العباس فكانوا خمسة أولهم الرشيد وآخرهم المتوكل، وقد هجاهم جميعاً =

وفيه يقول محمد بن أبي أُميّة[(١)]: [من الوافر]

/٢٢٥/رأيتُك حِلْيَتَيْ دِينٍ ودُنْيا: حـيـاةً لـلـضَّـجـيـعِ ولـلـقَـرِيـنِ
بـدا لـي بـعـدَ مـا سـبَـقَـتْ يـمـيـنـي بـهَـجْـرِك أن أُكـفِّـر عـنْ يـمـيـنـي

دير مَرْيُحَنَّا[(٢)] ـ وهو إلى جانب تَكريت، على دجلة. عامرٌ بالقلاَّيات والرهبان. مطروق مقصود. منزلٌ لكل مسافر. وبه ضيافة قائمة على أقدار الناس. وله مزارع متسعة وغلات كثيرة. وهو للنَّسطورية[(٣)]. وعلى بابه صومعةُ عبدونَ الراهب، وكان من

= وهددهم في سبيل الدعوة إلى الأئمة من آل البيت، ومما آثر عنه أنه كان يقول: «لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك»! وقد عاش دعبل حياته الطويلة في غليان من الخوف والقلق، مطارداً مضطهداً معذباً... حتى وافاه الأجل قتيلاً سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م في قرية الطيّب بالأهواز.

وكان دعبل شاعراً من أبرز شعراء الدولة العباسية قوة وأسلوباً وتأثيراً. وفي الرعيل الأول من شعراء عصره. ومن العلماء المتكلمين، ومن حملة الأدب والتأريخ واللغة، ومن الرواة المعروفين، أدرك أربعة من أئمة آل البيت وتشرف برؤية بعضهم، ذكرته كتب الرجال فأثنت عليه ثناءً طيباً وقالت عنه: إنه عظيم الشأن عالي المنزلة. له من المؤلفات: «طبقات الشعراء» و«كتاب الواحدة في المثالب والمناقب» و«ديوانه» قال ابن النديم: «وديوان شعره نحو ثلاثمائة ورقة وقد عمله الصولي (الفهرست ص ٢٢٩) كما ذكره غيره، ويبدو أن الديوان ضاع.. وقد جمع بعض شعره ـ من شتى المصادر الأدبية والتأريخية ـ الشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي النجفي ـ خ، والسيد محسن الأمين الحسيني العاملي ـ ط، وعبد الصاحب عمران الدجيلي ـ ط، والمستشرق ليون زولندك ـ ط، والدكتور محمد يوسف نجم ـ ط، والدكتور عبد الكريم الأشتر ـ ط.

مصادر ترجمته: طبقات الشعراء ٢٦٤، الأغاني ١٨/ ٢٩ ط الساسي، عيون أخبار الرضا ٣٦٩، أو ٢/ ٢٦٣، ابن النديم ٢٢٩، النجاشي ١١٦ و١٩٧، تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢، تهذيب ابن عساكر٥/ ٢٢٧، معجم الأدباء ٤/ ١٩٣، وفيات الأعيان ١/ ١٨٠ أو ٢/ ٣٤، البداية والنهاية١٠/ ٣٤٨، رجال ابن داود ١٤٧ لسان الميزان ٢/ ١١١، نسمة السحر ٢/ ١٠٥ـ ١١٧ رقم ٧٠، منهج المقال، أعيان الشيعة ٣٠/ ٢٦٠ـ ٣٥٩، تأسيس الشيعة ١٩٣، الشعر والشعراء ٣٥٠، الأعلام ٢/ ٣٣٩، الموسوعة الموجزة ٨/ ٣٢٢، وانظر: (مقدمة) عبد الصاحب الدجيلي لديوان دعبل ط النجف سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م. أعلام العرب ١/ ١١٢، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢١٩ـ ٢٢٠.

(١) انظر ترجمته في الديارات ٢٩.

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ١٧١ـ ١٧٤، معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ مادة (دير مريحنا).

(٣) في الديارات: النساطرة فرقة من النصارى عرفت باسم مؤسسها نسطور، وقد صار بطريركاً على القسطنطنية سنة ٤٢٨م، ثم زاغ في آرائه الدينية عمّا هو ثابت لدى أئمة الكنيسة.
وفي سنة ٤٣١م عقد مجمع ديني في أفسس حرم نسطور وتعليمه وأنزله عن كرسيه البطريركي. وقد انتشرت أفكاره بين كثير من نصارى المشرق من بعده وما زالت بقاياها إلى الآن بين الكلدان النساطرة. مات نسطور في صحراء ليبيا نحو سنة ٤٤٠م.

المَلَكيَّة[١]. بناها فعُرفت به. وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الورَّاق[٢]: [من الهزج]

أرى قَلبِيَ قدْ حَنَّا ... إلى ديرِ مَرِي حَنَّا
إلى غِيطانهِ الفِيح ... إلى بِرْكتِهِ الغَنَّا
إلى أحسنِ خَلْقِ ... اللهِ إنْ قَدّس أو غَنَّى
فلمَّا أبلج الصُّبْحُ ... بَزَلْنَا بيننا دَنَّا
فلمَّا دارتِ الكاسُ ... أدرْنا بيننا لَحْنا
فلما هجع السُّمَّا ... رُ، نِمْنا فَتَعانَقْنا

قال الشابشتيّ: وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والتطرُّح في الديارات. ومما أُنشد له في المُجُون قولُه: [من مجزوء الرمل]

أيُّها السائلُ عَنِّي ... لستُ مِنْ أهْلِ الصَّلاحْ
أنا إنْسانٌ مُريبٌ ... أشتهي نَيْلَ المِلاَحْ

عُمْر أحويشا[٣] ـ وأحويشا بالسريانية الحَبِيس[٤].

قال الشابشتيّ: وهذا العُمْر بإسْعَرْد، من ديار بكر. وهذا العُمْر مطلٌّ على أرْزَنَ. وهو كبير جليل. فيه أربعمائة راهب في قلاليّهم. وحوله بساتين وكروم. وهو في نهاية العمارة والنزهة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والخمر. ومنه يُحمل الخمر إلى البُلْدان.

---

(١) الملكية، ويسمون بالملكائيين والملكانيين، والواحد منهم ملكي وملكاني: «هم المسيحيون الشرقيون المنتمون إلى الكرسي الانطاكي، الخاضعون لملوك الروم. المعتقدون بتقرير المجمع الخلقيدوني، التابعون للكرسي الروماني. واسم الملكي أطلقه عليهم السريان منذ أواسط القرن الخامس للميلاد، وأسموهم روما وخلقيدونيين ويونانيين. لأنهم قالوا بمقالة مرقيان ملك الروم (٤٥٠ـ ٤٥٧م) واتبعوا معتقد المجمع الخلقيدوني المنعقد عام ٤٥١م، وتركوا بمرور الزمان طقسهم الانطاكي السرياني القديم وبدلوا الطقس البوزنطي اليوناني». (المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ص٣٧) انظر: الديارات / هامش ١٧١.

(٢) عمرو بن عبد الملك الورّاق: شاعر ماجن خليع، عاش في أوائل الدولة العباسية، وله شعر كثير في حرب الأمين والمأمون، روى الطبري جانباً منه في تاريخه (حوادث ١٩٧ـ ١٩٨هـ) وله مع أبي نؤاس أخبار، وترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ص٣٠ـ٣١. «عن الديارات/ هامش ١٧٢».

(٣) انظر: الديارات للشابشتي ١٩٨ ـ٢٠٣ وذيله ٣٨٣، ومعجم البلدان ٢/ ٤٩٧ مادة (دير أحويشا) ومنهما صوبنا ما ورد في الأصل مصحفاً «أخويشا».

(٤) في هامش الديارات: الحبيس، هو الراهب المحبوس في سبيل ا لله، أي الذي يقيم في محبسه، أي صومعته، لايبارحها، ودأبه فيها الصلاة وعبادة الله وجمعها: الحبساء.

وبقربه عين عظيمة تدير ثلاثة أرحاء. وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. وبه أنواع المُطْرِبين، وأنشد فيه اللبّاديّ[(١)]: [من الوافر]

وفِتْيَانٍ كَهَمِّك مِنْ أُناسٍ خِفَافٍ في الغَدَاة وفي الرَّوَاحِ
نَهَضْتُ بهم، وسِتر الليل مُلْقًى وضَوْءُ الصبح مقْصُوصُ الجَنَاحِ
/٢٢٦/ نَؤُمُّ بدير أخويشا غَزالاً غريبَ الحُسْن كالقَمَرِ اللِّياحِ
فساعَفَنا الزمانُ بما أردْنا، فأُبْنا بالفَلاَح وبالنَّجَاحِ

عُمْر كسكر[(٢)] ـ وهو أسفل مِن واسط، في الجانب الشرقيّ، في القرية المعروفة ببرخوى وفيه كرسيّ المُطران. وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلايات يُبَايَعُ عليها. ويحيط به بساتينُ كثيرة وغلات واسعة.

وفيه يقول محمد بن حازم الباهليّ[(٣)]، وكان قد قصده أيام مُقَام الحسن بن سهل بواسط[(٤)]: [من البسيط]

بعُمْرِ عسكَرَ طابَ اللَّهْوُ والطَّربُ والباذكاراتُ والأدْوارُ والنُّخَبُ
وفتيةٌ بذلوا للكأس أنفُسَهم وأوجبوا لرضيع الكأس ما يجبُ
فلم يزلْ في رِيَاض العُمْر يعمُرُها قَصْفا وتعْمُرُهَا اللذَّاتُ والطربُ
والدهر قد طُرِفت عنَّا نواظِرهُ فما تُروِّعُنا الأحداثُ والنُّوَبُ

قال الشابشتيّ: وأنشدني من مليح شعره قولَه[(٥)]: [من المجتث]

صِلْ خَمْرةً بخُمَارِ وصِلْ خُمارا بخمرِ
وخُذْ بحظِّك منها كأساً إلى حيث تَدْري

قال: فقلتُ: إلى أين؟ ويحك! فقال إلى النار، يا أحمق!

وأنشد له[(٦)]: [من الخفيف]

---

(١) انظر ترجمته في الديارات ١٩٩.

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٢٧٤ـ ٢٨٣، معجم البلدان ٤/ ١٥٤ ـ١٥٥ مادة (عمر كسكر).

(٣) محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، أبو جعفر، شاعر مطبوع، كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي، ولد ونشأ في البصرة، وسكن بغداد ومات فيها نحو ٢١٥هـ/ نحو ٨٣٠م.
ترجمته في: معجم الشعراء ٤٢٩، تاريخ بغداد ٢/ ٢٩٥، الديارات ١٧٧ـ ١٨٣، الورقة ١٠٩، الأعلام ٦/ ٧٥، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٣٧٨.

(٤) ديوانه ٤٠.

(٥) ديوانه ٥٠.

(٦) أخلّ بها ديوانه.

جَـدِّدَا مـجـلِـسـا لـعَـهْـد الـشـبـابِ وارْعَـيَـا حُـرْمـة الـصِّـبـا والـتَّـصـابـي
بكُـهُـولٍ إذا استقرت حُمَيَّا الكاس لـم يَـنْـطِـقـوا بـغـيـر الـصـوابِ
مـارَسُـوا شِـدّةَ الـزمـانِ فـلانُـوا واسـتـفـادُوا مَـحـاسـنَ الآدابِ
فـاسـقِـيـانِـي إذا تـجـاوَبـتِ الأو تـارُ كـأسـا لإدّكـار الـشَّـبَـابِ

/ ٢٢٧/ دير الأَسْكُون[١] ـ ذكر مصَنِّفُ ديارات الحِيرَة[٢]، أنه راكبٌ للنَجَف. قال: وهو أنزه دياراتها، وفيه قلاليّ وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم. وهو حصن منيع. له سورٌ عالٍ، وبابٌ من حديد. ومنه يُهبط إلى غدير الحيرة. وأرضه رَضْراض ورمل أبيض. وله مشرعة تقابل الحِيرة، لها درج إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة. قال: وإليه تجتمع النصارى في أعيادهم وفي كل يوم جمعةٍ بعد صلاة الجمعة. فإذا كان يومُ الشعانين[٣]، أتوه من كل ناحية، مع شماميسهم بُصلُبهم وأعلامهم. فإذا استتمّوا فيه وفي القصر الأبيض والعَلاليّ المدانية، خرج أسقفهم بهم إلى مكان يعرف بقُبيبات الشعانين وهي قِباب على ميلٍ من ناحية طريق الشام فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره. ولكل منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه.

دير حَنَّة[٤] ـ هو بالحِيرةَ، من بناء نوح. [هكذا نقلتُه ولا أعرف مَن هو].

وإلى جانبه قائم.

حكى أحمد بن عمر الكوفيّ، قال: كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال، مهما وقع في يده من شيء، أتى به دير حَنَّة فيشرب فيه حتّى يسكر. ثم ينصرف إلى أهله، ويقول: يُعجبُني من الغراب بُكُورُه في طلب الرزق. وربما بات به، ويقول: [من المتقارب]

تَـطـاولَ لـيْـلُـكَ بـالـزاوِيـه وكـانَ الـمَـبِـيـتُ بـهـا عـافـيـهْ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٨ مادة (ديرالأسكون).

(٢) لهشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ وقيل ٢٠٦هـ (٨١٩، ٨٢١م) واسمه «كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين»، وهو من أقدم كتب الديارات بالعربية، وقد ضاع فيما ضاع من تآليفه الأخرى، ذكره ابن النديم في الفهرست ٩٧، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ٧/ ٢٥٣ ولم يصفاه. «هامش الديارات ٣٦».

(٣) الشعانين أي المخلصين، ويوم الشعانين هو عيد الشعانين عند النصارى، يقع في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح من كل سنة، وهو من الأعياد المتحوّلة.
انظر: الديارات، ٦٤ الهامش.

(٤) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٧ مادة (دير حنة)، الديارات لأبي الفرج ٧٣ـ ٧٤.

ومِـنْ تـحـتِ رأسِـكَ آجُـرَّةٌ وجَـنْـبُـكَ مُـلْـقًى عـلـى بـاريـهْ
وذلـكَ خـيـرٌ مـنَ الإنْـصـرافِ فـتـحْـكُـمُ فـيـكَ بَـنُـو الـزانـيـهْ
وتُـصْـبِـحُ إمّـا رهـيـنَ الـسُّـجُـونِ وإمّـا قَـتِـيـلاً عـلـى سـاقـيـهْ

قال: فوُجِدَ والله بعد أيام قتيلا على ساقية! وهو القائل: [من البسيط]

ما لـذّةُ العـيشِ عِـنْدي غيرُ واحدةٍ هي البكُورُ إلى بعضِ المَوَاخيرِ
لـخامِـلِ الـذِّكْـر مـأمـونٍ بـوائـقُـهُ سَهْلِ القِياد من الفُرْه المَدَابيرِ
/٢٢٨/ حتّى يَحُلَّ على ديرِ ابنِ كافرةٍ من النصارى ببَيْعِ الخَمْرِ مشهورِ
كـأنـمـا عَـقْـدَ الـزُّنّـارَ فـوقَ نـقًـا وأعَتَّم فوقَ دُجى الظَّلْماء بالنور

وفيه قال الثرواني[1]: [من الكامل]

يـومي بـهَـيْـكـلِ ديرِ حَنَّةَ لم يَـزَلْ غُرُّ السَّحاب تجود فيه وتمرَعُ
مـتـجَـوْشِـنٌ طـوراً وطَـوْراً شـاهـراً بِـيـضَ الـسُّـيـوف وتـارةً يـتـدرّعُ

وكذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفيّ: [من الوافر]

أَلاَ سُـقِـي الـخَـوَرنَـقُ مـن مَـحـلٍّ ظـريـفِ الـروضِ مَـعْـشـوقٍ أنـيـقِ
أقـمـتُ بـديـرِ حَـنَّـتِـهِ زمـانـا بسُكْرٍ في الصَّبوح وفي الغَبُوقِ
ومـنّـا لابـسٌ إكـلـيـلَ زهـرٍ ومـخـتـضِـبُ السَّوالِف بالخَلُوقِ
كـأنّ ريـاضَـه حُـسـنـا ونَـوْرا سـحـائـبُ ذُهِّـبَتْ بسَنَى البرُوقِ
كـأنّ تـقـاطُـرَ الأشـجـارِ فـيـه، إذا غَـسَـقَ الـظـلامُ، قِـطـارُ نُـوق
ومـاذا شِـئـتَ مـن دُرّ الأَقـاحـي هـنـاك ومـن يَـوَاقِـيـتِ الـشَّـقِـيـق

وقد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهانيّ وقال: ذكره أبو نواس في شعره، يعني في قوله[2]: [من البسيط]

يـا ديْـرَ حـنَّـةَ مـن ذاتِ الأُكَـيْـراحِ! مَنْ يَصْحُ عنكَ فإني لستُ بالصّاحي
يـعـتـادُه كُـلُّ مـجـفُـوٍّ بـعـارفـةٍ مـنَ الدِّهـان عـلـيه سَحْق أمساحِ
في فِتْيةٍ لم يَدَعْ منهم تخوُّفُهم وُقُوعَ ما حَذِرُوه غيرَ أشباحِ
لا يَـدْلُـفُـون إلـى مـاءٍ بـآنـيـة إلا اغترافا من الغُدْران بالراحِ

---

(١) محمد بن عبد الرحمن الثرواني، شاعر كوفي مطبوع، من شعراء القرن الثالث الهجري، كان من المنهمكين في البطالة، والتطرح في الحانات، مدمناً على شرب الخمر، ماجناً.
ترجمته في: الديارات ٢٣٠ـ ٢٣٣.

(٢) ديوانه ـ ط الكتاب العربي ٢٩٧.

قال: والأكيراح[١] بلدٌ نَزِهٌ كثيرُ البساتين والرياض والمياه.

قال: وبالحِيرَة أيضاً موضعٌ يقال له: الأُكَيْرَاح فيه دير.

والأُكيراح قِبَاب صغار يسكنها الرهبان. يقال للواحد منها الكِرْحُ.

/ ٢٢٩/ دير عبد المسيح[٢] ـ وهو بالحِيرَة. بناه عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلة[٣].
ويقال إنه عمّر دهرا طويلا، ولحق خالد بن الوليد، حين فتح الحيرة. وله معه خبر طويل. وحَكى بعض أهل الكلام، قال: قرأتُ على حائطه مكتوباً: [من الوافر]

رأيتُ الدَّهر للإنسان ضِدًّا، ... ولا يُنجِي من الدهرِ الخُلُودُ
ولا يُنْجِي من الآجال أرضٌ ... يَحُلَّ بها ولا قصرٌ مَشِيدُ

وحكى آخر قال: قرأت على حائطه أيضاً: [من البسيط]

هذِي منازلُ أقوامٍ عَهِدْتُهُم ... في خَفْضِ عَيْشٍ خَصِيبٍ ماله خَطَرُ
دارتْ عليهم صُروفُ الدهر فانتقَلُوا ... إلى القُبُورِ، فلا عَينٌ ولا أَثَرُ

وقد ذكره الأصفهانيّ، في أخبار لا حاجة فيها. وقال: وكان عبد المسيح قد بنى ديرا في بقعة بالحيرة يقال لها الجزعة. كان يترهب فيه حتّى مات. ثم خرب الدير، وظهر فيه أَزَجٌ معقود من حجارة. وظنوا فيه كنزا، ففتحوه، فإذا سرير رخام، عليه رجل ميت، وعند رأسه لوح فيه مكتوب: [من الوافر]

حَلَبْتُ الدهرَ أشطُرَه حَيَاتِي ... ونِلْتُ من المُنى فوق المَزِيدِ
وكِدْتُ أنالُ في الشَّرَف الثُّريّا؛ ... ولكِنْ لا سبيلَ إلى الخُلُود

دير الحَرِيق[٤] ـ هو بالحيرة. بناه النعمان بن المنذر على ولدٍ كان له، عُدِيَ عليه واحرِق فيه. وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السُّنَّيْق، و[قبة] تعرف بقبة غُصَيْن. وهما راهبان

---

(١) انظر: معجم البلدان ١/ ٢٤٢ مادة (أكيراح).

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٢١ مادة (دير عبد المسيح)، الديارات لأبي الفرج ١١٦ـ ١١٧.

(٣) عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني، شاعر جاهلي، وأحد أعيان نصارى الحيرة وعلمائها، كان رسول النعمان بن المنذر إلى كسرى الفرس قبيل البعثة النبوية المحمدية، ومن الأرجح أن يكون الشاعر قد أسلم فيما بعد، كما يوحي بذلك خطاب خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس الذي حمله إليهم الشاعر نفسه، توفي نحو سنة ١٢ هـ/ نحو ٦٣٣م.
ترجمته في: التيجان في أخبار ملوك حمير ٢٠١، شعراء النصرانية ٢/ ١٤ـ ٢٠، المعمرون والوصايا ٤٧، المرصع ٧٧ـ ٧٨، البيان والتبيين ٢/ ١٤٧ـ ١٤٨، العقد الفريد ١/ ١٢٩ـ ١٣٠، الأعلام ٤/ ٢٩٧، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٣١٦.

(٤) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٥ مادة (دير الحريق).

نسبا إليهما. وهما بديعتا البناء.

وفي الدير وفيهما يقول الثروانيّ: [من الكامل]

دَيرُ الحَرِيقِ وقُبَّةُ السُّنِّيقِ ... مَغْنًى لِحِلفِ مُدامةٍ وفُسُوقِ

وطَنٌ لفرقتهِ شرِقْتُ بدَمْعَتي ... ولِرِحْلَتي عنه غَصِصْتُ بريقي

/ ٢٣٠/ حكى حمزة بن أبي سلامة، قال: كان الثروانيّ جاري بالكوفة، وكان كثير الإلمام بالدِّيَرَة، فباكرني في يوم شعانين وقال لي: اعزم بنا اليوم على الشرب في دير الحريق؛ لأنه يوم سيقصده فيه خلقٌ. ولي به صديق من رهبانه ظريف، مليح القلاية، جيّد الشراب. فهلُمَّ! ننزه أعيننا فيما نراه من الجواري والغلمان، ثم نعدل إلى قلاّية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض. فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان في الحُلَي والحُلَل ما لم أر مثله قط. فلم يزل يعبث ويتعرّض، ويقبّل ويعانق ـ وكان معروفا بذلك ـ فما أحد ينكر عليه فعله، إلى بعد الظهر. ثم أتينا قلاية صديقه الراهب، فلقيه بالإكرام والترحيب. فدخلنا قلايته. فما رأينا أنظف من آلاتها، ولا أنضر من بستانها. ثم قدّم لنا شيئاً من طعامه، فأصبنا منه. ثم صعدنا سطحها، وجلسنا ننظر إلى منظر يبهر حسناً وجمالاً: من رياض وغُدْران وطير يصفّر. ونحن نشرب حتّى ثملنا ونمنا هناك. وغدّوْنا على الكوفة. فقلت له: تترك هذا اليوم مع حسنه، عاطلا من حُليّ شعرك؟ فقال: لا والله! ولقد عملتُ في ليلتي هذه، هذه الأبيات. ثم أنشدني: [من الوافر]

خرجنا في شَعانِينِ النَّصارى ... وشيَّعْنا صَلِيبَ الجاثَلِيقِ

فلم أرَ مَنْظَرا أحْلى بعيْنِي ... من المتَقَيِّناتِ على الطرِيقِ

حمَلْن الخُوص والزيْتُونَ حتّي ... بلغْنَ بهِ إلى ديرِ الحَرِيقِ

أكلْنَاهنّ باللَّحظات عِشْقاً ... وأضمَرْنا لهنَّ على الفُسوقِ

دير ابن مزعوق[1] ـ وهو بالحيرة، قريبَ دير الحريق. في أنزه البقاع زهراً ورقيقَ هواء وتدفُّقَ ماء. وتشوّق إليه الثَّرَوانيّ من بغداد، فقال: [من الكامل]

ديرُ الحَرِيقِ وبِيعةُ المَزْعوقِ ... بينَ الغَدِيرِ وقُبَّة السُّنّيقِ

/ ٢٣١/ أشْهى إليّ من الصَّرَاة وطيبها ... عندَ الصَّباحِ ومنْ دُجى البِطْريقِ

يا صاحِ! فاجتَنِب المَلامَ أما تَرى ... سَمِجا مَلامَكَ لي، وأنت صَدِيقي؟

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد للثّروانيّ فيه وفي دير فاثيون قوله: [من المنسرح]

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٣٠ـ ٢٣٢، معجم البلدان ٢/ ٥٣٧ مادة (دير المزعوق).

قـلـتُ لـه والـنُّـجـومُ جـانِـحـةٌ ... في لـيـلةِ الفِصْحِ أوّلَ السَّحَرِ:
هـل لـكَ فـي مـارِ فـاثـيـونَ وفـي ... ديرِ ابن مَزْعوقَ غير مقتَصِرِ؟
يفيض هذا النَّسِيمُ من طَرَفِ الشام ... ودرُّ الـنَّـدى عـلـى الـشَّـجَـرِ
ونـسـألُ الأرضَ عـنْ بَـشَـاشـتـهـا ... وعَـهْـدِهـا بـالـرَّبـيـع والـمـطـرِ

قال: ودير فاثيون،[1] أسفلَ النَجَف، ودير ابن مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح، بأعلى النجف. وفيه يقول الثَّرَوانيّ: [من الوافر]

يُـقِـرُّ بـفـضـل عَـيْـنِـكَ لـي بـوَصْـلٍ ... وفِـعْـلُـك لـي مُـقِـرٌّ بـالـجـحـودِ؟
فـتُـشَـكِّـكُـنـي، وأَعْـلـم أنَّ هـذا ... هَـوىً بـيـن الـتـعَـطُّـف والـصُّـدودِ!

وقال أيضاً: [من البسيط]

كرَّ الشرابُ على نَشوانَ مصطبِحِ ... قد هَبَّ يشرَبُها والديكُ لم يَصِحِ
والـلـيـلُ فـي عَـسْـكـرٍ جـمٍّ بـوارِقُـه ... من النُّجوم وضَوءُ الصبحِ لم يلُحِ
والعيشُ لا عيشَ إلاّ أنْ تُباكِرَها ... صَهباءَ تقْتُلُ همّ النفسِ بالفَرَحِ
حتّى يظَلَّ الذي قد بات يَشْرَبُها ... ولا بَـراحَ بـهِ يـخـتـالُ كـالـمَـرِحِ

دير مارتْ مريم[2] ـ هو بالحيرة، من بناء المنذر. وهما ديران متقابلان، وبينهما مَدْرَجة الحاجّ وطريق السابلة إلى القادسية. وهُما مشرفان على النَجَف. ومن أراد الخَوَرْنَق عدل عن جادّتهما، ذاتَ اليسار. ومن شعر الثَّرَوانيّ فيهما: [من الوافر]

/ ٢٣٢/ دعِ الأيَّامَ تفعلُ ما أرادَتْ، ... إذا جـادَتْ بـنُـدْمـانٍ وكـاسِ
ومـارت مَـرْيَـم والـصـحـنُ فـيـه ... حُـدَيِّـقـتـانِ مـنْ وَرْدٍ وآسِ
وظَـبْـي فـي لَـواحـظِ مُـقْـلـتـيـه ... نُـعـاسٌ مـن فـتـورٍ لا نُـعـاسِ
وخِـلٍّ لا يَـحُـول عـن الـتَّـصـابِـي ... ذَكُـورٍ لـلـمَـودّة غـيـرِ نـاسـي
ومُـخْـتـضِـنٍ لـطُـنـبـورٍ فَـصـيـحٍ ... يـغـنِّـيـنـي بـشـعـر أبـي نُـوَاس:
(ومـا الـلـذَّاتُ إلا أنْ تَـرانِـي ... صـريـعـاً بـيـنَ بـاطـيـةٍ وكـاسِ)

وقد ذكره أبو الفرج وقال: كان قَسٌّ يقال له يحيى بن حِمَار، ويقال له يوشع، تألفه الفتيان ويشربون على سطحه وفي قلايته، على قراءة النصارى وضرب النواقيس. وفيه قال بكر بن خارجة، أو غيره: [من الكامل]

بِـتْـنـا بـمـارَتِ مَـرْيَـمِ! ... سَـقْـيـاً لـمـارَتِ مـريَـمِ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣١ مادة (دير مارفايثون).
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣١ مادة (دير مارت مريم)، الديارات لأبي الفرج١٤١ـ ١٤٧.

ولِقَسّها يحيى المُهَيْنِم بعدَ نومِ النُّوَّمِ
ولِيُوشَعٍ ولِخَمْرَةٍ حمراءَ مثلَ العَنْدَمَ
ولِفتيةٍ حَفُّوا به يَغْضُون لَوْمَ اللُّوَّمَ
يَسْقيهمُ ظَبْيٌ أغنُّ لَطِيفُ غَلْقِ المِعْصَمِ
يرمي بعينيهِ القُلُو بَ كمِثْلِ رَمْيِ الأسْهُمِ

قَلاَّية القَسّ[1] ـ وهي بالحِيرَة، في موضع حسن. وكان القَسّ الذي تنسب إليه من مِلاَح النصارى. وكان ناسكاً، ثم صار فاتكاً. وفيه قيل: [من البسيط]

قَلاَّيَةَ القَسّ! مالي عنكِ مُصطبَر! ومَن إلى مَن لحَاهُ فيكِ يعتذِرُ؟
فكم لديكِ نسيمٌ ذيلُهُ عَبِقٌ وكم لديكِ هواءٌ جَيْبُه عَطِرُ
وتربةٌ وغِناءٌ: ذي يَزُولُ بها سُقْمُ السقيم، وذا يُجلَى به البصرُ
وماءُ مُزنٍ بكَفّ الريحِ تصقُلُهُ وكالمَرَايَا تلى الأوشالُ والغدُرُ

وقد ذكره أبو الفرج وقال: [من الطويل]

خلِيلَيّ مِنْ تَيْم وعِجْلٍ، هُدِيتُما! أَضِيفا بَحثّ الكأسِ يومِي إلى أمسي
/٢٣٣/ وإنْ أنتما حَيَّيتماني تَحيَّةً، فلا تَعْدُوَا رَيْحانَ قلاّية القَسِّ
إذا ما به حيّيتُمانِيَ، فاخْلُوَا حَمِيدَيْن دُونِي بالخَلُوق وبالوَرْسِ
وإن قلتما: لا بدَّ من شُرْبِ دائرٍ ولم تَعْذِراني في مِطَالٍ ولا حبسِ
فمن قهوةٍ حِيْرِيَّةٍ راهِبيّةٍ عتيقةِ خَمْسٍ أو تزيدُ على خمسِ
تجُرُّ على قَرْعِ المِزَاج إزارَها وتختالُ منه في مُصَبَّغة العُرْس!

دير حنّةَ الكَبير[2] ـ قال الخالديّ: هو بالحِيرَة في الأُكَيراح، غيرَ دير حنّة الذي قدَّمنا ذكره. يقال إنه بُني حين بُنيت الحيرة: وكان من أنزه الدِّيَرَة، لكثرة بساتينه وتدفق مياهه.

حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة، قال: اجتاز بنا عمر بن فرج الرُّخّجيُّ، منصرفاً من الحجّ. فتلقيناه وأعظمناه، وسرنا معه. فلما اجتاز بدير حنة، سألنا عنه فعرّفناه به. فقال، مَن ذا الذي يقول: [من البسيط]

يا ديرَ حنةَ مِنْ ذاتِ الأُكَيْراحِ!

فقال له الحسين بن هشام الحيريّ: هذا لأبي نُوَاس. أفتُحِبُّ أن أُنشدك لشاعرنا

(١) انظر: معجم البلدان ٤٠/٣٨٦ مادة (قلاية القس).
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/٥٠٧ مادة (دير حنة).

الثَّرْوَانيّ شيئاً يقرب من هذا المعنى، في هذا الدير؟ قال: قل. فأنشده: [من الهزج]

عـلـى الـرَّيْـحـان والـرَّاحِ ... وأيَّـام الأُكَـيْـراحِ
وإبـريـقٍ كـطَـيْـر الـمـا ... ء فـي لَـجَّـةِ ضَـحْـضـاحِ
سـلامٌ يُـسْـكَـرُ الـصـاحِـي ... ومـا فـيـه فـتًـى صـاحِ
ومَـنْ لـي فـيـهِ بـالـسَّـلْـوَ ... ة عـن وَجْـه ابـن وَضَّـاحِ؟
غـزالٌ صِـيـغَ مـن ... فِـتْـنَـةِ أبـدانٍ وأرواحِ
إذا راحَ إلـى الـبـيـعَـةِ ... فـي أثـواب أَمْـسـاحِ
فـفـي كَـفَّـيـه إفـسـادي ... وفـي كَـفَّـيْـه إصـلاحـي

/ ٢٣٤/ قال: فاستحسن الأبيات وأمر كاتبا معه بكتْبِها. وخلع على الحسين بن هشام، وأجازه.

وحكى جحظة قال: زرتُ إبراهيم بن المدبر، وكان بالكوفة. فأكرمني، وأنس بي. وأقمت عنده ثلاثة أشهر. فجرى يوماً ذكر دير حنّة، فقال ابن المدبر: والله إني لأُحِبُّ أن أراه وأشرب فيه، فقد ذُكر لي حُسنُه! فأين هو من الحيرة؟ فدلَّه إسحاق بن الحسين العلويّ عليه وقال له: في هذه الأيام ينبغي أن يُقصد، لأنها أيام ربيع ورياض معتمَّة بالزهر، والغدران. والبادية بقربه، فلن نعدم أعرابياً فصيحاً يطير إلينا، ونحن فيه، فيُهدي إلينا بيض نعام، ويجني لنا الكمأة. فتقدّم ابن المدبر إلى غلمانه بإعداد ما يُحتاج إليه. وخرج وخرجتٌ حتّى وافيناه. فإذا هو حسن البناء، والرياضُ محدقة به، ونهر الحيرة الذي يقال له الغدير بقربٍ منه. فضُربت لنا خِيمٌ عنده. وخرج إلينا رهبانه، وحملوا إلينا مما عندهم من التُّحَف واللُّطَف. فأكلنا وجلسنا نشرب. وغنيته بشعر أبي نُوَاس المتقدّم. فبينا نحن كذلك، إذا اجتاز بنا غلامٌ حَسَنٌ، عارضه كأنه بدر على غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل، ساحر اللحظ واللفظ. فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قَدَحا. واستأذنه الغلام في النهوض، وقال: معي مصحف لا تتمّ للرهبان صلاةٌ إلا بحضوره. وهذا وقت صلاتهم، وقد ضربوا الناقوس منذ ساعة. وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه، وأمر له بمائة دينار. وعملتُ شعراً صنعت فيه صوتاً. فما زال صوتَه طولَ مُقامه. وهو[1]: [من السريع]

فَـدَيْـتُ مَـن مَـرّ بـنـا مُـسْـرِعـاً ... يَـسْـعَـى إلـى الـديـر بـأسـفـارِهِ
خَـدَمـتُ ربَّ الـديـر مـن أجـلـه ... حـتّـى كـأنّـي بـعـض أخْـبـارِهِ

(١) ديوان جحظة ١٠١.

حذّرني النارَ ولم يَدْرِ ما ... في القلب والأحشاءِ من نارهِ
/ ٢٣٥/ حيّرني تَفتِيرُ أجفانه ... وحلَّ عَقْدِي عَقْدُ زُنّاره

وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام، ثم عدنا إلى الكوفة وقد عملتُ في تلك الأيام وغنّيت فيه[١]: [من الهزج]

وبالحِيرَة لي يَوْمٌ، ... ويومٌ بالأُكَيْراحِ
إذا عزّ بنا الماءُ ... مَزَجْنا الراحَ بالراحِ

وحكى الربيع عن بعض أهل الحِيرة قال: كان في دير حنّة خمار يقال له مرعبدا، موصوف بجَوْدة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الحانة. فحكى مر عبدا قال: ما شعَرتُ يوماً وقد فتحتُ حانوتي وجلست إلى جانب الهيكل، إلا بثلاثة فوارس قد أقبلوا من طريق السَّماوة في البرّ، حتّى وقفوا عليّ، وهم متلثمون بعمائم الخزّ وعليهم حُلل القصب. فسلّموا عليّ وأسفر أحدهم وقال: أنت مرعبدا، وهذا دير حنّة؟ قلت: نعم. قال: قد وُصفتَ لنا بجوْدة الشراب والنظافة، فاسقني رِطْلا. فبادرتُ فغسلت يدي ثم نقرت الدِّنان ونظرتُ أصفاها فبزلته. فشرب، ومسح يده وفمه بالمنديل. ثم قال: اسقني آخر: فغسلتُ يدي وتركت ذلك الدَّنّ وذلك القَدَح والمنديل ونقرت دَنًّا آخر. فلما رضيتُ صفاءه، بزلتُ منه رطلا في قدح، وأخذت منديلا جديدا. فناولته إياه فشرب كالأوّل. ثم قال: اسقني رطلا آخر. فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل. فشرب ومسح فمه ويده. وقال لي: بارك الله فيك! فما أطيبَ شرابَك وأنظفكَ وأحسنَ أدبك! وما كان دأبي أن أشرب أكثر من ثلاثة أرطال. فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي إلى شرب رابع، فهاته! فناولته إياه على تلك السبيل. فشرب وقال: لولا أسبابٌ تمنع من بيتك لكان حبيباً إليّ جلوسي يومي هذا فيه. وولّى منصرفاً في الطريق الذي بدا منه. ورمى إليّ أحد الراكبَيْن اللذين كانا معه بكيس. فقلت وحق النصرانية! لا قبلته حتّى أعرف الرجل. فقال: هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك! / ٢٣٦/ وُصفتَ له، فأقبل من دمشق حتّى شرب من شرابك ورأى ديرك والحيرة. ثم انصرف. فحللتُ الكيس فإذا هو أربعمائة دينار.

دير هند[٢] ـ وهي بنت النعمان بن المنذر بناه لها أبوها لتتعبّد فيه. فلما فرغ منه،

---

(١) ديوان جحظة ٦٤.

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٢٤٤ـ ٢٤٥، معجم البلدان ٢/ ٥٤١ـ ٥٤٣ مادة (دير هند الصغرى). الديارات لأبي الفرج ١٦٥، البدور المسفرة ٢١ـ ٢٢.

خرجَتْ من قصر أبيها تُريدُه. فأقامت في الطريق سنة تنزل المضاربَ في نُزَهٍ وصيْدٍ. والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ. وشقّ له بشر بن مرْوان نهرا من الفُرات. ولم يزل النهر يجري حتّى خرب الدير.

وحكي أن النعمان كان يصلي به ويتقرّب فيه، وأنه علَّق في هيكله خمسمائة قِنديل من ذهب وفضة. وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبانٍ وما شاكلهما من الأدهان، ويوقِد فيه من العود الهنديّ والعنبر شيئاً يجلّ عن الوصف.

وفيما حكى الكلبيّ أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قربانا، أَخَذت بقلبه. فدعا الراهب الذي قرّبها وسأله عنها. فقال: هي امرأة حَكَم بن عمرو اللّخميّ. فلما انصرف النعمان دعا عدِيَّ بن زيد، كاتبه. وأوقفه على الخبر وقال له: كيف الحيلة؟ فقال له: إذا كان بكرةُ غدٍ وحضر الناس البابَ، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك على سريرك. ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده. فجعلوا يتعجبون. وانصرفوا. فقال النعمان لعديّ بن زيد: قد فعلتُ ما أشرتَ به، فَمَهْ؟ قال: إذا أصبحتَ فاكسُه واحملْهُ. ففعل. ثم قال: اِحمل حوائج العرب إليه. ففعل. ثم قال النعمان لعديّ بن زيد: قد طال هذا! قال: إذا أصبحتَ، فإن عندك عشر نسوة، فطلق أبغضهنّ إليك. ثم قل له: قد طابت نفسي لك بما لم تَطِب به لولد ولا أخ. قد طلّقت لك فلانة، فتزوّجْها. ففعل ذلك. وخرج وهو لابسٌ من حُلَل النعمان، ولديه ما حمله عليه. فجلس وحكم بين العرب، وعديُّ بن زيد بالباب جالس. فقال له اللخميّ: ما أدري ما أكافيء به الملك؟ فعل معي وفعل. فقال له/ ٢٣٧/ عديّ: ما أقْدَرك على مكافأته! قال: وما هو؟ قال: طلق امرأتك كما طلق لك امرأته. قال: قد فعلتُ. فأنفذها إلى النعمان. وفي ذلك يقول الشاعر: [من البسيط]

عُلِّقْتها حُرَّةً حَوْراءَ ناعمةً ... كأنها البدرُ في داجٍ من الظُلَمِ
ما في البريَّة من أُنثى تُعادِلها ... إلا التي أخذ النُّعمانُ من حَكَمِ

وقد ذكره أبو الفرج وقال: هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير، هي الحُرَقَة. وهي التي دخلت على خالد بن الوليد. وآخر آمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة وكسوة. فقالت: ما لي إليه حاجةٌ. لي عبدان يزرعان مزرعة لي، أتقوّت بها ما يُمسِك رمقي. وقد اعتددت بقولك فعلا وبعرضك نقدا. فاسمع منّي دعاءً أدعو به لك، كنا ندعو به لأملاكنا: شكرتْكَ يدٌ افتقرت بعد غنًى، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه!

قال: وهذا الدير يقارب دير بني عبد الله بن دارم بالكوفة، مما يلي الخندق.

وحكى الشابشتيّ: أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دير هند بنت النعمان، وهي متمكنة من عقلها ورأيها، فانْظر إليها فإنها بقيةٌ. فركب، والناسُ معه، حتّى أتى الدير، فقيل لها: هذا الأمير الحجاج بالباب: فاطّلعت من ناحية الدير. فقال لها: يا هندُ! ما أعجبَ ما رأيتِ؟ قالت: خروج مثلي إلى مثلك. لا تغترَّنَّ يا حجاج بالدنيا، فإنا أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبي: [من الطويل]

رأيتُك من تَعْقِدْ له حبلَ ذمةٍ ... منَ الناس، يأْمَنْ سرجه حيثما ارتقى

ولم نُمسِ إلا ونحن أذلّ الناس. وقلّ إناء امتلأ إلا انكفأ. فانصر الحجاج مُغْضَبا. وأرسل إليها مَن يخرجها من الدير، ويستأديها الخراجَ. فأُخرجت، ومعها ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنّ: [من الخفيف]

/٢٣٨/ خارجاتٌ يُسَقْنَ من دير هندٍ ... مُعلناتٌ بِذلّةٍ وهَوانِ

ليْتَ شِعْري! أأوّلُ الحَشْر هذا ... أم محا الدَّهرُ غَيْرَةَ الفِتْيَانِ؟

فشدّ فتًى من أهل الكوفة على فرسه. فاستنقذهنّ من رُسُل الحجاج. وتغيّب. فبلغ الحجاج شعرُها وفعلُ الفتى. فقال: إن أتانا، فهو آمِنٌ؛ وإن ظفرنا به، قتلناه! فأتاه. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الغيرة. فوصله وخلاّه.

وكان سعد بن أبي وقّاص حين فتح العراق، أتى هنداً، إلى ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: سأحييك بتحية كانت ملوكنا تُحَيَّا بها «شكرتك يدٌ افتقرت بعد غنًى، ولا مسّتك يدٌ استغنت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجةً، ولا نزع عن كريم نعمةً إلا جعلك سببا لردّها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، لما ولاّه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير على الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفمن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شُعبة الثقفيّ. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُكِ خاطباً. قالت: والصليبِ! ما جئتني رغبةً في مال، ولا شغفا بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ ابنة النعمان. وإلا فأيّ فخر في اجتماع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ إذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب: أمسينا وليس في العرب أحدٌ إلاّ وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحد إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف؟ قالت: اختصم إليه رجلان، أحدهما ينميها إلى إياد والآخر ينميها إلى بكر بن هوازن. فقضى بها للإياديّ، وقال: [من الرجز]

إنّ ثَقِيفاً لم تكُنْ هَوازِنا
ولم تُناسِبْ عامِراً ومازِنا!

/ ٢٣٩/ قال المغيرة: أمّا نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ما شاء!

دير اللُّجّ[١] ـ وهو بالحيرة. مما بناه النعمان بن المنذر. وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناءً: لما يُطيف به من البساتين. وكان النعمان يأتيه يتعبَّد فيه، ويستشفى به في مرضه. وفيه قيل: [من السريع]

يا ليلتِي أطْيبْ بها ليلةً، ... لو لم يَكُنْ قصَّرها الطِّيبُ
بِتنا بدير اللُّجّ في حانةٍ ... شَرابُها في الكأس مكْبوبُ
يُديرها ظَبْيٌ هَضِيمُ الحَشَا ... يحبّه الشُّبّان والشِّيبُ
حتّى إذا ما الخمر مالَتْ بِنَا ... جَرتْ أمورٌ وأعاجِيبُ
فما ترى ظنّك في شادنٍ ... باتَ إلى جانبه ذِيبُ

وقد ذكره أبو الفرج، فقال: كان النعمان يركب في كل أحد إليه، وفي كل عيد. معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومَن ينادمه من أهل دينه. عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصصة بالجوهر. وبين أيديهم أعلامٌ فوقها صُلبانُ الذهب. فإذا قَضَوْا صلاتَهم، انصرف إلى مُسْتَشْرفه على النُّجُب. فيشرب فيه بقية يومه إلى أن يُمْسي، وخلع ووصل وحمل. وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه. وأنشد فيه قول الشاعر: [من الطويل]

سقى اللهُ ديرَاللجّ خيراً فإنَّهُ ... على بُعْدِه مِنِّى إليّ حَبِيبُ
قريبٌ إلى قلبِي بعيدٌ مكانُه، ... وكم من بَعِيدِ الدارِ وهو قريبُ

دير بني علقمة[٢] ـ وهو دير بناه علقمة بن عدِيّ اللخميّ، بالحيرة. وفيه يقول عَدِيّ بن زيد، وفيه غِناء[٣]: [من السريع]

نادمْتُ في الدير بَنِي عَلْقَما ... عاطَيْتُهُم مشمولةً عَنْدَمَا
كأنَّ رِيحَ المِسْك في كأسِها ... إذا مَزَجْناها بماءِ السَّما

/ ٢٤٠/ دير هند الأقدم[٤] ـ وهي هندٌ الكبرى بنت الحارث بن عمرو بن حجر،

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٠ مادة (دير اللج).
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٢٤ مادة (دير علقمة).
(٣) ديوانه ١٦٦.
(٤) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٤٢ـ ٥٤٣ مادة (دير هند الكبرى)، الديارات للأصفهاني ١٦٨ـ ١٦٩، ذيل الديارات للشابشتي ٣٨٨ـ ٣٩٢.

الملك، أم عمرو ابن المنذر الملك.

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ عن أبيه قال: دخلت مع يحيى بن خالد، لما خرجنا مع الرشيد، إلى الحيرة. وقد قصدها ليتنزه بها ويرى آثار آل المنذر. فدخل دير هند الأكبر. وهو على طَرَف النَجَف: فرأىَ في جانب حائطه شيئاً مكتوباً. فدعا بسُلَّم فأُحضِر. وأمر بعض أصحابه بأن يصعد إليه، فيقرأه. فإذا فيه مكتوبٌ: [من السريع]

إنّ بَنِي المُنْذِر عامَ انْقَضَوْا ... بِحيثُ شاد البِيعَةَ الراهبُ
تَنْفَحُ بالمِسْك ذَفَارِيُّهم ... وعَنْبرٌ يَقْطِبه القاطبُ
والقَزّ والكَتّان أثوابُهم ... لم يَجْلُبِ الصوفَ لهم جالبُ
والعِزّ والمُلْكُ لهم راهنٌ ... وقَهْوةٌ ناجُودُها ساكبُ
أضْحَوْا وما يرجوهُمُ طالبٌ ... خيرا ولا يرهَبُهُمْ راهبُ
كأنَّهم كانُوا بها لُعْبَةً ... سارَ إلى بَيْنٍ بها راكِبُ
وأصْبَحُوا في طَبَقات الثَّرى ... بعدَ نَعِيم لهمُ راتبُ
شرُّ البقايا مَنْ تَرى منهم ... قُلٌّ وذُلٌّ جَدُّه خائبُ

فبكى الرشيد، حتّى جَرَت دموعه على لحيته. وقال: هذه سبيل الدنيا وأهلها! وانصرف عن وجهه ذلك.

قبة الشُنّيق[١] - وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاجّ. وبإزائها قباب يقال لها السُّكُورَة، جميعها للنصارى. وعيد الشعانين بها نَزِهٌ. يخرج فيه النصارى من السكورة إلى القبة في أحسن زيّ، عليهم الصلبان وبأيديهم المجامر. والقسوس والشمامسة على نَغَم واحد، متّفق في الألحان، إلى أن يقضوا بغيتهم. ثم يعودون على هيأتهم.

/ ٢٤١/ دير إسحاق[٢] - وهو بين حِمْص وسَلَميّة. في موضع حَسَن نَزِه، على نهرٍ جارٍ. وحوله كرومٌ ومزارعُ، إلى جانب ضيعة صغيرة، يقال لها جَذْر. وهي التي ذكرها

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٤١-٢٤٣ وفيه (قبة الشتيق)، معجم البلدان ٣/ ٢٧٠ مادة(سنيق) وهي بالسين المهملة.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٨ مادة (دير إسحاق)، بغية الطلب ٦/ ٢٨٦٣، ١٠/ ٤٦٨٩.

الأخطل[(١)] في قوله: [من المديد]

عــــتَّـــقـــتـــهـــا حِـــمْـــصُ أو جَـــذَرُ

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشميّ، من أهل سَلَمِيَّة: [من الكامل]

وافِقْ أخاكَ تَـجِـدْهُ خيـرَ رفيـقِ، إنْ كنتَ لستَ عنِ الصِّبَا بمُفِيقِ

وإذا مـررتَ بـديـر إسـحـاقٍ فـقُـلْ: جـادَتْـكَ غـيـرُ سَـحـائـبٍ وبُـرُوقِ

ديـــرٌ يُـــشَـــبَّـــهُ مـــاؤُه بـــهـــوائـــهِ وهـــواؤُه بِـلَـطَـافـةِ الـمـعـشُـوقِ

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أخيه من دير إسحاق: [من البسيط]

أَمَا طَربت لـهذا العـارِض الطَّرِب؟ أما رأيتَ الصَّبا والجوَّ في لَعِبِ؟

تـعـانَـقَـا فـكـأنّ الـقَـطْـرَ بـيـنـهـمـا من فضةٍ، وكأنّ الزهرَ منْ ذَهَبِ

ونحن في دير إسحاقٍ ومَجْلِسُنا يشكُو مَغِيبَك، فاحضُرْهُ ولا تغِب

لِنجعلَ اليومَ عيداً في مَلاَحتِهِ ونقلبَ الهمّ بالأدوار في القُلُبِ

وقال فيه: [من المتقارب]

سـلامٌ عـلـى لـيـلـةٍ بـالـدُّوَيْـرِ تـقـضّـتْ كـزائـرةٍ فـي الـحُـلُـمْ

أَتَـتْـنِـيَ فـي طَـيْـلَـسـانِ الـضـيـاءِ ولـم تَـتَـقَـنَّـعْ بـنـورِ الـظُّـلَـمْ

يـعـارِضُ فـيـهـا ابـتـسَـامَ الـبُـروق بُـرُوقُ دِنـانٍ بـهـا تَـبْـتَـسِـمْ

وصـفـراءُ لـم تُـبْـقِ إلاّ الـنـحـيـفَ مـنـهـا الـلـيـالـي وطـولُ الـقِـدَمْ

تـمـزَّزْتُـهـا فـي ثـيـابِ الـدُّجـى إلـى أن تـجـلّـى الـدُّجـى لـلـهَـرَمْ

نـزلْـنـا بـهـا وَسْـطَ مُـكـسُـوَّةٍ مَـطَـارفَ مـن نَـسْـج أيـدِي الـدِّيَـمْ

سـقـانـي ابـنُ قِـسّـيـسـهـا كـأسَـهـا عـلـى زَوْرةٍ مـن حـبـيـبٍ أَلَـمْ

---

(١) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك، المعروف بالأخطل: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، واكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة بالعراق، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجم مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تيّاهاً، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها. ولد سنة١٩هـ/ ٦٤٠م وكانت إقامته طوراً في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية. وحيناً في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه. وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة، توفي سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م. له «ديوان شعر ـ ط» ولعبد الرحيم بن محمود مصطفى «رأس الأدب المكلل في حياة الأخطل ـ ط» ولفؤاد البستاني «الأخطل ـ ط» ومثله لحنا نمر.
ترجمته في: الأغاني طبعة دار الكتب ٨/ ٢٨٠ والشعر والشعراء ١٨٩ وشرح شواهد المغني ٤٦ وخزانة البغدادي ١/ ٢١٩ـ ٢٢١ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٥١٥، الأعلام ٥/ ١٢٣، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٣٣ـ ١٣٤.

/ ٢٤٢/ وقال فيه: [من الطويل]

أَتَظْمَا رِياضُ الدير من صَوْب ماطِر ... ولم أَقْر ضيفَ الليلِ أجفانَ ساهِر؟
وقلتُ: سقى الصحراءَ بين عَواقصٍ ... ذوائبها في سَفْحه ونواشر
رحيمٌ بأطفالِ العَرُوسِ يضُمُّها ... إذا ما انثنتْ ضَمَّ الشَّفيقِ المحاذرِ
فكم قلتُ للساقِي، وقد فتح النَّدى ... نواظرَها: قُمْ هاتِها لا تُناظِرِ
يحنّ إلى الدير اشتياقِي كأنَّما ... يُريني الصِّبا فيه بموقع ناظِري

دير مِيمَاس[١] ـ وهو بين دمشق وحمص على نهر مِيمَاس. وإليه نُسب. وهو في رياض وبساتين، وعليه طواحين روميَّة. ويزعم رهبانه أن به شاهداً من الحواريين.

وحكى العسقلانيّ أنه كان لديك الجنّ[٢] غلام يهواه، وكان شديد الوجد به فخدعه قومٌ ومضَوْا به إلى دير مِيماس، وسقَوْه نبيذاً. فبلغ ذلك الديك، فقلِق. وقال[٣]: [من السريع]

قلْ لهضِيم الكَشْحِ مَيّاسِ: ... اِرتَفَعَ العهدُ من الناسِ
يا طاقةَ الآسِ التي لم تَمِدْ ... إلاّ أذلَّتْ قُضُبَ الآسِ
وثِقتَ بالكاسِ وشُرَّابِها، ... وحَتْفُ أمثالكَ في الكاسِ
في دير مِيماسٍ، وما بُعْدَ ما ... بين مُغيثِيكَ ومِيمَاسِ
لا بأسَ مولايَ على أنّها ... نِهايةُ المَكْروه والباسِ
فالْهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم ... سيُصبحُ الذاكِرُ كالناسي

وحُكي أن أبا نُوَاس، لما دخل حمص مارًّا بها، دعاه فتًى من أدبائها إلى دير ميماس. ودعا معه أشجعَ السُلميّ[٤]. فجلسوا يشربون، وأبو نُوَاس يُنشدُهم، له ولغيره.

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٨ مادة (دير ميماس)، الديارات النصرانية ١٠٩.

(٢) عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن، شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين، أصله من سلمية ـ قرب حماة ـ مولده سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م في حمص بسوريا ووفاته فيها سنة ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م، لم يفارق بلاد الشام، ولم ينتجع بشعره، له: «ديوان شعر» طبع بتحقيق معين الملوحي ومحيي الدين الدرويش، ط دمشق ١٩٧٤م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٩٣، الأعلام ٤/ ٥، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ١٦٢ـ ١٦٣.

(٣) ديوانه ١٢٠ـ ١٢٢.

(٤) أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بني سُليم من قيس عيلان، شاعر فحل، كان معاصراً لبشار، ولد باليمامة ونشأ في البصرة، وانتقل إلى الرقة واستقر ببغداد، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد، فأعجب الرشيد به، فأثرى وحسنت حاله، عاش إلى ما بعد =

فقال أشجعُ[1]: [من المنسرح]

صَبَّحتُ وجهَ الصَّباح بالكاس ... ولم تَعُقْني مقالةُ الناسِ

/٢٤٣/ ونحنُ عِنْدَ المُدام أربعةٌ ... أكْرَمُ صَحْبٍ وخيْرُ جُلاّسِ

نُدِيرُ حِمْصِيّةً مُعَتَّقَةً ... على نسيم النِّسرينِ والآسِ

ولم يزلْ مُطْرِباً ومنشدنا ... أبو نُوَاسٍ في ديرِ مِيمَاسِ

دير مُحَلّى[2] ـ وهو بساحل جيحان، قريب المصِّيصَة.

وحكى أبو نصر النحويّ أن أبا خالد، الكاتب، اجتاز بهذا الدير، ومعه ابن أبي زرعة الدمشقيّ الشاعر[3]. قال: فرأينا من حُسن رياضه، وتدفُّق مائه، وطِيب هوائه، ونَضْرة أشجاره، منظراً حسناً. فقال ابن أبي زرعة: لقد حُظِر علينا أن نتجاوز هذا الموضع ولا نشرب فيه حتّى نموت سكرا. فقلت له: ويحك! أنا مبادر في مُهِمّ. فقال: ما قدّامَك أهمّ من هذا. وثنى رجله، ونزل عن دابته. فنزلنا. ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد والياسَمين والتُفَّاح. وأخرجوا إلينا شراباً عتيقاً، في نهاية الصفاء والرقة، فابتعناه منهم. وأقمنا يومنا هناك في أنعم عيش وأحسنه. فلما أصبحنا، غَدَوْنَا. فأنشدني أبو زرعة لنفسه: [من المنسرح]

ديرُ مُحلَّى مَحِلَّةُ الطربِ ... وصحنُه صحنُ روضةِ الأدبِ

والماءُ والخمرُ فيه قد سُبِكا ... للصفو منْ فِضَّةٍ ومنْ ذهبِ

لا ودموعُ الغمام روّق ذا ... وتلك لم تُعْتَصر من العِنَبِ

ووَرْدُه في الغصونِ تَيَّمني ... حُسْناً وتُفَّاحُه يُبَرِّحُ بي

فلا تَلُمْني إذا جعلتُ إلى ... حاناتِه ما حَيِيتُ مُنْقَلَبي

= وفاة الرشيد ورثاه، توفي نحو ١٩٥هـ/ نحو ٨١١م، وأخباره كثيرة. له «ديوان شعر» جمعه وحققه خليل بنيّان الحسون بعنوان «أشجع السلمي حياته وشعره» ط بيروت ١٩٨١.

ترجمته في: الأغاني ١٧/ ٣٠ـ ٤٤، معاهد التنصيص ٤/ ٦٢، تاريخ دمشق ٩/ ١٠٥ـ ١١٣، تاريخ بغداد ٧/ ٤٥، الشعر والشعراء ٣٧٣، بغية الطلب ٤/ ١٨٨٧، خزانة البغدادي ١/ ١٤٣، الموشح ٢٩٥، الأعلام ١/ ٣٣١، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٢٨٨ـ ٢٨٩.

(١) أخل بها كتاب «أشجع السلمي».

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٩ مادة (دير المحلى).

(٣) محمد بن عبد الرحمن ـ أبي زرعة ـ بن عمرو الدمشقي، محدّث وشاعر، له شعر جيّد، توفي نحو سنة ٢٨١هـ.

ترجمته في: تاريخ دمشق ٥٤/ ٩٧، تأريخ الإسلام (السنوات ٢٨١ـ ٢٩٠هـ) ص٢٧١ رقم ٤٦٤.

رضِيتُ أن أغتدي بلا نَشَبٍ ويغتدي وهو قد حَوى نَشَبي

دير مارمروثا(١) ـ وهو دير صغير، بظاهر حَلَب، في سفح جبل جَوْشَن، على نهر العُرجان.

وكان سيف الدولة محسناً إلى أهله. وقلّما مرّ به إلا نزله، ووهب لأهله هِبَةً كبيرة. وكان يقول: رأيت أبي في النوم يُوصِيني به.

وله بساتين قليلة ومباقل. وفيه نرجس وينفسج وزعفران.

/ ٢٤٤/ ويعرف بالبِيعتين؛ لأن فيه مسكنين: للرجال والنساء.

قال الخالديّ وإياه غنى الصنوبريّ(٢) بقوله(٣): [من المنسرح]

ما بالُ أعلى قُوَيْقَ يَنْشُرُ مِنْ وشْيِ الربيعِ الجديدِ ما أَدْرَجْ؟
كأنّما اختيرتِ الفُصوصُ له بينَ عَقِيقٍ وبينَ فَيروزَج
أما ترى البِيعَتَيْنِ أُفرِدتَا بمُفرَدِ الأُقْحُوان والمُزْوَجِ؟
أثوابه المُزْنُ كيف ما اتصلَتْ ونارُه البرقُ كيفَ ما أَجَّجْ

دير الرُّصَافة(٤) ـ هو بالشام، قريبَ رُصَافة هشام بن عبد الملك. وموضعه حَسَنٌ.

وفيه قيل: [من الوافر]

نَراكَ جَزِعتَ يا ديرَ الرُّصافهْ غَداةَ تحوَّلَتْ عنك الخِلاَفه
فلا تَجْزَعْ وتُذْرى الدَّمْع حُزْناً، فإنَّ لكلّ مجتَمِعَيْنِ آفه

وحُكي أن أبا نُوَاس مرّ به، فبات فيه. فلما رحل عنه، قال(٥): [من الخفيف]

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣١ مادة (دير مارت مروثا)، الديارات النصرانية ٣٢/ ٣٧.

(٢) أحمد بن محمد بن الحسن بن مَرَّار الضبي الحلبي الأنطاكي، أبو بكر، المعروف بالصنوبري: شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار. وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة. تنقل بين حلب ودمشق. وجمع الصولي «ديوانه» في نحو ٢٠٠ ورقة، وجمع الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب «الديارات ـ ط» للشابشتي زيادات على ما في الروضيات. ثم نشر الدكتور إحسان عباس مخطوطة يظهر أنها الجزء الثاني من الديوان، وأضاف إليها ما تفرق من شعره في مجلد سماه «ديوان الصنوبري ـ ط».

ترجمته في: فوات الوافيات ١/ ٦١ وإعلام النبلاء ٤/ ٢٣ والبداية والنهاية ١١/ ١١٩ وسماه «محمد بن أحمد بن محمد بن مراد؟» وفيه: وفاته في حدود سنة ٣٠٠ هـ، والديارات ١٤٠ـ ١٤٤ واللباب ٢/ ٦١ ونسمة السحر ١/ ١٢٧ـ ١٣٤ وأعيان الشيعة ٩/ ٣٥٦ـ ٣٨١، الأعلام ١/ ٢٠٧، معجم الشعراء للجبوري ١/ ١٩١.

(٣) ديوانه الملحق ٤٠٤.

(٤) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٠ مادة (دير الرصافة).

(٥) أخل بهما ديوانه.

لـيـس إلا دَيْـرَ الـرُّصـافـةِ ديـرٌ فيه ما تشْتَهِي النُّفُوس وتَهْوى
بِـتُّـه لـيـلـةً فـقـضَّـيْـتُ أوطـا راً ويـومـاً مـلأْتُ قُطْرَيْـهِ لَـهـوا

وقد ذكره أبو الفرج وقال: إن ابن حمدون حكى أن المتوكل لما أتى دمشق، ركب يوما إلى رُصافة هشام، يزور دوره وقصوره. ثم خرج فأتى الدير. وهو من بناء الروم، حسن البناء، بين مزارع وأنهار. فبينا هو يدور، إذ بُصر برقعةٍ قد أُلصِقت في صدره. فأمر بها أن تقلع ويؤتى بها. فقُلِعت وإذا فيها: [من الطويل]

أيا مَنْزِلا بالديْرِ أصْبح خالِياً! تَـلاعَـبُ فـيـه شَـمْـأَلٌ ودَبُـورُ
كأنّك لم تَسْكُنْكَ بِيضٌ أوانسٌ ولم تَتَبَخْتَرْ في فِنائِكَ حُورُ
وأبـنـاءُ أمـلاكٍ عَـبَـاشِـمُ سـادةٌ أصاغِرُهُمْ عند الأَنام كبيرُ
/ ٢٤٥/ إذا لَبِسُوا أدْراعَهم فضراغمٌ وإن لَبِسوا تِيجانَهُم فبُدُورُ
ليالي هشام بالرُّصافة قاطِنٌ وفيكَ ابنُه يا ديْرُ وهو أميرُ
إذِ العَيْشُ غَضٌّ والخلافة لَدْنَةٌ وأنتَ طَرِيرٌ والزمانُ غَرِيرُ
وروضُكَ فَيْنانٌ يذُوبُ نَضارةً وعيْشُ بني مَرْوانَ فيكَ نَضِيرُ
رُوَيْدَكَ إنّ اليومَ يتْبَعُه غَدٌ وإنّ صُرُوفَ الدائراتِ تدُورُ!

فلما قرأها المتوكل، ارتاع وتطيّر. وقال أعوذ باللهمن شرّ أقداره! ثم دعا بالدَّيرانِيِّ وقال: مَنْ كتب هذا؟ قال: واللهلا أدري؛ لأني منذ نزل أمير المؤمنين هنا، لا أملك من أمور هذا الدير شيئاً. يدخله الجند والشاكرية. وغاية قدرتي أنّي متوارٍ في قلاّيتي. فهمَّ بضرب عُنُقه وإخراب الدير. فلم يزل به الفتح بن خاقان حتّى كفّ. ثم ظهر أن الذي كتبها رجلٌ من ولد رَوْح بن زِنْباع، صاحب عبد الملك، وأمه مولاةٌ لهشام.

دير حمطورا ـ هو في شرقيّ طرابلس، في جانب الوادي. الذي أسفل من طرزيه والحَدَث.

وهو بناء في سَفح الجبل. من ذلك الجانب، قُبالةَ الطريق السالك إلى طرابلس.

وهو حصين جدّا، لا يُسلَك إليه إلا من طريق واحد. وظهر الجبل الذي له ممتنع.

دير البنات ـ وهو ديرٌ أبيضُ البناء، مشرفٌ على أرض طرابلس. له ذِكْرٌ.

حُكي أنّ الطّيّبيّ أتاه في يوم شُعشعت شموسُه، وأُترِعت كؤوسُه. وكان الفصل ربيعا قد استطال فيه النبات، وطَلَّ الحسن تلك البنات. وفيهنَّ كل عذراء تدهش المتحَبِّر، وتحيّر المتخَيِّر. وكان قد صحبه غلامٌ ذو عذار أخصب به البلد الماحل، وقذف موج الخدّ منه العنبر إلى الساحل. وطافت عليه قطائع المدام. وأمن شنائع الملام، وتقلّب بين غلامة وغلام. فقال: [من السريع]

ديرَ البناتِ الزُّهْر أنتَ المُنَى وأنتَ منْ دُون الأماني المَرامْ
لم أنسَ يوما فيكَ أذهبتُه، تاللهِ بل ذهَّبتُه بالمُدامْ
ونحن في غِرَّة أيّامنا والعيْشُ مثلُ الطَّيفِ حُلْوُ اللِّمامْ
والدَّوْحُ ما جَفَّتْ له زَهْرةٌ والروضُ طِفلٌ ما جَفَاه الغمامْ
وبيننا خَودٌ كشمس الضُّحى وأغْيدٌ قد فاق بدرَ التَّمام
لولا نَباتُ الشَّعْر في خدّه لم تدرِ أيُّ الأغيَديْنِ الغُلام][1]

دير كَفْتُون[2] ـ وهو ببلاد طرابلس. مبنيٌّ على جبل. وهو دير كبير. وبناؤه بالحجر والكِلس، في نهاية الجودة. وبه ماءٌ جارٍ. وله حوض كبير مملوء من شجر النارَنج، يُحمل نارَنجه إلى طرابلس، يباع بها. ويَرتفِق بثمنه الرُّهبان. وله مُسْتَشْرَفٌ مطلٌّ على البلاد والمزارع. ومنه مكانٌ يشرف، على بعدٍ، على البحر.

ولهذا الدير صيتٌ جائلٌ وسمعةٌ مذكورةٌ. وبه رهبان كثيرو العدد. والنصارى تقصده، وتحمل إليه النذورة. ويقصده كثير من أهل البطالة واللهو، للتفرج به والتنزه فيه.

وفيه يقول الطيِّبيّ: [من البسيط]

أدَيْرَ كَفْتُونَ تُكفَى كلَّ نائبةٍ من الهُموم وتَلْقى كلَّ سَرَّاءِ
من كلّ خَضْراءَ في الأشجار مائسةٍ وكلِّ صَهْباءَ في الكاساتِ حمراءِ
حللتُ في دير كفتونٍ فلا عَجَبٌ إذ مُتُّ سُكرا بحمْراءٍ وخَضْراءِ

/٢٤٦/ دير القاروس ـ على جانب اللاذقية، من شمالها. وهو في أرض مستوية. وبناؤه مربع. وهو حسن البقعة.

وفيه يقول أبو عليّ حسن بن عليّ الغَزِّيّ[3]: [من الكامل]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) انظر: الديارات النصرانية ٣٩.

(٣) الحسن بن علي بن حمد شَنَار الغزي الزغاري، بدر الدين: شاعر، من كتّاب الإنشاء في ديوان دمشق، ولد سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، كانت بينه وبين جمال الدين ابن نباتة منافرة، وله فيه هجاء، وله رسالة سمّاها «قريض القرين» عارض بها ابن شهيد في رسالة «التوابع والزوابع» وكان صديقاً لصلاح الدين الصفدي وبينهما مراسلات شعرية ونثرية رقيقة أوردها الصفدي في كتابه «ألحان السواجع» توفي سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٢٢، ألحان السواجع ١/ ٣١٢ـ ٣١٤، الأعلام ٢/ ٢٠٤، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٥٩.

لم أنسَ في القارُوسِ يوماً أبيضا مثْلَ الجبين يَزِينهُ فرعُ الدُّجى
في ظل هيْكلهِ المَشِيدِ وقد بدَا للعينِ معقُودَ السَّكينة أبلجا
واللاذِقيَّةُ دونه في شاطِىءٍ بَلُّوره قد زَيَّن الفَيْروزَجا
ولديّ من رُهْبانه مُتَنَمِّسٌ أضحى لفرط جَماله متبرِّجا
أحوى أغنُّ إذا تردّدَ صوتُهُ في مَسْمَع ردّ احتجاجَ ذوِي الحِجى
لا شيءَ ألطفُ من شمائِلِهِ إذا حَثَّ الشَّمُولَ ولفظُهُ قد لجلجا
فلهُ ولليومِ الذي قَضَّيتُه مَعَهُ بكائي لا لرَبعٍ قد شَجا

دير فِيق[1] ـ وهو في ظهر فيق، بينها وبين بحيرة طبرية. في لحفِ جبل يتصل بالعقبة. منقور في الحجر. وهو عامر بمن فيه وبمن يرد عليه. والنصارى تقصده وتعظمه.

قال الشابشتيّ: ويُزعمُ أنه أوّل دير عُمِل وأن المسيح (عليه السلام) كان يأوِي إلى ذلك الموضع الذي عمل به هذا الدير، ويجلس إلى ذلك الحجر. وكل من دخل من النصارى ذلك الموضع، كسر من ذلك الحجر: تبركاً به. وعمل في هذا الدير موضعٌ على اسم المسيح، (عليه السلام).

قال: ولأبي نواس قصيدة، يذكر فيها هذا الدير ويخاطب فيها غلاماً نصرانياً كان يهواه. منها[2]: [من الوافر]

بمعموديةِ الدِّين العتيقِ، بِمَرْطَبْلِيطِهَا، بالجَاثَلِيقِ
تُخَجِّلُ قاصداً ماسَرْجِسانَاً فدَيْرَ النُّوبَهارِ فديرَ فِيقِ
وبالصُّلُبِ اللُّجَيْنِ وقد تبدّتْ وبالزُّنَّار في الخَصْر الدَّقيق
وبالحُسْنِ المركَّبِ فيكَ إلاَّ رحِمْتَ تحيُّري وجُفُوفَ رِيقي
/٢٤٧/ أما والقُرْبِ من بعد التَّنائي، يمينُ فَتى لقاتلهِ عَشِيق
لقد أصبحتَ زينةَ كلِّ بكرٍ وعيداً مَعْ جَفائِكَ والعُقوق

دير الطور[3] ـ والطور جبل مستدير، متسع الأسفل، لا يتعلق به شيء من الجبال، وليس له إلا طريق واحد، بين طبريّة واللَّجُّون. مشرف على الغور والمرج وطبرية. نَزِهٌ. وفيه عين تنبع بماء غزير، والدير في القبلة، مبنيٌّ بالحجر. وحوله كروم كثيرة، يَعْتَصرونها. ويعرف بدير التجليّ؛ لأنهم بزعمهم أن عيسى تجلّى

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٢٠٤ـ ٢٠٦، معجم البلدان ٢/ ٥٢٥ـ ٥٢٦ مادة(دير فيق).
(٢) أخل بها ديوانه.
(٣) انظر: الديارات للشابشتي ٢٠٧ـ ٢١٣، معجم البلدان ٢/ ٥١٩ـ ٥٢٠ مادة(دير الطور).

فيه لتلامذته، بعد أن رُفع حتّى أراهم نفسه وعرفوه.

وللمهلهِل بن يموت بن المُزَرَّع[1] فيه: [من المتقارب]

مضيْتُ إلى الطُّورِ في فِتْيةٍ ... سِراعِ النُّهُوضِ إلى ما أُحِبّْ
كِرامِ الجُدُودِ، حِسانِ الوجُوه، ... كُهولِ العقولِ، شَبابِ اللَّعِبْ
فأيُّ زمانٍ بهم لم يُسَرّ ... وأيُّ مكانٍ بهم لم يَطِبْ؟
أنختُ الرِّكَابَ على ديْرِهِ ... وقضَّيْتُ من حقِّه ما يجبْ
وأنزلتُهم وَسْطَ أعتابِهِ ... وأسقيتُهُمْ من عَصِيرِ العِنبْ
وأحضرتُهم قَمراً مُشْرِقا ... تَميلُ الغُصُونُ به في الكُثُبْ
نَحُتُّ الكؤوسَ بأهْزاجِه ... وَمرْسُوم أرْمالِهْ بالعَجَبْ
وما بين ذاك حديثٌ يَرُوق ... وخوضٌ لَهمْ في فُنُون الأدَبْ
فيا طِيبَ ذا العيش لو لم يَزُلْ ... ويا حُسنَ ذا السعدِ لو لم يَغبْ

وأنشد له الشابشتيّ في نحو من مثل هذا الأرب، وقد دعا نوّار الربيع إلى شرب ابنة العنب: [من الخفيف]

قد أبانت ليَ الرياضُ منَ الـ ... ـزَّهْر غريبَ الصُّنُوفِ والألْوانِ
وبَدَا النَّرْجِسُ المفتَّحُ يَرْنُو ... من جُفُون الكافُورِ بالزَّعفرانِ
وَقَفَ الطَّلُّ في المَحاجِر منها ... ثم ماسَتْ فانهلَّ مثلَ الجُمانِ
/٢٤٨/ يا غلامُ اسقِني فَقدْ ضَحِكَ ... الوقْتُ وقد تمّ طِيبُ هذا الزمانِ
أَدْنِ مِنّي الدِّنانَ! صُبَّ الأَباريقَ! ... استحِثَّ الكؤوسَ! صُفَّ القَنَانِي
بادِرِ الوقتَ واغتَنِم فُرَص العيْش ... ولا تَكْذِبَنَّ فالعُمرُ فانِي

وكذلك أنشد له قوله: [من المتقارب]

زمانُ الرِّياضِ زمانٌ أنِيقْ ... وعَيْشُ الخَلاَعةِ عَيْشٌ رقِيقْ
بَهارٌ بَهِيرٌ به غَيْرَةٌ ... على نَرْجِسٍ وشَقيقٍ شَقِيقْ
مَداهِنُ يحمِلنَ طَلَّ النَّدى ... فهاتِيكَ تِبرٌ وهذِي عقِيق

---

(١) مهلهل بن يموت بن المزروع العبدي، من شعراء العصر الإخشيدي بمصر، وله في رثاء الإخشيد (ت ٣٣٤هـ) قصيدة أوردها النويري، كان راوية للشعر كأبيه، منهمكاً في الخلاعة واللعب توفي بعد ٣٣٤هـ/ بعد ٩٤٦م، صنف كتاب «سرقات أبي نؤاس ـ ط» و«محاسن شعر أبي نؤاس».
ترجمته في: نهاية الأرب ٥/ ١٨٦، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٥، الأعلام ٧/ ٣١٦، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٤٦٢.

فـبـادِرْ بـنـا حـادثـاتِ الـزَّمـانِ ... فـوجـهُ الـحَـوَادِثِ وجْـهٌ صَـفِـيـقْ

وقوله في مثله: [من المنسرح]

قـد قُـدِّمَـتْ لـلـسـرورِ أثْـقـالُ ... وحَـثَّ شـهـرَ الـصِّـيَـام شـوّالُ
وأقـبـلَ الـلـيـلُ لابـسـاً حُـلَـلاً ... مِـسْـكـيَّـةً مـا لـهـنَّ أذيـالُ
واهـتـزَّ عُـودٌ وحَـنَّ مـن طَـرَبٍ ... شـوقٌ وغَـنَّـتْ بـالـراح أرطـالُ
فـاغـتـنِـمُـوا فُـرْصـةَ الـزَّمـان ولا ... تُـفَـرِّطُـوا فـالـزَّمـانُ مُـغْـتـالُ

دير المُصَلَّبَة ـ وهو بظاهر مدينة القدس الشريف، في شامها بغرب. وهو دير روميّ قديم البناء، بالحجر والكلس. مُحكَم الصنعة، مُونِق البقعة. في بحيرة من أشجار الزيتون والكروم وشجر التين؛ بإزاء قرية، تجري على الدير بمرسوم السلطان.

وهذا الدير دخلتُ إليه ورأيته. وفيه صُورٌ يونانية في غاية من محاسن التصوير، وتناسب المقادير. وصعدتُ إلى سطحه، فرأيتُ له حُسنَ مُشْتَرَفٍ وسَعَة فضاء. ورهبانه من الكُرْج.

وقد كان أُخِذ هذا الدير، وجُعِل مسجدا للمسلمين، وأُعلِن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة. ثم أعيد ديراً للنصارى، وضُرب فيه بالناقوس وأُظهرت فيه كلمةُ الكفر. /٢٤٩/ وتُوُصِّل إلى هذا بكتاب أُحضِر من ملك الكرج، وأعانه عليه قوم آخرون.

ورأيت عند الحافظ العلاّمة أبي سعيد العَلائيّ[1] وعند سائر العلماء والصلحاء ببلاد القدس، مِن إعادته إلى النصارى ما هو قذى عيونهم إلى أن يتخلّى، وشجا حلوقهم إلى أن يُستردّ.

وعليّ لله نذرٌ إن وصلت يدي إلى هذا لاردَدْتُها حتّى يُرَدّ! ولهذا القصد، شهد الله العظيم، قصدتُه.

وحدثني رهبانه بأن على ديرهم وُقوفا في بلادهم، منها خيول سائمة تُحمَل أثمانُ نتاجها إليهم، وأنه يجيء منها في كل سنة قدرٌ جليل، وأنها تُنفق في مصالح الدير وابن السبيل.

---

(١) خليل بن كَيكلدي، أبو سعيد العلائي، محدّث، حافظ، فقيه، شاعر، درّس في دمشق، ثم تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس، فأقام بها حتى وفاته سنة ٧٦١هـ، وله عدة مصنفات في الحديث والفقه والتفسير.

ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ١٧٩، تذكرة الحفاظ ٤٣، الأنس الجليل ٢/ ١٠٦، أعيان العصر ٢/ ٣٢٨، البداية والنهاية ١٤/ ٢٦٧، النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٧، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤١٠.

وفيه يقول أبو عليّ حسنٌ الغَزّيُّ: [من الكامل]

يا حُسنَ أيامٍ قَطَعْتُ هَنِيئةً ... بالديرِ حيثُ التِّينِ والزَّيتُونُ
ديرِ المُصَلَّبَةِ الرفيعُ بناؤه ... تَفْدِي عبيرَ تُرابِهِ دَارِينُ
في ظِلّ هَيْكلِه وأسْرابِ الدُّمى ... مجلُوَّةٌ والمَرْمَرُ المَسْنونُ
ومُزَنَّرينَ إذا تَلَوْا إنجيلَهم ... وتعطّفُوا فحمائمٌ وغُصُونُ
غِزْلانُ وَجْرَةَ هُمْ وبين جُفُونِهم ... لأسُودِ بِيشَةَ إن عَرَضْنَ عَرِينُ
نزَعُوا القَلانِسَ والمُسُوحَ فزُخْرِفَتْ ... منهن عن غُرَرِ الشُّمُوسِ وُجُونُ
وسَعَوْا بكاساتِ المُدامِ وما دَرَوْا ... أنْ للكُؤوسِ الدائراتِ جُنونُ
فقَضَيْتُ بينهمُ زماناً لم يَزَلْ ... عِنْدي إليه تَشَوُّقٌ وحَنِينُ
تلك المنازلُ قد سَفَحْنَ مَدَامِعِي ... لا مِصْرُ قاطبةً ولا جَيْرُونُ

دير السِّيق ـ قبليَّ البيت المقدّس. على نَشَزٍ عالٍ، مُشرفٍ على الغُورِ، غور أريحا. يُطِلُّ على تلك البسائط الخُضْر ومجرى الشريعة. وبه رهبان ظِراف أكياس، ولا يأتيهم إلا قاصدٌ لهم أو مارّ في مزارع الغور. تحتهمُ وفوقهم الطريق الآخذة إلى الكثيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر بَيْبَرْس.

وفي هذا الدير ومشْتَرَفِه، وأطلال قلاليّه وغرفه،/ ٢٥٠/ قلتُ: [من الطويل]

أرى حُسنَ ديرِ السِّيق يزدادُ كلَّما ... نظَرتُ إليه والفضاءُ به نَضْرُ
بَنَوْهُ على نَجْدٍ على الغَوْر مُشرِفٍ ... كتَخْتِ مليكٍ تحتَه بُسُطٌ خُضْرُ
وأشرقَ في سُودِ الغَمام كأنَّما ... تَشَقَّق ليلا عن جَلاَبِيبه الفجْرُ
وقام على طَوْدٍ عليٍّ كأنما ... مَصابيحُه تحتَ الدُّجى الأنجمُ الزُّهْرُ
وزُفَّتْ إليه الشمسُ من جَنْبِ خِدْرِها ... وناغاه جُنْحَ الليلِ في أُفْقهِ البدرُ
وألقتْ إليه الريحُ فضلَ عِنانِها ... وأحْنى عليها لا تُبَلُّ له عُذْرُ
ولو كان كالنَّسْرَيْنِ هانَ ارتِقاؤه ... ولكنّه قد حُطَّ من دُونه النَّسْرُ
علا نهرَ ريحا والمَجَرَّةُ فوقهُ ... فمِنْ فوقِه نهرٌ ومِن تحتِه نهرُ

دير الدَّواكيس ـ شرقيّ القدس. وهو دير حسن البناء. له بين النصارى سمعة وذِكْرٌ. ولا أعرفُ بانيه، ولا وقفتُ له على اسم، ولا على السبب الذي سُمِّيَ به بهذا الاسم. غير أن له وقفا يعود منه على الرهبانِ السكانِ جليلُ فائدةٍ ونفعٌ.

وقد مررتُ به غيرَ مرةٍ في أسفاري، وخرج إليّ رهبانه بميسور ما عندهم. وفيه قلت: [من البسيط]

أنِخْ بليلٍ على ديرِ الدَّواكِيسِ ... وانِصتْ إلى قَرْعِ هاتيكَ النَّواقِيسِ

واحبِسْ مع العِيسويِّ الرَّكْبَ في طَرَب ... طُولَ الزمان ولا تَرْحلْ مع العِيْسِ
وانظُرَ مع الصُّبح هاتيكَ الشُّموسَ ضُحًى ... وخَلِّ عنكَ رِباطاتِ النواميسِ
واسبَأْ من الدير خمْراً كلُّها ذَهَبٌ ... كيْلا نَعُدَّك في حِزْب المَفاليس
وخَلِّ كلَّ شحيح كنتَ تَتْبَعُهُ ... فكِّرْ تَرَ الكَيْسَ في الإنفاق للكِيسِ
وانْعَمْ ولَذَّ بما قَضَّيتَ من وَطَرٍ ... وَطِرْ سُروراً إلى تلك الطَّواوِيسِ

وقلت: [من البسيط]

دَيرُ الدواكيس أم ريشُ الطَّواويسِ؟ ... أم الشُّمُوسُ سَنَىٰ تلك الشَّمَامِيسِ؟
مأوى المَيَاسِير لكن بعدَ أوْبَتِهِمْ ... منه يُعَدُّون في حِزْب المَفاليسِ
فانزل به وأَقِمْ فيما تُريد وقُلْ ... إملأ كُؤوسي وفرِّغْ عِنْدها كِيسي
واقدح زِنادَ سُرورٍ من مُدامتِه ... فهذه النارُ من تلكَ المَقَابِيسِ][1]

دير رُمَّانِينَ[2] ـ قال الخالديّ: هو بالشام. ولا أدري في أيّ ناحية هو منها. ولكنْ قيل إنه كبير حَسَنٌ عامرٌ.

ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: خرجتُ في بعض أسفاري إلى الشام، فدخلت أنطاكية. فبينا أنا في بعض أسواقها، إذ قبض عليَّ بطريق من بطارقتها. ولم يكلمني حتّى أتى داراً فيها ترابٌ وجَنْدَلٌ. وإذا مِسحاةٌ وزنبيلٌ. فقال: انقل هذا من ههنا إلى ههنا. يشير في ذلك بيده. وتركني ومضى. فتقاصرت بي نفسي وخنقتني العَبْرة وقعدت، فلم أعمَلْ شيئاً. وكان أغلق عليّ باب الدار حين مضى. ثم عاد إليّ بعد ساعة. وكان يوماً شديد الحر. وإذا هو عريان، مُتَّشِحٌ بسبنيّة يبِينُ منها جميع بدنه. فلما رأى التراب والجندل بحالهما، قبض عليّ وجَمَعَ يده وضرب بها لُغْدِي، ضربةً أقرح بها قلبي. فقلت: ثكلتك أمُّك، يا عمر! ما هذا الاستخذاء للعِلْج؟ وأقبضُ عليه فأطرحُه تحتي وآخذ المِسحاة. فأضرب بها رأسه، ضربة فَلَقْتُ بها دماغه. فمات. وبادرت هارباً من المدينة. وسرتُ من يومي وليلتي، فصبَّحتُ ديرا، فدخلته. فلما رآني راهبه قال: أضيفٌ أنت؟ قلت: نعم. وكنتُ قد أَعْييتُ، فاضطجعت نائماً ما شاء الله. ثم أيقظني الراهب وقال: من أين أنت؟ قلت: من مكة. فصعَّدَ نظرَه وصوَّبه. ثم قال: ما اسمك؟ قلتُ: عمر. فأخرج كتابا عنده ونظر فيه، وأعاد فيَّ مراتٍ. ثم وثب فقبَّل رأسي. فقلت: ما حملك على هذا؟ فقال: هل ظهر عندكم رجل يَذْكُرُ أنه نبيٌّ؟

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١١ مادة(دير رمانين).

وقد كان وقع لي شيء من خبر النبيّ ﷺ، فقلتُ: قد سمعتُ بعض الناس يذكر ما سألتَ عنه. فقال: اعلم أنك وحقِّ المسيح ستملك أكثر الأرض، وتُخرِجُ هِرَقْل من الشام، وتغلب عليها. فاكتبْ لي أمانا، ولديري. فقلتُ: يا هذا! ما أدري ما تقول. فقال: هو ما أقوله لك، وأنت هو لا مَحالَة. فجعلتُ أعْجَبُ منه وأدفع قولَه، وهو يُلِحُّ عليَّ في سؤاله ذلك. فلما أطال، قلت: ما تريد؟ فقال: كتابَك. وأتاني بقطعة من أَدَم، فكتبت له ما أملاه عليّ من ترك الخراج والوَصَاة به. ولفّه مع كتابه ذلك. وأكرم مثوايَ. وبكَّرتُ غاديا/ ٢٥٢/ من عنده. فأسرج لي حمارة وقال اركَبْها. فإنك ما تمرُّ بدير، فيراها راهبه إلا أكرمك. وإذا بلغَت آخر دير يلي بَلدك، فخلِّفْها عند سكّانه. وزوّدَني وانصرفتُ.

فيقال إن عمر لما خرج إلى بيت المقدس، لقيه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه وذكّره الأمر. فقال عمر: هذا كتبتهُ في الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يحلّ لي تضييع فَيْء المسلمين. ولكنِّي أقاطعك على خراجك بما فيه مصلحةٌ لك ورفقٌ بك. فقال: قد رضيتُ. فقاطعه على ما فيه رفق به.

قال الخالديّ: ويقال إن الرهبان يتوارثون الكتاب إلى وقتنا هذا، وإن الوُلاة تُمضيه لهم.

دير هِزقِل[1] ـ قال الخالديّ: هو بالشأم. ولا أدري في قرب أيّ مدينة هو.

وقد ذكره دعبل بن عليّ حين هجا أبا عبّاد[2]، كاتبَ المأمون، فقال: [من الكامل]

فكأنَّهُ مِنْ ديرِ هرقلَ مُفْلَتٌ حَنِقٌ يَجُرُّ سَلاسلَ الأقيادِ

وحَكى المُبَرِّدُ قال دخلت دير هزقل. وسألت رهبانه: هل فيه مجنونٌ طيِّب الكلام، نضحك أنا وصحبي منه؟ قالوا: هاهنا. وأومأوا إلى إيوان مرتفع في الدير. وقالوا: هم هناك. فإن أحببتَ النظر إليهم فامضِ ولا تَدْنُ من أحد. ففعلتُ. ورأيت مراتبهم على قدر بلاياهم. وكان معي وقت دنّوي منهم المتولي على أمورهم. فلما رأوه معي امتثلوا. فرأيت شيخاً منهم على حصير نظيف، ووجههُ إلى القبلة، كأنه يريد

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٤٠ مادة (دير هزقل).

(٢) ثابت بن يسار الرازي، وزير المأمون وكاتبه مع عمرو بن مسعدة.
ترجمته في: تاريخ دمشق ١١/ ١٤٥، الوافي بالوفيات ١٠/ ٤٧٢، تاريخ الطبري ١٠/ ٤٧٢، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٩.

الصلاة. فجاوزته إلى غيره. فقال: سبحان الله! أين السلام؟ مَن ترى المجنون؟ أنا أم أنت؟ فاستحَيْتُ منه وسلَّمت. فقال: لو كنتَ بدأتنا، لأَوجبتَ علينا حسن الردّ. على أنا نعتذر لك أن للداخل على القوم دهشةً. اِجلس، أعزك الله عندنا! وأومأ إلى موضع من حصيرة فنفضه، كأنهُ يوسِّع لي. وعزمتُ على الدنوّ منه، فمنعني قيّمهم. فوقفتُ أستَجلبُ مخاطبته. فسألني. فقال: مِن أين أنت؟ قلتُ: من البصرة. قال: أتعرف المازنيّ؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الذي يقول فيه[1]: [من المقتضب]

وفتَى مِن مازنٍ سادَ أهْلَ البَصِره ... أُمُّه معروفةٌ وأبوه نَكِرَه

قلت: لا أعرفه. قال: أفتعرف غلاماً قد نبغ في هذا العصر، معه دِينٌ. وله حفظٌ. وقد برّز في النحو، /٢٥٣/ وصار يخلف صاحبه في مجلسه، يعرف بالمُبَرِّد. قلتُ: أنا عينُ الخبير به. قال: فهل أنشدك من عَبَثات شعره؟ قلت: لا أعرفه قال شعراً. قال: بلى، هو القائل: [من مجزوء الكامل]

حبَّذا ماء العَناقِيدِ ... بِريقِ الغانِيَاتِ
بهما يَنْبُت لَحْمِي ... ودَمِي أيَّ نباتِ
أيُّها الطالبُ شيئاً ... من لَذيذِ الشَّهَواتِ:
كُلْ بماء الورد تُفَّا ... حَ الخُدُودِ الناعِماتِ

قلتُ: أما تستحي من إنشاد مثل هذا الشعر في الدير؛ فقال: سبحان الله. هل تستحيِي أن تُنشدَ مثل هذا، حولَ الكعبة، دَعْ عنك هذا. إني سمعتُ الناس يقولون في نَسَبِه. ثمّ لم يزلْ بي حتّى عرفني. ثم قال: أحوجَتني إلى الاعتذار إليك. ثم قام إليّ ليصافحني. فرأيت القيْدَ في رجله قد شُدّت إلى خشبة في الأرض. فأمِنْتُ غائلته. ثم قال لي: يا أبا العباس! صُنْ نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع. فليس يتهّيأ لك كلَّ وقت مصادفةُ مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة! أنت المبرّد! أنت المبرّد! وجعل يصفّق، وقد انقلبت عيناه وتغيرت حليته، فبادرتُ مُسرِعا، وخرجتُ.

دير يونسَ[2] ـ حكى رجل من أهل أنطاكية قال: حدّثني أبي قال: نزلتُ مع الفضل بن إسمعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس[3] في دير يونس، ونحن خارجون

---

(١) ديوان دعبل ١٢٤.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠١ مادة (دير بولس) و٢/ ٥٤٣ (مادة دير يونس). وقد خلط العمري بين الديرين وجعلهما واحداً.

(٣) الفضل بن إسماعيل بن صالح الهاشمي، أمير وشاعر عباسي، من أهل قنسرين. **ترجمته في**: معجم الشعراء ١٨١ ـ ١٨٢.

إلى ناحية الرملة. فرأى فيه جارية حسناء، اِبنةً لِقَسٍّ كان فيه. فخدمته مدّة مُقامه ثلاثة أيام، وجاءته بشراب صافٍ عتيق. فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير ورحل.

وقال في طريقه: [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله يا ديْرُ من فتًى ... بِمُهْجَتِه شوقٌ إليكَ طويلُ

ولا زال من نَوْءِ السِّماكَيْنِ وابلٌ ... عليكَ بما يَرْوِي ثَراك هَطُولُ

يُعِلُّك منها بُرْهةً بعد بُرْهةٍ ... سَحابٌ بأخبار الرياض كفِيلُ

إذا بَلَّ أرضاً دَمعُه بَانَ مَنْظَر ... بها لعيُون الناظرين جميلُ.

كأنّ البُروقَ الوامضاتِ بجوِّهِ ... صَفائحُ تِبْرٍ في السماء تجولُ

/ ٢٥٤/ ألا ربَّ ليلٍ حالِكٍ قد صدَعتُهُ ... وليس مَعِي غيْرَ الحسام خليلُ

ومشمولةٍ أوقدتُ منها لصُحْبتي ... مَصَابيحَ ما يخبُو لهنّ فَتِيلُ

تُعلِّلني بالراح هَيْفاءُ غادةٌ ... يُخال عليها للقُلُوب كفِيلُ

تجولُ المَنَايَا بينهنَّ إذا غَدَتْ ... مَلاَحِظُها بين القلوب تَجُولُ

أيا ابنة قَسِّ الدَّيْر قلبي مُدَلَّهٌ ... عليكِ وجِسْمي مذ بَعُدتِ عليلُ

وفيه يقول أبو شاس[(١)]: [من البسيط]

يا ديرَ يونُسَ جادَتْ سَرْحَك الدِّيَمُ ... حتّى تُرَى ناظراً بالنَّوْر يبتسمُ

لم يَشْفِ في ناجر ماءٌ على ظَمَأ ... كما شَفى حَرَّ قلبي ماؤُك الشَّبِمُ

ولم يَحُلَّكَ محزونٌ به سِقَمٌ ... إلاّ تَحَلَّلَ عنه ذلك السِّقَمُ

أستغفرُ الله كَمْ لِي فيك ذُو غَنَجٍ ... جَرى علّيَّ به في رَبْعِك القَلَمُ

ويقول أيضاً: [من الكامل]

لا تَعْدِلَنَّ عن ابنة الكَرْم ... بأَبِي ففيها صِحَّة الجِسْم

لو لم يَكُنْ في شُرْبها فَرَجٌ ... إلا التخلُّصَ من يَدِ الهمِّ

ويقول أيضاً أبو شاسٍ: [من الوافر]

أعاذِلَ ما على مِثْلي سَبِيلُ ... وعذلُك في المُدَامة مستحيلُ

أليس مَطِيَّتي حَقْوَيْ غلام ... ورحلُ أناملي كأسٌ شمولُ؟

إذا كانت بنات الكرْمِ شُرْبي ... وقِبلةُ وجهي الوجهُ الجميلُ

---

(١) أبو شأس: قال الشابشتي: كان من أطبع الناس، مليح الشعر، كثير الوصف للخمر، ملازماً للديارات، متطرحاً بها، مفتوناً برهبانها، ومن فيها.
انظر: الديارات ١٨١ ـ ١٨٢.

أمنتُ بِذَيْنِ عاقبةَ الليالِي ... وهانَ عليّ ما نَقَلَ العَذُولُ

ديرُ بُصْرى[1] ـ هو بالشأم. وقيل هو الذي كان فيه بَحِيرا الراهب.

/٢٥٥/ حكى المازنيّ، قال: نزلت بدير بصرى. فرأيت في رهبانه فصاحة، وهم عرب مُتَنَصِّرَةٌ من طيِّيء، من بني الصادر. أفصحُ من رأيت. فقلت لهم: ما لي لا أرى فيكم شاعرا، مع فصاحتكم. فقالوا: واللهِ! ما فينا رجلٌ ينطق بالشعر، إلا أَمَةٌ لنا كبيرة السِّن. فقلت: جيؤوني بها. فجاءت، فاستنشدتُها. فأنشدَتْني لنفسها: [من الطويل]

أيا رُفقةً من آل بُصْرى تحمَّلتْ ... تَؤُمُّ الحِمىٰ لُقِّيتِ مِن رُفْقةٍ رُشدَا

إذا ما بلَغْتُم سالمين فبلِّغُوا ... تحيةَ مَنْ قد ظَنَّ أنْ لاَ يرَى نَجْدَا

وقُولُوا: تركْنا الصادِريّ مكَبَّلا ... بكَبْلِ هَوًى من حُبّكم مَضمرا وَجْدَا

فيا ليتَ شِعْري هل أرى جانبَ الحِمى ... وقد أنبتتْ أجراعهُ بَقَلاً جَعْدَا

وهل أرِدَنَّ الدهرَ ماءَ وَقِيعةٍ ... كأن الصَّبا تُسْدِي على مَتْنِه بُردا؟

فوهبت لها دُرَيهماتٍ. وبتُّ في ديرهم وأكرموا ضيافتي.

دير الخَمَّان ـ وهو دير ببلاد أذرعات مبنيٌّ بالحجارة السوُّد، على نَشَزٍ من الأرض. يُشرف على بركة الفوَار وهو من البناء الروميّ القديم.

أتيتُ عليه في أسفاري غيرَ مرَّةٍ. ورأيت مرَّةً به غلاماً قد خرج من كنيسته، كأنه الظبيُ الكانِس. فقلت: [من الكامل]

يا ديرَ عزَّةَ في رُبى الخَمَّانِ ... دَرَّتْ عليكَ السُّحْبُ بالهَمَلانِ

وسَقَتْك كلُّ غَمامة هتَّانةٍ ... تحْنو مواطرُها على الكُثْبانِ

لم أنسَ في اللذَّات ساعةَ منزِلٍ ... برُباكَ فوقَ صَفائح الغُدران

والصبحُ تحت مُلاءةٍ مَرْقُومةٍ ... نَشَرَتْ عليه غرائبَ الألوانِ

وهُناك كلُّ كَحِيلِ طرفٍ فاتِرٍ ... تُعزى لَوَاحظُه إلى الغِزلانِ

قمرٌ مَسِيحيٌّ كأنَّ جبينَهُ ... بدرُ الدُّجى في النصف من شعبانِ

/٢٥٦/ في وجنتيه جَنِيُّ وَرْدٍ أحمرٍ ... قد سيَّجوه بأخضرِ الرَّيْحانِ

ما شدَّ زُنَّاراً له في بِيعةٍ ... إلاَّ وحلَّ عزائمَ الرُّهبانِ

يَسْقِي الشَّمُولَ ولا كريقةِ ثغرهِ ... سَكْرى بها وبطرفهِ الفتَّانِ

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١ مادة (دير بصرى).

دير صليبا[١] ـ ويعرف بدير السائمة. وهو بدمشق، مطلٌّ على الغُوطة. ويليه من أبوابها، باب الفراديس.

نزل دونه خالد بن الوليد، أيامَ محاصرة دمشق.

وهو في موضع نَزِهٍ، كثير البساتين. وبناؤه حسن عجيب.

وإلى جانبه ديرٌ للنساء، فيه رهبان ورواهب. وإيَّاه أراد جريرٌ[٢] بقوله[٣]: [من البسيط]

إذا تـذكَّـرتُ بـالـديْـرَيْـن أرقَّـنـي ... صـوتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بـالـنواقيـسِ

قال الخالديّ: ومما يدلّ على أنه يلي باب الفراديس، قول جرير في هذا الشعر:

فقلتُ للرَّكْب إذ جدَّ النَّجاءُ بهم: ... يا بُعْد يَبْرِينَ من بابِ الفَرَادِيسِ

وأنشد فيه قول الآخر، وهو: [من البسيط]

يا ديرَ بابِ الفَرَاديسِ المهيِّجَ لي ... بَـلاَبـلاً بـقَـلاَلِـيـهِ وأشـجـارِهْ

لو عشتُ تسعين عاما فيك مصطبِحا ... لما قضى منك قلبي بعضَ أوطارهْ

وحُكي أن الوليد بن يزيد كان كثير المُقام في هذا الدير. يخرج إليه، ومعه حُرَمُهُ، استحساناً له؛ وأنه كان يجلس في أيام مُقامه فيه في صحنه كلَّ يوم ساعةً من النهار؛ ثم يأكل ويشرب في مواضعَ منه: طيبةٍ حَسَنَةٍ.

وحكى الخالديّ عن أحد مَن كان ينادمه، أنه دعا يوما بطعامه، وأمرني بالغداء معه؛ وحضر ندماؤه، وكان فيهم حُنَيْنٌ، المغنِّي. فنحن على المائدة، إذ قال له: يا حُنَين! غنيتَني البارحةَ في آخر المجلس ـ وقد أخذ الشرابُ مِنّي ـ بشعر صاحبكم، عيسى بن زيد، فلم أستكمل الطرب، لأجل سكري. فأعده عليّ الساعةَ. قال: فأخذ حُنَين رِقاقَه ووقَع عليها وغنَّى: [من المديد]

يـا لُـبَـيْـنَـى أوْقِـدِي الـنـارا! ... إنّ مَـنْ تـهـوَيْـنَ قـد جـارا

/٢٥٧/ رُبَّ نـارٍ بِـتُّ أرمُـقُـهـا ... تـقْـضَـم الـهِـنْـديَّ والـغـارا

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٩ مادة (دير خالد) و(دير صليبا)، ذيل الديارات للشابشتي ٣٣٩ ـ ٣٤٠، الديارات النصرانية ١٦٤ ـ ١٧٠.

(٢) جرير بن الحكم بن المنذر بن الجارود العبدي من شعراء العصر الأموي.
ترجمته في: الحماسة البصرية ٢/ ٣٤٢، مطلع البدرين ٢/ ٣٩٥، معجم الشعراء للجبوري ١/ ٣٩٨.

(٣) ديوانه ٢٤٩.

عِـنْـدهـا ظَـبْـيٌ يُـؤَجِّـجُـهـا عـاقِـدٌ فـي الـخَـصْـر زُنّـارا

قال: فطرب طرباً عظيماً، وأخذ رقاقه، وقام وترك الغداء، وجعل ينقُرُ عليها مع حُنَين. وأخذ كلّ مَن على المائدة رِقاقه، وجعلوا ينقّرون عليها مثلَه. ومضى يطلب باب الدِهليز، وحُنَين والندماء حوله. والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه. وقد حضر وجوه العرب. فلما رآه الحاجب على تلك الحال، صاح بالناس: الحُرَمَ! الحُرَمَ! انصرِفوا! انصرِفوا! فخرجوا. فقال له: يا أمير المؤمنين! وفودُ العرب تنتظر جلوسك، وأنت تخرج إليهم على تلك الحال! فقال: ثكلتْك أُمُّك! ادخُلْ. ودعا له برطلٍ. فحلف أنه ما ذاقه قط. فقال: والله! لتشربَنَّ معي حتّى أسكر. ولم يزل يسقيه، حتى مات سكراً وانصرف محمولاً.

قلتُ: وهذا الدير اليومَ لا عيْنَ له ولا أثر، وإنّما صار دوراً وأبنية ومساجد ومدافن. وهي بناحية محلّة حمّامِ النُحاس. والله أعلم.

وبهذه المحلة داري التي بنيتُها ومساكِني، وهُنِّئْتُها!

دير بَوَنّا[1] ـ وهو بجانب غوطة دمشق. ليس بكبير، ولا رهبانه بكثير. ولكنه في رياض مُشرِقة، وأنهار متدفّقة. ويقال إنه من أقدم دِيَرَة النصارى. بُنَي بعد المسيح (عليه السلام) بقليل.

واجتاز به الوليد بن يزيد، فرأى حسنه وطِيبه. فأقام فيه أياماً في تخرُّق ومجونٍ. وقال فيه: [من الخفيف]

حـبَّـذا يـومُـنـا بـديـر بَـوَنّـا حـيـث نُـسـقـى بـراحِـهِ ونُـغَـنّـى

واسـتـهـنّـا بـالـنـاس فـيـمـا يَـقُـولُـو ن إذا خُـبِّـروا بـمـا قـد فـعَـلْـنـا

قلتُ: وهذا الديرُ اليومَ لا وجودَ له. قد أقفرتْ الأرض منه من رَسْم وطلَلٍ، ومضى وحادثُ كل دير بعده جَلَل.

دير سَمْعان[2] ـ قال الخالديّ: هو بنواحي دمشق، بالقرب من الغُوطة. على قطعة من الجبل، يُطِلُّ عليها. وحوله بساتين وأنهار. وموضعه حَسَنٌ جدّاً. /٢٥٨/ وهو من كبار الدِيَرَة. وعنده دُفن عمر بن عبد العزيز، بظاهره.

قلتُ: وهذا غلطٌ من الخالديّ. وهكذا ذكره أبو الفرج. وغلِط أيضا. فإنّ هذا الدير في قرية تعرف بالبقرة، من قبليّ معرّة النعمان. وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهورٌ

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٠٢ مادة (دير بونا)، الديارات النصرانية ٢١١ ـ ٢١٣.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٧ مادة (دير سمعان)، الديارات النصرانية ١٥٦ ـ ١٦٤.

لا يُنكر وليس يُسمع بدمشق لهذا الدير نابسة، ولا يُعرف لمكانه في غوطته خضراءُ ولا يابسة.

عُدنا إلى ما ذكره الخالديّ. قال: ذكروا أنه دخله جريرٌ في يوم عيدٍ. فرأى النساء والصبيان يقبّلون الصُّلُبَ ويسجدون لها، فقال: [من الوافر]

رأيتُ بدير سَمْعانٍ صَليباً ... تُقبِّله الشَّوادِنُ والظِّباءُ
تُعَظِّمهُ القُسُوسُ وتحْتَويهِ ... فتَرْشُفُهُ ويخْنُقُها البكاءُ
فقلتُ لهم: مهٍ! هل غيرُ عُودٍ ... تملّكهُ اعْوِجاجٌ واستواءُ؟

وذُكر أن الوليد بن يزيد خرج متنزِّها فيه. فأقام يصطبح ويغتبق معه ندماؤه ومغنّوه. فخرج يوماً، غِبَّ سَحاب. فنظر في صحن الدير غدران ماء، فاستحسنها. فنزل على أكبرها وأكثرها ماء. وقال: والله! لا أبرح حتّى أشرب هذا كله، مِزاجا لكأسي. وشرب حتّى نام. فقال بعض أصحابه لبعض: لئن أقام حتى يُفنِيَ الغدير، طال علينا مُقامنا. فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويصبّونه في الرمال. فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فنظر إليه وقد فَنِيَ ماؤه. فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرحيل إلى دمشق.

[ومما سمعتُه من والدي، لأحمد بن هلال، في صفة دير سمعان، مما مدح السيّد الرضيّ لعمر بن عبد العزيز(١):

يا ابنَ عبدِ العزيز لو بكتِ ... العينُ فَتًى من أُمَيَّةٍ، لبكيتُكْ
أنتَ نزَّهْتَنا عن السبّ والشَّتْم! ... فلو يُمْكِنُ الجَزا، لجزيتُكْ
قبرَ سمعانَ، لا عَدتْكَ الغَوَادِي! ... خيْرُ ميْتٍ من آل مَرْوانَ مَيْتُكْ

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبّب في إبطال السب عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثبت في الخطبة، موضعَ السبّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾(٢)](٣).

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سمعان دخل على عمر بن عبد العزيز بفاكهة يُطرِفُه بها في مرضه. فقبِلها منه، وأمر له بدراهم. فأبى أن يأخذها. فما زال حتّى أخذها. وقال: يا أمير المؤمنين! إنّما هي من ثمر شجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من

(١) ديوان الشريف الرضي ١/ ٢١٥.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إنّي ميّتٌ من مرضي هذا. فَحزِنَ وبكى. ثم قال له عمر: بعنِي موضع قبري من أرضك، سنةً، فإذا جاء /٢٥٩/ الحَوْل، فانتفع به. [وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكد لقولنا][١].

دير مُرَّان[٢] ـ وهو بالقرب من دمشق، على تلّ [في سَفح قاسْيُون][٣] وبناؤه بالجِصّ الأبيض. وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن. وكان في هيكله صورة عجيبةٌ دقيقةُ المعاني. وقلاليه دائرة به، وأشجاره متراكبة. وماؤه يتدفّق.

وحُكي عن المبّرد أنه قال: وافيتُ الشأم ـ وأنا حَدَثٌ في جماعةٍ أحداث ـ لأكتُبَ الحديث وألقى أهل العلم. فاجتزتُ بدير مُرَّان. فأحببتُ النظر إليه. فصعدناه، فرأيت منْظَرا حسنا. وإذا في بعض بيوتِهِ كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه عليه أثر النعمة. فدنونا منه وسلَّمنا عليه فردّ السلام. وقال: مِن أين أنتم، يا فِتيان؟ قلنا: من أهلِ العراق. قال: بأبي! ما الذي أقدَمَكم هذا البلدَ الغليظَ هواؤه، الثقيل ماؤه، الجُفاةَ أهلُه. قلنا: طلبُ الحديث والأدب. فقال: حبَّذا! أتنشدوني أم أُنشدكم؟ قلنا: بل أنشِدْنا. فقال: [من الكامل]

أللهُ يعْلَمُ أنّني كَمِدُ ... لا أستطيع أبُثُّ ما أجِدُ
رُوحانِ لي: رُوحٌ تقسَّمها ... بلدٌ وأُخرى حازها بَلَدُ
وأرى المُقيمةَ ليس ينْفَعُها ... صبرٌ وليس يَصُونُها جَلَدُ
وأظنّ غائِبتي كشاهِدَتِي ... بمكانِهَا تجِدُ الذي أجِدُ

ثم أُغمِيَ عليه. فأفاق فصاح بنا فقال: أتنشدوني أم أُنشدكم؟ قلنا: بل أنشِدْنا. فقال: [من البسيط]

لمَّا أناخوا قُبَيْل الصبح عِيرَهُمُ ... ورحَّلوا، فَتَنادتْ بالهوى الإبلُ
وأبرزَت من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرهَا ... يَرْنُو إليّ ودمعُ العين منهمِلُ
فودَّعتْ ببنانٍ حَمْلُهُ عَنَمٌ، ... فقلتُ: لا حَمَلَتْ رِجلاكَ! يا جَمَلُ
وَيْلي مِنَ البَيْن ماذا حلَّ بِي وبها ... من بارِحِ الوَجْد! حلَّ البينُ فارتحلوا
إنّي على العَهْد لم أنقُضْ مودّتَهُم! ... فليت شعري، لطُولِ العهدِ ما فَعَلُوا

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤ مادة (دير مران)، الديارات لأبي الفرج ١٥٤، البدور المسفرة ٣٤ ـ ٤٧، الديارات النصرانية ١٧٩ ـ ٢٠١.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

/ ٢٦٠/ فقال له فتًى من المُجَّان الذين كانوا معي: ماتوا. قال: فأموت؟ فقال له: مُتْ فتمطّى وتمدَّد. وما بَرِحْنا حتّى دفنّاه.

وللصنوبريّ فيه، من شعر يقوله:[1] [من الوافر]

أمـــرُّ بـــديـــرِ مُـــرَّانٍ فـــأَحْـــيَـــا ... وأجـعَـلُ بـيـتَ لَـهْـوِي بـيـتَ لَـهْـيـا

صفَتْ دُنيا دِمشقَ لمصطفِيها ... فليس يُريد غير دِمشْقَ دُنيا

مُـظَـلَّـلَـةٌ فـواكـهـهـنّ أبـهـى ... وأنْـضَـرُ فـي نـواظِـرِنـا وأهْـيَـا

فـمِـنْ تُـفَّـاحـة لـم تَـعْـدُ خـدّا، ... ومـن رُمَّـانـة لـم تَـعْـدُ ثـديـا

وقد ذكره أبو الفرج وقال: هو على تَلْعَةٍ مُشرِفة على زعفران ورياضٍ حسانٍ. نزله الرشيد وشرب فيه. ونزله المأمون بعدَه. وكان الحسين بن الضحّاك مع الرشيد، لما نزله، فأمره أن يقوله فيه شعرا، فقال: [من البسيط]

يا دير مُرَّانَ، لا عُرِّيتَ من سكنٍ! ... قد هِجْتَ لي حَزَنا، يا ديرَ مُرَّانا

حُثَّ المدام فإن الكاسَ مُتْرَعَةٌ ... مما يَهِيجُ دواعِي الشوقِ أحْيانا

وأَمَرَ عمرو بن بانة، فغنّى فيه لحَنين.

وحُكي عن إبراهيم الصوليّ أنه قال: مرّ الرشيد بدير مُرَّانَ فاستحسنه ونزله. وأمر أن يؤتى بطعام خفيفٍ. فأُتِيَ به، فأكل؛ وأُتِيَ بالشراب والندماء والمغنِّين. فخرج إليه صاحب الدير، وهو شيخٌ كبيرٌ هَرِمٌ. فوقف بين يديه، ودعا له، واستأْذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات. فأذن له فأتاه بأطعمة نظافٍ، وإدامٍ في نهاية الحسن والطِّيب. فأكل منها أكثر أكلٍ. وأمره بالجلوس، فجلس معه يحدِّثه، وهو يشرب. إلى أن جرى ذكر بني أُمَيَّة، فقال له الرشيد: هل نزل بك أحدٌ منهم؟ قال: نعم. نزل بي الوليد بن يزيد، وأخوه الغَمْرُ. فجلسا في هذا الموضع، فأكلا وشربا وغُنِّيَا. فلما دبّ فيهما السكر، وثب الوليد إلى ذلك الجُرْن فملأه وشربه، وملأه / ٢٦١/ وسقى أخاه، الغَمْرَ. فما زالا يتعاطيانه، حتّى سكرا، وملآه لي دراهم. فنظر إليه الرشيد، فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يُقِلَّه، ولا يقدر على أن يشرب مِلأَه. فقال: أبى بنو أُمَيَّة إلاَّ أن يَسبِقوا إلى اللذات سبقا لا يجاريهم أحدٌ فيه. ثم أمر برفع النبيذ، وركب من وقته.

قلتُ: والناس في اختلافٍ: أينَ كان دير مُرَّان؟ فمن قائل إنه كان بمشارق السَّفح، نواحي برزةَ، والأكثر على أنه كان بمغاربه، وأن مكانه الآن المدرسة المعظمية؛ وأما الذي كان بمشارق السَّفح، فهو دير السائمة المسمّى دير صليبا. وقد ذكرناه.

---

(١) ديوانه ـ الملحق ٤٦٥.

دير صيدنايا[1] ـ وهما اثنان: أحدهما يقصده النصارى بالزيارة. وهو في دِمْنَةِ القرية. والآخر على بُعْدٍ منها، مشرفٌ على الجبل، شماليّها بشرق. وهو دير ما شربين ويُقصَد للتنزه. من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض. وهو دير كبير. وفي ظاهره عين ماء سارحة. وفيه كُوًى وطاقاتٌ تُشرف على غُوطة دمشق وما يليها، من قبليّها وشرقها. وفيها ما يطلُّ على بواطن ما وراءَ ثَنِيَّة العُقاب. ويمتدّ النظر من طاقاته الشماليّة إلى ما أخذ شمالا عن بعلبكّ.

وأما الذي في القرية، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا. ويُعرف بدير السيّدة. وله بستان. وبه ماءٌ جارٍ في بِركة عُمِلتْ به. وعليه أوقافٌ كثيرة. وله مَغَلاَّتٌ واسعة. وتأتيه نذورٌ وافرة. وطوائف النصارى، من الفرنج تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة.

وكنتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمَكِّنهم من زيارته. وإذا كتَبَ لهم زيارة قُمامةَ ولم يكتُبْ معها صيدنايا، يُعاودون السؤال في كتابتها لهم. ولهم فيها مُعتقَدٌ.

والنصارى تزعمُ أنَّ بها صدْعاً يقطُرُ منه ماءٌ، يأخذونه للتبرّك. ويدَعُونه في أوانٍ لِطافٍ من الزُّجاج، ويكسونها من فاخر الثياب. ولهم فيه أقوالٌ كثيرة. وسمعتُ نصرانية، كانت معروفة بينهم بالعلم، تقول: إن ذلك الماء إذا أُخِذ على اسم شخصٍ وعُلِّق في بيته ثم ازداد مقداره عنده عما أخذه، /٢٦٢/ دلَّ على زيادة ماله وجاهه؛ وإذا نَقَص، دلَ على نقص ماله وجاهه وقُرب أوان موته.

ورأيتُ هذا الماء، وله دُهنيّة تشبه الشِّيرَج أو الزيت الصافي، وليس بهما.

وجاءت مرَّةً كُتُبُ ريدفرنس[2] وكتب الأذفونش[3] على أيدي رسلهم. ومما سألوا فيها تمكينُ رُسُلِهم من التوجّه إلى صيدنايا للتبرك بها. فأجاب السلطان سؤالَهم وحَمَلَ الرسلَ على خيل البريد إليها.

ومما قلتُه فيه: [من السريع]

فـي جـانـبِ الـدَّيْـرِ لـنـا مَـنْـزِلٌ ... ومَـنْـهَـلٌ عَـذْبٌ بـه نَـنْـهَـلُ
وشـادِنٌ قـد جـاءنـا أحْـوَرٌ ... فـي كَـفِّـهِ كـأسٌ لـه تُـشـعَـلُ
وروضـةٌ تُـشـرِقُ أنـهـارُهـا ... قـد شَـقَّـهـا فـي وَسْـطِـهـا جَـدْوَلُ

---

(١) لحبيب الزيات فيه كتاب (خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا) طبع عام ١٩٣٢.
(٢) أي ملك فرنسا. (زكي).
(٣) أي ملك إسبانيا. (زكي).

ومُطْرِبٌ تُطْرِبُ ألحانُهُ كأنّه إسحاقُ أو زَلْزَلُ
فَدُونَكَ الراحَ ففي دَنِّها شَهْدٌ وفي الطَّعْم بها فُلْفُلُ
وافى بها في الكأسِ لكِنّها عَذْراءُ مِن خُطّابها تَخْجَلُ][1]

دير شَقِّ مَعْلُولاَ[2] ـ وهو بباطن جُبَّة عسّال. وهو بناء روميٌّ بالحجر الأبيض. مُعَلَّقٌ بِسُقَيْفٍ. وبها صدْعٌ فيه ماء ينقُط، نحوَ الذي بصيدنايا. ويأخذه النصارى للتبرك، معتقدين فيه نحوَ اعتقادهم في الآخر. وإنّما الاسم للذي بصيدنايا.

دير بَلُوذان[3] ـ وبناؤه قديم بديع الحسن. وافر الغلّة، كثير الكروم والفواكه والماء الجاري. بقرية بَلُوذان. وهي محاذيةٌ لكفر عامرٍ، تُطلُّ من مُشْتَرَفِها على جبّة الزَّبَداني، ببلاد دمشق. وبه رُهْبان نِظاف، وغلمان من أبناء النصارى ظراف.

مررت عليه، ونزلت إليه ورأيت غلاماً يفوق الظبْيَ حُسنا، ويشبه البدر أو أسنى. بخصر نحيل، وطَرْف كحيل. قد قطع الزنّار بين خصره وردفه، ونفث السحر بين جفنه وطرفه. ثُمَّ ما كان بأعجلَ مما استتر بدره، ولاح ثم خَفِيَ فجره. فقلت فيه: [من الخفيف]

حبَّذا الديرُ من بَلُوذَانَ دارَا أيُّ ديرٍ به وأيُّ نَصَارى
فيهمُ كلُّ أحْوَرِ الطَرف أحْوى فائقِ الحسنِ في حَياءِ العَذَارى
وغلامٍ رأيتُه كهِلالٍ ما بَدا للعُيُون حتّى تَوَارى
بقَوَامٍ إذا تمايلَ نَشْوا نَاً فألحاظُ مقلتيْهِ سُكارى
ناحِلِ الخَصْر حلَّ عَقدَ اصطِباري عندما شَدَّ خَصْرهُ الزُّنارا
قبلَ رُؤْياه ما رأيتُ غَزالاً باتَ يَسْقي من مَرْشفِيْه العُقَارا

دير نجران[4] ـ وهو باليمن. وتسميه العرب كعبةَ نَجران. وهو لبني الحارث بن كعب. وسيأتي ذكره في موضعه.

ويقال إن بناءه أعجبُ بناء وأحسنُه. على نحو عمارة غُمدان، القصر المشهور. كان محجوجاً. وبه الراهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب، في قوله: [من الطويل]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) انظر: معجم البلدان ٥/١٥٨ مادة (معلولا).
(٣) هكذا في الأصل وما اتفقت عليه المصادر الأخرى هي (بلودان)، وبلودان قرية معروفة تتبع إدارياً لناحية الزبداني، شرقيه، تبعد عنه بضع كيلو مترات، وفيها آثار دير قديم.
(٤) انظر: معجم البلدان ٢/٥٣٨ ـ ٥٣٩ مادة (دير نجران).

أيا راهبَيْ نَجْران، ما فعلَتْ هندُ؟ أقامتْ على عهدِي؟ وأنّى لها عَهْدُ؟
إذا بعُدَ المشتاقُ، رثّتْ حِبالُه وما كُلُّ مُشْتاقٍ يُغيّرُهُ البُعْدُ

ولهذين البيتين غِناءٌ حَسَنٌ.

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني(١) وقال: إنه كان لآل عبد المَدَان، سادةِ بني الحارث. قال: وكان أهلُ ثلاثة بيوتٍ من اليمن نصارى، يتبارَوْن في البِيَع وزِيِّها وحسن بنائها: آل المنذر بالحِيرةَ، وغسّان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران. فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغُدْران، الشامخة البنآء. ويجعلون آلاتِها من الذهب والفضة، وستورَها من الديباج. ويجعلون في حيطانها الفسافس، وفي سقوفها الذهب. وكان بنو الحارث على ذلك، إلى أن جاء الإسلام وفي كعبتهم هذه قال الأعشى(٢): [من المتقارب]

وكعبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عليْكِ حتّى تُناخِي بأبْوابِها
نَزُور يَزيدَ وعبدَ المَسِيحِ وقيساً، وهُمْ خَيْرُ أربابِها
إذا الحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بهم وجرُّوا أسافِلَ هُدَّابِها
وشاهدُنا الجُلُّ والياسَمِيـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها
وبَرْبَطُنا مُعْمَلٌ دائبٌ، فأيُّ الثلاثة أزرى بها؟

قال: وفي هذا الشعر غِناء حَسَنٌ أخذه جحظة عن بنان.

ولهذا الديرأخبارٌ كثيرةٌ، ليس هذا مكانها.

بِيعة أبي هُور(٣)ـ وهي بسَرْياقُوسَ. عامرةٌ برهبانها، مُثْرِيَةٌ بفضّة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرةُ القَلاَلِي، مُذْهَبَةٌ بالوقود جُنْحَ الليالي. ولها أعيادٌ مقصودةُ الأوقات، منتظَرَة / ٢٦٤/ الميقات.

حكى الشابشتيّ أن به ـ على ما ذكره أهله ـ أعجوبةً. وهي أنه من كانت به خنازيرُ وقصد هذه البِيعة للمعالجة، أخذه رئيسُها وأضجعه. وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلّة. فيلحس الخِنزير موضع الوجع جميعَه، ويأكل الخنازير التي فيه، لا يتعدّى ذلك إلى الموضع الصحيح. فإذا نُظف الموضع، ذَرّ عليه من رَماد خِنزير فَعَلَ مثلَ فعل الأَوَّل من قبلُ، ومن زيت قِنديل البِيعة فيبرأ. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيُذبح، ويُحرق، ويُعَدُّ رماده لمثل هذه الحالة.

---

(١) انظر: الأغاني ١١/ ٣٨١.
(٢) الأبيات في ديوانه ٣٥.
(٣) انظر: الديارات للشابشتي ٣١١، معجم البلدان ٢/ ٤٩٧ مادة (دير أبي هور).

وقال: وهو إلى الآنَ كذلك، كما ذكروه قال: ولهذه البِيعة دَخْلٌ عظيم ممن يبرأُ من هذه العلة. وفيه خلقٌ من النصارى.

دير يُحَنِّس[(١)] ـ وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضرٌ بسُكَّانه. قال الشابشتيّ: وقد ذكر بعض المتقدّمين أنه إذا كان يومُ عيده، أخرج الرئيس الذي في الدير الشاهدَ في تابوته. ويسير التابوت على وجه الأرض، فلا يقدر أحدٌ يُمسكه ولا يَحبِسُه، حتّى يرِدَ البحرَ فيغطسُ فيه، ويرجعُ إلى مكانه.

وقال: كذلك قول المتقدّمين عَلَى أنه عَلَى هذه الحالة.

قلتُ: وهذه حكاية مكذوبة، لا صحة لها.

وإنَّما الذي بلغني، وأنا بمصرَ تلكَ المُدَدَ الطويلة، أنه إذا كان أوانُ تحرُّك النيل، يُخرَج تابوتٌ، يقال إن فيه إصبع الشهيد، ويُرمى في البحر. وذلك لوقتٍ معلومٍ، يسمونه عيد الشهيد. ويكون الذي يرميه بعضَ أعزّاء كبراء القِبْط. عادةٌ كنت أسمعها، لا تتغير. ويظُنُّ القِبط أن رمْيَ الإصبع سببُ الزيادة. وإنّما هو بمشيئة الله وقدرته.

دير مَرْيُحَنَّا[(٢)] ـ وهو على شاطىء بركة الحَبَش. قريبَ البحر، إلى جانب بساتين الوزير. وهي التي أنشأ بعضها تميمُ بن المعزّ وأنشأ به مجلسا على عُمُد. وقريبَ هذا الدير عينٌ ذهَبتْ بها الرمالُ.

قال الشابشتيّ: وهذا الموضع من معادن اللَّعِب والشُّرب والطرب. نَزِهٌ في أيّام النيل، وزيادة البحر، وامتلاء البركة. وكذلك هو في أيام الزرع. لا يكاد يخلو من المتنزهين. وقد ذكرته الشعراء. وفيه قال ابن عاصم[(٣)]: [من الكامل]

/ ٢٦٥/ يا طِيبَ أيام سَفَحْتُ مع الصِّبا ... طَوْعَ الهوى فيها بسَفْحِ المَنْظَرِ
فالبِرْكَةُ الغَنّاءُ فالديرُ الذي ... قد هاجَ فَرْطَ صَبَابتي وتَفَكُّري

---

(١) انظر: الديارات للشابشتي ٣١٢، معجم البلدان ٢/ ٥٤٣ مادة (دير يحنس).

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٢٨٩ ـ ٢٩٣، معجم البلدان ٢/ ٥٣٥ مادة (دير مرحنا)، البدور المسفرة ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) محمد بن عاصم الموقفي، ويقال له ابن عاصم، من شعراء اليتيمة، مصري توفي سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م، في شعره رقة وإجادة وصف، كان يكثر من وصف الأديرة ومحاسنها، نسبته إلى «الموقف» محلة كانت بفسطاط مصر.

ترجمته في: الديارات ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٨، ٣١٠، يتيمة الدهر ١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢، له شعر في معجم البلدان ٢/ ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٣٥، ٥٣٦، مادة (دير طمويه) و(دير طور سينا) و(دير القصير) و(دير حنا) الأعلام ٦/ ١٨١، معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٨٢.

فاحثُثْ كؤوسَك يا غلامُ واعفِني — فلقد سَكِرتُ وخمرُ طَرْفِكَ مُسْكِرِي
وأرى الثريّا في السماء كأنّها — تاجٌ تفَصَّل جانباه بجوهرِ
فاشربْ على حُسْن الرياض وغنِّني — وانظُرْ إلى الساقي الأَغنِّ الأحْوَرِ
فلعلَّ أيّامَ الحياة قَليلةٌ — ولعلّني قدَّرتُ ما لم يُقْدَرِ

دير نَهْيَا ـ ونَهْيا بالجِيزة، وديرها هذا من أطيبها موضعاً، وأجلها موقعاً. عامر برهبانه وسكّانه.

وله في النيل منظَرٌ عجبٌ؛ لأنَّ الماء يحيط به من جميع جهاته، ويَزيد في حسن مُتنزّهاته. فإذا تصرّف الماء أظهرت أرضُه غرائبَ النَّوّار، وعجائبَ الزهور المشرقة الأنوار. وله خلِيجٌ ينساب انسيابَ أرقَم، وعليه شطوطٌ كأنّها بالدِيباج تُرْقَم.

وقال الشابشتيّ: وهو مُتَصَيَّدٌ مُمْتنعٌ. وأنشد فيه لابن البصري[1]: [من المتقارب]

أَتَنْشَطُ للشُّرْب يا سيِّدي — فيومك هذا دقيقُ الدُّروزْ؟
فعِنْدي لكَ اليومَ مَشْويّتانِ — سرقتهما من دَجاج العَجُوزْ
أَتَنْشَطُ عِنْدِي على نَبْقَتين، — على لَوْزَتَيْن، على قَطْرَمِيزْ؟
ونقصِدُ نَهْيَا وديراً لها — به مَنْبِتُ الورد والمَرْمَحُوزْ
ونشرَبُ فيها برِطْلٍ وجام — وطَاسٍ وكأسٍ وكُوبٍ وكُوزْ؟
فعندي خَشْفٌ رَخِيمُ الدَّلال — نَشَا في النَّعِيم ولُبْسِ الخُزُوزْ

دَير القُصَير[2] ـ هو في أعلى الجبل، على سطح قُنَيَّةٍ من بلاد الفتح. وهو حسن البناء، نَزِهُ البقعة. وله بئر منقورة في الحَجَر.

وفي أعلاه غرفة بناها خُمارويه بن طُولُون، تُطلُّ من كل جهة. وكان كثير الغِشْيَان /٢٦٦/ لهذا الدير.

---

(١) سماه صاحب اليتيمة: محمد بن عباس البصري المعروف بصاحب الراقوبة، ووصفه الشابشتي بأنه من الخلعاء المجّان، وله شعر يجري مجرى الهزل والطيب، وخدم أبا القاسم أنوجور بن الإخشيد ـ ثاني ملوك الدولة الإخشيدية بمصر من سنة ٣٣٤ ـ ٣٤٩هـ/ ٩٤٦ ـ ٩٦١م، فأحسن إليه وكساه وصار يركب معه، وكان يلبس طيلساناً أزرق يتشبه بالقضاة، وكان أنوجور قد حمله على برذون أصفر غليظ بطيء السير، فكان إذا سار مع أقوام من إخوانه، قال لهم: صفوا لي موضعكم حتى ألحق بكم! وكان مليح المجالسة كثير النادرة. وكان يبيع الصيدلة في مسجد عبد الله بمصر.
ترجمته في: الديارات ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٢٨٤ ـ ٢٨٨، معجم البلدان ٢/ ٥٢٦ ـ ٢٥٧ مادة (دير القصير)، البدور المسفرة ٢٧ ـ ٢٩.

والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ، ومن قبليّه سهْلٌ.

وإلى جانبه صَوْمَعَةٌ، لا تخلو من حبِيسٍ.

وإلى جانبه قريةٌ تُعرف بشهران. يقال إن أمّ موسى (عليه السلام) منها ألقته في التابوت، في البحر.

وبها دير آخر يعرف بدير شهران. وهو المعروف الآن بشعران.

قال الشابشتيّ: ودير القصير أحد الديارات المقصودة، والمتنزهات المطروقة: لحسن موقعة وإشرافه على مِصرَ وأعمالها. وفيه يقول محمد بن عاصم المصريّ: [من الخفيف]

إنَّ دَيْـرَ الـقُـصَـيْـرِ هـاجَ ادِّكـارِي ... لَـهْـوَ أيّـامِـنـا الـحِـسـان الـقِـصَـارِ

وكـأنّـي إذ زُرتُـه بـعـد هَـجْـرٍ ... لـم يـكـنْ مـنْ مَـنَـازِلـي ودِيـاري

إذ صُـعُـودِي عـلـى الـجـيـاد إلـيـه ... وانحدارِي في المُنْشَآت الجَوَاري

منزلاً لستُ مُحصِياً ما بقلبي ... ولـنـفـسـي فـيـهِ مـن الأَوْطَـارِ

مـنْـزِلاً مـنْ عُـلُـوِّهِ كـسَـمَـاءٍ ... والـمَـصَـابـيـحُ حوْلَـه كـالـدَّراري

كم شَرِبْنـا علـى التَّصاويرِ فيه ... بِـصـغَـارٍ مـحـثُـوثـةٍ وكـبـارِ

صُـورةٌ مـن مُـصَـوِّرٍ فـيـه ظَـلَّـتْ ... فِـتْـنـةً لـلـقُـلُـوب والأبـصـارِ

لا وحُسْنِ العَيْنينَ والشّفَةِ اللميـ ... ـاءِ منـهـا وخـدِّهـا الـجُـلَّـنـارِي

لا تـخـلَّـفْـتُ عـن مَـزَارِيَ ديـراً ... هِـي فـيـه، ولـو نـأى بـي مَـزارِي

فـسقَـى الله أرضَ حُـلـوانَ فـالـنجدَ ... فـديـرَ الـقُـصَـيْـرِ صوبَ الـعُـشـار

كـم تـنـبّـهـتُ مـن لَـذّاذة نـوْمـي ... بـنَـعِـيـر الـرُّهْـبـان فـي الأسـحـار

والـنـواقـيـسِ صـائـحـاتٍ تـنـادي: ... حـيَّ يـا نـائـمـاً عـلـى الابـتـكـارِ

[وقال ابن ظافر[1]: مضيتُ أنا والشهابُ يعقوب ابن أخت نجم الدين، يعني ابن مجاور، والقاضي الأعزّ المؤيد في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير إيثاراً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره تعاطينا العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الإعمار، بطروق الأعمار، وضيَّعوا العيْنَ والعَقَار، في تحصيل العَيْنِ والعُقَار. فقال الشهاب: [من المتقارب]

سـقـى الـلـهُ يـومِـي بـدَيْـر الـقـصـيـر ... قَـصِـيـرَ الـعَـزَالِـي طَـويـلَ الـذُّيـولْ

---

(١) انظر: بدائع البدائه ٢٢٧ ـ ٢٢٩.

مَــحَــلٌّ إذا لاح لــي لــم أقِــفْ بِصَحْبي على حَوْمَلٍ فالدَّخُولْ

فقلتُ: [من المتقارب]

فكَمْ فيهِ من قَمَرٍ في دُجًى على غُصُنٍ في كَثِيبٍ مَهِيلْ
بِودٍّ صحيحٍ وطَرْفٍ سَقِيمٍ ورُوحٍ خفيفٍ ورِدْف ثقيلْ

فقال الأعزّ: [من المتقارب]

قطعتُ به العَيْشَ معْ فِتْيَةٍ صِباحِ الوُجوه كِرام الأُصُولْ
بكلِّ كريمٍ قَصِيرِ المِرا ءِ حازَ المَعَالِي بباعٍ طَوِيلْ

فقال الشهاب:

إذا قَسُّه سَلَّ سيفَ المُدامْ، فكم من سَلِيبٍ وكَمْ من قَتِيلْ

فقال الأعزّ: [من المتقارب]

وكم من خَلِيعٍ كريم الفِعالْ، يُجَدِّد بالجُود غَيْظَ البخِيلْ

فقلت: [من المتقارب]

يوافيه ذا ذَهَبٍ جامدٍ، فيُفْنِيه في ذائبٍ للشَّمُولْ

ثم صنع الشهاب: [من الوافر]

على عَمْر القُصير قطعتُ عَمْري وصُنتُ خَلاَعتِي وأزلتُ وَفْري

فقال الأعزّ: [من الوافر]

ولم أسْمَعْ لعَمْرُكَ قولَ زيدٍ إذا ما لامني أو قَوْلَ عمرِو

فقلت: [من الوافر]

ظَفِرنا فيه من شَفَةٍ وكأسٍ بمَشْرُوبَيْنِ: من ريقٍ وخَمْرِ

فقال الشهاب: [من الوافر]

ودافَعْنا يَقِين الرأيِ فيه بمَظْنُونَيْن: من خمرٍ وخَصْر

فقال الأعزّ: [من الوافر]

كَسَوْتُ به الكُؤُوسَ البِيضَ حُمْراً من القُمْصِ اشتَرَيْناها بصُفر

فقلتُ: [من الوافر]

وظَلْتُ بمأْزِقٍ للهو أتْلُو بَهزّ البِيض فيه عِناق سُمْرِ][1]

دير شَعْران ـ هو في حدود طُرَا، من ضواحي القاهرة القبليّة، في لحْف الجبل

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

الأحمر، المعروف بالمُقَطَّم. وبناؤه بالحجر واللّبِن. وعليه نخل. وبه جماعُ من الرهبان. وهو من ديارات اليَعاقية.

/ ٢٦٧/ حُكي أن السرَاج الورّاق[١] مرّ عليه، فنزل به. فرأى به جماعة من أوِدَّائه على راح تُقْدَح لهم أقداحُها، وتُهدى إليهم أفراحُها. وكان السرَاج قد طُفِئَت فتيلُته من شُعْلة ذلك اللّهَب، ونكِرَتْ قافيتُه صُفرة ذاك الذهَب. فأتاه بها الساقي فردّها، وواصلته في الكأس فصدّها. هذا حين نكَّس الكِبَر صُعدتَه، وأنفذ العمر مُدَّتَه. وذكر بجُلسائها فقدَ إخوانه، وذَهابَ زمانه. فلامه من حضر إذ صدّ الكاس، وقال: أما لَكَ أسوةٌ بهؤلاء الجُلاّس؟ فقال: [من الرمل]

عَجِبَ الساقِي لردِّي القَدَحا ... ولأَمْرٍ في التَّصَابِي قَدَحَا
وأتانَا بِحُمَيَّا كاسِهِ ... حيثُ جِئْنا ديرَ شَعْران ضُحى
قلتُ: يا قُرّةَ عيني رُبّما ... غُضَّ طَرْفٌ بعد ما قد طَمَحا
لم أكُنْ أوّلَ وَلْهانٍ سَلاَ ... لا ولا أوّلَ نَشْوَانٍ صَحَا
أشربُ الراح أُرَجِّي فَرَحاً ... فيُتيح الحظُّ منها تَرَحا
سوءُ حَظِّي لو رَمى الصبحَ دَجَا ... أو رَمى ليلَ عِذارٍ وضَحَا
وخَمُولٍ مُنْطِقٍ بالشَّتْم لي، ... مَنْ أرى دَهْرِي له مُمْتَدِحا؟
زاد في سبِّي إلى أن خِلتُه ... شهد الله به قد سَبَّحا
أنا ما ذَنْبِي لَحَا الله امْرَأً ... لامَ في التَّوْبة مِثْلي ولَحَا
يا نَديمي أنت للرَّاح فدَعْني ... أنزَحُ الدمعَ إلى أن يُنْزَحا
هِيَ أوقاتٌ وكلٌّ آخذٌ ... من صَفَا أوقاتِه ما سَمَحا

حُكي أن السرَاج الورّاق وأبا الحسين الجزَّار[٢] خرجا في عهد صِباهما،

---

(١) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الورّاق، شاعر مصر في عصره، ولد سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٩م، كان كاتباً لواليها الأمير يوسف بن سباسلار، له «ديوان شعر» كبير، اختار منه الصفدي «لمع السراج ـ خ» وله «نظم درة الغوّاص ـ خ» و«شرحه ـ خ» في أوقاف بغداد. توفي بالقاهرة سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٠٧، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٣، آداب اللغة العربية ٣/ ١٢٠، مجلة المجمع العلمي العربي ٥/ ١٠٩، الكشاف لطلس ١٧٣، الأعلام ٥/ ٦٣ معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٩٠.

(٢) يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد، أبو الحسين الجزار، جمال الدين: شاعر مصري ظريف، ولد سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. كان جزاراً بالفسطاط، وكذلك أبوه وبعض أقاربه. وأقبل على الأدب، وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، فمدحهم وعاش بما كان يتلقى من جوائزهم. =

والشباب أعقد حُباهما، يريدان النزهة. فوجدا غلاماً زامراً، يُتَمَنَّى منه اللقاء، ويجتمع فيه الغصن والورقاء /٢٦٨/. يتلفّت بصفحة القمر المنير، ويُطرب كأنما زمرُه مما أوتِيَ آلُ داودَ من المزامير. فلفتاه إليهما لأمر، وظنّا أنه ستُلِينه لهما الخمر. فأتَيَا به دير شعران، وصَعِدا إليه، فوجدا راهبا يصدعُ حُبُّهُ الفؤاد، ويطلعُ قمره ولا شيء أحسن منه في ذلك السواد. فزاد سرورُهما بحصول الزامر والراهب، وأيقنا ببلوغ المآرب. فلما حميت فيهما سَوْرَة الحُمَيَّا، وظن كلٌّ منهما أنه قد حُصّل له فِراشُه وتهيّا، فَطِنَ الزامر والراهب لمرادهما فتركاهما ومضيا قبلَ التمام، وتركاهما وكلٌّ واحد منهما يشكو ضجيعاً لا ينام. فقال السراج: [من السريع]

فـي فَخِّـنـا لـم يَـقَـعِ الـطـائـرُ: لا راهِـبُ الـديـرِ ولا الـزامـرُ

فقال أبو الحسين الجزار: [من السريع]

فـسَـعْـدُنـا لـيـس لـه أوّلٌ، ونَـحْـسُـنـا لـيـس لـه آخِـرُ

فقال السراج: [من السريع]

. . . . فـالـقـلْـبُ فـي إثـرهـمـا هـائـمُ

فقال الجزار: [من السريع]

والـقـلـبُ مـن أجـلـهـمـا حـائِـرُ! . . . .

وحُكي أن السِّرَاج الورّاق كان يغشى راهباً بدير شعران وافرَ العقل، كامِلَ الفضل. فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبانُ قد بقيَ على أقلّ من نصفه،

= وكانت بينه وبين السراج الوراق وغيره مداعبات. وكان من أصدقاء «ابن سعيد» صاحب كتاب «المغرب في حلى المغرب» فملأ ابن سعيد خمسين صفحة من كتابه بما انتقى من شعره. توفي سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م. له «العقود الدرية في الأمراء المصرية ـ خ» منظومة انتهى بها إلى أيام الظاهر بيبرس، و«ديوان شعر ـ خ» صغير، في المكتبة الصادقية بتونس، لعله مختارات من شعره، فإن ديوانه كبير كما يقول ابن تغري بردي، و«فوائد الموائد ـ خ» و«الوسيلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب» ذكره بروكلمن،
و«تقاطيف الجزار» شعر، ثم جمع شعره وحققه د. حسين عبد العال اللهيبي ـ العراق.
ترجمته في: المغرب في حلى المغرب: القسم الخاص بمصر ١/ ٢٩٦ ـ ٣٤٨ وفوات الوفيات ٢/ ٣١٩ وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٣ وفي الغدير ٥/ ٤٢٦ ـ ٤٣٣ «جمع له الشيخ محمد السماوي ديواناً يربو على ١٢٥٠ بيتاً» ورجح وفاته «سنة ٦٧٢» اعتماداً على رواية لابن حجة وعلى البداية والنهاية، مع أن الثاني أرخه سنة ٦٧٩، Brock. 1:409 (335), S.1:574 وكشف الظنون ١٣٠٢ وفي جريدتي البلاغ ٥ رمضان ١٣٥٣ والأهرام ٢٣/ ٩/ ١٩٣٤ بعض أخباره، الأعلام ٨/ ١٥٣، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ١٣٢.

وبدره قد أخذ يتقهقر إلى خلفه. وشهرُ رمضانَ قد آنَ له أن تُغَلَّ فيه شياطينُ الأنام، ويُخْتَمَ فيه على الأفواه بالصيام. فألفَوُا الراهب وقد لبسِ مسْحه وساح، وعزل الدير فما هبتَ فيه رائحة راح. فلما رأوا أن دَيْنَ رمضان قد حان حلول أجله، وأنَّ وجه الدير الوقاحَ ما دبّتْ فيه من الخمر حُمرةُ خَجَلِهِ، خافوا أن يأتي الصيام، وما تشعشع سوى قنديل سُحُوره الذي بان. ولا مُلِكَ مُدامٌ يأتي منه أوائل وَرْدٍ في أواخر شعبان. فندب السِّرَاج إليه راهباً من شَباب الدير ليتبعه، وكتب معه: [من الخفيف]

ابلغِ الفاضلَ الرئيسَ السَّلاَمَا، شَقَّ عن زَهْرِه الصباحُ كماما
قُلْ له: أيُّها الحكيمُ الذي في دِين عيسى قد بَرْهَنَ الأحكاما
/٢٦٩/ كم رقَبْناك كالهلاك إلى أنْ لُحْتَ للناظرين بَدْراً تَماما
يا أبا المِلَّةِ المَسِيحيّة ارحَمْ مَعْشراً مُذْ ظَعَنْتَ عنهمْ يَتَامى
فُطِمُوا من رَضاعِ كأسِ الحُمَيَّا وهي أنكى للمُرضَعِين فِطاما
واستحلُّوا وضعَ الصليب عن الرا وُوق من بعد حَمْلِه أعواما
عَدِمُوا راحة النُّفُوس من الرا حِ، فدارِكْ بالأنْفُسِ الأجساما!
وأطالُوا حَبْس المُدامةِ في الدَّنّ ويكفِي حبسُ المُدامةِ عاما
ودعا الديكُ للصَّبُوح فَهبُّوا كالمحبيِّنَ لا يَعُونَ المَلاَما
فاسقِهم من سُلافةٍ تطردُ الهمّ وعجِّلْ لهم بذاكَ اهتِماما
وعسى قائلٌ يقول لِحَظّي ونَصِيبي: أطلتَ في ذا الكلاما
كذبَ المدَّعِي وآخِرُ شَعْبا نَ يُنادِينيَ الصيامَ الصِّياما

دير البغلِ - وهو شماليّ دير شعران. وبناؤه مثل بنائه في لِحْف جبل المقطّم. وعليه نخلٌ. وبه جمائع من الرهبان اليعاقبة.

قالوا: وسمِّيَ بدير البغلِ؛ لأنه كان به بغلٌ لسَقْي الماء، تعوّد هذا وأَلِفَه. وكانوا إذا أطلقوه، أتى مورد الماء، وهناك مَن يملأ عليه. فإذا حمله أتى الدير بالماء.

خرج إليه السِّرَاج الورّاق مع أبي المُفَضَّل بن العسّال في جماعة من أهله. وأقاموا به أياما في لهو، يجرّون أعطاف الزَّهْو. وكان بالدير غلام لا يتعدَّاه أمَلُ المقترِح، ولا يحاكي ذوابلَ عيونه إلا النرجس المتفتِح. فألفه السراج الورّاق وهو إلى وصل منه محتاج. فلما عادوا، قال السراج يذكر أيامه ويمدح أبا المُضَلّ، ويذكر شيئاً كان عليه به قد تفضَّل: [من البسيط]

جْنَاكَ مَنْ عارضٍ في خدّه لاحا رَيْحانةً جاورَتْ من رِيقِه راحا
وما كَفاه الشَّذَا المِسْكِيُّ بينَهُما حتّى جَلاَ من خَضِيب الخدّ تُفَّاحا

/ ٢٧٠/ عَيْنِي رأتْهُ بدير البَغْلِ في مَلاٍ قد قام فيهم من الأسْحار نَوَّاحا
مـقـرطَـقٌ تَـرَكَ الـنُّـدْمـان مـن يـده صَرْعى وقد حَثّ أحداقا وأقداحا
عاطَيْتُه كأسَها والشُّهْبُ ما جَنَحَتْ إلى مَغَارِبِها والدِّيكُ ما صاحا
والنَّجْم حيرانُ لولا ما رفَعْتُ له من كأسها تحتَ جُنْح الليلِ مِصْباحا
حتّى إذا أذنَتِ الصَّهباءُ خُطْوتَهُ ورحَّلتْ يدُه عن راحِه الراحا
وباتَ طَوْعِي فلم أزْدَدْ على قُبَلٍ إذ لا أبِيتُ لبابِ العار فَتَّاحا
أُغالِبُ النفسَ عمّا تشتَهِي كرماً جِدًّا فلا تَحْسبَنِّي ثَمَّ مزّاحا
وقد يَرُوقُك لفظي الحُلْوُ لا سِيمَا إذا لَقِيتُ بني العسَّال مَدّاحا
القوم جادُوا ولم أسأل، وهم مَنَحُوا وما غَشِيتُهُمُ واللهِ مُمْتاحا
وشاد مجدُهُمُ بيتاً يبيت له طَرْف المَجَرَّة مما طال طَمّاحا
من كلّ أزهَرَ لولا في تطلُّعِه مَطَالعُ الصُّبْح! زادَ الصبحَ إيضاحا
صَحِبْتُهُمْ نحوَ دير البَغْلِ مطلبُنا صهباءُ جرّتْ بطوْقِ الليل فانزاحا
أبا المُفَضَّلِ لم أبْلُغْ مَدَاك ولو طارحْتُ في مَذْهَبِ الشِّعرِ الطِّرِمَّاحا
إنْ رُمْتَ إخفاءَ ما تُعْطِي فقد نَطَق المعروفُ عنك بما تُخْفِي وقد باحا
لا تَبْغ للجُود كِتْمانا فتَظْلِمَه إنا رأينا نَسِيمَ الجُود فَيَّاحا

دير طَمْويه[١] ـ ويُعرف المكانُ الآن بطمَّوْه، وهو في الجانب الغربيّ، بإزاء حُلْوان. والدير راكبٌ على البحر. تحفُّ به الكروم والبساتين والأشجار. وهو عامر الأوطان. آهل بالرهبان. وحين تخضرُّ الأرض يكون بين بِساطَيْن من البحر والزرع.

قال الشابشتي: وهو من المتنزهات المذكورة، والمواضع الموصوفة. وأنشد فيه لابن عاصم قولَهُ: [من البسيط]

/ ٢٧١/ واشرَبْ بطَمْوَيْه مِن صَهْباءَ صافيةٍ تُزْري بخمر قُرى هِيتٍ وعاناتِ
على رياضٍ من النُّوَّار زاهيةٍ تجري الجداولُ منها بين جَنَّاتِ
منازلا كنتُ مشغوفا بها كَلِفا وكنَّ قِدْماً مَوَاخِيري وحاناتِي
إذ لا أزال مُلِحًّا بالصَّبُوح على ضَرْب النواقيس صَبًّا بالدياراتِ

كنيسة الطُّور[٢] ـ قال الشابشتيّ: وهذا الطُّور هو طورسينا، الذي صَعِقَ عليه

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٥١٩ مادة (دير طمويه).
(٢) انظر: الديارات للشابشتي ٣١٠، وذيله ٤٢٦ ـ ٤٢٩، معجم البلدان ٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١ مادة (دير طور سيناء).

موسى، عليه السلام. والكنيسة في أعلى الجبل. مبنيّةٌ بحجر أسود. عرض حصنه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفي غربيّه باب لطيف. وقدّامَه حجرٌ لَقيمٌ. إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهم متغلّب أرسلوه، فانطبق. فلا يعرف أحدٌ مكانَ الباب. وداخلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرى.

قال: وزعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدةَ التي كانت ببيت المقدس: يَقِدُون منها في كل عشيّة السراج. وهي بيضاء ضعيفة الحرّ، لا تُحرِق. ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهبان. فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرُّج فيه والتبرُّك ـ على رأيهم ـ به.

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة. وممن وصفه ابن عاصم. قال فيه: [من البسيط]

يا راهبَ الدَّيْر، ماذا الضوءُ والنُّورُ	فقد أضاء بما في دَيْرِك الطُّورُ؟
هل حلَّتِ الشمسُ فيه دُونَ أبرُجِها	أو غُيِّب البدرُ عنه فهو مستُورُ؟
فقال: ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ،	لكن يُقرَّب فيه اليومَ قَوْرير

دير طُرَا ـ وموقعه قبليّ القرافة ومصر. يلي بركة الحبش وبساتين الوزير. يقصده أهل مصر للفرجة والتنزه. ويُؤتى إليه على ظهر البرّ والنيل. وله إشرافٌ على النيل. ولا يخلو من قَصْف وشرب. [ولأمراء الديار المصرية إليه إفضاء في الفضاء ومنتهى الركوب][(١)]. وفيه أقولُ: [من مجزوء الرجز]

يومَ طُرَا وديرِها	وما أَتى مِنْ خَيْرِها
وأبيضٍ من يومها	وأحمرٍ من مَيْرِها
/٢٧٢/ مُدامةٌ تَسْرى بنا	مُجِدَّةً في سَيْرِها؟
لم أَنْسَ هِيفَ نخلها	ويومَنا في خَيْرِها،
وأكْلَنا من حُوتِها	ووَحْشِها وطَيْرِها
هذا إلى فاتنةٍ	مَليحةٍ في دَيْرِها
فلا تَقُلْ لي: غيرُها.	ما أَرَبي في غَيْرِها

الديارات السبع[(٢)]: وهي في الوجه البحري، وهو سُفليُّ ديار مِصرَ. ممتدَّةٌ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) هي المشهورة التي بوادي النطرون، وقد زرتها في سنة ١٨٩٤م. (زكي).

غربا على جانب البرِّيَّة القاطعة بين بلاد البُحَيْرة والفَيُّوم.

مرَرْنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصريّة. وهي في رمال مُنْقَطعةٍ، وسباخٍ مالحةٍ، وبَرارٍ مُعْطِشة، وقِفارٍ مُهْلِكة. وشرب سكّانها من جفاراتٍ لهم. وهم في غاية من قَشَف العيش وشَظَف القُوت.

ويحمِلُ النصارى إليهم جلائل النذور والقرابين، وتخصهم بكرائم التُّحَف.

ويتخذ كتبةُ القِبْط وخَدَمُ السلطان منهم خاصةً، أيادِيَ معهم، ليكونوا لهم ملجأً من الدولة، إذا جارت عليهم صُرُوفُها.

ولم أعلم فيها أخبارا فأذكرها ولا أشعارا فأُطرِفَ بها. وإنما ذكرتُها لشهرة اسمها وبُعْدِ صِيتِها.

الدير الأبيض[1] ـ وهو دير جليل البناء، أبيضُ ـ كما سُمِّيَ ـ عليه رونقٌ. قد بُنِيَ بالحجر الأبيض، وزُيِّنَ في أبنيته ووسِّع في قدر أفنيته، وهو غربيّ النيل، في طَرَف الحاجر المُطِلِّ على المزدَرَع، فيما يقابل إخْميمَ. وله إشرافٌ على بسائط تلك الزروع، وسوارح تِلك المواشي. وبإزائه نخلٌ خاصٌّ به.

ويجري من النيل خليج طويل المدى، كأنه السيفُ النقيّ من الصدى؛ ينتهي إلى مَلَقةٍ متسعة، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة، شرقيّ الدير. يفصل بينهما الطريق. ويطلّ على هذه المَلَقة رابيةٌ علية، قد تكونت من فَضَلات التُّرعِ المحفورة، والجسور المستجدّة.

لا يُرى مثلُ نزاهته في زمن الشتاء والربيع: يتضاحك في جَنَباته النُّوَّار، وتخضَرُّ فيه شِقاق الزروع، وتكثر فيه مصايد الطير، ويكون من الحُسْن في غايةٍ تملأ البصر، وتزيد على الخَبَر. ومررنا به صحبةَ السلطان ونزلنا على تلك الرابية. وأشرفتُ على البركة وفيها قارِبٌ يصادُ فيه السمك، ومرّت الأطلابُ مُزَيَّنَةُ / ٢٧٣/ الترك وجياد الخيل. فسُئِلْتُ أن أعمَلَ في مثل هذا شيئا، على رسم ما يقال في الديارات. فقلت:

[من الرجز]

يـوْمٌ لـنـا بـالـدَّيْـر، ديـر الأبـيـضِ ... قـد انـقـضـى وطِـيـبُـه لـم يـنـقـضِ
قد جِئتُه في العَسْكر المنصُورِ ... فـغَـلّـق الأبـوابَ كـالـمـحـصُـورِ
ونــزل الــرُّهْــبــانُ بــالــدَّبُّــوسِ ... فــيــه إلــى قَــرَارة الــدَّيْــمُــوسِ

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩٧ مادة (دير الأبيض).

واطّلَعَتْ نَحْوِي هُناك رابيهْ ... تيَّاهَةٌ على الوِهاد آبيَهْ
قد خضعَتْ من جانِبَيْها الوُهْدُ ... كأنّها فَوْقَ الصُّدُورِ نَهْدُ
كأنّما تَطْلُبُ منّي المَأْتى ... هذا وقد وَلّى زمانُ المَشْتى
وللربيعِ مُذْ أتى اعتِدال ... وللنَّسيم بينَهُ اعتِلالُ
والشمسُ قد دَبَّ بها السَّقامُ ... واليومُ لم يَبْقَ له مُقامُ
والليلُ قد هيَّأَ صفَّ عَسْكَرِهْ ... وإنّما مَعْروفهُ في مُنكَرِهْ
والجوُّ في ردائِهِ المُصَنْدَلِ ... والأرضُ تُذْكى باشتعالِ المنْدَلِ
ومِجْمَرُ الشَّقيقِ فيها مُوقَدُ ... وشُعَلُ البَهارِ فيها تُوقَدُ
وزَهَرُ الفُول ادَّعى بالحقِّ ... شبيهَ أذنابِ الدَّجاج البُلْقِ
وزَهَرُ الكَتّان كالبَنَفْسَج ... ومِثلُه لولا ذَكِيُّ الأَرَج
تَبْدُو على أعطافه التَّرافَهْ ... ذو هَيَفٍ في شَكْلِهِ ظَرافه
كأنّه في مائه الممتَزج ... زَبَرْجَدٌ رُصِّعَ بالفَيْروزَج
وسائرُ الزرع شِقاقٌ خُضُرُ ... وبعضُها لها طِرازٌ نَهْرُ
والنخلُ حولَ الدير كالعرائس ... مَجْلُوَّةً في فاخِرِ المَلابس
كأنه مشَمِّراً فِي هِمَّهْ ... صفٌّ وُقُوفٌ حولَه في الخِدْمَهْ
/٢٧٤/ وثَمَّ من باقي مُدودِ النِّيلِ ... ماءٌ شبيهُ الصارمِ الصَّقيلِ
وَافَتْ إليهِ خُلُجٌ مُفَرَّقَهْ ... واجتمعَتْ جميعُها في مَلَقَهْ
دائرةٍ قَوْراءَ مثلِ الأُفُقِ ... تأوِي بها حِيتانُها في نَفَقِ
صافيةٍ كمثل عَيْنِ الدِّيكِ ... في غاية الصِّقال والتفريكِ
قد وَلِعَتْ فيها الرياحُ بالطُّرَرْ ... فشوّشَتْها ثم سالَتْ كالغُرَرْ
فسيحة الأرجاء كالميدانِ ... تشُقُّها سَوَابحُ الحِيتانِ
فيها من الأسماك أشتاتٌ تُرى ... تأخُذُ من أنواعهنَّ العنبرَا
فيها من البُلْطِيْ والبُنِّيّ ... مآكِلٌ كالرُّطَبِ الجَنِيّ
والبركةُ الفيحاءُ فيها قارِبُ ... وفيه صَارٍ للشِّباكِ ضارِبُ
يجرِي به قارِبُهُ على نَفَسْ ... وَهْوَ بِهِ في الماءِ ناريُّ القَبَسْ
كأنّما أجْرى به جَوادا ... أسرعَ في الرَّكْضِ وما تَمادى
كأنّه إذا أراد المَرْكَبا ... صِلٌّ من الحيّات يرقى عَقْرَبا
يُسَيِّرُ الحِيتانَ وسْطَ الماءِ ... كأنَّها النجومُ في السماءِ
يأتِي إليها بأضاليل الخُدَعْ ... لأَجْلِ ما يأخُذُ منها ويَدَعْ

ولم يزلْ بخفَّةٍ في الحركَةْ … حتّى أنَّهُ يُلْقِي عليه الشَبَكهْ

وكُلَّ ما يُريدُهُ يَصِيدُ … يا زرْعَها آنَ لكَ الحَصِيدُ

وعَنَّ لي سِرْبُ مَهًا جآذِرُ … أجفانُها تضُمُّ ما نُحاذِرُ

أقمارُ تُرْكٍ فوقَ شُهْبِ الخيْلِ … وبَيْنَها أدْهَمُ ضافِي الذَّيْلِ

فجئتُ حتّى صرتُ فوقَ الهَضْبَهْ … وعايَنَتْ عيناي تلكَ الجَلْبَهْ

/٢٧٥ ويا لَها من حَلْبَةٍ لا تُلْحَقُ … تكْبُو وراءَها الرياحُ السُّبَّقُ

كأنَّها أُفْقٌ حوى أقمارًا … قد طَلَعُوا في أُفْقِها نَهارا

من نَسْلِ خاقانَ وجِنسِ التُّركِ … قد عَوَّدوا ألحاظَهم بالفَتْكِ

كم فيهمُ من ساحِرِ الأجفانِ … قَيْسِيّ خدٍّ طرفُهُ يَمَاني

لله إنْ جرَّد أسيافَ الحَدَقْ … وبدَّد الدِّماءَ في الخدِّ اليَقَقْ

فيها مِلاحٌ للعِناق خُلِقُوا … ما بَرزوا للعين حتّى عُشِقُوا

ومُيَّدُ الأغصانِ ثَمَّ تَستَبِقْ … طوْراً تُخَلّى ثُمَّ طوْراً تَعتَنِقْ

أغصانُ بانٍ أم هُمُ غِزلانُ … أوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الولدانُ

قد ركِبُوا صوافِنَ السَّوابِقِ … وافترقوا لكن فؤادَ العاشِقِ

منهمْ فتًى يهتزُّ كالرُّدَيْني … مَنْ لِيَ منْهُ لو قَضَيْتُ دَيْني؟

قد أسرجَ الغمامَ بالهلالِ … مُطَهَّماً في صِبغةِ الليالي

يَفْرُقُ شَطْرَيْ وجهِهِ بغُرَّهْ … كَأنّه في وسْطِها مَسَرَّهْ

أدهمُ منه في السِّباق قد بَدَرْ … لَيْلٌ ولكن فوقَ عِطْفَيْهِ قَمَرْ

مُبَلْبَلُ الصُّدْغِ رخيمُ الدَّلِّ … أُرِيدُ منه للهوى مُعَلِّي

لهُ من العُجْبِ جُفُونٌ مُطْبَقَهْ … وآفتِي من العُيُون الضَّيِّقَهْ

لم أرَ مثلَ ثغرِهِ إذ ضَحِكَا … لقد حكَاه البرقُ لكن ما حَكى

بدرٌ ولا تَفضَحُ لي أسماؤُهُ … ذو تَرَفٍ يكادُ يجرِي ماؤُهُ

ما لِي وما للراحِ أو للأكْؤُسِ … إذ حلَّ لي بندَ القَبَاء الأطلسِ

وبانَ من ثِيَابه المُجَرَّدُ … كأنّه من فِضَةٍ تَتَّقِدُ

/٢٧٦ فيا أُخَيَّ إنْ قَضَيْتُ نَحْبَا … دَعْنِي أموتُ في هواهُ حُبّا

أهونْ بدمعِ مُقْلَتَيَّ الصَّبِّ … فقد تعشَّقتُ صَبِيّاً يُصْبِي

ما الموتُ في هَوَاهُ إلاّ مَحْيَا … لَوْ مُتُّ عِشقا فيه كنتُ أحْيَا

لَمَّا أتانِي من بعيدٍ ووقَفْ … قُمتُ لِلَثْمِ أقدامٍ وكَفّ

وكانَ قد حانَ غُرُوبُ الشمسِ … وطلَعَ البدرُ كمثلِ التُّرْسِ

وظَلْتُ أُلهيهِ بأشغال السَّمَرْ ... لعلَّ للّذي فعلتُه ثَمَرْ
وقلتُ هذا مَنْزِلٌ نَزِيهُ ... ليس له فيما هُنا شَبِيهُ
يا مرحباً شرّفتَ هذا المَوْضِعَا ... وجئتَنا والبدرَ في وقتٍ معَا
فلو نَزلته هناك أو هُنَا ... عَمَّ بقُرْبك السُّرورُ والهنَا
فانزِلْ بنا واقعدُ قريراً ساعَهْ ... ولا تخَفْ من فاضح الشَّنَاعَهْ
فَلانَ لِي جانبُه ثُمَّ ابتسَمْ ... وفاحَ لي طِيبُ رِضاهُ ونَسَمْ
وقال لي أقِمْ حَوَالَيْنَا الحَرَسْ ... وانحطَّ لي كالسَّهْم عن ظهر الفَرَسْ
فقلتُ: ما تقول في ذا إنْ مَسَكْ ... هذا لنا وجابَ من هذا السَّمَكْ؟
ونُوقِدُ النارَ له ليُقْلى ... ومَنْ أتى مُزاحِماً في المَقْلى
ونأكُلُ السَّلُّورَ والشَّبُوطَا ... والفرخَ والمَسْلُوخَ والمسْمُوطَا
هذا وما تضُمُّ أكنافُ السُّفَرْ ... وما تكون منه ألطافُ السُّفَرْ
فقال لي: دُونَك مَا تُريدُ! ... فكان عِندِي باللِّقاء عِيدُ
هذا وكُنّا قد أَمَرْنا الطَّاهِي ... بأخْذِ تلك الجِلَّة الزَّوَاهي
فأتقنَ الجميعَ بالتنظيفِ ... وزانَها في الوضع والتصفيفِ
/٢٧٧/ وحَطَّ عن أجسامها الجَوَاشنَا ... وأظهر الجَمَالَ والمَحَاسنَا
واقتدَحَ النارَ من الزِّنَادِ ... مِثلَ اصْطِكاك البَرْقِ في العِهادِ
يطيرُ من جانِبِها شَرَارُ ... هلْ منه للرُّمّانة انتثارُ
يُوَرِّثُ المَوْقِدَ جُلَّ نارِ ... كأنّها شُبَّتْ بجُلَّنارِ
وبعدَ هذا صفَّف المَقالِي ... وكلُّنا نُحِبُّ ذاك القالِي
وسكَبَ الدّهانَ في الطِّنجيرِ ... كمثل بسْطِ الظِّلِّ فِي الغديرِ
ثُمَّ قلى في الطاجن الأسماكَا ... لولا قليلٌ، لَقلى السِّماكَا
ونضَّدَ الصُّحُونَ ثُمَّ صفّفا ... سبائكاً من النُّضَار قد صَفَا
أعادَها بعدَ اللُّجَيْنِ عَسْجَدَا ... صَقَّرَ ألْواناً لها وَوَرَّدَا
وجاء بالمِلح وبالأبزارِ ... سكَارجا تروق للأبصارِ
مصفوفةً لنا على مقدارِ ... كدِرْهَم صُفَّ إلى دِينارِ
وصَبَّ من أطايب الأَصْلاصِ ... حقائباً مسدودةَ العِفَاصِ
من حامِضٍ مُطَيَّبٍ ومُزٍّ ... وغيرِ ذا من كُلِّ حمض يجزي
ونَضَّدَ البُقولَ في الأَطْباقِ ... مثلَ الحَرير لُفَّ في الأوراقِ
و وَضَعَ الكِماجَ والرُّقَاقَا ... حتّى استدار حَولَها نِطاقَا

وجاءَ بالفُقَّاع والمشرُوبِ ... يَهُمُّ في الكِيزان بالوُثُوبِ
ومِنْهُ في إنائه مسكوبُ ... كأنَّه من ذَهَبٍ مصبوبُ
وقَرَّبوا الحَلْوَاء مِلْءَ الجام ... كمثلِ قُرصِ الشمسِ بالتَمام
فقام لي وَزْنُ سُرُوري وقَسَطْ ... لأَنَ مَنْ أحببتُهُ قد انْبَسَطْ
/٢٧٨/ ومدّ عندي يَدَهُ ثُمَّ أكلْ ... ثُمَّ تنقَّلنا بمنهوب القُبَلْ
فكَمْ أصبْنَا منه ما أردنا ... ولو نشاء بعدَ هذا زِدْنا!
ثم أدَمْنا حمدنا والشكرا ... وهْوَ بما جاد علينا أدرى
ثم أتانا الطَّستُ والغَسُولُ ... كأنّه بعنبرٍ مجبولُ
ثم تلاه الطِّيبُ والمَنديلُ ... يا حبَّذا ما حَبَّه الرسولُ
حتّى إذا ما نَزلَ السلطانُ ... واشتغلَ الغَوْغاءُ والغِلْمانُ
ونام كلٌّ مستكِنًّا في الخِيَمْ ... ونَكَّرَ الآفاقَ جِلبابُ الظُّلَمْ
وأَمِنَ الراهبُ والقِسِّيسُ ... وانشقَّ عن موتاهُمُ الناوُوسُ
وأوقدوا في البِيعة القِنديلا ... ورَجَّعوا المِزْمارَ والإنجيلا
وزيّنوا الهيْكلَ بالقُرْبانِ ... وصفَّفوا الشُّمُوع والقَنَاني
وسَكَبُوا الصهباء في الإبريقِ ... صفراءَ أو حمراءَ كالعقيقِ
وصبّها في الكاس مثلَ اللَّهَبِ ... ممتدّة مثلَ شَريط الذهبِ
يسعى بها مُقَرْطَقٌ مُزَنَّرُ ... شِبهُ الغزال الخِشْفِ أحْوى أحورُ
مِن فِتْيةٍ داموا على الإنجيلِ ... مَنْ لي بهم لو أنَهمْ من جِيلي
وبعضهم دبَّ له عِذارُ ... كأنّه من صَدِّه اعتذارُ
وفيهمُ ذاك الغَزَال النافرُ ... خليفةُ المِلاَح وهْو الظافرُ
لما بدا منه الصَّباحُ السافرُ ... تستَّر الليلُ فقيلَ الكافرُ
أو بِنْتُ قِسِّيس عليها مِسْحُ ... كالليل قد أقبل فيه الصبحُ
بَمعصَم فيه دَلاَلٌ وتَرَفْ ... كَأنّه من ماءِ خدَّيْها اغترفْ
/٢٧٩/ فاتنةٌ من الظِّباء العِينِ ... قد ناصبَت بِدِينها لِدِيني
ماذا أقول في بديع صُنْعِها ... والبدرُ في الظَلماء حشوُ دِرعها؟
غصنٌ رطيبٌ دبَّ فيه الراحُ ... ومِنْ جَنى خُدُودها التُّفَّاحُ
آفةُ كلِّ مسلم وكافرِ ... وفتنةٌ في أوّلٍ وآخرِ
ياما جَرى منها ويامًا يَجْري ... مِنَّا ومِنْها من بُكاً وهَجْرِ
فَمُذْ هَدَتْ عنّا عيونُ الناسِ ... ثُرْتُ به في غفلةِ الحُرَّاسِ

وقلتُ، قُمْ حتّى نروحَ في الغَلَسْ … في خُلْسةٍ، فأطيبُ العيش الخُلَسْ
فالدَّيْر قد آن له أن يُفْتَحا … وكان قد أُغْلِقَ عمداً من ضُحى
قُمنا إليه تحت سِتر الليلِ … نوازعاً نَرْمِي على سُهَيْلِ
وقد علا هيكلَه القِنديلُ … كأنّه لرأسه إكليلُ
وثَمَّ في الدير لنا صَدِيقُ … منهمكٌ في السُّكْر لا يُفِيقُ
لكنَّهُ لخوفه قد كانا … ما شرِب الصَّهْباء حتّى الآنا
وعنده جميعُ ما نطلُبهُ … وصوتُ أوتارٍ له تُطرِبُهُ
وهْوَ إذا تبطَّن السُّلاَفه … لم تستطعْ مليحةٌ خِلاَفَهْ
لأنه عرَّف كلَّ راهبه … بمكره أنَّ الحياة ذاهبه
وكلُّ ما تريد منه يحصُلُ … وَفْقَ المُنى مسارعاً يستعجلُ
فانهضْ وقُمْ وطِبْ ولا تُوَنِّي … واقتُلْ بما شئتَ سِوى التجَنِّي
فقم بنا انهضْ ودَعِ العُذّالا … كم ذا القُعودُ هكذا كُسَالى!
لِنَغنمَ الصِّحّة والفَراغا … ونشربَ العُمْرَ لنا ما انساغا
/ ٢٨٠/ ولم أزَلْ بِهِ بِهِ حتّى نَزَلْ … شاباشُ لِي! صِدْتُ الغَزَالَ بالغَزَلْ
خدعتُه فانطاع لِي الغُلاَمْ … وكان ما قد كان، والسلام
وبِتُّ مسرورا بذاك الخِشْفِ … وفوق ما وصَفْتُ منه المَخْفِي
وكان لي غُلَيِّمٌ ظريفُ … حُلْوُ الكلام فَكِهٌ خفيفُ
جميعُ ما يقوله مُجُونُ … ما كان مثلهُ ولا يكونُ
حديثهُ ليس عليه من حَرَجْ … لنا به الفالُ وقد سُمِّي فَرَجْ
قلت له: كأنَّني ممن نَدِمْ … لأجل ذاك الظبْيِ لمّا أنْ طَعِمْ
ويْحكَ لَمْ أطعمتَ هذا ذا السمكْ … فقال: لولاه لما كان انمسَكْ
جعلتُه لصيده كالفَخّ … لأجل ذا أبصرتَه مُسْتَرْخي
يا شاطرَ البلاد أنت القيِّمُ … فعلتَ ما لا تستطيع الأسهُمُ
لا شكَّ قد أتقنتَ علم السِّحرِ … وصِدْتَ صيدَ البَرِّ بعد البحرِ

ومما قلتُهُ فيه: [من الطويل]

وبالديرِ يومٌ أبيضُ لِيَ كاسمِهِ … وقد طَلَعتْ من جانب الدير أقمارُ
وقد جُلِيَتْ في الكأس صهباءُ مُزَّةٌ … تَكَشَّفَ منها في الدُّجُنَّةِ أستارُ
وبالدير دَيْرانيَّةٌ بَرَزَتْ لنا … فتمَّ لنا فيها حديثُ وأسمارُ
جَلَتْها كأنَّ الطُّورَ جانبُ كأسِها … وإلاَّ رُبى دَارِينَ من دُونِها دارُ

وقلتُ: [من المتقارب]

ولـم أَنْـسَ بـالـديـر يـومـاً لـنـا ... وعـيْـشُ الـسُّـرور بـهِ يُـنْـتَـهَـبْ
فـفـضَّـضَ أبـكـارَه بـالـلُّـجَـيْـنِ ... ومـوَّهَ آصـالَـهُ بـالـذهـبْ
/ ٢٨١/ وكأسُ المُدَام علينا تَطُوف ... بـحـمـراءَ صـافـيـةٍ كـالـلَّـهَـبْ
يـطـوفُ بـهـا مـن بَـنَـاتِ الـقُـسُـو ... س بـاخـلـةُ الـكَـفِّ لـيـسـتْ تَـهَـبْ
مُـبَـتَّـلَـةٌ بـيـن رُهْـبـانـهـا ... لألـحـاظِـهـا فـي حَـشَـانـا رَهَـبْ.
مـسـيـحـيَّـةٌ طَـلَـعـتْ فـي الـمُـسوح ... كـصـبـحٍ أَطَـلَّ ولـيـلٍ ذَهَـبْ
وقـد غـاب عَـنَّـا عِـيـانُ الـرقـيـبِ ... وجـاد الـزَّمـانُ بـمـا قـد وَهَـبْ
فـرَشْـفُ الـلَّـمـى خُـلَـسٌ بـيـنـنـا ... وعـضُّ الـخُـدُود لـديْـنـا نَـهُـبْ

دير ريفة ـ وهو بصعيد مصر، فوق سيوط، لا ببعيد. على الجبل الغربيّ المطلّ على ريفة.

وهناك عدّة دياراتٍ. المشهورُ أكبرها. والبقية كالقلاليّ.

وهو من الأبنية القديمة المحكمة. ولأهله رزق من أطيان تُزرع. وتستغلُّ. جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة في حساب الدواوين. وهو دير مذكور. وله أخبار، وفيه حكايات وأشعار.

يُحكى أن شاعراً مغرِبياً، يُعرف بابن الحدّاد[1]، مرَّ به وهو مُصعِد إلى قُوص، ليحُجَّ من جهة عَيْذاب، في البحر. فرأى ديرانيّة اسمها نويرة. كأنما أذكاها في قلبه نَظَرُها، وشَبَّها في جوانحه من خدودها المُحَمَّرة نَضَرُها. فألقى عندها عصا سفره، ولَقِيَ عندها منتهى ما يُؤَمِّل من ظَفَرِه. وترك الحجَّ كأنّه ما تعنّى له من أقصى بلاده، ولا نوى إليه السفر في رحلته وزاده. وقال فيها[2]: [من الكامل]

ورأتْ جُفوني مِن نُوَيْرَةَ كاسمها ... نـارا تُـضِـلُّ، وكُـلُّ نـارٍ تُـرْشِـدُ

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان القيسي الوادي آشي، أبو عبد الله، ابن الحداد، شاعر أندلسي، أصله من وادي آش، سكن المرية واختص بالمعتصم محمد بن معن بن صمادح، فأكثر من مدحه، ثم سار إلى سرقسطة سنة ٤٦١هـ فأكرمه «المقتدر» ابن هود وابنه «المؤتمن» من بعده وعاد إلى المعتصم، وتوفي في أيامه بالمرية سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م.
له «ديوان شعر» كبير مرتب على حروف المعجم، وكتاب «المستنبط» في العروض.
ترجمته في: التكملة لابن الأبار ١٣٣، الذخيرة مج٢ ق١/ ٢٠١، فوات الوفيات ٢/ ١٦٧، الأعلام ٥/ ٣١٥، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) ديوان ابن الحداد.

والماءُ أنت، ولا يصِحُّ لقابضٍ! والنارُ أنتِ، وفي الحَشَا تتوقَّدُ

ولما طال مُقامه، وقفتْ عليه وسألتْ عن سبب إقامته فقصَّ عليها الخبر، ونصَّ العبرَ. وأعلمها أنه إنَّما أتى ليحُجَّ، فلما رآها أقام، وتطلَّبَ ما يعالج به السَّقام. فقامتْ غيرَ مُتباطية، / ٢٨٢/ ووَثَبَتْ كالظبية العاطية. وظنَّتْ أنّه لم يُصَبْ، وأنه مدّ لها شَرَكه ونَصَبْ. فلما رأى ما رَابَ من شُفورها، وإعراض ظبيتها الأدماء وسُرعة نُفورها، أسال عَبْرته، ووالى حَسْرته. ثم قال(١): [من الطويل]

حديثُكِ ما أحلى!فزيدِي وحدِّثي عن الرشإ الفَرْد الجمالِ المثلِّثِ
ولا تسأمِي ذِكْراه، فالذِّكْرُ مُؤْنِسي وإن بَعَثَ الأشواقَ من كل مَبْعَثِ
أحقًّا وقد صرَّحتُ ما بِيَ أنه تبسَّمَ كاللاهي بنا المُتَعَبِّثِ؟
وأُقْسِمَ بالإنجيل إنِّي لَكاذِبٌ وناهيك دمعي من مُحِقٍّ ومُحْنِثِ

ورآها يوماً بين صواحبها، كما أطلَعَتْ ليلةٌ القَمَرَ بين كواكبها. فلما دنا منهنَّ للحديث تنحّتْ، وبَخِلتْ عليه بكلامها وشَحَّتْ، فقال(٢): [من الطويل]

وبَيْن المَسِيحيّات لِي سامِريَّةٌ بعيدٌ على الصَّبّ الحنيفيّ أنْ تدنُو
مُثَلِّثَةٌ قد وحّد اللهُ حسنَها فثُنِّيَ من قلبي بها الوجدُ والحُزنُ
فطَيّ الخمارِ الجَوْنِ حُسْنٌ كأنَّما تَجمَّع فيه البدرُ والليلُ والدَّجْنُ
وفي مَعْقِد الزُّنّار عَقدُ صَبابتي: فمِن تحتِه دِعْصٌ ومِن فوقِه غُصنُ

ثم إنه صارت لا تراه إلاّ احجبت، وهيهات للشُّموس أن حُجِبَتْ. فزاد بها بِلْبالُه، وعظَمَ اختباله. فلما كان يوم عيد من أعياد النصارى، طلعتْ تلك الدُّمى، كأنجم السما، وبرزتْ تلك الدَّيْرانيَّة في أترابها، وخرجتْ كالصَّباح المسفر من وراء حجابها. فوقف عليهنّ وقال(٣): [من مجزوء الوافر]

عَسَاكِ بحقِّ عِيسَاكِ مُريحَةُ قلبيَ الشاكي
فإنَّ الحسن قد ولاّ كِ إحْيائي وإهْلاكي
وأوْلَعني بصُلبانٍ ورُهبانٍ ونُسَّاكِ
/ ٢٨٣/ ولم آتِ الكنائسَ عن هوًى فيهنَّ، لولاكِ
فهل تدرِينَ ما تقضى على عَيْنَيَّ عيناكِ؟
وما يُذكيهِ من نارٍ بقلبي نورُكِ الذاكي؟
حَجَبْتِ سَنَاكِ عن بَصَرِي وفوق الشمس سِيماكِ؟

---

(١) ديوان ابن الحداد. (٢) ديوان ابن الحداد. (٣) ديوان ابن الحداد.

وفـي الـغُـصْـن الـرطـيـبِ وفــ ـي الـنَّـقـا الـمـرتـجِّ عِـطْـفَـاكِ
وعـــنـــد الـــروضِ خَـــدَّاكِ وفـــــي رَيَّــــاهُ رَيَّـــاكِ

الحانات

وكانت سوى هذه الديارات حاناتٌ بمواضعَ شتّى. لها أخبار، وفيها أشعار. وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله، ونضيفه منها إلى أشكاله. وهي:

حانة الطائف[(١)] ـ كانت في الجاهلية. وكان خَمَّارها يُسمّى ابن بُجْرَة. وكانت قُرَيْشُ وسائرُ العرب تقصده، فتشربُ في حانته. وتمتارُ منه وتحمل إلى أوطانها، وتورد أحياءها مواقَر إبله لتَضرِبَ بأعطانها. وفي ابن بُجْرة يقول أبو ذويب[(٢)]: [من الطويل]

فلو أن ما عند ابنِ بُجْرَةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتِي بناطلِ
فتلك التي لا يُذْهِبُ الدهرُ حُبَّها ولا ذكْرَها ما أرزمتْ أُمُّ حائِلِ
وإنّ حديثاً منكِ لو تبذُلينَهُ جَنى النَّحلِ في ألبانِ عُوذٍ مَطافِل
مَطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نِتاجُها يُشَابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المَفاصل
لعَمْرِي! لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ وأجلِسُ في أفيائِهِ بالأصائل

حانة بني قُرَيْظَة ـ وكان خمَّارها في جِوارِ سَلام بن مِشْكَم. وكان عزيزاً منيعا. ولما انصرف أبو سُفيان بن حَرْب من غزوة السَّويق، نزل على ابن مِشْكَم. فأكرمه واحتبسه عنده ثلاثة أيام. وبعث إلى جاره الخمَّار، فابتاع كلَّ ما في حانوته، وسقاه أبا سفيان ومَن معه من قريش. / ٢٨٤/ فقال أبو سفيان: [من الطويل]

سَقاني وروّاني كُمَيْتاً مُدامةً على ظمإٍ مِنّي، سَلاَمُ بن مِشْكَمِ
تخيرتُه أهلَ المدينة واحداً لِحِلْفٍ فلم أُغْبَنْ ولم أتندّمِ

---

(١) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٢٨.

(٢) خويلد بن خالد بن محرِّث، أبو ذؤيب من بني هذيل بن مدركة، من مضر، شاعر، فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان، فخرج في جند عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها، وقيل مات بإفريقية نحو ٢٧هـ/ نحو ٦٤٨م. له «ديوان أبي ذؤيب» ط الجزء الأول منه.

ترجمته في: شواهد المغني للسيوطي ١٠، الأغاني ٦/ ٥٦، معاهد التنصيص ٢/ ١٦٥، المؤتلف ١١٩، التبريزي ٢/ ١٤٣، خزانة البغدادي ١/ ٢٠٣، الأعلام ٢/ ٣٢٥، معجم الشعراء للجبوري ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

الأبيات في شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤١ ـ ١٤٦، وديوان الهذليين ١٣٩ ـ ١٤٥.

حانة هَجَر وتُعرف بحانة رَيْمان. وهي مذكورة. وقال فيها الراعي النُّمَيْرِيّ[١]:

[من الطويل]

وصَهْباءَ من حانوتِ رَيْمانَ قد غَدَا ... عليّ ولم ينظُرْ بها الشَّرْقَ صابِحُ،

تُبَصِّر عنها اليومَ كأسٌ رويَّةٌ ... وبَرْدُ العَشَايَا والقِيانُ الصَّوادحُ

وبِتْنا على الأنماط، والبِيضُ كالدُّمى ... تُضِيءُ لنا لَبّاتِهِنَّ المصابحُ

إذا نحنُ أنزفْنا الخوابِيَ، عَلّنا ... مع الليل ملثومٌ من القار طافحُ

حانات الحيرة

وهي أربع حانات:

حانة عَوْنٍ[٢] ـ وكان عَوْنٌ ظريفاً، طيّب الشراب، نظيف الثياب. وكان فِتْيان الكوفة يشربون في حانوته، ولا يختارون عليه أحداً. وشَرِب عنده ليلةً أبو الهنديّ الشاعر[٣]، حتّى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يومَ شكٍّ. فقيل إنه

---

(١) الرّاعي النميري: عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد. وقيل: كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق. وكان يفضل الفرزدق، فهجاه جرير هجاءاً مراً. وهو من أصحاب «الملحمات» وسماه بعض الرواة: حصين بن معاوية، توفي سنة ٩٠هـ/ ٧٠٩م، وللمعاصر ناصر الحاني «شعر الراعي النميري وأخباره ـ ط»، وكتب هلال ناجي «البرهان على ما في شعر الراعي من وهم ونقصان ـ ط» نشر في مجلة المورد(ج١ العدد٣ و٤ ص٢٣٧).

ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ١٦٨/ جمهرة أشعار العرب ١٧٢، المؤتلف للآمدي ١٢٢، شرح الشواهد ١١٦، ابن سلام ١١٧، سمط اللآليء ٥٠، التبريزي ١/ ١٤٦، خزانة البغدادي ١/ ٥٠٤، الشعر والشعراء ١٥٦، رغبة الأمل ١/ ١٤٦، ٣/ ١٤٤، ٦/ ١٣٩، الأعلام ٤/ ١٨٩، معجم الشعراء للجبوري ٣/ ٣٥٧.

والأبيات في شعر الراعي للحاني ٣٧.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٣٨.

(٣) غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي، أبو الهندي: شاعر مطبوع، أدرك الدولتين الأموية والعباسية. وكان جزل الشعر سهل الألفاظ لطيف المعاني. إقامته في سجستان وخراسان. وكان يتهم بفساد الدين. واستفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من تفنن في وصفها من شعراء الإسلام. وكان سكيراً خبيث السكر، رؤي في خراسان يشرب على قارعة الطريق. ومات في إحدى قرى «مرو».

قيل كان مع بعض أصحابه، فنهض ليلاً ليقضي حاجة فسقط من السطح، فلما أصبحوا وجدوه متدلياً من السطح وقد مات وذلك نحو سنة ١٨٠هـ/ نحو ٧٩٦م. أخمل ذكره ابتعاده عن بلاد =

من رمضان. فقال[١]: [من الوافر]

شربتُ الخمرَ في رَمَضانَ حتّى ... رأيتُ البدرَ للشِّعرى شريكا
فقال أخي: الديُوكُ مناديِاتٌ! ... فقلتُ له: وما يُدرِي الدُّيُوكا؟

حانة دَوْمَة[٢] ـ وعن أبي عُبَيدة قال: مرّ الأُقَيْشر[٣] بخَمّارة في الحيرة، يقال لها دومة، فنزل عندها، واشترى منها شراباً. ثم قال: لها جَوِّدي لي الشرابَ حتّى أُجَوِّد لكِ المديح. ففعلتْ. فأنشأ يقول[٤]: [من الوافر]

= العرب. وجمع معاصرنا عبد الله الجبوري ما يقارب ١٨٠ بيتاً من شعره، أضاف إليها بعض أخباره، في كتاب «ديوان أبي الهندي وأخباره ـ ط».
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٢١ وجاء اسمه في الكامل للمبرد «عبد المؤمن بن عبد القدوس» انظر: رغبة الآمل ٦/ ١٦٢ ـ ١٦٥ وهو في طبقات ابن المعتز، طبعة جب ٥٨ ـ ٦١ «أبو الهندي، عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي الرياحي، وقيل: اسمه غالب، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة». وفيه أبيات كتبت على قبر أبي الهندي، أولها:
«اجعلوا إن مت يوماً كفني ... ورق الكرم وقبري معصره»
رواها صدقة البلوي ـ أو البكري؟ ـ وقال: ورأيت الفتيان يجتمعون عند قبره ويشربون ويصبون نصيبه على قبره. الأعلام ٥/ ١١٤، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧.

(١) البيتان في ديوانه ٤٧.
(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.
(٣) المغيرة بن عبد الله بن معرض، الأقيشر الأسدي، أبو معرض: شاعر هجاء، عالي الطبقة. من أهل بادية الكوفة. كان يتردد إلى الحيرة، ولد في الجاهلية، ونشأ في الإسلام. وعاش عمراً طويلاً. وكان «عثمانياً» من رجال عثمان بن عفان. وأدرك دولة عبد الملك بن مروان. وقتل بظاهر الكوفة خنقاً بالدخان نحو سنة ٨٠هـ/ نحو ٧٠٠م. لقب بالأقيشر، لأنه كان أحمر الوجه أقشر. وكان يغضب إذا دُعي به. قال المرزباني: هو أحد مجان الكوفة وشعرائهم، هجا عبد الملك، ورثى مصعب بن عمير، وعرَّفه الآمدي بصاحب الشراب، لقوله من قصيدة مشهورة:
«أفني تلادي وما جمّعت من نشب ... قرعُ القواقيز أفواه الأباريق»
والقواقيز الأقداح، جمع قاقوزة، وهي القازوزة أيضاً، كما في القاموس وأخباره كثيرة، فيها غرائب.
مصادر ترجمته: الأغاني ١٠/ ٨٠ ـ ٩١ وسمط اللآلي ٢٦١ ومعاهد التنصيص ٣/ ٢٤٣ والآمدي ٥٦ والبغدادي ٢/ ٢٧٩ ـ٢٨٢ والمرزباني ٣٦٩ وهو فيه: «المغيرة بن عبد الله بن الأسود بن وهب، من بني ناعج بن عمرو بن أسد»، والشعر والشعراء ٢١٨ وهو فيه: «المغيرة بن الأسود بن وهب الأسدي، من بني أسد بن خزيمة بن مدركة»، وأسماء المغتالين، وفي نوادر المخطوطات ٢/ ٢٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٢٢٤ وفيه: «ولد في حياة النبي ﷺ» والتاج ٣/ ٤٩٣، الأعلام ٧/ ٢٧٨ ،معجم الشعراء للجبوري ٥/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦.
(٤) ديوانه ٥٦.

أَلاَ يـا دَوْمَ، دام لـكِ الـنـعـيـمُ! وأسـمـرُ مـلْءُ كـفِّـكِ مـسـتـقـيـمُ،
شـديـدُ الأسْـرِ يَـنْـبِـضُ جـانـبـاه يُـحَـمُّ كـأنـه رجـلٌ سـقـيـمُ،
يُـروِّيـه الـشـرابُ فـيـزدَهِـيـه ويـنـفُـخُ فـيـه شـيـطـانٌ رَجِـيـمُ!

/ ٢٨٥/ قال: فظنّت الخمارة أن هذا مدحٌ. فسُرَّتْ به وزادته في الشرب. وقالت: ما قال فيّ أحدٌ أحسن من هذا.

حانة جابر[1] ـ قال ابن الصَّلصال: كان أبو نُوَاس يأتي الكوفة، يزورني. وكان يأتي بيت خمّار بالحيرة، يقال له جابر: لطيف الخِلقة، نظيف الثياب، نظيف الآلة، يُعتِّق الشراب سنينَ. فقدِم علينا مرَّةً، وقد نهاه الأمين عن الشراب. فسأل عني، فقيل: هو بالحيرة. فوافاني، وفي يدي شيء من شراب جابر، عجيب الحسن والرائحة. فقال لي: يا أبا جعفر، لا يجتمع هذا والهمَّ في صدرٍ واحدٍ! قال: وكان شديد العُجْب يضرب الطُّنبور. وكان إذا جاءني جمعتُ له ضُرَّاب الطنابير. وكانت الكوفة معدنهم. وكان يسكر في الليلة الواحدة سَكَراتٍ. فوجهتُ فجمعت له منهم جماعة، وأحضرته شيئا من ذلك الشراب. فقال لي: ألم تعلم ما حدث عليّ؟ قلت: وما هو؟ قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب وتوعّدني عليه!

ثم أنشدني قصيدته التي فيها: [من الخفيف]

أيُّـهـا الـرائـحـانِ بـالـلَّـوْمِ، لُـومَـا لا أذُوقُ الـمُـدامَ إلاَّ شَـمِـيـمـا
إلـى أن انـتـهـى إلـى قـولـه:
فَـكَـأنِّـي ومـا أحَـسِّـنُ مـنـهـا قَـعَـدِيٌّ يُـحَـسِّـنُ الـتَّـحْـكِـيـمـا
كَلَّ عن حَملِهِ السِّلاحَ إلى الحر بِ فأوصى المُطِيقَ أن لا يقيما

فقلتُ له: أقم معنا كما حكيتَ من نَقْل القَعَدِيَّة. قال: أفعلُ. وصرنا إلى حانة جابر. فقلتُ: شعرا ذكرتُ فيه ما قاله لي وأنشدتُه إياه، وهو قولي: [من الكامل]

عَـتَـبَـتْ عـليك مَـحَـاسنُ الـخمرِ، أمْ غـيَّـرَتْـكَ نـوائِـبُ الـدَّهْـرِ؟
فـصَـرَفْـتَ وجـهَـكَ عـن مُـعَـتَّـقَـةٍ تـفـتـرُّ عـنْ دُرٍّ وعـنْ شَـذْرِ
يـسـعـى بـهـا ذو غُـنَّـةٍ غَـنِـجٌ مـتـكَـحِّـل الـلَّـحَـظَـات بـالـسِّـحْـرِ
/ ٢٨٦/ ونَسِيتَ قولَكَ حينَ تمزجُهُا فـتُـريـكِ مـثـلَ كـواكِـب الـنَّـسْـرِ:
«لا تَـحْـسَـبَـنَّ عُـقـارَ خـابِـيـةٍ والـهـمَّ يـجـتـمـعـانِ فـي صَـدْرِ»

فقال: هاتِها في كذا وكذا من أُمّ الأمين! ومدّ يده، فأخذ القَدَح وشرب معنا. ثم

---

(١) انظر: المحب والمحبوب ٤/٣٤٦ ـ ٣٤٧.

شخَص إلى الأمين. فقال له: أين كنتَ؟ قال: عند صديقي الكُوفيّ. وحدّثه الحديث. قال: فما صنعت حين أنشدك الشعر؟ قال: شربت، والله! يا أمير المؤمنين. قال: أحسنتَ وأجملتَ. فاشخَصْ حتّى تحمل إليّ صديقَك هذا. فقدِم إليّ فحملني إليه. فلم أزل معه حتّى قُتل.

حانة شَهْلاء[١] ـ وكانت يهودية من أهل الحيرة. وحُكي أنَّ الأُقَيْشِرَ كان يألفها، وكان يشرب في دارها. فجاءه شُرْطيّ فدقَّ البابَ. فقال: اسقني وأنت آمنٌ. فقال: والله! ما آمَنُك. وهذا النقب في الباب، فأنا أَسْقيك منه. فوضع له أُنْبوب قَصَبٍ في النقب، فصب فيه النبيذ من داخلٍ، والشُرْطِيّ يشرب من خارج. فقال الأُقيشِر[٢]: [من الرمل]

سـأل الـشُّـرْطـيُّ أنْ نَـسْـقِـيَـهُ، فَـسـقَـيْـنـاه بـأُنـبُـوبِ الـقَـصَـبْ
إنـمـا لِـقْـحَـتُـنـا خـابـيـةٌ، فـإذا مـا مُـزِجـتْ كـان الـعَـجَـبْ
لَـبـنٌ أصـفـرُ صـافٍ طـعـمُـهُ يَـنْزِعُ الـبـاسُور من عَـجْب الـذَّنَبْ
إنَّـمـا نَـشْـرَبُ مـن أمْـوالِـنـا، فاسألوا الشُّرْطِيّ: ما هذا الغَضَب؟

حانات العراق

ـ وهنّ أربع حانات:

حانة طِيزَنَابَاذَ[٣] ـ وكان خمَّارها سرجِس. وحَكى سليمان بن نوبخت قال: حججت واستصحبت أبا نُوَاس، بعد امتناع منه ونِفَار. وشرط عليّ أن أتقدّم معه الحاجَّ إلى القادسية، فنقيم نشرب بِطيزَنَاباذَ. فنزل على خمّار كان يألفه، فشرب يومه وليلته. ثم انتبه يقول[٤]: [من الوافر]

وخَـمَّـارٍ انَـخْـتُ إلـيـه لَـيْـلاً قَـلائِـصَ قـد وَنِـيـنَ مـن الـسِّـفَـارِ
/٢٨٧/ فَترْجَمَ، والكَرى في مُقْلتَيْهِ كـمـخـمـورٍ شـكَـا أَلَـم الـخُـمَـارِ:
«أبِنْ لي كيف صِرْت إلى حَريمي، ولـونُ الـلـيـلِ مـلـتَـبِـسٌ بِـقـارِ؟»
فـقـام إلـى الـعُـقَـار فـسَـدّ فـاهَـا فـعـادَ الـلـيـلُ مُـسْـوَدّ الإزار

(١) انظر: الأغاني ١١/ ٢٥٧، ٢٦٤، نهاية الأرب ٤/ ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) ديوانه ٥٥.
(٣) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨. وحول طيزناباذ، انظر: الديارات للشابشتي ٢٣٣، معجم البلدان ٤/ ٥٤ ـ ٥٥ مادة (طيزناباذ) وبحثنا (منطقة القادسية) ص٢١٩ ـ ٢٢٢.
(٤) ديوانه ٢٠٦.

ثم جلس يشرب. فلم يزل كذلك حتى ورد علينا أوائلُ الحاجّ. وحجُّوا. ثم عادوا. فرحلنا معهم إلى بغداد، على أننا كنا حُجَّاجاً معهم.

حانة قُطْرُبُّلَ ـ وكان خمّارها ابن أذين.

حكى أبو الشبل البُرْجَمِيّ قال: اجتمعت بأبي نُوَاس في النوبختية. فسلَمتُ عليه، وسألته عن خبره، وتحدّثنا طويلاً. ثم قال: أتساعدُني حتّى نَمْضِيَ إلى موضع طيّب؟

قلت: أين هو؟

قال: بقُطْرُبُّلَ.

فقلت: ضاقت الدنيا حتّى نسافر؟

فقال لي: إن هناك خمّاراً ظريفاً لَبِقاً، مساعداً، عنده شراب عتيق وغلْمان صِباحٌ. فامض بنا.

فمضيتُ حتّى أتى حانة خمّار. فقال لي: أتعرفه؟

قلت: لا.

قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه[1]: [من مجزوء الرمل]

اِسقِني يا ابنَ أَذِينٍ ... مِنْ شَرَابِ الزَّرَجُونِ
اِسقِني حتّى تَرى بي ... جِنّةً غيرَ جُنُونِ
عُتِّقَتْ في الدَّنّ حتّى ... هي في رِقّة دِيني
ولنا ساقٍ عليه ... جُبَّةٌ من ياسَمِينِ

قال: فأقمنا عنده ثلاثة أيام، في أنزه موضع ومع أكْيَس خادم. ثم انصرفنا.

حانة الشَّطّ[2] ـ قال حَمَدُ بن حَمْدون[3]: كان الواثق يحبّ المَوَاخير، وما قيل فيها، وما غُنّيَ به في ذكرها. فعقد حانتين: إحداهما في دار الحُرَم، والأخرى على الشطّ. وأمر بأن يُختار له خمّار نظيف، جميل المنظَر، حاذق بأمر الشراب، ولا يكون إلا نصرانياً من أهل قُطْرُبُّلَ. فأُتِيَ بنصرانيّ، له ابنان نظيفان مليحان وابنتان بهذه الصفة.

---

(١) ديوانه ٥١٢.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٤٩ ـ ٣٥١.

(٣) وصوابه: أحمد بن حمدون، أبو عبد الله البغدادي الكاتب الإخباري، الشاعر، أحد الموصوفين بالظرف والأدب، نادم الخلفاء، وقد مدحه البحتري. توفي سنة ٢٦٤هـ.
ترجمته في: تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ٤٣، معجم الأدباء، ط الغرب ٤/ ١٨٥٩ ـ ١٨٦٤.

فجعلهم الواثق في الحانتينِ، وضمّ إليهم خَدَما وغِلْمانا وجوارِيَ روميّة. وأخدم النّساء حانة الحُرَم، والرجالَ حانةَ الشطّ. ونقل إليهما طرائف الشرب، وفرشهما من فرش الخلافة، وعلق عليهما الستور، وجعل فيهما الأواني المُذْهَبَة /٢٨٨/ والدنان المدهونة. فكانتا أحسن منظَرٍ وأبهاه.

فلما فرغ منهما، أمر بإحضار المغنِّين والجلسَاء. ولم يَدَعْ أحدا يصلح من ضُرَّابِ الطنابير إلا أحضره. وحضرنا، وخرج الخمار، هو وأولاده معه، عليهم الأقبية المسَهَّمَة، وفي أوساطهم الزنانير المحلاّة، ومعهم غلْمان يحملون المكاييل والكيزان والمَبَازل في الصَّوانِي. وأُخرِجَتْ تلك الدنان المُذْهَبَة، وقد طُيِّنَت رؤوسها تطيينا نظيفا، يعبَقُ منه الطيب. فأقيمت بإزاء المجلس الذي كان فيه جالسا، فبُزِلتْ، كما يفعل في الحانات وجعل يؤتى بالأنموذجات، فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء. فيختار كلٌّ منهم ما يشتهيه. فيأخذ دَنًّا. ويجيء إلى الخمّار ويكتال منه بمكيال في إنائه، كما يُفعل في المواخير، ويعود إلى موضعه فيجلس. ويوضع على رأس الحُضور أكاليلُ الآس وما أشبهه من الرياحين. فكان أحسن يوم رأيتُه.

فشرب الواثق شرباً كثيراً وأمر للخمار بألف دينار، ولزوجته بألف دينار، ولكل واحد من أولاده بخمسمائة دينار. ولم يبرح أحدٌ منّا إلا بجائزة سنيّة.

وحكى الحسين بن الضحاك في حكاية له أن الواثق قال له: هل لك في حانة الشّطّ؟ قال: فقلت إي والله! يا أمير المؤمنين. فقام إليها فشرب هناك وطرب. وما ترك أحداً من الجلساء والمغنِّين والحَشَم، إلا أمر له بِصلَةٍ. وكان من الأيّام التي سارت أخبارها، وذُكرت في الآفاق.

فلما كان من الغد، غدوت عليه فقال: أنشِدني يا حسين شيئاً، إن كنتَ قلتَه في يومنا هذا الماضي. فأنشدته: [من البسيط]

يا حانةَ الشَّطّ قد أَكْرمِت مَثْوانا، ... عُودِي بيوم سُرورٍ كالذي كانَا
[لا تُفقدينا دُعابات الإمام ولا ... طِيبَ البطَالة إسراراً وإعلانا]
ولا تَخَالُعَنا في غير فاحشةٍ ... إذا تُطرِّبُنا الطُّنْبورُ أحيانا
وسَلْسَلَ الرِّطلَ عمروٌ ثم عمَّ بنا ... السُّقْيا فألحقَ أُخرانا بأُولانا
سَقْياً لعيشِكِ من عَيْشٍ خُصصْتِ به ... دُونَ الدَّساكرِ من لذّات دُنْيانا

قال: فأمَرَ لي الواثقُ بِصلَةٍ سنيّة مجدّدة، واستحسن الشعر، وأمر أنْ يُغَنّى فيه.

حانة خُوَيث[١] ـ وتُعرف بحانة بَزِيع، وهو خادم المتوكل.

وكانت عزيزة لا يعرِض لها أصحاب المعاون. وكانت حسنة البناء، مؤزَّرة مسقَّفة بالساج. وإلى جانبها بستانٌ نَزِهٌ حَسَنٌ لبَزِيع. وكان يتخذ فيها آلة الشراب. وكان فيها خَمَّار يهوديّ، لا يبيع إلا شراباً مختارا سريًّا، لا يبيعه أحداً من العامة والوضُعَاء.

/ ٢٨٩/ وكانت حانته لنُزَه الخاصّة والسَّرَاة من الناس. وكانت موصوفة بالحسن والنظافة.

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الزيّات، وكان قد دعاه بَزِيع إليها، ومعهما جِنِّيٌّ الخادم، وكان نهاية في الحسن، وحَسَنَ الغِنَاء: [من الطويل]

سقانا بَزِيعُ والسِّماكُ مُشَرِّقُ ... ونجمُ الثُرَيَّا في السماء مُحَلِّقُ
كُمَيْتاً كَأنّ المِسْكَ حَشْوُ كؤوسها ... بها الشَّمْلُ مجموعٌ فما يَتَفرَّقُ
سُلافَةَ كَرْمٍ أخلصَ الدَّهْرُ لونَها ... يُضِيء لها الليلُ البهيمُ ويُشْرِقُ
وقلت لِجِنِّيٍّ: هَلُمَّ فغَنِّني! ... «أرِقتُ، وما هذا السُّهادُ المُؤَرِّق؟»
فغنَّى غِناءً حرّك القَلبَ حُسْنُه ... ولمّا يحرِّكْهُ الشرابُ المُصَفَّقُ

حانة سِجِسْتان[٢] ـ حُكي أن أبا الهندي، لما ضُرب عليه البَعْثُ إلى سجستان، كان يلزَمُها ويشرب عندها مع نديم له. فشربا يوما حتّى سكرا وناما. فلمّا هبّ هواء السَّحَر، انتبه أبو الهنديّ، والزقّ مطروحٌ، قد بقِيَ فيه شَطْر الشراب. فأقامه وصبّ منه في كأس. وجاء إلى نديمه فحرّكه وقال[٣]: [الطويل]

تَصَبَّحْ بوجْه الراحِ والطائرِ السَّعْدِ ... كُمَيتاً وبَعْدَ المَزْجِ في صِفَة الوَرْدِ
تَضَمَّنَها زِقٌّ أزبُّ كأنّه ... صريعٌ من السُّودانِ ذُو شَعَرٍ جَعْدِ
ولمَّا حلَلْنا رأسَه من رِباطِه ... وفاض دماً كالمِسْك أو عَنْبرِ الهِنْدِ
وجَدْناه في بعض الزَّوايَا كأنّه ... أخو قِرَّةٍ يهتزُّ من شدّة البردِ
أخو قِرَّةٍ يُبدِي لنا وجه صَفْحةٍ ... كلونِ رقيقِ الجِلْد من وَلَدِ السِّندِ

حانات الشام

وهي اثنتان:

حانة عَزَاز ـ وكانت بتلّ عَزَاز.

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ١٩١ مادة (الجُوَيْث)، المحب والمحبوب ٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٣٥.

(٣) ديوان أبي الهندي ٢٩ ـ ٣٢.

حكى إسحق، قال: كنتُ مع الرشيد، حين خرج إلى الرَّقَّة. فدخل يوماً يشرب مع النساء. فخرجتُ ومضيتُ إليه. فنزلتُ عند خمَّارةٍ هناك، لها زَوجٌ قسٌّ. ولها منه بنتٌ. لم أر مثلها قَطُّ جمالاً، ولا مثل بنتها. وأخرجتْ إليّ شراباً لم أر مثل حُسنه وطيب ريحه وطعمه. فأجلستني في بيتٍ مرشوشٍ فيه رَيْحانٌ غضٌّ. /٢٩٠/ وأخرجتْ بنتها تخدُمني كأنها خُوطُ بانٍ، أو جدل عِنانٍ، لم أر أحسن منها قدّاً، ولا أسهل خدّاً، ولا أشرق وجهاً، ولاأبدع طَرْفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمَّ تماماً. فأقمت عندها ثلاثاً، والرشيد يطلبُني، فلا يقدِر عليّ. ثم انصرفتُ. فذهبَتْ بي رُسُله إليه. فدخلتُ عليه، وهو غضبانُ. فلما رأيتُه، خَطَرْتُ في مِشيتي ورقصتُ، وكانت في رأسي فَضْلةٌ قويَّةٌ من السكر، وغنَّيْتُ في شعرٍ في بيت الخمّارة صنعت فيه لحناً. وهو[1]: [من الخفيف]

إنَّ قلبي بالتَّلّ، تلّ عَزَازِ، عند ظَبْيٍ من الظِّباءِ الجوازي
شادنٌ يسكنُ الشَّآم وفيهِ مَعَ شكلِ العِرَاق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقَومي لبِنْتِ قَسٍّ أصابتْ منك صَفْوَ الهَوى ولستَ تجازي
حَلَفَتْ بالمسيح أن تُنْجِزَ الو عْد، وليستْ تَهْتمُّ بالإنجازِ

قال: واللحن في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٌ بالوُسْطى.

قال إسحق: فسكن غضبه. ثم قال لي: ويحك! أين كنتَ؟ فأخبرتُهُ فضحك وقال: عُذْرٌ، والله! وإنّ مِثلَ هذا لَطَيِّبٌ، إذا اتّفق. أَعِدْ غناءَك! فأعدتُه. فأُعْجبَ به، وامرني أن أغنِّيَه ليلتي كلها، أعيده أبدا، ولا أغنِّي أنا ولا غيري سواه. وأمر المغنِّين بأخذه. فما زلت أغنِّيه ويشرب عليه إلى الغداة. ثم انصرفنا. فصلَّيْتُ ونمتُ. فما استقررتُ جنبا حتّى وافاني رسول الرشيد، يأمرني بالحضور. فركِبتُ ومضيتُ. فلما دخلتُ إذا أنا بابن جامع يتمرّغ على دكّان في الدار، لغلبة النبيذ والسكر عليه. فقال لي: أتدري لِمَ دُعِينا؟ قلت: لا. قال: نصرانيّتُك الزانية، عليك وعليها لعنة الله! فضحكتُ. فلما خرج إلينا الرشيد، أخبرته بالقصة. فضحك وقال: صدق. أعيدوه جميعاً، ولا تغنوا غيره. فإني اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني. فغنيّناه جميعا يومنا كلَّه، حتّى نام في موضعه، سُكْرًا. ثم انصرفنا.

حانة هُشَيْمَة[2] ـ وكانت بدمشق. وكانت تخدُم الوليد بن يزيد في شرابه وتتولّى

---

(١) ديوان إسحاق الموصلي ص١٤٠.

(٢) انظر: المحب والمحبوب ٤/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

اتّخاذه له. وكان يقال: إنه لم يُرَ أعرف منها به، ولا أنظف آلةً وصنعةً، ولا ألبق في الخدمة.

وقد ذكرها [الوليد بن][١] يزيد في شعره إذ قال[٢]: [من الخفيف]

قد شَرِبْنا وحَنّت الزُّمّاره، فاسقِني يابُدَيْحُ بالقُرْقاره

من شرابٍ كأنّه دمُ خِشْفٍ عتَّقْتهُ هُشَيْمَةُ الخمّاره

[اِسْقِني! اِسْقِني فإنّ ذُنُوبي قد أحاطَتْ فما لَهَا كَفّاره

وعُمِّرَتْ حتّى أدركت الرشيد وماتت في أيامه. ماتت يومَ مات الكسائي [النحوي] والعباس بن الأحنف الشاعر. فصلى المأمون عليهم][٣].

/ ٢٩١/ وها قد ذكرنا ما اتّصل بنا علمُه، ووقع إلينا خبره، وبه تم الفصل السادس. وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل.

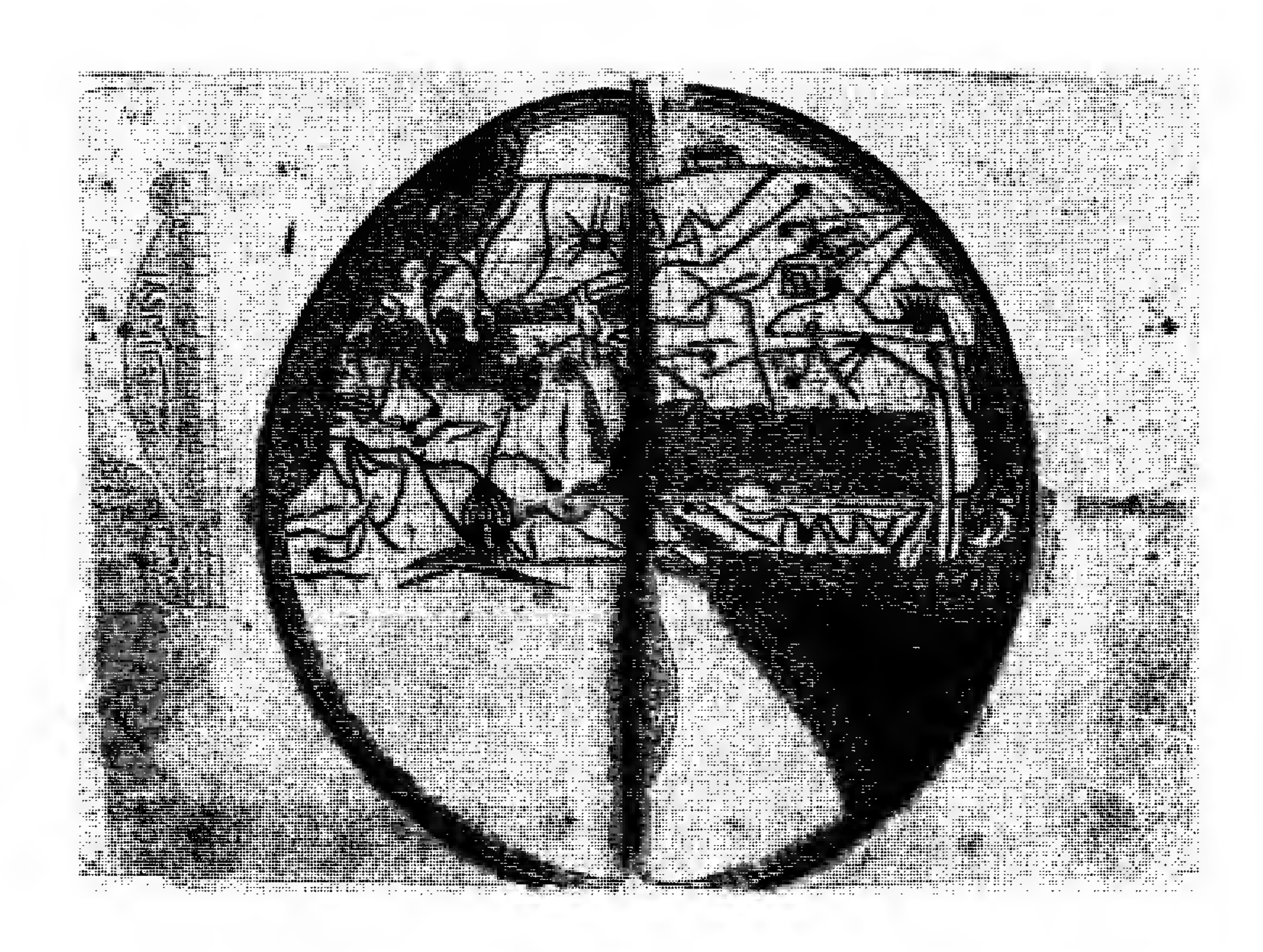
ولله الحمد وبه التوفيق.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ديوانه ٤٢ـ ٤٣ رقم ٤٠.

(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.



وهذه صورة لوح الرسم يشتمل على مجموع الكرة برّاً وبحراً، وعامراً وخراباً ووضع الأقاليم في مواضعها ووقوع جُمليات البلاد حيث وقعت شرقاً وغرباً أتينا بها على سبيل الجملة لا على التفصيل لضيق الدائرة هنا وسيأتي بمشيئة الله تعالى كل شيء على ما يجب في مكانه ومن الله نستمد التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الثاني: في ذكر الأقاليم السبعة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في تقسيمها

ونحن نبدأ ـ بحمد الله ـ هذا الفصل بما قيل في تقسيم معمور الأرض من خطّ الاستواء إلى نهاية العمارة في الشمال على الأقاليم السبعة على ما قيل في ذلك.

وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الإقليم الأول[1] سعته سبع درجات وثلثا درجة وثمن درجة بالتقريب؛ يعني بسعته عروض ما وقع فيه من البلاد.

وأنَّ الإقليم الثاني سعته سبع درجات وثلاث دقائق بالتقريب.

وأنَّ الإقليم الثالث سعته ستّ درجات وثمن درجة بالتقريب.

وأنَّ الإقليم الرابع سعته خمس درجات وسبع عشرة دقيقة بالتقريب.

وأنَّ الإقليم الخامس سعته أربع درجات وربع وثمن وعشر درجة بالتقريب.

وأنَّ الإقليم السادس سعته ثلاث درجات ونصف وثمْن درجة بالتقريب.

وأن الإقليم السابع سعته ثلاث درجات وثمان دقائق بالتقريب.

ويزعم هؤلاء أنَّ نهاية المسكون إلى خمس وخمسين درجة لا يتجاوز مداها، وما الأمر كذلك، ولوح الرسم على هذه المقالة كلّها، فإنه رسم عرض كل إقليم عشر درجات فزيادة ما في لوح الرسم على ما زعم هؤلاء خمس عشرة درجة. ونحن رسمنا هذا الكتاب على ما في لوح الرسم على تجزئة عشر درجات عرض كل إقليم تقريباً، /٢٩٦/ ويزداد على هذا ما يزداد على الأقاليم السبعة جنوباً وشمالاً. وقد تقدّم مما استخرجناه من لوح الرسم ولم أكن وقفت على ذكره في تأليفه.

ثم رأيت الملك المؤيد عماد الدين أبا الفداء إسماعيل صاحب حماة[2] رحمه

---

(١) باختصار عن تقويم البلدان لأبي الفداء ٨ ـ ٩.

(٢) أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافي، ولد سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، وعلم الهيأة. ونظم الشعر ـ وليس بشاعر ـ وأجاد الموشحات. له «المختصر في أخبار البشر ـ ط» ويعرف بتاريخ أبي الفداء، ترجم إلى الفرنسية =

الله تعالى ـ قد ذكر ذلك في كتابه المسمّى «بتقويم البلدان».

قال[(١)]: واعلم أنَّ ثمَّ بلاداً كثيرةً ليست من الأقاليم السبعة؛ وهي البلاد التي وراء الإقليم الأول من الجهة الجنوبية، وكذلك البلاد التي خلف آخر الإقليم السابع من جهة الشمال وإلى نهاية العمارة في الشمال.

وقد ذكر في جداول هذا الكتاب مما وقع من وراء خط الاستواء في الجنوب مما هو بالبحر الشرقي بالهند والصين[(٢)]: جزائر الرانج، وجزيرة سرنديب، وجزيرة لامري، وجزيرة كلة، وجزيرة المعراج ـ وهي مربعة ـ وجزيرة مسلة، وجزيرة سقطرة وجمكوب، وجبال قامرون.

ومما وقع من وراء الأقليم السابع في الشمال صوداق، وجزيرة برطانية، وقد رسم لكل واحد عرضاً لم يبلغ به ما يوصيه مكانه من لوح الرسم، وقد ذكر سعة الأقاليم على نحو ما ذكرناه في أوّل هذا الفصل.

ثم قال: «وقد رأينا غالب واضعي الكتب المؤلفة في الأطوال والعروض من الزيجات وغيرها لا يحافظون فيها على إثبات الأماكن في مواضعها من الإقليم بل يثبتون بعض أماكن الإقليم في الإقليم الآخر. ومن تأمل ذلك وكشفه تحقق صحة ما ذكرناه». انتهى كلامه.

وقد ذكر شارح رسالة حيّ بن يقظان[(٣)] ما يؤيد ما ذكرنا من عمران ما وراء خط

= واللاتينية وقسم منه إلى الإنكليزية. وله «تقويم البلدان ـ ط» في مجلدين، ترجمه إلى الفرنسية المستشرق رينو Reinaud، و«تاريخ الدول الخوارزمية ـ ط» و«نوادر العلم» مجلدان، و«الكناش ـ خ» في النحو والصرف، و«الموازين» وغير ذلك.

ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر (من دولة المماليك) فأحبه الناصر وأقامه سلطاناً مستقلاً في «حماة» ليس لأحد أن ينازعه السلطة، وأركبه بشعار الملك، فانصرف إلى حماة، فقرَّب العلماء ورتب لبعضهم المرتبات، وحسنت سيرته، واستمر إلى أن توفي بها سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٣٧١ والبداية والنهاية ٤/ ١٥٨ وفوات الوفيات ١/ ١٦ وروض المناظر، في حوادث سنة ٧٣٢ وآداب اللغة ٣/ ١٨٧ والفهرس التمهيدي ٢٥٣ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٢ وطبقات السبكي ٦/ ٨٤ وفي دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٨٦ أن المطبوع من كتاب «تقويم البلدان» لأبي الفداء، أجزاء متفرقة. وفي جغرافية ملطيرون ١/ ١٤٤ الكلام على ترجمات «تقويم البلدان» وطبعاته القديمة، الأعلام ١/ ٣١٩.

(١) انظر: تقويم البلدان ١٠.

(٢) انظر: تقويم البلدان ٣٦٦، ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

(٣) ابن الطفيل: محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر: =

الاستواء بالجانب الشرقي، وقال: إنّه أعدل من الأقليم الرابع، وزعم أنه يتولّد هناك الإنسان من /٢٩٧/ غير أم ولا أب؛ وعلّل ذلك باعتدال طينتها وصحة هوائها؛ ولم يذكر هذا القول وإن كان باطلاً إلاّ للاحتجاج بوجود معمور وراء خط الاستواء في الجانب الشرقي؛ لأنَّ هذا الحكيم إنّما قدّر إمكان هذا بجزيرة من جزائر الهند، وهو مؤكد لما استخرجنا من لوح الرسم مما هو مقدّر في العرض بإقليم ونصف من الإقليمين المرسومين في لوح الرسم وراء خط استواء بعروض رسمها لهما وعلى مثل هذا قول الملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل صاحب حماة ـ رحمه الله تعالى ـ مما تقدَّم ذكره.

وقد ذكر عند رسم عرض كل مكان منه له عرض جنوبي ـ يعني مما أخذ من خط الاستواء إلى الجنوب ـ.

وقد يقال إنَّ غانة في الجانب الغربي خارجة عن خطّ الاستواء في الجنوب[1]؛ ولعل هذا لا يصحّ، فمن تأمل بعد ما بين سجلماسة وما هو على سمتها من غانة، وما هو على سمتها ظهَّر له ذلك؛ لأن سجلماسة وما سامتها في الإقليم الثالث بلا شك، ومدى ما بينها وبين غانة وما سامتها لا يتجاوز به غايَة الإقليم الأول، بل غاية ما يكون على أول الإقليم الأول.

وقال شارح رسالة حيّ بن يقظان[2]: «وأمّا من منع التولد في ما يلي خط

= فيلسوف، ولد في وادي آش سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها. ثم أصبح طبيباً للسلطان أبي يعقوب يوسف (من الموحدين) سنة ٥٥٨هـ واستمر إلى أن توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، وحضر السلطان جنازته. وهو صاحب القصة الفلسفية «حي بن يقظان ـ ط» وقد حققها مؤخراً ونشرها د. فاروق سعد ط دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.
قال المراكشي في المعجب: رأيت له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، ورأيت بخطه رسالة له في «النفس» وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له، يقيم عنده ابن طفيل أياماً، ليلاً ونهاراً، لا يظهر. وله «رجز في الطب ـ خ» في أكثر من ٧٧٠٠ بيت، رأيته في خزانة القرويين بفاس (الرقم ٣١٥٨) وله شعر جيد أورد المراكشي نماذج منه. وكانت بينه وبين ابن رشد (الفيلسوف) مراجعات ومباحث، في «رسم الدواء» جمعها ابن رشد في كتاب. وللباحث الفرنسي ليون غوتيه Leon Gauthier كتاب في حياته وآثاره، بالفرنسية.
ترجمته في: المعجب ٢٣٩ ـ ٢٤٢، وكارا دي فو Carra de Vaux في دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢١٢، ومعجم المطبوعات ١٤٦ نقلاً عن غوتيه. وطبقات الأطباء ٢/ ٧٨ و1:602 .Brock (460), S I:83Isa في ترجمة أبي الوليد ابن رشد، الأعلام ٦/ ٢٤٩.

(١) تقويم البلدان ١٥٦ ـ ١٥٧.
(٢) بتصرف عن حي بن يقظان ١١٧ وما بعدها.

الاستواء من جهة الجنوب لشدّة الحرارة؛ فقوله مردود بأدلةٍ ظاهرة منها أنَّ الحرارة لا تكون إلاّ للحركة أو لملاقاة جسم حارٍ أو لشدَّة الضوء والشمس في طبعها ليست بحارة، ولا لها شيء من الكيفيَّات المزاجية لبساطتها، ولا يقبل الضوء إلاّ الأجسام الصقيلة والغير والأجسام /٢٩٨/ الكثيفة بعدهما.

وأما الأجسام الشفافة فلا تقبله فتبينَّ من ذلك أنَّ الشمس لا تسخن الأرض كما تسخن الأجسام الحارة أجساماً أخرى تماسها؛ لأنها لا تماس الأرض وليست حارة [الطبع ولا](١) الأرض أيضاً تسخن بالحركة؛ لأنها ساكنة بطبعها، ولا الشمس أيضاً تسخن الهواء فتسخن الأرض؛ لأنَّ في وقت الظهيرة تجد الهواء القريب من الأرض أبرد من الهواء البعيد عنها في السطوح العالية فتبيَّن أنَّ تسخين الشمس بالإضاءة المنكوسة لانعكاس الشعاع.

وقد قام الدليل أنَّ البقاع التي على خطّ الاستواء لا تسامت الشمس رؤوس أهلها سوى مرتين في العام في رأس الحمل والميزان، ويكون جنوبهم ستة أشهر وشمالهم ستة، ويزول عنهم بسرعة فلا يستمر تأثيرها فتسخنهم وليست كذلك في الآفاق المائلة.

انتهى كلام شارح رسالة حي بن يقظان في ذلك، ونحن قد أوردناه بمعناه وإنْ لم يكن بلفظه لما فيه من إقامة الدليل على إمكان العمارة هناك.

[والذي يظهر أنَّ ما وراء خط الاستواء إلى جهة الجنوب يكون بمزاج ما وراءه إلى جهة الشمال، وإنما وقع الاختلاف منه في تباين المراح ما سار منها أرضه وسماؤه، فمن السماء إختلاف ممرّ الكواكب على سمت الرأس السيارة والثوابت واختلاف القطبين، ومن الأرضية اختلاف البقاع بالكيفيات في قبول الحرارة من الشمس والترطب من القمر في قبول الحرارة من الشمس والترطب من القمر؛ وغير ذلك مما تستفيده الكيفيات باختلاف أمزجتها، فإننا نرى بلدين لا يكادان يختلفان كبغداد ودمشق، وبغداد أشدّ حرارة من دمشق وأنَّ ذلك لأسباب أرضية ـ كما قلنا ـ وقد يكون في جهات أخرى أسباب سماوية وقد يجتمعان](٢).

وأما ما هو من وراء الإقليم السابع فمرئيٌّ مشهود، وحدّث به كثير من التجار والمتجولين في البلاد. وسكانه يسكنون الحمّامات أو ما هو شبيه بالحمامات مما يتخذ فيه مواقد النار، ولا يكاد تُرى به الشمس لتوالي الأنواء، وكدر الجوّ مما يركبه من الغمائم والضّباب المتراكم المتراكب كالظلمات.

(١) ما بين معقوفتين من هامش الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وأمّا كلامنا الآن فهو على الأقاليم السبعة المقسومة، وقد قيل في معنى قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾[1] إنَّ المراد بقوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ هو الأقاليم السبعة.

ثم اختلف هل الإقاليم / ٢٩٩/ السبعة هي المقسومة على هذا التقسيم الجغرافي أو ناحية ناحية لا على التقسيم الجغرافي؟

ونحن نبدأ بذكر ما ذهب إليه من قال: «إنها ناحية ناحية»، وإن لم يكن المرجح لنفرغ منه، ونفرّغ البال للرّاجح المعمول عليه.

فأمّا من قال: إنها ناحية ناحية، فقال: الصين، وصين الصين، وخراسان وخراسان أرض [و]الهند والسند أرض، وفارس والجبال والعراق وجزيرة العرب أرض، والشام وأرمينية وما والاها أرض، ومصر وإفريقية والغرب أرض، والحبشة وما والاها أرض، والأندلس وما جاورها من بلاد الجلالقة والأنكبرد أرض.

وليس هذا بشيء، ويرد على هذا بلاد كثيرة في الجنوب والشمال وما بين ذلك؛ اللهم إلاّ أن يجعل مجاورة كل أرض محسوبة منها.

وقال بعضهم: بل هي أرض فوق أرض متلاصقة كطبقات البصلة طبقة راكبة على طبقة مقعّر أحدها على محدّب الآخر بتلاصق ملتزم لاخلاءَ بينه ولا دليل على ذلك.

وإذا كانت الطبقة راكبة [على أخرى من جنسها ومن غير خلاءٍ لم تتميّز طبقة من طبقة، والصحيح ما ذهب إليه][2] من قال: إنها أرض فوق أرض متباينة بخلاء كالسماوات سماء فوق سماء؛ ويدل [على ذلك ما رواه البيهقي بسند الثقاة عن أبي هريرة، قال[3]؛ قال رسول الله ﷺ: أتدرون ما هذه فوقكم؟، قالوا: الله ورسوله أعلم!، قال: فانها الرقيع سقف محفوظ، وموج مكفوف بينكم وبينهامسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الأخرى مثل ذلك حتى عدَّ سبع سماوات، وغِلَظُ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: هل تدرون ما هذه التي تحتكم؟، قالوا: الله ورسول الله أعلم!، قال: فإنّها الأرض بينها وبين التي تليها مسيرة خمسمائة عام حتى عدّ سبع سماوات وغِلَظُ كل أرض مسيرة خمسمائة عام.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) انظر: الأسماء والصفة ٢/ ١٤٤ـ ١٤٥، مسند أحمد ١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧، ٢/ ٣٧٠، سنن الترمذي رقم ٣٣٢٠ وغيرها.

وروي عن البيهقي عن الحاكم بسنده عن أبي ذر، قال؛ قال رسول الله ﷺ ما بين كل سماء إلى التي تليها خمسمائة عام، وللأرض مثل ذلك.

وروى الحاكم بإسناد حسن عن ابن عباس[(١)]، قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: سبع أرضين في كل أرض نبيّ كنبيّكم وآدم كآدمكم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى.

وروى الحاكم[(٢)] أيضاً له شاهداً بسندٍ شرط البخاري أو مسلم عن ابن عباس، في قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[(٣)]. قال: في كل أرض نحو إبراهيم.

وعن أبي الدرداء، قال؛ قال رسول الله ﷺ هذه الأرض مسيرة خمسمائة عام وكتب مثيل ذلك.

وروى الأزرقي - في كتاب أخبار مكة[(٤)] - عن مجاهد، قال: لقد خلق الله موضع البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة، وإنَّ قواعده لفي الأرض السابعة.

وقال مجاهد: إنَّ هذا البيت أحد أربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت، وفي كل أرض بيت بعضهن مقابل بعض. ذكره النووي.

وقال كعب الأحبار: إنَّ الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن؛ ثم جعل ما بين كل سمائين كما بين السماء والأرض وجعل كتفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه؛ إسناده صحيح][(٥)].

وهذه الأحاديث التي ذكرناها صريحة في ذلك غير قابلة للتأويل، ولا سبيل لأحدٍ إلى ردّها، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[(٧)].

وقال النبي ﷺ في فعل الغاصب[(٨)]: «من غصب شبراً من أرض طوّقه الله من سبع أرضين».

[وقال ﷺ لعائشة: «يا حميراء أما علمت أنَّ العبد إذا سجد لله طهر الله له موضع سجوده إلى سبع أرضين».

---

(١) انظر: الأسماء والصفات ٢/ ١٣١، المستدرك للحاكم ٢/ ٤٩٣.
(٢) انظر: المستدرك ٤/ ٤٩٣، الأسماء والصفات ٢/ ١٣١ـ ١٣٢.
(٣) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٤) أخبار مكة ١/ ٣٢.
(٥) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٦) سورة نوح: الآية ١٥.
(٧) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٨) صحيح البخاري / رقم ٢٤٥٢، ٣١٩٨، مسند أحمد ١/ ١٨٨ـ ١٨٩.

وقال ﷺ(١): «من سرق من الأرض شبراً جاء يحمله يوم القيامة على عنقه إلى أسفل الأرض»](٢).

فثبت بذلك كُلّه بالقول الجزم الذي لا تردد فيه، إنها أرض فوق أرض لا إنها قسمة الأقاليم، لا على قول من قال: إنها ناحية ناحية ـ كما ذكرنا ـ ولا على قول من يقول: إنّها إقليم إقليم على ما في التقسيم الجغرافي ـ كما نذكره؛ فتُأكّدَ بما ذكرناه من الأحاديث بطلان ذينك القولين.

وإن هذه الأرض المدحوَّة لمشينا عليها، الباطشة أقدامنا فوقها بأسرها من المشرق إلى المغرب أرض /٣٠٠/ واحدة من السبع أرضين المشار إليها في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾.

وحينئذ تكون الأقاليم كلها أجزاء مقسَّمة من أرض واحدة ـ والله أعلم ـ وقد قدّمنا القول إنَّ المعمور أقلّ من الثلث وأكثر من الربع، ورأى الشريف أنه الربع.

قال(٣): وهذا الربع المسكون قسَّمَه العلماء سبعة أقاليم؛ كل إقليم منها مارٌّ من المغرب إلى المشرق موازياً لخط الإستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية، لكنّها خطوط وهمية موجودة بالعلم النجومي؛ وهو مبتدٍ في ابتدائه من الغرب وعليه نعمل ـ وبالله التوفيق ـ في التقسيم؛ لأنها في فلك حركته من الغرب إلى الشرق، وقد نبهنا عليه.

قال البيهقي ـ وقد ذكر هذه الأقاليم السبعة وصدورها بالمشرق خير من أعجازها وأذنابها بالمغرب مقسومة من لدن امتداد خط الإستواء إلى خطّ ما يقارب الأم المستديرة بالأرض في نهاية العمارة حيث تسمّى الأم هناك جبل قاقوتا قسّمت سبعة أقاليم بأربعة عشر جزءاً؛ كل إقليم على جزئين؛ كل إقليم جزء بنصف إقليم أحد عروضها كتمام ارتفاع الحمل والميزان؛ كل جزء بخمس ردجات؛ لكلّ إقليم عشر درجات هي عرض البلاد الواقعة منه، ثم تتفاوت في الزيادة والنقص على مقدار مواقعها منه تأخذ من قبة أرين متشاملةً.

يبدأ الجزء الأول خمس درجات ثم يزيد خمساً خمساً إلى أن يكمّل في آخر السابع سبعين درجة.

وقد ضرب صاحب جغرافيا في لوح الرسم خطاً لعروض الأقاليم؛ بدأه من قبة

---

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ٢٢/ ٢٧٠ـ ٢٧١ رقم ٦٩٣.

(٢) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٣) باختصار عن: نزهة المشتاق ١/ ٩ وما بعدها.

أرين ومدَّه من قبَة أرين في الجنوب وراء خط الاستواء / ٣٠١/ مقدار إقليمين بأربعة أجزاء، ثم قطعه هناك ولم يتجاوزه.

وحدّ من قبّة أرين في الشمال ـ على العمران والخراب ـ مغلغلاً إلى البحر المحيط؛ فأما ما وراء خطّ الإستواء إلى الجنوب من الأجزاء الأربعة المعدودة بإقليمين ـ المشار إليها هنا وفيما تقدّم من هذا الكتاب ـ فإنّه وقعت عماره بالنصف الشرقي تقريباً في ثلاثة أجزاء منها مقدرة العرض بإقليم ونصف إقليم؛ لو بسط في النصفين على خط واحد يمرُّ من المشرق إلى المغرب لكان بنصف ذلك؛ فيكون بنصف وربع إقليم.

وقد علّم صاحب جغرافيا على الأجزاء الأربعة في ذلك الخطّ التام ارتفاع الحمل والميزان فيها ما يذكر الجزء الأول المار مع الإقليم الأول في جنوبه [لا] هي خمس درجات، والجزء الثاني الذي يليه في جنوبه [بي] هي عشر درجات؛ والجزء الثالث الذي يليه في جنوبه [يه] وهي خمس عشرة درجة، والجزء الرابع الذي يليه في جنوبه [كـ] وهي عشرون درجة. وذلك المقدّر بإقليمين من وراء خط الاستواء، وقطع من هناك الخط.

وأما في الأجزاء من قبّة أرين متشاملاً إلى البحر المحيط فهو الواقع فيه مجموع الأقاليم السبعة المقسومة، وبه جلّ المعمور، بل كل المعمور وسنبين عروضه التي رسمها صاحب الجغرافيا على خطّ العروض في لوح الرسم، وعدّتها من لدن قبة أرين قاطعاً الجبل الأم إلى البحر المحيط ثمانية عشر جزءاً مقدرها تسعة أقاليم لكل جزئين بإقليم فمن ذلك الأقاليم السبعة؛ وهي التي رسم مقدار العرض على أجزائها من [لآ] إلى [ع]؛ وهو من خمس درجات إلى سبعين درجة ـ على ما ذكرناه ـ.

ومن ذلك جزء مقدّرٌ بنصف إقليم معمور / ٣٠٢/ يمرُّ مع الإقليم السابع من المشرق إلى المغرب حسبما علَّم عليه في خط العروض [عه] بخمسة وسبعين درجة ونهاية هذا الجزء الجبل الأم المسمّى هناك بجبل قاقوتا.

ومن ذلك وراء خط الجبل في الخراب ثلاثة أجزاء مقدّرة بإقليم ونصف كلها خراب منقطعة لا عمارة فيهان وقد علم على أوّلها الملاصق للجزء، والمعمور وراء الإقليم السابع [ف]، وهي ثمانون درجة، وعلم على ثانيها [فه] وهي خمس وثمانون درجة، وعلم على ثالثها [ص] وهي تسعون درجة، وبه تمّ خط العروض.

وإذا أنهينا الكلام في ذلك على الجملة نذكر ما علَّم عليه في عروض أجزاء الأقاليم السبعة المقسومة على أربعة عشر جزءاً على ما هو بجزءٍ جزءٍ إلى نهايتها على أنني غير مسلّم. أنّ العمارة تبلغ ذلك، وإنما كلامنا على ما صوّر

في لوح الرسم، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

إنه من أوّل ما قسّم الأقاليم السبعة وجَزَأَ أجزاءها كل جزء بخمس درجات علم عليها في خط العروض ما نبيّنُه؛ فأوّلها وهو المارُّ مع خطّ الاستواء من شماليه علم عليه [لا] بخمس درجات؛ وثانيها الذي يليه من شماليه [س] بعشر درجات؛ وثالثها الذي يليه من شماليه [يه] بخمس عشرة درجة؛ ورابعها الذي يليه من شماليه [كـ] بعشرين درجة؛ وخامسها له بخمس وعشرين درجة؛ وسادسها [ل] ثلاثين درجة؛ وسابعها [له] بخمس وثلاثين درجة؛ وثامنها [م] بأربعين درجة؛ وتاسعها [مه] بخمس وأربعين درجة من حساب الجمل؛ وعاشرها [ن] بخمسين درجة؛ وحادي عشرها [نه] بخمسة وخمسين درجة؛ وثاني عشرها [س] بستين درجة، وثالث عشرها [سه] بخمس وستين درجة /٣٠٣/ ؛ ورابع عشرها [ع] بسبعين درجة وبه تمّت الأجزاء الأربعة عشر، وهو تمام الأقاليم السبعة المقسومة.

[وعلى تقدير التسليم في بلوغ المعمور إلى ذلك في آخر الإقليم السابع فيكون من المفروض الذي لا حقيقه له؛ إذ لا يمكن بلوغ المعمور الممكن سكنه إلى هذا الحدّ][1].

وأمّا الطول فقد ضرب صاحب الجغرافيا له خطًّا ـ هو المسمّى خطّ الإستواء ـ بدأ به من البحر المحيط في أوّل المغرب إلى البحر المحيط في آخر المشرق. بدأ به آخذاً على قبّة أرين؛ وبقيت أرين وسط خطّ الطول ووسط خط العرض. وقسَّم هذا الطول بأجزاء كل جزءٍ بخمس درجات هي أول هذا الخط على البحر المحيط في المغرب إلى أن ينتهي في آخر هذا الخطّ على البحر المحيط بالمشرق إلى مائة وثمانين درجة علَّم عليها صاحب الجغرافيا في لوح الرسم [قف]؛ وذلك بنصف ثلاثمائة وستين درجة التي هي مجموع درج الفلك، تمرُّ الأجزاء المقسومة في خطّ العروض عليها برًّا وبحراً من أوّل ما رسم من غاية الجزءين المقدرين وراء خط الإستواء بأنقص لما تخطفه الدائرة شرقاً وغرباً حتى يقع خط الإستواء على أطولها خطًّا من المغرب إلى المشرق لم تخطفهُ الدائرة بتضايقها كما خطفت في أطوال الأقاليم شرقاً وغرباً مع ما تخطفه خرجات البحر المحيط في الربع الغربي الآخذ إلى الشمال فيكون هناك أقصر مدى الخطوط. وليس هذا موضع تجريد مقداره ـ والله أعلم بغيبه ـ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

الإقليم الأول:

يأخذ في الغرب من جزيرة بكلوطة المجرّرة في المحيط على مجالات الحبشة، على مجالات النوبة شاقاً للبحر الهندي إلى مدينة الفضّة من الصين في الشرق إلى جزيرة المجزرّة في البحر المحيط.

الإقليم الثاني:

يأخذ في الغرب من جزيرة غرطوبا المجزرّة في البحر المحيط على زبيد شاقاً البحر /٣٠٤/ الهندي على مدينة ضينيا العليا من الصين في الشرق إلى جزيرة قلعة الفضَّة المجزرّة في البحر المحيط.

الإقليم الثالث:

يأخذ في الغرب يأخذ من جزيرة قوموش المجزرّة في البحر المحيط على برّ العدوة على إفريقية على برقة على مصر على أطراف الحجاز والشام شاقاً القُلزم على سجستان وبلاد الهند على الصين إلى جبال النشادر من الصين في الشرق إلى جزيرة العلوية المجزرّة في البحر المحيط.

الإقليم الرابع:

يأخذ في الغرب من أول جزائر الخالدات المجزرّة في البحر المحيط، يشقُّ البحر الشامي، ويدخل في جنوبي الأندلس على صقلية على حلب وبلاد الجبل آخذاً على بخارى فيما وراء النهر على السند على قراقوم إلى صين الصين في الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم الخامس:

يأخذ في الغرب من بقايا جزائر الخالدات المجزرَّة في البحر المحيط على معظم الأندلس على القسطنطينية الكبرى ومدائن الروم على فرغانة وطبرستان على صنم الخطا المجموع إليه في الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم السادس:

يأخذ في الغرب على جزيرة الحجر المجزرَّة في البحر المحيط على قرم على البلقان على صحاري القبجاق في الشرق على بلاد يأجوج ومأجوج.

الإقليم السابع:

يأخذ في الغرب من جزيرة الغنم وجزيرة النساء وجزيرة الرجال وجزيرة مرطايا

المجزَّرات في البحر المحيط على بلاد اللاّن والأص والجركس والبلاّر والماجار على بلاد أسحرت على بحيرة الشياطين في الشرق إلى طرف سدّ يأجوج ومأجوج وبه تمام الأقاليم السبعة.

وجميع مدن الأرض داخلها إلاّ ما شذّ مما هو خارج عنها مما هو وراء خطّ الإستواء في الجنوب، وما خرج /٣٠٥/ وراء الإقليم السابع من الشمال؛ وإنما المدن مقسّمة في هذه الأقاليم على ما وقعت فيه.

وقد ذكرنا هذه الأقاليم ـ آخذةً من الشرق ـ على ما رسمه صاحب جغرافيا في لوح الرسم، وعلى كل هذا قسَّم الشريف كتاب آجار؛ وإن لم يكن شرط كتابنا في وضعه، ولله غيب السماوات والأرض علم الإنسان ما لم يعلم وهو أعلم أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً لا إله إلاّ هو وهو حسبنا ونعم الوكيل.

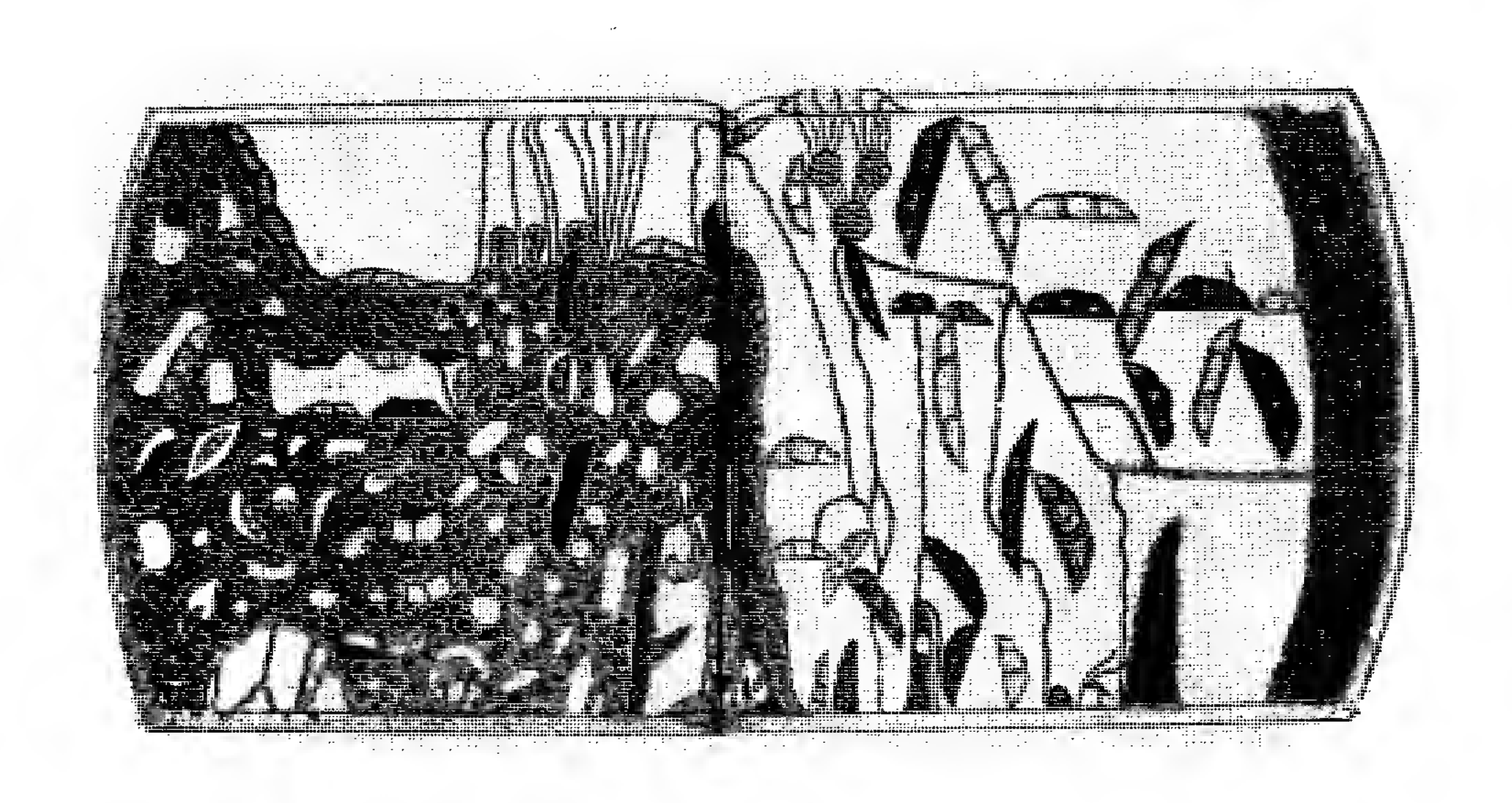
* * *

الفصل الثاني: فيما وقع في الأقاليم السبعة من المدن والجزائر العامرة برّاً وبحراً وتصويرها بأشكالها

ونحنُ نشرع في رسم الأقاليم السبعة إقليماً إقليماً، نبدأُ بالأوّل إلىٰ أنْ نختم بالسابع؛ فما شقَّ منه بحراً صورنا من البحر مقدار ما أخذ الإقليم منه، فإن اعترضت به جزيرة (......)[1] من الإقليم المصوّر ـ وبعضها ما وقع قبله أو ثانياً بعده ـ صوّرنا في كل إقليم مقدار ما وقع منها فيه، ولم نسمّ اسمها إلاّ حيث وقع مُعظمها، ولا نذكر من المدن إلاّ أشهرها، أو ما لا بُدّ لهذا التأليف من ذكره والله يهدي عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) بياض في الاصل بمقدار كلمة.



وهذه صورة الإقليم الأوّل:

وهو الآخذ مع خط الإستواء علىٰ شماله من البحر المحيط بأقصىٰ الغرب إلىٰ البحر المحيط بأقصىٰ الشرق.

وعرضه من خمس درجات إلىٰ عشر درجات ـ علىٰ ما شرحنا ـ تتفاوت ما بين ذلك عروض الأراضي به علىٰ وقوعها منه.

الإقليم الأول

/ ٣٠٩/ والذي وقع في هذا الإقليم الأوّل من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي[١] وفروعه[٢] الخارجة منه، وما اتصل به من البحر المحيط[٣] في الشرق والغرب نذكره.

وأوّل ما نبدأ من الغرب علىٰ خطّ الأقاليم بلاد مقزارة[٤] الذهب، ومن مدنها مدينة أوليل[٥]، وبها المُلاحة التي تمدّ جميع بلاد السُّودان.

قال الشريف[٦]: ولا نعلم ببلاد السُّودان مُلاحة سواها.

ومدينة مالي[٧]، ومدينة بريسي[٨]، وبنيت علىٰ شاطىء النيل بها الأبنوس، وبلاد لملم[٩]، ومن مدنها مدينة ملل[١٠]، وبلاد غانة، ومن مدنها مدينة غانة[١١] ـ وهي كبيرة مقصودة ـ.

ولما صنّف الشريف كتابه آجار[١٢] ذكر[١٣]: انَّ لملكها من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وإسلامها قديم؛ وهي متصلةٌ ببلاد ونقارة[١٤] الذهب.

قال الشريف[١٥]: فما كان علىٰ عهده والذي يعلمه: أهل المغرب الأقصىٰ علماً يقيناً أنَّ له ـ يعني ملكها ـ في قصره لبنة ذهب وزنها يكون ثلاثين رطلاً، تبرة واحدةً خلقها الله ـ تعالىٰ ـ خلقة عامة من غير أن تسبك في نار ولا تطرق بآلةٍ، وقد نفذ فيها ثُقباً، وهي مربط لفرس الملك.

---

(١) يريد به المحيط الهندي.
(٢) فروعه كما سيأتي: بحر القلزم وهو البحر الأحمر، والخليج الفارسي، وهو الخليج العربي.
(٣) يريد بالبحر المحيط: المحيط الأطلسي.
(٤) سماها الادريسي (والمؤلف ينقل عنه) مقزارة السودان. (نزهة المشتاق ص١٧).
(٥) عن أوليل، قارن: معجم البلدان ١/ ٢٨٣ وصورة الأرض ص٩١.
(٦) نزهة المشتاق ص١٧.
(٧) كذا في الاصل، وفي نزهة المشتاق ص١٧ ومختصره ص٩: سالي.
(٨) في الاصل، بريس، وصححت على النزهة ص١٧ ومختصره ص٩.
(٩) نزهة المشتاق ص١٩ و٢٢ قال: إنها بالجنوب من بريسي.
(١٠) نزهة المشتاق ص١٩.
(١١) نزهة المشتاق ص١٩.
(١٢) آجّار: ملك صقلية، استقدم الشريف الادريسي فألّف له كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، وكان رجار محباً للعلم والادب، توفي سنة ٥٤٠هـ، انظر (الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٥).
(١٣) نزهة المشتاق ص٢٣.
(١٤) نزهة المشتاق ص٢٣.
(١٥) نزهة المشتاق ص٢٣.

قال: وهي من الأشياء الغريبة التي ليست عند غيره ولا صحت إلاّ له، وهو يفخر بها.

ومن مدن غانة غربيل، وتيرَقي[١] وهي مدينة كبيرة، ومراسة، وسمغارة، وجزيرة ونقارة[٢] محيط بها النيل، وطولها ثلاثمائة ميل، وعرضها مائة وخمسون ميلاً، يركبها النيل في زمان زيادته، ويخرج أهلها عنها؛ فإذا نزل الماء عنها رجع أهلها إليها، وبحثوا أرضها، واستخرجوا التِّبر؛ وسنذكره في مكانه مفصّلاً ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

/ ٣١٠/ وبلاد بغامة[٣] ومن مدنها كوغة[٤]، ولسان أهلها بالبربرية وشربهم من عيون يحفرونها، ولهم بصر ثاقب بالأرض التي في باطنها الماء، ويد طولىٰ في إنباطه.

ومدينة كوكو[٥] وهي مشهورة الذكر في بلاد السودان، وهي علىٰ نهر يخرج من جهة الشمال فيمرُّ بها، ويقال: إنه مما يمُدّ النيل.

قال الشريف[٦]: ولملكها بأسٌ وقوةٌ وزيّ كامل، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم.

قال[٧]: وينبت في ارضها عُود الحيَّة ومن خاصته أنه إذا وضع علىٰ جحر الحيَّة خرجت إليه مسرعةً، ثم إنَّ ماسك هذا العود يلحقه قوة في نفسه فيأخذ به من الحيّات ماشاء من غير أن يدركه شيء من الجزع.

ثم قال: والصحيح عند أهل الغرب الأقصىٰ وأهل وارقلان[٨] أنَّ ذلك العود إذا مسَكهُ ماسكٌ بيده أو علّقهُ في عنقه لم تَقربُه حيّة البتَّة. وهذا مشهور، وصفته كصفة العاقر قَرَحاً مفتولاً لكنه أسْوَد اللون.

وقال ابن[٩] البيطار فيه: إذا سقي منه نصف درهم شفىٰ من كل سُمٍّ حارٍّ وبارد يَفعَلُ ذلك وجياً، وإذا أمسكهُ أحدٌ بيَدِه لَم يعدُ عليه شيء من الحيّات.

---

(١) تيرقي، ذكرها الادريسي من مدن ونقارة (نزهة المشتاق ص٢٥).
(٢) في الاصل (ونفازة) وصححت عن نزهة المشتاق ص٢٤.
(٣) في الاصل (نعامة) وصححت عن نزهة المشتاق ص٢٥.
(٤) انظر نزهة المشتاق ص٢٥.
(٥) كوكو، انظر نزهة المشتاق ص٢٨ وتقويم البلدان ص١٥٦.
(٦) نزهة المشتاق ص٢٨.
(٧) نزهة المشتاق ص٢٩.
(٨) في الاصل (ولد قلان) وصححت على نزهة المشتاق ص٢٩، وفي مختصره ص١٧.
(٩) لم يرد كلام ابن البيطار في النزهة.

قال: وزعم قوم إنَّ من أمسكه بيده إنْ وقعت عينه علىٰ حية أُسبتَتْ ولم تتحرك عن موضعها فإذا مُضغ وتُفل في فم الأفعىٰ ماتت، وسيأتي ذكره في موضعه ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وبلاد كانم ومن مدنها مدينة جيمي[1] ـ وهي صغيرة ـ تجاور النوبة، ومدينة زَغَاوة[2] وقاعدتها مدينة قامانان بها مسكن ملكها.

وبلاد التاجُوين[3] وهم قوم مجوس لا دين لهم.

وبلاد النوبة وقاعدتها دُنقلة[4] ومن مدنها مدينة كوشة[5]، ومدينة / ٢١١/ علوة[6]، ومدينة بلاق[7].

وبلاد البجّة، وبلاد الحبشة ومن أكبر مدنها مدينة جَنبِيشةَ[8]؛ وهي مدينة كبيرة متحضرة لكنها في برّية بعيدة من العمارات؛ وهي متصلة بالنهر الذي يمُدّ النيل، وهو يشقّ بلاد الحبشة وعليه مدينة مركطة، ومدينة النجاغة[9].

وزعم الشريف[10]: أنَّ هذا النهر يمرُّ مغرّباً مع الشمال حتىٰ يصل إلىٰ أرض النوبة فيصبُّ هناك في النيل، وعليه تزرعُ بوادي الحبشة زرُوعهم.

قال الشريف: وقد وَهَمَ أكثر المسافرين في هذا النهر حين قالوا: إنه النيل؛ وذلك لما رأوا مشابهته للنيل في زيادته ونقصه أوقات زيادة النيل ونقصه.

وقال: إنَّ هذا ذكره بطليموس الأقلودي في كتابه المسمّىٰ بالجغرافيا.

ومن مدنها مدينة زالغ[11]، ومدينة منقونَة[12]، ومدينة واقنت[13] ـ وأظنُّها

---

(١) وكذلك اسمها في تقويم البلدان ص١٥٨، وفي النزهة ص٢٩، والمختصر ص١٧ أنجيمي.
(٢) نزهة المشتاق ص٢٩ وانظر: تقويم البلدان ص١٥٨ ومعجم البلدان ٢/ ١٤٢.
(٣) نزهة المشتاق ص٣٠.
(٤) نزهة المشتاق ص٣٧ وانظر تقويم البلدان ص١٥٨.
(٥) في الاصل (كرشة) وصححت على نزهة المشتاق ص٣٧.
(٦) نزهة المشتاق ص٣٨، وفي مختصره: غلوة.
(٧) في الاصل (بالق) وصححت على النزهة ص٣٨ ومختصره ص٢١.
(٨) نزهة المشتاق ص٤٢.
(٩) في الاصل (الميجاعة) وصححت عن النزهة ص٤٢ ومختصره ص٢٣.
(١٠) في نزهة المشتاق ص٤٢.
(١١) انظر عن زالغ، نزهة المشتاق ص٤٤، وهي في تقويم البلدان ص١٦٠ (زيلع).
(١٢) نزهة المشتاق ص٤٥.
(١٣) أقنت، نزهة المشتاق ص٤٥.

أوقات ـ[١] ومدينة باقطي[٢].

قال الشريف: النجاغة في برّية، وشرب أهلها من الآبار، وماؤها يجفُّ في أكثر الأوقات حتىٰ لا يوجد (والغالب على أهل هذه البلدة أنهم طلاب)[٣] معادن الذهب والفضة في جبل مورس[٤]؛ ولهذا يقطنها القاطن.

قال الشريف: وبين هذا المعدن وبين أسوان نحو خمسة عشر يوماً.

وبلاد البربرة أعلىٰ صعيد مصر وبه معدن الزمرد.

وبلاد اليمن ومن مدنها به مدينة صنعاء[٥]، ومدينة زبيد[٦]، ومدينة المهْجمْ[٧]، ومدينة مِرباط[٨]، وأرض حضرموت وشبام[٩] أرض، وتهامة، وبلاد عاد.

وبالبحر الهندي من اليمن جزيرة سُقطرى[١٠]، وإليها ينسب الصبر السقطري وأهلها يونان، لا يُعرف اليوم يونان علىٰ صحة سواهم؛ لأنَّ أرسطو أشار علىٰ الإسكندر بإجلاء أهلها / ٣١٢/ وإسكان طائفة من اليونان بها لحفظ الصبر لعظيم منفعته.

قال الشريف: وهي محسوبة من اليمن.

وأرض الزنج ومن مدنهم مدينة بزونة[١١]، وأهلها كفرة لا يعتقدون شيئاً، ومآكلُهم خبيثة كالأحناش والضفادع والفئران والوَرَل وأم حُبين وغير ذلك.

ومن مدنهم مدينة ملندة[١٢] وأهلها سحرة يصيدون بالسحرِ، ويسحرون الحيوان الضاري حتىٰ لا يضرّ إلاّ من أرادوا ضرّه؛ والآساد والنمور لا تعدو عليهم لسحرهم، واسم الساحر بلغتهم المقنقا[١٣].

---

(١) وأظنها أوقات ليست في النزهة، وورد اسمها هكذا في تقويم البلدان ص١٦٠ وفات.

(٢) في الاصل (ماقطي) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٥.

(٣) سقطت من الاصل، والتكملة عن نزهة المشتاق ص٤٤، وبها يستقيم المعنى.

(٤) في الاصل (مورين) وصححت عن النزهة ص٤٤.

(٥) انظر عن صنعاء نزهة المشتاق ص٥٣، وتقويم البلدان ص٩٤.

(٦) نزهة المشتاق ص٥٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٥٥، وانظر عن المهجم تقويم البلدان ص٨٨.

(٨) في الاصل: برباط، وصححت على نزهة المشتاق ص٥٦.

(٩) نزهة المشتاق ص٥٦ وانظر تقويم البلدان ص٩٦.

(١٠) نزهة المشتاق ص٥٠ ونهاية الارب ٢/ ٢٤٣.

(١١) في الاصل (بروة) وصححت عن نزهة المشتاق ص٥٨.

(١٢) نزهة المشتاق ص٥٩.

(١٣) في الاصل: المقنقان، وصححت عن نزهة المشتاق ص٥٩.

ومن مدنهم منبسة[١] وأهلها يستخرجون الحديد، ولهم كلاب حمر يغلبن السباع ويصيدون النمور، وبها يسكن ملك الزنج.

ومدينة البانس[٢] ـ وهي كالقرية ـ وأهلها يعبدون الرجيم؛ وهو طبل كبيرٌ مجلّد من وجهٍ واحدٍ واحد يربطون به شريطاً يَجْذِبونَهُ، فيصوّت صوتاً مائلاً يسمع علىٰ نحو ثلاثة أميال.

وللعرب في قلوب الزنج مهابة فإذا رأوا اعرابياً سواء كان تاجراً أو غيره سجدوا له وسارعوا إلىٰ نَجازِه وقَضَاء إربه.

وسنذكر[٣] ما وقع من هذا الإقليم من الجزُر بالبحر الهندي؛ فمن ذلك ما وقع في القُلزم الخارج منه؛ فمن ذلك جزيرة كمران[٤]، وجزيرة دهلك، وجزيرة سواكن.

وليس بها مملكة مشهورة وَلاَ متَاجر مَذكورة؛ وكل أهلها مسلمون قائمون بالإسلام، ويجلب منها إلىٰ مصر أغنام حسان تقتنىٰ بها للفُرجة لا للأكل والنتاج.

وكان لدهلك ذكر زمان أبي السداد مالك بن أبي الفيّاض، وكان يميل إلىٰ الإنشاء والإنشاد وهو الذي قصده الأعزُّ بن قلاقس ومدحه؛ فمن قصيدة مدحه بها[٥]:

[من الطويل]

/٣١٣/ كأنّا وأفواهَ الفِجاج تمجُّنا — إلىٰ مَالكٍ مِنْ كلِّ أرضٍ مالُكُ
هو البحرُ تُستمطىٰ البحارُ ركائباً — إليهِ وتستجرى الرياح السوابُكَ
فإن أحْيَ إن حيَّيتُ غرّةَ وجهِهِ — فكمْ قلتُ إني دونَ ذلكَ هالُكُ
إليكَ رفعنا مُحْصناتٍ منَ الثنا — وكم رجعتْ حاشاكَ وهي فواركُ

---

(١) في الاصل (منيسة) وصححت عن نزهة المشتاق ص٥٩.

(٢) انظر نزهة المشتاق ص٦٠.

(٣) ما يأتي لم يرد في نزهة المشتاق.

(٤) كذا ورد اسم هذه الجزيرة في الاصل، وفيه نهاية الارب ١/ ١٤٤، وفيه (أي بحر القلزم) من الجزائر خمس عشرة جزيرة، العامر منها أربعة وهي:
جزيرة دهلك، يحيط بها نحو مائتي ميل، يسكنها قوم من الحبوش، مسلمون وجزيرة سواكن، وهي أقل من ميل في ميل، وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض، وأهلها طائفة من البجّة تسمى الخاسد وهم مسلمون ولهم بها ملك.
وجزيرة النعمان، وبها نُويس تعيش من لحوم السلاحف.
وجزيرة السامري، يسكنها قوم من اليهود، سامرةٌ في عيش قشيف.

(٥) من قصيدة قوامها ٤٥ بيتاً في ديوانه ٤٨٩ـ ٤٩٢.

إذا خدمتْ بالشكرِ أبوابَ مالكٍ — شَدَتْ يدُهُ إنّي لمالِكَ مالِكُ

وقال في أبيه من أخرىٰ، وقد انتصر علىٰ أبي حربة، وهو خارجي خرج عليه، واستنصر بنصارىٰ الحبشة فكسر ابن أبي السَّداد: [من البسيط]

اللهُ أعطاكَ في أعدائِكَ الظفَرا — فلمْ تُبقِّ لهمْ ناباً ولا ظُفُرا

قلَّدتَهم مِنناً حتىٰ إذا عَجِزَتْ — عنها رقابُهمُ قلّدتَهم بُتُرا

سروا إليكَ فلمَّا أصبحوا حَكَمَتْ — بيضُ الظُّبا أنَّهم لا يحمَدون سُرىٰ

جاؤوا صفوفَ قراعٍ فانتقمتَ وما — أبرَّ جودَكِ لو جاؤوا ضيوف قِرىٰ

جَعلتَهُم جَزَراً للطير حينَ أبوْا — أنْ يطلبوا بلسَان الطّاعَةِ الجُزرا

يسعىٰ أبو حَرْبةٍ في رُتبةٍ مُنعتْ — فلو أَبَوا ألفَ رُمحٍ رامَها قهرا

وتَستخفُّ أمانيه منيَّتهُ حتّىٰ — يرومَ ثُريا الأفقِ وهو ثرىٰ

حتىٰ انتحاهُ أبو الفياضِ مُنتحياً — كالعَضْبِ ما مَسَّ منْ أطرافِهِ بَتَرا

جَنىٰ فلمّا أراه الفتحَ غائبة — ولّىٰ واهدىٰ إليك الرأسَ مُعتذرا

فَلْيَهنكَ الفَتحُ مُخضرّاً جوَانبُه — تَكادُ تَقطفُ من أنبائه الزّهَرا

سَلِمْتَ إذ سرتَ بالإسلام مُعتصماً — وَجَابَ إذْ بالنصارىٰ جاء مُنتصرا

وقال فيه من أخرىٰ[(١)]: [من البسيط]

/٣١٤/ وفاضَ لي من أبي الفيّاض بحر ندًى — أتىٰ سحاباً من المعرُوفِ سَحّابا

غَضنفرٌ لا يزالُ الماضَيان لهُ — إنْ حادثُ الدَّهر نابَ الظُفْرَ وَالنَّابَا

نَهّابُ أعدائِهِ وَهّابُ أنعُمِهِ — أحْسِنْ بحالَيهِ نَهّاباً وَوهابا

أتتْ إليهِ بناتُ الفكرِ قاصدةً — وكمْ أبتْ قبلُ خُطاراً وخطّابا

تَوقّدتُ فَلَوَ آنَّ الدّهرَ ينشُدُها — في شهرِ كانونَ ظنُّوا آبَ قدْ آبا

وأمّا سَّوَاكن ففيها الشريف زيد بن أبي نُميٰ الأدريسي الحسنى في طاعة صاحب مصر، وسيأتي ذكره هناك.

وأمّا ما وقع في البحر الهندي فسنذكره؛ فمن ذلك جزائر الرانج[(٢)] يقال: إنَّ تكسيرها ألف ميل ومائتا ميلٍ ذَات زرعٍ خصبٍ وضرعٍ وماء كثير، وبها مغائص اللؤلؤ وأفاويه الطّيب، وبها جبل يُسمىٰ ويرة[(٣)] يأوي إليه عُبّادها[(٤)].

---

(١) من قصيدة قوامها ٣٧ بيتاً ١٣٨ـ ١٤٠. (٢) نزهة المشتاق ص٦١.

(٣) في الاصل (وبرة) وصحح على نزهة المشتاق ص٦٢.

(٤) في نزهة المشتاق: (يأوى إليه المنقطعون من المدينة، وهم هناك خلق كثير وجمع غزير وربا قطعوا فيها طرق المدينة، وهم ممتنعون في أعلى هذا الجبل، متحصنون فيه عمن قصدهم).

وبلاد سفّالة[١] الذهب ومن مدنها مدينة بتهنة[٢] ويتّصل بذلك جزر فيها الشجر، وفي البحر المجزّرة به يوجد العنبر الكثير الطيب الرائحة.

قال الشريف[٣]: وقد توجد فيها العنبرة من قنطار وأكثر وأقلّ. قال: وهي شيء تقذف به عيون في قعر البحر مثل ما تقذف عيون هيت بالنفط فإذا اشتدَّ هيجان الريح رُمي به إلىٰ الساحل.

قال: وقد وهم فيه بعض الناس حتىٰ ظنّه رجيع دابة، وليس هو إلاّ ما ذكرناه.

وذكر[٤] أنَّ هارون الرشيد بعث قوماً إلى اليمن ليبحثوا علىٰ العنبر ما هو علىٰ الحقيقة، فأخبر أهل عدن وشومة[٥] إنه شيء تقذف به عيون في قعر البحر، فيسوقه الموج إلى الساحل صغيراً وكبيراً.

وجزيرتا خرتان ومرتان وبها ينبت اللبان. قال الشريف[٦]: وأهلها / ٣١٥/ يتكلمون بألسنةٍ عادية قديمة.

ثم جزر الهند وهي ما لا تُحصىٰ كثرةً، ومن أجلّها سرنديب[٧]، وبه جبل الرّاهون[٨]، ومن مدنها مرقايا[٩]، وقدزينة[١٠]، وما خولون، وفرسقوري.

وأول جزيرة القمر فيما خرج عن خط الاستواء معظمهما وبه مدنها وأنهارها.

---

(١) سفالة، انظر عنها تقويم البلدان ص١٥٦، وفي نزهة المشتاق ص٦٠ وفي ص٦٦ منه: فيها مدينتان كالقرى ويليهما قرى صغار، وسماها في مواضع أخرى: سفالة الذهب.

(٢) نزهة المشتاق ص٦٠.

(٣) نزهة المشتاق ص٦٦، إلا أنه نسب ما بها من العنبر إلى البحر العماني المسمى ببحر هوكند.

(٤) في نزهة المشتاق ص٦٦: وقد حكى ذلك إبراهيم بن المهدي في كتابه المسمى بكتاب الطيب، وذكر فيه...

(٥) في الاصل (سومة) وصححت على النزهة.

(٦) نزهة المشتاق ص٥٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٧٢ وانظر عن سرنديب: تقويم البلدان ٣٧٤ ومعجم البلدان ٣/ ٢١٥ والروض المعطار ٣١٢، وسرنديب أو سيلان، الآن سريلانكة، ويتصل بينها وبين جنوب الهند مضيق يختلف عرضه من ١٢٠ كم إلى ١٦٠ كم، وانظر تجارة المحيط الهندي ص٣٠١.

(٨) في النزهة: الرهون، وكذلك في مختصره ص٣٧.

(٩) نزهة المشتاق ص٧٣.

(١٠) كذا في الاصل، وقد أورد الادريسي أسماء القواعد المشهورة في جزيرة سرنديب، وهي: (مرقايا، وأغنا، وفرسقوري، وأبدذي، وما خولون، وحامري، وقلماذي، وسندونا، ونيبري، وكنباي، وبرنشلي، ومرونة) فلعلها واحدة منها، صحفت فتعذّرت قراءتها.

وجزيرة الرامي[١] وطولها فيما يذكر سبعمائة فرسخ، وبها زروع ومعادن وطيب، وبها الكركدن؛ وهو دون الفيل وفوق الجاموس في عنقه عوج كعنق الجمل لكنّه بخلاف اعوجاج الجمل ورأسه فيما يلي يديه، وله قرنٌ في وسط جبهته، وفيما يذكر له أنّه يوجد في بعض هذه. القرون إذا شُقت صورة إنسان أو صورة طائر أو غيره من الصور التي توجد فيه من أوّله إلىٰ آخره، ويصنع منه نصب سكاكين الموائد فإذا وضع الطعام وكان به سُمّ عرق ذلك النصاب، فعُلم أنّ ذلك الطعام مسموم.

قال الشريف[٢]: وجزيرة الزامي طيبة الرُّبىٰ، مُعتدلة الهواء، عذبة الماء، فيها عدة بلاد وقرىٰ ومعاقل.

وجزيرة كولي[٣]، وجزيرة الديبل[٤] ـ ومدينتها بشكار ـ[٥] وجزيرة مايط[٦] وجزيرة تنومة[٧]، وجزيرة سلاهط[٨]، وجزيرتا قمار[٩] وكلاهما به منابت العود، وأغلاهما قيمة الصّنّفي.

وأمّا قمار فمملكة جليلة تعدُّ في الممالك الكبار، وجزيرة سبومة[١٠] وبها زروع وحبوب عظيمة، وأنوع من الطيور المأكولة التي لا توجد بالهند إلاّ فيها.

وجزيرة عاشوراء[١١] المقابلة للوقين[١٢] فرضة الصين إلىٰ الهند، وجزائر السيلا والسيلان[١٣]، ويقال: من دخل السيلا استوطنها ولم يُرد الخروج منها لطيب ثراها

---

(١) نزهة المشتاق ص٧٥ وقارن معجم البلدان ٣/ ١٨ والرامي أو الرامني الآن جزيرة سومطرة بأندنوسيا (انظر تجارة المحيط الهندي ص٣٠١).

(٢) نزهة المشتاق ص٧٦.

(٣) نزهة المشتاق ص١٨١.

(٤) انظر نزهة المشتاق ص١٦٧.

(٥) كذا في الاصل، وفي نزهة المشتاق ص١٦٧: جزيرة الديبل وفيها مدينة كسكهار، قلعتها هي، إذْ لم يرد في النزهة مدينة باسم بشكار.

(٦) في الاصل: مابط، وصححت من النزهة ص٨٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٨٢.

(٨) نزهة المشتاق ص٨١، وتكتب شلاهط، وهي جزيرة بلاوان بالفلبين انظر: تجارة المحيط الهندي ص٣٠٢.

(٩) كذا في الاصل، ولعله أراد، جزيرة قُمار وصنف. قال الادريسي: ويتصل بجزيرة قمار ما يلي الساحل جزيرة صنف وبينهما ثلاثة اميال وبها يوجد العود الصنفي. (نزهة المشتاق ص٨٣).

(١٠) نزهة المشتاق ص٨٨.

(١١) نزهة المشتاق ص٨٥.

(١٢) لوقين، نزهة المشتاق ص٨٤.

(١٣) كذا في الاصل، ولم يرد اسم السيلان في النزهة، قال في ص٩٢: جزائر السيلا: وهي كثيرة متقاربة بعضها من بعض وفيها مدينة تسمى الكيوه من دخلها من المسافرين استوطنها ولم يرد الخروج عنها لطيب ثراها... وميلا هي كوريا الآن (انظر: تجارة المحيط الهندي ص٣٠٢).

وكثرة خيراتها، وبها معادن الذهب /٣١٦/ التي لا توجد في مكان أكثر مما هي به.

قال الشريف[١]: حتىٰ يتخذ أهلها منه سلاسل كلابهم وأطواق قردوهم.

قلتُ: وقد ذكر كربيبرس الدوادار المنصوري في تاريخه المسمّىٰ «زبدة الفكرة» أنه وصل في سنة اثنتين وثمانين وستمائة رسول بونكيا ـ صاحب سيلان ـ إلىٰ الباب المنصوري قلاوون ـ واسمه الحاج «سابور عثمان» ـ بكتاب منه في حُقٍّ ذهب لم يُوجد من يقرأه؛ وإنّما أخبر الرسول محضره أنّه يتضمن طلب المودة، وأنه يجهز كلّ سنة عشرين مركباً هدايا.

وقال: إنَّ له سبعةً وعشرين قلعة خزائنها مملوءة جواهر وياقوت والمغاصات عنده، وكلّما يحصل منها فهو له؛ هذا مُلخَّص ما ذكره.

ثم جزائر الواق واق[٢] ودونها ينعطف البحر فتحاذي الصين، ويكون البحر هناك أصعب ما يكون، ثم تقع به جزيرة الموجة[٣] ـ أم جزائر الصين ـ وأهلها بيض ونساؤهم أجلّ نساء الأمم ذوات شعور طوال، وبها خيل كثيرة يقاتلون عليها من عاداهم، ويوجد عندهم دابة المسك، ودابة الزّباد، وتنتهي هناك إلىٰ البحر المحيط.

ويقع فيما يحاذيه من برّ الصين مما هو في الإقليم الأول مدينة خانفو[٤]، ومدينة كوابلة[٥]، ومدينة شغلا، ومدينة مانطو.

ثم جزائر الخالدات بالبحر المحيط، وبه تمَّ الإقليم الأول، ولله الحمد والمنّة.

---

(١) نزهة المشتاق ص٩٢.

(٢) نزهة المشتاق ص٨٧. وفي تجارة المحيط الهندي ص٣٠٤: اختلف الباحثون حول مكانها (واق الواق) فمنهم من ذهب إلى أنها بورنيو، ومنهم من ذهب إلى أنها اليابان أو الفلبين، كما ذهب بعضهم إلى أنها مدغشقر وإن كنت أرجح أنها اليابان.

(٣) نزهة المشتاق ص٨٧.

(٤) خانفو، انظر نزهة المشتاق ص٨٤.

(٥) لم أجد لها ذكراً أو ما يشبهها رسماً في مدن الاقليم الأول من نزهة المشتاق وغيره.



وهذه صورة الإقليم الثاني: وهو الآخذ مع الإقليم الأول علىٰ شماليه من البحر المحيط بأقصىٰ الغرب إلىٰ البحر المحيط بأقصىٰ الشرق.

الإقليم الثاني

/٣٢٣/ والذي وقع في هذا الإقليم الثاني من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي وفرعيه الخارجين منه، وهما القلزم والفارسي وما اتَّصل به من البحر المحيط في الشرق ما يذكر.

وأوّل ما نبدأ من الغربي علىٰ حكم الأقاليم، وبه في مبدئه من المحيط جزيرة مسفهان، وجزيرة لغوس[١] من الخالدات.

وبجزيرة مسفهان جبل مدوّر، حكىٰ صاحب العجائب[٢]: أنَّ عليه صنماً من نحاس أحمر بناه أسعد أبو كرب الحميري ـ وهو تبّع الأكبر أحد الثلاثة الذين ملكوا الأرض ـ كأنّه يشير إلىٰ من بلغه بأن لا مسلك وراءه.

وذكر: أنَّ بجزيرة لغوس[٣] صنماً وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه، قال: وفيها مات بانيه ـ تُبَّع ذو المراثد ـ وهناك قبره في هيكل مبني من المرمر والزجاج الملون.

وبساحل المحيط بها حجر البهت يباع بقيمة غالية؛ لأنَّه مشهور عند أهل المغرب الأقصىٰ أنّه ما أمسكه أحد بيده وسار في حاجةٍ إلاّ قضيت[٤]، وهو عندهم جيد في عقد الألسنة، وبما أنه يسمّىٰ في وقتنا حجر البلاّج، وهو طائر طويل الرجلين، ويقول له أهل المغرب الأقصىٰ لبوا الشقشاق يحمل هذا الحجر ويُلقيه بأعشاشه فيؤخذ منها وهو عسر قليل، ويخْتبر بأن يُلقىٰ في قدر يُغلى ماؤها فإذا ألقي بها سكن الغليان. قال لي من رآه: إنَّه قدر البندقة الكبيرة جداً، شديد الاستدارة لونه به نمش بياض يضرب إلىٰ الزرقة قليلاً.

ويوجد[٥] بهذا الساحل أحجار كثيرة ذات ألوانٍ شتّىٰ وصفات مختلفة يتنافسون في أثمانها، ويذكرون إنها تتصرف في أنواع العلاجات الطبّية بالخاصية؛ ومن ذلك ما يُعلق علىٰ الثدي الموجعة فتبرأ مسرعاً، وما /٣٢٤/ يعلق علىٰ الحامل فتسرع الوضع، ولهم علىٰ بعضها رقًى مشهورة في قوم معروفين هناك.

ويقع في هذا الإقليم تتمة بلاد مقزارة[٦] وماؤها قليل وسالكها عزيز.

وأرض قمنورية[٧] كان بها من السودان أمّة تزعم أنّها يهود ولا ملك لهم، ولا

---

(١) في الأصل (دقوس) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٠٤.

(٢) لعلّه حسان بن المنذر الذي ينقل الادريسي عن كتابه «العجائب» والمؤلف ينقل كلامه عن نزهة المشتاق.

(٣) في الاصل (دقوس).

(٤) ما بعده لم يرد في نزهة المشتاق.

(٥) من هنا يعود المؤلف للنقل عن نزهة المشتاق ص ١٠٤.

(٦) في الاصل (مفزارة) وصححت عن نزهة المشتاق ص١٠٥.

(٧) نزهة المشتاق ص١٠٥.

ملك عليهم، ودينهم مدخول، وأكثر حربهم من جاورهم[١] فخلاّها غالب أهلها وتفرّقوا في البلاد، وبها يسمّىٰ جبل مانان[٢] يتّصل بالمحيط، ولا يُبارى علوّه، يقال: إنَّ السحاب تمطر دونه[٣] وترابه أحمر، وفيه أحجار لمّاعة لا يكاد يثبت الناظر نظره فيها لكثرة شعاعها، وبريق حمرتها، في أسفله ينابيع، يحمل السّفار الماء منها، وبها معظم بلاد غانة ومجال قبائل لمطة[٤] وأرض فزّان، ومدينتا باجرما الكبرىٰ وباجرما الصغرىٰ[٥]، وبها معدن فضّة في جبلها المسمّىٰ هناك جبل جوجيس[٦]، ومجال مدرارة وبلاد زغاوة، وبها من المدن مدينة سغوة[٧]، ومدينة شامة[٨]، وبهم قوم رحّالة[٩] من البربر دخلوا زغاوة حتىٰ صاروا كأنَّهم منهم وزغاوة[١٠] تأكل الأحناش ـ وهي جلّ أغذيتهم ـ.

قال الشريف في «كتاب أجّار»[١١]: ولولا أكل الأحناش لتقطّعوا جُذاماً.

وجبلهم[١٢] ترابه أبيض وبه كهف لا يقربه أحد إلاّ هلك، يقال: إنَّ به ثعباناً عظيماً يلتقم من تعرض مكانه، ويقاربهم أهل آزقار.

قال الشريف[١٣]: وفيما يذكره أهل المغرب الأقصىٰ أنهم[١٤] أعلم الناس بالخط المنسوب إلىٰ دانيال النبي ـ عليه السلام ـ قال: وليس ببلاد البربر أعلم بهذا الخطّ من أهل آزقار؛ وذلك أنَّ الرجل منهم صغيراً كان أو كبيراً إذا ضلّت له / ٣٢٥/

(١) هم أهل زغاوة وأهل لمتونة الصحراء الساكنون في جهتي هذه الارض، على ما جاء في نزهة المشتاق ص١٠٥.

(٢) في الاصل (مابان) وصححت على النزهة ص١٠٦.

(٣) تلك صفة جبل آخر ذكره الإدريسي اسمُهُ (بنبوان) انظر نزهة المشتاق ص١٠٦.

(٤) كذا في الاصل: وفي نزهة المشتاق ص١١٢ تحدث الادريسي عن قبيل من البربر يصيفون ويريعون حول جبل يسمى طنطة، لعل اسم الجبل صحّف ثم أطلق غلطاً على تلك القبائل.

(٥) كذا في الاصل وهو تحريف لما ورد في نزهة المشتاق ص١١٢ وفيه: وبها من البلاد مدينة جرمة ومدينة تساوة، والسودان يسمون تساوة جرمي الصغرى .... وعندهم معدن فضة في جبل ....

(٦) في الاصل: جوجيس، وصحح على نزهة المشتاق ص١١٢.

(٧) في الاصل (شفوة) وصحح على نزهة المشتاق ص١٢٠.

(٨) نزهة المشتاق ص١١٠.

(٩) في نزهة المشتاق ص١١٠: يسمون صدراتة، يقال إنهم برابر، وقد تشبهوا بالزغاويين.

(١٠) نسب الادريسي أكل الاحناش إلى أهل شامة.

(١١) ضرب في الاصل على كلمتي (كتاب آجار).

(١٢) اسمه كما في نزهة المشتاق ص١١١: لونيا.

(١٣) نزهة المشتاق ص١١٣.

(١٤) أي أهل آزقار على ما في النزهة.

ضالة، أو سُرق له مال خطّ لها في الرمل فعرف مكان ضالته أو أخذ ماله لا يخطئه.

قال: ولقد أخبر بعض المخبرين أنه رأىٰ رجلاً من هذه القبيلة في مدينة سجلماسة، قال: فأردت اختباره فجالسته، وقد خبيت له خبيئة بحيث لا تعرف فخطَّ لها خطاً وقصد موضعها واستخرجها. وأعيد ذلك عليه ثانياً فاستخرجها، ثم أعيد ثالثاً فاستخرجها، قال: وهو شيء عجيب في قوتهم علىٰ هذا العلم علىٰ كثرة جهلهم وغلظ طبعهم.

وأرض كوّار[١] يخرج منها الشَّبّ[٢]، ومن مدائنها مدينة القصبة[٣]، ومدينة قصر أم عيسىٰ[٤]، ومدينة إنكلاس[٥] ـ وهي أكبر مدنها ـ ومدينة أبزر[٦].

وبقيّة من بلاد تاجوين[٧] وغالبها وقع في الإقليم الأول، وأهلها همج لا يعتقدون شيئاً، وأهلها رحّالة.

ووقع من بلادهم في هذا الإقليم الثاني جبل مقوَّر[٨] أغبر فيه عروق ترابية ليّنة تنفع من وجع العين الرَّمدة.

وبلاد الواحات الداخلة والخارجة[٩] والخارجة اليوم لا أنيس بها، ومساكن بني هلال وقطعة كبيرة من صعيد مصر من أوّل أسناوا رمنت إلىٰ آخر وهروط، وأم مدنها قوص، ومدينة عيذاب علىٰ ساحل القُلزم الغربي، وبه جزيرة النعمان، وجزيرة السامرة كلاهما هناك بالقلزم.

ثم علىٰ ساحله الشرقي مكة والمدينة ـ زادها الله شرفاً وتعظيماً ـ.

وبلاد الحجاز ممتدّة من حلي[١٠] ابن يعقوب في الجنوب إلىٰ مدينة الجار[١١] في الشمال آخذة من جزيرة العرب في الجنوب علىٰ منازل[١٢] سعد وهذيل إلىٰ مدينتي

---

(١) نزهة المشتاق ص١١٦. (٢) في النزهة: الشب الكوّاري.

(٣) في الاصل (الفضة) وصححت على النزهة ص١١٧.

(٤) نزهة المشتاق ص١١٧.

(٥) نزهة المشتاق ص١١٧.

(٦) في الاصل: أبرز وصححت على النزهة ص١١٨.

(٧) في الاصل: تاجرين، وصححت على النزهة ص١١٩.

(٨) نزهة المشتاق ص١١٩.

(٩) كذا في الاصل، وفي النزهة ص١١٩: الواحات الخارجة.

(١٠) انظر عن حلي نزهة المشتاق ص١٣٨.

(١١) في الاصل آجار، وصححت عن نزهة المشتاق ص١٤٤ وفيه أنها: فرضة المدينة.

(١٢) منازل سعد وهذيل تقع ـ على ما في النزهة ص١٤٥ ـ عن ظهر جبل غزوان.

جرش كتنة[١]، وفي الشمال إلىٰ معدن النّقرة[٢] ـ مجتمع حجّاج البصرة ـ إلىٰ سلمية[٣] ـ مدينة هناك ـ.

/٣٢٦/ وبلاد نجد وموقعها ما بين الحجاز وبين مدينة هجر ورامة، وتقع عكاظ[٤] بينهما وبين منازل سعد وهذيل وشمالي نجد.

بلاد اليمامة وآخرها في الشمال برقة ضاحك علىٰ الساحل الغربي من بحر فارس وشرقي بلاد عمان، ومن مدنها سُعال، وعفر، ومنح[٥].

وفي جنوبي أرض عمان بلاد الشَّحر[٦]، وقد يقع بعضها في الإقليم الأول، فيها قبائل من مهرة، وهم عربٌ صحيحٌ نسبهم، كلامهم بالحميرية القديمة، ولهم كرائم الإبل التي لا يعدلها شيء في سرعة جريها، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت، ومن غريب ما يقال إنها تفهم وتعلم ما يراد منها بأقلّ تأديب تؤدّب به!

وفي جنوبيها بلاد[٧] حضرموت وبها مدينتا شبام وتريم، فأمّا تريم فمدينة قديمة الذكر.

وأمّا شبام فهو حصن منيع جامع بأهله في قنة[٨] جبل منيف منيع يعرف هناك بجبل شبام لا يُرتقىٰ إلىٰ أعلاه إلاّ بعد جُهدٍ جهيد.

وفي أعلاه قرًى كثيرة ومزارع كثيرة ومياه جارية وغلات ونخل وخصب زائد، ويوجد به أحجار العقيق[٩] وأحجار الحمَّست[١٠]، وأحجار الجزع[١١] توجد مغشاة بالتراب ولا يعرفها إلاّ طالبُها بِعلاماتها فتؤخذُ وتعمل، فإذا صُقلت ظهر حسنها، ويُحكىٰ أنها في أودية حصاها ألوان العقيق والجمست والجزع بعضها.

---

(١) في الاصل: كبشة، وصححت على نزهة المشتاق ص١٤٦.
(٢) في الاصل: البقرة، وصححت على النزهة ص١٥٠.
(٣) سلمية على ما في النزهة ص١٦١: قرية حسنة عامرة، تقع في الطريق من اليمامة إلى البصرة.
(٤) أو سوق عكاظ، قرية كالمدينة، جامعة لها مزارع ونخل ومياه، ولها سوق يقام يوم الجمعة، ومنها إلى نجران خمسة مراحل، نزهة المشتاق ص١٥٢.
(٥) سعال والعفر ومنح مدن صغار شربها من نهر الفلج (نزهة المشتاق ص١٥٧).
(٦) نزهة المشتاق ص١٥٤.
(٧) نزهة المشتاق ص١٥٤.
(٨) في الاصل (قبة) وقنّة الجبل أعلاه.
(٩) العقيق، حجر أجودهُ باليمن، ويؤتى به أيضاً من الهند والمغرب، انظر سر الاسرار ص٩٠.
(١٠) الحمست، ويكتب الجمشت، حجر منقوش يشبه الياقوت الوردي، انظر سر الاسرار ص١١٢.
(١١) الجزع أحجار، أجودها البراق الصافي، وهو أصناف انظر سر الاسرار ص٨٨.

والساحل الغربي من البحر الفارسي حيث مرَّ على مشاريق اليمن وعلىٰ ساحله من المدن ـ ما نذكره من الشمال ممتداً إلىٰ الجنوب علىٰ غريبة ـ وهي: الدارة[١]، وجلفارة[٢]، والحمل[٣]، ودما[٤]، ومسقط[٥]، وصحار، وقلهات، وصور[٦]؛ وهي نهاية ما وقع في الجنوب علىٰ الساحل الغربي من هذا البحر الفارسي فيها /٣٢٧/ خيرات كثيرة وفواكه حسان ونخل وموز ورمان وسفرجل.

ثم بعد مور لا يقع في الإقليم الثاني إلاّ بحر مُلّجج، ثم يمرُّ علىٰ أطراف بريَّة كرمان إلىٰ أن يتَّصل ببلاد السند، ويقع هناك علىٰ ساحله الشرقي من المعدن ـ ما نذكره من الشمال إلىٰ الجنوب كما ذكرنا آنفاً المدن الواقعة في ساحله الغربي ـ وهي: التيز[٧]، وكيّة[٨]، وقذالمىٰ[٩]، ومنجابري[١٠]؛ آخذة هذه المدن علىٰ معادن السند إلىٰ مدينة الديبل أوّل بلاد الهند.

ووقع هذا البحر الفارسي مجموعه في الإقليم الثاني ولم يبق سواه، ووقع به من الجزائر جزيرة أرون، وجزيرة جبر، وجزيرة كيش؛ وهي جزيرة كبيرة، وكانت في القديم دار ملك يخاف من جاورها بأس مُلكها، وقوة سلطانها.

ذكر الشريف في كتاب أُجّار[١١]: إنها جزيرة مُربَّة طول اثني عشر ميلاً في عرض اثني عشر ميلاً. وكان ملكها يغزو جزائر الرنج ويصل إلىٰ جزيرة قمار[١٢] فكانت إبل الهند يواسونه بالمراكب المسمّاة بالمشعيات[١٣].

---

(١) كذا وردت ولم أجدها في النزهة ولا في مختصره، أو ما يشبهها رسماً.
(٢) في الاصل: صلفاوة، وصححت على النزهة ص١٥٨.
(٣) كذا وردت في الاصل، ولعلها الجبل المذكورة في ص١٥٠ من النزهة.
(٤) في الاصل أدما، وصححت على النزهة ص١٥٦.
(٥) في الاصل (السقط) وصححت على النزهة ص١٥٩.
(٦) في الاصل (مور) وصححت على النزهة ص١٥٥.
(٧) في الاصل (التيرة) وصححت على نزهة المشتاق ص١٧٣ قال: مدينة صغيرة على البحر.
(٨) نزهة المشتاق ص١٦٦ و ١٧٥.
(٩) كذا في الاصل، ولم أجدها في النزهة، ولعلها قالري.
(١٠) في الاصل: منجاري، وصححت عن نزهة المشتاق ص١٧٣، وهي مدينة في وطاء من الأرض، حسنة البناء بهيجة الارجاء، ولها مزارع.
(١١) ضرب عليه في الاصل، انظر نزهة المشتاق ص١٥٦.
(١٢) كذا في الاصل، وفي نزهة المشتاق: بلاد القامرون.
(١٣) في الاصل: المسفيات، وهو تصحيف.

قال: وهذه المشعيات[١] يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عودٍ واحدٍ فيه مائتا رجل.

قال الشريف[٢]: وأخبرني مخبرٌ وقت هذا التأليف ـ يعني وقت تأليفه لكتاب أجّار[٣] ـ: أنَّ عند صاحب كيش من هذه المراكب المسفيات خمسون مركباً كل واحدٍ من قطعة واحدةٍ سوىٰ ما عنده من بقية المراكب الملفَّقة..

وبكيش زروع وكروم وأبقار وأغنام، وبها مغائص اللؤلؤ الجيد.

قلتُ: وهذه الجزيرة هي المسماة الآن بقيس.

وذكر الشريف[٤]: أنَّه في ساحل هذا البحر الفارسيّ في ساحله الغربي قريب مدينة مسقط مغائص اللؤلؤ في /٣٢٨/ قريتين[٥] هناك قرب الجبل الغائص في البحر.

قال[٦]: إنَّه يظهر منه القليل في بعض الأماكن ويغيب في بعضها فتفرغ المراكب دونه ليخفّ عند جواره حتىٰ لا ترسب بالنقل في الماء فيجلس أو تدق بشعبه فتُكسّر وتنقل الأمتعة في البرّ حتىٰ تتجاوز موضعه ثم توسق، وكذلك ما وقع في البحر الفارسي من الجزر في أوّله عند مخرجه من البحر الهندي جزيرة ثارة[٧].

ثم يمرُّ هذا الإقليم آخذاً في البر والبحر ببلاد السند والهند بأطراف كرمان في جنوبها وما جاوره من بسيط البرّ مُدن السند.

المنصورة ـ وهي المسماة بالهندية باميران[٨]، والبلتان ـ وهو الملتان ـ والنيرون[٩]، وبانية، وأتري[١٠]، وسدوسان[١١].

والجندور، ومنجابري[١٢]، وبسهد[١٣].

---

(١) في الاصل: المسفيات. (٢) نزهة المشتاق ص١٥٧.
(٣) (كتاب آجار) مضروب عليه في الاصل، والخبر في نزهة المشتاق ص١٥٧.
(٤) نزهة المشتاق ص١٦٢.
(٥) هما كما في نزهة المشتاق: الخيل وجلفار.
(٦) نزهة المشتاق ص١٦٢.
(٧) في الاصل (مارة) وصححت على نزهة المشتاق ص١٦٧.
(٨) في الاصل: (ياهومان)، وصححت على النزهة ص١٦٩ وانظر صورة الارض ص٢٧٦.
(٩) في الاصل: البيرون، وصححت عن النزهة ص١٦٨.
(١٠) بانية وأتري، كتبت في الاصل بحروف مهملة، وضبطت على نزهة المشتاق ص١٦٩.
(١١) في الاصل: سدوشان، وصححت على النزهة ص١٦٦ و ١٦٩.
(١٢) في الاصل (هيجاوي) وصححت على النزهة ص١٧٠.
(١٣) في الاصل (سهك) وصححت على النزهة ص١٧٠، وعن بسمند انظر: صورة الارض ص٢٧٩.

والمنصورة[١] مدينة كبيرة جليلة بناها أبو جعفر المنصور. وكانت الملوك القرشيون بالسند تسكنها؛ وبناؤها بالآجر واللبن والجصّ، ويحيط نهر مهران بها ويفسَّح من ظاهرها، وبها خلق كثير مياسير لها ماشية كثيرة، وليس بها من الفواكه إلاّ قصب السُكّر، ونوع من الثمر علىٰ قدر التفَّاح يسمّىٰ الييوية شديدة الحمض، وفاكهة أخرىٰ تشبه الخوخ ويقاربه في الطعم يسمّىٰ الانبج، وتُجلب إليها الفواكه.

ومدينة الملتان[٢] القديمة مدينة كبيرة جليلة، من أقدم مدن السند وأظهرها ذكراً في الآفاق، تجاورُ حدود الهند، وكان قبل الإسلام بيت بُدٍّ مُعظَّم عندهم، ولها حصن منيع له أربعة أبواب وبخارجها خندق محفورٌ، ونعمها كثيرةٌ وأسعارها رَخيصةٌ؛ ولأهلها أموالٌ طائلة.

ولمّا فتحها محمد بن يوسف الثقفيّ ـ أخو الحجاج ـ أصاب بها أربعين بُهاراً من الذهب ـ والبُهار ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون منًّا ـ وجدها كلها في بيتٍ فسميت /٣٢٩/ فرخ بيت الذهب؛ والفرخ البهار.

وللملتان نهرٌ صغيرٌ تدور عليه أرجاؤها، وتسقىٰ مزارعها، ثم يصبُّ في نهر مهران السند.

وقد نقل الملك المؤيد ـ صاحب حماة ـ[٣]: أنها من الرابع.

وسأذكر ذلك عند مملكة الهند ـ إن شاء الله تعالى ـ ونقلته أيضاً عن غيره ولم أستثبتْ ما أجزم به.

وأمّا مدينة النيرون[٤] فلها حصن حصين وقليل أشجار وأهلها مياسير.

وأمَّا مدينة بانية[٥] فهي صغيرة كثيرة النعم رخيصة الأسعار وأهلها أهل رفاهية.

وبقية مدن السند من هذه النسبة ـ والذي ذكرناه أعيانها ـ ومدينة قالري[٦] علىٰ نهر مهران وهي محتفة بالأشجار محصَّنة محاسنها. ظاهرة وخيراتها وافرة.

---

(١) نزهة المشتاق ص١٦٩، وانظر: معجم البلدان ٥/ ٢١١ وصورة الارض ص٢٧٧.

(٢) في الاصل (سهك) وصححت علىٰ النزهة ص١٧٠.

(٣) في كتابه تقويم البلدان ص٣٥٠.

(٤) في الاصل: البيرون، وصححت على نزهة المشتاق ص١٦٨.

(٥) نزهة المشتاق ص١٧٠ وانظر صورة الارض ص٢٧٩.

(٦) في الاصل (فاكري) وصححت علىٰ النزهة ص١٧١، وفيه أنها مدينة على شط مهران وفي غربيه، وهي مدينة حسنة حصينة محاسنها ظاهرة وانظر: صورة الارض ص٢٧٩ وفيه أنها على شرقي مهران.

وإقليم مكران[١] وبه مدن عامرة بالناس والتّجار، ومن مدنه مدينة به[٢]، ومدينة بند[٣]، ومدينة قصر قند[٤]، ومدينة أصقفة[٥]، ومدينة فلفهرة[٦]، ومدينة مشكي[٧]، ومدينة التيز[٨]، ومدينة البلين[٩]، وأكبر مدنها مدينة كيز[١٠]؛ وهي تقارب الملتان في مقدارها، وبها نخيل كثير، ومزارع متصلة، وأسعار موافقة، وتجارات كثيرة، وبلادها خير من بلاد أعمالها.

وقال الشريف[١١]: وكل هذه بلاد متصلة، ونواحٍ متسعة عريضة، والغالب عليها القحط.

وإقليم الطويران[١٢] وهو مما يلي كرمان، وهو وادٍ به مياه جارية وقرى ومزارع ممتدة، وفي أرضه قوم رحّالة ما بين حدود الطوبران، ومكران، والملتان ومدن المنصورة؛ وهم كالبادية. لهم أخصاص وآجام يأوون إليها، وبطائح مياه يعيشون فيها؛ وهي في غربي نهر مهران، ولهم إبل فارهة حسنة، وبها ينتج القارح؛ وهي إبل يرغب فيها أهل خراسان /٣٣٠/ وغيرهم من أهل فارس وأشباهها لنتاج البخت البلخيَّة والنوق السمرقندية لخلقها الحسن ذوات السنامين.

ومدينة مامهل[١٣] وقوم يحسبونها من السند؛ وهي علىٰ رأس مفازة بينها وبين كنباية لا تسلك، وفي أطرافها قوم رحّالة يعرفون بالمند ينتجعون أطراف هذه المغازة لسوائمهم من الإبل والغنم.

---

(١) نزهة المشتاق ص١٧٤ وانظر صورة الارض ص٢٨١ ومعجم البلدان ٥/ ١٧٩.
(٢) نزهة المشتاق ص١٧٢ وصورة الارض ص٢٨١.
(٣) نزهة المشتاق ص١٧٢ وصورة الارض ص٢٨١.
(٤) كتبت بحروف مهملة، وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢ وصورة الارض ص٢٨١.
(٥) في الاصل (أضعفة) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢.
(٦) في الاصل (فلهفرة)، وصححت علىٰ النزهة ص١٧٢ وفي صورة الارض ص٢٨١ (فهلفهرة).
(٧) في الاصل (مسكن) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢ وفي صورة الارض ص٢٨١: (ماسكي).
(٨) في الاصل (النير) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢ وصورة الارض ص٢٨١.
(٩) في الاصل (البلبا) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢.
(١٠) كتبت في الاصل بحروف مهملة، وضبطت على نزهة المشتاق ص١٧٢ وصورة الارض ص٢٨١.
(١١) نزهة المشتاق ص١٧٥ ومثله في صورة الارض ص٢٨١.
(١٢) نزهة المشتاق ص١٧٥، وفي صورة الارض ص٢٨٠: (طوران).
(١٣) في الاصل (مامه) وصوبت على نزهة المشتاق ص١٨١.

ومدينة الرور[1] هي أم أعمال، حفيلة، عامرة الأسواق، نافقة التجارات، وأهلها في رفاهية وخفض عيش.

وشروسان[2] ومدينتها هذه جليلة المقدار كثيرة العيون والنهار، أسعارها رخية ونعمها ممكنة، ولإبلها كفاف مال، والقاصد إليها كثير.

ومدينة منجابري[3] ـ وهي أم أعمال ـ وهي في وطأةٍ من الأرض حسنة البناء، فسيحة الأرجاء، ولها مزارع وبها جنّات.

ومدينة الحور[4] وهي مدينة صغيرة عامرة.

وإقليم الراهون وإقليم كلوان[5] وبهما زروع كثيرة ومكاسب جليلة وثمارها قليلة، وإنّما عمدة أهلها علىٰ المواشي من الأبقار والأغنام.

ومدينة أرمابيل[6] وهي مدينة كبيرة وبها عمارة ضخمة وحدائق ومتنزهات وأهلها مياسير.

ومدينة قنبلي[7] وهي تماثلها في القدر واتساع المال والحال، وهي علىٰ البحر، ويشرب أهلها من عيون وآبار.

ومدينة دزك[8] وهي مدينة جليلة كبيرة بها تجارات كثيرة وبضائع كافية وأقاليم متصلة، وفي جنوبيها جبل الملح، وما سميَّ بهذا إلاَّ لأنَّ أكثر مياهه ملح، وبه عمارات وقرىٰ وأعمال.

ومدينة راسك[9] وهي قاعدة جليلة ولها إقليمان؛ أحدهما الخروج، والثاني كيركايان[10] ـ يعرف بابيل ـ[11] / ٣٣١/ وبها وببلادها زروع كثيرة وقصب سكر كثير

---

(١) في الاصل (الدور) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٠.

(٢) في الاصل (شروشان) صححت علىٰ النزهة ص١٧١.

(٣) نزهة المشتاق ص١٧٢.

(٤) في الاصل (الخزر) انظر نزهة المشتاق ص١٧٢.

(٥) الراهون وكلوان، انظر نزهة المشتاق ص١٧٣.

(٦) نزهة المشتاق ص١٧٣ وصورة الارض ص٢٨١.

(٧) نزهة المشتاق ص١٧٣، وانظر صورة الارض ص٢٨١.

(٨) في الاصل (درك) وصححت علىٰ النزهة ص١٧٤.

(٩) في الاصل (راشك) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٢.

(١٠) في الاصل (كريكايان) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٧٥.

(١١) (يعرف بابيل) ليست في النزهة.

جداً، ويعمل بها السُكّر والفانيذ ويحمل إلىٰ البلاد.

وإقليم قصران[١] وهو إقليم جليل، ذو أعمال، فيها قصب سُكر كثير يعمل منه السكر والفانيذ.

ثم مدينة الديبل[٢] مدينة جليلة أكثر بنائها بالطين والجبس، وهي جدبة الأرض، قليلة الخصب، قليلة النبات لا نخل بها ولا شجر؛ وإنّما سكنها أهلها؛ لأنها فُرضَة السند، وهي مدخلها إلىٰ الهند.

وبلاد البدهة[٣] وأمها قنادبيل ولها غلاّت وزروع وكروم مثمرة، وأحوال واسعة، وخصب وابل، وبقر وغنم، وأهلها أملياء مياسير.

ومدينة كنباية[٤] وهي علىٰ ثلاثة أميال من البحر، وهي فرضة بها الخط والإقلاع وإليها تجلب البضائع والتجارات من كل الآفاق تدخل إليها المراكب من خورٍ ترسي به وملؤها كبير، ولها حصن منيع بنته ولاة الهند لمّا تغلَّب عليها صاحب كيش، وينبت بها الزرع والرز، وبها نارجيل وقسط، وينبت في جبالها القنا الهندي.

ومدينة سوبارة[٥] وهي مدينة كبيرة متحضرة عامرة، كثيرة المساكن، ولها تجارات ومرافق وهي فرضة من فرض البحر، وبها مغائص اللؤلؤ.

ومدينة سندان[٦] وبينها وبين البحر ميل ونصف وهي مدينة متحضَّرة آهلة، وسكانها أهل حذق ونبالة، وهم تجّار مياسّير، ولها جزيرة قبالتها واسعة القطر كثيرة الزرع والنخل والنارجيل، وبها ينبت القنا والخيزران.

ومدينة صيمور[٧] وهي مدينة كبيرة جليلة المباني، واسعة الأقطار، وبها نارجيل وقنا، وبجبالها / ٣٣٢/ نبات العطر المحمول إلىٰ الآفاق، ولها جزيرة تسمَّىٰ ملي[٨] علىٰ خمسة أميال، وهي جزيرة كبيرة حسنة البقاع قليلة الجبال كثيرة النبات، وينبت بها شجر الفلفل؛ وهو نبات له ساق أشبه شيء بساق العريش، وورقه طويل لا

---

(١) نزهة المشتاق ص١٧٤.

(٢) نزهة المشتاق ص١٦٧.

(٣) في الاصل (الفدهة) وصححت على نزهة المشتاق ص١٧٩.

(٤) نزهة المشتاق ص١٨١.

(٥) نزهة المشتاق ص١٨١ وصورة الارض ص٢٧٦.

(٦) نزهة المشتاق ص١٨٢.

(٧) نزهة المشتاق ص١٨٢ وانظر عن صيمور: صورة الارض ص٢٧٧.

(٨) في الاصل (قلي) صححت علىٰ النزهة ص١٨٢.

تشريف له، وله عناقيد وعلىٰ كلّ عنقود ورقة تكنُّه من المطر كما حنت أم علىٰ ولد فإذا بلغ يجنىٰ، والفلفل الأبيض هو ما كان منه في أول بلوغه.

وحكىٰ ابن خرداذبة[1]: أنَّ هذه العناقيد إذا كان المطر انحنت ورقاتها عليها فأكنتها من المطر، فإذا ارتفع المطر ارتفع الورق ثم لا تعاودها إلاّ في حين المطر فسبحان الخلاّق العليم المدبر الحكيم.

وبلاد سوبارة وهي جليلة المقدار.

وبلاد بلهرا[2] وهي مملكة عظيمة وبلاد واسعة كثيرة التجارات، جزيلة الخيرات، وجَبَايَتها وافرة، وأموالها مُقنطرة.

ومدينة بروج[3] وهي مدينة كبيرة جليلة جميلة، حسنة البناء، بناؤها بالآجر والجصّ ولأهلها همم عالية، وأحوال وافرة، وأموال وتجارات معروفة.

قال الشريف[4]: وهم وقف علىٰ التجوّل والاغتراب وكثرة الأسفار؛ وهي فرضة من جاء من الصين، ومن[5] جاء من الهند، ومن جاء من السند.

وجناول، ودوقلة[6]، وأساول وهي ثلاثة مدن صغار.

ومدينة نهروارة[7] وهي ملك عظيم، ذات نعم جمّة وأموال ضخمة، وجيوش وعساكر وفيلة وخيل. وهي وما جاورها لا يسافر بينها إلاّ علىٰ العَجَل يحمل عليها أمتعتهم وتجرُّها البقر حيث شاؤا؛ ولكلٍّ عجلة سائق وقائد.

وحكىٰ الشريف[8] عمّا كانت عليه أبّهة الملوك بها في عهده حين ألَّف / ٣٣٣/ كتاب أجّار، ثم قال: وإذا مات الملك يُوضَعُ علىٰ عجلة عريضة ارتفاعها عن الأرض مقدار شبرين في قبَّة مكلَّلة، ويبسط كفّه وينادىٰ عليه بكلام معناه: «أيها الناس هذا ملككم فلان ابن فلان، عاش في ملكه فارحاً قاراً كذا وكذا سنة، وها هو قد مات

---

(١) نقل المؤلف كلام ابن خرداذبة على نزهة المشتاق ص١٨٣، وانظر المسالك والممالك ص٦٢.

(٢) في الاصل (بلبرا) ويريد ببلاد بلهرا بلدة صيمور. قال الادريسي: وصيمور بلدة من بلاد الملك المسمى بلهرا، وملكهُ عظيم وبلاده واسعة...الخ.

(٣) نزهة المشتاق ص١٨٧.

(٤) نزهة المشتاق ص١٨٧.

(٥) في النزهة: وفرضة لمن جاء من السند.

(٦) في الاصل (داوبه) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٨٧.

(٧) نزهة المشتاق ص١٨٨.

(٨) نزهة المشتاق ص١٨٩.

وفتح يده بما معه لا يملك من ملكه شيئاً، لا يدفع عن جسمه أذىً ففكروا فيما أنتم صائرون، وإليه راجعون». فإذا فرغوا من الطواف به أخرجوه إلىٰ المكان الذي تحرق به موتاهم فأحرقوه.

ومدينة تانة[١] وهي مدينة جليلة علىٰ خور كبير تدخله السفن؛ وينبت بأرضها وجبالها القنا، وتتخذ من أصولها الطباشير، وتحمل إلىٰ المشارق والمغارب.

ومدينة فندرينة[٢] وهي علىٰ خور يأتي من ناحية مينبار يحط به ركائبُ التجار وعليها جبل كثير القرىٰ بالابل والمواشي، وينبت به القاقلة ويحمل إلىٰ الآفاق، ونباته أشبه شي بالشهدانج، وله مراود وفيه بزرها.

ومدينة جرباتن[٣] وهي مدينة عامرة علىٰ خور صغير، وبها أرز كثيرة، وحبوب كثيرة.

ومرنديب[٤] وينبت بها شجر الفلفل.

وميدنة صبخى، ومدينة كلسكار[٥] وهما متقاربتان علىٰ البحر.

ومدينة كلكيان[٦]، ومدينة اللولوا[٧] ومدينة كنسجة؛ والثلاثة صغار متقاربات وبها أرز وحنطة وفواكه كثيرة ونارجيل، وينبت بها بقم كثير، ونباته يشبه الدفلى.

ومدينة شمندر[٨] على خوز يصل إليها من قشعير، وإليها الإقلاع والحطّ، وهي واسعة المتاجر كثيرة المنافع؛ ولأهلها منافع جمّة، وعليها زروع مخصبة، ويحمل إليها العود من مدينة كارموت وبينهما خمسة / ٣٣٤/ عشر يوماً للسفن في نهرها.

ولسمندر هذه جزيرة كبيرة وبينهما ساعة، وهي جزيرة عامرة بالناس والتّجار من كل الآفاق.

---

(١) في الاصل (نانة) وصححت علىٰ النزهة ص١٩١.
(٢) نزهة المشتاق ص١٩١.
(٣) في الاصل جرجرين، وانظر نزهة المشتاق ص١٩٢.
(٤) نزهة المشتاق ص١٩٢ وفيه: ويذكر أن منها (أي جرباتن) ميرة سرنديب وينبت بجبالها شجر الفلفل كثيراً. وكذلك ورد في ابن خرداذبة ص٦٣.
(٥) في الاصل (كسكا) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٩٢.
(٦) في الاصل (كليكان) صححت علىٰ النزهة ص١٩٢.
(٧) في الاصل (اللؤلؤ) صححت علىٰ النزهة ص١٩٢.
(٨) نزهة المشتاق ص١٩٢ وانظر ابن خرداذية ص٦٣.

ومدينة قشمير[1] الداخلة علىٰ نهر يُمدُّ علىٰ نهر الطيب، ويقال له هناك: مسلّىٰ ينبت عليه أنواع الطيب وبهذا سُمّي.

ومدينة قشمير الخارجة وهي تجاوز الترك الخرلخية.

قلت: وأهل القشميرين إلىٰ يومنا هذا كفّار وهم سحرة لا يطاق سحرهم، ويحكىٰ منه العجب العجيب وليس هذا موضع ذكره.

ومدينة أطراسا[2] علىٰ نهر يسمّىٰ عندهم جنجس[3] وهي عظيمة المباني كثيرة الماء تتاخم كابل، وهي دار ملك كبير، وجيش عديد.

ومدينة نياست[4] وهي علىٰ النهر المذكور، وهي عامرة كثيرة الساكن، وبها حنطة وأرز وحبوب كثيرة.

ومدينة ماديار[5] وهي واسعة العمارات كثيرة القرىٰ والمزروع والتجارات ولإهلها أموال طائله.

ومدينة مالوه[6] وهي مدينة حسنة قاعدة ملك كثيرة الصادر والوارد، ولها مدن وأعمال، ومن مدنها مدينة دده، ومدينة تنه، ومدينة لهاور، ومدينة موريدس[7]، وهذه موربودش ذات حصن حصين، وكُلّ هذه بلاد عامرة آهلة.

ومدينة مالوه[8] التي هي قاعدتها في حضيض جيل صعب الصعود، ينبت به القنا والخيزران، ولها أموال وجبايات وجيوش جائشة، وجنود جائلة.

ومدينة القندهار[9] وهي كبيرة القطر كبيرة الخلق وأهلها يتركون لحاهم حتىٰ تطول ويبلغ بعضها رُكبهم، وهي عراض كثيرة الشعر.

قال الشريف[10] والمثل يضرب بها وزيّهم زي الأتراك، وبها الحنطة والأرز والحبوب والأبقار /٣٣٥/ والأغنام.

ومدينة كابل[11] وهي تجاور طخارستان، وهي قاعدة ملك كبير، وسلطان

---

(١) نزهة المشتاق ص١٩٣.
(٢) نزهة المشتاق ص١٩٤.
(٣) في الاصل (جنجين).
(٤) في الاصل (ناست) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٩٤.
(٥) زهة المشتاق ص١٩٤.
(٦) نزهة المشتاق ص١٩٤.
(٧) في الاصل (موربودش) وصححت على نزهة المشتاق ص١٩٥.
(٨) ما أورده المؤلف هنا في وصف (مالوه) ذكره الادريسي في وصف موريدس، انظر ص١٩٥.
(٩) نزهة المشتاق ص١٩٥ وعن قندهار انظر: تقويم البلدان ص٣٥٦.
(١٠) نزهة المشتاق ص١٩٥.
(١١) نزهة المشتاق ص١٩٥، وانظر تقويم البلدان ص٤٦٨.

جليل، ولها بلاد وأعمال ومضافات، وقاعدتها مدينة كابل جليلة المقدار حسنة الأبنية، وبجبالها منابت العود، وبها الاهليلج[١] المعروف بها، وينبت بها الزعفران بريًّا وغرساً، ويحمل منه إلىٰ ما جاورها من البلاد، ويزرع بها النيلج الذي لا يوجد مثله كثرة وطيباً؛ وهي من غرر البلاد وأطيبها هواءً وماءً ولها حصن معروف بالحصانة لا يصعد إليه إلاّ من طريق واحدٍ في جبالها معدن الحديد النافع.

ومن مدنها: أرزلان[٢]، وخواش[٣]، وخبر[٤]، وحسك[٥]، ولمطة[٦]، وزويلة[٧]؛ وكلُّها متقاربة المقادير، وبها نعم وافرة.

ومدينة أوريسين[٨] وهي مدينة صغيرة علىٰ الساحل؛ وإنّما المذكور جزيرتها عظيمة المقدار، كثيرة الجبال والأشجار، وبها فيلة كثيرة يصاد بها ويتجهز بأنيابها، قيل: تصاد بحفائر مثل صيد الأسود، وقيل: بل يعمدون الأشجار التي تأوي إليها الفيلة إذا أرادت النوم لعجزها عن افتراش الأرض، وربما يستند واحد منها إلىٰ شجرة ويستند إليه آخر ويستند إلى الآخر آخر؛ لأنَّ الفيلة لا تمشي إلاّ قطارات فيقطعونها ويتركونها مستهلكة، فإذا أوت إليها نقل بعضها علىٰ بعض فسقطت الأشجار فيباكرها الصياد ويضربها بالخشب إلىٰ أن تموت، ويأخذ أنيابها.

وقال الشريف[٩] في كتاب آجار[١٠]؛ وأخْبَر غير واحدٍ: أنَّ النابين الكبيرين من الفيلة يكون في وزن الاثنين ستة عشر قنطاراً وما قاربها. ويقال: إنّها لا تلد إلاّ في الماء الراكد فإذا سقط أولادها في الماء تُسارع إليه فتقيمه /٣٣٦/ علىٰ سوقها وتُديم دفعها إلىٰ أن تخف وتستدرجها شيئاً إلىٰ [أن] يكمُل خلقها؛ فتبارك الله الخلاَّق العليم.

قال: ولا ندري فيما خلق الله من البهائم ذوات الأربع أفهم من الفيل، ولا أقبل منه للتعليم، ومن خواصه أنَّه لا ينظر في عورة الإنسان.

---

(١) في الاصل (الابليلج) والاهليلج، وله أسماء أخرى، وهو أنواع أشهره الكابلي، وهو ثمر بحجم الاجاصة، وهو الاجاص عند أهل الأندلس. انظر: تكملة المعاجم العربية ١/ ٢٠٧.

(٢) في الاصل (أزلان) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص١٩٧.

(٣) في الاصل (خواس).

(٤) في الاصل (خير).

(٥) في الاصل (جسك).

(٦) في الاصل (كلنطة) وصححت على نزهة المشتاق ص١٩٧.

(٧) في الاصل (وائلة) وصححت على نزهة المشتاق ص١٩٧.

(٨) في الاصل (أربيسين) وصححت على نزهة المشتاق ص١٩٩.

(٩) نزهة المشتاق ص٢٠١.

(١٠) (في كتاب آجار) ضرب عليها في الاصل.

وإذ انجرَّ بنا الحديث إلىٰ نهاية هذا نعود إلىٰ ذكر تلك الجزيرة فنقول: وبها معدن حديد، وينبت في أكثرها الراوند، وإنما الذي يجلب من بلاد الصين أفضل، وينبت بها شجر علىٰ صفة الخروع كثير الشَّوك البارز المانع من لمسه يُدبّر منه سُمّ ساعة.

ومدينة لوقين[1] وهي مدينة حسنة علىٰ صفة خور عذب تدخله المراكب وهذه آخر حدّ بحر الهند من الشرق.

وفي شمالي لوقين وشرقيها مدن منها طريفيوقن[2] وهي مدينة صغيرة عامرة آهلة، ومدينة أطراغا[3] وهي مدينة كبيرة وبها خصب كثير، ولها جيوش كثيرة وسلاح وهي آخر حدّ بلاد الهند الواقعة في البرّ من جهة الشرق من ماكلّهُ في البر.

ولم نذكر من الجزر إلاّ ما هو لمدينة في البرّ علىٰ الساحل فذكرناها معه وسنتبع ما ذكرناهُ من مدن الهند الواقعة من هذا الإقليم في البر بما وقع له من الجزر في البحر لنصل بعض بلادها ببعض ولا نفصل بينها، ولا نذكر إلاّ المشهور علىٰ ما شرطناه، ثم إذا تكامل ذكرنا ما في مشاريقه من بلاد الصين إلىٰ البحر المحيط من تمام خطّ الإقليم، والذي وقع في هذا الإقليم من الجزائر الهندية؛ فمن ذلك: جزيرة كولم[4] وهي جزيرة كبيرة القدر، شائعة الذكر، فسيحة الأرجاء، كثيرة النعم والأرزاق والتجارات.

/ ٣٣٧/ وجزيرة أوبكين[5]، وجزيرة سمنكو[6]، وجزيرة ملي[7]، وجزيرة بليق[8] ـ وبها فلفل كثير ـ[9] وجزيرة سندان[10]؛ وهي جزيرة عامرة كبيرة بها نارجيل وموز وأرزّ، وبها يُعمل الطرز الفائق ويحمل إلىٰ بلاده، وجزيرة سناسا[11].

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٠٢.
(٢) في الاصل (طريقود) وصححت علىٰ النزهة ص٢٠٣.
(٣) نزهة المشتاق ص٢٠٨.
(٤) كولم: هي كيلون الآن إلى الجنوب من قالقوط، انظر تجارة المحيط الهندي ص٣٠٣.
(٥) في الاصل (أوزكير) وصححت على نزهة المشتاق ص١٦٧.
(٦) كذا وردت في الاصل، ولم أجد ما يشبهها رسماً في النزهة.
(٧) في الاصل (ملق) وصححت على نزهة المشتاق، انظر ص١٨٢.
(٨) نزهة المشتاق ص١٩٠.
(٩) نسب الادريسي الفلفل الكثير إلى جزيرة ملي، قال: (وبجزيرة ملي ينبت شجر الفلفل ولا يكون إلا بها أو بفندرينة أو بجرباتن، ولا يوجد من شيء إلا بهذه البلاد الثلاثة) وانظر كذلك ابن خرداذبة ص٦٢.
(١٠) نزهة المشتاق ص١٩٠ وعن سندان انظر: ابن خرداذبة ص٦٢ وتقويم البلدان ٣٥٨.
(١١) في الاصل (سياسيا) وصححت علىٰ النزهة ص١٩٩.

وفي جميع هذه الجزر أفاويه ومتاجر ومكاسب جليلة وما خصصناهُ فيها بذكر شيء فهو من باب التنويه بالذكر وإلاّ فكلها ذات خير كثير ورزق جليل.

ثم إنا نذكر ما وقع عليه هذا الإقليم الثاني في الصين برًّا وبحراً؛ فأمّا ما وقع عليه البرّ فهو مدينة قطيفورا[١] علىٰ البحر الصيني؛ وهي أوّل مدينةٍ تقع عليه من مغاريب الصين، ولها متاجر ومكاسب.

ومدينة كاشفرا[٢] وهي مدينة علىٰ نهرٍ صغير يأتي إليها من الشمال من جبل قطيفورا؛ وهي كثيرة الخيرات مشتملة علىٰ البركات، وفيها متاجر وبضائع وأسفار منجحة، وفي جبلها معدن فضة طيبة فائقة سهلة التخليص من الخبث.

ومدينة خيغون[٣] وهي مدينة عامرة علىٰ نهر يأتي إليها من نهر خمدان، وبها تجارات كثيرة، وفي أرضها دواب المسك والزباد.

ومدينة أسقيريا[٤] وهي علىٰ نهر خمدان؛ وهي عامرة آهلة، ولها قرى وأعمال، وكان بها مجتمع أموال الصين وجباياته، ثم يحمل إلىٰ الملك.

ومدينة باجه[٥] وكانت قاعدة عظيمىٰ لملوكهم، وكان ملكها في قديم الزمان لا ينظر بعين الوقار حتىٰ تكون له مائة زوجة بمهورٍ.

ومدينة شزخو[٦]، ومدينة بشهيار[٧] وكلاهما ذات خيرات وأعمال.

ومدينة قاشا[٨]، ومدينة شارخيا[٩] وهما علىٰ نهر خمدان؛ وهو نهر عظيم /٣٣٨/ جداً يكاد يكون بحراً زاخراً لا نسبة للنيل ولا جيحون إليه.

حكىٰ لي الشريف جلال الدين السمرقندي: أنه يكون قدر النيل خمسين مرَّة أو أزيد، وهو أكثر منه صفاءً، وأحلىٰ ماءً لا يكادُ يشبهه شيء من أنهار الدنيا ولا يحكيه ولا يماثله ولا يدانيه.

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٠٣.

(٢) نزهة المشتاق ص٢٠٣، وانظر الروض المعطار ص٤٨٩ وعليه كاشفر، وقاشفر.

(٣) نزهة المشتاق ص٢٠٣، وانظر عن خيغون: الروض المعطار ص٢٢٨.

(٤) نزهة المشتاق ص٢٠٥، وعن اسفيريا انظر الروض المعطار ص٥٨.

(٥) نزهة المشتاق ص٢١٢، وعن باجة انظر: الروض المعطار ص٧٥.

(٦) في الاصل: شرخو، وصححت على نزهة المشتاق ص٢١٣.

(٧) نزهة المشتاق ص٢١٣.

(٨) نزهة المشتاق ص٢١٣.

(٩) في الاصل بحروف مهملة، وضبطت علىٰ النزهة ص٢١٣.

وحكىٰ الشريف[١]: أنَّ بهذا النهر شجرة عظيمة باسقة يقال لها حديد، وتسمّىٰ بالهندي برشول، وطولها من فوق وجه الماء نحو من عشرة أذرع في غلظ ذراع وكسر، وفي رأسها ثلاث شعب غلاظ مستوية محدودة يقعد عندها رجل يقرأ كتاباً، ويقول للنهر: يا عظيم البركة، وسبيل الجنّة أنت الذي خرجت من يمين الجنة، ودللت الناس عليها فطوبىٰ لمن صعد هذه الشجرة، وألقىٰ بنفسه علىٰ هذا العود فيندب لذلك واحد ممن حوله أو أعدّه فيصعدون إلىٰ الشجرة ويلقون أنفسهم علىٰ العود فيسقطون في النهر، ويموتون والحاضرون هناك من الناس يقولون: طوبىٰ لهم المسير إلىٰ الجنة واللذة الدائمة.

ومدينة طوخا[٢] علىٰ نهر كله المادّ لنهر خمدان[٣]، وهي مدينة عامرة بالناس، وفيها تجار وبضائع وذخائر، ويصنع بها قماش فائق له قيمة وافرة يسمّىٰ الطرخية وبها ثياب مطرّفة كالعتابي، وثياب مريشة، يطول[٤] بقاء الثوب.

ومدينة بورا[٥] وهي كثيرة الخلق والتجارات متصلة القرىٰ والعمارات، وبها حنطة وأرز ومقل شهي الأكل.

ومدينة إسفيرا[٦] وهي علىٰ نهر ماءٍ هناك يسمّىٰ بهنك[٧].

ومدينة أطراغن[٨] وهي علىٰ بحيرة ماءٍ كبيرة عذبة لا يوجد لوسطها قعر، وهي البحيرة التي تقدّمت الإشارة إليها، وبها سمك / ٣٣٩/ يفعل فعل السقنقور[٩] في الإنعاظ وتقوية الباه.

ومدينة قرنابود[١٠] وهي مدينة عامرة في سفح جبل يتاخم الأتراك الخرلخية، ويجري عليها نهر صغير يصبّ في نهر كلهي[١١].

---

(١) نزهة المشتاق ص٢١٣، وفيه: وحكى صاحب كتاب العجائب.
(٢) في الاصل: طرخا وصححت علىٰ النزهة ص٢٠٦.
(٣) كذا في الاصل، وفي النزهة: على نهر كلهي الصيني.. الكبير.
(٤) في النزهة: يعمر الثوب منها.
(٥) نزهة المشتاق ص٢٠٦.
(٦) في الاصل (اسفرا) وصححت علىٰ النزهة ص٢٠٧، وانظر الروض المعطار ص٥٧.
(٧) في الاصل (نهيك)، وفي النزهة: على نهر يمدّ نهر نهيك.
(٨) نزهة المشتاق ص٢٠٧، وانظر الروض المعطار ص٢٨ وتقرأ فيه أيضاً: أطراغي.
(٩) في النزهة (الإسقنقور).
(١٠) نزهة المشتاق ص٢٠٧.
(١١) في الاصل (كله) وصحح على نزهة المشتاق ص٢٠٧.

ومدينة قاقلا(١) وهي على ضفَّة نهر صغير يصبُّ في نهر بهنك(٢) الهند، وبها حرير كثير، ويعمل بها ثياب قاقلية تنسب إليها.

ومدينة سوسة(٣) الصين وهي مدينة كبيرة مشهورة جامعة على شرقي نهر خمدان كثيرة التجارات والخير، وأموال أهلها كثيرة ومتاجرهم مباركة، وبها يصنع أجود ما يكون من الغضار الصيني، وطرز فائق محكم الصنعة.

ومدينة سعلا(٤) وهي مدينة كبيرة متحضرة يوافق(٥) ما يُعمل بها من القماش والأمتعة يُعمل بها الغضار الصيني والطرز الفائق.

ومدينة طوغما(٦) وهي مدينة كبيرة عامرة لكن لا حصن لأهلها، وبها بضائع جليلة يتجهز منها بأصناف التجارات وأظنُّها المسماة الآن بطغماج.

ومدينة انسخنوا(٧) وهي علىٰ بطحاء أرض ممتدّة لا ينبت بها شيء إلاّ الزعفران برياً وزرعاً، ومنه يتجهَّز إلىٰ أقطار الصين، ويُعمل بها الغضار الصيني والثياب الفائقة.

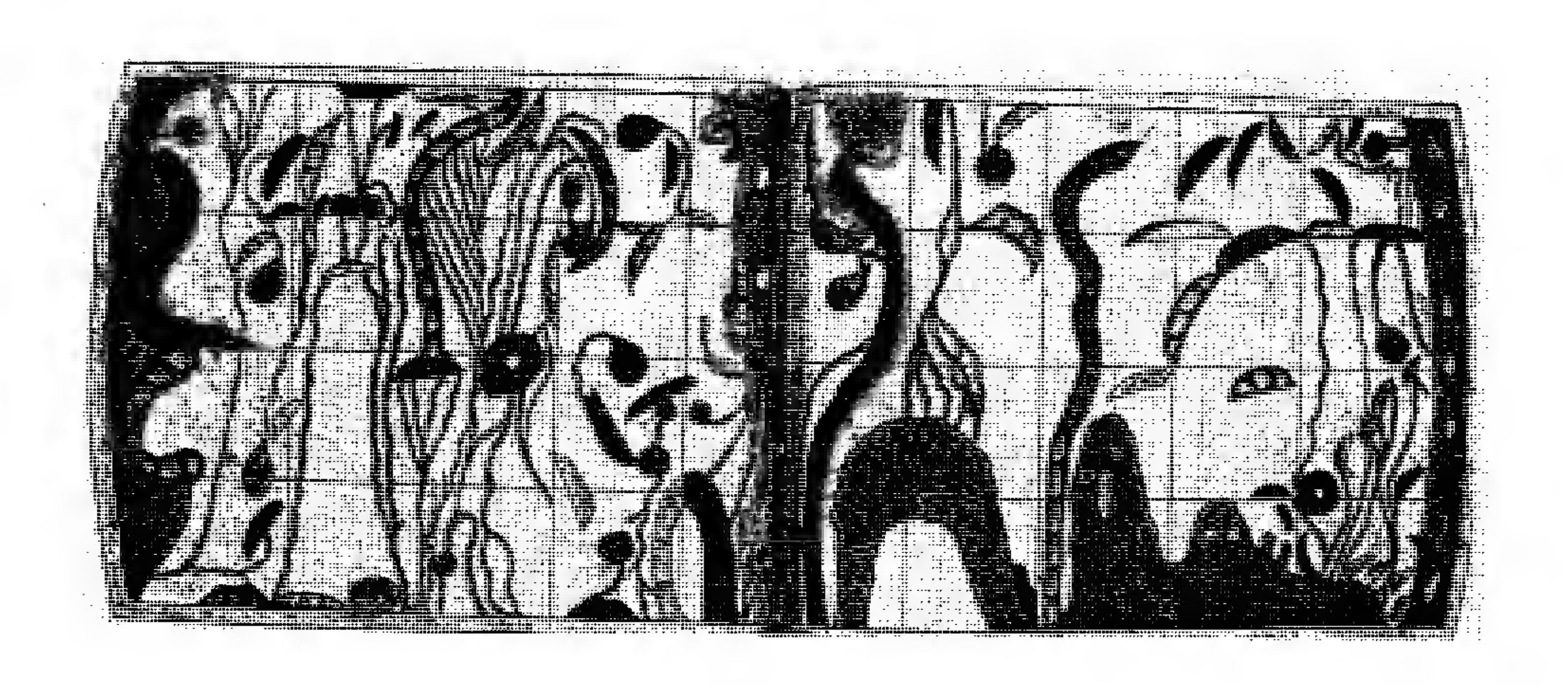
ومدينة صينية الصين. قال الشريف في كتاب أجار(٨): ولا يعدلها مدينة في الكبر وكثرة العمارة، وسعة التجارات والبضائع، واجتماع التجّار إليها من الأقطار، وهي نهاية مدن البرّ بالصين الواقعة في هذا الإقليم في الشرق إلىٰ البحر المحيط.

وأمّا ما وقع به من الجزائر - في البحر الصيني - فهي جزيرة السبارة(٩)، وجزيرة النمنج(١٠) وكلاهما ذات متاجرٍ /٣٤٠/ مربحة، وسفائر منجحة.

ثم الجزائر الخالدات الشرقية بالبحر المحيط، وبتمامه تمَّ الإقليم الثاني، ولله الحمد والمنَّة.

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٠٧.
(٢) في الاصل (نهيك).
(٣) نزهة المشتاق ص٢١٠، وعن سوسة انظر: الروض المعطار ص٣٣١.
(٤) نزهة المشتاق ص٢١١.
(٥) كذا في الاصل، والنص في نزهة المشتاق ص٢١١: وإليها مقصد التجار من كل الأقطار المجاورة لها والمتباعدة عنها بضروب البضائع ونوافق الامتعة.
(٦) نزهة المشتاق ص٢١١.
(٧) في الاصل (اسنجو) وصححت على نزهة المشتاق ص٢١١ وانظر الروض المعطار ص٥٧.
(٨) وفي كتاب (أجار) ضرب عليها في الاصل.
(٩) في الاصل (الشارة) وصححت على نزهة المشتاق ص٢١٠.
(١٠) في الاصل (الفتح) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص٢١٠.



وهذه صورة الإقليم الثالث

وهو الآخذ مع الإقليم الثاني علىٰ شماله من البحر المحيط بأقصىٰ الغرب إلىٰ البحر المحيط بأقصىٰ الشرق.

الإقليم الثالث

وأما الذي وقع في هذا الإقليم الثالث من المدن والجزائر العامرة مما وقع في البحر الشامي والبحر الفارسي، وما اتَّصل به البحر المحيط في الغرب والشرق سنذكره.

وأوّل ما نبدأ من الغرب علىٰ حكم خط الأقاليم نبدأ بالبحر المحيط ـ كما ذكره الشريف ـ فمن ذلك:

جزيرة ساوة[١] قريب البحر المظلم الغربي، يقال إنَّ ذا القرنين نزلها قبل أن تدخلها الظَلَمة وبات بها، وكانوا يرمون بالحجارة، وأوذي بذلك جماعة من أصحابه.

وجزيرة السعالي[٢] فيها خلق كخلق النساء لهم أنياب بادية، وعيونهم كالبرق، وسوقهم كالخشب[٣] يتكلمون بكلام لا يُفهم، ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منه والنساء إلاّ بالذكور والفروج لا غير، ورجالهم لا لحىٰ لهم ولباسهم ورق الشجر.

ومنها جزيرة حسران[٤] وهي أرضٌ واسعة، وفيها جبل عالٍ في سفحه ناس سُمرٌ قصار لهم لحىٰ تبلغ ركبهم، ووجوههم عراض، ولهم آذان كبار وطعامهم وعيشهم مما تنبت الأرض هناك من الحشيش، وموافق النبات مثل ما تأكله البهائم، وعندهم نهر صغير عذب يجري من تحت الجبل.

وفيه جزيرة الغور[٥] وهي كبيرة الطول والعرض كثيرة الأعشاب والنبات، وفيها أنهار وغدران وآجام يأوي إليها حُمْر وبقر لها قرون طوال جدّاً.

وفيه جزيرة المستشكين[٦] يذكر إنّها جزيرة عامرة، فيها جبال وأنهار وأشجار وثمار وزروع، وعلىٰ المدينة حصن عالٍ.

وفيما يُحكىٰ من أمر الجزيرة: أنّه كان فيها فيما سلف من قبل عهد الإسكندر تنّين عظيم يبتلع كل /٣٤٦/ من مرَّ به من إنسانٍ أو ثورٍ أو حمار أو ما أشبههم بها، فيقال: إنَّ الإسكندر لما دخلها استغاث به أهلها، وشكوا إليه إضرار التنين بهم، وأنَّه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتىٰ إنَّهم جعلوا له ضريبة في كل يومين[٧] ثورين ينصبونهما بمقربةٍ من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما، ثم يعود إلىٰ موضعه، وكذلك يأتي من الغد،

---

(١) نزهة المشتاق ص٢١٧.
(٢) نزهة المشتاق ص٢١٧.
(٣) في النزهة: كالخشب المحرق.
(٤) نزهة المشتاق ص٢١٨.
(٥) نزهة المشتاق ص٢١٨.
(٦) نزهة المشتاق ص٢١٨.
(٧) في النزهة (يوم).

فيفعلون له ذلك، فقال لهم الإسكندر: يأتيكم هذا التنين من مكانٍ واحد أو من أمكنة كثيرة؟ قالوا: من مكان واحد، قال لهم: أروني مكانه، فانطلقوا به إلىٰ قرب من موضعه، ثم نصبوا به الثورين فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق، والنار تخرج من جوفه، فابتلع الثورين وعاد إلىٰ موضعه، فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين، وفي اليوم الثالث مثل ذلك فاشتدَّ جوعُهُ، فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسُلخا وحشي جلودهما زفتاً وكبريتاً وكلساً وزرنيخاً، وجعلهما في ذلك المكان المعلوم، فخرج التّنين إليهما على حسب عادته فابتلعهما ومضىٰ فاضطربت تلك الأشياء في جوفه فلما أحسَّ بإشعالهما، وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد ـ فذهب ليتقيأ ذلك من جوفه، فتشبكت الكلاليب في جوفه فخرَّ وأقعىٰ[١] وفتح فمه ليستروح فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد، وحملت علىٰ ألواح حديد، وقذفت في حلق التنين، فاشتعلت الأخلاط في جوفه فمات، وفرج الله ـ عزَّ وجل ـ عن أهل تلك الجزيرة. فشكروا الإسكندر عند ذلك وألطفوه، ووهبوه من طرائف ما /٣٤٧/ عندهم.

وكان فيما حملوه إليه من طرائف ما عندهم دابة في خلق الأرنب، يبرق شعرها في صفرة كما يبرق الذهب تسمّىٰ بفراج، وفي رأسه قرن واحد أسود، إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه.

وفي هذا البحر جزيرة قلهان فيها أمَّةٌ مثل خلق الناس إلاّ أنَّ رؤوسهم مثل رؤوس الدواب، يغوصون في البحر، ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها.

وفي هذا البحر أيضاً جزيرة الأخوين[٢] الساحرين اللذين يسمّىٰ أحدهما شرهام، والثاني شرام، ويقال: إنّهما كانا بهذه الجزيرة يقطعان علىٰ المراكب التي تمرُّ بهما ويُهلكان جميع أهلها، ويأخذان أموالهم فمسخ الله بهما لظلمهما، وبقيا حجرين على ضفَّة البحر قائمين.

ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس وهي تقابل مرسى أسفي[٣]، ويقال: إنَّ الصفا إذا عمَّ البحر ظهر دخانها من البر، وكان أخبر بذلك أحمد بن عمر ـ المعروف برقم الأوز ـ وكان

(١) في نزهة المشتاق: واقعاً.
(٢) نزهة المشتاق ص٢١٩.
(٣) انظر عن أسفي في تقويم البلدان ص١٣٠ والروض المعطار ص٥٧.

والياً لأمير المسلمين علي[1] بن يوسف بن تاشفين على جُملة من أسطوله، فعزم علىٰ الدخول إليها بما معه من المراكب، فأدركه قبل الدخول إليها الموت، ولم يبلغ أمله في ذلك.

ولهذه الجزيرة قصّة غريبة أخبر عنها المغرورون[2] من أهل مدينة أشبونة بالأندلس حين أسقطوا إليها بمركبهم، وكيف سمّيت أسفي بهم؛ وهي مرسىٰ. وحديثها طويل، وسيأتي في موضعه عند ذكر أشبونة ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ.

وفي هذا البحر جزيرة الغنم[3]، وهي جزيرة كبيرة محيطة بها، وفيها من الغنم ما لا يحصىٰ عدداً، وهي صغار، ولا يقدر أحد /٣٤٨/ أن يأكل لحومها لمرارتها، وقد أخبر بذلك أيضاً المغرورون.

قلتُ: وهؤلاء الغرورون هم طائفة غرَّروا بأنفسهم في التوغل في البحر، فقيل لهم: المغرورون لذلك.

ويليها جزيرة راقا[4] وهي جزيرة الطيور، ويقال: إنَّ فيها جنساً من الطير في خلق العقبان حمراً ذوات مخالب تصيد دواب البحر وتأكلها، ولا تبرح من هذه الجزيرة، ويقال: إنَّ فيها ثمراً يشبه التين الكبير، وأكله ينفع من جميع السموم!

وحكىٰ صاحب كتاب العجائب[5]: أنَّ ملكاً من ملوك إفرنجة أخبر بذلك فَوجَّه إليه بمركب مُعدٍّ ليجلب له من ذلك التمر، ويصاد له من تلك الطيور؛ لأنه كان له علم في دمائها ومرارتها، فتلف المركب الذي أنفذه، ولم يعد إليه.

ومنها جزيرة الشاصلند[6] طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرة أيام، وكان فيها ثلاث مدن صغار، وبها قوم يسكنونها، وكانت المراكب تجتاز بهم وتحطُّ عليهم وتشتري منهم العنبر والحجارة الملونة، فوقعت بين أهل تلك البلاد شرور وطلب بعضهم بعضاً

---

(١) علي بن يوسف بن تاشفين، صاحب مراكش، ولي بعد أبيه سنة ٥٠٠هـ وتلقب بأمير المسلمين، إلا أنه ضعف بعد هزيمته في إحدى المعارك فاستولى أمراء الاطراف على ما بأيديهم، وقنع بالاسم والخطبة، وكان زاهداً عابداً، ثم توثب عليه ابن تومرت فاستولى على بلاده، وتوفي سنة ٥٣٧هـ وعهد لابنه تاشفين الذي انتهت على يديه دولة أسرته.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٤١ وعيون التواريخ ١٢/ ٣٧٦ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٢ وشذرات الذهب ٤/ ١١٥.

(٢) سيتحدث عنهم المؤلف في هذا السفر، وانظر خبرهم في خريدة العجائب لابن الوردي ص١٩.

(٣) نزهة المشتاق ص٢٢٠.

(٤) نزهة المشتاق ص٢٢٠.

(٥) ينقل المؤلف كلام صاحب العجائب عن نزهة المشتاق ص٢٢٠.

(٦) كتبت في الاصل بحروف مهملة، وضبطت على النزهة ص٢٢٠.

حتىٰ فني أكثرهم، وانتقل جماعة منهم إلىٰ عدوة البحر من الأرض الكبيرة للروم[١].

وبها الآن من خلقها قوم كثير، وسنذكر هذه الجزيرة عند ذكرنا جزيرة إرلاندة[٢].

وفي هذا البحر جزيرة لاقة[٣]، ويقال: إنَّ فيها شجر العود كثير، ولكنَّه لا رائحة له فإذا أخرج عنها وحمل في البحر طابت رائحته، ولا يماثل الهندي ولا يدانيه؛ وهو في ذاته أسود رزين، وكان التجّار يقصدونها ويستخرجون العود منها، وكان يباع في أرض الغرب الأقصىٰ /٣٤٩/ من ملوكه بتلك الناحية.

ويُذكر أيضاً أنها كانت مسكونةٌ عَامرةٌ بالناس لكنَّها خرِبت وتغلَّبت الحيات علىٰ أرضها فلا يمكن الآن دخولها لهذا السبب.

وفي هذا البحر من الجزائر ـ علىٰ ما ذكره بطليموس الأقلودي ـ سبعة وعشرون ألف جزيرة ما بين عامرة وغامرة.

وإنما ذكرنا[٤] منها قليلاً من كثير مما قرب مكانها من البرّ، وواصلت العمارات، وأمّا غير ذلك فلا حاجة بنا إلىٰ ذكره هنا، ولم يتَّصل بنا حقيقة علمه، ولا تفصيل أمره.

وأيضاً إنَّ في هذا الإقليم من بلاد الصحراء نول لمطة[٥]، وتازكغت[٦]، وأغرنو[٧]، وفيه من بلاد السوس الأقصىٰ[٨] مدينة تارودنت[٩]، وتيويوين[١٠]، وتامامت[١١]، وهي بلاد السوس.

---

(١) في الاصل (الارض الكثيرة الروم) وضبطت على نزهة المشتاق.
والارض الكبيرة مصطلح جغرافي أندلسي يطلق على الأرض فيما وراء جبال البُرْت، وقد يشمل المنطقة التي خلف هذه الجبال حتى القسطنطينية كلها أو بعضها، انظر جغرافية الاندلس وأوربا هامش (١) ص٦٧.

(٢) في الاصل (إفلاندة) وصححت على نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٣) في الاصل (لانه) وصححت على نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٤) الحديث للادريسي، انظر نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٥) في الاصل (قول لمطة) صححت على نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٦) نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٧) نزهة المشتاق ص٢٢١.

(٨) السوس إقليم واسع خصب، يقع في جنوب مدينة مراكش وراء جبال الأطلس ويحده من الغرب المحط الأطلسي كما يتخلله من الشرق واد عظيم يسمى وادي سوس وينقسم هذا الاقليم إلى قسمين: السوس الاقصى وهو الجزء الممتد من جبال اطلس حتى رمال الصحراء جنوباً، والسوس الادنى ويقع في شمال السوس الاقصى ولم يتفق الجغرافيون على تحديد مكانه انظر نفاضة الجراب هامش ص٧١.

(٩) نزهة المشتاق ص٢٢١.

(١٠) نزهة المشتاق ص٢٢١.

(١١) في الاصل: (تامامت) وصححت على النزهة ص٢٢١.

وفيه من بلاد البربر سجلماسة[١]، ودرعة[٢]، وداي[٣]، وتادلة[٤]، وقلعة مهدي بن تواله[٥] وفاس ومكناسة وسلا[٦]؛ وهي أول بلد في الغرب على البحر المحيط، وسلا وسائر المراسي التي على البحر عظم.

ونحن نذكر من ذلك ما يليق ذكره وهو:

مدينة نول[٧]: وهي على نهر يأتي إليها من قبل المشرق وفيها تضع الدرق اللمطية التي لا شيء أحسن منها، والسروج واللجم وأقتاب الإبل والأكسية السفسارية والبرانس ذوات القيمة، ولأهلها الإبل والمعز والغنم.

ومن مدنها آزقي[٨]، وهذه تسمية بربرية ـ وهي بالعربية لزكى ـ وبها من بلاد مسوفة؛ وهي أول الصحراء بينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة.

قال الشريف[٩]: وقد أخبر بعض من دخل هذه المدينة: أنَّ النساء اللَّواتي لا أزواج لهنَّ بها إذا بلغت المرأة منهن أربعين سنة تصدَّقت بنفسها على من أرادها من الرجال، ولا تدفع عن نفسها، /٣٥٠/ ولا تمتنع ممن يريدها.

قال[١٠]: ومن أراد الدخول من بلاد المغرب إلى بلاد سلي[١١] وتكرور وغانسة من بلاد السودان فلا بُدَّ له من هذه المدينة.

ومدينة سجلماسة وهي من أجل المدن وأشهرها.

وأقول[١٢]: وأمّا مدينة سجلماسة فمدينة كبيرة، كثيرة العامر، وهي مقصد الوارد

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٢١ وانظر صورة الارض ص٩٠.
(٢) نزهة المشتاق ص٢٢١ ودرعة مدينة وولاية عادة في جنوب الحدب الأقصى وراء جبال أطلس الكبير وشرقي إقليم السوس، انظر نفاضة الجراب هامش الصفحة ٣١٩.
(٣) نزهة المشتاق ص٢٢١.
(٤) نزهة المشتاق ص٢٢١.
(٥) في الاصل (من تواله) صححت على النزهة ص٢٢١.
(٦) في الاصل (اسفى) وهو تحريف صحح على النزهة ص٢٢١، وسلا مدينة رومانية قديمة على ساحل المحيط الاطلسي بأقصى المغرب ويفصلها عن مدينة الرباط نهر أبو الرقراق، انظر: نفاضة الجراب هامش الصفحة ١٦٩.
(٧) نزهة المشتاق ص٢٢٤.
(٨) في الاصل: ازقا، وصححت على النزهة ص٢٢٤ وفيه: ومدينة آزقي ؟؟؟ أيضاً.
(٩) نزهة المشتاق ص٢٢٥.
(١٠) نزهة المشتاق ص٢٢٥.
(١١) في الاصل (مالي) وصححت على النزهة ص٢٢٥.
(١٢) الكلام للادريسي: انظر النزهة ص٢٢٥.

والصادر، كثيرة الخضر والجنات رائقة البقاء والجهات، ولا حصن عليها؛ وإنما هي قصور وديار وعمارات متّصلة علىٰ نهر لها كثير الماء يأتي إليها من جهة المشرق من الصحراء يزيد في الصيف كزيادة النيل، ويزدرع بمائه كما يزرع بلاد مصر، ولزراعته إصابة كثيرة معلومة وفي كثرة الأعوام الكثيرة المياه المتواترة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذرٍ، وفي الأكثر من السنين إذا فاض النهر عندهم، ثم رجع بذروا علىٰ تلك الأرضين زرعهم، ثم حصدوه عند تناهيه، وتركوا جذوره إلىٰ العام القادم فينبت ذلك من غير حاجة إلىٰ بذر زراعة.

وحكىٰ الحوْقلي[١]: أنَّ البذر بها يكون عاماً والحصاد فيه من كل سنةٍ إلىٰ تمام سبع سنين؛ ولكن تلك الحنطة التي تنبت من غير بذرٍ تَتَغيَّرُ عن حالها حتىٰ تكون بين الحنطة والشعير، وتسمَّىٰ هذه الحنطة يردن تيزواو ـ وهو باللغة البربرية ـ.

وبها نخلٌ كثيرٌ، وأنواع من التمر لا يشبه بعضه بعضاً، وفيها الرُّطب المسمّىٰ بالبرني؛ وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة، ونواها صغير في غاية الصغر.

ولأهل هذه المدينة غلاّت القطن، وغلاّت الكمُّون، والكراوياء، والحنّاء، ويتجهَّز منها إلىٰ سائر بلاد المغرب وغيرها.

/ ٣٥١/ وبناءاتها حسنةٌ، غير أنَّ المخالفين في زماننا[٢] قد أتوا علىٰ أكثرها هدماً وحرقاً.

وأهل سجلماسة يأكلون الحيوان المسمّىٰ بالحرذون، ويسمُّونه بلسان البربر إقزيم[٣]، ونساؤهم يستعملنه في السمن وخصب البدن؛ ولذلك هنَّ في غاية السمن وكثرة اللحم، وقلَّما يوجد من أهلها صحيح العينين بل أكثرهم عمش.

ودرعة[٤] وهي مدينة لا عليها سور ولا خندق؛ وإنّما هي قرىٰ متصلة ومزارع كثيرة كلُّها علىٰ نهر سجلماسة، ويزرع بها الحناء والكمُّون والكراوياء والنيلج، ويكبر نبات الحناء حتىٰ يكون كالشجر فيها يؤخذ بزره، ويجهَّز إلىٰ كل الجهات.

قال الشريف[٥]: ولا يوجد بزره إلاّ في هذا الإقليم فقط.

---

(١) ينقل المؤلف كلام ابن حوقل عن النزهة ص٢٢٥، وانظر صورة الارض ص٩٠.
(٢) الحديث للادريسي، نزهة المشتاق ص٢٢٦.
(٣) في الاصل (بواقرنم) وصحح عن النزهة.
(٤) نزهة المشتاق ص٢٢٦. (٥) نزهة المشتاق ص٢٢٧.

وبلاد السوس[١] وهي قرىً متَّصلَة ببعضها فواكه جليلة ويجود بها قصب السكر الفائق المثل، ويُعمل بها السكر، وفي نسائها جمال فائق.

ومدينة أغمات وريكة[٢] اسم المدينة أغمات ـ ووريكة اسم قبائل تنزلها. [وأغمات هي المكان الذي مات به المعتمد بن عبّاد[٣] ـ رحمه الله ـ][٤]. وهي علىٰ جبل درن؛ وهي دار ماء وأشجار وفواكه حسان وبجبلها تانملت الحصن المنيع القليل مثله في حصون الأرض، وعليه كان اعتماد ابن تومرت مهدي المغرب، وبه قبره في قُبَّة عالية لكنَّها غير مُزخرفة ولا مُزينة لما يقتضيه الناموس.

ومُرَّاكش وهي قاعدة ملك جليل؛ وإنما هي اليوم تَبَعٌ لمملكة فاس وسيأتي ذكرها مفصَّلاً في مملكة برِّ العدوة.

وهي مدينة محدثة ذات وادٍ كبير وعيون جارية، يدور عليها الارحاء، وتكثر بها الثمرات.

وأسفى وسلا[٥] وهما ذوات خَصْب؛ وبلاد فواكه وقصَب سكر وافر، ومكناسة /٣٥٢/ الزيتون[٦] وهي مدينة حصينة جداً، ذات مياه وفواكه كثيرة.

ومما وقع في هذا الإقليم من المشاهير؛ مدينة باغاي[٧] وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، ولها ربض عليها سور، وبها أسواق، ولها وادٍ يجري إليها ماؤه ويزرع عليه.

وقفصَة[٨] وهي مدينة حسنة عليها سور، وبها عين خرّارة بداخلها منها سقيها، وأسواق عامرة وزروع ومتاجر كثيرة.

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٢٧، وقد مضى التعريف بها.

(٢) نزهة المشتاق ص٢٢٦ وانظر صورة الارض ص٩٠.

(٣) المعتمد بن عباد، أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله، اللخمي، من ملوك الطوائف بالاندلس ملك قرطبة واشبيليه وما والاهما من جزيرة الاندلس، واحسّ بطمع الاذفونش، فاستنصر عليه أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين، فخرج يوسف بن تاشفين والتقى مع الافرنج بمعركة زلاقة المشهورة وانتصر انتصاراً ساحقاً، إلا أنه طمع بدول الطوائف فأخذها وأسر المعتمد وحبسه بأغمات إلى أن مات ٤٨٨هـ، وكان أديباً شاعراً محسناً.
ترجمته في: وفيات الاعيان ٥/ ٢١، والذخيرة (القسم الثالث) ص١٤، وقلائد العقيان ص٤٠، والبيان المغرب ٣/ ٢٥٧، والوافي ٣/ ١٨٣.

(٤) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٥) نزهة المشتاق ص٢٧٩.

(٦) نزهة المشتاق ص٢٤٤.

(٧) نزهة المشتاق ص٢٧٦.

(٨) نزهة المشتاق ص٢٧٧، عن قفصة انظر الاستبصار ص١٥٠.

ومدينة القيروان وكانت قاعدة ملك جليل وسلطان كبير، وهي الآن أم بلاد ذات ماءٍ جارٍ وزرع وضرع وخيرات حسان.

ومدينة نفطة[١] وهي مدينة صغيرة محضّرة، آهلة بأسواق وتجارات، وبها مياه جارية، وفواكه كثيرة ونخل وزيتون.

وتورز[٢] وبلاد الجريد عامة.

وقابس[٣] وهي مدينة جليلة عامرة ذات مرسىٰ علىٰ البحر الشامي، حفَّت بها جنات ملتفة، وحدائق مصطفة، وفواكه عامة رخيصة وزيتون.

وقصر سجّة وهي مدينة محضَّرة.

ومدينة سفاقس[٤] وهي مدينة قديمة عليها سور ذات أسواق كثيرة وعمارات شاملة، وشُرب أهلها من مواجل، وبها تجائر مريحة، وتجلب إليها الفواكه.

ومدينة المهدية[٥] بناها عبد الله المهدي الفاطمي، ولها سور منيع، ولها بابان من حديد، لفق بعضه علىٰ بعض، ولا خشب فيهما، وليس يعرف مثلهما.

والمهدية مدينتان أحداهما المهدية، والثانية زويلة، وهي من قرص البحر الشامي، وإليها الإقلاع والخط، وبها مبان جليلة، وشرب أهلها من مواجل فيها تجائر مريحة.

قال الشريف[٦]: وأهلها يدفنون موتاهم بالمنستير، ودفن به؛ لأنها موصوفة عندهم /٣٥٣/ بالبركة.

ومدينة تونس[٧] وهي قاعدة ملك جليل، وسيأتي ذكرها عند ذكر مملكة إفريقية مفصَّلاً، وقال الشريف: إنها كانت تسمى قديماً ترشش.

ومدينة بنزرت[٨]، ومدينة طبرقة[٩]، ومدينة باجة[١٠]، ومدينة بونة[١١]، ومدينة

---

(١) نزهة المشتاق ص٢٧٨.

(٢) نزهة المشتاق ص٢٧٧، وعن تورز انظر الاستبصار ص١٥٦.

(٣) نزهة المشتاق ص٢٧٩.

(٤) نزهة المشتاق ص٢٨٠.

(٥) نزهة المشتاق ص٢٨١، وانظر: تقويم البلدان ص١٤٤ ومعجم البلدان ٥/ ٢٢٩.

(٦) نزهة المشتاق ص٢٨٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٢٨٤، وانظر تقويم البلدان ص١٤٢.

(٨) انظر نزهة المشتاق ص٢٨٨ والروض المعطار ص١٠٤.

(٩) نزهة المشتاق ص٢٨٩ والروض المعطار ص٣٨٦.

(١٠) انظر عنها: نزهة المشتاق ص٢٩١ وتقويم البلدان ص١٤٠.

(١١) نزهة المشتاق ص١٩١ وتقويم البلدان ص١٤٠ والروض المعطار ص١١٥.

الأربس[١] وبها معدن الحديد، ومدينة آبة[٢] وبها زعفران جيد، ومدينة تادميت[٣] وتسمىٰ مرماجنة[٤]، ومدينة مجانة[٥].

وقد وقع في هذا الإقليم معظم العدوة وإفريقية مما يلي الصحراء وسواحل البحر الشامي، وبلاد برقة، وقطعة من الديار المصرية ـ من الفيوم إلىٰ آخر الديار المصرية ـ ووقع بها من بلادها الفسطاط والقاهرة.

وشهرة مصر تُغني في عظمها عن الوصف؛ دار خلافة، وقاعدة سلطنة، وسيأتي ذكرها مفصلاً.

ومن مدنها الواقعة علىٰ البحر الشامي؛ ثغر الإسكندرية[٦]، ورشيد[٧]، وفوّة[٨]، ودمياط[٩].

وقطعة كبيرة من الشام ممتدّة علىٰ ساحل البحر الشامي وما والاه آخذاً في الجنوب. وأوّله في مغاربه من المدن غزّة ثم عسقلان؛ وهي الآن خراب سوى مشهد الحسين (عليه السلام) بناه أمير الجيوش المستنصري؛ ثم عكا الواقعة الآن قبالتها صفد ـ هي عوضها لخراب عكا في وقتنا ـ وصُور، وصيدا، وبيروت، وجُبيل، وطرابلس.

فأمّا أنطرطوس، وبلنياس، وجبلة، والسويدية فرضة أنطاكية، وأنطاكية ففي الرابع؛ وسيأتي ذكر ذلك.

ووقع كلّما هو من غزّة إلىٰ صيدا من المدن مثل القدس الشريف، وبلد الخليل ـ عليه السلام ـ ونابلس، والرملة بين هذا البحر الشامي وبين بحر / ٣٥٤/ القلزم فيما يقال: إنَّ هناك مجمع البحرين، ثم ينقطعُ هناك بحر القلزم وفيما يقال إن مجمع البحرين ثم ينقطع هناك بحر القلزم ويتسع عرض الشام به.

وأمّا دمشق وقد كانت دار خلافة ثم قاعدة ملك؛ وهي الآن علىٰ ذلك، وسيأتي ذكرها عند مملكة مصر والشام مفصّلاً، ومن مدنها بعلبك، وحمص وإليها انتهىٰ ما وقع في هذا الإقليم من الشام.

---

(١) نزهة المشتاق ص١٩٢ وانظر معجم البلدان ١/ ١٣٦.

(٢) نزهة المشتاق ص٢٩٢.

(٣) نزهة المشتاق ص٢٩٢.

(٤) في الاصل (مرماجية) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص٢٩٢ وانظر معجم البلدان ٥/ ١٠٩.

(٥) نزهة المشتاق ص٢٩٣ ومعجم البلدان ص٥/ ٥٦.

(٦) نزهة المشتاق ص٣١٩ وانظر معجم البلدان ١/ ١٨٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٣٤٣ ومعجم البلدان ٣/ ٤٥.

(٨) نزهة المشتاق ص٣٤٢ وانظر عن فوة معجم البلدان ٤/ ٢٨٠ وتقويم البلدان ص١٠٦.

(٩) نزهة المشتاق ص٣٣٨ وفيه: (ذمياط) وتقويم البلدان ص١١٦ والروض المعطار ص٢٥٧.

وزعم كثير أنَّ بعلبكّ وحمص مع ما يليهما إلىٰ ضفّة البحر الشامي من الرابع، والصحيح ما ذكرناه آنفاً.

ومن هذا الإقليم في الجنوب علىٰ أطراف الحجاز إلىٰ وادي القُرىٰ وامتدَّ شرقاً علىٰ بلاد البحرين وقاعدتها القطيف ثم الأحساء.

وتقع الأحساء قبالة أوال[(١)] بلاد القرامطة، والقطيف[(٢)] أكبر من الأحساء علىٰ ضفَّة البحر الشامي.

ومن مدن البحرين بيشة[(٣)] والزارة[(٤)] والخط[(٥)]؛ المنسوب إليها الرماح الخطية، وليست بها ولكنها كانت تجلب إليها وتعمل با وتبلغ عند العرب وتنسب إليها.

ثم تأخذ معه شرقاً علىٰ مدينة «فيد»[(٦)] وهي من مدن البادية، ومدينة القادسية[(٧)] وهي مدينة صغيرة ذات ماءٍ عذب ونخل بها الرطبة، وتتخذ قُوتاً يتزوّد الحجاج منه علوفةً لإبلهم.

وتأخذ قطعة من العراق غلاّت كثيرة ونخيل لا يبارى في كثرته وطيب ثمرته؛ ومن ذلك مدينة الكوفة[(٨)] وهي إسلامية بناها سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وهي ذات أبنية حسنة وأسواق عامرة وضياع ومزارع.

وعلىٰ ستة أميالٍ منها مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يقال: إنَّ به قبره الكريم في قبّةٍ بناها أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان[(٩)].

وشهرة هذا المسجد وما / ٣٥٥/ فيه وكثرة زوّاره، ومن يأتيه، وعظيم ما يظهر من آثار بركاته، وأخبار أوقاته أشهر من أن تذكر، وأجل من أن تنكر.

ومدينتا واسط[(١٠)] علىٰ جانبي دجلة، وبينهما جسر من السفن تمرُّ عليها المارّة، وتسمّىٰ الغربية كسكر بانيها الحجاج بن يوسف، وتسمّى الشرقية واسط العراق.

---

(١) في الاصل (أوائل) صححت علىٰ النزهة٣٨٦ وانظر عنها ص٣٨٧ منها.

(٢) نزهة المشتاق ص٣٨٦.

(٣) في الاصل (قيشة) صححت علىٰ النزهة٣٨٦.

(٤) في الاصل (الزرارة) وصححت علىٰ النزهة٣٨٦.

(٥) في الاصل (الخطا) وصححت علىٰ النزهة٣٨٦.

(٦) نزهة المشتاق ص٣٨٠.

(٧) نزهة المشتاق ص٣٨١.

(٨) نزهة المشتاق ص٣٨١ وانظر عن تمصير الكوفة: فتوح البلدان ص٢٧٤.

(٩) ما بعده لم يرد في نزهة المشتاق.

(١٠) نزهة المشتاق ص٣٨٢ وانظر صورة الارض ص٢١٤.

ومدينة البصرة[١] تكاد تُعدّ قاعدة لعظمها، ويقال: إنَّ بها ألف نهر يجري.

قال صاحب كتاب «أشكال الأرض»[٢]، ونخيلها متصل من عبداسي[٣] إلىٰ عبّادان نحو خمسين فرسخاً.

وذكر بعض المؤلفين[٤]: أنَّ أنهار البصرة عُدَّت فكانت مائة ألف وعشرين ألف نهر يجري في أكثرها الزواريق.

وبها قبر طلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ـ، وفي المربد بها قبر أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ وهي إسلامية بناها عتبة بن غزوان.

وكان بها زمن الرشيد أربعة آلاف نهر، مخرج علىٰ كل نهر منها في كل يوم دينار ودرهم وقوصَرَّة تمر.

وللبصرة مدن مضافة إليها وهي: (عبادان، وثلجان، والأبلة، والمشان، ومطارا)[٥] وأكثرها المشان، ومنها الحريري ـ مؤلّف المقامات ـ.

ومدينة الأبلة[٦] أحد متنزهات الدنيا، وعبادان وهو حصن صغير علىٰ مصبّ دجلة في البحر الفارسي.

وبلاد خوزستان وقاعدتها مدينة الأهواز[٧] وتعرف بهرموزشهر[٨]؛ والأهواز فسيح الأرجاء، صحيح الهواء، كثير الماء، كبير الفناء.

ومدينة الأهوازية[٩] مدينة حسنة، وأهلها مياسير، وفي طباعهم الشرّ والتنافس.

وعسكر مكرم[١٠] وبه العقارب المشهورة. وجنديسابور[١١]، والسوس[١٢]، ورام

---

(١) نزهة المشتاق ص٣٨٣.

(٢) يريد به كتاب (صورة الارض) لأبي القاسم بن حوقل، انظر ص٢١٢ منه.

(٣) كتبت في الاصل بحروف مهملة وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص٢١٢.

(٤) صورة الارض ص٢١٢.

(٥) كذا في الاصل: ولم يذكر في نزهة المشتاق غير (الابلّة والمفتح والمذار) وكذلك في صورة الارض ص٢١٤ قال: ولها من المدن عبادان والابلّة والمفتح والمذار. فلعل ما ذكره المؤلف تحريف عن هذه الاسماء.

(٦) نزهة المشتاق ص٣٨٤ وصورة الارض ص٢١٢.

(٧) نزهة المشتاق ص٣٩٤.

(٨) في الاصل (بهرمزكهر) وصححت عن نزهة المشتاق ص٣٩٢.

(٩) كذا في الاصل، وفي النزهة وغيرها (الاهواز).

(١٠) نزهة المشتاق ص٣٩٥ والروض المعطار ص٤٢٠.

(١١) نزهة المشتاق ص٣٩٦ والروض المعطار ص١٧٣.

(١٢) نزهة المشتاق ص٣٩٤ و ٣٩٦ والروض المعطار ص٣٢٩ وفيه: يسمىٰ أيضاً الشوش، وهو اسمها الحالي.

هرمز، والطيب[١]، وما سامت ذلك من بلاد /٣٥٦/ العراق وبلاد أرجان.

وقطعة من بلاد أرّجان في غاية الطيب من حساب قومس وهي ذات زرع وخصب ونخيل وكروم وفواكه عامة وجوز وزيتون، ويعصر بها الزيت ولكنه قليل.

وهي تأخذ علىٰ جنوب أرجان مما يلي خوزستان علىٰ نهر طاب[٢] قنطرة ينسب إلىٰ الديلمي ـ طبيب الحجاج ـ وهي طاق واحدة سعة ما بين عموديها علىٰ وجه الأرض ثمانون خطوة وارتفاعها ما يحمل ذلك.

ثم يأخذ من بلاد فارس ومنها شيراز[٣] وهي قاعدة ملك تنسب في أوّل الإسلام، وهي مدينة جليلة المقدار، حسنة النواحي، طولها نحو ثلاثة أميال في عرض مثلها، لا سور لها، بناؤها بالحجارة والجصّ والطين، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها مياسير.

ومدينة أصطخر[٤] وهي مدينة كبيرة جليلة أقدم مدن فارس، يقال: إنها بناء سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ وقد تقدّم ذكرها.

وهي ذات أسواق كبيرة ومتاجرة وافرة، وعليها نهر جارٍ، وهواؤها فاسد وخيم وبها تفاح عجيب يكون التفاحة الواحدة نصفها حلو صادق الحلاوة، ونصفها حامض صادق الحموضة.

ومدينة جور[٥] تقارب اصطخر في مقدارها، ولها سور من طين، ووراءه خندق.

ومدينة سابور ودارابجرد[٦] بناها سابور الملك ولها سور علىٰ جميعه خندق يتصل إليه مياه سقيها، وتنبع به عيون فيوجد به سمك[٧] لا شوك فيه ولا عظيم ولا له فقار، ولا عليه فلوس ـ وهو من ألذّ السمك طعماً ـ وهي طيبة الهواء كثيرة البساتين والجنات عذقة الفواكه، نزهة من جميع جهاتها يسير السائر بها بين قصور عالية

---

(١) نزهة المشتاق ص٣٩٧ وتقويم البلدان ٣٢٤.

(٢) نزهة المشتاق ص٤١٢ وانظر صورة الارض ص٢٢٥.

(٣) نزهة المشتاق ص٤٠٥ وانظر عن شيراز صورة الارض ص٤٦، وتقويم البلدان ٣٢٨.

(٤) نزهة المشتاق ص٤٠٦ وانظر عن اصطخر صورة الارض ص٢٣٧ و ٢٤٥ وتقويم البلدان ص٣٢٨.

(٥) نزهة المشتاق ص٤٠٦.

(٦) في الاصل (سابور) وكتبت دارابجرد في هامش الورقة
أما سابور فقد بناها سابور الملك كما جاء في معجم البلدان ٣/ ١٦٧، وفي النزهة ص٢٠٧ أن دارابجرد ابتناها دارا الملك ونسبها إلى نفسه. وتفسير بجرد بالعربية عمل وهي لفظة فارسية، وانظر عن دارابجرد: تقويم البلدان ص٣٣٠.

(٧) ورد ذكر هذا النوع من السمك في نزهة المشتاق أثناء الحديث عن دارابجرد.

ومتنزهات /٣٥٧/ مستقرَّة، ومنها تجلب المومياء إلىٰ الآفاق وهو بغارٍ في جبل ببعض بلادها.

وجور[١] وهي مدينة عليها سور وخندق وبها يستخرج ماء الورد وإليها ينسب الورد الجوري.

ومدينة فسا[٢] وهي واسعة الشوارع، شامخة البناء، وخشبها كثير وغالبها الصنوبر، وهي عامرة بالناس ولأهلها يسار.

ومدينة كازرون[٣] وهي مدينة حسنة لها سور وحصن وقلعة في داخلها، وبها أسواق ومتاجر وصناعات، ولها فواكه عامة كثيرة.

وعمل الورستان[٤] وبها خلق كثير وفواكه كثيرة ونعم، والرابحان[٥]، الشاهجان[٦]، وانبوران[٧]، والشادروذ[٨]، وخمايجان[٩] العليا والسفلى، وتيرمردان[١٠]. وكل هذه حصون ورساتيق، إن لم تكن مدناً لكنها ذوات أعمال وزرّاع وعمال.

ومدينة سيراف[١١] وهي علىٰ ساحل البحر الفارسي، وهي مدينة كبيرة، وبها تجار مياسير، ولأهلها ولع بكسبه واستجلابه، وهم أكثر عباد الله تغرُّباً في الآفاق حتىٰ إنَّ الرجل منهم ليتغرب عشرين سنة ولا يكترث بمن خلفه وهي فرضة فارس ومبانيها بالسّاج وهي طبقات مشتبكة البناء، كثيرة الأهل، ولأهلها همم في العمارة الجليلة

---

(١) نزهة المشتاق ص٤٠٦ وانظر عن جور: معجم البلدان ٢/ ١٨١ وتقويم البلدان ص٣٢٤ والروض المعطار ص١٨٠.

(٢) نزهة المشتاق ص٤٠٨، وانظر تقويم البلدان ص٣٣٠ ويسميها أيضاً (بسا) والروض المعطار ٤٤٢ صورة الارض ص٢٤٧.

(٣) نزهة المشتاق ص٤٠٩ وانظر عن كازرون: تقويم البلدان ص٣٢٤.

(٤) في الاصل (الورسان) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص٤٠٩.

(٥) في الاصل: (الراسمان) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٠٩ وانظر صورة الارض ص٢٣٨ وفيه: الزامجان.

(٦) في الاصل (السابيجان) وصححت علىٰ النزهة٤٠٩.

(٧) في الاصل (اليوكران) وصححت علىٰ النزهة٤٠٩.

(٨) في الاصل (الشاذروان) وصححت علىٰ النزهة٤٠٩.

(٩) في الاصل (جهاغان) وصححت علىٰ النزهة٤٠٩.

(١٠) كتبت في الاصل بحروف مهملة وصححت علىٰ النزهة٤٠٩.

(١١) نزهة المشتاق ص٤١٠ وانظر عن سيراف: تقويم البلدان ص٣٢٦ والروض المعطار ص٣٣٣، وصورة الارض ص٢٤٨.

بضروب التحصين والتحسين، ومياههم وفواكههم تصل إليهم من جبل مشرف عليهم مطلّ علىٰ البحر، وهي شديدة الحر، ولها مُدن وأعمال.

ومدينة ريشهر[١] وهي صغيرة عامرة ذات أعمال، ويصنع[٢] به ثياب كتان فاخرة، وكتانها هو المعروف بالسينيزي[٣] وهو من مدينة سينيز من أعمال ريشهر[٤].

قال الشريف[٥]: المجمع عليه بالقول العام أنّه ليس بجميع /٣٥٨/ أقطار الأرض كتان يعدله ولا يقارنه قوة وليناً.

وبلاد كرمان ومن مدنها أنار[٦]، والسيرجان[٧] ونرماشير[٨]، وجيرفت[٩]، يقال: إنَّ هرمز[١٠] كانت معدودة من بلادها، وهي الآن خارجة عنها بالاضافة داخلة معها في موقع الإقليم.

وبلاد كرمان دار ملك جليل وأعمال ورزقها جزيل، وتنسب إليها الوخامَة؛ وهي من أبواب الهند، وتتصل ببلاد فارس وكرمان من جانب المفازة العظمىٰ التي ليس في معمور الأرض مثلها، وهي من أقلّ المفاوز سكاناً؛ لأنَّ مفاوز البادية فيها أحياء العرب والمراعي، وليس في هذه المفازة غير أعلام الطريق وما يعرض في أطراف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة علىٰ سابلة الطريق.

وهي أكثر[١١] المفاوز لصوصاً وفساداً؛ لأنها ليست في حيّز إقليم بعينه فيكون دركها علىٰ أهل ذلك الإقليم؛ لأنها مبعّضة فبعضها من خراسان، وبعضها من سبحستان، وبعضها من كرمان، وبعضها من فارس أصبهان والري، وبعضها من قم وقاشان، فيقطع قاطع الطريق الطريق في عملٍ، ثم يخليه ويروح إلىٰ العمل الآخر فلا يقدر عليه.

---

(١) في الاصل (ذي شهر) وصححت علىٰ النزهة٤١٢.

(٢) ما يلي نسبه الادريسي إلى مدينة (سينيز) قال: ومنها مدينة سينيز وهي بقرب البحر وبها منبر وينسب إليها الكتان السينيزي (نزهة المشتاق ص٤١٢) فلعل كلمة سينيز سقطت من الاصل.

(٣) في الاصل (الشينير) وصححت علىٰ النزهة.

(٤) في الاصل (ذي شهر).

(٥) نزهة المشتاق ص٤١٢.

(٦) في الاصل (أماس) بحروف مهملة وضبطت على النزهة ص٤٣١.

(٧) نزهة المشتاق ص٤١٦ وانظر عن السيرجان ص٤٣٣ من النزهة.

(٨) انظر عن نرماشير: نزهة المشتاق ص٤٣٥.

(٩) نزهة المشتاق ص٤٣٣.

(١٠) انظر عن هرمز نزهة المشتاق ص٤٣٥.

(١١) عن نزهة المشتاق ص٤٤٢ بتصرف يسير.

وهذه المفازة لا تسلك بالخيل ولا بالجمال[١]، وإنما تقطع بالإبل المخفة علىٰ طريق معلومة ومياه معلومة من جاورها هلك. والقطاع تأوي إلىٰ جبل به اسمه كركس[٢] ليس بالكبير ولا بالطويل منقطع عن الجبال، والمفازة محيطة به، وبالجبل ماء يسمّىٰ آب بيده[٣]، وهو جبل موحش لا يكاد يظهر من توارى فيه.

وليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة سوىٰ سبيج[٤]، وهي من عمل كرمان في المفازة علىٰ طريق سجستان.

وفي المفازة علىٰ طريق أصبهان موضع يعرف بالجرمق /٣٥٩/ ، وهو ثلاث قرىٰ ويحيط بها المفازة[٥] الطريق[٦] المعروفة من هذه المفازة طريق أصفهان إلىٰ الري وهو أقربها، فمن الري إلىٰ دزّه[٧] مدينة فيها منبر ولها ماءٌ جارٍ في نهرٍ صغير علىٰ مرّحلة، وبين دزّة ودير الجص[٨]! رباط من جصٍّ وآجر يسكنه بَذْرَقَةُ السلطان؛ وهو منزلٌ ليس به زرع ولا شجرٌ، فيه بئر مالحة الماء غير شروب، وماؤهم من المطر يُدَّخَر في مأجَنين خارجين[٩] من هذا الدير، والمفازة تحيط به، وبين دير الجصّ إلىٰ كاج مرحلة.

وكاج كانت[١٠] قرية فخربت وماؤها من الأمطار في مآجن وآبارها مالحة، ومن

---

(١) كذا في الاصل، وعبارة الادريسي وهي المقصودة: يصعب سلوكها بالخيل وإنما تقطع منها طرق معلومة بالإبل دون الأحمال. وهما ـ الادريسي وابن فضل الله ـ يأخذان عن ابن حوقل، انظر: صورة الارض ص٣٤٠.

(٢) في نزهة المشتاق ص٤٤٢: كركس كوه.

(٣) في الاصل (آب ينده) وصحح على صورة الارض ص٣٤١، ولم يذكر الادريسي هذا الماء.

(٤) في الاصل (منبج) وهو تصحيف لكلمة سبيج وصححت عن صورة الارض ص٣٤١، وفي نزهة المشتاق ص٤٤٤
ولعلها (سبيج) قال: فمن شاء طريق سجستان سار من سبيج في المفازة إلى ديرن مرحلة من (ص٤٤٤).

(٥) في صورة الارض ص٣٤١ وعنه ينقل المؤلف: ويحيط بها من جميع نواحيها هذه المفازة.

(٦) صورة الارض ص٣٤١.

(٧) في الاصل (دره) وصححت على صورة الارض ص٤٥٢ وانظر نزهة المشتاق ص٤٥٢.

(٨) بعدها في صورة الارض ص٣٤٢: مفازة محاذية لكركس كويه وسياه كويه. ودير الجص رباط؟؟؟ ...
لعلّ العبارة سقطت أثناء النسخ.

(٩) في الاصل: مآجين خارجة، وصححت على صورة الارض ص٣٤٢.

(١٠) نقلاً عن صورة الارض ص٣٤٢ وانظر نزهة المشتاق ص٤٥٢.

كاج إلىٰ قم مرحلة، ومن قم إلىٰ قرية المجوس ـ وبها مجوس يسكنونها ولا يخالطهم غيرهم ـ مرحلة. ومنها إلىٰ قاسان[١] مرحلة في عمارة علىٰ جنب المفازة.

ومن قاسان إلىٰ حصن يعرف بدزّه[٢] مرحلتان؛ وهو حصن لأهله به زرع، ومن دزّه إلىٰ رباط [أبي][٣] علي بن رُستم مرحلة كبيرة، وبه ماء جار من قرية بالقرب منه إلىٰ حوض في الرباط، ومن هذا الرباط إلىٰ دانجي مرحلة، ومن دانجي ـ وهي قرية عامرة ـ إلىٰ أصفهان[٤] مرحلة خفيفة.

الطريق من نايين[٥] إلىٰ خراسان:

نايين من ناحية فارس؛ فمن نايين إلىٰ مزرعةٍ في المفازة مرحلة، ومنها إلىٰ جرمق[٦] أربع مراحل، وفي الطريق علىٰ كلّ فرسخين وثلاثة مصنع[٧] أو بركة ماء.

وجرمق[٨] هذه تعرف بسهده ـ يعني ثلاث قرى ـ[٩] وتعدُّ هذه القرية من خراسان، وبها نخيل وزروع ومواشٍ كثيرة، وفي الثلاثة[١٠] قرى نحو ألف رجل، وكلّها قرية واحدة[١١] في رأي العين، ومنها إلىٰ نوجاي [أربع مراحل][١٢] في كلّ /٣٦٠/ ثلاثة فراسخ أو أربعة جنبذة وبركة ماء.

ومن نوجاي إلىٰ رباط خوران مرحلة، ومن الرباط إلىٰ قرية تسمّىٰ أتشكهان مرحلة خفيفة، ومن أتَشْكهان إلىٰ طبس مرحلة.

---

(١) في الاصل (قاشان) وصححت على صورة الارض ص٣٤٢.
(٢) في الاصل (درّه) وصححت على صورة الارض ص٣٤٢.
(٣) التكملة عن صورة الارض ص٣٤٢ وعنه ينقل المؤلف ونزهة المشتاق ص٤٥٢.
(٤) في صورة الارض: ومن دانجي إلى أصفهان...
(٥) في الاصل (نانين) وصححت علىٰ النزهة٣٤٢.
(٦) في الاصل (جرمز) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٢.
(٧) في صورة الارض: جَنْبَذَة.
(٨) في الاصل (جرمز).
(٩) بعدها في صورة الارض: اسم احداهن بيادق، والاخرى جرمق، والثالثة أرابه.
(١٠) كذا والصواب (الثلاث).
(١١) في صورة الارض: وكلّها في رأي العين قريبة بعضها من بعض.
(١٢) التكملة عن صورة الارض ص٣٤٣.

ومن أراد من نوجاي إلىٰ دسكردان[١] مرحلة، ومن دسكران إلىٰ ترشيز[٢] مرحلة، ومن ترشيز إلىٰ نيسابور خمس مراحل.

وطريق يزد ونايين[٣] يجتمع بكري[٤]؛ وهي قرية فيها نحو ألف رجل ولها رستاق كبير.

وطريق زاور[٥]، وهي قرية من ناحية كرمان عامرة عليها حصنان وبها ماء جار فمنها إلىٰ مكان يُدعىٰ دركوجوى[٦]، وفيه ماء عين ضعيف المسيل [وليس هناك بناء][٧] مرحلة، ومنه إلىٰ شور دزواردة[٨] مرحلة.

وهناك رباط قد خُرّب فيه نخيل وليس به أحد، وهو مكان مخوف قلّما يخلو من الحرامية[٩]، ومنه إلىٰ دير يردان[١٠]، وهناك آبار وهو صحراء لا بناء فيه مرحلة، ومنه إلىٰ منزل فيه حوض يجتمع فيه ماء المطر مرحلة، ومنه إلىٰ نابَنْد[١١] وهو رباط وبه ماء يجري وزرع ونخيل ورحىً صغيرة علىٰ الماء مرحلة.

ويُسار من نابند ـ مرحلتان ـ[١٢] إلىٰ مكان يسمّىٰ ترشك، وبين كل فرسخين وثلاثة قباب وحياض وليس بها أحد.

ومـن ترشك إلىٰ خور[١٣] مرحلة، ومنها إلىٰ خوسب[١٤] مرحلتان، ومنها[١٥]

---

(١) في الاصل (دسكران) وصححت على صورة الارض ص٣٤٣.
(٢) في الاصل (بوشير) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٣، وفيه: ومن دسكردان إلى بن مرحلة كبيرة، ومن بن إلى ترشبز مرحلتان، ومن ترشبز إلى نيسابور خمس مراحل.
(٣) في صورة الارض: يزد وشور ونايين.
(٤) في الاصل (بكريين) وصححت علىٰ صورة الارض.
(٥) في الاصل (روز) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٣.
(٦) في الاصل (ديركوجري) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٣.
(٧) التكملة عن صورة الارض ص٣٤٣.
(٨) في الاصل (ستور دوواركه) وصححت علىٰ صورة الارض.
(٩) في صورة الارض (اللصوص).
(١٠) في الاصل (دير دان) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٤.
(١١) في الاصل (نانيد) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٤.
(١٢) كذا وفي صورة الارض (مرحلتين).
(١٣) في الاصل (خون) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٤.
(١٤) في الاصل (خرست) صححت على صورة الارض.
(١٥) أي ترشك، كما في صورة الارض.

إلىٰ كري[١] ثلاث مراحل.

والطريق من خبيص[٢]؛ وهي من حدود كرمان علىٰ شفير المفازة، وبها نخيل كثير، وهي مدينة خصيبة رخيصة الأسعار علىٰ مرّ الأوقات، وماؤها جار إلىٰ مكان يعرف بالدروازق مرحلة، وفيه أبنية ما مدّ البصر متهدمة، وبها تلال عظام تدلّ علىٰ أبنية كانت شاهقة فتكافأ[٣] بعضها علىٰ بعض.

ومنه إلىٰ مكان يسمّىٰ شورروذ[٤] مرحلة، ومنه إلىٰ بارسك / ٣٦١/ - جبل صغير - مرحلة، ومنه إلىٰ مكان يدعىٰ نيمه[٥] مرحلة، ومنه إلىٰ مكان يعرف بالحوض، وفيه حوض يجتمع فيه الماء يسقي زرعاً في رأس الماء[٦] ومن رأس الزرع إلىٰ كوكور قريه [على][٧] رأس المفازة، وهي من حدّ قوهستان مرحلة.

ومن كوكور إلىٰ خوسب[٨] مرحلتان، وفي مفازة خبيص[٩] علىٰ فرسخين من رأس الماء مما يلي خراسان حجارة سود صغار نحو أربع فراسخ.

ومن بارسك إلىٰ قبر الخارجي حصًى صغار بعضها في لون الكافور بياضاً، وبعضها أخضر في لون الزجاج.

وفي[١٠] مفازة شور، بين ماء شور وبين برّ، عن يمين الذاهب إلىٰ كرمان من خراسان علىٰ نحو فرسخين منها في صورة الفاكهة من اللوز والتفاح والكمثرى ونحوها من حجارة، وفيها صور تقارب صور الناس والأشجار وغير ذلك من حجار.

وطريق[١١] هذه المفازة علىٰ الترصيف فمن أصبهان إلىٰ الريّ طريق، ثم يليه طريق أردسان إلىٰ الطبسين[١٢] وفيه طريق قومس من أردستان يعدل نصف طريق

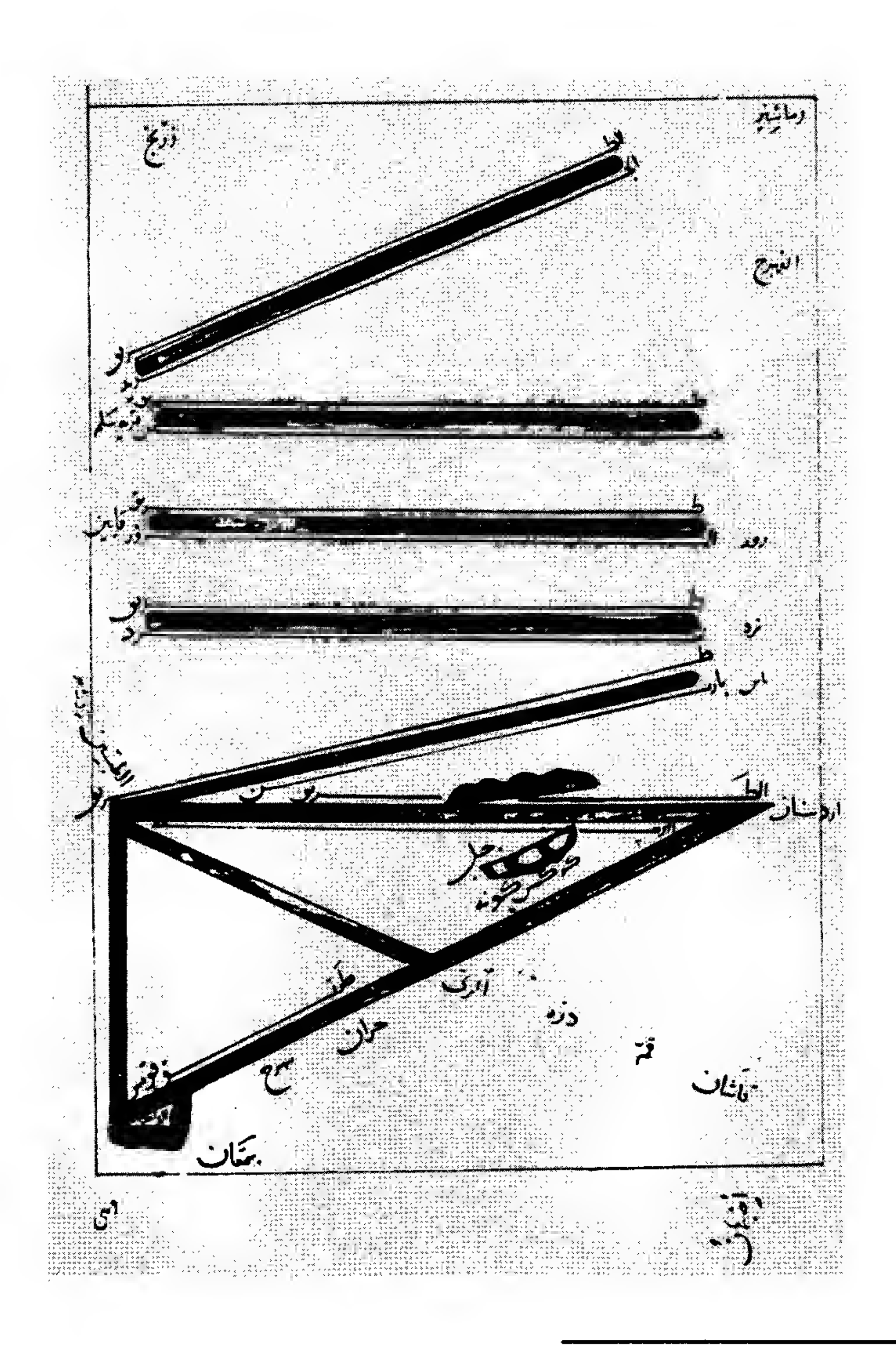
---

(١) في الاصل (كرين).
(٢) في الاصل (حيص) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٤.
(٣) في الاصل (يتكافي) وأثبتت ما في صورة الارض.
(٤) في الاصل (سورود) وصححت على صورة الارض ص٣٤٤.
(٥) غير مقروءة في الاصل، وضبطت علىٰ صورة الارض ص٣٤٤.
(٦) تبدو عبارة المؤلف مضطربة، وفي صورة الارض:
يجتمع فيه ماء المطر، ومنه إلى راس الماء مرحلتان، وفيه عين ماء يجتمع في حوض يسقي زرعاً.
(٧) الزيادة من صورة الارض.
(٨) في الاصل (حوشب) وصححت على صورة الارض ص٣٤٤.
(٩) في الاصل (حيص) وصححت على صورة الارض ص٣٤٤.
(١٠) صورة الارض ص٣٤٣.
(١١) نقلاً عن صورة الارض ص٣٤٦.
(١٢) في الاصل (الطيس) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٦.

الطبسين إلىٰ الدامغان، ويليه طريق نايين إلىٰ الطبسين إلىٰ خراسان، ويليه طريق يزد إلىٰ خراسان.

ثم يلي ذلك طريق خبيص[1]، ثم يلي ذلك الطريق الجديد، ثم يلي ذلك طريق سبحستان إلىٰ كرمان، وقد استوفينا ذِكْر هذه المفازة وطرقها لعظيم الاحتياج إلىٰ معرفة ذلك.

وهذه صورة المفازة:



(١) في الاصل (حيص).

/ ٣٦٣/ ويمرُّ هذا الإقليم الثالث مع هذه المفازة علىٰ بلاد سجستان ومدينتها العظمىٰ زرنج[١]، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين، وخندق دائر ينبع به ماءٌ وينصب إليه فواضل ماء المدينة.

وفي داخل المدينة ثلاثة أنهار صغار يشقّها يجري إليها من نهر هيذمند[٢] المقبل من الثغور حتىٰ يصب في بحيرة[٣] كثيرة العذوبة التي يقال: إنَّ طولها قريب تسعين ميلاً، وتنقسم تلك الأنهار الثلاثة بمدينة زرنج علىٰ دياراتها وحمَّاماتها وبساتينها، وهي بلد حار، كثير الهواء حتىٰ صنعوا أرحاء هوائية تدور علىٰ الهواء لدوام الهواء بها. وهي خصبة كثيرة التمر والعنب، وأهلها مياسير.

ومن مدنها المشهورة[٤]: الطاق[٥]، والقرنين[٦]، وخواش[٧]، وسروان[٨]، وبست[٩]، والزالقان[١٠]، وشبل[١١]، وبغنين[١٢]، ودزَّة[١٣]، وبها البحيرة العذبة المتقدّمة الذكر، وجزّة[١٤]، وفَرّة، ودرَّق، وقلائي[١٥]، وكركوية[١٦]، وهيشوم.

ومن ذلك بلاد الداور[١٧]، وهو إقليم كبير واسع، كثير الخير[١٨] (ساكن

(١) انظر: صورة الارض ص٣٤٩ ونزهة المشتاق ص٤٥٤.
(٢) في الاصل (هندمند) واثبت ما في النزهة (هين مند) وفي صورة الارض (هيل مند).
(٣) اسم البحيرة (زرة) في صورة الارض ص٣٥٢ ونزهة المشتاق ص٤٥٥.
(٤) نزهة المشتاق ص٤٢٨ وصورة الارض ص٣٤٩.
(٥) انظر عن الطاق: صورة الارض ص٣٥٤ ونزهة المشتاق ص٤٥٦.
(٦) في الاصل (الفرس) وصححت على صورة الارض انظر ص٣٥٣ منه.
(٧) في الاصل (حواس) وصححت علىٰ صورة الارض ص٣٤٩ (وانظر ص٣٥٤ منه) ونزهة المشتاق ص٤٢٨ و٤٥٦.
(٨) انظر عن سروان: صورة الارض ص٣٥٤ ونزهة المشتاق ص٤٥٣.
(٩) في الاصل تستر، وصححت على صورة الارض ص٣٤٩ ونزهة المشتاق ص٤٢٨.
(١٠) في الاصل (الراتقان) انظر عنها: صورة الارض ص٣٥٤ ونزهة المشتاق ص٤٢٨ و٤٥٧.
(١١) كذلك في الاصل ولعلها (بشلنك) انظر صورة الارض ص٣٤٩ ونزهة المشتاق ص٤٢٨.
(١٢) في الاصل (تورين) وهي بغنين كما في النزهة وصورة الارض.
(١٣) انظر عن (دزّه) نزهة المشتاق ص٤٢٨.
(١٤) في الاصل (حرّة) والتصويب عن النزهة وصورة الارض ص٣٤٩.
(١٥) في الاصل (يلاقي) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٢٨.
(١٦) في الاصل (كركرية) وصححت علىٰ النزهة٤٢٨.
(١٧) في الاصل (الزوار) وصححت على صورة الارض ص٣٥٢.
(١٨) في الاصل (الحر) وصححت على نزهة المشتاق.

الخلج)[١] وقاعدتها مدينة درتل[٢] وهي مدينة لا سور لها علىٰ نهر هيل مند[٣] وبها عمارات، ومدينة روذان[٤] وهي مدينة صغيرة حصينة، ومدينة تل[٥]، ومدينة درغش[٦]، ومدينة درتل[٧]، ومدينة سوران[٨]، وهي مدينة صغيرة متحضرة ذات قرى ورساتيق ومغلات ومنافع جمَّة، وفيروزقند[٩] وهي مدينة صغيرة متحضرة حصينة.

والغور[١٠] وهي جبال حصينة عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار ومواشٍ، وموقع الغور[١١] علىٰ هراة وسجستان، وكذلك يمرُّ علىٰ قطعة من خراسان.

ومما يقع في هذا الإقليم من خراسان بلاد قوهستان[١٢] وقاعدتها مدينة قاين[١٣] وهي مدينة متحضرة / ٣٦٤/ عامرة عليها سور من تراب، ولها قلعة وعليها خندق، وبناؤها بالطين، وبها أسواق قائمة، وشربها من ماء جارٍ في قنى، وبساتينها قليلة.

ومن مدنها مدينة الزوذن[١٤] وهي مدينة عامرة، كثيرة التجارات، قائمة الاسواق.

ومدينة طبسين[١٥] وهي متوسطة المقدار ذات نخل وعمارات وشربها من مياه مجلوبة إليها في قنى، وبها حرير كثير موصوفٌ.

وخور[١٦] وهي مدينة صغيرة، وبها نخل كثير، وبساتين قليلة.

---

(١) كذا في الاصل، وفي النزهة: وهو ثغر للغور وبغنين وخلج...
(٢) في الاصل (دزبك) والتصويب على صورة الارض ص٣٥٢ وانظر نزهة المشتاق ص٤٦٧.
(٣) في الاصل (هندمند) وصححت على صورة الارض ص٣٥٢ وفي نزهة المشتاق ص٤٦٧ (هيذمند).
(٤) انظر عن روذان نزهة المشتاق ص٤٦٨.
(٥) نزهة المشتاق ص٤٦٨.
(٦) في الاصل (برغش) وصححت علىٰ نزهة المشتاق ص٤٦٧.
(٧) في الاصل (زمل) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٦٨.
(٨) سوران، انظر نزهة المشتاق ص٤٦٧.
(٩) في الاصل (زور) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٦٧.
(١٠) في الاصل (الثغور) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٦٨ وانظر صورة الارض ص٣٧١.
(١١) في الاصل (الثغور).
(١٢) قوهستان، ناحية من خراسان، انظر صورة الارض ٣٧٢.
(١٣) في الاصل (قامر) وصححت على صورة الارض ص٣٧٢.
(١٤) في الاصل (الزوران).
(١٥) في الاصل (طبس) انظر صورة الارض ص٣٧٢.
(١٦) في الاصل (حوز) انظر صورة الارض ص٣٧٢.

ومدينة هراة[١] وهي مدينة كبيرة عامرة عليها سور وثيق، ولها ربض وقلعة وأبواب مصفحة بالحديد، ومسجدها وسيع الفناء، رفيع البناء، والماء في داخلها وخارجها.

ومدينة كروخ[٢] وهي مدينة متحضرة في شعب جبل وعليها سور حصين من تراب، وهي كثيرة الماء والكروم والأشجار، ويحمل من كرومها الزبيب القشمش إلىٰ البلاد.

ومدينة كوّة[٣]، ومدينة دهستان، ومدينة كوة المذكورة فهي كثيرة البساتين والجنات والكروم التي لا تُعدُّ كثرة، ودهستان ليست كذلك.

ومدينة الطالقان[٤] وهي مدينة كبيرة ولها مياه جارية وعمارات متّصلة، وبساتينها قليلة، وليس يصنع في البلاد مثل لبودها المشهورة.

وإقليم الجوزجان[٥] من خراسان، وله مدن جليلة منها مدينة أنبار[٦] وهي قاعدتها وهي كبيرة الأقطار، كثيرة الماء والكروم والبساتين والخصب، وبها يعمل ثياب المخمل الجيد.

ومدينة الفارياب[٧] وهي مدينة جبلية كثيرة البساتين والمياه.

ومدينة اليهودية[٨] وهي تقاربها في قدر نواحيها وخيراتها وما فيها.

ومن مدن الجوزجان / ٣٦٥/ مدينة سان[٩]، ومدينة اندخذ[١٠] ومدينة كندرم[١١]، ومدينة أشبورقان[١٢]، ومدينة نريان[١٣]، وكل هذه مُدنٌ ذوات أعمالٍ

---

(١) انظر عن هراة: نزهة المشتاق ص٤٧٠ وصورة الارض ص٣٦٦.
(٢) في الاصل (كروج) وصححت على صورة الارض ص٣٦٧.
(٣) انظر عن كوّة: صورة الارض ص٣٦٨.
(٤) الطالقان: نزهة المشتاق ٤٧٨ وصورة الارض ص٣٦٩.
(٥) صورة الارض ص٣٧٠.
(٦) انظر عن (انبار) صورة الارض ص٣٧٠.
(٧) انظر عن (الفارياب) نزهة المشتاق ص٤٧٨ صورة الارض ٣٦٩.
(٨) انظر عن اليهودية: صورة الارض ص٣٧٠ ونزهة المشتاق ص٤٧٩.
(٩) صورة الارض ص٣٧٠.
(١٠) في الاصل (أفخذ). وصححت على صورة الارض ص ٣٧٠
(١١) صورة الارض ص٣٧٠.
(١٢) في الاصل: (اشروقات) وصححت على صورة الارض ص٣٧٠.
(١٣) في الاصل (بونان) وصححت على صورة الارض ص٣٧٠.

وقرىً متَّصلة ومياه جارية وفواكه كثيرة.

وبلاد مرو الروذ[١] وهي بلاد كبيرة عامرة؛ ومدينة مرو الروذ أكبرها، وهي مدينة قديمة في مستوًى من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها سبخة، كثيرة الرمل وأبنيتها من الطين علىٰ غلوة سهم من النهر، ولها قلعة علىٰ نشز مرتفع، وماؤها من قنوات، ولها نهر كبير يسمّىٰ نهر مرغاب[٢] يتشعب منه أنهار تسقى رساتيقها. وفي رساتيقها مبان مستقيمة ومتنزهات حسنة، ومساكن متحصنة، وبها الحرير والقزُّ الكثير والقطن القليل المثْل في غاية لين، ويعمل منها ثياب تحمل للآفاق، ولها منائر مضافة إليها.

ومن أعمالها هرمزمزة[٣] وهي مدينة متوسطة علىٰ طريق مفازة سقاية المؤدية إلىٰ خوارزم، وهي ذات عمارات وأسواق، وهي أمّ مدن ممدَّنة وأعمال ممتدة؛ وكلها بلاد خيرات وأرزاق.

ومدينة سرخس[٤] وهي في أرض سهلة صحيحة التربة، قليلة القرى ماؤها جارٍ، ولها مدينة تسمّىٰ بخوس[٥] وهي مدينة عامرة صحيحة التربة، قليلة القرىٰ وشربها من آبار، وبها زروع سرخس، وغالب أرضها مرعىٰ، ومعظم قنية أهلها الجمال.

وبلاد الباميان[٦] يكون قدر ثلث بلخ علىٰ رأس جبل الباميان، وينحدر منها أنهار ومياه جارية، وعليها سور، ولها قلعة وربض لاصق بها، وهي أم مدنٍ وأعمال.

ومدينة بذخشان[٧] وموقعها من تركستان وهي مدينة صغيرة عليها سور حصين من التراب، وبها /٣٦٦/ أسواق وفنادق وحمامات وتجار وأموال مصرفة، ولها مدن ورساتيق وأعمال ممتدة وكروم وأشجار وعيون جارية، وهي متصلة بأعمال القنُّوج وبلاد الهند، وبجبالها دواب كثيرة، وبها الخيل الجياد، والبغال المتخيّرة، وبها معدن اللعل البدخشاني المشاكل للياقوت الأحمر؛ وهو المسمّىٰ علىٰ ألسنة العامة بالبلخشي، ويوجد بها من سائر أنواع الأحجار النفيسة خلا الياقوت، وبها معدن اللازورد الجيد، ويستخرج بها الشيء الكثير منه، ويحمل إلىٰ البلاد فيعمُّها كثرة

---

(١) صورة الارض ص٣٦٤ و٣٦٩ ونزهة المشتاق ص٤٧٦.
(٢) في الاصل (منعاب) وصحح على صورة الارض ص٣٦٥.
(٣) في الاصل (هرمز) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٧٦.
(٤) صورة الارض ص٣٧١.
(٥) في الاصل (بحرس) وصححت على صورة الارض ص٣٧١.
(٦) صورة الارض ص٣٧٥.
(٧) نزهة المشتاق ص٤٨٦.

ولا شيء يعوقه، ويقع بها المسك من أرض التبت.

ومن مدنها هلاورد[١]، ولاوكند[٢] وكلاهما ذات أسواق، وهانك وهي مدينة حسنة البقعة كثيرة الناس والمتنزهات، وبها أسواق كثرة وأهلها قوم مياسير.

وخان وكران[٣] وبها أسواق وعمارات كثيرة.

ومدينة الصغانيان[٤] ولها حصن حصين، ومدن أخرىٰ، وبعض أرض التبت وقاعدتها مدينة التبت[٥]، وهي مدينة كبيرة وأرضها منسوبة إليها، ولها سور منيع وهي علىٰ نشزٍ عالٍ، وفي أسفلها وادٍ يمرُّ علىٰ بحيرة بروان[٦] وطولها مما يقارب أربعين فرسخاً، وعرضها اثنان وسبعون ميلاً، وماؤها حلو عذب، وهي دار ملك، ويعمل بها ثياب من حرير، وقز تباع بثمن وافر، وخيار دواب المسك بها؛ لأنها ترعىٰ من جبالها السنبل.

وينبت بهذا الجبل الراوند الصيني ويحمل منه إلىٰ الآفاق وهو خير أنواع الراوند.

ومن مدنها أوج وبروان[٧] وهما مدينتان جليلتان لا يحتاجان مع ما فيهما إلىٰ غيرهما.

قال الشريف / ٣٦٧/ في كتاب آجار[٨]: وعلىٰ مقربة منهما في جنوبيهما جبل معطوف علىٰ هيأة الدّال لا يصل أحدُ إلىٰ أعلاه إلاّ بعد جهدٍ، وطرفاه متصلان ببلاد الهند.

والذي يقع في هذا الإقليم من بلاد الهند إقليم القُنّوج، وهو إقليم عظيم الشأن والمكان، كثير البلاد والمدن الكبار، والأموال الزاخرة كالبحار، وهو إقليم معتدل

---

(١) في الاصل (بلاورد) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٨٨.
(٢) في الاصل (لاكند) وصححت على نزهة المشتاق ص٤٨٨.
(٣) انظر عن خان وكران نزهة المشتاق ص٤٨٨.
(٤) نزهة المشتاق ص٤٨٩.
(٥) عن التبت انظر نزهة المشتاق ص٥١٢ وعنه نقل المؤلف.
(٦) في الاصل (ثروان) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٣.
(٧) نزهة المشتاق ص٥١٤.
(٨) (في كتاب آجار) شطب عليه بالاصل.

بالنسبة إلىٰ غيره، به أنهار جارية وفواكه كثيرة، وخيرات غزيرة، وزروع مخصبة، ودواب تفوت العدّ وتتجاوز الحد.

يقال: إنّ به نحو ثلاثمائة مدينة مّمدنة عامرة آهلة ذات رساتيق وأعمال وجبايات وأموال.

وموقع هذا الإقليم شمالي اقليم عيوض بشرق، وموقع مدينة دهلي التي هي كرسي ملك الهند الآن، وبها السلطان محمد شاه سلطانها بين هذين الإقليمين القنُّوج.

وعيوض قريبة إلىٰ القنُّوج واقعة في هذا الإقليم؛ وهي أم ملك الممالك كلها، وعليها مدار عقدها وحلها، دار ملك وأمارة وعساكر جرّارة، وتخت أكاسرة وكرسي قياصرة، بل منبر خلافة، ومحراب إمامة، وسرير سلطنة، وسيأتي ذكرها في مكانه عند ذكر مملكة الهند والسند؛ إن شاء الله تعالىٰ مفصّلاً.

ويقعُ في نهاية هذا الإقليم ما نذكره أمّا في شرقه الآخذ إلىٰ الجنوب، فيأخذ قطعة من الصين.

ومن مدنه الواقعة به مدينة كجا[١]، ومدينة دارخون[٢] ومقاديرهما متوسطة وهما نهاية الصين في حدّه الشمالي، وفي شرقيهما مدينتان أشهرهما مدينة سطروبا[٣] وهو نهاية شرق الصين.

وأما في شرقه الآخذ إلىٰ الشمال، فهو بلاد الأتراك البرغرية، ومن مدنهم اطباش[٤]، وبرسخان[٥] العليا، وهي مدينة /٣٦٨/ حصينة لها سوران منيعان، ومدينة نواكت[٦]، ومدينة خزخراكث[٧]، ولأهلها صنائع ويباع بها حديد يجلب إليها مما وراءها ويبيعه أهلها ممن جاورهم.

ومدينة نضخو[٨] وهي علىٰ بحيرة تسمّىٰ بحيرة كوارث وماؤها عذب حلو.

---

(١) في الأصل (كخا) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٥.
(٢) في الأصل (ارخون) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٥.
(٣) في الأصل (اصطروب) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٧.
(٤) في الأصل (اطاس) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٥.
(٥) في الأصل (برباجان) وصححت على نزهة المشتاق ص٥١٥.
(٦) في الأصل (لواكت) وصححت على النزهة ص٥١٥.
(٧) في الأصل (حراكث) وصححت على نزهة المشتاق ص٥٢١.
(٨) في الأصل (نصحو) وصححت على النزهة ص٥٢١.

وقطعة من أرض الأتراك الخرلخية وفي مشاريقها مدن الأتراك الخرخيزية، ومن مدنهم بها مدينة جرجرير، ومدينة خاقان جرجرير، ومدينة كوندجرجرير، ومدن أخرىٰ؛ وكلها حصون متحصنة شاهقة علىٰ صهوات الجبال ذوات مياه جارية تدور عليها الارحاء ومزارع مخصبة وأشجار مثمرة، وخصب زائد وداوب سائمة لا تعدّ من الخيل والأبقار والأغنام، وخيلهم قصار الرقاب، وليست عندهم إلاّ للأكل، ورحيلهم وانتجاعهم كلّه علىٰ البقر، ونساء الخرخيز يتصرفن في الأشغال وليس علىٰ الرجال إلاّ الحركة والزرع والحصاد.

ثم جزيرة الياقوت[1] وهي في البحر المحيط وليست بجزيرة فانّها متصلة بالبرّ من غربيها؛ وإنما هي صعبة الطريق؛ لأنَّ عليها جبلاً يستدير بها صعب الصعود لا يقدر علىٰ إتقائه إلاّ بجهدٍ جهيد، ثم لا يقدر عل النزول منه إلىٰ الجزيرة إلاّ بمثل ذلك وبه حيّات قتّالة، وفي أرضه حصىٰ الياقوت علىٰ إختلاف أنواعه، وأهل تلك الناحية لهم حيلٌ في إخراجها.

وبهذا نهاية ما وقع عليه هذا الإقليم في البرّ المتصل إلىٰ البر المحيط في آخر الشرق.

وأمّا ما وقع به من الجزائر فسنذكرها، ونحن نبدأ من جهة المغرب آخذين إلىٰ المشرق علىٰ وضع خط الأقاليم، ولا نذكر من الجزائر إلاّ مشاهيرها / ٣٦٩/.

فأمّا ما وقع بالبحر الشامي مما هو في هذا الإقليم، فهو ما نذكر:

وأوّلها جزيرة جربة[2] وأهلها مسلمون وهم نكّار[3] طائفة من الرافضة، يقال: إنهم يبالغون في بغض عائشة ـ رضي الله عنها ـ وإذا مسَّ أحدهم آنية كسروها ولا يقدر أحد من غيرهم يدخل مساجدهم، ويقال: إنَّ فيهم كرماً زائداً، وإنَّهم يعدُّون أواني وفرشاً للأضياف تأفُّفاً من مسِّ غيرهم آنيتهم، وإليها تنسب الأكسية الجربية.

ثم كُلّ ما نذكره من الجزر في هذا البحر فانّه للفرنج لا تعلم به كلمة إسلام؛ فمن ذلك جزيرة قوصرة[4] المقاربة لتونس وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة علىٰ مقرّرٍ

---

(١) نزهة المشتاق ص٥٢٠.
(٢) نزهة المشتاق ص٣٠٥ و٣٠٦، وانظر: معجم البلدان ٢/ ١١٨، والروض المعطار ص١٥٨.
(٣) في النزهة ص٣٠٦: قوم نكار، ولم يرد فيه ما بعدها، وإنما قال: خوارج في الاسلام مذهبهم الوهبية.
(٤) عن قوصرة، انظر نزهة المشتاق ص٥٨٧، ومعجم البلدان ٤/ ٤١٣ والروض المعطار ٤٨٥.

لهم، ومثل هؤلاء إذا كانوا تحت أيدي الفرنج يعرفون في بلاد الغرب بالمدجلين.

وجزيرة مالطة[(١)] وهي مقاربة لاطربلس الغرب، وقطعة من جنوبي جزيرة قُبرس.

وهذا آخر ما وقع في هذا البحر الشامي من الجزر الواقعة في هذا الإقليم الثالث، وأمّا ما وقع فيه من الجزر في البحر الفارسي فهو جزيرة خارك[(٢)] المقابلة لمدينة البصرة، وجزيرة اركاوان المقابلة لمدينة الأحساء.

وجزيرة خارك المذكورة جليلة مشهورة لمكان مغاص اللؤلؤ بها، وبها أعشاب كثيرة، وعيون ماء كبيرة عذبة منها: عين تسمّىٰ عين بوزيدان، وتسمّىٰ عين غزار[(٣)] وكلُّها في وسط البلد. ومياه هذه العيون قوية دفاعة تطحن عليها الأرحاء. وعين غزار عجب لمبصرها؛ لأنها كبيرة قوراء مستديرة الفم في عرض ستين شبراً، والماء يخرج منها، وعمقها يزيد علىٰ خمسين قامة، وقد وزن المهندسون وحُذّاق العلماء عُلوّ فمها فوجدوه مساوياً لسطح البحر.

قال / ٣٧٠/ الشريف[(٤)]: وعامة أهل هذا البلد يزعمون أنّها متَّصلة بالبحر ولا خلاف بينهم في ذلك.

ثم قال: وهذا غلط؛ لأنَّ ماءها عذب بارد لذيذ يشتهى، وماء البحر ماء زعاق، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها ملحاً كماء البحر.

وبها زروع وأرز كثير ونخل وكروم، وفيها رؤساء الغواصين في البحر، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة، ويقيمون بها الأشهر حتىٰ يكون وقت الغوص، فيكثرون الغواصين بأجرة معلومةٍ تتفاضل علىٰ قدر تفاضل الغوص والأمانة، وشهرا الغوص شهرا أغشت، وشهر شُتنبر؛ فإذا كان أوان الغوص وصفا الماء للغطاس، وأكرىٰ كل واحد من التّجار صاحبه من الغواصين خرجوا من المدينة في أزيد من مائتي دونج - والدونج أكبر من الزورق - وفي إنشائه وظائف يقطعها التّجار أقساماً، في كل دونج منها خمسة أقسام وستة؛ وكل تاجر منهم لا يتعدى قسمه من المراكب،

---

(١) في الاصل (ملطة) انظر نزهة المشتاق ص٥٨٨.

(٢) انظر عن خارك: نزهة المشتاق ص٣٨٧، والروض المعطار ٢١١ وتقويم البلدان ص٣٧٢ ومعجم البلدان ٢/ ٣٣٧.

(٣) في الاصل (غرار) وصححت على النزهة ص٣٨٧.

(٤) نزهة المشتاق ص٣٨٧.

وكل غوّاص له صاحب يتعاون به في عمله وأجرته علىٰ خدمته أقلّ من أجرة الغطاس، ويسمّىٰ هذا المعاون المصفي، ويخرج الغواصون من هذه المدينة وهم في جملة في وقت خروجهم ومعهم دليل ماهر ولهم مواضع يعرفونها بأعيانها لوجودهم صَدَف اللؤلؤ فيها؛ لأن للصدف مراعٍ يجول[1] فيها وتنتقل إليها وتخرج عنها في وقت آخر إلىٰ أمكنةٍ أُخر، معلومة بأعيانها، فإذا خرج الغواص عن اوال[2] تقدمهم الدليل والغواص خلفه في مراكبهم صفوفاً لا يتقدم جريه، ولا يخرج عن طريقه.

وكُلّما مرَّ الدليل بموضع من تلك المواضع التي يصاد فيها صدف اللؤلؤ / ٣٧١/ تنحَّىٰ عن ثيابه، وغطس في البحر ونظر فإنْ وجد ما يرضيه خرج، وأمر بحط قلاعه وأرسىٰ دونجه، وحطت جميع المراكب حوله وأرست؛ واجتذب كل غواص إلىٰ غوصه.

وهذه المواضع يكون عمق الماء فيها من ثلاث قيم إلىٰ قامتين فدونها.

وصفة غوصهم: أنَّ الغواص يتجرَّد من ثيابه ويبقىٰ بسُترة تستر عورته، ويضع في أنفه الخلنجل[3] ـ وهو شمع مذاب بدهن الشيرج يسدّ به أنفه ـ ويأخذ مع نفسه سكيناً ومشنة، فيجمع فيها ما يجده هناك من الصَّدَف ومع كل غواص منهم حجر وزنه من ربع قنطار أو نحوه مربوط بحبل رَقيق وَثيق، ، فيدليه في الماء مع جنب الدونج، ويمسك الحبل صاحبه بيده، ثم يرسل صاحبه الحبل من يده دفعة واحدة فيتم الحجر مسرعاً حتىٰ يصل قعر البحر، والغائص عليه يمسك الحبل بيده فإذا استقرَّ في قعره نزل عنه إلىٰ القعر وجلس وفتح عينيه في الماء ونظر إلىٰ ما أمامه وجمع ما وجد هنالك من الصدف في عجل؛ فإن امتلأت مشنته وإلاَّ اندرج إلىٰ ما قاربه والحجر لا يفارقه ولا يترك يده عن إمساكه في حبله، فإن أدركه الغمَّ كثيراً صعد مع الحبل إلىٰ وجه الماء، واستردَّ نفسه حتىٰ يستريح ويرجع إلىٰ غوصه وطلبه، فإذا امتلأت مشنته اجتذبها صاحبه من أعلىٰ الدونج وفرغ المشنة بما فيها من الصَّدَف في قسمة من المراكب وأعادها في البحر إلىٰ الغواص؛ فإن كان الصدف هناك كثيراً وعلىٰ قدر الوجود له يكون طلبه، فإذا تمَّ الغواصون في البحر مقدار ساعتين صعدوا ولبسوا ثيابهم وتدثَّرُوا وانتدب المصفّي ـ وهو صاحبُ الغواص ـ ينشف ما معه من / ٣٧٢/ الصدف، والتاجر ينظر إليه حتىٰ يأتي

---

(١) في الاصل (يجعل) وصورة الارض النزهة ص٣٨٨.

(٢) في الاصل (اول) وصححت على النزهة ص٣٨٨ واوال جزيرة.

(٣) في الاصل: الجلنجل، وصححت على النزهة.

علىٰ آخره فيأخذه التاجر منه ويصرّه عند نفسه بعددٍ مكتوب؛ فإذا كان عند العصر انتدبوا إلىٰ طعام يصنعونه فتعشوا وناموا ليلتهم إلىٰ الصباح، ثم يقومون وينظرون في أغذية يأكلونها إلىٰ أن يحين وقت الغوص، فيتجردون ويغوصون، هكذا كل يوم.

وكُلّما فرغوا من مكان أفنوا صدفه، انتقلوا لغيره، ولا يزالون بهذا الحال إلىٰ آخر أغشت.

هذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزر الواقعة في هذا الإقليم، وبتمامه تمَّ الإقليم الثالث برّاً وبحراً، ولله الحمدُ والمنّة.

آخر السفر الأوّل من

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

ولله الحمد والمنة، ومنه التوفيق والعصمة

لا ربَّ غيره، ولا إله سواه

ويتلوه - إن شاء الله تعالىٰ -

في السفر الثاني

وهذه صورة الإقليم الرابع

وهو الآخذ مع الإقليم الثالث علىٰ شماليه من البحر المحيط

بأقصىٰ المغرب إلىٰ البحر المحيط بأقصىٰ الشرق

الحمد لله ربّ العالمين

وصلواته علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

وحسبنا الله ونعم الوكيل

مصادر ومراجع التحقيق

• آثار البلاد وأخبار العباد: لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، ط دار صادر، دار بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

• إتحاف الورى بأخبار أم القرى: لعمر بن محمد بن محمد بن فهد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط مكة المكرمة ١٩٨٣م.

• أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لشمس الدين، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، ط ليدن ١٩٠٩

• الأحكام السلطانية والولايات الدينية: لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

• أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: لأبي الوليد، محمد بن عبد الله الأزرقي، ط مكة ١٣٥٢ـ ١٣٥٧هـ، وبتحقيق رشدي الصالح ملحس، ط دار الأندلس ـ بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

• أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: لأبي عبد الله، محمد بن اسحاق الفاكهي، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن هبيش، ط بيروت ١٤١٤هـ.

• إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم الأدباء.

• الاستبصار في عجائب الأمصار: مجهول المؤلف، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، ط بغداد ١٩٨٦م.

• الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى: لأحمد بن خالد الناصري السلاوي، ص مصر ١٣١٢هـ، ثم ط٢ الدار البيضاء ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

• أسماء خيل العرب وفرسانها: لمحمد بن زياد الأعرابي، تحقيق: محمد

عبد القادر أحمد، ط القاهرة ١٩٨٤م.

- أسماء خيل العرب وفرسانها: للجواليقي، ط مع نسب الخيل للكلبي، ليدن ١٩٢٨.
- الأسماء والصفات: لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط دار الكتاب العربي ١٩٨٧م.
- أشجع السلمي، حياته وشعره: لخليل بنيان الحسون، ط بيروت ١٩٨١م.
- أشعار الخليع الحسين بن الضحاك: جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد قراج، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٠.
- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي، ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩.
- أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي، ط١ دمشق ابتداءً من سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.
- أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، ط مركز جمعة الماجد ودار الفكر دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الأغاني: لأبي الفرج، علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ)، ط دار الكتب المصرية.
- ألحان السواجع بين البادىء والمراجع: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: ابراهيم صالح، ط البشائر ـ دمشق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): للشريف علي بن الحسين العلوي، ط مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤ ثم بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢/ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٧م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة: لعلي بن يوسف القفطي، ط دار الكتب المصرية ١٣٦٩/ ١٣٧٤هـ.

• الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: لمجد الدين العلمي الحنبلي، ط مصر ١٢٨٣هـ، ثم ط عمّان ١٩٧٣م.

• الببغاء، عبد الواحد بن نصر المخزومي، حياته، ديوانه...: جمع وتحقيق هلال ناجي، ط بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

• بدائع البدائة: لعلي بن ظافر الأزدي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط القاهرة ١٩٧٠م.

• بدائع الزهور في وقائع الدهور: لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيق: محمد مصطفى، ط المستشرقين الألمان، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

• البداية والنهاية في التاريخ: لابن كثير، ط مصر ١٣٥١ـ ١٣٥٨هـ، وط بيروت ١٩٩١م.

• البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني، ط مصر ١٣٤٨هـ، وط ١٣٨٤/ ١٩٦٤م.

• البدور المسفرة في نعت الأديرة: لشمس الدين محمد بن علي بن محمد، تحقيق: هلال ناجي، ط بغداد ١٩٧٥.

• بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترانج، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوكيس عواد، ط بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

• بغية الطلب في تاريخ حلب: لكمال الدين عمر ابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، ط بيروت.

• بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، ط مجريط ١٨٨٤م.

• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي، ط مصر ١٣٢٦هـ، وبتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط البابي الحلبي بمصر ١٩٦٤ـ ١٩٦٥م.

• البيان والتبيين: لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام

هارون، ط القاهرة ١٩٤٨م.

- تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدي، ط مصر ١٣٠٦ـ ١٣٠٧هـ، وط الكويت ١٩٦٥ـ ١٩٩٢م.
- تاريخ آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان، ط مصر ١٩١٣ـ ١٩١٤م.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير الأعلام: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام: لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، ط مصر ١٣٤٩هـ.
- تاريخ حكماء الإسلام: للبيهقي، ط دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.
- تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار: لمحمد بن رافع السلامي، ذيّل به على تاريخ ابن النجار، انتخبه: التقي الفاسي المكي، ط بغداد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- تاريخ ابن الفرات: لمحمد بن عبد الرحيم بن الفرات، ط بيروت ١٩٣٦ـ ١٩٤٢.
- التاريخ الكبير: للإمام محمد بن اسماعيل البخاري: تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٩٧٨م.
- تاريخ المدينة المنورة: لأبي زيد، عمر بن شبة النميري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- تاريخ مدينة دمشق: للحافظ، أبو القاسم، علي بن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ)، ط دار الفكر ـ بيروت ٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- تاريخ دمشق: لأبي يعلى، حمزة بن أسد التميمي، (ابن القلانسي) تحقيق: سهيل زكار، ط دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- تاريخ ابن خلدون = العبر.

- تاريخ الطبري: لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط بيروت ١٩٦٧م.
- تاريخ ابن الوردي: لزين الدين، عمر بن مظفر الوردي، ط القاهرة ١٢٨٥هـ.
- تتمة ديوان الصنوبري: تحقيق: لطفي الصقال، درية الخطيب، ط دار الكتاب العربي بحلب ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: لأبي الحسن، الهلال بن المحسن الصابي، تحقيق: عبد الستار، فراج، ط الحلبي ١٩٥٨م.
- تذكرة الحفّاظ: لشمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي، تصحيح: عبد الرحمن المعلمي، ط حيدر آباد ـ الركن ١٣٣٣ـ ١٣٣٤هـ، ثم ط ١٣٧٤م.
- تقويم البلدان: لعماد الدين، أبي الفداء، إسماعيل الحموي، تحقيق: رينود، ط باريس ١٨٤٠م.
- تكملة المعاجم العربية: لدوزي، ترجمة: محمد سليم النعيمي، ط بغداد ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران، ط دمشق ١٣٢٩ـ ١٣٥١هـ.
- التيجان في أخبار ملوك حمير: لأبي محمد، عبد الملك بن هشام الكلبي، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٣٤٧هـ.
- الجبال والأمكنة والمياه: لأبي القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: دي جراف، ط ليدن ١٨٥٥م.
- الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ـ ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.
- كتاب الجغرافيا: لأبي الحسن، علي بن موسى بن سعيد المغربي، تحقيق: إسماعيل العربي، ط الجزائر ١٩٨٢م.
- جمهرة الأمثال: لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- جمهرة خطب العرب: لأحمد زكي صفوت، ط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٢هـ/ ١٩٢٣م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشي، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٢هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصبهاني، ط مصر ١٣٥١م.
- الحماسة البصرية: لعلي بن أبي الفرج البصري، تحقيق: عادل سليمان جمال، ط القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- حي بن يقظان: لابن طفيل، تحقيق د. فاروق سعد، ط دار الأفاق الجديدة ١٩٨٠م.
- الحيوان: للجاحظ، ط مصر ١٣٢٣ـ ١٣٢٤هـ، وبتحقيق: عبد السلام هارون، ط مصر ١٩٤٤ـ ١٩٤٥م.
- خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا: لحبيب الزيات، ط ١٩٣٢.
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب: لسراج الدين، عمر بن الوردي، ط القاهرة.
- خريدة القصر ـ قسم شعراء مصر: للعماد الاصفهاني، تحقيق: شوقي ضيف، ط مصر ١٩٥١ـ ١٩٥٢م.
- خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام: للعماد الاصفهاني، تحقيق: شكري فيصل، ط المجمع العلمي بدمشق ١٣٧٥ـ ١٣٨٨هـ/ ١٩٥٥ـ ١٩٦٨م.
- خريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب: للعماد الاصفهاني، تحقيق: محمد العروسي المطوي وآخرون، ط تونس.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي، ط مصر ١٢٩٩هـ، وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الخطط التوفيقية الجديدة: لعلي مبارك، ط مصر ١٣٠٤ـ ١٣٠٦هـ.
- دائرة المعارف الاسلامية: نقلها إلى العربية: محمد ثابت الأفندي، وأحمد الشنتناوي، وابراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، ط مصر ١٩٣٣ـ ١٩٥٧م.

• الدارس في تاريخ المدارس: لعبد القادر النعيمي الدمشقي، ط المجمع العلمي العربي ـ دمشق ١٣٦٧ـ ١٣٧٠هـ.

• الدر الفريد وبيت القصيد: لمحمد بن أيدمر، طبعة مصورة، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

• الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني، ط حيدر آبار ـ الدكن ١٩٤٥ـ ١٩٥٠م.

• دول الإسلام: لشمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٧هـ، ثم بتحقيق: فهمي شلتوت، ومحمد بن مصطفى إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٤م.

• الديارات: لأبي الحسن، علي بن محمد الشابشتي، ط بغداد ١٩٥١م، ثم تحقيق كوركيس عواد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

• الديارات: لابي الفرج للاصفهاني، تحقيق: جليل العطية، ط لندن ١٩٩١م.

• الديارات النصرانية في الاسلام: لحبيب الزيات، ط٣ـ دار المشرق ـ بيروت ١٩٩٩م.

• دير قنى، موطن الوزراء والكتاب، ومعقل المسيحية في العراق: مجلة المشرق ٣٧، بيروت ١٩٣٩ ص ١٨٠ـ ١٩٨.

• ديوان ابن قلاقس: تحقيق: سهام الفريح، ط الكويت ١٩٨٨م.

• ديوان الباهلي، محمد بن حازم، صنعة: محمد خير البقاعي، ط دمشق ١٩٨٢م.

• ديوان اسحاق الموصلي: جمع وتحقيق، ماجد العزي، ط بغداد ١٩٧٠م.

• ديوان الإسلام: لشمس الدين الغزي ـ خ ـ الخزانة التيمورية بمصر.

• ديوان الأسود بن يعفر: صنعة: د. نوري حمودي القيسي، ط بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

• ديوان أشجع السلمي = أشجع السلمي حياته وشعره.

- ديوان الأعشى الكبير: تحقيق: محمد أحمد قاسم، ط بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ديوان الأقيشر الأسدي: صنعة: محمد علي دقة، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٧م.
- ديوان البحتري: تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
- ديوان جحظة البرمكي: جمع وتحقيق: عبد الله توما، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٦م.
- ديوان جرير: ط دار صادر ـ بيروت.
- ديوان الحماني، علي بن محمد العلوي الكوفي: تحقيق: محمد حسين الأعرجي، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨م.
- ديوان الخالديين: جمع وتحقيق: د. سامي الدهان، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١م.
- ديوان ابن خفاجة: تحقيق: السيد مصطفى غازي، ط الاسكندرية ـ مصر ١٩٦٠م.
- ديوان دعبل الخزاعي: صنعة، عبد الكريم الأشتر، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٤م.
- ديوان ديك الجن: تحقيق: عبد المعين الملوحي ومحيي الدين درويش، ط دمشق ١٩٧٤م.
- ديوان الراعي النميري: جمع وتحقيق، راينهرت فايبرت، ط المستشرقين ـ بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م وبتحقيق د.نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، ط بغداد ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
- ديوان ابن رشيق القيرواني: جمع وترتيب د. عبد الرحمن ياغي، ط دار الثقافة ـ بيروت .
- ديوان السري الرفاء: تحقيق: حبيب حسين الحسني، ط بغداد ١٩٨١م.
- ديوان السري الرفاء: تقديم وشرح: كرم البستاني، ط دار صادر بيروت ١٩٩٦م

• ديوان الشريف الرضي: ط٤ دار صادر ـ بيروت ٢٠٠٤.

• ديوان صفي الدين الحلي: ط دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

• ديوان الصنوبري: تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨م.

• ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق: د. محمد يوسف نجم، ط دار صادر ـ دار بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

• ديوان عدي بن زيد العبادي: جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، ط بغداد ١٩٦٥م.

• ديوان علي بن الجهم: تحقيق: خليل مردم بك، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٦م.

• ديوان كشاجم: تحقيق خيرية محمد محفوظ، ط بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، وبتحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، ط مصر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

• ديوان ابن المعتز: تحقيق: يونس أحمد السامرائي، ط بيروت ١٩٩٧م.

• ديوان أبي نؤاس دار الكتاب العربي ـ بيروت (دت)، وط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

• ديوان الهذليين: ط مصورة عن دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٥٨/ ١٩٦٥م.

• ديوان أبي الهندي وأخباره: صنعة: عبد الله الجبوري، ط بغداد ١٩٧٠م.

• ديوان الوليد بن يزيد: جمع وتحقيق: د. واضح الصمد، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٩٨م.

• الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لعلي بن بسّام الشنتريني، ط مصر ١٣٥٨ـ ١٣٦٤هـ، ثم ط ليبيا ١٣٩٥ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٥ـ ١٩٧٩م، وبتحقيق: د. إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

• الذريعة إلى تصانيف الشيعة: لآغا بزرگ الطهراني، ط النجف/ ابتداءً من سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

• ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبري (ت) ط مصر ١٣٢٦هـ، في آخر كتابه تاريخ الطبري.

• ذيل مرآة الزمان: لموسى بن محمد اليونيني، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٧٤ـ ١٣٧٥هـ.

• الرجال: للنجاشي، أحمد بن علي، ط بمبى ١٣١٧هـ.

• روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني.

• الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، ط مصر ١٩٧١م.

• الروض المعطار في أخبار الأقطار: لأبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميري - خ -.

• رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ: ليوسف بن شاهين - خ -.

• زاد المسافر، وغرّة محيّا الأدب السافر: لصفوان بن إدريس التجيبي المرسي، ط بيروت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

• السلوك لمعرفة دول الملوك: للمقريزي، تعليق: محمد مصطفى زيادة، ط مصر ١٩٣٤ـ ١٩٣٩.

• سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: لأبي عبيد البكري، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط مصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

• سنن ابن ماجه: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط القاهرة ١٩٥٢م.

• سنن الترمذي: محمد بن سورة الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.

• سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ط مصر، ثم بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ـ ط بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وما بعدها.

• السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط القاهرة ١٣٥٥هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، ط القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١هـ، وط .
- شرح شواهد المغني: للسيوطي، ط مصر ١٣٢٢هـ.
- شرح المقامات الحريرية: للشريشي، أحمد بن عبد المؤمن (ت ٦٣٠هـ) ط مصر ١٣٠٠هـ.
- شعراء عباسيون: غرنباوم، ترجمة: محمد يوسف نجم، ط القاهرة ١٩٥٩م.
- شعراء عباسيون منسيون: لابراهيم النجار، ط بيروت ١٩٩٧م.
- شعراء النصرانية: للويس شيخو، ط بيروت ١٩٢٦م.
- شعراء النصرانية بعد الاسلام: للويس شيخو ط بيروت.
- شعر الخباز البلدي: جمع وتحقيق: صبيح رديف، ط بغداد ١٩٧٣.
- شعر مطيع بن إياس = شعراء عباسيون.
- شعر الراعي النميري وأخباره: لناصر الحاني، ط المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: لتقي الدين الفاسي، ط مصر ١٩٥٦م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط دار الكتب المصرية ١٣٢١هـ ١٣٣٩/ ١٩١٣ـ ١٩٢٠م، ثم ط بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية): للجوهري، ط مصر ١٢٨٢هـ.
- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ط دار الشعب ـ مصر [دت].
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ط عيسىٰ البابي ـ مصر ١٣٧٤هـ.
- صفة الصفوة: لأبي الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٥٥هـ.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: لابن بشكوال، ط مجريط ١٨٨٢.

• صورة الأرض: لابن حوقل النصيبي، تحقيق: ي. هـ. كرامس، ط ليدن ١٩٣٨م.

• طبقات الأطباء والحكماء: لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي، المعروف بابن جلجل، ط مصر ١٩٥٥.

• الطبقات: لأبي عمر، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت٢٤٠هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، ط بغداد ١٩٦٧.

• طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

• طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجحمي، ط ليدن ١٩١٣، ثم بتحقيق: محمود شاكر، ط القاهرة ١٩٧٤م.

• ظفر الواله بمظفر وآله: لمحمد بن عمر المكي الأصفي ألغخاني، ط لندن ١٩١٠.

• العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لابن خلدون، ط مصر ١٢٨٤، ١٣٥٥هـ.

• العبر في ذكر من غبر: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، ط الكويت ١٩٦٠ـ ١٩٦٦م.

• العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، ط القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

• العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: لعلي بن الحسين الخزرجي، ط مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م ثم بتحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط صنعاء ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

• أبو العيناء، الأديب البصري الظريف: د.ابتسام مرهون الصفار، ط الموصل ١٩٨٨.

• أبو العيناء البصري، حياته وشعره: لسعيد الغانمي، مجلة البلاغ الكاظمية، س٦، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

• عيون التواريخ: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، ط بغداد.

• الغريب: لأبي عبيد، القاسم بن سلاّم الهروي، تحقيق: محمد المختار العبيدي، تونس ١٩٨٩.

• فضائل بيت المقدس: لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط دمشق ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

• فضائل القدس: لأبي الفرج، ابن الجوزي، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ط دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

• فقه اللغة: للثعالبي، مطبعة الأباء اليسوعيين ـ بيروت ١٨٨٥م، وط الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

• الفلاكة والمفلوكون: للدلجي، ط مصر ١٣٢٢هـ.

• فهرس المكتبة الازهرية: للكتب الموجودة فيها إلى سنة ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ١٣٦٩ـ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٠ـ ١٩٥٢م.

• الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة: الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية بمصر ١٩٤٨.

• فهرس الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية: ط مصر ١٣٠٨ـ ١٣١٠هـ.

• فهرس الخزانة التيمورية، ط دار الكتب المصرية ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

• الفهرست: لمحمد بن إسحاق، ابن النديم (ت٣٨٠هـ)، تحقيق: رضا تجدد، ط طهران ١٩٧١م.

• الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لمحمد بن عبد الحي اللكنوي، ط مصر ١٣٢٤هـ.

• فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، ط مصر ١٢٩٩هـ، ثم بتحقيق: إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت ١٩٧٤م.

• قطب السرور في أوصاف الخمور: للرقيق النديم، تحقيق: أحمد الجندي، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩م.

- قلائد العقيان: للفتح بن خاقان، ط سليمان الجزائري، باريس ١٢٧٧هـ ثم بتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، ط تونس ١٩٩٠م.
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: لابن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: لأبي شامة المقدسي، ط مصر ١٢٨٧هـ، ثم بتحقيق: ابراهيم الزيبق، ط بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف: لمحمد أسعد طلس، ط بغداد ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، ط استنبول ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.
- اللباب في تهذيب الأنساب: لعز الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط مصر ١٣٥٦ـ ١٣٦٩م.
- لسان العرب: لجمال الدين ابن منظور، ط دار صادر ـ بيروت.
- لسان الميزان: لابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣١هـ.
- اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية: للبطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم، ط حمص ١٩٤٣.
- مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط مصر ١٩٧٧م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين، الهيثمي، ط بالقاهرة ١٣٥٢هـ.
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: للسري الرفاء، تحقيق: مصباح غلاونجي وماجد الذهب، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: لشمس الدين يوسف بن قزأوغلي، سبط ابن الجوزي، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: لعلي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق: شارل بلا، ط بيروت ١٩٦٥م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: للعمري (ج١٢): تحقيق: ابراهيم صالح، ط المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٢م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: للعمري (ج١): تحقيق: أحمد زكي.
- مسالك الممالك: لأبي اسحاق، ابراهيم بن محمد الفارسي، الأصطخري، تحقيق: دي خويه، ط ليدن ١٣٠٦هـ/ ١٩٨٩م.
- المسالك والممالك: لابن خرداذبة، تحقيق: دي خويه، ط ليدن ١٣٠٦هـ/ ١٩٨٩م.
- المسالك والممالك: لأبي عبيد البكري، تحقيق: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ط بيروت ١٩٩٢م.
- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري، ط الهند.
- مسند أحمد بن حنبل: ط المكتب الاسلامي ـ بيروت [دت]
- المصنف: لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب عبد الرزاق الأعظمي، ط الهند ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: لابن دحية، تحقيق: ابراهيم الإبياري وآخرون، ط القاهرة ١٩٥٤م.
- معاهد التنصيص: لعبد الرحمن العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة ١٩٤٧م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي، ط مصر ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، ط البابي الحلبي، بمصر [دت]،

ثم بتحقيق د.إحسان عباس، ط بيروت ١٩٩٣م.

- ذمعجم البلدان: لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، ط دار صادر ـ دار بيروت [دت].
- معجم الشعراء: للمرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى عام ٢٠٠٢م: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- معجم الشعراء في معجم البلدان: كامل سلمان الجبوري، ط مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ٢٠٠٢.
- المعجم الكبير: للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط بغداد ١٩٨٣م.
- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي: لابن الأبار، ط مدريد ١٨٨٥.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لأبي عبيد البكري، تحقيق: مصطفى السقا، ط بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: ليوسف اليان سركيس، ط مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.
- المعمرون والوصايا: للسجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط القاهرة ١٩٦١م.
- المغرب في حلى المغرب: لابن سعيد المغربي الأندلسي ج١/ تحقيق: د. زكي محمد حسن، د. شوقي ضيف، د. سيّده كاشف، ط مصر ١٩٥٣.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: لطاش كبري زاده، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٢٩م.
- المقفى الكبير: لتقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، ط دار العرب الإسلامي ـ بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

• ملوك حمير وأقيال اليمن: لنشوان الحميري، تحقيق: علي بن اسماعيل المؤيد، ط القاهرة ١٩٦٨م.

• المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة: للحربي، تحقيق: حمد الجاسر، ط الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج، ابن الجوزي، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٥٧هـ، ثم ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

• منطقة القادسية: كامل سلمان الجبوري، مستل من مجلة الذخائر البيروتية ع٨ السنة الثانية ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

• منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال، ويعرف بالرجال الكبير: لمحمد بن علي الاسترابادي، ط حجرية ـ طهران ١٣٠٤هـ.

• المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم: للآمدي الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ)، ط مصر ١٣٥٤هـ.

• مورد اللطافة: لابن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ)، ط كمبرج ١٧٩٢م.

• الموسوعة الموجزة: لحسان بدر الدين، ط دمشق ١٩٧١ وما بعدها.

• الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: للمرزباني، محمد بن عمران، ط مصر ١٣٤٣هـ.

• ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) ط مصر ١٣٢٥هـ، ثم بتحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٣م.

• النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، ط دار الكتب المصرية ١٣٤٨ـ ١٣٧٥هـ.

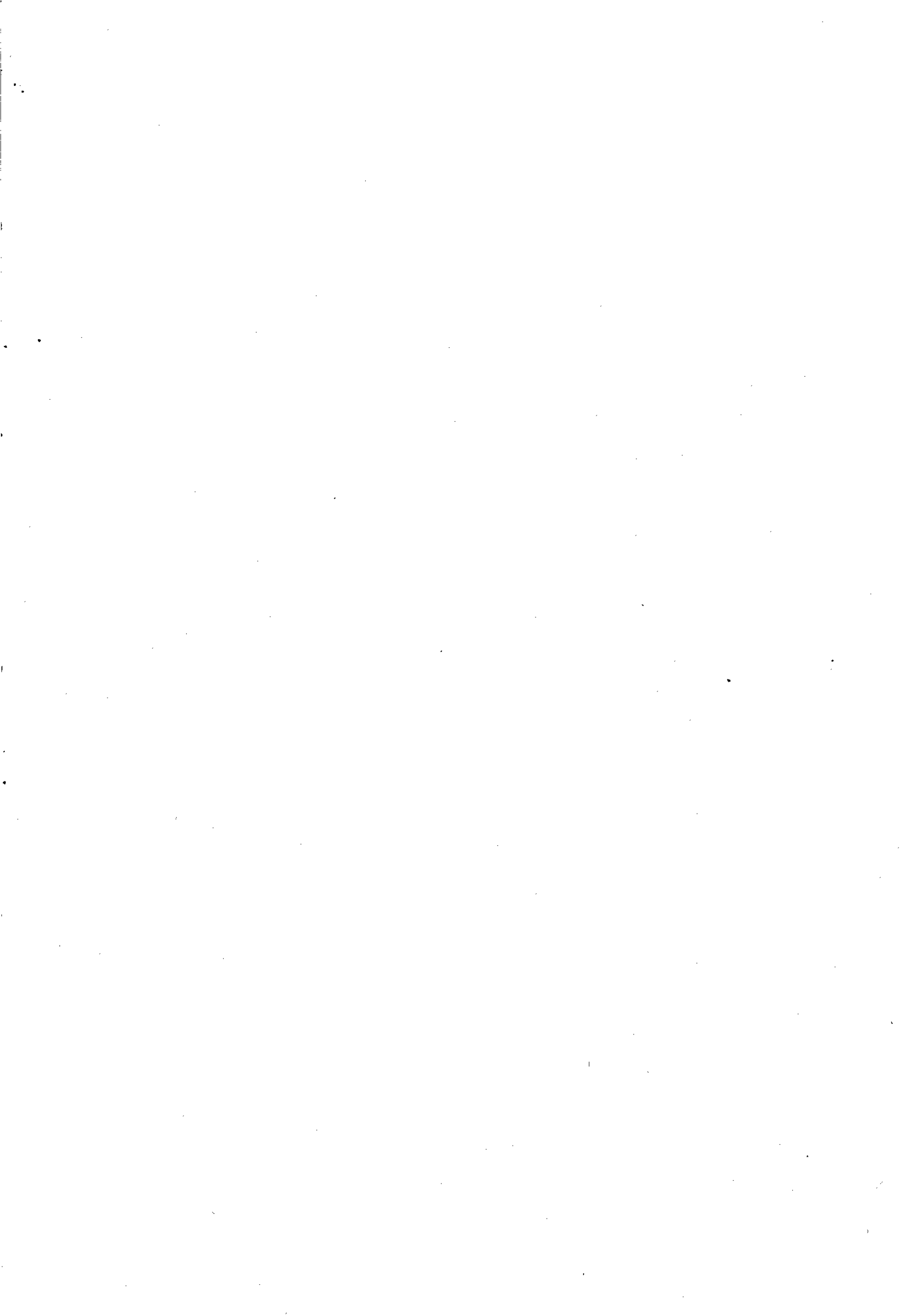
• نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران: للبطريرك أفرام منصور، ط دير الزعفران ١٩١٧.

• نزهة الألباء في طبقات الأدباء: لعبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ط مصر ١٢٩٤هـ، ثم بتحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ط بغداد ١٩٥٩م.

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الإدريسي، ط بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر: لضياء الدين، يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار المؤرخ العربي ـ بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري، ط مصر ١٣٠٢هـ، ثم بتحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، ط مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.
- نهاية الإرب في فنون الأدب: للشهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ)، ط دار الكتب المصرية ١٩٦٣م.
- نور القبس المختصر في المقتبس للمزباني: اختصار الحافظ أبي المحاسن يوسف بن أحمد (ت ٦٧٣هـ) تحقيق: رودلف زلهايم، ط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٤م.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لنور الدين السمهودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لشمس الدين، أحمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، ط مصر ١٣١٠هـ، ثم بتحقيق د.إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت (دت).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: للثعالبي، ثم بتحقيق: مفيد قميحة، ط بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

المجلات:

- مجلة المجمع العلمي العربي ـ بدمشق / المجلد الخامس.
- مجلة المشرق مج١١.
- مجلة المقتطف مج١٣.



فهرس المحتويات